



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٣١٥

جامعة الملك عبد العزيز
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا الشرعية
فرع العقيدة

الإحسان

وأشارة في الحياة الأوربية الحديثة

رسالة مقدمة لنيل درجة التخصّص الأولى (الماجستير)



من الطالب:
صالح بن محمد بن عبد الله بن صالح

بإشراف الاستاذ:

محمد بن عبد الله بن صالح

١٤٠٠ - ١٤٠١ هـ

٢١٥

٢٠٠٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَأَطْرَقَتِ السَّمَوَاتُ
وَالْأَرْضُ يَذْعُوكُمْ لِتَعْتَبَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُوْخِرُكُمْ إِلَى
أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ
تَصُدُّوَنَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ .
ابراهيم ١٠٦

وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ
تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ
قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ
لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ . البقرة ١١٨

أَفَحُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ
حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ . المائدة ٥٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

ان الحمد لله نحمده ونستعين به ونستغفره ونستهد به ، ونعوذ
بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا .. من يهده الله فلا مضل له ومن
يضل فلا هادي له ..

وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له .. وأشهد ان محمدا
عبده ورسوله .. اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذين نصبوا
انفسهم للدفاع عن بيضة هذا الدين الحنيف ..

أما بعد : ان من اعظم فضل الله - عز وجل على الأمة الاسلامية
ان ارسل فيها افضل نبي وافضل دين .. دين كان ابرز صفاته ، أنه من صنع
بارئ هذا الكون .. ونشئ نواحيه وقوانينه .. والعالم بما يجد فيه
وما يتطور .. دين وجه الفكر الانساني الى العلم بالله ، وملا القلب الانساني
بالخشوع لله .. ثم عن طريق العلم شرح قضية الوجود .. ووظيفة المرء في الحياة ،
شرحا عاما بالصدق والجمال ..

لقد كان في علمه - سبحانه وتعالى - هذا التطور التاريخي ، وما
يترتب عليه من تطور اجتماعي واقتصادي وفكري عام .

ولذا وضع الخطوط الثابتة

والقواعد الشاملة

والمبادئ العامة .. التي لا تخرج اطوار الانسان في النهاية عن حدودها
وترك التطبيقات لتطور الزمان ، وبروز الحاجات في حدود مبادئه العامة ..
وقواعده الشاملة ..

لا شيء الا انه يريد ان نكون دائما في المقدمة .

قال تعالى ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون
عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾

وقال ايضا ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس
ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾

ولا يريد أبدا ان ننطلق الى التشريع الفرنسي البائس المنكود تارة مع
اليمينيين وتارة مع اليساريين نستمد منه القانون ..

أوالى النظريات السياسية الغربية الظالمة الشعبوية ،
نستمد منها نظام الحكم

أوالى الفكر الغربي الملحد الحائر .. نستمد منه التصور لمصرفة
الله والكون والانسان .. كلا ! وإنما جعل لنا مبادئ وقبلا .. نسبر على
ضوئها .. في ظلمات الالحاد والمادة ..

بهذه المبادئ السامية وهذا الفهم العميق لمدلول " لا اله الا الله "
قامت دولة الاسلام بانهضة الحضارة ، واسعة السلطة ، عظيمة الهيبة ، ظلت
في المجال الحالي ، الدولة الاولى بين أتباعها ... لا عشرات السنين بل
مئات من السنين قاربت الألف عام .

وهذه الدولة الاسلامية انفردت بالصدارة دهرها طويلا ، ثم شاركتها
في هذه المكانة المرموقة ، بعد قرون طويلة دول أخرى ...
واذا كانت الولايات الامريكية ترى في عصرنا هذا اعظم دول الأرض
بنازعها في ذلك الاتحاد السوفييتي .. فان الدولة الاسلامية ، في عصرها الطويل
المديد ، كانت أشرف مكانة وأعز نفرا ..

وقد ظلت أمدًا غير قصير لا يجزؤ أحد على مطالعتها ...

ولم يكن هذا السبق العالي ، كسبق هاتين الدولتين اللتين تتسابقان
الى التسليح لتدمير الجنس البشرى - كلا - بل كانت احوال المسلمين العلمية
والخليفة والمدنية والعسكرية ، ترجح كفتهم في كل موازنة .. وتعلو رايهم
في كل سباق ..

ولم يكن هذا الرجحان وليد حضارة قديمة انتفع الاسلام بها ، أو نتيجة
ارتقاء محلي مشى الاسلام على قمته .. لا هذا ولا ذاك !
بل جاء بمبادئه السامية واخلاقاته الفذة التي بذل فيها فقهاء هذا
الدين ومفكره جهدهم الضخم المشكور في تطبيق تلك المبادئ على
تطورات الأمور ، لكي تلبي حاجات المجتمع المتجددة في ذلك الزمان ، الذي
كان المجتمع فيه محكوما بشريعة الاسلام ..

* * *

ثم وقف هذا الجهد - مع شديد الأوسف - منذ أن غلب الاستعمار
الصلبي دار الاسلام في الشرق والغرب وفي كل مكان ..
فاذا بالامة الاسلامية تأخذ في الانحطاط ، وحضارتها تأخذ في
الذبول ..

فقامت اوربا وتقدمت ونجحت في دراسة الانسان من زوايا كثيرة ..
لقد تقدمت علوم النفس والاجتماع والاخلاق والاقتصاد والسياسة تقدما
غير منكور .. وسار معها على الدرب تقدم آخرفي علوم الطبيعة والكيمياء
وسائر الدراسات الكونية ..

وبدا كأن الانسان يتبوأ مكان السيادة المطلقة في عالم دانت
له عناصره واستكانت قواه ..

والحقيقة : لنحترف بأن علماء الدين في العصر الاخير لم تحسبوا
بسط هذه القضية ولا اناة الأفتدة بتوضيحها ...

دراسهم

وقد انكششت او انهزمت امام التيارات المناوئة لأسباب عديدة ، ان هذا البحث معنى بدراسة تلك الأسباب وآثارها ، حتى لا يكون المبتطلون الملاحدة ، أقدر على اقتياد العالم من المؤمّنين .. وحتى لا يحرم العالم خبرا هو أفقر ما يكون اليه ..

ومع هذا التقدم الصناعي والسياسي والفكري .. ان اوربا ، قد جرت فلسفتها وعلمها واخلاقيها واقتصادها واجتماعها وسياستها وقانونها .. وبالجملّة كل ما يتصل بها .. قد جرى كل ذلك من نقطة انطلاق منحرفة .. وهي الالحاد وانكار الضيبيات والنبوات ..

وبقيت تخطو وترتقي في وجهة غير صحيحة حتى انتهى الى مرحلة ترى فيها نهاية هذه الحضارة وهي الهلاك ..

لذا اصبح الانسان غريبا في العالم الذي ابتدعه .. لا يستطيع أن ينظم دنياه بنفسه .. لأنه لا يملك معرفة عملية بطبيعته وجياله به مطابق ..

ان الحضارة العصرية ، تجد نفسها في موقف صعب ، لأنها لا تلائمنا لقد انشئت دون أية معرفة بطبيعتنا الحقيقية اذ انها تولدت من خيالات الاكتشافات العلمية .. وشبهوات الملحدّين .. وأوهامهم .. وظنراتهم .. ورجاتهم ..

وعلى الرغم ، من انها انشئت بمجهود الانسان الا أنها غير صالحة بالنسبة لحجمه وشكله ..

ومن ثم كان التخيّل .. وكانت الشقوة .. وكان خط الدمار الذي تنحدر فيه البشرية الى الهاوية في هذا الزمان ، وكانت هذه الأزمة الحادة التي يواجهها " الوجود " الانساني ..

* * *

لقد وقعت اوربا الجاهلة في الحاد لا مثيل له في التاريخ ثم عمت

بلوته الأَرْض كلها فيمابعد ..

وكان الالحاد فيما غبر من الزمان يوجد فيكون مزاجا شخصيا أو
غفلة عامة أو عوجا فكريا .. ولكن الالحاد الأوربي الحديث ليس كذلك .
لأنه ثورة على الإيمان تبغى قطع دابره .. واجتبا حله ..

ان هذا الالحاد ، ليس شبيهة توشك ان تلحقها الأدلة فتتلاشى .
لا ! انه الواقع وغيره الباطل !

..... انه الجد وغيره الهزل !

..... انه الجد بر بالحياة وغيره الجد بر بالفناء

* * *

أما في العالم الاسلامي ، فما زال الصراع قائما بين الدين والالحاد ..
لأن الدين - من ناحية - ما زالت له قبضته على نفوس الجماهير كعقيدة وفكرة ..
رغم الجهد الضخم الذي بذله " المثقفون " لتفتيت العقيدة وتحطيمها ..
ليقودوا الجماهير المسلمة الى سوق الالحاد الراجح ، في هذه الأونة الأخيرة ..
ومن ثم فما زالت هناك معركة ..

بعضهم يكتبون في اخلاص عن وجوب تطوير الدين حتى لا يفوته الركب
الحضاري الأوربي ولا يبقى في الرجعية والجمود ..

وبعضهم لا يذكر اسم الدين على الاطلاق .. وانما تراه بهاجم
المفاهيم الدينية .. كقولهم : " ان هذا الأمر لا علاقة له بالدين .. وانما
هو قضية سياسية ، وقضية اقتصادية " ..

وبعضهم يقول : ان الدين كان في السابق أفكارا سامية ولكن تشريعاته
وتوجيهاته ، قد نزلت بعصر معين ، وظروف معينة .. ونحن اليوم في القرن
العشرين ، قرن غزو الفضاء وقرن النزول فوق سطح القمر .. فقد تغيرت الأمور ،
وتغيرت احوال الناس اقتصاديا وسياسيا وفكريا ..

فيجب علينا الخاء هذه الخلافة الاسلامية .. لقد شاء الله ان يتم ذلك

على يد الشيطان الكبير والطاغوت الماتى - مصطفى كمال الذى ألغى الخلافة
الاسلامية المجيدة في ٢ مارس سنة ١٩٢٤ م الخلافة التي طالما كانت خنجرا في صدر
أعداء الاسلام . فصارت الجماهير في عالمنا الاسلامي ، تتشرب هذه الابحاث
المختلفة التي يرددوها هؤلاء ، ادعاء الثقافة بمختلف وسائل الاعلام :

التحقيق الصحفي والسبنا ..

القصة والمسرحية ..

والمقالات .. والاخبار

الكتاب والتلفزيون ..

يقولون لهؤلاء البسطاء : هذه هي اوربا او العالم المتحضر ..

أو الأمم الراقية .. قد تقدمت بدون ديانة ..

ويتحتم علينا ايضا ، ان ننبد ديننا نبذ النواة لكي نلحق بالركب

الحضارى .. لأن التحسك بالتقاليد البالية هي التي تعرقل خط سيرنا

الى قمة التقدم في دنيا العلم والصناعة .. بل هي التي جعلتنا منعزلين في

زاوية النسيان ..

من هنا وقع الجماهير (في الانبهار) بهذه الحضارة المادية الاوربية ..

صدقا لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذى لا ينطق عن الهوى ..

" لتبعن سنن من كان قبلكم ، شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو

أن احدهم دخل حجر ضرب لدخلتم .. وحتى ان احدهم جامع امرأته بالطريق

لفعلتموه .. رواه مالك وأصله في مسلم .

فجاءت على الأمة الاسلامية تيارات فكرية مختلفة :

جاءت القومية والوطنية والديمقراطية والحرية وتحرير المرأة اقتصاديا وسياسيا

وجاء مذهب النشوء والارتقاء الداروينى ومسألة الجنس بقياة فرويد اليهودى ..

وخرافة العقل الجمعى تحت سيادة دوركائم الموحد اليهودى

واخيرا جاءت الاشتراكية والشيوعية باشراف كارل ماركس الموحد الطاغى

اليهودى ايضا ..

وجاءت أشياء أخرى لا تعد ولا تحصى من الشعارات البراقة الفارقة ..
فاندفع اليها اليسطاء اندفاع الفراش الى النار حتى سبر أعداء الله
على ان هذه الأمة ستلفظ انفسها الاخيرة دون ما تأخير ..
ولكن القائل * نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون * رد كيد الكاذبين
في نحورهم .. وأثبت في وسط هذه التخبطات والتخرصات ، رجالا مخلصين
* صدقوا ما عاهدوا الله عليه .. منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا *
فأعادوا باقلامهم المؤمنة الشريفة - راية " لا اله الا الله " من جديد ..
وخرجوا للناس بفكر اسلامي اصيل بعيد من شوائب الشرك .. الذي
قد غشى التصور الاعتقادي والشعائر التعبدية ، والحاكمية والطاعة ..
ان هذا الفكر المخلص يستمد - بادئ ذي بدء - من كتاب
الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .
فبينوا للناس ان الجفوة المفتحة بين الدين والعلم في أوروبا كانت
لأسباب تاريخية - سنذكرها في هذا البحث - ولا نظير لها في تاريخنا
الاسلامي ..
ولفهمهم ايضا ان الاسلام لا كبرياء فيه ولا وساطة بين الخلق والخالق
فكل مسلم في اطراف الارض ... وفي فجاج البحر ، يستدليح بمفرده ان يتصل
بربهه ... بلا كاهن ولا قسيس ..
والامام المسلم لا يستمد ولا ياتيه من " الحق الالهي " ولا من الوساطة
بين الله والناس .. انما يستمد مباشرة السلطة من الجماعة الاسلامية ..
كما وضحو للناس مرة أخرى .. ان الدين الاسلامي لا يعتمد على الخوارق
والمعجزات انما قام على التأمل والنظر في آيات الله في الانفس والافاق ..
ثم * ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري
في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد
موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض
آيات لقوم يعقلون * البقرة ١٦٤

فلا جفوة — اذن — بين الدين الاسلامي والعلم الصحيح المؤدى الى معرفة

الله عن طريق آياته في الانفس والآفاق ..

فانما اضطرت اوربا الجاحلة لتنجية الدين عن حباتها المأمية

فلسفتنا مضطرين ان نجاريها في هذا الطريق .. لأن طبيعة دينهم

ليست كطبيعة ديننا ولا تاريخهم كتاريخنا ..

كما اشاروا لهؤلاء " المثقفين " الى ان سبب انحطاط هذه الأمة

في هذه الغربة الثانية هو انحرافها عن حقيقة كلمة " لا اله الا الله " وأن

الطريق الى استعادة عزتنا ومجدنا يتبدى من تصحيح مفهوم " لا اله

الا الله " كما صححه الرسول صلى الله عليه وسلم في الغربة الاولى للاسلام

الذى يقول : بدأ الاسلام غربا وسيمود غربا كما بدأ فطوبى للغرباء

الذين يصلحون ما أفسد الناس .. او كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :

ولم تكثف هذه الاقلام المؤمنة بتصحيح مفهوم " لا اله الا الله " بل

بدأت ايضا تكشف عن المذاهب الهدامة الأوربية ، امام أعين الناس

مخافة ان تتكرر المأساة وتحقيقا لقوله تعالى :

* وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين *

ومما لا شك فيه ان علمائنا الافاضل قد اتخذوا شتى الوسائل للوقوف

امام الخطر الاحادى . وقد تختلف الاساليب بين مفكر ومفكر .. ولكنه اختلاف

كاختلاف الابرة المغناطيسية في السفن التى تعبر المحيط المجهول ..

هذه الى اليمين ..

وهذه الى الشمال ..

وهذه مترددة ..

وهذه عائدة بعد التردد .

وكل ابرة في كل سفينة لها حركاتها ولها رجعاتها ولكنها لا تختلف الا

لأنها تحاول جميعا ان تصل الى قطب واحد .. هو قطب الشمال ..

وهكذا كان مفكروننا في دحض خرافات الالحاد .. بعضهم كانوا يكتبون ... وبعضهم يلقون الخطب ... وبعضهم يؤسسون دراسات اسلامية تخصصية .. تدرس العقيدة الاسلامية .. كما تدرس العقائد الالحادية على ضوء المنهج الاسلامي النبيل .. وقصدهم جميعا اخراج فكر اصيل للناس من الكتاب والسنة ودحض الافكار الالحادية ..

وكان من بين هؤلاء المؤسسين للدراسات الاسلامية شعبنا المرحوم المخلص " محمد الامين المصرى " اسكنه الله في فرا ديس جناته ... الذى كان رئيسا لقسم الدراسات العليا بكلية الشريعة بكلية المكرمة .. ولم يدخر جهدا الا بذله حتى ادخل مادة " المذاهب الفكرية المعاصرة " في برنامج الدراسات العليا لفرع العقيدة ..

وكان من توفيق الله ان اسند تدريس هذا الفرع ، فرع العقيدة ، الى اعلام من اعلام الامة الاسلامية .. منهم الاستاذان الشيخ محمد الغزالى ، والشيخ محمد قطب ..

اما الاول فقد اسند اليه تدريس مادة (الكتاب المقدس) الجامع للمعلومات المفضلة والاخبار المتناقضة ، ندرسه لكي نعرف الفرق الجوهرى بين هذا الكتاب المحرف وبين القرآن العظيم الذى لا يأتبه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم علیم .

وأما الاستاذ الثانى فقد اسند اليه تدريس مادة المذاهب الفكرية المعاصرة .. ندرسها ايضا لتبين سبيل المجرمين والملاحدة ..

وقد ايقنت بعد موافقة اللجنة على الموضوع اننى - لامحالة - مقتحم في ليج بحر لائسى بدأت اخوض في ميادين بعيدة عن مجال دراستى الشرعية البحتة التي تلقيناها في رحاب الجامعة الاسلامية شرفها الله بطيبة الطبية .

فلذا خصصت جل اوقاتي في مطالعة الفكر الغربى . وقد استغرق ذلك

نصف المدة المحددة للرسالة - تقريبا - . . . وكنت في ذلك استرشداً بالتوجيهات القيمة والآراء المستقيمة التي كان استاذي الفاضل والمشرف على هذه الرسالة الشيخ محمد الفزالي ، يزودني بها فادخلت على أكثر أممها النظريات والاتجاهات الأوربية في مختلف المبادئ . . . في العلم والسياسة . . . والاقتصاد والاجتماع والأدب والفن . . .

هناك كلمة يجب أن أسجلها شكرا لله تعالى الذي ابتلاني ثم عافاني . . . فقد ابتلاني الله تعالى باندلاع ثار كبيرة في الصمارة التي كنت أسكنها فذهب ضحيتها جل من كان عندنا من ممتلكات . . . فبقيت أنا وعيالي في تلك الليلة وهي ليلة ٢٧ من شوال سنة ١٣٩٩ هـ بدون مأوى . . . والحمد لله على ذلك . . .

ثم ابتلاني أيضا في أثناء أعداد هذه الرسالة بشهود أكبر أولادي الذي غاب عن البيت أكثر من ثلاثة أعوام . . . فكم من وقت استغرقناه في البحث عنه . . . والشكر لله الذي لا يحمد على مكروه سواه . . . ولكن كل ذلك لم ينقص شيئا من همتي ولا من عزمي الذي لا يعترف باليأس والقنوط . . .

وكان من توفيقه تعالى أيضا لكاتب هذا البحث أن يلتحق بفرع العقيدة وأن يختار رسالته لنيل درجة التخصص الأولى " الماجستير " في هذه المادة على يد ذلك الاستاذ الشيخ محمد الفزالي حفظه الله . . . وأن كان يطيب لي أن اختار موضوعا فكريا ، ولكني ما كنت اهتدي إلى هذا الموضوع بالذات إلا بتوفيق الله أولا ثم بتوجيهات هذا الاستاذ الذي كان يحرص دائما على أن نختار موضوعا فكريا للوقوف على تفاهة الالحاد والملحدون . . .

ولذا اخترت هذا الموضوع : " الالحاد وأثرها في الحياة الأوربية " ^{الطبعة} وقد أثرته على غيره لعدة أسباب :

١ - تفهيم المثقفين الذين يريدون تعبيد امتنا الاسلاميية
للشرب - ان ظروف اوربا التي ساعدت على ظهور الالحاد تختلف عن ظروفنا
وعن طبيعة الاسلام وطبيعة تاريخنا .

٢ - تحذير الاجيال القادمة من خطورة الالحاد على الانسانية بأسرها .
وما يترتب عليها من آثار سيئة . . فأوربا - اليوم - هي الدليل . .
٣ - غموض المعنى الحقيقي لهذا الاصطلاح . . فقد غاب عن
حسن كثير من الناس ان الانحراف في التصور الاعتقادي وفي الشريعة والشرعية
لا يدخل في معنى الالحاد . . انما الالحاد عندهم انكار وجود الله
فحسب . .

واخيرا احمده تعالى الذي أراني الفكر الالحادي الغربي على
حقيقته حتى علمت ان هذه الافكار ليست فحسب ، مجردة من السند
الملي ، ولكنها ايضا تافهة وحقيرة . .
والذي أتمناه - بهذا البحث - ان يوفق الله كل شاب من شباب
العالم الاسلامي ان يقف على تافهة هذه الافكار الالحادية وعلى تخبطات
رجالها التاعمين الحائرين . . . ويقف ايضا على طغيان الكيسة وحماقات
رجالها . . الذين جعلوا الناس - في اوربا - يشردون من ظل الكيسة . .
ومن ظل كل الدين - شرودا لا عقل فيه ولا وعي ، ولا مجال لتحكيم العقل
والوعي . .

* * *

ثم بدأت الكتابة مقسما الموضوع الى ثلاثة ابواب . . ثم قسمت تلك الابواب

الى جزئين :

أما الجزء الأول فيشتمل على الموضوعات التالية :

أ - التمرينات

ب - ظروف عامة ساعدت على ظهور الالحاد الحديث . .

ج - الباب الأول

أما التصريفات فقد اثبتنا فيها ان الالحاد لفظ عربي موضوع للميل
والازوار عن الوسط حسا ومعنى . وأبدنا هذا القول بشواهد من القرآن
الكريم والمعاجم اللغوية ..

ثم تحدثنا عن كلمات ثلاث قد استغلينا الملاحظة ابشع الاستغلال للوصول
الى غرضهم الخبيث .. لانها تعبر عن المقصود دون صدام للمشاعر والاحاسيس
وهي كلمة : الحضارة والتطور والعلمانية . فبيننا نواياهم الخبيثة ..
وأما النكروفي .. قد تحدثنا فيها ان هذا الالحاد الاخير لا مثيل
له في التاريخ فأبدنا ذلك بشواهد من التاريخ ابتداء من العصر اليوناني
فالعصر الروماني - والعصر الجاهلي واخيرا العصر الكنسي .. فكل ذلك
أثبت بشكل واضح ان هذا الالحاد فريد في نوعه وشكله ..

وفي نهاية هذا الفصل سيجد القارئ ان الملاحظة اتخذوا العلم
الحديث سندا لاثبات الحادهم والعلم برىء من ذلك ..

ثم قدمنا فكرة عامة عن أوروبا الحديثة .. لأنه من المستحيل ان
نقدم اكثر من موجز بسيط لقارة تضيق عنها الاسفار الكبيرة فاكثفنا بثلاث
نقاط رئيسية ..

(١) - متى بدأت العصور الحديثة

(٢) - الصراع بين الدين والعقل والحس في التاريخ الأوربي

(٣) - أوروبا في النهضة العلمية ... وقد اثبتنا بشواهد كثيرة من قلب
أوروبا نفسها ، كلميات تؤكد بصورة جازمة ان الحضارة الغربية
لم تأت بشيء من المجالات العلمية الا ويمكن ارجاع اصله الى مؤثرات
الثقافة الاسلامية ..

وأبدنا ذلك أيضا بصور فوتوغرافية ، لتثبت أن العلم كان أهم

ما جادت به الحضارة الاسلامية على العالم الحديث ...

الباب الأول : لماذا الحد الناس في أوروبا الحديثة ؟

وسبرى القارئ ان هذا السؤال قد اجيب عنه بأسلوبين :

أولا : اسلوب الملاحظة الذين يرون ان سبب الالحاد هو : معارضة العلم

مع الدين المبني على الخرافة ..

ثانيا : اسلوب المفكرين الاسلاميين وغيرهم . فهم قد ذكروا في كتبهم أسبابا

كثيرة فاستطعنا ان نجمع هذه الأسباب المنتشرة في ثنايا كتبهم ونقسمها الى قسمين أساسيين :

أ - أسباب ظاهرة ..

ب - أسباب خفية ..

وأما الأسباب الظاهرة فنذكرنا فيها خمسة اشياء فهي تعتبر بحق أكبر

الاسباب التي اقترنت بمسألة العقيدة منذ القرن السادس عشر .. والتي كان لها

شأن قوى في اضعاف المقائد الموروثة على تقدير الباحثين بالاجماع .

وقبل ان نتحدث عن تفاصيل هذه الاسباب الخاصة بالالحاد الحديث

قد نعرضنا أولا الى السمات المشتركة بين جميع الملاحدة قديما وحديثا .. وأثبتنا

ان هذه السمات توجد لدى جميع الملحدين رغم اختلاف الصور اللاحدية ..

ذلك ان الالحاد ليس شيئا لا يوجد الا في فترة من الزمن محدودة في ثنايا

التاريخ وليس هو الشيء الذي يمثل العلم والحضارة والمدنية والتقدم المادي

كما يقولون .

لقد اثبتنا ان الالحاد هو رفض الاهتداء بهدى الله ، ومحاولة اقامة

الحياة بمحزل عن الدين .. فهذا لا علاقة له بالبيئة والتطور الاقتصادي

والاجتماعي والسياسي ..

فقد أجمعنا هذه الملامح في خمسة أشياء :

(١) - كراهة ما انزل الله

(٢) - البحث عن الله عن طريق الحس فقط

(٣) - اتباع الميوس

(٤) - الانجراف في الشهوات

(٥) - وجود الطواغيت في الأرض

ثم بينا الاسباب الخاصة بأوربا الحديثة فقلنا :

السبب الاول هو : الدين الذي كُفرت بها أوربا وثار عليه . قد

بدأنا الحديث بالتوراة المحرفة حيث اثبتنا تحريفها بعدة طرق :

١ - بالاخبار التاريخية

٢ - بالمعلومات المتناقضة المضلة

٣ - برواية الطوفان ..

وقد اوضحنا ان عقيدة اليهود في الهم (يهوه) عقيدة فاسدة

وكذلك عقيدتهم مع انبيائهم الذين صورهم اليهود في صور قطاع الطرق
والفسقة ..

وسبلا حظ القارئ وقوفنا الطويل عند طغيان الكنيسة وحماقات

رجالها .. وما ذاك الا لعلنا بأن السبب الاكبر في انحراف أوربا

من صنع الكنيسة .. كما بينا ان الاسلام كما يحارب الالحاد ، يحارب ايضا
الخرافات والخزعبلات .

السبب الثاني : قوانين المادة .. واثبتنا ان الملاحدة اتخذوا هذه

القوانين التي نسميها بالسنن الربانية - سندا لتوطيد أركان الالحاد ..

وتتبعنا تطورات هذه الفكرة في التاريخ .. منذ ايام علامة الفلك

الفرنسي (لابلاس) المعاصر للأمبراطور الفرنسي نابليون بونابرت - وأثبتنا

كلمته المشهورة التي يقول فيها :

" انني لم اجد في نظام السماء ضرورة القول بتدبير اله "

ثم ذكرنا نظرية كوبرنيك ونظرية نيوتن .. واثبتنا اخيرا ان هذه

القوانين لا تدل على الالحاد لو وجدت في بيئة صالحة لأنها آية تدل على وجود

ان هذا أمر يجب أن تكون له صفة الاستمرار والدوام في حياة الجماعة نفسها وفي نداء القرآن للرسول بقوله :

* يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير * (١)

وتوجيه النداء على هذا النحو للرسول باعتباره راعيا ورعيسا للجماعة المؤمنة مما يويد أن الاسلام لم يكن وفقا على تبليغ رسالة بل كان رعاية أيضا لاستقرار هذه الرسالة وتمكينها . سواء في وقت الرسالة أو بعده أي هودين ... ودولة ...

أنواع الالحاد

نريد هنا أن نفرق بين الالحاد الذي يجب أن تعلن الجهاد ضده وبين غيره الذي نكتفي فيه بالموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن ..

وإذا رجعنا إلى كتب التفاسير نجد أن الراغب قد أشار إلى هذه التفرقة فقال : " الالحاد ضربان :

الأول : الحاد إلى الشرك بالله

الثاني : الحاد إلى الشرك بالأسباب

(١) سورة التوبة ٧٣ وسورة التحريم : ٩

(٢) تفسير المنار رشيد رضا ج ص

وأما دور اليهود في افساد اوربا فسجد القارئ اننا اثبتنا ان هذا

الدور كان خطيرا جدا وانه كان في شئئين اثبتين :

دور عملي ودور نظري .

فالعملي يمثل الثورة الفرنسية والثورة الصناعية : قد اكدت بروتوكولات

اليهود انهم كانوا وراء كل ثورة قامت في اوربا وفي مقدمتها الثورة اليهودية

التي نسميها - خطأ - بالثورة الفرنسية ..

وقد اثبتنا علميا ان اليهود كانوا هم الممولين لهذه الثورة كما اثبتنا

ان اليهود ايضا كانوا وراء الثورة الصناعية التي افسدت اخلاق اوربا . وقد وقفنا

عندها طويلا .. وسبرى القارئ اننا اوضحنا كيف استغلت اليهودية العالمية

النظريات والمنظمات السرية لنشر الالحاد في اوربا ..

ولم نكتف بما يخص اوربا فحسب بل تحدثنا عن الهد اليهودية

الخفية التي كانت سببا لا لناء الخلافة الاسلامية .. وقد بينا الوسائل التي اتخذوها

للوصول الى هذا العمل الاجرامي الخطير ... كاستغلالهم هذا الشيطان الكبير

مصطفى كمال واستغلال الصليبية واستغلال القومية العربية ..

وأما السبب الثاني من اسباب الالحاد الخفية هو : رجوع اوربا

الى ارضها الوثني اليوناني القديم ..

وقد بينا ان الملاحدة لم يكونوا يريدون الخير للانسانية والالرجعوا

الى الدين الاسلامي بعدما رفضوا المسيحية الظالمة ..

الى الاسلام الذي يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم

والاغلال التي كانت عليهم .

ولكن الالحاد منعهم من كل ذلك ..

وبهذا انتهينا من الجزء الاول من هذا البحث .

الجزء الثاني : يشتمل على السبب الثاني والباب الثالث

الباب الثاني : موضوعه مناقشة الملحدين .

ان هذا الباب من اهم الايواب في الموضوع وقد ركزت ان اقسمه الى ثلاثة فصول ولكن قبل ان ادخل في تفصيل ذلك مهدت له تمهيدا وقلت : اننا عندما نحاول مناقشة الملحدين في انكار وجود الله لا لكونها ادلة قائمة على الحق : وانما نناقشها باعتبارها شبهة تمسك بها الملاحدة . . . والا لا يوجد احد على الاطلاق ^{استطاع} ان يثبت انكاره لوجود الله بدليل . كما لا يستطيع احد ان ينفي فكرة الله بدليل ^{وغير} . . . ولكن لما تسربت هذه الافكار الى عقول بعض الناس فالحذوا ، كان واجبا على ان نقوم — بدورنا — لتحطيم هذه الافكار الخبيثة في القلوب . . .

الفصل الأول : تحدثنا في هذا الفصل عن بعض مستندات الملاحدة . . . واكتفينا

بمناقشة ثلاثة مضى لانها تعتبر اهمها واشهرها وهي :

(١) اصل الكون ونصيب الصدفة منها

(٢) نشأة الحياة وتنوعها

(٣) الدين يتعارض مع العلم الحديث

وقد ناقشنا أولا اصل الكون وسبرى القارئ ان الملاحدة ليس لديهم برهان يقيني في اصل الكون وانما قدموا للناس ثلاثة فروض كل واحد منها ينقض الآخر . . . وما اكتفينا بنقض هذه الفروض فحسب بل أبرزنا لهم وجهة نظر القرآن في هذا الباب .

الفصل الثاني : ناقشنا الملاحدة في نشأة الحياة وتنوعها . وأبطلنا جميع ادلتهم

فيه حتى تبين انهم يهربون من الأمر الواقع وهو وجود الله .

وتحدثنا ايضا عن روسيا في محاولتها امكانية نشأة الحياة كما وينا كدليل

ثبت به مذهبها الالحادى . . . وسبرى القارئ انها فشلت في ذلك فشلا ذريعا . . .

وناقشناها مناقشة هادئة حتى لم يبق امامها أى مخرج أو منفذ ..
وفي النهاية قررنا ان نشأة الحياة شئ استأثر الله بعلمه . وابدنا
ذلك بآيات قرآنية واقوال بعض العلماء المنصفين من الأوربيين ..

الفصل الثالث ■ موضوعه الدين يتعارض مع العلم الحديث ■ وسيرى القارئ

اننا سقنا أولا ما يعتبره الملاحدة كدليل يثبت مزاعمهم هذه ، ثم ناقشنا هذه
الأدلة واحدة اثر واحدة حتى لا يستطيع ملحد مهما كان بلغ عتوه أن
يتفلس منا .

وبينا ان مصدر الضلال عند الملاحدة هو طريق الاستدلال العلى
وذلك ان هذا الطريق لا يعتبر شيئا علما الا اذا كان كيبلا او موزونا ،
أو ما يدخل تحت التجارب الحسبة .

وقد فندنا هذا الادعاء بالعلم الحديث نفسه وبالقرآن أيضا .

* * *

الباب الثالث : موضوعه : اثار الالحاد في الحياة الاوربية .

لقد رأيت منذ وضع خطة الموضوع انه لا ينبغي بحث الالحاد بصفته
مذهبا فكريا تافها دون التعرض لاثارها في الحياة الاوربية ..

والحق ان تتبع اثار الالحاد جذير برسالة مستقلة لكننى ارجو ان اكون

قد وفقت لعرض نماذج منها مع مراعاة حجم هذه الرسالة ومدتها ..

ان الذى يتبع آثار الالحاد في أوربا ، يجد انهم يعيشون في ضنك

شديد لأنهم قد سلموا قياداتهم للفريزة الجنسية حين قصروا غاياتهم في الاشباع

المادى .. فصاروا أضل من الأنعام ..

وقد قسمت هذا الباب الى ثمانية فصول .. لأنه هو الباب الرئيسى فى

الموضوع .. ذلك ان صلاحية المذهب لا تتبين لكل الناس الا بالاثار .. فسبى القارئ الولايات التي جلبتها الافكار اللاحادية الى اوربا ثم عمت مصائبها العالم بأسره ..

الفصل الاول : قد مهدت له بالحدث عن فساد اخلاق اوربا وان حضارتها قد انشئت على قواعد خاطئة .. ولكنها لا تدري ان الفساد من اصل حضارتها .. فتجدها - دائما - تحاول معالجة الفروع .. وأبدنا هذا التقرير بشواهد من الواقع المؤلم ومن القرآن الكريم .

وقد تحدثنا في هذا الفصل عن آثار اللاحاد في الفكر الغربي وأثبتنا أن هذه الافكار جاءت عن طريق عدد من فلاسفة أوربا منهم ديكارت صاحب المذهب الاستنباطي وفرنسيس بيكون صاحب المذهب التجريبي .. كما تحدثنا عن آثار اللاحاد في فكر عمانويل كانت وأوجست (كانت) وفكر هيوم الملحد ..

ثم وقفنا وقفة بسيرة مح رواد الفكر الغربي هم :
داروين وفرويد ودوركايم وكارل ماركس
واختتمنا هذا الفصل بالمذهب البراجماتزمى الذى تتبناه اليوم الولايات
الامريكية .

الفصل الثانى : آثار اللاحاد في الحكم والسياسة .

اثبتنا فيه ان اوربا لم تعرف دين الله الحق وان شريعة المسيحية لم تدبى في عالم الواقع . فجاء عصر التنوير للقضاء على البقية الباقية وأبدت هذا التقرير باقوال بعض المفكرين كأمثال ابي الحسن الندوى .

ثم قررنا اول من دعا الى عزل الشؤون الاجتماعية عن فكرة الدين هو " ميكاافلى " ثم تحدثنا عن مظاهر اللاحاد في المذاهب الجديدة .. ثم لم نكتف بذلك ولكننا تحدثنا ايضا ان المساواة التسمى تدعيه

الديمقراطية حبر على ورق ودلبلنا في ذلك الدول الديمقراطية نفسها حيث
انقسم الناس هناك الى فقراء واغنياء ..

وبينا هنا ان الحرب الفيتنامية التي دخلتها امريكا تتنافى مع الديمقراطية
والمساواة .

واخيرا اثبتنا ان مما يتنافى مع المساواة والحرة والاخوة التوسع في بيع
العبيد الذي قامت به أوروبا وامريكا ..

الفصل الثالث : موضوعه : الخمر وعجز القوانين الوضعية

وقد اثبتنا في هذا المجر ان الانسان عاجزان يجعل لنفسه مبررا
بسير في ضوئه في حياته .. واستدللنا على ذلك ان امريكا قد فشلت في ذلك
بحيث منعت شرب الخمر لمدة لا تقل عن اربعة عشر سنة ثم عادوا لشربها
بشكل فظيع ثم قارنا بين التجربة الامريكية وبين التجربة الاسلامية فتبين
ان الانسان عاجزان يضح لنفسه مبررا في حياته وان اصر على ذلك فهناك اضطراب
وتيه .. وشقاوة وأبدنا هذا التقرير بقول الدكتور الكسيس كاريل القائل :
ان جيلنا مطبق .

الفصل الرابع : مشكلة العقوبات في القوانين الوضعية .

قمنا بالمقارنة بين نظرية العقوبات الشرعية الاسلامية وبينها في القوانين
الوضعية .. سجد القارئ ان الفرق بينهما بون شاسع ..
ثم استشهدنا بالمملكة العربية السعودية التي لم تزل تنفذ العقوبات الشرعية
واثبتنا ان معدل الجرائم فيها اقل بكثير من الدول المتحضرة ..

الفصل الخامس : ظهور اثار الاتحاد في الدول الكبرى .

وقد اتينا بتقارير صارمة تبين ان فوضى الجنسية هي التي بدأت
تهلك أمم الغرب .. اتينا بشواهد من فرنسا وبريطانيا وروسيا وامريكا وغير
ذلك ..

الفصل السادس : اسباب تدنير الأمم والشعوب .

قد اثبتنا ان جريمة الشعب أو الأمة هي سبب هلاكها ..
واستشهدنا على ذلك بآيات كثيرة من القرآن الكريم .
كما اثبتنا انه ليس بهذا الهلاك والتدمير ان تقلب طبقات البلاد بل من
صور الهلاك ان يشتت أمر الأمم وتكسر قوتهم الاجتماعية وتضرب عليهم الذلة
والعبودية والخزى ..

الفصل السابع : عقوبة الفطرة .

فقد اثبتنا بتقارير صحيحة ما يجرى في عروق الملاحدة من عقوبة ..
وسيجد القارئ ما تكبدته البشرية في الحرب العالمية الاولى .. وما يجرى في
فرنسا حتى اصبحت بعض النساء تنتحر .. وذكر ما في سائر الدول الغربية
وما اشتق منها من امريكا وروسيا ..

وتعرضنا على الاستعدادات الحربية التي توجد اليوم في أم

الغرب انتظارا للحرب العالمية الثالثة .

الفصل الثامن : موضوعه : حضارة لا تلائم الانسان .

تحدثنا عن الشروط اللازمة للمجتمع المتحضر .. ثم قارنا بين المجتمع

الغربي والمجتمع الاسلامي فاتضح ان المجتمع الغربي مجتمع متخلف .

وأبدنا هذا التقرير بشواهد من العلماء الأوربيين وغيرهم .

وأخيرا تحدثنا عن كيفية الخلاص من الالحاد ..

وسبى القارئ اننا اثبتنا ان الايمان الصحيح الذي لا يعترف بشك

ومعرفة صفات الله تعالى كما أخبر بها القرآن من غير تمثيل ولا تكيف ولا تعطيل

ولا تحريف .. هما طريق الخلاص من الالحاد ..

كما سبى القارئ اننا اثبتنا بالأدلة الصارمة ان الملحدين والنافي

لصفات الله يلتقيان في النهاية على نقطة واحدة فالملحد يؤمن بقوة مطلقة

سماها الطبيعة . والنظري كذلك يؤمن بالله قد جرد من جميع صفاته حتى صار قوة مخالفة . . . وأبدنا هذا التقرير بشواهد عديدة من القرآن ومن أقوال العلماء المحققين . . . فكان هذا نهاية هذا البحث .

والحق ان تضخم حجم الرسالة مع انتهاء المدة المقررة لها قد حالا دون الافاضة والتفصيل في بعض الموضوعات لا سيما ما يتعلق بآثار الاتحاد في العالم الاسلامي المعاصر . .

كما حالا دون الاسترسال في الخاتمة .

وحرصا على ان يستفيد القارئ من بشرح بعض الكلمات وأعلام الانسان والبلدان استعملنا الرقمين : العربي والافرنجى . أما العربي فللاشارة الى المراجع في الهامش وبعض الاعلام تارة . . .

وأما الافرنجى فللاشارة الى الحواشى التي سبجدها القارئ بعد

كل باب .

وكل ما أرجوه هو ان يتقبل الله مني هذا العمل خالصا لوجهه الكريم . . . وأن يسرل الطريق لكل من يريد ان يسلك هذا الطريق من بعد لنصل الى تحطيم جميع الأفكار الاتحادية والنزيل الغيبي عن هذه الشريعة الاسلامية الفراء .

(شكر وتقدير)

وانى اذ اشكر الله تعالى على توفيقه وكرمه لا شكر من بعده فضيلة الشيخ العباد الذى كان نائبا في الجامعة الاسلامية وفضيلة الشيخ النائب الحالي في الجامعة المذكورة الشيخ (زائد) وسعادة وكيل جامعة أم القرى الدكتور راشد الراجح . وسعادة عميد الكلية الدكتور عليان محمد الحازي وفضيلة المشرف على هذه الرسالة الشيخ محمد الغزالي وكل من أسهم بجهد المشكور في شىء منها وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم *

نحب في مطلع هذا البحث ، القاء الضوء على الأصل اللغوي لكلمة
(الحاد) التي شاع استعمالها في العصر الحديث .. اذ الوضع
المنطقي السليم في ترتيب أعمالنا العقلية يقتضيها أن نبدأ - أولاً -
بمعرفة عناصرها العامة و قبل أن نأخذ في البحث عن ميزاتها
ومشخصاتها .. (١)

فمن أحب - مثلاً أن يتعرف كنه الاحاد أو المذاهب الهدامة
التي ظهرت في الوجود ... يجعل به أن يوفر همته - قبل كل
شيء - على تعرف المعنى الكلي الذي يجمعها ، والقدر المشترك
الذي تنطوي عليه في جملتها .. اذ أنه من الواضح أنه وإن تفاوتت
أنواع الاحاد ومظاهرها في جميع الحياة الأوربية - فلا بد
أن تكون هناك وحدة معنوية تنظمها ، ويميز عنها بقا الاسم
المشترك ..

فما هي تلك الوحدة ؟

ما الاحاد ؟

هذا هو السؤال الذي يجب أن نضعه نصب أعيننا ، ونحن على
عتبة باب البحث في الاحاد وآثارها المدمرة في الحياة الأوربية .

(١) راجع كتاب الدين ، دكتور محمد عبدالله - راز ص ٢٨ ط : دار
القلم .

من العقيدة والحكم والسياسة . . . والاجتماع والأخلاق . . . والملم وطريقة الاستدلال الملقى . والأدب والفن وكل شئ . . .

وللاجابة على هذا السؤال يتطلب منا الرجوع الى معاجم اللغة العربية للنظر في كل من الاشتقاق ، والمعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي

أولا : الاشتقاق :

بيانه أن كلمة (الالحاد) تؤخذ تارة من أصل رباعي (ألحد يلحد الحادا) وتارة من فعل ثلاثي (لحد يلحد لحداً) . (١)

والمعلم من القواعد الصرفية ، أن الصور المعنوية التي تعطى بها صيغة من الصيغ ، تختلف باختلاف الاشتقاق . ولكننا من الموافقات المجيبة نجد الوزنين (الرباعي والثلاثي) هنا يؤيدان معنى واحداً بصرف النظر عن اختلافهما في الوزن . . .

وعلى هذا الأساس ، اتفقت كلمة المفسرين واللغويين على صحة قراءة الضم والفتح في قوله تعالى (٢) : ﴿ لسان الذي يلحدون اليه ﴾ . . . فقالوا : ان (الالحاد واللحد) بمعنى واحد في هذه الآية . ان هذا لغير مجدا في اللغة العربية . . . (٣)

-
- (١) راجع لسان العرب ج ٣ ، ص ٣٨٩ مطبعة دار صادر ، راجع تاج المروس من جوهر القاموس ج ٢ ص ٩٣ مطبعة منشورات دار كتب الحياة ، راجع أيضا قطر المحيط بطرس البستاني ج ٢ ص ١٩٣٠
- (٢) راجع أيضا أساس البلاغة للزمخشري ج ١ ص ٥٦٠ مطبعة دار صادر بيروت .
- (٣) الآية في سورة النحل ١٠٢
- (٤) الكشاف للزمخشري ص ١٣٢ ج ٢

ولكن ليس معنى ذلك أن الوزنين في درجة واحدة في الاستعمال
 فلفظ (الاحاد) أكثر استعمالاً في كلامهم من لفظ (الحد) لقولهم :
 (هذا ملحد) ولا تكاد تسمع العرب يقولون : (هذا لأحد) بمعنى الانحراف
 عن الإيمان^(١) . . . وأما الوزن الخامس : (التحد) ان كان يستعمل
 أيضاً في معنى (الحد ولحد) ولكنه ينهك عليهما أنه يستعمل في
 معنى (اللجؤ) كما في قوله تعالى : * ولن أجِد من دونه ملتحداً^(٢) *
 أى ملجأ .

فتلك هي أهم ما تؤخذ منه هذه المادة . .

ونستخلص من ذلك إلى القول : ان هذه المادة لها ميزة فريدة
 وهي عدم وجود اختلاف في معانيها رغم اختلاف أوزانها واشتقاقاتها
 وعلى هذا نستطيع أن نقول : (أحد فلان ولحد والتحد) بمعنى
 واحد وهو الانحراف عن الوسط والمدول عن الحق أو الميل
 عن القصد . . .

ثانها : المعنى اللغوي :

(الاحاد) لفظ عربي موضح للميل والازوار عن الوسط حسياً
 ومعنى ولا بد من توضيح ذلك بضرب أمثلة بسيطة :

(١) تفسير المنار ، رشيد رضا ج ٩ ص ٤٤١

(٢) في سورة الجن الآية ٢٢

(٣) وراجع تفسير البحر المحيط تأليف محمد بن يوسف ج ٤ ص ٤٢٨



وأما الحسنى : منه قولهم : " لحد القبر للميت "

أو قولهم : " ألحد السهم الهدف " أى مال فى أحد جانبيه ولم يصب
وسطه (١) .

المعنوى :

وأما المعنوى فهو لما كان خياراً أو سوطاً ، كان الانحراف عن الوسط
مذموماً ومنه أخذ التعبير عن الكفر والتعطيل والشك فى الله تعالى بالاحاد
وسمى ذروه الملاحظة أو الملحذون ، على حد قول أبى عمر الذى
يقول : " ان الاحاد هو المدول عن الاستقامة والانحراف عنها " (٢)
وانطلاقاً من نفس هذا المفهوم المعنوى يرى الأعمش أن المعنى الحقيقى
للاحاد هو التكذيب ، وما قتاده يرى أن معناه هو : الاشراك .

هكذا رأينا أن الاحاد يطلق لفة على الميل الحسنى أو المعنوى
اذ المعنى العام هو الميل عن القصد والهدف ومنه قوله تعالى :
* ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم *
أى المدول عن القصد والاستقامة المعنوية ، وهى تشمل جميع الآثام
وجميع أنواع الظلم حتى احتكار الطعام فى الحرم (٦) .

(١) تفسير النسفى الجزء الأول ص ٦٦

(٢) راجع تفسير المنار - رشيد الرضا - ج ٩ ص ٤٤١

(٣) المرجع السابق ص ٤٤٢

(٤) المرجع السابق

(٥) الآية من سورة الحجج ٢٥

(٦) للحديث الشريف " احتكار الطعام / الحاد فيه " رواه أبوداود باب مناسك ص ٨٩

(١) يقول ابن جرير الطبري (أصل الالحاد في كلام العرب : العدول عن
 القصد والاعراض عنه ثم استعمل في كل معوج غير مستقيم) وهذا هو
 المعنى الواسع الذي فهمه الصحابي الجليل ، عبدالله بن عمر رضي الله ^(٢)
 عنهما الذي كان يعتبر كلمة " لا والله " الحاد في الحرم . فاتخذ
 لنفسه ، فسطاطين : أحدهما في الحل والآخر في الحرم . فإذا أراد
 أن يمشي صلى في الذي في الحرم ، إذا أراد أن يمشي أهله
 عاتبهم في الذي في الحل . فقيل له : فقال : " تحدث أن من الالحاد
 فيه ، لا والله ، بلى والله " (١) .

مثال آخر يؤكد أن هذا الفهم الصحيح لمعنى الالحاد لم يكن
 مقتصرًا على ابن عمر وأمثاله ولكنه كان فيها شائعًا عند جل الناس منهم
 (عبد بن حميد) ^(٣) الذي صح أن معنى الالحاد هو الذنوب كلها بدون
 استثناء فقال : " ما كنا نشك أنها الذنوب ، حتى جاء أعلاج
 من أهل البصرة إلى أعلاج البصرة إلى أعلاج من أهل الكوفة فزعموا
 أنها الشرك " (٢) .

وهذا النهم كان شائعًا أيضًا حتى عند الشعراء فلنسمع إلى حميد بن
 ثور :

(٤)
 قدني من نصر الخبيبين قدي ليس الامام الشيخ المحدث
 أي الجائر في مكة . والمراد بالامام هنا عبدالله بن الزبير ^(٣) .

(١) الطبري ج ٩ ص ١٣٤
 (٢) لسان العرب ج ٣ ص ٣٨٩
 (٣) تفسير روح المعاني الألويسي ج ١٧-١٨ ص ١٤٠
 الخبيبان : عبدالله بن الزبير وابنه ضبيب راجع فاكهة البستان ص ١٣٨
 (٤) لسان العرب ج ٣ ص ٣٨٩

وأُشيد الأُزهري في المعنى نفسه : ^(٤)

لما رأى الملحد حين الحماس صواعق الحجاج يسطرن الدماء ^(١)
 فاطلاق الالحاد هنا على ابن الزبير ^(٥) دلالة واضحة على أن كلمة الالحاد
 تستعمل في جميع المعاصي ، لأنه لم يحرف أن ابن الزبير كان ينكر
 وجود الله تعالى ..

وكما يدل على أن الوحدة المعنوية التي تربط جميع أصناف الالحاد
 وأشكاله هو البطلان عن القصد .

فالاحاد لغة : يتناول التحريف في أسماء الله كما فعل ذلك المشركون
 في مكة حيث حرّفوا اسم الجلالة " الله " باللات ^(٦)

و " للمنان " بالعناة ^(٧)

و " المنهز " بالعزى .. ^(٢) ^(٨)

كما يتناول كل من يحددون في تصورهم لحقيقة الألوهية (على الإطلاق)
 والذين يدعون له الولد ، وكما ينسحب على الذين يدعون أن مشيئة
 الله - سبحانه - مقيدة بنواميس الطبيعة الكونية .

وكالذين يدعون له كنفيات أعمال تشبه أعمال البشر وهو سبحانه وتعالى
 ليس كمثله شيء ..

(١) لسان العرب ج ٣ ص ٣٨٩

(٢) في كتب التفسير الآتية :

تفسير الطبري أبي محمد بن جرير المتوفى (٣١٠هـ) ج ٩ ط ٢ ص ١٣٣

تفسير الجواهر للشهيد الطنطاوى الجزء الرابع ص ٢٣٩

وكالدِّين يدعون أنه - سبحانه وتعالى - اله في السماء وفي تصريح نظام
الكون وفي حساب الناس في الآخرة ولكنه ليس الهيا في الأرض ولا في حياة
الناس ويقولون (أعط لقصر ما لقصر وما لله لله) • أو طالبون بفصل
الدولة عن الدين ••• (١)

■ أفحكم الجاهلية يخفون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون • (٢)

فكل هذا الحاد في الله وفي أسمائه وكنياته وصفاته وأحكامه يقول تعالى ■
﴿ الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا ﴾ (٣)

والمسلمون مأمورون بالاعراض عن هؤلاء كلهم وإهمال شأنهم لأنهم
موجودون بجزء الله لهم ما كانوا يحملون •

يقول الله تعالى : ﴿ وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما
ما كانوا يحملون ﴾ (٤) .

(١) في ظلال القرآن سيد قطب ج ٢ - ٩ ص ٦٣ طبعة أولى

و تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن ، إلى عبد الله محمد بن أحمد
الأندلسي القرطبي ج ٢ ص ٣٢٨

و التفسير الكبير الفخر الرازي ج ١٥ ص ٢١

(٤) الآية في سورة المائدة / ٥٠

(٣) فصلت / ٤٠

(٤) الأعراف / ١٨٠

تحديد معنى الالحاد الاصطلاحي

وفي الاصطلاح عرّفه الباحثون بتعريفات كثيرة متفاوتة :
 " هو الفرض المبدئي منه الذي هو المدلول عن الحقيق
 والاستقامة فمن قائل بأن الملحد : " هو المعلن عن الحق المدخل
 فيه ما ليس منه " (١)

ومن قائل : انه " هو الذي أمال مذهبه عن الأديان كلها لم
 يملّه عن دين الى دين ... " (٢)

ومن قائل : الملحد : هو الذي يشك في الله (٣)

وأما صاحب المعجم الفلسفي فيرى أن أحسن تحديد لهذا اللفظ
 إطلاقه على المذهب الذي ينكر وجود اللغ تعالى لا على المذهب الذي ينكر
 بعض صفات الله أو يخالف معتقدات دينية أو رأيا اجتماعيا مقررًا :

فلذلك يقول : " فالفلاسفة الماديون ملاحدة لأنهم قالوا ان المادة
 وجودا مطلقا ، وإنما هو علة الحركة والحياة والفكر .

والدهريون ملاحدة لأنهم زعموا أن العالم لا يحتاج الى صانع وأنه
 بما فيه مبنى على الاتفاق ولكن اذا قال الفيلسوف :

" ان الأجسام لا تحشر أو قال : ان الله لا يعلم الجزئيات كان كافرا
 بأصل من أصول الدين " ملحد . "

(١) راجع تفسير الكشاف للزمخشري ج ٢ ص ١٣٢

(٢) راجع لسان العرب ص ٣٨٨ ج ٣ والتفسير الكبير للفخر الرازي ج ١٥ ص ٢١٥

(٣) راجع لسان العرب ج ٣ ص ٣٨٨ .

" وكذلك اذا قال : بوحدة الوجود ، فان هذا القول لا يستلزم

انكار وجود الله ولا يجمع صاحبه ملحدًا " (١)

ومن تأمل في هذه التمرينات يجد بينها تقاربا شديدا ولا منافاة

بينها . وبيان ذلك : ان بعضهم عرف (الملحد) بالمعنى المصم
للإلحاد والبعض الآخر عرفه بالمعنى الخاص المشهور فى العصر
الحديث .

ولكننا نستطيع أن نوضح أقوالهم على النحو التالى :

ان الإلحاد يطلق على كل ظلم ^{كل} وجور ، ثم شاع استعماله
فى انكار وجود البارى حتى أصبح عند إطلاقه لا يفهم منه الا ذلك
المعنى بعد أن كان يستعمل فى كل انحراف وتحريف .

فلذا نجد الشوعيين يعرفون الإلحاد بالتحريف التالى :

الإلحاد عبارة " أن لا اله والكون مادة " (٢)

ان هذه الخرافة — ليست عندهم شمارة مجردا بل مادة دستورية
فى قانون الاتحاد السوفيتى ..

فيه أنكروا جميع المبادئ السامية والمقائد الدينية ..

فهذا البحث معنى — اذن — بهذا التحريف الخاص الذى غيّر
وجه التاريخ الانسانى . وله فى كل شىء من الشؤون الأوربية مظهر ،
مظهر فى الحكم والسياسة .. مظهر فى العلم وطريقة الاستدلال العلمى ..

(١) المعجم الفلسفى :

(٢) بؤس الفلسفة كارل ماركس ص ١١٢

مظهر في الانحلال الخلقي والتفكك الأسرى • مظهر في الاقتصاد

والبنوك • مظهر في الأدب والفن • وفي كل شيء ••

فمهمتنا - اذن - في هذا البحث ليست يسيرة ، لأن علينا أن

نغوص معركة ضارية شرسة مع الملاحظة في تصوراتهم الخاطئية

نحو الأديان ونحو الانسانية التي أصبحت عندهم لا فرة ، بين

وبين الديدان والفئران بل جعلوها حيوانا اقتصاديا أو حيوانا

ماديا على حد زعمهم •••

موقف البشرية اليوم من الاحاد

ان هذه الرؤى الصادقة لمعنى الاحاد ، تفيدنا من معرفة موقف البشرية اليوم من الاحاد الذى يتمثل فى الدينونة لغير الله — سبحانه — وتعالى من الأرباب المتفرقة — • لا فى الشعائر التعبدية وحدها ولا فى الاعتقاد القلبي وحده ولكن فى الحاكمية والاتباع والطاعة أيضا ••• وقعت البشرية اليوم فى الحاد — حسب المفهوم اللغوي السابق • يتمثل فى صور شتى •••

بعضها يتمثل فى الحاد بالله سبحانه وتعالى ، وانكار لوجوده ••• فهو الحاد اعتقاد وتصور كالحاد الشيوعيين ••• وبعضها يتمثل فى اعتراف مشوه بوجود الله سبحانه وانحراف فى الشعائر التعبدية • وفى الدينونة والاتباع والطاعة : كالحاد الوثنيين من الهنود وغيرهم من عبادة الأصنام فى أفريقيا وكالحاد اليهود والنصارى كذلك •

وبعضها يتمثل فى اعتراف صحيح بوجود الله تعالى وأداء للشعائر التعبدية • مع انحراف خطير فى تصور دلالة شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله مع استيراد القوانين الوضعية من الشرق أو الغرب لتطبيقها فى بعض قطرنا الاسلامى •••

وذلك كالحاد بعض من ينتسبون الى هذا الدين العظيم (الاسلام) مع سوء فهم لمعنى الشهادتين •••

وكلها الحاد في الله تعالى

وكلها كفر بالله تعالى

وكلها شرك به سبحانه وتعالى

ان رؤية واقع البشرية على هذا النحو الواضح ، تؤكد لنا أن البشرية اليوم — الا ما شاء الله — قد ارتدت الى جاهلية شاملة ان صح التعبير ، وأنها تعاني رجعية نكدة الى الجاهلية التي أنقذها منها الاسلام مرات متعددة ، على يد سيدنا نوح ومن تبعه .. كان آخرها /الاسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم .

فملى المسلمين اذن — أن يبدؤوا في دعوة البشرية من جديد الى الدخول في الاسلام ككرة أخرى والخروج من هذا الالحاد الشامل النكد الذي ارتدت اليه .

فعلينا أن يحددوا للبشرية مدلول الاسلام الاساسي :

" وهو الاعتقاد بالوهمية الله وحده

وتقديم الشرائع التبعية لله وحده

والدينونة والاتباع والطاعة والخضوع في أمور الحياة كلها لله وحده ...

وأنه بغير هذه المدلولات كلها لا يتم الايمان الحقيقي بالله ... وان تخلفت احدى هذه المدلولات كتخلفها جميعا ، يخرج الناس من الايمان الحق الى لوثة الالحاد .. وإلى الشرك والكفر ...

انها دورة جديدة من دورات الالحاد

التي تعقب الاسلام — بمعناه العام

فيجب على المتخصصين — كما قلنا — أن يقوموا لتعميرة زيفها والتوقف

أمامها ويواجهوها بدورة من دورات الايمان ليخرجوهم من عبادة

المباد الى عبادة الله وحده .

ان هذا الحديث يقودنا الى تبين موقف الاسلام من الاحسان

ليعلم المؤمنون أن أول عدو للمسلمين هم الملاحدة المشركية .

موقف الاسلام من الالحاد

ان (الالحاد) خطر على البشرية كلها ، وليس خطرا على
(الجماعة الاسلامية) وحدها . من هنا كان موقف الاسلام من
عدم المهادنة ...

ان عدم مهادنة (الالحاد) دعوة لدفع الخطر المحدق بالانسانية
كلها ، طاب الاسلام من المسلمين القيام بها .
وفي دفع هذا الخطر ، اقرار للسلم : واستقرار للجماعة الاسلامية
وكفالة اقرار السلم العالمي جانب من رسالة الجماعة الاسلامية في نشر
الاسلام ..

ومن هنا كان دفع هذا الخطر فرضا ملازما لقيام الجماعة الاسلامية في
أطوار حياتها وفي كل أجيالها . وعليها أن تكون متهيئة بصفة
مستمرة للقدرة على دفعه . .

وفي ذلك يقول تعالى :

﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو
خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ (١)
هذا التيهن والاعداد لدفع خطر (الالحاد) الذي يتمثل في الكفر
وعدم الايمان^{بالله} واليوم الآخر . وهو ذلك المبدأ المعروف في الاسلام بمبدأ
(الجهاد) .

ان هذا أمر يجب أن تكون له صفة الاستمرار والدوام في حياة الجماعة نفسها وفي نداء القرآن للرسول بقوله :

* يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير * (١)

وتوجيه النداء على هذا النحو للرسول باعتباره راعيا ورعيسا للجماعة المؤمنة مما يؤيد أن الاسلام لم يكن وقفا على تبليغ رسالة بل كان رعاية أيضا لاستقرار هذه الرسالة وتمكينها ، سواء في وقت الرسالة أو بعده أي هودين ٠٠٠ ودولة معا ٠٠٠

أنواع الالحاد

نريد هنا أن نفرق بين الالحاد الذي يجب أن تعلن الجهاد ضده وبين غيره الذي نكتفي فيه بالموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن ..

وإذا رجعنا إلى كتب التفاسير ، نجد أن الراغب قد أشار إلى هذه التفرقة فقال : " الالحاد ضربان :

الأول : الحاد إلى الشرك بالله

الثاني : الحاد إلى الشرك بالأسباب

(١) سورة التوبة ٧٣ وسورة التحريم ٩

(٢) تفسير المنار رشيد رضا ج ص

فالأول يتنافى الايمان ويبطله .. (وهو الذى يجب على المؤمن أن يقاومه بالجهد والتضحية) .

" والثانى يوهن عراه ولا يبطله .. هو النظر فى الأسباب مع الغفلة عن كونها من خلق الله وتسخيرها .. "

اذن هذا النوع من الالحاد — وأن كان يتناوله مسمى الالحاد — لا يجب فيه الجهاد فى سبيل الله .. ولكنهم داخلون فى التهديد الربانى المخيف ^١ الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا * (١)

كلمات مزيفة

هناك كلمات قد استغلها الملاحدة أبشع استغلال .. استفلوا للوصول الى أغراضهم الالحادية ، لأنها تعبّر عن المقصود دون صدام للمشاعر والأحاسيس .

وتحت شمارات هذه الكلمات تجرى وسائل الاقناع المختلفة لتحقيق نشر الأفكار الالحادية المسمومة فى العالم ، فى الشرق والغرب ، فى كل مكان .. (٢)

(١) الآية فى سورة غصن / ٤٠

(٢) أساليب الفوز الفكرى فى العالم الاسلامى ، تأليف الأستاذين د . على

محمد جريش ومحمد شريف الزبيق ص (٥٩) .

فمن واجبنا - اذن - أن نقوم لاستبانة تزييفهم ومخططاتهم
 المنحرفة عملا بقول الله تعالى الذي ذكرناه سابقا •
 وكذلك تفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين •
 فما هي - اذن - هذه الكلمات ؟

انها كلمة الحضارة والعلمانية والتطور • فلنميط ••
 كلا •• كلمة ••

أولا : كلمة الحضارة / La Civilization

الحضارة لغة : الإقامة في الحضر بخلاف البداوة ^(١) ، قال
 الفطامي :

فمن تكن الحضارة أعجبته فأي رجال بادية ترانا ^(٢)
 والحاضر خلاف البادية • وفي الحديث : " لا يبع حاضر لباد " ^(٣)
 فالحاضر هو : المقيم في المدن والقرى • والبادي هو : المقيم
 بالبادية •

-
- (١) راجع لسان العرب المجلد الرابع ص ١٩٦
 (٢) المرجع السابق راجع ايضا قاعوس الفرنسي الحمزي شري الياس ١٩٧٥
 (٣) الحديث أخرجه البخاري في باب الشروط

الحضارة في الاصطلاح :

ان الحضارة عند الاجتماعيين الأوربيين ، تعنى الحالة المراقبية
التي توجد عليها الأمم تحت الملوم العالية والفنون الجميلة والصنائع
المناسبة .

فعلى هذا نعلم ، أن معنى الحضارة عندهم ، غاية تتدرج الأمم في
الوصول الى أوجها الأعلى تحت تأثير الملوم والفنون والصنائع . وتكون
آصرة التجميع فيها هي الأرض والجنس واللون فحسب .

ان هذا المعنى — وان كان هزيلًا — لا يدل — بآدى — ذى بدء —

على رفض الايمان وانكار وجود الله تعالى .

فالمسلمون قد عرفوا هذا المفهوم من الحضارة قبل أوربا بل هم الذين
نقلوا كنوز القداى الى بلاد الغرب . . . وقد أجمع المؤرخون المنصفون
على أن أول من عرف الحضارة بمفهوم يقارب المفهوم الحالى هو رجل
مسلم قد عرفه العالم حتى الأعداء بعمق آرائه وصحة اتجاهاته
فى تقرير القواعد العلمية وخاصة فى علم الاجتماع والتاريخ . ذلك الرجل هو
" ابن خلدون " .

وقد أدرك هذه السمة المبهزة فى تاريخ الاسلام ، كل باحث فى هذا

التاريخ حتى المستشرقون الذين نصبوا أنفسهم لهدم هذه الركيزة
الكبرى .

(١) راجع مستقبل الحضارة بين العلمانية والشوعية والاسلام : يوسف كمال ص ١

(٢) راجع مقدمة ابن خلدون .

وهذا المستشرق "جب" يقول في كتابه : "الاتجاهات المعاصرة في الاسلام" :

"أعتقد أنه من المثقف عليه أن الملاحظة التفصيلية الدقيقة التي قام بها الباحثون المسلمون قد ساعدت على تقدم المعرفة العلمية مساعدة مادية ملموسة وأنه عن طريق هذه الملاحظات وصل المنهج التجريبي إلى أوروبا في المصور الوسطى" (١).

ويقول "بريغولت" في كتابه "بناء الانسانية" :

"لقد كان العلم أهم ما جادت به الحضارة العربية على العالم الحديث ... ولم يكن العلم وحده هو الذي أعاد إلى أوروبا الحياة ، بل مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الاسلامية بعثت باكورة اشعتها إلى الحياة الأوروبية .

ولكن على الرغم من أنه ليس ثمة ناحية واحدة من نواحي الازدهار الأوربي الا ويمكن ارجاع أصلها إلى مؤثرات الثقافة الاسلامية بصورة قاطعة .

فإن هذه المؤثرات توجد أوضح ما تكون ، وأهم ما تكون في نشأة الطاقة التي تكون ما للعالم الحديث من قوة متميزة ثابتة ، وفي المصدر القوي لازدهاره : أي في العلوم الطبيعية وروح البحث العلمي ."

(١) راجع كتاب هل نحن مسلمون للأستاذ محمد قطب ص ٦٢

(٢) راجع الكتاب السابق .

بهذه الشهادات ندرك أن الحضارة - كما عرفه الأوروبيون
 الاجتماعيون - قد سبق إليها المسلمون ومع ذلك ظلوا مؤمنين
 بالله سبحانه . ذلك أن الاسلام دين لا يسمح لمطالب الرج أن تطفئ
 على مطالب الجسد وبالعكس أيضا . " دين يجعل كل دقيقة
 من دقائق هذه الحياة متصلة بعضها ببعض برباط الدين " (١) على حد
 تعبير المستشرق ويقول جرونباوم (Von Grunebaum) في
 كتابه (الاسلام) ..

اذن ان الحضارة بهذا المفهوم السابق لا يتعارض مع الدين الاسلامي
 وسيأتي تفاصيل ذلك ، وبعد هذا ننقل سريعا الى تعريف الحضارة عند
 الملاحدة الماديين لكي نضع أيدينا على نقطة الضلال فيها .

(١) بناء الانسان تأليف بريفولت ص ٢٠٢

(٢) راجع المرجع نفسه ص ١٩٠

وراجع أيضا الاسلام ومشكلة الحضارة سيد قطب ص ٣٣

مفهوم الحضارة عند الماديين المعاصرين

ان أصحاب الحضارة المادية في أوروبا وغيرها ، يرون أنها
نقى للدين من تلقاء نفسها لأنها جاءت لتطهير الانسان من دئس الأديان
والمعتقدات القديمة .

هذه هي نظرية " أوجست كونت " (١٥) . فقد ذهب هذا الفيلسوف
الى أن الحضارة الانسانية قد مرت بأدوار ثلاثة :

أولا : دور الفلسفة الدينية . أو المرحلة اللاهوتية

ثانيا : دور الفلسفة التجريدية . أو المرحلة الميتافيزيقية (Positive Stage)

ثالثا : دور الفلسفة الواقعية . أو المرحلة الوضعية .

وهذا الدور الثالث - في نظره - هو آخر الأتوار وأسمها : وفي
هذه المرحلة ، على حد زعمه لا تذكر الأرواح والالهة والقوى المطلقة .

(١) ترجمة أوجست كونت ولد سنة ١٧٩٨ وتوفي سنة ١٨٥٧ م هو فيلسوف
فرنسي شهير أسس الفلسفة الوضعية أو الحسية ثم هو واضع علم العمران
البشرى على القواعد المصرية . وله تحزى ديانة سماها (الديانة
الانسانية) التى أبدل فيها الخالق بالنوع الانسانى ، والمعابد
بالمجامع العلمية والكهنة والقساوسة برجال العلم . *Loide Troisage*
هذه الديانة عدل على أن أوجست كونت لا يؤمن بالله ولا باليوم
الآخر وهى غفلة تأدت به الى هذه الحال نعوذ بالله من شر
الفتن .

المعشرى

راجع دائرة معارف القرن ، فريد وجدى (ج ١) ص ٧٥٢ -

" لقد أثبت ليهيتون^(١١) انه لا وجود لاله يحكم النجوم . وأكد لا بلاس^(١٢)

بنكرته الشهيرة أن النظام الفلكي لا يحتاج الى أسطورة لا هوتية . "

" وقام بهذا الدور العالمان (دارون)^(١٣) و (باستور)^(١٤) في ميدان

البيولوجيا^(١٥) وقد ذهب كل من علم النفس المتطور والمعلومات الثمينة التي حصلنا عليها في هذا القرن بمكان الاله ، الذي كان مفروضا أنه هو مدبر شؤون الحياة الانسانية والتاريخ . " (١)

ويؤكد ذلك الملحد المعاني البروفيسار جوليان هكسلي بقوله :

" تعتبر التطورات العلمية التي حدثت في القرن الماضي " انشجارا

مصرفيا " في وجه الأساطير الانسانية من الالهة والدين كما تفجرت الأفكار القديمة عن المادة ونسفت بمجرد تفجير الذرة " (٢) .

هكذا يرى أصحاب هذه الحضارة المادية أن الناس بعد ما أن كانوا

يحللون الظواهر الكونية بقوة أو بقوة ارادية خارجة عنها انتقلوا الى

تفسيرها بمكان عامة وخصائص طبيعية كامنة فيها . . ثم انتبهوا الى

رفض كل تفسير خارجي او داخلي ، واكتفوا بتسجيل الحوادث كما هي .

وعلى هذا في نظر هؤلاء الماديين تكون الحضارة الدينية يمثل الحالة

البدائية التي لمبت بها الانسانية في مرحلة طفولتها . فلما كبرت أخذت

ثوبا وسطا في دور مراقبتها حتى اذا بلغت أشدها واكتمل رشدها

أخذت حلقتها الأخيرة من الملوم التجريبية .

(١) راجع الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص ٣٤ - ٣٥ نقله عن كتاب :

(٢) راجع الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص ٣٢ ط السابعة . المختار الاسلامي نقله عن كتاب :

تلك هي مفهوم الحضارة عند الملاحدة المعاصرين • وبهذا المفهوم
المهابط ساقوا الجماهير السذج الى سوق الالحاد • فافهموهم بأن معنى
الحضارة هو رفض جميع الأفكار القديمة التي فيها الدين والقيم الأخلاقية
والمبادئ السامية •

من هنا - فقط - أصبحت كلمة الحضارة تستعمل في محاربة
الاديان فاذا قالوا مثلا " ان الغرب متحضر " معناه : انه رفض الأفكار
الدينية والأخلاق والمبادئ السامية •

واذا قالوا أن الشرق متأخر مثلا معنى ذلك انه متمسك بدينه وتراثه
المجيد ••

اذا كان هذا هو مفهوم الحضارة عند الماديين فلا شك أنه يصطدم بالدين
وقد اصطدم - فعلا - مع الدين في أوروبا - لأسباب سنتكلم عنها ان شاء
الله •

ثانيا : كلمة العلمانية : Secularisme

ان هذه الكلمة من الكلمات التي استعملها الملاحدة لضرب
الاديان في أوروبا الا أنها في حـ ذاتها - لا تدل على الالحاد •
ولا علاقة لها بالالحاد ، لا من قريب ولا من بعيد ••• ويتضح
لنا ذلك في التعريفات الآتية :

تعريف العلم :

العلم في اللغة هو : في اللغة نقيض الجهل • وهو من أشيع

الكلمات المستعملة قديما وحديثا . وهي في كل دور من أدوارها تطلق على

ما يضاد الجهل بنوع محدود من المعارف . ومثال ذلك :

كانت هذه الكلمة - عند العرب في الجاهلية - تطلق على ما ينافي

الجهل بمعارف الجاهليين المحدودة . وكانت لا تتعدى الشعر والكرهانة

والقيافة والخطابة . . . والانساب . . .

فلما ظهر الاسلام كان يراد من العلم ما ينافي الجهل بما ظهر من

المعارف الجديدة : وهي الكتاب والسنة وأخبار الملائكة وغيرها . . .

ولما زادت معارف العرب صارت تطلق على ما ينافي الجهل بما

ظهر من المعارف الجديدة كالفقه والتفسير وشرح السنة والتاريخ وطبقات

رواة الحديث والنحو والبلاغة وغير ذلك . . .

ثم انتشرت العلوم الكونية فبهيم وتشعبت المعلومات لديهم فصار

يستعملها كل فريق بما يناسب ما لديه من العلم . فاتسع مدلولها اتساعا يناسب

اتساع مجالات المعارف الجديدة . . . (٢)

وبهذا يتضح لنا أن كلمة العلمانية التي تعنى رفع شمار العلم

لا تعارض بينها وبين الاسلام بل هي إحدى وسائل الاسلام وبعض أهدافه

وإذا عرفنا هذا فلننتقل الى تعريفات للكلمة عند الغربيين الماديين لنضع

أيدينا على نقطة التحول من المعنى الايجابي الى المعنى السلبي اللاحادي . . .

(١) راجع كتاب لسان العرب ج ١١ ص ٤١٧

(٢) راجع عرضا دائرة معارف القرن العشرين ، فريد وجدي الجزء السادس

ص ٥٨٣ مع تغييرات طفيفة .

العلمانية في تعريفات الغربيين الماديين :

لقد ذهب دعاة العلمانية الى القول بأن العلمانية هي : " الدعوة الى الاعتماد على الواقع الذي تدركه الحواس ، وبند كل ما لا تؤيده التجربة ، والتحرر من المقائد الخفية التي هي عندهم ضرب من الاوهام ومن العواطف بكل ضروبها .. وطلبة كانت أو دينية ، بزعم أنها تضلل صاحبها ، وتحيل بينه وبين الوصول الى أحكام موضوعية محايدة " (١) .

ويقول المعجم الدولي الثالث الجديد " مادة "

" العلمانية " اتجاه في الحياة أوفى شأن خاص يقيم على مبدأ أن الدين أو الاعتبارات الدينية يجب أن لا تتدخل في الحكومة أو استبعاد هذه الاعتبارات استبعاداً مقصوداً فهي تعني مثلاً :

السياسة اللادينية البحتة في الحكومة ..

" وهي نظام اجتماعي في الأخلاق ، مؤسس على فكرة وجوب قيام القيم السلوكية والخلقية على اعتبارات الحياة المعاصرة والتضامن الاجتماعي دون النظر الى الدين " (٢) .

(١) اتجاهات هدامة في الفكر المعاصر ، د . محمد محمد حسين

ايضاً كتاب سقوط العلمانية ، أنور الجندي ص ٣٩ نقلاً

عن المرجع السابق .

We Ester's Third New International (٢)

ويقول قاموس (العالم الجديد) لو بستر شرحا للمادة نفسها :
 " والروح الدنيوية : أو الاتجاهات الدنيوية ، ونحو ذلك وعلى
 الخصوص نظام من المبادئ والتطبيقات يرفض أى شكل من أشكال الإيمان
 والمباداة ."

" الاعتقاد بأن الدين والشئون الكنسية لا دخل لها في شئون الدولة
 وخاصة التربية العامة ."

ويقول مصجم اكسفورد شرحا للكلمة :

دنيوى أو مادي - ليس دينيًا ولا روحيا : مثل التربية
 اللا دينية : الفن او الموسيقى اللا دينية السلطة اللا دينية الحكومات
 المناقضة للكنيسة .

(١)
 الرأي الذى يقول : انه لا ينبغي أن يكون الدين أساسا
 للأخلاق والتربية ... "

وعلى ضوء هذا التعريف المزيّف : اتخذ الماديون في أوروبا
 العلم سلاحا لمقاتلة الدينين والنمى عليهم . فلم يجرى القرن التاسع
 عشر حتى كان أنصار الدين في ضعف مطلق أمام خصومهم وظهرت المبادئ
 المادية ظهورا لا مزيد عليه ، وتذرعوا بهذا السلاح ينكرون الخالق
 والروح والخلود لخروج هذه العقائد عن دائرة اختصاص " العلم " الحديث .
 والعلم الحديث يرى من هذه الفريسة ...

(١) نقلا عن رسالة العلمانية وأشهره في الحياة الاسلامية : تأليف سفر ص ٢

وهكذا صرح الماديون أن معنى (العلمانية) هو انكار لوجود الله
واقامة الحياة بمعزل عن الدين ولكن المترجمين الذين نقلوا هذه الكلمة
الى العربية كانوا خبيثاء وخونة حيث قالوا : ان (Secular)
معناها : العلمانية . بينما صرح الماديون بأن معنى العلمانية هو اللادينية
فلنستمع الى تصريحاتهم . ويقول المستشرق " اربري " في كتابه (الدين في الشرق الأوسط)
عن الكلمة نفسها :

" ان المادة العلمانية والانسانية والمذهب الطبيعي والوضعية كلها
اشكال اللادينية . . واللا دينية صفة مميزة لآسيا وأمريكا . . ومع أن
مظاهرها موجودة في الشرق الأوسط فانها لم تتخذ أى صيغة فلسفية
أو أدبية محددة . . والنموذج الرئيسى لها هو فصل الدين عن الدولة فى
الجمهورية التركية " (١) .

تقول دائرة المعارف اليهودانية مادة " (Secular)
هى حركة اجتماعية تهدف الى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بآخرة
الى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها . . .
ذلك انه كان لدى الناس في المصور الوسطى رغبة شديدة في العزوف
عن الدنيا والتأمل في الله واليوم الآخر ، وفي مقاومة هذه الرغبة
ظفقت ال (Secularism) تعرض نفسها من خلال تنحية

Religion in The Middle East A. J. Abber (١)
Vol. 2. P. 606-607

Ency. Britannica Vol. IX P. 19 (٢)
راجع رسالة العلمانية وأثرها في الحياة الاسلامية المعاصرة ، سفر ص ٣

بالجهل .. و شبهه بذلك ما حصل في ميدان الدين ، فان الشك
في المقائد الدينية التقليدية يقتضون بالاهتمام الذي يتزايد شيئاً
فشيئاً بالنظرة الدينية للكون عامة ، وبالأعتقاد بأن العلم لا يلزم أن يكون
قد قال كلمته الأخيرة بعد (١) .

وبهذه الشهادة وأماليها ، تعلم أن العلم على النحو الذي حددته
المفاهيم المستحدثة لا يمثل الا جانباً صغيراً من العلم الأسوي الذي سبقه الأديان
الى اضاءة الطريق فيه . ورسم مشجع واضح له ، لأنه يوصل بحال الخيب
الذي لا يستطيع العقل أو العلم في خطواته بعد الوصول الى حقيقته .

وكما قال جولد في تقريره السابق من أن الفكر الحديث " من ناحية
ثانية يتصف بنزعة من الشك في أحكامه واستنتاجاته " فهذا (مارتين-
ستانلي كونجون) يصل في بحوثه الى النتائج نفسها فهو يقول :

ان نتائج العلم تبدأ بالاحتمالات ، وتنتهي بالاحتمالات وليس باليقين
والنتائج بذلك تقريبية ، عرضة للأخطاء في القياس والمقارنات ونتائجها اجتماعية
وقابلة للتعديل والحذف ، وليست نهائية . وقد أضطر العلم منذ أجيال
أن يترك البحث في كنه الأشياء بعد أن تبين أنه لا سبيل الى معرفة
الكنه المفيد عن الحواس واكتفى بدراسة ظواهرها . (٢)

(١) جود ، مشازع الفكر الحديث ، عربه عباس فضلي خماس ، وثق الترجمة

عبد العزيز البسام ص ١٦-١٧ - طبعة المجمع العلمي العراقي

١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م .

(٢) راجع كتاب سقوط العلمانية (أمير الجندي) ص ٤٧

ونود أن نختتم هذا الفصل بكلمة (رسل تشالرا رنست) (١) التي
تعتبر بحق الكلمة الفاصلة في هذا الباب فلندعه يتكلم :

" ان كل الجهود التي بذلت للحصول على المادة الحية من غير الحية .
قد باءت بالفشل والخذلان الذريعين . ومع ذلك فان من ينكر وجود الله
لا يستطيع أن يقيم الدليل المباشر المتطالع ، على أن مجرد تجمع الذرات
والجزئيات عن طريق المصادفة ، يمكن أن يؤدي الى ظهور الحياة وصيانتها
وتوجيهها بالصورة التي شاهدناها في الخلايا الحية " .

وبعد هذه الجولة نستطيع أن نقول انه من الخطأ المحض أن تشتق
العلمانية من العلم . فالتجربة نفسها كذبت دعواهم الكاذبة القائلة :
ان العلم وحدها ستنقذ الانسانية " أو المصرا الذي يسود فيه العقل ، يصل
الانسان الى الكمال " تلك كانت دعواهم التي أصارتها التجربة الى وهم
وجيـل مريـر .

وبعد هذه الجولة نصل الى الحقائق التالية :

ان كلمة (Secular) معناه اللاديني أو غير عقيدى
ولكن الذي قاموا به بترجمة هذه الكلمة الى العربية دسوا هذا المعنى
السخيف . فقالوا معناه : العلمانية لأنها كلمة محبوبة لدى الجميع .
وان دل هذا على شيء فانما يدل على خيـث هو " لا المترجمين
الملاحظة " .

ثالثا - (كلمة التطور) :

السطور في اللغة : التارة • تقول : طورا بعد طور • أى تارة بعد تارة وقال الشاعر في وصف السليم (١)
 ■ تراجع طورا وطورا فطلق * (٢)

وتطلق هذه الكلمة ويراد بها (الحال) كما في قول —
 تعالى : ■ وقد خلقكم أطوارا * (٣) معناها : ضروبا وأحوالا مختلفة •
 كما رأيت ، ان هذا المفهوم لا يتعارض مع الدين الاسلامي • ولكن
 الملاحدة اخترعوا من عند أنفسهم مفهوما آخر خبيثا للطور ، فهو لا بد
 أن يتعارض مع الأديان لأنهم يستعملون مفهوم التطور في مقابل الجمود •
 جمود العقيدة وجمود العبادة • • وجمود القيم • • وجمود المفاهيم • •
 وجمود التقاليد ، وجمود الحياة • • فهم يرون ان المقياس الحقيقي لمظمة
 الانسان وتطوره هو جهاز الراديو أو التلفزيون أو السيارة التي يركبها
 أو جهاز الفسيل الآلى أو القنبلة التي يدمر بها الحياة على وجه
 الأرض •

وعلى هذا المفهوم قامت الثورة الفرنسية باسم التطور • حتى صارت
 " الموضة " هي التطور • وما لا يتطور بذاته ينبغى أن يتطور بالقوة !

(١) لسان العرب ج ٤ ص ٥٠٧

(٢) البيت للناخبة الذبياني • وهو بكامله ■

تنادى الراقون من سوء سمها
 انظر المرجع السابق •

(٣) سورة نوح الآية رقم ٢١ •

انه لا ينبغي ان يظل شيء على الاطلاق ثابتا في كل الأرض . لا الدين
ولا فكرة الله . ولا الأخلاق . ولا التقاليد . ولا القيم . ولا الرهاب
الاجتماعية . لا شيء . . . لا شيء على الاطلاق .

تسمع في كل أنحاء أوروبا : (دعه يمر) (دعه يفعل)
ينبغي أن نحطم قيود الأخلاق فهي قيد يحوق التطور . فينبغي السهم
أن نطرحها في المجتمع الصناعي المتطور الذي يتطور بتطور وسائل
الانتاج . . .

بل ينبغي أن ننشئ أنفسنا في المجتمع الجديد . . . المتطور . . .
المتحرك . . . الوثاب . . . وتركزت الفتنة كلها في " تحرير المرأة "
لكي تخرج الى الطريق فتنة للرجال . (١)

فبدأ الكتاب يكتبون . . . والصحافيون يزينون التبجح . . . والقصاصون
يقصون القصص المأجنة والمصورون يصورون الصورة الخليعة . كل ذلك
باسم التطور . . . كأن السبيل الى تحقيق هذه الرغبات هو :
السهل والأفلام الداعرة العارضة الداعية الى الفساد .
كان السبيل هو بهوت الأزياء .

كان السبيل هو صناعة أدوات الزينة .

كان السبيل بكل السبيل والوسيلة . (٢)

(١) التطور والثبات في حياة البشرية ، محمد قطب ص (٢١ - ٢٥)

(٢) المرجع السابق ص ٣١

وكان أهم شيء عند هؤلاء المتطورين أن ينفخوا في الصور المادية
 "المتطورة" • ومن حيلة هذا كله حدثت حركات ضخمة في المجتمع
 الغربي في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين • وهي
 حركات التطور الغريبي لأنهم تدارروا عن عالم الفهب الذي لا يرونه
 ودخلوا في عالم المحسوس الذي يعاملونه بالكل والوزن والمسافة ••
 هذا هو مفهم التطور عند النزيهين وقد ساعدهم على ترويض
 هذه الفكرة الشبيهة ما أعلنه "داروين" في كتابه (أصل الأنواع سنة
 ١٨٥٩) وفي كتابه أصل الإنسان سنة ١٨٧١ م أن الإنسان أصله
 حيوان ويتميز بحسب أوضاع أن الإنسان نهاية التطور الحيواني •
 لقد رجب الماديون بفكرة (داروين) لأن عقيدتهم تقوم على المنف
 وصراع الطبقات ولم يكن الدافع لتبني هذه الفكرة هو الأدلة العلمية
 وإنما المذهب السياسي الأعلى • لذلك أحلوا المقام الأول بين جميع
 الملوم • وأذكر ذكرنا هؤلاء الملاحدة • نذكر أيضا تلك اليد اليهودية
 الخفية التي كانت تحمل دائما في خفاء لبث مثل هذه الأفكار اللاحدية •
 تقول بروتوكولات حكماء صهيون • "لقد رتبنا نجاح داروين وماركس ونهشة
 بالترويض لآرائهم • وأن الأثر الهدام للأخلاق الذي تنشئه علومهم
 في الفكر غير اليهودي واضح لنا بكل تأكيد" (١) • ولقد حدثت بالفعل
 ذلك الأثر الهدام للأخلاق باسم التطور •

(١) راجع البروتوكول الثاني ص ١٢٣ ط • الرابعة : دار الكتاب العربي

وهكذا رأينا جزءا من مفهم التطور عند الغرب ، وسنعود الى ذلك
 ان شاء الله في (باب النشوء والارتقاء) الذي سنمقده فيها يأتي من الصفحات
 تلك هي الكلمات التي استعملها الملاحدة كالسلاج لضرب الأديان
 مستترين وراء المعنى اللغوي الظاهر لسوق السذج البسطاء الى
 سوق الالحاد . والحمد لله الذي أيدنا للكشف عن هذا الزيـف
 وهذا الخبث والضلال .

فكرة عامة عن أوروبا الحديثة

لما كان عنوان هذا البحث هو : الالحاد وأثره في أوروبا الحديثة ،
يجمل بنا أن نعطي فكرة عن كل من الكلمتين " الالحاد " و "أوروبا"
الحديثة " ، وقد تحدثنا عن كلمة الالحاد لغة واصطلاحاً ، والآن
نود أيضاً أن نقدم فكرة موجزة عن " أوروبا الحديثة " .

وكيف لا ! ان أوروبا هي التي تصارع فيها " الايمان " و " الالحاد "
و رجال الدين مع رجال المادة ... والتطور مع الثبات ، والحق مع الباطل ..
ولومضينا بالبحث دون أن نعطي أية فكرة عن أوروبا الحديثة ، كأننا
تحدثنا في عمية ، وقد بما قيل : " الحكم على فرع تصويره " .

وفوق ذلك ان معرفة شئ من بداية العصر الحديث تساعدنا على
معرفة تطور الأحداث اللاحقة هناك ولكن من المستحيل أن أقدم هنا أكثر
من موجز بسيط لقارة تضيق عنها المجلدات الضخمة ، ولذا سوف نكتفي
بثلاث نقاط . وكفى .. وهي :

(١) متى بدأت العصور الحديثة ؟

(٢) كيف بدأت النهضة العلمية في أوروبا الحديثة ؟

(٣) الصراع بين الدين والعقل والحس في تاريخ الفكر الغربي ...

وقبل أن نتحدث عن أوروبا الحديثة ، يحسن بنا أن نقدم صورة

صغيرة عن القرون الوسطى التي تابعتها العصور الحديثة لأن التاريخ
متصل الحلقات لا يمكن أن يحرف فترة انتقال من عصر الى عصر الا بدراسة
شاملة للفترةين معاً . اذن متى بدأت العصور الوسطى ؟

أولا - بداية العصور الوسطى

ان كان أبناء المدرسة القديمة من المؤرخين قد أصروا دائما على اتخاذ سنة ٤٧٦ - وهي السنة التي سقطت فيها الإمبراطورية في الغرب - حدا فاصلا بين العصور القديمة والوسطى ، وسنة ١٤٥٣ - وهي السنة التي سقطت فيها القسطنطينية في أيدي العثمانيين ، وانتهت فيها حرب المائة عام (١) بين إنجلترا وفرنسا حدا فاصلا بين العصور الوسطى والحديثة الا أننا لا نستطيع أن نسايرهم باطمئنان في هذا الاتجاه . . .

ذلك ان اختيار سنة معينة أو حدث بذاته لتحديد نهاية عصر من عصور التاريخ أو بداية عصر آخر يبدو في نظرنا - كما سبق - أمرا بعيدا عن الحقيقة ، لأن التطور التاريخي يمتاز دائما بالتدرج والاستمرار وتداخل حلقاته بعضها في بعض ، أشبه شيء بنمو الكائن الحي . . . وكما أننا لا نستطيع اتخاذ لحظة معينة نقول : ان الفرد ينتقل فيها من مرحلة الطفولة الى مرحلة الشباب أو من هذه المرحلة الأخيرة الى مرحلة الشيخوخة . . . فكذلك من المبالغة التاريخية أن نختار سنة محددة لنقول : ان العصور الوسطى توقفت فيها عن السير تماما لتفسح المجال للعصور الحديثة .

هذا ما ورد في كتاب التاريخ الأوربي الحديث مؤيدا لما قلنا :

(١) راجع أوربا العصور الوسطى ، د . سعيد عبد الفتاح عاشور ، ج ١ الأول ص ٣ ط : مكتبة الأنجلو المصرية .

"عندما ندرس للتاريخ • نجد التطور الانساني يسير في تيارات فكرية
تتغير معها نظرة الانسان الى الحياة وادراكها لمفاهيمها وتصرفه بازائها •
ومن الميسر أن نحدد تاريخاً محدوداً لظهور هذه التغيرات الهامة فسي
مجرى التاريخ أو الانتقال من العصور القديمة الى العصور الوسطى أو
من الوسطى الى الحديثة • (١) "

وليس معنى ذلك أن نترك الأمر دون أي بحث • وإذا لم يكن التحديد
الدقيق في استطاعتنا • نستطيع أن نتخذ بعض السنوات الهامة
أو الأحداث التاريخية الكبرى لتكون فواصل بين العصور التاريخية •
وعلى هذا الأساس اتخذ المؤرخون القرن الرابع الميلادي بداية
للعصور الوسطى لكثرة الأحداث المظيمة التي لها كثر في تغيير وجه
التاريخ القديم •

نوجز بعض هذه الأحداث فيما يلي :

- (١) اعتراف الامبراطورية بالديانة المسيحية سنة ٣١٣ م
- (٢) نقل عاصمة الامبراطورية الى القسطنطينية سنة ٣١٣ م

(١) راجع كتاب التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر
فيينا • تأليف الاستاذين : الدكتور عبد الحميد البطريق ، أستاذ
التاريخ الحديث بجامعة عين شمس والجامعة الأردنية •
والدكتور عبد العزيز نوار ، أستاذ التاريخ الحديث المساعد بجامعة
عين شمس وجامعة بيروت العربية ص (١١) ط : دار النهضة العربية
للطباعة والنشر بيروت ص ٧٤٩ •

(٣) لزيادة خطر للجرمان على كيان الأمبراطورية عقب موقعة

"أدرنة" سنة ٣٧٨

(٤) اتخاذ المسيحية ديانة رسمية للأمبراطورية سنة ٣٩٢

(٥) تقسيم الأمبراطورية الرومانية الكبرى إلى قسمين : شرقى وغربى

سنة ٣٩٥ (١).

فالقرن الرابع ، إذن — يمثل العصر الذى اجتمعت وتفاعلت فيه مختلف

العناصر الأساسية التى كتبت تاريخ أوربا فى المصور الوسطى : وهى

(الكنيسة المسيحية ، والجرمان ، والامبراطورية) (٢).

(١) راجع أوربا المصور الوسطى . ج الأول — د . سيد عبد الفتاح

عاشورص ٤ ■ أستاذ كرسى تاريخ المصور الوسطى كلية الآداب —
جامعة القاهرة .

(٢) المرجع السابق ص ٤

راجع دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدى

ج ص

بدائية العصر الحديث

وما هو جدير بالذكر ، أن الكثير من الآراء التي سادت في العصور الوسطى عاشت أيضا بعض الزمن في العصر الحديث . فمن الصعوبة أن توجد حدا فاصلا بين عصر وآخر كما قلنا سابقا . ولذا يحتسب عصر النهضة من دلائل الانتقال من العصور الوسطى الى العصر الحديث .

واليك أهم ما اعتبره المؤرخون بداية لتاريخ العصر الحديث : سقوط القسطنطينية في يد الأتراك المماليك عام ١٤٥٣ م لأنه قد ترتب على هذا الحادث قيام حركة احياء العلوم في أوروبا عندما غادر القسطنطينية عدد كبير من العلماء اليونانيين الى أوروبا حاملين معهم مخطوطاتهم الثمينة التي انبثقت منها دراسات جديدة أضاءت الطريق لظهور النهضة الأوروبية وحركة احياء العلوم . (١)

(الناحية الثقافية) :

أما الناحية الثقافية ، فهي سمة بارزة في الانتقال من العصور الوسطى الى العصور الحديثة . وذلك ان الكنيسة كانت وحدها ملاذ الثقافة والتعليم ولذا اصطبغت الثقافة في العصور الوسطى بالصبغة الدينية فقد كان العلماء في تلك العصور هم أنفسهم رجال الدين ، وما يقوله رجال الدين حينئذ يتقبله الناس وما يرفضونه يرفضه الجميع . (٢)

(١) التاريخ الأوربي الحديث الدكتور عبد الحميد البطريرق ود . عبد

المزين نوارص ١٤ .

(٢) المرجع السابق ص ١٤ .

وكل تعلمهم مسلّم بها لا تغفل النقض ولا تحمل النقاش الملقى وكانت
للغة اللاتينية هي اللغة الأساسية التي يجب على كل فرد أن يحلمها ويتقنها •
أما اللغات القومية فكانت للتخاطب المحلي •

ومن أراد المعرفة فلا سبيل إليها إلا عن طريق اللغة اللاتينية التي كانت
إن ذاك لغة الجامعات يتفاهم بها الطلبة مع أساتذتهم لذلك نصّت لوائح
الجامعات الأوربية في المصور الوسطى على عدم اجازة من يثبت أن لغته
اللاتينية غير سليمة •

ثم تطورت الدراسة حتى اتجهت في المصور الحديثة الى الناحية القومية
ولم تعد اللغة اللاتينية وحدها هي لغة الثقافة والأدب •

ولم تلبث الجامعات أن تصدت لسيادة الكنيسة البابوية وناهضت المبدأ
بخضوع الكنائس في البلاد الغربية خضوعاً تاماً للبابا وبسطة وكان على رأس
الجامعات الممارسة ، جامعة باريس التي أيدت مبدأ استقلال الكنيسة
الفرنسية •

وقد تحقق فعلاً للكنيسة الفرنسية هذا الاستقلال واكتسبت صبغتها
القومية في عهد لويس الحادي عشر (١٤٦١ - ١٤٨٣) (١) •

فلذا عدّ المؤرخون الناحية الثقافية فترة انتقال من المصور
الوسطى الى الحديثة •

(١) المرجع الأول مع تفسيرات طفيفة ص (١٥) •

ومن المظاهر الثقافية لانتقال أوروبا إلى المصور الحديثة ، عنابة
بعض الشعوب الأوربية بجغرافية العالم واكتشاف أبعاده .

وقد كان اختلال البرتغاليين (سبت) على الساحل الأفرقي عام
١٤١٥ بمثابة الحلقة الأولى في سلسلة المغامرات البحرية التي أدت دوران
(فاسكوداجاما) حول أفريقيا سنة ١٤٩٢ م وتأسيس الامبراطورية البرتغالية
والاستعمار البرتغالي في الشرق ثم أدت تلك المغامرات إلى اكتشاف أميركا .

الناحية الاجتماعية والاقتصادية :

أما الناحية الاجتماعية والاقتصادية ، فقد تميز المصور للوسط بالنظام
الاقطاعي الذي بدأت تتلاشى مظاهره في المصور الحديثة فقد كانت الأرض موزعة
بين أشراف يمتلكونها بما عليها من انسان وحسبان ، ويحكمون اقطاعاتهم
بمطلق ارادتهم . يقضى بين الناس بما شاء له حكمه . وبذلك كانت الأرض
هي عماد الثروة الاقتصادية لذلك انعدم وجود الطبقة الوسطى التي تعتبر عماد
الحياة .

الخلاصة : كان المجتمع طبقتين : أشرافا يتمتعون بكل شيء

وفلاحين يعتبرون أرقاء للأرض .

ولما كان أكثر الأحداث وقعت في القرن الرابع عشر اعتبره المؤرخون
بداية المصور الحديثة . وهي الفترة التي اصطلح المؤرخون على تسميتها باسم
عصر النهضة (Renaissance) بمعنى البعث الجديد أو
بالمعنى الحرفي (الولادة الجديدة) .

وقد ظهرت حركة النهضة في بدايتها في إيطاليا وكان ذلك في منتصف القرن
الرابع عشر . اذن ان المصور الحديثة تبدأ من القرن الرابع عشر والله أعلم .

(ثانها) - أوروبا في النهضة العلمية والأدبية :

نحاول في هذا الجزء من البحث أن نتعرف على أثر الحروب الصليبية ونتائجها في النهضة الأوروبية في مجالات العلم والأدب والحضارة . إلا أننا - نحاول - أن نتحاشى عن التعصب والمزايدات ، سواء أكانت من تلك الأفكار التي تبالغ في تأثير هذه الحروب على أوروبا من حيث استفادتها من حضارة الاسلام أم كانت من تلك الأفكار التي يهجون من شأن تأثير هذه الحروب ، اعنى أفكار المثقفين الذين وقفوا في الانبيار من هذا الابداع المادى للحضارة الغربية المعاصرة .

ذلك أن الأصلة قدر مشترك بين الحضارات جميعها . فكل حضارة أبدعت ونقلت وكانت لها سمة تميزها بين الحضارة العالمية . ولم توجد قط حضارة تفردت بالابداع أو تفردت بالنقل أو خلعت من السمة التي تميزها بين سلمات الحضارة (١) .

والحق الذى ينهى أن يتمسك به كل باحث في تاريخ أوروبا العلى ، هو أن أوروبا قد مرت بثلاث مراحل :

الأولى منها كانت مظلمة حقاً وهى تقع في الفترة ما بين نهاية القرن الثالث ونهاية القرن التاسع الميلاديين ، وكانت محيرة انتقل عليها القديم الى ما بعده .. (٢)

(١) عباس محمود العقاد : أثر الحرب في الحضارة الأوروبية ص ٢٨ ط :

دار المعارف بمصر ١٩٦٥ م .

(٢) الغزو الصليبي والعالم الاسلامي ، تأليف الدكتور عبد الحلیم محمود ص ٢٧١

(٣) هل نحن مسلمون ، محمد قطب ص ٧٥

والثانية منها : كانت تشهد تدفق العلوم والدراسات العلمية الإسلامية على أوروبا الغربية وهي تقع بين بداية القرن العاشر ونهاية القرن الثاني عشر الميلادي ، وهي مستغرقة أكثر من قرن في زمن الحروب الصليبية .

والثالثة منها : وهي المرحلة التي أدت الى ازدهار العلوم والدراسات العلمية تمتد من بداية القرن الثالث عشر الميلادي . من نهاية المصـور الوسطى وهي التي أفادت تماما من اتصال دول أوروبا الغربية بالعالم الإسلامي عن طريق الحروب الصليبية . (١)

ولقد أفادت أوروبا من علوم المسلمين وطبهم في هذه المراحل الثلاثة جميعا وليس بين الباحثين المنصفين من ينكر أن المسلمين قد فاقوا في الطب والعلوم من عاصروهم من سكان أوروبا منذ ظهور الإسلام الى أن كان عصر النهضة العلمية في أوروبا .

وفي الوقت الذي كانت الكنيسة تحرم صناعة الطب لا اعتقادها أن المرض عقاب الهى لا ينبغي للانسان أن يصرفه عن يستحقه وهو الوقت المسمى عندهم بعصر الايمان . في هذا الوقت ، عند استهلال القرن الثاني عشر الميلادي ، كان المسلمون يمارسون الطب منذ زمن مبكر عن ذلك . (٢)

وتأييدا لما قلنا نسوق اليك شهادات من قلب أوروبا قد أداها رجال منصفون أريهون .

(١) الفزو الصليبي والعالم الإسلامي ، تأليف دكتور عبد الحلیم محمود ص ٢٧١

(٢) المرجع السابق ص ٢٧١ .



(شهادة من النمسا) :

وهي شهادة يوز ديها (محمد أسد النمساوي) المسلم في كتابه
القيسم : (الاسلام على مفترق الطرق) يقول فيها :

" ان تحرير العقل الأوربي من القيود العقلية التي فرضتها
عليه الكنيسة المسيحية قد اتفق في أثناء النهضة التي كانت مدينة الى
حد بعيد لذلك العامل الثقافي الذي كان العرب ينقلونه الى الغرب .
وكل ما كان خيرا في الثقافة الاغريقية القديمة ثم في العصر الهيلاني
التالي ، فان العرب بعثوه في علومهم وزادوا فيه في القرون التي تلت
تأسيس الامبراطورية الاسلامية الاولى . انا لا أقول ان تقبل العرب والمسلمين
لنتائج الفكر الهيلاني كان على وجه العموم فائدة لا شك فيها ليم - ان
انه لم يكن كذلك .

ولكن مع كل العقبات التي يمكن أن تكون الثقافة الهيلانية قد خلقتها
في سبيل تقدم المسلمين بالمعنى الاسلامي الصحيح ، فان تلك الثقافة
نفسها كانت باعثا قويا عن طريق العرب أنفسهم في سبيل نهضة
أوروبية .

ان العصور الوسطى قد اطلقت القوى المنتجة في أوربة ، كانت العلوم في
ركود وكانت الخرافات سائدة ، والحياة الاجتماعية فطرية خشنة الى حد من
الصعب علينا أن نتخيله اليوم . في ذلك الحين أخذ النفوس الاسلامي
في العالم - في بادئ الأمر ، بمغامرة الصليبيين الى الشرق ، وبالجامعات
الاسلامية الزاهرة في اسبانيا المسلمة في الغرب ، ثم بالصلوات التجارية المتزايدة
التي أنشأتها جمهوريتا جنوة والبندقية - أخذ هذا النفوذ يقرع على الأبواب

الموصدة دون المدنية العربية . (٢)

(١) راجع كتاب الاسلام على مفترق الطرق . محمد أسد ص ٤٢ . ترجمة د / مرفوخ

(٢) المرجع السابق ص ٤٢

" وأمام تلك الأَبصار المشدوْهة ، أبصار العلماء والمفكرين الأوروبيين ظهرت مدنية جديدة - مدنية مَهذبة راقية خفاقة بالحياة ذات كنوز ثقافية كانت قد ضاعت ثم أصبحت في أوربة من قبل نسياناً منسياً .

ولكن الذى صنعهُ العرب كان أكثر من بحث لعلوم اليونان القديمة ، لقد خلقوا لأنفسهم علماً علمياً جديداً تمام الجدة .

لقد وجدوا طرائق جديدة للبحث وعملوا على تحسينها ، ثم حملوا هذا كله بوسائل مختلفة إلى الغرب . ولما نبأنا إذا قلنا أن المصير الملقى الحديث الذى نميش نميش فيه لم يدشن في مدن أوربة النصرانية ، ولكن في المراكز الإسلامية ، في دمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة .

وان أثر هذا النفوذ في أوربة كان عظيماً . لقد بزغ ، مع اقتراب الحضارة الإسلامية نور عقلي في سماء الغرب ملأها بحياة جديدة ويتمطش إلى الرقي . ولم يأت التاريخ الأوروبى بأكثر من اعتراف عادل بقيمة الحضارة الإسلامية حينما سعى عصر التجديد الذى نتج من الاحتكاك الحيوى بالثقافة الإسلامية " عصر البحث " (١) فإنه كان في الحقيقة ولادة لأوربة ولم يكن أقل من ذلك .

هذه هي شهادة رجل أوروبى نساوى ، قد أتاحت له فرصة الاطلاع على الثقافتين ، الإسلامية والعربية فهده الله تعالى إلى الاسلام الحنيف فهو يدلى بهذه الشهادة بدون أى تعصب أو تحيز . (٢)

(١) عصر النهضة (Renaissance) كما يقال في التاريخ الحديث ولا ريب أن انصراف المسلمين في الأندلس . في العصور الوسطى إلى العلوم والفنون جعلهم إلى حد يسهلون الناحية العسكرية الحربية في حياتهم فشجع ذلك الكنيسة على تأليب الأوربيين على العرب فكان ذلك سبباً من أسباب ضياع الأندلس .

(٢) راجع هامش كتاب " الاسلام على مفترق الطرق " محمد أسد ص ٢٣ .

شهادته من فرنسا :

ومن الجدير بالذكر ان نتائج الأبحاث العربية الفريدة التي تتعلق بعلمى الطبيعة والفلك ، قد تمتعت هي أيضا في العالم قاطبة بأهمية واهتمام زائدين .. وقد شهد بذلك كثير من الباحثين الأوربيين .. فاليوم نختار شهادة رجل كاتب غير متعصب ... فمن هو ذلك الرجل ؟؟

هو رجل من فرنسا وهو الأستاذ سديلو (Sedillot) ان هذا الأستاذ رغم كون فرنسا تعتبر أم الحضارة المادية الحالية - لم يتحيز اليها ، بل صرح بالحق .

فشهادة فرنسا في مثل هذا الوطن مقبولة لمكانتها بين دول العالم لما قامت به الثورة الفرنسية المشهورة وما نادى به من حقوق الانسان . فلنستمع^١ الى هذه الشهادة :

" لقد توصل فلكهوبغداد في نهاية القرن العاشر الى اقصى ما يمكن أن يتوصل اليه انسان في رصد السماء وما دار فيها من كواكب ونجوم بالعين المجردة دون اللجوء الى عدسات أو منظار . ولكن لم يجد جميع فلكى العرب مترجما لا تهنيا فلذا لم تدخل علومهم جميعا الى بلاد الغرب .

(١) عن كتاب شمس العرب تسطع على الغرب ، تأليف المستشرق الألماني زيفريد هونكه ص ١٤٥ .

ومن بين العرب الذين وصلت آثارهم الى مواطن العالم الغربي
بطريق مباشر نجد العالم (الفرغاني) (١) (Al Farghani)
الذي كان يحمل في بغداد أيام أبناء موسى . لقد قام الفرغاني بتأليف
طال خط الأرض المستقيم ..

وكان أول من أدرك ان مدار الشمس والكواكب على مركز الأرض
يجرى في اتجاه خلفي . وكتاب " جوامع علم النجوم " للفرجانيوس
(Al Fraganus) ثم ترجم كتاب الفرغاني الى اللاتينية
وأصدره مالاينتون : (Melanchlon) في حله الجديدة عام
١٥٣٧ م في نورنبرغ كملحق لكتاب " راجيومونتانيوس " -
(Regiomntanus) وبهذا يحترف هذا الجيل الغربي
بتفريق العرب على الغرب - آنذاك - في جميع المجالات العلمية ...

(١) الفرغاني : فلني أرسله الخليفة التتار الى القسطنطينية (القاهرة)
ليناظر بنائهم مقياس النيل (٨٦١) . له : جوامع الكواكب
والحركات السماوية ... نقل الى اللاتينية والمبرية ... وله
أيضا كتاب في الأسطرلاب : المرجع السابق ص ١٩٥ .

شهاده أخرى من فرنسا : يؤيدها بكل أمانه الاستاذ (موريس بوكاي)
الفرنسي :

يقول : (١)

" ولكن علينا أن نتذكر أن في عصر عظمة الاسلام • أي بين القرن الثامن والقرن الثاني عشر من العصر المسيحي • وعلى حين كانت تفرض القيود على التطور العلمي في بلداننا المسيحية • انجزت (الحضارة الاسلاميه) كمية عظيمة من الأبحاث والمكتشفات بالجامعات الاسلاميه •

في ذلك العصر كان الباحث بهذه الجامعات يجد وسائل ثقافية عظيمة •• ففي قرطبه كانت مكتبة الخليفة تحتوى على اربعمائه ألف مجلد • وكان ابن رشد يعلم بها • وبها أيضا كان يتم تناقل العلم اليوناني • والهندي والفارسي • لهذا السبب كان الكثيرون يسافرون من مختلف بلاد اوربا للدراسة بقرطبه مثلما يحدث في مصرنا أن نسافر الى الولايات المتحدة لتحسين وتكميل بعض الدراسات • ولكن هي كثيره تلك المخطوطات القديمة التي وصلت اليها بواسطة الأدباء العرب ناقله بذلك الثقافة الى البلاد المفتوحه ••••! ولكم نحن مدينون للثقافه العربيه في الرياضيات (فالجبر عربى) وعلم الفلك والفيزياء (البصريات) والجيولوجيا وعلم النبات وطب (ابن سينا) و (الرازي) الى غير ذلك • لقد اتخذ العلم لأول مره صفه عالميه في جامعات العصر الوسيط الاسلاميه • في ذلك العصر كان الناس أكثر تأثرا بالروح

(١) راجع كتاب دراسة الكتب المقدسه في ضوء المعارف الحديثه • موريس بوكاي ص ١٤٠ ط : دار المعارف •

الدينيه ، ما هم عليه في عصرنا ... ولكن لا يمنعهم من أن يكونوا
في آن واحد مؤمنين وعلماء . كان العلم الأخ التوأم للدين . لكم
كان ينبغي على العلم ألا يكف عن أن يكون كذلك ...

" كانت البلاد المسيحيه ، في تلك الفترة من القرون الوسطى ،
في ركود وتزمت مطلق ، توقف البحث العلمي . ليس بسبب التوراة
والانجيل وانما ، وعلىنا ان نكرر ذلك ، بأيدي هؤلاء الذين كانوا
يدعون أنهم خدام التوراة والانجيل . وبعد عصر النهضة في أوروبا ،
كان رد الفعل الطبيعي أن يأخذ العلماء بثأرهم من منافس الأُمَم
(وهو الله) وهذا الثأر مستمر حتى اليوم . لدرجة أن التحدث حالها
في الغرب عن الله في الأوساط العلمية يعتبر فعلاً - على الرغم
في التفرد . ولهذا الموقف تأثيره السيء على العقول الشابه التي تتلقى
تعليمنا الجامعي " .

شهادة من المانيا :

ان هذه الشهادة قد أدلتها امرأة من المانيا فقد ساءها ما تراه من انتقاص قيمة الحضارة الاسلامية في الغرب . مع أنها تعلم يقينا أن الحضارة الغربية لم تأت بشيء من المجالات الطبية والتكنولوجية الا ويمكن ارجاعه الى أصل عربي فاذلك حملت معها هذه الشهادة لتؤديها للعالم وهي المستشرقه الألمانية (ريفريد هونكه) حيث تقول :

" قبل ٦٠٠ عام كان لكلية الباريسية أصغر مكتبة في العالم ، لا تحتوي الا على مؤلف واحد ، وهذا المؤلف كان لعربي كبير .

وكان هذا الأثر العظيم ذا قيمة كبيرة ، بدليل ان ملك المسيحية الشهير ، " لويس الحادي عشر " اضطر الى دفع اثني عشر ماركا من الفضة ومئة (تالر) (Talar) من الذهب الخالص لقاء استعارته هذا الكنز الغالي رغبة منه في أن ينسخ أطباءه نسخة يرجعون اليها اذا ما هدد مرض أوداء صحته وعائلته .

وكان هذا الأثر الملقى الضخم يضم كل المعارف الطبية منذ أيام

(١) ترجمة المستشرقه هي الدكتور ه. زيفريد هونكه ، مستشرقه المانية طائفة الشهيرة لها عدة كتب في بيان فضل العرب على الغرب منها :

الرجل والمرأة . وكتاب شمس العرب تسطع على الغرب وغير ذلك وقد زارت عددا من البلدان العربية مثل مراكش ومصر والعراق على اثر دعوه من رؤساء تلك الدول .

(٢) راجع كتاب شمس العرب تسطع على الغرب ، تأليف (ريفريد هونكه) ص ٤٤

الاغريق حتى عام ٩٢٥ بعد الميلاد . وظل المرجع الاساسي في أوربه
 لمدة تزيد على الاربعمائة عام بعد ذلك التاريخ . دون أن يزاحمه
 مزاحم أو تؤثر فيه أو في مكانته مخطوطه من المخطوطات الهزيله
 التي دأب في صياغتها كهنة الأديرة قاطبة ، وهو العمل الجبار
 الذي خطته يد عربي قدير .

ولقد اعترف الباريسيون بقيمة هذا الكنز العظيم وبفضل صاحبه
 عليهم وعلى الطب اجمالا . فأقاموا له نصبا في باحة القاعة الكبيرة
 في مدرسة الطب لديهم . وعلقوا صورته وصورة عربي آخر
 في قاعة أخرى كبيرة تقع في شارع (سان جرمان) ، حتى
 اذا ما تجمع فيه اليوم طلاب الطب وقمت أبصارهم عليهم
 ورجعوا بذاكرتهم للورا يسترجعون تاريخه . فمن هو ؟ انه
 الرازي أو رازاس (Rhases) كما سته بلاد الغرب ، وأما اسمه
 الحقيقي فهو أبوبكر محمد بن زكريا . ولد في مدينة (الري) في
 خراسان شرقي مدينة طهران حاليا .

شهادته من امريكي :

يقول الأيركي ديري في كتابه النزاع بين العلم والدين :
 " واننا لندهش حين نرى في مؤلفاتهم من الآراء الملهمه ما كنا
 نشك من نتائج العلم في هذا العصر ، ومن ذلك أن مذهب النشوء
 والارتقاء للكائنات المصنوعة الذي يحتبر مذهباً حديثاً ، كان يدرس
 في مدارسهم " .

(١) المرجع السابق (٢٤٤)

(٢) راجع كتاب الاسلام دين علم خالد للاستاذ محمد فريد وجمدى
 ص ٢٣٣ من الطبعة الثانية ويلاحظ من هذا التقرير ، شىء لعله
 أخطاره الكبيره وهوانه جعل التطور الذى عرفه المسلمون
 والتطور الذى اخترعه (داروين) و (لاس) في درجته
 واحده ، ، خاشاً وكلاً ، ، فبينهما بون شاسع ، وذلك ان التطور
 الذى احدث الى الله المسلمون كان ملاحظه للتدرج في مراتب المخلوقات
 من الجوامد الى الانسان ، ولكنهم لم يقولوا ، كما قال داروين - ان
 الانسان من أصل حيوانى ولم يبخسوه قدره ولا نفوا عنه أخصص
 خصائصه الذى تفرد به ، وعرفوا أنه متميز من بين سائر الحيوانات
 ومن ثم عرفوا فكر التطور ولكنها لم تتحول في تفكيرهم الى لوثه
 مدمره كما حدث في الفكر الغربي المحدث .

شهادة من بريطانيا

ان شهادة بريطانيا كانت عامه " فيى ترى أن السراليندى
 ان الذي ارادها (23) تقدم به الحرب كامن فى القرآن الكريم/نكرو (غلا دستون) وزير بريطانيا
 الاول أحد موطدى أركان الامبراطوريه فى الشرق - حينما قال :

" مادام هذا القرآن موجودا فلن تستطيع أوربه السيطرة على
 الشرق ولا أن تكون هى نفسها فى أمان " .

هذا ما يقوله المفكرون المنصفون فى أوربا أن الحضارة الغربيه
 الحاليه لم تنهض الا على ما قدمته الحضاره الغربيه
 الاسلاميه . هذا ما يؤكده المستشرق (برهفولت) -
 (Briffault) .

" ان روجو يكون : درس اللغة العربيه ، والعلم العربيه
 فى مدرسه (اكسفورد) على خلفاء معلميه الحرب فى الأندلس .
 وليس (لروجريكون) ولا لسميه الذى جاء بعده .

(١) محمد اقبال : تجديد التفكير الدينى : ترجمته عباس محمود نقلا
 عن كتاب بناء الحضاره (برهفولت) نقلناه عن كتاب التفكير
 الفلسفى فى الاسلام . عبد الحليم محمود شيخ الأزهـر
 سابقا ص ٢٨٣ .

(٢) راجع ايضا المسلمون بين الماضى والحاضر والمستقبل ، وجهد الدين
 خان ص ١٠

الحق في أن ينسب اليهما للفضل في ابتكار المنهج التجريبي ،
 فلم يكن روجر بيكون الا رسولا من رسل العلم والمنهج الاسلاميين
 الى أوروبا المسيحية ، وهو لم يمل قط من التصريح بأن تعلم
 معاصريه اللغة العربية وعلوم الغرب ، هو الطريق الوحيد
 للمعرفة الحقة .

والمناقشات التي دارت حول واضعي المنهج التجريبي ، هي
 الطرق من التحريف الهائل الأصول للحضارة الأوروبية . وقد كان
 المنهج التجريبي ، في عصره يكون : قد انتشر انتشارا واسعا
 وانكب الناس في لهف ، على تحصيله في ربوع أوروبا .

شهادة من الهند :

يقول للكاتب الاسلامى والمفكر الموفق فى القطر الهندى السيد
وحيد الدين خان :

" توجد فى المتحف البيطاني بلندن عملة معدنية قديمة ،
يحمل أحد طرفيها اسم (أوفاريكس) بالحروف اللاتينية فى ثنائيا
محمد رسول الله فى ثلاثة أسطر باللغة العربية . ويحمل
الطرف الآخر كلمة (لا اله الا الله وحده لا شريك له) الى جانب
اسم اثنين من ضاربي المصلات ببغداد ، باللغة العربية . (١)

ثم قال :

" وأوفاريكس (Offarex) هذا ملك انجليزى كان يحكم
منطقة مرشيا (Mercia) فى القرن الثامن الميلادى . وهذا
يدل على أن حكم أوربا كانوا يطلبون من ضاربي النقود ببغداد يبين
أن يصكوا لهم نقودهم . وهذا يدل كذلك على أننا ، معشر المسلمين
كنا نتمتع فى زمن^{من}/الأزمنة بما يتمتع به الغرب اليوم ———
تقدم على وصناعى ، أن المسلمين ، خلال مائتى سنة فقط

Charles Owen, History of England (١)
Before The Norman Conquest, 1910.
راجع كتاب المسلمون بين الحاضر والماضى والمستقبل وحيد الدين

خان ص (٧)

من البربرية النبرية كانوا قد أصبحوا أئمة العالم ، وأصبحت
حاضرتهم - بغداد - عاصمة العالم الحضارية بدلا من اصطخر
الایرانية ورمسيس المصرية وروما الأوربية .

* ان أسلافنا بدأوا لاحتلتهم من مرحلة البداوة حتى قفزوا
الى أعلى مدارج الحضارة بينما نحن أخلافهم التسعساء .
الذين تمكنوا من استئناف المسيرة ، من مرحلة متقدمة ، الا أننا
فضلنا أن نسير في الاتجاه المضاد .*

ثم نقل الاستاذ عن أحد المستشرقين كان يصف النهضة الإسلامية
بما يلي :

* لقد ولد الاسلام في حى مجهول بمكة في الصحراء العربية .
ولم يكد يخرج منها حتى غزا الشرقين الأدنى والأوسط بسرعة
مدهشة . ثم وصل الى الأندلس عبر شمال افريقية والى حدود الصين
عبر ايران . وكانت آخر نقطة وصل اليها الاسلام فى أوروبا هى
(بودابست) ، حيث لا تزال مقبرة جل بابا ، بطرازها التركى
على ضفاف (الدانوب) ، تذكرنا بأن المسلمين وصلوا حتى هذه
البقعة النائية .

وكان من معجزات هذا الزحف أن أنشأ العرب المتوحشون إمبراطورية
عالمية ، ولم يكتفوا بنشر لغتهم فى كل أرجاء العالم ، بل اكتشفوا
المعلوم الانسانيه واستفادوا بها ورفعوا من مستواها .

* وفى القرن السابع الميلادى أنشئت الأسس السياسية والاقتصادية
لإمبراطورية العربية العالمية .*

وقامت الخلافة العباسية في القرن الثامن الميلادي بخلق
 أعظم الحضارات في التاريخ كان مؤسسوها هذه الحضارة يريدون
 نشر الاسلام ولكنهم اهتموا باحتضان جميع الاشياء الجيدة
 وافادوا الاسلام بها

شهادة الاستاذ جوستاف لوبون :

ان هذا الاستاذ الكبير يشهد - رغم كونه من الغربيين -
 شهادة رجل واثق على ما يقول : ويصريح تصريحاً لا غموض
 فيه من أنه ليس تنمية ناحية واحدة من نواحي الازدهار
 الأوربي الا ويمكن ارجاع أصلها الى مؤثرات الثقافة العربية
 بصورة قاطعة .

فلندعه يتكلم :

يقول : " ظهر ما تقدم أن تأثر الشرق في تمدن الغرب كان
 عظيماً جداً بفعل الحروب الصليبية ، وأن ذلك التأثر كان في الفنون
 والصناعات والتجارة .. أشد منه العلوم والأدب ...

وإذا ما نظرنا الى تقدم العلاقات التجارية العظيمة باضطراب بين
 الغرب والشرق والى ما نشأ من تحاك الصليبيين والشرقيين من النمو
 في الفنون والصناعة تحكى لنا أن الشرقيين هم الذين أخرجوا الغرب
 من التوحش ، وأعدوا النفوس الى التقدم بفضل علومهم وآدابهم التي
 أخذت جامعات أوربه تعمل عليها فانبثق عصر النهضة منها ذات
 يوم ...

وبهذه الشهادة نعلم أن مصدر الحضارة الغربية الثقافية

مستمد من الحضارة الاسلامية . ولكن كيف كانت النتائج ؟
 هل اعترف الغرب بالجميل ؟ هل أدوا الاحترام لآساتذتهم ؟
 الجواب لا !

بل أن الاحتقار التقليدي الذي وطد قواعده رجال الكنيسة

أخذ يتسلل إلى بحوثهم العلمية ..

وبعد فترة من الزمن أصبح احتقار الاسلام جزءا أساسيا

من التفكير الأوروبي ... فتعامل المستشرقون على الاسلام تحاملا

لا مثيل له حتى تركوه غريزة موروثه في أعقابهم ... وهذا

جولد تسيهر في كتابه (العقيدة والشرعية في الاسلام) يقول كلمة مريفة

" لا في الأفكار ولا فيما يتصل بعلاقة الانسان بما هو فوق حسه

وشعوره وبلا نهاية .."

وتوضح ذلك ، ان الاسلام في نموه مصطبغ بالأفكار والآراء الهند

الهيلينستية ونظامه الفقهى الدقيق مستمد من القانون الرومانى ، ونظامه

السياسى متأثر بالنظريات السياسية الفارسية ... وتصوفه يمثل

تيارات الآراء الهندية والافلاطونية الجديدة ..!!

كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا

وهذا (فليبن رابن) تلميذ مرجليوت في كتابه : " اللغات

القديمة في غربى بلاد العرب " الذى يقول كلمة يحلم كذبه فيها قبل

غيره : " ان القرآن قد احتوى على أخطاء لغوية ونحوية (!!)

وان المسلمين على مرّ الأجيال قد صححوا كثيرا منها ولكن ما زال

بعضها باقيا حتى اليوم .. الى آخر هذا اللغو الذى لا يحترمه

عقل ولا علم ولا ضمير ...

هذا هو جزاء المعلمين من قبل تلاميذهم ... لم أر شعباً ينكر الحقائق ويخفيها كـشعب أوروبا ... ان هذا الشعب الحسود استطاع أن يخفي عن أعين الناس هذه الحقائق الضخمة مع وجودها في الكتب .

ان هذا الفريد في تاريخ الانسان العام ...
أنظر الى العرب لما أخذوا الفلسفة والمنطق وغيرهما . من اليونان ، بينوه للناس ولم يخفوا من ذلك شيئاً وما نقصوا من قيمة الاغريق بل رفعوا أرسطو الى ما هو فوق منزلته : فقل له : انه هو المعلم الأول .

وأما أوروبا الجاهلة كانت مواقفها خلاف ذلك : تطاولوا على صاحب الرسالة الاسلامية محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم . ان كوجيليت الذي يعتبر اماماً من أئمة المستشرقين يقول : فسي بحثه عن الاسلام في موسوعة تاريخ العالم :

(Universal History Of The World)

" ان محمداً صلى الله عليه وسلم رجل مجبول النسب ، لأنه (محمد ابن عبد الله) . . . فأى سخف وأى تفاهة في التفكير والتعبير ؟
أخبروني هل سمعتم من أحد / ^{يقول} أن العرب كانوا يطلقون على من لا يصفون نسبه (اسم عبد الله) أو يسمونه محمد بن عبد الله بـ ... عبد المطلب بن هاشم بن قصي ... انه لغريب ؟

يقوم محمد المجبول النسب يتحدى آلهة قريش وتقاليدهم وعبادتها وعاداتها وأوضاعها كلها بنسبه المجبول !!!

هل يبلغ الحسد بانسان حتى يهجم على الناس بمثل هذا الافتراء

المكشوف ؟

وان/نكرتم هذا الاحسان الكبير نقبل لكم (ان للبرعينا لا تفضى)

وفى الفصل التالى سنرى ما يدل على عدم اعتراف أوربنا

بالجميل ..

لقد قدم الاسلام لهؤلاء الأوربيين خدمات كثيرة فى شتى المجالات

لا يتسع المكان لذكرها : واليك بعضا من هذه الخدمات

هدايا العرب للغرب

من هدايا العرب للغرب هذه الساعة التي كانت تشير على الساعة
وعلى الزيتي وعلى الشمع المشتعل ، وألقى بواسطة الأتقال
المختلفة .

كان أن وجدوا الساعات الشمسية الدقيقة التي كانت تحمل ساعة
الزمن بصوت رنان . .

والساعات المائية كانت تقذف كل ساعة كرة في قبح معدني
وتدور حول محور تظهر فيه النجوم ورسومات من عالم الحيوان ، أو
ساعات تحمل فتحات منسقة الواحدة تلو الأخرى في شكل زهرة
دائري ، وما تابك تبرق كلما جلوزت الساعة الثانية عشرة ليلا في
حين يمر فوقها هائل وضاء . .

وفي عام ٨٠٧ م قسّم عبد الله رسول هارون الرشيد إلى الأجزاء
(26) (Aachen) آخن (١) من أعمال المانيا ،
ساعة من هذا النمط . . وقد علق مؤرخ القصر " اينارد "
(Einard) على هذا الحدث في يومياته قائلا :
" كانت ساعة من النحاس الأصفر مصنوعة بمهارة فنية مذهلة ،
وكانت تقيس مدة اثنتي عشرة ساعة وفي حين انقضاء ذلك

(١) آخن (Aachen) مدينة في ألمانيا عدد سكانها ١٤٠٠٠٠

نسمة وهي مدينة صناعية مشهورة .

تسقط الى الأسفل اثنتى عشرة كرة صغيرة ، محدثة لدى اصطدامها برقاص معدنى مثبت ، ودوبا ايقاعها جميلا بالاضافه الى عدده مماثل من الأفراس الصغيرة التى كلما دارت الساعه دورتها الكامله قفزت (١) من فتحة اثنى عشرة بوابه واغلقتها بقفزاتها هذه ..

وهناك أشياء أخرى كثيرة تسترعى الانتباه فى هذه الساعه تدعو الى الحجب والدهشه ، وليس ثمة مجال لعددها ان ذلك قد يقودنا الى تفاصيل كثيرة

وعلقت المستشرقه الألمانية ريخريد هونكة على هذا التقرير بقولها :

" نحن ما زلنا حتى يومنا هذا نقف فاعرى الأفواه دهشة واعجابا كلما رأينا ساعة كبيرة فى مبنى البلديه ، وما يرافق دقائقها من ظهور شخوص صغيره متحركه تذكرنا بما فعله العرب فى الماضى ، حبا بالألماب الميكانيكية ولما بها "

(ثانيا) - طريقة الاستدلال العلمى القائم على التجربة :

لقد اعترف الجميع للعرب بفضلهم فى اىصال أعمال الفلاسفة والعلماء القدماء وآثارهم للعالم الحديث ولكنهم لم يأخذوا الملموم التى ورثوها عن طريق الاقتباس كما أنهم أيضا لم يأخذوا الآلات العلمية

(١) راجع شمس العرب تسطع على الغرب المستشرقه الألمانية ريخريد

ومواد العلم القريب دون مناقشه أو تحقيق فمذ البدء ادهشوا
العالم بأسره بالحرية الموضوعية والشجاعة العلمية التي—
استقبلوا بها نتائج السالفين وأقوالهم لهبموا بحثا ولقدا وتفنيدا وتحقيقا
للأخطاء ودحضها وعملا لدائها في الحقل الجديد ، دون أن ينفش
بصرهم غاشية صيت ذائع ومن فسر أن يدخل الوجمل الى قلوبهم
اسم كبير فيرهبهم . ولعل أبلغ برهان على هذه الصفة التي كانت
تقتضى بالأيؤ منوها حقا وصوابا الا بالأشياء التي تثبت صحتها
التجارب وتدعمها . . نقول لعل أبلغ برهان على هذا ما نراه من
عسناوين لمخطوطات كانت تسمى الى نقد كتب أرسطو (المظلم) نفسه
أوبطليموس .

لقد كانت وقبعتهم العلمية الشديدة تدفعهم دفعا ثابتا
الى القيام بتجارب واختبارات عديدة ، ولئن كان ادراك الا غريق
دوما الشمول في نظرة واحدة كاملة واكتشفوا النظام البديع
والترتيب العقلانى فى كل الظواهر الطبيعية فان العرب كانوا يرون
الهدف العلمى الذى من أجله يهبطون لأنفسهم بكليتها ليس فى اجراء
تحقيق واحد أو عشرة تحقيقات فحسب ، بل فى المئات الكثير منها . .

(١) لا يفهم من كلامى هذا أن العرب كانوا مثل الماديين الملاحده للذهبن
لا يؤمنون بشيء الا ما كان وزنا وكهلا ومسافة . . حاشا وكلا . . ان
العرب كانوا يطبقون هذه القاعدة على المحسوسات فقط . . وأما النيب
كانوا يؤمنون به كما أراد الله تعالى .

(٢) المرجع السابق ص ١٤٢

(٣) المرجع السابق ص ١٤٣

ان هذا الحديث يقودنا الى سر تفوق العرب على الاغريق في الابحاث
العلمية أولا وسر تفوقهم على الأمم المسيحية ثانيا ...
أولا سر تفوق العرب على الاغريق في الابحاث العلمية :

وليس غريبا ان يتفوق العرب على الاغريق في ميدان علم
الهيئة والتنجيم بل في المجالات العلمية المتعددة .. بيان
ذلك ان الابحاث العلمية التي حققها العرب كانت تلبية لحاجتهم
اليومية ...

كالقيام بالصلاة في مواعيدها المحددة ... وهو يحتاج
الى معرفة صناعة الساعة . وكالقيام بتمييز ظهور القمر
في شهر رمضان في لحاقه الاولي ... وهو أيضا يحتاج الى معرفة
علم الهيئة والتنجيم معرفة دقيقة ...

وكالقيام بتحديد سير القوافل في الصحارى الذى يحتاج أيضا الى
معرفة تامة بكل ما يتعلق على ذلك ...

بل كان هناك دافع قوى يدفعهم الى الابحاث العلمية بكل
ما أعطوا من قوة ... وذلك الدافع هو الاوامر الربانية التى
تحث دائما الى طلب المزيد من الابحاث العلمية ...

كقوله تعالى ﴿ وقل رب زدنى علما ﴾

وقول النبى صلى الله عليه وسلم : " اطلبوا العلم ولو فى الصين "

" اطلبوا العلم من المهد الى اللحد "

" طلب العلم فريضة على كل مسلم "

وكان الاغريق على خلاف ذلك اللبهم انهم كانوا يتساهلون غالباً بالدقة ويهملون عن رضى كثيرا من الحسابات المويضة . . . وليس عندهم هدف في هذه الأبحاث الا الترف العقلي فقط . . . ولا يرجون منها لا ثوابا ولا عقابا .

ان هذه الأسباب كافية في أن يتقدم العرب على الاغريق في الأبحاث العلمية .

ثانياً - ولكن ما هو سر تقدم العرب على الأمة المسيحية وهي ديانته كالمسلمين . .

ولم لم يتقدموا في المجالات العلمية مثل العرب . مع وجود الفرصة السانحة أمامهم كالعرب . بل ان فرصتهم كانت اكبر في أن يأخذوا التراث العظيم ويتطوروا به درجات في سلم الرقي ؟؟

هذا ما نحاول الاجابة عليه فيما يأتي :

سرتقدم العرب على المسيحية في الأبحاث العلمية :

ان الاجابة على هذا السؤال سهل ميسور انه يرجع - بادئ ذي بدىء - الى طبيعة الديانتين : الاسلام والمسيحية البوليسية . . انهما في خطين متوازيين :

الاسلام يوصي أصحابه بحلب العلم ويجعله فريضة عليهم . ويحتبر دراسة المخلوقات وعجائبها وسيلة التعرف على قدرة الخالق . . كقوله تعالى : * ولقد بينا الآيات لقوم يوقنون * (١)

وأما المسيحية البوليسية تعتبر كل من يدرس المخلوقات من الأغبياء
والحمقى - يقول بولس : " الم يصف الرب المعرفة الدنيوية
بالفباوة ؟؟ "

مفهومان مختلفان بل هما على طرفي التقيض ومتفصلان تماما ، حددا
بهذا ، طريق الاسلام للعلم والفكر عن طريق المسيحية

وبهذا اتسمت اليهودية يون الحضارة التي أسسها محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم والحضارة التي طمس بولس نورها وقضى قسطنطين
على البقية الباقية بينما كان المسلمون يحتبرون دراسة الكون شرحا
لقرآنهم ، نجد المسيحية تعتبرها تناقضا لا ناجيها .

ولا بد من إيضاح ذلك بالمثل :

وأما المسلمون يحكى عنهم مايلي :

" يحكى أنه كان يجلس ، ذات يوم ، فلكيان عربيان في ساحة
الجامع وأمامهما كتاب " المجسطي ⁽²⁷⁾ " مرت بهما جماعة من علماء
الدين فتوقفت مستفهمة عن النبع الذي منه يرتعون ؟ فأجاب
أحدهما : " اننا نقرأ شرح الآية التالية :

* أفلا ينظرون الى الأبل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت ... *

ويوضح ذلك أحد كبار فلكيي العرب (البتاني) في قوله : ⁽²⁸⁾

فان " علم النجوم هو يتوجب على كل امرئ أن يحلمه ، كما

يجب على المؤمن أن يلم بأمر الدين وقوانينه ... لأن علم الفلك

يوصل الى البرهان وحدة الله والى معرفة عظمته الهائله وحكمته

السامية وقوته الكبرى وكمال خلقه ..

هذا هو موقف المسلمين من دراسة الكون *

وأما موقف المسيحيين من الدراسة نفسها كالتالى :

قد رأينا قول القديس أن المصدر الوحيد لمعرفة الله هو

الكتاب المقدس وأما دراسة الكون كفر وضلال ...

والغريب أن يستمر هذا التفكير العقيم سائدا لا يتغير فيحدث

بمثل هذا فى القرن الثالث عشر ، القديس " توما الاكوينى (

(Toma EL-Akwiny) يقول : " ان المعرفة التى

لا دور سامية أجل قدرا من معرفة كبير موضوعها أمور حقيرة .

بعد هذه المقارنة اللطيفة نصل الى النتائج التالية :

(١) انه لا الرومان ولا الهنود ولا اليونان ، هم الذين قاموا فى تطوير

هذا العلم .. وانما كان من فخر المسلمين أن يفعلوا ذلك وحدهم .

(٢) بينما كان العرب يعتبرون دراسة الطبيعة شرحا لكتابين نجد

المسيحية الحقاء تستقدر معرفة الطبيعة .

(٣) فاعلم أوروبا الجاهلة ، أن مدنييتهم هذه ، لم يلا العرب لتأخرت

الى عدة قرون ولبدؤوا من حيث بدأ العرب ...

وقبل أن نختم هذا الفصل يحسن بنا أن ننبه القارئ الكريم الى فريسة

عظيمة اختلقها المسيحيون لأجل النيل من الاسلام عن طريق تلميح

المسلمين .

غريبة علىمة

ان هذه الفريضة / قد رفع لوائها المستشرقون في كل مكان يريدون بذلك أن يثبتوا للعالم أن المسلمين ما كانوا يحترمون العلم ولا العلماء ...
فما هي هذه الفريضة العظيمة اذن ؟

تزيوير لحقيقة تاريخية ...

ان الكنيسة لما كشفت أمرها امام الأنظار من أنها ضدد العلم وأن الاسلام هو دين العلم ، ادعت أن المسلمين - بقيادة عمرو (29) بن العاص - لما دخلوا الاسكندرية عام ٦٤٢ قد قاموا باحراق مكتبة الاسكندرية بصفه بربرية وحشية ...

نقول أنها فريضة لا أساس لها من الصحة ...

لأن التاريخ يخبرنا أن عمرو فاتح الاسكندرية هو نفسه عمرو الذي ضرب المثل بتسامحه طوال فتوحه ، وقد حرّم النهب والسلب والتخريب على جنوده وعمل ما كان غريباً عن فهم الشرقيين - القدماء والمسيحيين على السواء : لقد ضمن صراحة للمفلوبين حرية ممارسة شعائهم الدينية المتوارثة ..

ولم يكتف عمرو باصدار الأوامر لهذه المعاملة الطيبة بل عقد صلحاً معهم على تلك المعاني .. وكان هذا الاتفاق يشمل الرعايا المسيحيين كهنه ورهبانا وراهبات وهو ضمن لهم الحماية والأمن أينما كانوا حسب مشيقتهم .. وبالمثل يحق كنائسهم ومساجدهم وأماكنهم المقدسة وكذلك يحق من يزور تلك الأماكن من كل من يؤمن بالنبى عيسى ...

وهم يفعلون ذلك للتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم : لأنه

هو أول من كثر المسيحيين منبها أن يكون المسلمون كذلك معهم ..
واليك نص الأمان الذي تم الاتفاق عليه بين عمرو بن العاص وبين
أهل مصر الجديدة عند فتحها ، ونصه بعد البسلة : (١)

هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم
وملتهم وأموالهم وكنائسهم وبرهم وبحرهم .. لا يدخل عليهم شيء
من ذلك ولا ينتقص .. ولا تساكنتهم الثوبة .. وعلى أهل مصر أن
يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح ، وانتهت زيادة نهرهم
— خمسين ألف ألف وعليه ممن جنى نصرتهم ، فان أبى أحد
منهم أن يجيب رفع عنهم من الجزى بقدر ذلك ، ومن دخل في صلحهم :
من الروم والنوبة فله ما لهم وعليه ما عليهم .. ومن أبى واختار الذهاب
فهو آمن حتى يبلغ مأمنه أو يخرج من سلطاننا . وعليهم ما عليهم
أثلاثا في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم .

شرح على ما في هذا الكتاب : عهد الله ودمه ودمه رسوله ودمه
الخليفة أمير المؤمنين ودم المؤمنين .. وعلى النوبة الذين استجابوا
أن يمينوا بكذا وكذا رأسا ، وكذا فرسا على أن لا يغزوا ولا يمنموا
من تجارة صادرة ولا واردة ..

(٢)
شهد الزبير وعبد الله ومحمد أبناء .. وكتب وردان وحضر ..

(١) شمس العرب تسطع على الغرب ريفريد هونكه ص

(٢) راجع صبحي الأعشى ، قلقشندى ج ١٣ ص ٣٢٤

ان هذا النص لا يدع مجالاً للشك من أن الكذبة لا أساس لها
من الصحة .. فالمجد والتقديم العلى للأمة الإسلامية ، وأما
الحق والحققة للأمة المسيحية المحرفة ..

ولا تكفى بهذه العبارة القليلة في بيان حققة المسيحية
حتى نسندها بأدلة قاطعة :

ولقد ذهبت الحققة بالمسيحيين الى أبعد مدى حتى قدموا الى
احراق الكتب العلمية الثينة ، واعتبروا الحصار الاغريقية احسن
كسرى وعارا في جهنم الانسانية ...

وهذا الأب ايرونيموس (Hieronymus) يعلن بالتصريح
التالى :

" ان الفكر الاغريقى لعنة على البشرية ، وقال : لقد ترجم الانجيل
الى اللاتينية ليحترق عن الالهة ان ذكر (هوميروس) ..

ولم تكف الكنيسة بهذا التشنيع والتلطيخ بل قامت فعلا باحراق
جميع هذا التراث ... فلنخططف ما يلى من كتاب شمس العرب تسطع
على الغرب لبيان مدى هذه الحققة الفريده ..

" وكان أكبر دليل مؤلم على هذا التفكير الغربى أعمدة الدخان
والسنة الذهب التى اندلعت فوق الاسكندرية ، كنز المرفئة
الاغريقية على مر العصور ... والتى أصبحت حينذاك مركزا للكنيسة

(١) يراجع شمس العرب تسطع على الغرب تأليف يفريد هونكه ص ٣٧١

المسيحية الى جانب رومة • احمرت السماء بنيرانها فوق دلتا النيل ..

وحرقت نفائس ثمينة لا تموض من الشعر والآداب والفلسفة والتاريخ والحلم والثقافة الاغريقية .. حرقتها وأبادتها جموع من المسيحيين لمتصين .

وأضاف قائلا :

" وبهذه الطريقة فقدت البشرية جزءا هاما من ثقافتها لا يمكن تعويضه .. وهكذا اختفت مراكز الحضارة الاغريقية واحدا اثر واحد وأقفلت آخر مدرسة للفلسفة في (أثينا)⁽³⁵⁾ عام ٥٢٩ م وأحرقت في رومة عام ٦٠٠ م مكتبة البلاطين وهدم ما تبقى من آثار ابنية القدماء . "

وليس غريبا أن يصدر مثل هذه الفعلة الشنيعة من المسيحية وتد فعلت أشنع من ذلك : قد أحرقت جميع الكتب التي كانت تثبت عبودية للمسيح وشفق عنه الألوهية : وتمسكت بأربع كتب فقط التي وضعوا فيها ألوهية المسيح وبنوته ... تلك جزء من المأساة^{التي} جلبتها المسيحية الى الانسانية ومع ذلك أرادت أن تدفع هذه التهمة الى الاسلام العظيم الاسلام الذي يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويضع^{عنه} أمرهم والأفلال التي كانت عليهم ؟

(ثالثا) — من هدايا العرب موسوعات الطب الاسلاميه :

ان التاريخ يخبرنا أن أطباء المسلمين والعرب ، لم يقتصرُوا
بداً كان ساعداً من كتب طبيه للاغريق والفرس أو الهنود ، وإنما
ترسعوا في المباحث الطبيه كتومسحيم في بحوث الهندسة
والأجرام وسائر العلوم ووضعوا الكتب فيما قرأوه وترجموه فإذا هي
موسوعات تشمل جميع مختلف الفنون (١) .

ومن موسوعات الطب الاسلاميه ما لم يوضع له نظير في الضخامة
والتمحيص على قدر أسباب التمحيص في زمانه . وقد ترجمت كلها الى
اللاتينيه فنقلت هذه الصناعة بين أطباء أوربه من حال الى
حال . ولم يضارع مؤلفي العربيه فيها أحد من علماء الأوربيين
الى مطلع المصنوع الحديثه مع شغف الأوربيين أخيراً باداء
ملكه العلم للعلم . والهام الشرقيين بأنهم لا يطلبون العلم الا
للصناعة وأرباحهم (٢) .

ولكى نغند هذا الاتجاه الأوربي الماكروء كان علينا أن نذكر
بعض أمهات الكتب الطبيه الجامعه التي استلهمت منها دول
أوربا .

-
- (١) مرجع الذهب ومعادن الجواهر للمسعودي صنفه سنة ٩٤٧ م ونقحه سنة
٩٥٧ م وهي سنة وفاته في ٩ أجزاء طبعة باريس وطبعة القاهرة في ٤ أجزاء
(٢) راجع منهج البحث العلمي عند العرب في مجال العلم الطبيعى أو الكونيه
جلال محمد عبد الحميد موسى ص ١٤٤
(٣) عباس محمود العقاد : أثر العرب في الحضارة الأوربيه ص ٣٨ ط دار
دار المعارف بمصر ١٩٦٥ م

ومن هذه للكتب :

(أولا) - كتاب القانون " للشيخ الرئيس ابن سينا فقد اعتمدت عليه

جامعات أوروبا في تدريس الطب حتى منتصف القرن السادس عشر الميلادي وهو كتاب نال تقدير الأوربيين وغيرهم . ولا تزال موضوعات كثيرة مما تحدث عنها ابن سينا جديدة بالتقدير حتى الآن على الرغم من التقدم التكنولوجي " / ^{الذي} نميشه في هذا المصرو (١)

(ثانيا) - كتاب " الحاوي " لمحمد بن زكريا أبي بكر الرازي المتوفى

سنة ٣١١ هـ وهو كتاب في الطب الاكلتيكي ، والرازي هو الذي ابتدع علم التشخيص واستقصاء الدلالات والتمييز بين الأمراض المتشابهة . وهو الذي قدر التدوين في ذلك كله . (٢)

-
- (١) الفوز الصليبي والعالم الاسلامي على عبد الحميد محمود ص ٢٨٣ ط :
- دار الصناعة والنشر . القانون لابن سينا توجد منه طبعات شرقية كثيرة : اجودها طبعة بولاق سنة ١٨٢٧ م وفي الغرب طبعة روما سنة ١٥٩٣ م وهي تشتمل على النجاة أيضا وهو مختصر الشفا .
- راجع هامش كتاب المنهج البحث العلمي عند العرب السابق ص ١٤٤ .
- (٢) الحاوي :: أوسع كتب الرازي الطبية . وهو دائرة معارف ضخمة لا يمكن غجزم بعدد الأجزاء ومحتوياتها وتحتوي ترجمة اللاتينية التي قام بها اليهودي (فيرج بن سالم سنة ١٢٧٩) على ٦٥ جزءا ليس هناك اتفاقا أصلا بين الموضوعات والترتيب في مختلف المخطوطات ولا توجد طبعة حديثة له سوى الطبعة الوحيدة لحيدرآباد الدكن سنة (١٩٥٥ م) وقد تم حتى الآن نشر خمسة عشر جزءا

ولهما (أى ابن سينا والرازي) كتب كثيرة ولكن الكتابين —
المذكورين هما أشهر كتبهما •

(ثالثا) — كتاب "الخصريف لمن عجز عن التأليف" لخلف بن عباس الزهراوى •

المتوفى ٤٢٢ هـ • وهو كتاب ترجم الى اللاتينية • أفاد منه الأوربيون
في الطب وفي الجراحة فهو يذكر في كتابه الآلات جراحية من مثله
وهو يمدن بالرسم شكلها ويوضح طريقة استعمالها • وله كتاب
صورت لبعض هذه الآلات وسورها القارئ في غيرها •

(رابعا) — كتاب "الأدوية المفردة" لعبد الله بن أحمد البيطار •

المتوفى سنة ٦٤٦ هـ وقد أفاد الغربيون منه أكثر من ثمانمائة
عام العقاقير والأدوية المركبة والمفردة • وظل كتاب ابن
البيطار مرجعا للأوربيين حتى أواسط القرن الثامن عشر الميلادى •
(٣١)

(خامسا) — كتاب نظام المستشفيات "البيمارستانات" • وهو نظام

عرفه المسلمون ونقله عنهم الأوربيون • وقد عني البابوات وبعض
ملوك أوروبا بإقامة المستشفيات على نظام البيمارستانات المربية •

=== والحاوى بخلاف الجامع الحاصر لصناعة الطب والذى يشمل
على ١٢ مقالة • وقد ظن البيرونى أن الحارثى والجامع
واحد • نقلا عن كتاب منهج البحث العلمى • جلال محمد عبد الحميد
موسى ص ١٤٤ فى الهامش
راجع عرضا كتاب الغزو الصليبي •• والعالم الاسلاني • على عبد الحليم
محمود ص (٢٧٣ - ٢٧٤) •

وكذلك الحال في طبيعة الضوء وسرعته وانكساره . والذي كتب فيه ابن الهيثم قبل إبطاله من علماء أوروبا :

كذلك قاسوا محيط الأرض وسجلوا مبادر^(٣٢) الاعتدالين ، وقد رويوا حجوم الكواكب وما بينهما من مسافات قبل^(٣٣) جاليليو وكبلر وكوبرنيك^(٣٤) وأضافوا إلى المعارف الفلكية الشيء الكثير . وأضافوا : البناتي والفرغاني^(٣٥) والكندي^(٣٦) والخوارزمي^(٣٧) والصوفي وغيرهم .

وابتدع الخوارزمي استعمال الأرقام في الحساب بدلا من حساب الجمل الذي كان سائدا . واختار سلسلتين من الأرقام : الأولى ما يحرف بالأرقام الهندية (١ - ٢ - ٣) والثانية ما يحرف بالأرقام الفبائية أو العربية (١ - ٢ - ٣) وتستعمل الأولى في أغلب البلاد العربية ، والثانية في بلاد المغرب العربي وفي أوروبا^(١) . ولقد كانت لا تعرف (الصفر) في الحساب وإنما علمته من علمائنا والدليل على ذلك ما يأتي :

يقول المؤرخ للمدقق " كانتور " قائلا : " لقد امتدحنا^(٣٨) (ليوناردو) بعد أن قرأنا كتابه الأول . ولكننا في الواقع ، بعد قراءة تلى المخطوطات ، لا ندري بأي لغة تكلم له الشئاء . . ان الكلمات لتعجز عن إكرامه " .

(١) راجع شمس العرب تسطع على الغرب ، المستشرق زيفريد هونكه

وكتب ليوناردو الفصل الأول من كتابه (Liber Abaci) عن الأرقام العربية فقال : "ان الأرقام الهندية التسمية

هي : ١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ٨ - ٩

وبواسطتها جميعا ، علاوة على تلك العلامة ٠ التي تسمى الصفر العربي (١) . فانه يمكن كتابة أي عدد منها كما نرى .

ولا يمكن أن يحجب فضل لبن الهيسم والبيروني والكندى والفافقى (37) (38)
 (39) والبغدادى والقزوينى وابن مسكويه والجاحظ والخازن وجابر بن (40) (41) (42) (43) (44)
 حيان ، وابن النفيس (45) وابن البطار وداود الانطاكي والمقدسى (46) (47) (48)
 والبناني والفرغاني والادريسي وابن ماجد والدينوري والدميري (49) (50) (51)
 والصوفي وابن حمزة وابن يونس والرازي والجلدكي والخوارزمي (52)
 وموسى بن شاكر بل وابن سينا وابن رشد وعباس بن فر ناس (53) (54) (55)
 وغيرهم .

(١) المرجع السابق ص ٩٣

قد أخذ كلمة الصفر عن العرب ليوناردو وكتبه باللاتينية
 (Cephirum) وفي ايطاليا تحولت هذه الكلمة
 الى (Zefro) ثم الى (Zero) وفي فرنسا قال الناس
 (Chiffre) بمعنى الرقم القريب . وفي انكلترا الى
 (Cipher) ثم الى (Zero) وفي المانيا
 (Ziffern) + المرجع السابق ص ٩٣ .

وظلت مؤلفات هؤلاء كما قلنا سابقا - المراجع المعتمدة - في
جامعات أوروبا حتى القرن السابع عشر . واعترف عدد كبير من
مؤرخي العالم بفضليهم على العلم والانسانيه حتى قال قائلهم :
" انه لولا أعمال العلماء العرب لا ضطر علماء النهضة الأوربيه
أن يبدأوا من حيث بدأ هؤلاء ولتأخر سيرالمدنيه عدة قرون " .
وحتى قال آخر : " ان كثيرا من الآراء والنظريات العلميه
حسبناها من صنعنا فاذا العرب سبقونا اليها " (١) .
وظلت الأمة الاسلاميه والعربيه حاملة لواء النهضه
عدة قرون في وقت كانت أوروبا ما تزال غارقة في الظلام .
وكانت أدمغتهم محشوة بالخرافات والخزعبلات .

(١) راجع كتاب أثر العرب والاسلام في النهضة الأدبيه ص ٢٠٤ -

٢٠٦ تأليف د . عبد الحلیم منتصر .

La Traduction (رابعا) - الترجمة :

ان الترجمة حيث هي عامل حضارى • وهذه الترجمة هي العماد الثانى الذى قامت عليه الثقافه العربيه فى العهد الأموى والعباسى وما بعدهما ..

وقد ثبت تاريخيا أن الدولة الاسلاميه ، ما أن استقرت وامتد سلطانها من مشارق الصين شرقا الى مشارف فرنسا غربا حتى أخذ العلماء المسلمون ينهلون من موارد العلم بمختلف فروع وفنونه ، فأخذوا يترجمون الذخائر العلميه وينقلون الى اللغة العربيه علوم الاغريق والرومان والفرس والهنود .. ترجموا عن الاغريقيه والفارسيه والقبطيه والآراميه والهنديه .. ونقلت ألوف الكتب من المكتبات القديمه • وأقيمت دور الكتب والمكتبات • وفتح الخلفاء والأمراء قصورهم للعلم والعلماء ، وتنافس الخلفاء والحكام فى رعاية العلم والعلماء وسابقوا فى الانفاق وبسخاء على العلم والعلماء ...

واليك أمثله على ذلك :

(36)
قد قبل هارون الرشيد الجزية كتبا • كما دفع المأمون وزن ما ترجم ذهبيا وأنشئت الجامعات فى جميع أقطار العالم الاسلامى :

وكان جامع المنصور فى بغداد

والجامع الأموى فى دمشق

والجامع الأزهرى	فى القاهرة
وجامع القيروان	بتونس
وجامع القرويين	بفاس
وجامع قرطبة	بالأندلس
والجامع الكبير	بصنعاء
وبيوت الحكماء	فى بغداد أيضا
ودار الحكماء	فى القاهرة أيضا

وكانت جميعها بمثابة معاهد العلم فى أرقى صور، وكان
 من رعايته الخلفاء والحكام من أمثال المأمون ونظام الملك وغيرهم
 الذين زكى والحاكم بأمر الله وصالح الدين الأيوبي^(٥٦) من يرضون
 معنى القيمة من حيث رعاية العلم والعلماء ...

وقد خصص أبناء موسى بن شاكر الثلاثة ربع أملاكهم
 للخدمة للترجمة وجمع الكتب فغربوا بذلك المال لغيرهم
 أمثال الطبيب قسطا بن لوقا البعلبكي .

ولقد أضاف المسلمون والعرب كثيرا من الآراء والنظريات التى نسبت إلى
 غيرهم فمثلا " ابن مسكويه^(٥٧) وأخوان الصفا وابن خلدون^(٥٨) قد تكلموا فى
 التطور وأكن نسبوه لآلى داروين .

وتحدثوا فى الجاذبية والربط بين السرعة والثقل والمسافة وان
 نسب كل ذلك إلى نيوتن^(٦٠) .

وتحدثوا فى أثر البيئة على الأحياء قبل (لامارك)^(٦١) . وشرح ابن
 النيسابور^(٦٢) الصغرى قبل (هارفى) ببضعة قرون^(٦٣) .

كلمات عربية في اللهجات الأوربية

تتميز للفائدة نود هنا أن نشير الى بعض الكلمات العربية
قد استعملها الأوربيون أيام كانوا يتلقون دروسهم من الجامعات
الإسلامية ... واليك بعض ذلك :

(Café) بالفرنسية : هي (القهوة) التي تشرب
(Sofa) هي كلمة (صفة) العربية
التي تعني المقعد المظلل في جوار جامع • وما يقابلها في سائر اللغات
يدل في الغالب على مقعد طويل ذي خشبة في موضع الجلوس •
(Tass) بالفرنسية : هي (الطاس أو الكاسة) •
(Sucre) بالفرنسية و (Sugar) بالانكليزية
(Zugar) بالألمانية ، أي السكر وقد انتقلت هذه الكلمة
لضرورتها في التغذية الى معظم لغات العالم •

(Limonade) : اداة نسبة : (Ade) ،
وعلى ذلك تكون الكلمة منسوبة الى الليمون • من كلمة ليمون الذي
اشتهرت • وقد أخذ الأوربيون هذا الاسم عن العرب فبقى مستعملاً
عندهم الى هذا اليوم ••

(Alkohl) هو الكحل أو الكحول : والكلمة عربية
كما ترى وقد استعارها الأوربيون في حاجتهم العلمية •
(Banane) هو الموز • ونحن نعرف أن الموز يشبه
البنان أي الأصبع • فقلنا : بنان الموز • فجاء الأوربيون ، وأخذوا

الكلمة الأولى أى البنان واستعملوا عن الثالث ، أى المسوز وهكذا

صارت (Banane) تعنى الموز .

(Cotton) القطن : مأخوذ من العربية كما هو

واضح .

(Chiffon) الشفاف : وقد استعملت هذه الكلمة

فى اللغة الفرنسية فيما بعد بمعنى الخرقه أو المحاء من القماش

(Atlas) الأطلس مأخوذة من العربية .

(Divan) الديوان : هذه الكلمة وأمثالها تدل

على مقعد طويل ذى حشايا أو نحوها فى موضع الجلوس وهى

بالفرنسية (Arroz) وكذلك فى الانجليزية ويقال فى

الروسى أيضا .

(Arroz) الأرز بالاسبانية وبالبرتغالية (Arroz)

وبالفرنسية (Riz) .

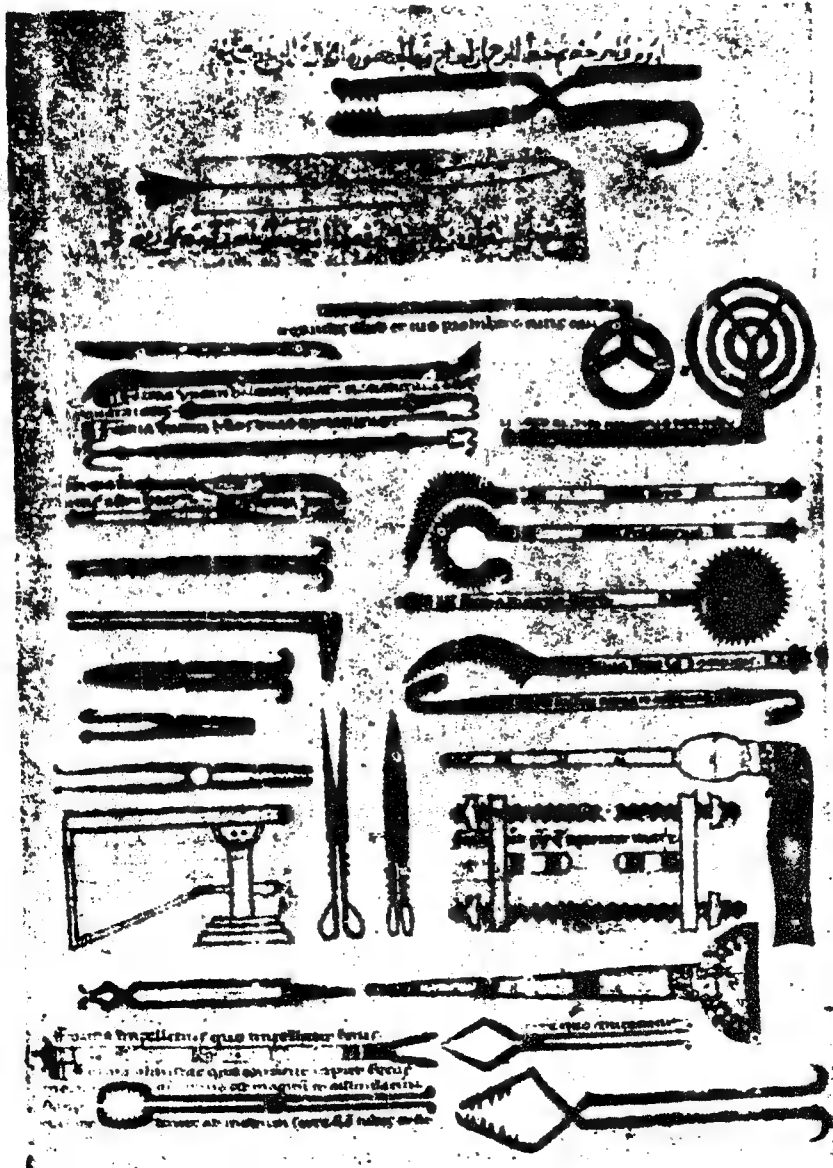
تكفى بهذا القدر للاثبات أن المدنية الأوربية - رغم نكران

أهلها الجميل - مستمدة من الحضارة الاسلاميه .

وأكبر دليل هذه المفردات التى بقيت فى لغاتهم الأوربية

بدون تفسير لتكون شاهدا عليهم . .

والى الجزء الثانى من هذا الفصل .



ادوات جراحية عربية

كان ابو القاسم الزهراوي من ألع جراحي العرب وأعظمهم فضلا وقد نقل للأطباء الغربيين صور الادوات الجراحية العربية .

عن كتابي "المرآة العربية" تسلي^{٥٧١} على الغرب، تأليف الدكتور
ريفرند، ونكدها ألمانيا، ص: ٥٧١

ساعة عربية فنية



ساعة عربية فنية

رسم قديم لأحدى الساعات الفنية (حوالي عام ١٢٠٠ م) يظهر فيه
بوضوح عالم الحيوان المتحرك والشخصيات المتنقلة من صقور تغذف الحلقات
في دعام معدني محدثة صوتاً إيقاعياً جميلاً . إلى عازفين على آلات موسيقية
مختلفة ...

- ٥٦٧ -

في هذا الكتاب خمس الحروب تسلل على الغرب ، تأليف
الدكتور ر. ر. ر. ونكهة الألمانية من ٥٦٧



صيدلية عربية
 صيدلية عربية كما جاءت مخطوطة بالعربية لابن سينا

المرجح السابق من



طراز البناء العربي

- انتقل الطراز العربي في بناء المقود المنحنية الى اوربة وتطور حتى اصبح عنصراً هاماً في فن البناء القوطي (Gotik) ، الصور من اليمين :
- ١ - تمثل لنا جانباً من هذه المقود في جامع ابن طولون بالقاهرة .
 - ٢ - قبة موندريال بالقرب من بالرمو في النصف الاول من القرن الثاني عشر .
 - ٣ - قبة « بيزا » وقد بدى . تشييدها عام ١٠٦٣ اي بعد الاستيلاء على « بالرمو » .
 - ٤ - كنيسة دير فونتناي Fontenay وقد بوشر في بنائها عام ١١٣٠ . ونرى الطراز العربي في بناء المقود المنحنية ، حتى في طراز الابواب ، كما يظهر في الرسم .



المرجح السابق مرة ٨ ٥٧

الصراع في تاريخ الفكر الأوربي

ان المتأمل في التاريخ الأوربي ، منذ القرن الرابع عشر
الى الآن ، يجد أن العقليه الأوربيه شهدت صراعا فكريا جمادا
واتجاهات عقليه مختلفه . فكل ذلك يدور حول شيء واحد
وهو : أي شيء يصلح أن يكون مصدرا للمعرفه اليقينييه ؟ هل هو
الدين أو العقل أو الحس . فكان الصراع دائما يدور حول هذه
الأشياء الثلاث في أوربا . واليك تفاصيل ما أجمل :

أولا - سياده الدين (١)

كان الدين أو النص سائدا طوال القرون الوسطى في توجيه
الانسان سواء في سلوكه وتنظيم جماعته ، أو في فهمه للطبيعه .
وكان يقصد بالدين " المسيحيه " . وكان يراد بالمسيحيه ، الكائنه
وكانت الكائنه تعبيرا عن " البابويه " . (٢)

" والبابويه نظام كنسي ركز " الساطه المائمه " باسم
الدين في يد البابا ، وقصر حق تفسير " الكتاب المقدس " على

(١) مقائده المفكرين ، عباس محمود المقاد ، ص ٣٤ ط : دار الكتاب
المريسي .

(٢) الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستثمار الغربي ، د . محمد البهي
ص ٣١٩ ط / السادسه

البابا وأعضاء مجلسه من الطبقة الروحية الكبرى - وجمال عقيدة التثليث عقيدة أصيلة في المسيحية كما جعل الامتياز بالخطأ " وصكوك الففران " من رسم العبادة وغير ذلك مما يتصل بالكاثوليكية كذهب وكنظفام لاوتس .

واستمر الحال كذلك حتى كان القرن الخامس عشر هـ وحتى ابتدأت الحروب الصليبية ⁽⁶²⁾ (٣) ثمر ثمرتها الإيجابية في المواجهة الأوروبية .
فقام مارتين لوثر ^(٤) (Luther) وكافح تعاليم الشيطان كما سماها . فحارب صكوك الففران - كما سيأتي بيان ذلك - وألقى الأضواء على عقيدة (التثليث) كما حارب سلطة البابا - وجعل السلطة الوحيدة هي " الكتاب المقدس " وكلمة الله " النفس " وطلب بالحرية في بحث الكتاب . . .

-
- (١) مقارنة الأديان د . شلي ج ٣ المسيحية ص ٢١٢
 - (٢) محاضرات في النصرانية الشيخ أبوزهرة ص ٢٠٢ ط : الخامسة
 - (٣) راجع كتاب التاريخ الأوربي الحديث د . عبد الحميد بطريق د . عبد العزيز نوار ص : ط ١٩٢١ م
 - (٤) ترجمة مارتين لوثر : (١٤٨٣ - ١٥٤٦ م) زعيم الإصلاح البروتستانتي نال شهادة أستاذ في الحام من جامعة ايرفورت ١٥٠٥ م وبدأ يدرس القانون ثم تحول عنه ودخل ديراً للرهبان وحرّم لوثر رسمها صكوك الففران ١٥٢١ م . ومأله العشاء الرباني وتزج ١٥٢٥ م بأحدى التراجم .

وجاء بعد لوثر - في طريقه - (كلفن) (Calvin) (١)

وبين الذين الثورتين تعرضت الكنيسة للجدل الفكري وأصبحت موضوعا للنقاش العقلي والمذاهب الفلسفية وحتى عصر جديد وهو : عصر سيادة العقل الذي زحزح العقائد المسيحية عن قلب كثير من اللاسفة وغيرهم .

ثانيا - سيادة العقل :

استمر اعتبار الوحي كمرجع أفضل للمعرفة ، حتى النصف الثاني من القرن الثامن عشر وهو عصر التنوير في تاريخ الفلسفة الأوروبية وسعى أيضا (عصر الانسانية) وكذلك سعى عصر () أي عصر الايمان الفلسفي باله ليس له وحي وليس بخالق للعالم .
فالتنوير - اذن لا يقصد به الا ابعاد الدين عن مجال التوجيه واحلال العقل محله (٢) . فوضعوا بعض المؤلفات للتدليل على سذاجة أصول الدين وزعموا أن اصوله من أوهام الجماعات الأولية ، واكثروا من الخط من كرامة الدين في كل فرصة سنحت لهم حتى افضت هذه الحال الى نفور مستعم من الأديان ، والى انتشار الاتحاد بين كثير

(١) ترجمة (كلفن * هجون : (١٥٠٩ - ١٥٦٤ م) لاهوتي فرنسي بروتستانتي من رجال الاصلاح ولد في مدينة (تويون) وكان ضليحا في اللاهوت والقانون . ثم تحول (١٥٣٣ م) الى البروتستانت .

(٢) الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي د . محمد البهي

من الطبقات وما زال ينتشر حتى اعتبروا التمسك بالدين دليلا على الجليل ...

ولنمط القارئ مثلا ما كان يهاجم به الدين في ظلال حريضة

الفكر في عصر التنوير • تنقل ما جاء في دائرة معارف لا روس القرن

الـ عشر تحت كلمة "دين" في كسلا من من من الدين :

" ان قلنا أن الذوق الانساني يقتضي احتفاء الأسماء التي يكون

تعلقها بطولون : لا لا لا ! ثم يحاربون اذلال هذا العقل الانساني

الذي يرمى لنفسه حق التمييز بين الخير والشر ويحكم بالعدل

والنظم حتى اذا تم تعمية عين العقل وتفشيت باصرة

البصيرة ، ... الى حد أن تعتبر المعجزات أمورا عادية ،

وان تتوهم الأبيض أسود ، وأن تعد الرذيلة فضيلة ، يحسد

الدين فهيب بالناس الى الطاعة •

فان سألتهم تطيع من ؟ أنطيمر عقولنا ، أم واجباتنا

الطبيعية أم احساساتنا القلبية ؟

أنطيمر القوانين المقيدة للانسانيه ، والتي تنتج من تأمل

القدمية نفسها • أجابوك لا ، ولكن أطع وأنت أعني ... " (١)

(١) راجع روح الدين الاسلامي : مؤلف عبد الفتاح طبّار ص ٢٠٢

ومن فلاسفة هذا العصر :

أولا - في (ألمانيا) (ولف) : (Christian Wolff)

و (السنج) : (Lessing)

ثانيا - في إنجلترا : (لوك) (١) (John Locke)

ثالثا - في فرنسا (فولتير) (٤) (Voltaire)

و (بايل) (piere Bayle)

و (لامتريين) (Lamettrien)

هؤلاء هم أشهر الفلاسفة الذين أسسوا هذه المدرسة العقلانية .

(١) لوك جون (١٦٣٢-١٧٠٤م) فيلسوف إنجليزي ، تعلم في أكسفورد وحاضر

بها ثم ألف كتابه المشهور في العقل البشري فلذا عرف في أوروبا كلها بأنه

نصير الحرية . راجع الموسوعة العربية الميسرة ص ١٥٧٨ .

(٤) (فولتير) فرانسوا (١٦٩٤-١٧٧٨) فيلسوف ومفكر فرنسي ، نشأ في

باريس وتعلم في كلية لويس الأكبر اليوسوعية اتهم باهانة الوطني

فيليب الثاني فموقب بالسجن في الباستيل احد عشر شهرا وكان حر الفكر

في الدين لذا رفض رجال الدين أن يدفنوه في باريس حسب الطقوس

المسيحية ولكن نقل جثمانه (١٧٩١) ودفن في مقبرة المظلماء

"البانشون" جمعت آثاره في سبعين مجلدا .

ولكن يجب أن نشير هنا الى نقطة هامة وهي :

ان ديكارت الفيلسوف الفرنسي (١٥٩٦-١٦٥٠) (١) هو الذي أرسى قواعد الفلسفة العقلانية ، المعروف بصاحب المذهب الاستنباطي (٢) الا أن هذا المذهب في جملته فكر مادي . وكانت أول عبارة نادى بها هي " العقل أعدل الأشياء " قسمه بين الناس " (٣) .

أما (جون لوك) السالف الذكر فقد خطا خطوة أبعد من ديكارت بأن طالب باخضاع الوحي للعقل عند التعارض قائلا : (من استبعد العقل ليفسح للوحي مجالا فقد أطفأ نور كليهما وكان مثله كمثل من يقنع انسانا بأن يفقأ عينيه ويستعوض عنهما بنور خافت يتلقاه بواسطة المرقب من نجم سحيق .. (٤))

ديكارت : (١٥٩٦-١٦٥٠) م واسمه رني ديكارت ■ ولد بلا هي من أعمال مقاطعة تورين بفرنسا . دخل في أول حياته مدرسة (لافاليس) للأباء اليسوعيين التي يخلب عليها الطابع الفلسفي ثم غادرها بعد ثماني سنوات ■ وبعد أربع سنوات أخرى نال الاجازة في القانون - بعدها تطوع للخدمة في جيش الأمير موريس ناسو بهولانده خليفة فرنسا على اسبانيا ثم عدل عن المهنة العسكرية للعمل في معالجة المسائل الطبيحيية بالطريقة الرياضية وتجربتها من المبادئ الفلسفية ■

(١) راجع تاريخ الفلسفة الحديثه ليوسف كرم ص ٥٦

(٢) راجع أساليب النزول الفكري د - علي محمد جريشه ومحمد شريف

ز نبق ص ٨

(٣) تاريخ الفلسفة الحديثه ليوسف كرم ص ٥٦

(٤) انظر المشكله الاخلاقيه والفلسفيه

ورسالة في اللاهوت والسياسة لسبينوزا ترجمة حنفي ص ١٢٢-١٣٣

كما دعا إلى تطبيق مبدأ جديد على الحياة الأوروبية آنذاك
هو مبدأ التسامح الديني وطمأنه الحق أن الإنسان في أن يعتقد
بشيء ويكر ما يشاء من الأديان والمذاهب .

على أن نقد هؤلاء الداع لم يصل بهم إلى إنكار الوعي والوجدان
لما فيه بصراحة كما أنه ظل خائفاً أبداً بطبيعته من
الكون والخلق الأثمل أمام ضغوط المجتمع التي كان يخشع
لها خوفاً من كيانهِ وتأييداً عزيزاً عليه .

الآن نختار من أعماله من أجل هذا التمثيل أهم :

البرهان الألماني فيشته (١) (Fichte) :
وهيجل (٢)

ألا أن فيشته يختلف عن هيجل لأنه يذهب إلى مساواة الله في ذاته

(١) ترجمة فيشته : يوهان جوتليب (١٧٦٢ - ١٨١٤) : فاشيولوزوم
"عاشي ألماني شغف بالفلسفة " انتسبه " لحكيم بالألمانية ففساد
(بينا) حيث كان يشتغل بالسياسة . وبفضل كتابه خطب إلى
الشعب الألماني صار زعيماً قومياً . استدل فيشته على وجود إرادة
إخلاقية للكون . هي بمثابة " الله " .

(٢) ترجمة هيجل : جورج ويلهلم فريديك : (١٧٧٠ - ١٨٣١) فيلسوف
ألماني . بسط مذهبه في مؤلفات أهمها " علم المنطق " و " موسوعة
المعلم الفلسفي " وكتب في الأخلاق والتاريخ والدين . فلسفته مثالية
مقتضى " مؤداها أن للكون روحاً تتدرج في مراحل تطوره حينها
المنطق الجدلي . وحصله أن فكرة تولد نفسها . ومن خلال التناقضين
تنتج فكرة جديدة ثم تولد فكرة جديدة ثم تأخذ الفكرة الجديدة نفس
المرحل الثلاث المذكورة وهكذا . " فكرة الوجود تولد فكرة المعدم
ومن تألفيها تنتج الصيرورة . " الموسوعة المبريدة المبررة ص ٩٤ (١)

مطلقه على كل شيء آخر سواء • حتى على الدين والوحى
بينما هيجل يميل الى سيادة العقل فحسب على الطبيعة • مع
العلم ان كلا منهما أخذ مبدأ النقيض لفلسفته العقلانية • المبدأ
الذى اعتمد عليه كارل ماركس فى تأسيس الشيوعيه أو الاشتراكيه •

ثالثا - سيادة الحس :

انتهى عصر التنوير بانتهاء القرن الثامن عشر تقريبا • وابتدأ عصر
آخر من عصور الفكر الأوربي بظهور فجر القرن التاسع عشر • وموضوع
الصراع العقلى عند الأوربيين واحد لم يختلف عن ذى قبل - هو
الدين والعقل والحس أو الطبيعة •

ولكن تميز القرن التاسع عشر بفلسفة معينة • لأن اتجاه
التفكير مال فيه الى سيادة الطبيعة على الدين والعقل معا • والى
استقلال " الواقع " كمصدر للمعرفة اليقينية مقابل الدين
والعقل •

تميز القرن التاسع عشر بأنه (عصر الوضعية ")
(positive) و " الوضعية " والغايه الأولى
للمذهب الفلسفى الوضعى هى معارضة الكنيسة وبالتالى :
معارضة معرفتها • ومن باب التغطية عارض هذا المذهب
باسم (العلم) (١) وليضع • مكان الكنيسة ديناً جديداً • هو

(١) راجع الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى محمد البهى

دين الانسانيه الكبرى ويقوم هذا الدين على (عبادته) و (طقوس)
كما تقوم المسيحيه وله قداسة واحترام في نفوس تابعيه على نحو
ما لكتاكته .

وأما الأساس الخاص لهذه السیاده ، سياده الحس هو إعلان
صريح لسياده الطبيعه على حساب الايمان والعقل . . انهم
طريق المعرفة اليقيني ، وهي التي تنقش الحقيقه في عقول
الانسان .

وفي نظر هذه السیاده : ان المعلومات التي تلتقي من وراء
الطبيعه خداع ومكر . وقد ابرنا في هذا البحث أن لينين
قال :

" اننا ننكر بشده جميع هذه الأسس الأخلاقية التي صدرت
من طاقات وراء الطبيعه غير الانسان والتي لا تتفق مع أفكارنا .
ونؤكد أن كل هذا مكر وخداع " (١)

هكذا رأينا أن الفكر الأوربي قد مر بهذه الأدوار الثلاثه
التي هي :

سياده الدين

سياده العقل

سياده الحس (١)

(١) عقائد المفكرين ، المقاد ، ص ٣٥

ويلاحظ هنا شيء * يحسن الوقوف عنده قليلا : وهو أن
 الايمان بالمقل والايمان بالعلم الحديث ليسا شيئا واحدا كما يلوح
 من النظرة العاجلة * لأن الناس آمنوا بالمقل وحسبوا أنهم يفهمون
 به كل شيء * من طريق المنطق والقياس ومن طريق القضايا والبراهين *
 فلما اختلطت عليهم الأمور وقصر بهم العقل دون الحكم بالمحسوسات فضلا
 عن المفاهيم - تحولوا الى التجربة الحسية ووقفوا عليها جهود
 العلم الحديث * فلا علم بغير سند من الحس والتجريب * *

فالهم - في القرن العشرين - أين تسير الحضارة الغربية بهيئ
 هذه الشكوك التي بدأت بالشك في الدين ثم مضت أشواطاً بعد
 أشواط تارة مع المقل وتارة مع العلم الحديث * فلا شك
 أن دعوى العقل قد تواضعت في أوائل القرن التاسع عشر وتواضعت
 دعوى العلم في أوائل القرن العشرين * وكاد العلماء - الآن - أن
 يتفقوا على أن التفسير والتحليل فوق طاقة العلم ولا سيما
 تفسير الغايات والأصول *

بناء هذا المذهب الوضعي

يذكر التاريخ أن من بناء هذا المذهب الوضعي ، (أوجست كومت) (١) الذي تحدثنا ^{عنه} أولاً في بحث قانون الدور الثلاثية ، فهو يقول هنا : " يجب أن يحل (العلم الواقعي) محل اللاهوت .
ثانياً (فريخ) (٢) هو الفيلسوف الألماني الذي يعتبر بحق همزة وصل بين هيجل وكارل ماركس فهو يرى أن علم الإنسان هو الدين . والدين إذن محصول للعقل الإنساني وليس موحى به من خارج الإنسان .
والطبيعة الإلهية كذلك هي طبيعته الإنسان نفسه (قبحه الله) .

-
- (١) أوجست كومت (١٧٦٨ - ١٨٥٧)م فيلسوف فرنسي مؤسس الفلسفة الوضعية التي ترفض الميتافيزيقا ، وتعتمد على نتائج العلم الطبيعي الحديث هدفه الأساسي هو إصلاح المجتمع ليحيا الناس في توافق وانسجام .
ومذهبه مبسوط في كتابه " محاضرات في الفلسفة الوضعية " وفيه يبين المراحل الثلاثة التي اجتازها الفكر في تطوره (١) اللاهوتية التي تحلل الأشياء بقوى خارقة (٢) الميتافيزيقية التي تحلل الأشياء بمبادئ مجردة (٣) الوضعية التي تحلل الأشياء بالمشاهدة . .
(٢) والتجارب تأييد للفروض وتتفاوت العلم بساطا وتركيبيا . فأبسطها الرياضه فالفلك فالفيزيقية فالكيميا فعلم الاجتماع وكل يعتمد على سابقه والاجتماع يعتمد عليها جميعا ، وكلها في خدمته . .
الموسوعة العربية الميسرة ص ١٧ ١٥

وثالثا (ماركس) (١) (Marx)

ان هذا الفيلسوف هو الذي أثر تأثيرا كبيرا في انتشار البحث الطبيعي الواقعي على الميغيزيقا . وعلى طريقة التفكير الخاصة بعصر التنوير في القرن التاسع عشر .

(١) (كارل ماركس) ولد في عام ١٨١٨ في بلدة ترير في ألمانيا حيث

تغلغل النفوذ الفرنسي وبسط جذوره اكثر ما تغلغل في اي جزء آخر من ألمانيا .

وقد انحدر من سلسلة طويلة من الحاخامات اليهود ، ولكن والده كان محاميا ، وعندما بلغ ماركس السادسة من العمر ، اعتنقت أسرته المسيحية ونشأ هو برتستانتيا ، ولكنه لم يلبث ان تغلى عنه ، وكان لانحداره من أسرة الحاخامات اليهودية أهمية كبيرة لسببين :

انه استمد منها روح السلطة التي تميز بها . . . وانه تأثر بشخصية المسيح المخلص وهي العقيدة التي تلعب دورا هاما في الفكر اليهودي (واليهود يعتقدون ان المسيح لم يظهر بعد وانما سوف يظهر) ولم يكن التفكير اليهودي في يوم ما تفكيريا في العالم الآخر ، وانما يصر على واجب إقامة عهد سلامه وسعاده في العالم الحالي . وهكذا لم يكن من محض الصدفة ان يكون كثيرون من زعماء الشيوعية من ايام ماركس الى الان من اليهود (انظر كاريو هنت ، الشيوعية نظريا وعمليا ص ١٧) . . . درس كارل ماكس فلسفي

=====

=== الجامعات الألمانية حتى حصل على درجته دكتوراه في الفلسفة ولم يستطع أن ينال عملاً بالجامعة بسبب اتجاهاته الديمقراطية ، التي كانت تمتد نظراً آنذاك ، فلجأ إلى الصحافة ليحمل بها ، وأصبح محرراً بمجلة (الرين) بكولونيا ، لكن حكومة (بروسيا) ضاقت ذرعاً بمقالاته وأوقفت صدور هذه المجلة ، وعلى اثر ذلك انتقل ماركس إلى باريس حيث تقابل مع مجموعة من المفكرين الذين شغلوا أنفسهم بنشكلات المجتمع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية واشتبك معهم في نضال عنيف إذ كانت آراؤه بعيدة عن اتجاهاته ، فلما تقابل مع (فريدريك) أنجلس أدرك الاثنان أن افكارهما متقاربة ، فساراً مما طيلة حياتهما ، وأربطت باسمهما (الاشتراكية العلمية) وكان لكارل ماركس نصب السبق ، ولكن أنجلس أتم بعد وفاة (ماركس) أيضا اتجاهات هذا الرائد فكان أنجلس بذلك امتداد الحياة ماركس . (راجع احمد شلبي ، الاشتراكية ص ١١٧) .

وقد حفل العقد الخامس من القرن التاسع عشر باضطرابات بالغة حتى سعى عام الثورات ، وقد ناضل الأحرار القوميون في سبيل الديمقراطية والاستقلال وكانت ثورة فرنسا من أبرزها . وقد كان من أسباب الثورات المثالية وقتئذ التعطل وانخفاض الأجور وسوء حالة العمال مع كثرة ساعات العمل .

وحدث أن تكونت جميعه سريره دوليه سميت باسم (عصبة

(المدول) وبحلول عام (١٨٤٨) م بثوراته واضطراباته أعلنت هذه الجمعية عن اهدافها وطلبت من ماركس وأنجلس ان يكتبيا بياناً يحمل صيغة اهدافهما فاستجاب ماركس وأنجلس لذلك وأصدرا البيان الشيوعي . . وبعد ان انهارت ثورة ١٨٤٨ م انتقل ماركس الى لندن عام ١٨٤٩ م ليقضى بقية حياته في عمل متواضع يكسب به عيشه ككاتب في صحيفة (نيويورك تريبيون) في حين كان صديقه أنجلس -

وكان ابن رجل انكليزي ثرى - يسدد نفقات صديقه (ماركس) بما يقدمه له من مساعدات . . وبعد لجوئه الى لندن دون كتبه الكبرى وهي (نقد الاقتصاد السياسي ١٨٥٩ م) ونداء الطبقات العاملة في اوربا عام ١٨٦٤ م) وكتابه الاشهر (رأس المال ١٨٦٧ م) فأسس الدولة الاشتراكية الاولى سنة ١٨٦٦ م التي ظلت قائمة الى ١٨٧٠ م و مات سنة ١٨٨٣ م

وآراء مع انجلز (١) (Enclos) تعتبر دستورا للماركسية فيما سمي
بالاشتراكية الجماعية او ما يسمى بالشيوعية او البلشفية .

وهذا المذهب الشيوعي (١) ينبني على الاسس التالية :

(١) الصراع بين الطبقات :

وماركس له جدل (Dialektik) ، ومنطق استخدم

(١) معظم اعضاء المجلس الشيوعي الذي يحكم روسيا الان سنة ١٩٥١
من اليهود الصرحاء . فالاعضاء ١٧ هم : ستالين رئيس المجلس ،
وكاجانوفيتش نائبه ، ثم بيريا ، وفيرشيلوف ومولوتوف ، وشفرنيك ،
وكيرتشينسنين ، وجوركين ، و (الياير همبرج) وديفنسكي
وهينسبرج وميخاليس ، وقرصين ، وجودي ، ولوزوفسكي ، وكافتانوف
وبيترليفنتسكي وهو "لا" يهود صرحاء الا ثلاثة منهم : ستالين
وفيرشيلوف ومولوتوف ولكن زوجات الثلاثة يهوديات . والحركة
الشيوعية حركة يهودية . فمؤسسها يهودي (كارل ماركس)
لقد نجح الشيوعيون اليهود اخيرا في النفوذ الى الصين على
ايدى وكلائهم من الصينيين وغيرهم . وشرعوا يسيطون سلطانهم علانية
بالعنف والخديعة على آسيا ، الى جانب ما استحوذوا عليه من

=====

فيه (النقيض) الذي عرف للفيلسوفيين الالمانيين (فرشته و هيرجل)
ولكنه استخدمه في مجال اخر غير مجال التصوير الذهني الذي كان عند
(فرشته) وغير (مجال الفكر) الذي كان عند هيرجل . ان استخدمه
في مجال الاقتصاد . واستند في هذا الاستخدام الى طريق الجملة .

=== من الاقطار الاوربية ولا يوجد قطري في العالم ام تتسبب الى
الشيوعية اليهودية مستغلة ضيق الناس وشرهم وجملتهم . وشيرة
عسدهم وبغضهم على من هم اعلى منهم ، هذا الى ما يصعب
في الحكومات والشركات وغيرها ممن لا يعملون باسم الشيوعية تظاهرا
وليسوا مع ذلك الا صنائع في الحكومات والشركات وغيرها ممن
لا يعملون باسم الشيوعية ظاهرا . وليسوا مع ذلك الا منافقون
منفذون لا غراض صهيون . وفي ذلك ما يدل على انهم يريدون
تسخير الصين وامريكا كما هو حاصل . وتسخير اليابان ايضا
ضد اوربا عند الضرورة وهذا شيء لم يكن في حساب سياسي
قط منذ خمسين سنة الا حكما صهيون .
(راجع بروتوكولات حكما صهيون الترجمة العربية محمد خليفة

آخر حتى لا طاقة للإنسان التخلص منه أبدا .^(١)

(١) نظره عن الشيوعيه : فيى مذهب يقضى أن يمتلك الناس الأشياء شيوعا ، ويعملون فيها معا دون اختصاصي أحد بشيء معين . وقد دعا الى هذا المذهب كثير من المثيوسيين المناهدين منهم " مزدك " الذى ظهر فى فارس قبل الاسلام سنة ٤٨٢ م . وكان شيوعيه النساء على شيوعيه الأموال واعتبر ذلك ديننا ، فتبعه كثير من السفهاء حتى كاد يذهب بالدولة ، ولكن الملك قياد ، كاد يستأصله هو وأتباعه فى مذبحة عامه سنة ٥٢٣ م . كما دعا الى هذا المذهب القرامطة أيام دواع المياسيين وفتنوا كثيرا من الخلق وارتكبوا كثيرا من الشنع البشعة فى جنوبى العراق وما والاها حيث قامت دولتهم نحو سنة ٨٩٠ م الى أوائل القرن الحادى عشر . كما دعا اليه الشيوعيون فى العصر الحديث ورأس مذهبهم (كارل ماركس) اليهودى . وقد تمكن بلاشفتيم اليسيرود من وضع روسيا تحت هذا النظام . وأكرهوها بالعنف على هذه الفكرة الخاطئة ولا يزالون يتخبطون فى تطبيقها هناك متحدرين من خيبة الى خيبة ، مع تكثيم من الحكم المطلق فيها / سنة ١٩١٧ م وهم يحلزون الرأسمالية الفرديه . ولكن الشعب هناك فى يدى الحاكم المطلق الذى يملك المال والأرباح . فيجمع بين استبداد المال واستبداد الحكم مما .

راجع الفكر الاسلامى الحديث حياته بالاستعمار الغربى ، د . محمد البهي
راجع البروتوكولات ص ١٨٦ فى الهامش

نقول ان هذه الحتميات لا أساس لها من الصحة ، فلذا لا نحتاج الى وقوف طويل معها . فوجود العالم الاسلامي ينقض هذه الحتميات لأنه آمن بإمكانية إقامة المجتمع وعلاقته الاقتصادية والسياسية على أساس إيماني بقطع النظر عما طرأ على المجتمع من تغيير في شروطه المادية والمادية خلال أربعة عشر قرناً .
وبإجماع المؤرخين : ان الاسلام لم يمر قط في هذه الحتميات المزعومة .

ولما اتضح ذلك للماركسيين تراجعوا عن غطرستهم فقال أنجلز :
" ان الظروف التي ينتج البشر تحت ظلها ، تختلف بين قطر وآخر ، وتختلف في القطر الواحد من جيل لآخر . لذا فليس من الممكن أن يكون للأقطار كافة وللاؤدوار التاريخية جمعاء اقتصاد سياسي واحد " (١) .

وهكذا فشلت المادية التاريخية في أداء مهمتها العلمية المزعومة وثبت لدى التحليل أنها لا تعبّر عن القوانين الصارمة الأبدية للمجتمعات البشرية . فمن الطبيعي اذاً أن تنهار الماركسية المذهبية التي تركز على هذه الفكرة المتطرفة . . .

(١) راجع ضد دوهرنك : ج ٢ ص ٥ نقلاً عن كتاب اقتصادنا محمد

(ثانيا) الدين مخدر :

هذا هو الأساس الثاني الذي تقوم عليه الشيوعية الماركسية .

ولكارل ماركس (نظريته ماديته ، وهو لا ينكر (العقل) كـ...
يفكره المذهب الميكانيكي ولكنه لا يدعي فحسب أن المادة توجد قبل أن
تغيره العقل بل يدعي أيضا أن المادة أكثر تأثيرا من العقل
المثل . إذ العقل متوقف على المادة أكثر من وجوده ولا يمكن
أن يوجد منفصلا عنها ونتجبه ذلك :

أن (ماركس) لا ينكر فقط أن يبقى العقل أو الروح بعد الجسد
بل يرفض الفكره الأساسية في الدين وهي الايمان بالله كوجود
أزلي مستقل تماما ومتجرد تماما عن المادة

والحقيقه واضحه في الماركسيه : كل دين بالنسبه لماركس من
حيث المبدأ لمنه . . . وماركس يحدثنا أن كل دين مخدر
للشعب : (١) وهذا نصه :

" ان البؤس الديني ، لهو التعبير عن البؤس الواقعي ، والاحتياج
على هذا البؤس الواقعي في وقت معا . الدين زفره الكائن العقل بالآلم ،
ورج عالم لم تبق فيه روح ، وفكر عالم لم يبق فيه فكر ، انه أفهون
الشعب " . (٢)

(١) الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي د . محمد البهي ص :

(٢) كارل ماركس ص ١٦-١٧

نقلا عن كتاب اقتصادنا ، محمد باقر الصدر ص ٨٤ .

اذن فنقد القدين هو الخطوه الأولى لنقد هذا الوادى الفارق

فى الديموج •

" بالنسبه الينا فى ميدان التاريخ ان الماديه القديمه لا تصدق

مع ذاتها لأنها تعتبر القوى المثاليه المحركه فى التاريخ علـا

نبيائيه وذلك بدلا من البحث عما وراءها أى البحث عن القوى

المحركه الفعليه • الكامنه وراء هذه القوى المحركه ويبعدو التفاتهم

لا فى الاعتراف بهذه القوى المثاليه فحسب • بل فى عدم دواضع

البحث وراء هذه القوى ، حتى يمكن ازاحه الستار على الملل المحركه^(١)

هذا هو المقصود عند ماركس وأتباعه من التفسير المادى للتاريخ

الذى هو عبارة عن تحليل للحوادث التاريخيه ، بواسطه تطهير

مبادئ البحث الجدلى القائم على مبدأ النقيض •

(ثالثا) - المذهب المادى التاريخى •

ان التفسير المادى للتاريخ • من أهم المزايا الماديه الحديثه ،

اذ لا يمكن بدونه اعطاء التاريخ تفسيرا صحيحا ، يتجاوب مع

الماديه الفلسفيه ويتسق مع المفهوم المادى للحياه الانسانيه

والكون •

(١) راجع كتاب التفسير الاشتراكى للتاريخ ص ٢٥ •

وما دام التفسير المادى للتاريخ صادقا فى رأى الماركسيه - على
الوجود بصورة عامه ، فوجب أن يصدق بالنسبه الى التاريخ ، لأن
التاريخ ليس الا جانبا من جوانب الوجود العام . (١)

" وعلى هذا الأساس - تمسك الماركسيه على ماديته القرن الثامن
عشر ، ومقصدها من تفسير التاريخ . لأن ماديته القرن الثامن عشر
المركانيكه ، ولم يتوفق الى هذا الكشف المادى الجبار فى الحقبه
التاريخيه " .

بل كانت مثاليه فى مفاهيمها عن التاريخ ، بالرغم من احتوائها
الماديه فى المجال الكونى العام .

ولماذا كانت فى مفهومها التاريخيه مثاليه ، كانت كذلك فى
رأى الماركسيه لأنها آمنت بالأفكار والمحتويات الروحانيه للانسانيه ،
ومحتدتها دورا رئيسيا فى التاريخ . ولم تستطع خلال العلاقات الاجتماعيه
التي كانت تعيشها ، أن تتخطى هذه المراحل المثاليه ، الى السبب
الأعمق ، الى القوى الماديه للتاريخ . ولم يحالفها التوفيق فى
وضع تصميم على ، لماديه تاريخيه تتجاوب مع الماديه الكونيه .
وانما ظلت تتعلق بالتفسيرات المثاليه السطحيه التي تدرس السطح
التاريخى ولا تنفذ الى الأعماق . (٢) .

(١) راجع لودفيج فيورباخ ص ١٠٣ - ١٠٥

راجع كتاب اقتصادنا - محمد باقر الصدر ص : ٣١

(٢) راجع التفسير الاشتراكي للتاريخ : ص ٥٢

(رابعاً) الماركسيه كنظام سياسي للجماعه :

وهذا الأساس الرابع الذي يعتمد عليه الماركسيون في توطيد
أركان الشيوعيه .

(66)

أن النظام الشيوعي ليس فيه مكان لأكثر من حزب واحد هو
الحزب الشيوعي والاشتراكيه . يجب أن تحل محل الرأسماليه :
(67) وكل الصناعات والمزارع ومصادر الثروه الطبيعيه والخدمات . يجب
أن تملكها الدوله وتشرف عليها .

وهذه الجماعه الجديده الاشتراكيه أو الشيوعيه . تبرز للوجود
عن طريق الكفاح بين الطبقات كنتجه لحرب أوضفط ، ويسقط النظام
القديم السابق عليها ، وتنشأ دكتاتوريه من العمال . . .

أن المرحله الاشتراكيه أو الشيوعيه تتلخص معالمها الرئيسيه
وأركانها الأساسيه فيما يلي :

(69)

أولاً - محو الطبقييه وتصفيه حسابها نهائيا بخلق المجتمع اللاتبقي .
ثانياً - استلام البروليتاريه للأداء السياسيه بإنشاء حكومه "دكتاتوريه"
(70)

قادره على تحقيق الرساله التاريخيه للمجتمع الاشتراكي .
ثالثاً - تأميم مصادر الثروه ووسائل الانتاج الرأسماليه في البلاد وهي
الوسائل التي يستثمرها مالكيها عن طريق العمل المأجور -
واعتبارها ملكاً للمجموع .

رابعاً - قيام التوزيع على قاعده : (من كل حسب طاقته ولكل حسب عمله)
(1)

هذا هو المذهب الماركسي بكلتا مرحلتيه • الاشتراكية والشيوعية
وقد رأينا من خلال هذا الاستعراض السريع أنه يستهدف دائماً
لإزالة فكره التديّن أو فكره وجود خالق لهذا الوجود
إنه الحاد لا مثيل له في التاريخ البشري •

وهذه هي أوروبا الحديثة قد رأينا كيف بدأت ومن أين
أشياء النهضة العلمية وأخيراً وقفنا على الأدوار الثلاثة التي
مرت بها •

وكما رأينا أن عصر سيادة الحسن يدي أنه أفضل العصر
التي مضت على أوروبا لنكرانه للدين ورفضه كل قيم وكسب
أخلاق • هذا أن دل على شيء فأنما يدل أن هذا الاتجاه
الحاد عرفته البشرية من لدن آدم إلى أيامنا هذه •

ولكى تتضح أماننا هذه القضية يجب علينا أن نستعين بشهادة
التاريخ ابتداءً من العصر اليوناني والعصر الروماني وكذلك العصر
الجاهلي وأخيراً العصر الكنسي • لنرى أن هذا الاتجاه فريسي
في نوعه وأشكاله •

(١) الحاد فريد في التاريخ الانساني :

ان الاحاد الذى نعتيه هنا ، هو انكار وجود الله - سبحانه - انكارا كاملا ، وهو المذهب السائد اليوم - فى اوربا أولا وفى اقطار كثيره من " " . (١)

فهذا النوع من الاحاد لم يسبق له نظير فيما سلف من الزمان (٢) . لان الاحاد قد يوجد على انه عوج فكرى او خلل نفسى او انحراف فردى او جهل مؤقت او غفلة عامه على اسوأ الاحوال . .

اما الاحاد الاحمر الحديث ، فهو ثوره على الايمان ، تبغى قذاح ابره ، واجتراح ادله .

هو ثوره تتحقق وراء اسباب اقتصاديه خطيره ، وتستلزم بعضيه قويه من المادامه المحتاجين والمظلمين . .

ان هذا الاحاد ، ليس شبيهه - شأن الاحادات الماضيه - توشك ان تاحقها الأدله فتتلاشى ، لا ! انه الواقع . وغيره الباطل . .
انه الجدير بالحياه ، وغيره الجدير بالفناء . . انه الجد وغيره الغزال . .
انه الرأى الاول والاخير فى نظام الانسانيه . ولا مكان لرأى اخر أبدا . .

(١) راجع كتاب كيف نحارب الاحاد ، محمد احمد باشميه ص ٥ الطبعة الاولى

الاولى ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م .

(٢) راجع كتاب الاسلام فى وجه الزحف الاحمر محمد الفزالى ص ٤٨ منشورات

المكتبه المصريه راجع ايضا كتاب حوار مع الشيوعيين فى اقبية السجون

عبد الحليم خفاجى ص ٦٩ وما بعدها .

فقد ادعى اصحاب هذا الالحاد الفريد • انه لا يوجد لهذا الموجد

خالق •• بل يقولون بان كل ما في الوجود ازلي صادر عن "المادة"

والنواميس الطبيعية نشأت على سبيل الصدفة والاتفاق وبلغت ما بلغت

من الكمال والاتفاق عن طريق التطورات المتعاقبة وان الانسان نتيجه

التطورات الحيوانية •• وقد سرت تعاليم الماديين الى بعض الناس فعدوا

واحدوا ايضا - فلما سمعنا انهم قد عرفوا سر الحياه • اى كيف نشأت الحياه

فيقولون : " ان الحياه بدأت خليه بسيطه او مجموعه خلايا • ثم بدأ التكاثف

يحمل عمله والتطور يحمل عمله بدون اى تدخل خارجى • حتى وصلت

الحياه الى ما وصلت (٤) •

ان هذا الكلام ليس من عندنا وانما يقوله عميد مذهب التطور (تشارلز داروين)

في كتابه أصل الانواع • وهذا نصه :

" لا يمر بي خليه من الشك في ان ما اقطع • كما قطع به الطبيعيون

من القبل بان كل نوع من الانواع قد " خلق " مستقلا بذاته (خطأ محض) •

وانى املى تمام الاعتقاد بان الانواع دائمه التحول وان الانواع التى تاحق

بما نسميه الاجناس اصطلاحا • هى اعقاب متسلسله عن انواع طواها الانقراض على

نفس الطريقه التى نعتبر بها الضروب التابعه لآى نوع • أعقابا متسلسله عن

ذلك النوع ذاته •••

(١) راجع روح الدين الاسلامى • عفيف عبد الفتاح طباره ص ٨٥ الطبعة التاسعه

(٢) راجع ايضا كتاب من ازمه المصير • محمد محمد حسين ص ٨ الناشر بعكاظ

للطباعة والنشر ••

(٣) راجع كتاب هل نحن مسلمون • محمد قطب ص /

(٤) العلم يدعو الى الايمان : تاليف ا • كرسى موريسون ص ٩٣ •

ثم قال وهو ينبغي تدخل الله في الخلق :

" واني فوق ذلك لشديد الاقتناع بالانتخاب الطبيعي هو السبب الاكبر
والصحيح الاقوى لحدوث التحولات .. " (١) هكذا يدعون ..

وبعضهم يقول ان الدين تفسير زائف للوقائع التاريخية .. والبعض الاخر يقول :
" ان الدين اكبر خدعه في التاريخ وأما كارل ماركس الملحد العاتي يقول :
" الدين افهون الشعوب " (٢) .

ويشبهه بعضهم برجل يكتب شيكا لا رصيد له في المصرف .. ومعنى
ذلك ان علماء الدين صاغوا عبارات وليس وراءها حقائق علمية . فعبارته " وجود
الله " — على حد زعمهم — ليس لها اي اساس علمي .. (٢)

الجدير بالذكر ان الملاحده المعاصرين اتخذوا العلم الحديث لتوطيد
اركان الحادهم — والعلم يرى منه ..

وحينما نعود عوده سريعه الى اشهر علومهم ستجدهم قد بذلوا
كل جهودهم فيها لتفنيد فكره وجود الله . واتجهت هذه العلوم كلها
نحو هذه الفكره اتجاه الابر المغناطيسي نحو القطب الشمالي : واليـك
نموذجاً من هذه الموافقات المجهيه على الالحاد ..

(١) اصل الانواع ، تاليف دارون ص ١٢٢ ترجمه : اسماعيل مظهر ، مكتبة
النهرضة ببيروت — بغداد .

(٢) التفسير الاسلاني للتاريخ .. الدكتور عماد الدين خليل ص ٦٣ ، راجع
الدين تاليف وحيد الدين ص ١٩ .

أولا : (علم الفلك) : L'Astronomie

في مطلع القرن التاسع عشر وجه نابليون بونابرت (١٨٠٨ - ١٨٢١)
سؤالا الى علامه الفلك في زمانه " لا بلاس " (١) عن عمل القدره
الالهيه في تنظيم الافلاك السماويه ، وكان لتوجيه هذا السؤال الى (لا بلاس)
(سبب خاص وهو ظهور كتابه عن علم الحركه العلميه)
" او الميكانيكا السماويه ، وفيه شرح حركه الفلك ويطبقها بالقوانين الالهيه
كما يدل اسم الكتاب ، فقال علامه الفلك مجيبا سائله الكبير الذي كان يقول
في الدين بمثل قوله : " اننى لم اجد فى نظام السماء ضروره للقول بتدبير
اله . (١)

ومضى القرن التاسع عشر الى نهايته والرأى الغالب فيه بين المشتغلين
بالعلم والمؤمنين به هو هذا الرأى الذى تحدث به لا بلاس الى نابليون : ان
العلم كاف كل الكفايه لتفسير جميع الاسرار الكونيه .

كتب السرجيس فتزجيس ستيفن فى سنه ١٨٨٤ (٢) فصلا يحتبر
يومئذ مثالا للرأى العلميه فى تلك الفتره تختطف منه مايلى :

" اذا كانت الحياه الانسانيه فى نشأتها قد استوفى العلم وصفها فلست
ارى بعد ذلك ماده باقيه للدين ، اذ ما هى فائدته وما هى الحاجه اليه ،

(١) لا بلاس ، بيسيمون : ١٧٤٩ - ١٨٢٧ فلكى فرنسى ورياضى ، ساهم
فى علوم مختلفه وكان استادا فى الرياضيات بالمدرسه الحريمه فى باريس . بحث
فى تغيير حركات القمر . الموسوعه ص ١٥٣٥ .

(٢) (سهرجيس) ١٨٧٧ - ١٩٤٦ عالم رياضيات فى مسائل الطبيعه والفك . راجع
المرجع السابق ص ٦٨٢ .

انتا نستطيع ان نسلك سبيلنا بغيره وان تكن وجهه النظر التي يفتحها العلم لنا لا تعطينا ما نعبده فهي كفيه ان تعطينا كثيرا ما نستمتع به ونتمناه .. نحن قادرون على ان نعيش عيشه حسنه بغير الديانه . وان اقمناها على اصول غير هذه الاصول قلما تخالف في لبابها اصول العيش التي يديس بها نفسه كل ذي اخلاق . (١)

انقضى القرن التاسع عشر وهذا هو الراى الغالب على اصحاب الراى فيه ممن يؤمنون بالعلم الحديث ويتوقعون له القدره على الاعطاء في المستقبل بما بمجهولات الغيب التي لم يحط بها في ذلك الحين ..

ثانيا . (علم النفس) : *Sycologie*

ها هو علم النفس يزعمه (فرويد) يدعى ان العقل الانساني مركب من شيئين : هما . (الشعور) وهو مركز الافكار التي تخطر على قلوبنا في ظرف عادية ... و (اللاشعور) : وهو مخزن الافكار التي مرت بنا ونسيناها ، ولا تظهر الا في احوال غير عادية ، كالجنون والهستيريا وهذا القسم الثاني اكبر بكثير من الاول ..

اكتشف فرويد بعد جهد طويل ان اللاشعور ، قد يقبل افكارا فسي

(١) راجع الموسوعة للمقاد .

(٢) (فرويد) سيجموند : ١٨٥٦ - ١٩٣٩ م طبيب نمساوي مؤسس مدرسة

التحليل النفسي . اشترك مع جوزيف برويد في علاج الهستيريا بالنوم ، واثارت نظريته في تطور الفريزه الجنسيه منذ الطفوله وفي عقد اوديب . وله عدة كتب . وكان لنظريته اعمق الاثار في الدراسات النفسيه والاجتماعيه ، وفي التربيه والفن والادب . راجع الموسوعة العربيه الميسره ص (١٢٩٧ م) .

العاقولة وتؤدي الى اعمال غير عقلية ، وهذا ما يحدث بالنسبة الى العقائد الدينية . فان فكره الجحيم والجنه ترجع الى صدى الاماني التي تنشأ لدى الانسان ابان طفولته ولكن لم تسمح له الفرصه لتحقيقها ، فبقى دفينه في (الاشمور) ثم يفرض الاشمور بدوره حياه اخرى يتسربل^{فيها} للحصول ماكان يتمناه ، شأن الرجل الذي لا يظفر بما يحب في الواقع فيحصله في المنام . (١)

ثالثا : (علم مقارنة الاديان) : Comparison Des Religions

واما علم مقارنة الاديان ، يقول اصحابه : ان القضايا الدينية وجدت لاسباب تاريخيه احاطت بالانسان فلم يكن في استطاعته ان يفلت من السيهول والاعاصير والطوفانات والزلازل والامراض " فأوجد قوه فرضيه " يستغنيها لتنقذه من البالياء النازله . وهكذا ظهره الحاجه الى شيء يجتمع الناس حوله ، ولا يتفرون فاستغل اسم (الاله) الذي تفوق قوته قوه الانسان ويهين اليه الجميع الى رضاه . (٢)

هذه النظرية التي سموها : (بالمذاهب الكونية او الطبيعية) اشهر مقرري هذه النظرية هو العالم الالماني (ماكس ملر) (Max Muller) في كتابه عن الاساطير المقارنه (Compative Mythology) . (٣)

(١) الاسلام يتحدى . وحيد الدين خان ص ٣٦ الطبعة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م

راجع ايضا كتاب علم النفس د . فاخر عاقل ص ٢١

(٢) الدين - د . محمد عبدالله دراز ص ١١٤ وراجع ايضا كتاب علم النفس

الحديث الدكتور سارجنت ص ٥٣

(٣) راجع الدين - د . محمد عبدالله دراز ص ١٠٧

وأما المذهب التقدمي ، أو التصاعدي :

(Evolutionnisme progressisic Ascendent)

الذي ساد أوروبا في القرن التاسع عشر ، في أكثر من فروع من فروع العلم ، وحاول تطبيقه على تاريخ الأديان عدد من العلماء منهم سبنسر (1) (Spencer) وتيلور (2) (Tylor) وفريزر (3) (Frazer) ودوركايم (4) (Durkheim) وغيرهم ، وإن اختلفت وجهات نظرهم في تحديد صورته العبادة الأولى وموضوعها إلا أنهم اتفقوا على أن التدين بدأ في صورته الخرافة والوثنية ، وإن الإنسان أخذ يترقى في دينه على مدى الأجيال حتى وصل إلى الكمال فيه بالتوحيد ، كما تدج نحو الكمال في علومه وصناعاته ، حتى زعم بعضهم أن عقيدته " الإله الواحد " عقيدته جنسية بحتة ، وأنها وليده عقله خاصة بالجنس السامي .. (5)

(1) سبنسر هيرت (1820 - 1903) فيلسوف إنجليزي ، درس الهندسة ثم تحول إلى دراسة العلوم الطبيعية وعلم النفس . يرى أن الفلسفة هي حصر المعرفة في مبدأ التطور ووافق تطبيقه على جميع الظواهر حتى لقب " فيلسوف التطور " راجع الموسوعة العربية الميسرة ص :

(2) تيلور إدوارد : 1908 - عالم بالفيزياء النووية أمريكي ، ولد ببرنغاريو وتلقى علومه بليبز قدم 1935 إلى الولايات المتحدة ، ثم حصل على الجنسية الأمريكية 1941 (الموسوعة ص 572)

(3) فريزر ، سير جيمس جورج : 1854 - 1941 أنثروبولوجي اسكتلندي معروف بكتابه (الإلهام النقص الذهني ١٢ مجلد وهو دراسة في السحر والدين ومن كتبه الطوطمية والزواج بغير ذي القربى 1910م

(4) دوركايم ، إميل 1858 - 1917 رائد علماء الاجتماع الفرنسيين بعد " كونت " وله عدة كتب منها : تقسيم العمل في المجتمع 1893 وقواعد المنهاج الاجتماعي 1895 والانتحار 1897 والأشكال الأولية للحياة الدينية 1912 ..

(5) المرجع السابق ٨١٦ وانظر أيضا الجفوة المفتعلة بين العلم والدين . محمد علي

philosophie

رابعاً : (الفلسفه العقلانيه) :

تلخص الفكره الالهيه بين الفلاسفه العقلانيين بتلخيص الاراء التي ردها
اشهر مفكرينهم الى مطلع القرن العشرين • وكفينا منهم ثلاثة هم :
(نيتشه) (هارتمان) (وشبنجلر) وهم الذين ترووا في مسائل ما بعد
الطبيعه رايًا مستقلاً لا يحسب شرحاً من شرح الكلاسيك او البروتستانتيه • ولا
يحسب حاشيه على مقاييس المنطق ومعايير العلم •

" فمئذ نيتشه ١٨٤٤ - ١٩٠٠ ان الله (قد مات) * كبرت كلمه
تخرج من افواههم ان يقولون الا كذباً * وان الشجاعه الغم ما يلزم النفس من
حقيقه - او عقيدته - في عالم خلا من الله " •

-
- (١) نيتشه فردريك فلهلم ١٨٤٤ - ١٩٠٠ فيلسوف الماني مات عنه ابوه
صغيراً • فربته امه على التقوى فلا ثقلت تقواه ثوره عقليه • كان استاذاً
لاصول الفقه في بال (١٨٦٩) وتأثر بفلسفه شونبير وصادق فاجنر ثم
خرج طبيبها وعلى سائر اصدقائه بعد اصابته باضطرابات عصبيه • ومريض في
عنه فترك التدريس ووافق ينتقل مستشفى • ولكنه يجهد نفسه حتى انتهى
به الامر الى مرض خطير • الموسوعه ص ١٨٦٤ •
- (٢) ادوارد فون هارتمان : ١٨٤٢ - ١٩٠٦ فيلسوف الماني الف كتاب (فلسفه
الوعي) ويقصد باللاوعي : القسور المهيمنه التي تسيطر الكون • سواء اكانت
كائنات ذرات او عضويات او الحالم بأسره • وهو متشائم ان لا سبيل الى
السعاده الا بالتحرر من السعاده • راجع المرجع السابق ص ١٨٧٨ •
- (٣) شبنجلر ١٨٨٠ - ١٩٣٦ راجع الموسوعه لعباس محمود الحقاد ج ١ ص ٢٩٦ •

وعند ادوارد فون هارتمان " ان الله ليس بذات وانه غير شاعر بنفسه "
 أو صاحب " أنا " تتشخص في كيان

وليس الله في رأى شبنجلر الا " اراده " على طائفة الالمان المحدثين
 في ترويج الارادة على الذكر * يقول : " ان الله بالنسبة اليها - الله الذي هو
 صفة العالم - والذي هو القوة الكونية * والذي ينفك عن فناء العالم -
 فناء المرجح القائم بالخيال " .

خامسا : (علم الاجتماع) : La Sociologie

يرى دوركايم في كتابه قواعد المنهج في علم الاجتماع ، ان الدين ليس
 فطريا في الانسان ولا الاخلاق فلا يسلح اذن ان نأخذ قواعد الدين
 دستور المجتمع ولندعه يصرح بنفسه (١) في اسطورة العقل الجمعي :

" ومن هذا القبيل ان بعض هؤلاء الممراء يقلل بجهل طائفة دينية
 فطريه لدى الانسان ، وان هذا الاخير مزود بحد أدنى من الفخيرة الجنسية
 والمير بوالوالدين وحبه الابناء ، وغير ذلك من الصياطف ، وقد اراد بمشروعه
 تفسير نشأة كل من الدين والزواج والاسره على هذا النحو ، ولكن التاريخ يوقفنا
 على ان هذه النزعات ليست فطريه في الانسان " (٢) .

(١) راجع التطور والثبات في حياة البشرية ، محمد قطب ص ٥٢ .

(٢) راجع قواعد المنهج في علم الاجتماع تأليف لوميل دوركايم ، ترجمه محمود قاسم

ومراجعه الدكتور السيد محمد بدوي - مقدمه الطبعة الثانية ص ١٦٥ .

وحيث أنه فانه يمكن القول ببناء على الرأي السالف بانه لا وجود لتفاصيل القواعد القانونية والخلقيه في ذاتها ، اذا صح هذا التعبير ..

ومن ثم فليس من الممكن ، تبعا لهذا الرأي ، ان تصبح مجموعه القواعد الخائيه التي لا وجود لها في ذاتها موضحا لعلم الاخلاق .. (١)

واضح في هذا التصريح :

ان الدين ليس شيئا فطريا . وكذلك الزواج والاسره والقواعد الخائيه لا وجود لها في ذاتها .

اننا لا نناقش دور كايما هنا ولا غيره ممن سبق ذكرهم ، انما اردنا هنا فقط ان نثبت ان هذا الالحاد الحديث لا مثل له في التاريخ الانساني وستأتي مناقشتهم في حينها ان شاء الله تعالى .

سادسا : (كلمه دائره المعارف الانسانيه) :

يقول محرر دائره معارف الملوم الانسانيه الاجتماعيه تحت اسم الدين :
" وبجانب المؤثرات الاخرى التي ساعدت في خلق الدين ، فان اسهام الاحوال السياسيه والمدنيه عظيم جدا في هذا المجال .

ان الاسماء الالهيه وصفاتها خرجت من الاصول التي تسود على ظهر الارض .. فمفهوم كوه الاله " الملك الاكبر " صورته اخرى للملكيه الارضيه . وكان الملك الارضي القاضي الاكبر ، فاصبح الاله يحمل هذه الصفات ، ولقب " بالقاضي الاكبر الاخير " الذي يجازى الانسان على الخير والشر من اعماله . وهذه العقيدة القضائيه التي تؤمن بكون الاله محاسبا ومجازيا لا توجد

في اليهودية فحسب ، وإنما لها مقامها الاساسي في المقائد الدينية ،
المسيحية والاسلامية " (١) .

" لقد خلق الحقل الانساني الدين ، واتم خلقه في حاله جهل الانسان
وعجزه عن مواجهه القوه الخارجيه "

ويضيف جوليات هكسلى الى هذا قوله :

" فالدين نتيجته لتعامل خاص بين الانسان وبيئته " (٢)

ويقول أيضا :

" ان هذه البيئه قد فات اوانها او كاد ، وقد كانت هي المسئوله عن هذا
التعامل فأما بعد فنائها وانتهاء التعامل معها فلا داعي للدين " .
ويضيف : " لقد انتهت العقيدة الالهيه الى اخر نقطه تفيدنا . وهي
لا تستطيع ان تقبل الان ايه تطورت ، لقد اخترع الانسان قوه وراء الطبيعه لتحمل
عبء الدين . جاء بالسحر ، ثم بالمحليات الروحيه ، ثم بالعقيدة الالهيه حتى اخترع
فكره (الاله الواحد) . وقد وصل الدين بهذه التطورات الى اخر مراحل حياته .
ولا شك ان هذه المقائد كانت في وقت ما جزءا مفيدا من حضارتنا بيد ان هذه
الاجزاء قد فقدت اليوم ضرورتها ، ومدى افادتها للمجتمع المحاضر المتطور " (٣)

Encyclopaedia of Sciences, 1957 Vol, 13, ^{p. 233} (١)

Man in The Modern World, p. 130. (٢)

(٣) راجع كتاب الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص ٣٨ - ٣٩ .

سابقا : (علم الاقتصاد والشيوعيه) : Communisme

يقول (لينين) في خطاب له القاه في المؤتمرات الثالث لمنظمه الشباب

الشيوعي في أكتوبر سنه ١٩٢٠ م .

" اننا لا نؤمن بالله ، ونحن نعترف كل المصروفه ان ارباب الكنيسه والاقطاعيين والبورجوازيين لا يخاطبوننا باسم الاله استغلالا ، ومحافظا على مصالحهم اننا ننكر بشده جميع هذه الاسس الاخلاقيه التي صدرت عن ذاقات وراء الطبقيه غير الانسان ، والتي لا تتفق مع افكارنا الطبقيه ، ونؤكد ان كل هذا مكر وخداع وهو ستر على عقول الفلاحين والعمال . لصالح الاستثمار والاقطاع ، ونعلن ان نظامنا لا يتبع الاثمه النضال البروليتاري . " ونعلن ان نظامنا الاخلاقي . هو الحفاظ على الجهود ، الطبقيه البروليتاريه " (٢) .

وهكذا ترى الفلسفه الشيوعيه ان الدين (خدعه تاريخيه) وهي تركيز الاسباب في عوامل اقتصاديه ، لانها تنظر الى التاريخ في ضوء الاقتصاد ، وهو تاريخ البحث عن الطعام . بل هي ترى ان العوامل التاريخيه التي خلقت الدين

Linin, Selected works Moscow (١) راجع كتاب : 1947 Vol. 11 P. 667

راجع كتاب الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص ٤٠ وراجع ايضا كتاب الاسلام والشيوعيه . وزاره الاوقاف الاداره العامه للدعوه ص : ٢٢ .

(٢) البروليتاريه هي الطبقة الكادحه من العمال والفلاحين .

هى النظام البورجوازى الاستعمارى القديم • وهذا النظام القديم يلقى اليوم صفته • فلندع الدين ايضا يذهب معه •

وفى عام ١٩٤٩ م جاءت التعليمات الرسميه للحزب الشيوعى الى المملصين فى جميع انحاء الاتحاد السوفييتى ما نصه :

" ان المعلم الذى يؤتمن على تعليم النشء لا يمكنه ولا يجب ان يكون محايدا فى موقفه من الدين •• ان عليه ان لا يتخلص من الايمان فحسب بل ان يقوم بدور ايجابى فى الدعوه الى عدم الايمان بوجود الله وان يكون داعيا متحمسا الى الالحاد " (١)

يقول ستالين عام ١٩٢٧ : لا يستطيع الحزب ان يقف من الدين موقف الحياد •• ان الحزب يشن حملته دعائيه ضد اى انحياز للدين ، لان الحزب يؤتمن من المعلم بينما المعلم يتعارض مع الانحياز للدين • لان الدين كله شىء مناوى للمعلم " (٢)

وفى عام ١٩٢٨ جاء فى برنامج المؤتمر السادس الدولى ما نصه :

" الحزب ضد الدين — افهون الشعب — تشغل مكانا هاما بين عمال الثورة الثقافيه • ويلزم ان تستمر هذه الحرب باصرار وبطريقه منظمه •• وحكومته العمال تعترف بحريه الضمير ولكنها فى نفس الوقت تستعمل كل الوسائل التى تملكها للقيام بدعايه ضد الدين • وتنظم التريبيه على اساس التصور المادى للدنيا " (٣) •

(١) مقال للدكتور احمد بدران الوارد فى الاخبار بتاريخ ١٣/١/١٩٧٤م

(٢) حقيقه الشيوعيه لا مبن شاكر • وسعيد الصريان • وعلى ادهم : عن كتاب

الاسلام والشيوعيه ص ٢٦

(٣) حقيقه الشيوعيه السابق ص ١٩١

ويقول لوناشاريكي وزير التعليم في حكومة السوفييت " وهو يهودى " .
 " نحن نكره المسيحية والمسيحيين " وحتى احسن المسيحيين خلقا نعدّه شر
 اعدائنا وهم يبشرون بحب الجيران ، والمحطف والرحمة وهذا يخالف مبادئنا
 والحب المسيحي عقبه فى سبيل تقدم الثورة فلهسقط حيننا لجيراننا .
 فان ما نريده هو الكراهيه .
 والمداوه وحينئذ نستطيع (١)
 غزو العالم " .

ولا جل ذلك كله يقول البيان الشيوعى (La Manifestation-
 Communiste)

" ان الدثوثور والاخلاق والدين كلها خدعه البورجوازيه وهى تتستر وراءها
 من اجل مطامعها " (٢) .

يقول فيلسوف الشيوعيه انجلز :

" ان كل القيم الاخلاقيه هى فى تحليلها الاخير من خلق الظروف الاقتصاديه "

فالتاريخ الانسانى هو تاريخ حروب الطبقات التى امتص فيها البورجوازيين دماء

الفقراء . وقد كانت الغايه من وضع الدين والاسس الاخلاقيه حمايه حقوق

البورجوازيين . هذا هو ملخص آراء الشيوعيين .

(١) الاسلام والشيوعيه تاليف محمد عرفه ص ٦٧

(٢) الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص ٢٩

هكذا رأينا الملاحده في مختلف علومهم الحديثه يحاربون الدين
باسم البحث العلمى والتحقيق ولكن العلم براء من هذا التعطيل الذى يشمل
المعقل ويفقدها شجاعه الاعتقاد فاذا جازله ان ينكر فانما يجوز بحججه
واحده وهى انه يجمل وليس انه يحلم • ومن الجمل لا من العلم
ان نجعل الجمل مرجعا للوجود من اعلاه الى ادناه • فليقل " العالم "
انه يجمل / الأمر أكبر من ان يعرفه ويحيط بحدوده ولكن الأمر الذى لا يعرفه
ولا يحيط بحدوده موجود لا شك •

من هنا فقط - قلنا ان الالحاد الحديث أعتى الحاد عرفته البشريه
لأنه يدعى علم ما يجمل به • ومن راجع الكتب التاريخيه يدرك حقيقه ما نقول
من ان هذا الالحاد فريد فى نوعه واشكاله ومميزاته ومخصاته • • فلنستمع
اذن / شهادته التاريخ •

"شهادة التاريخ"

فيما مضى رأينا ان الملاحده صرحوا في مختلف علومهم ان التدوين طارىء على البشرية وان الالحاد هو الفطري في الكيان الانساني . ولذا ذهب بعض كتّاب القرن الثامن عشر الذين مهدوا لثوره الفرنسيه الى ان الديانات واللاهوتيين ما هي الا منظمات مستحدثه واعراض طارئه على البشرية حتى قال "فولتير"^(١) :
 "ان الانسانيه لا بد ان تكون قد عاشت قرونا متطاووله في عبياه ماديه خالصه . قوامها الحرث . والنحت . والبناء . والحداد والتجاره ، قبل ان يفكر في مسائل الدينيات والروحانيات بل قال : " ان فكره التدوين انما اخترعها دهاه ماكرون . من الكهنه والقساوسه الذين لقوا من يصدقهم من

(١) ترجمه فولتير : (١٦٩٤ - ١٧٧٨ م) فيلسوف ومفكر فرنسي . نشأ في باريس وتعلم في كليه لويس الاكبر اليسوعيه . اتهم باهائيه الرضى فيليب ٢ دوق اورليان - فمرب بالسجن في الباستيل احد عشر شهرا وهناك اعاد الى كتابه مسرحيه " اوديب " فقال شهره عظيمه ثم سجن مره ثانيه في الباستيل لاثامه باهائيه احسد النبلاء . . . وفي السياسه دعا فولتير الى الاصلاح . ولكنه كان يخاف الثوره وكان حر الفكر في الدين لذا رفض رجال الدين ان يدفنوه في باريس حسب الطقوس المسيحيه .
 راجع الموسوعه العربيه ص ١٣٣٧ .

الحق والسخفاء" (١).

وكذلك كان نظر (جان جاك روسو) (٢) الى فكره التدرين والقانون ،

حيث ظن انها ليس لها الا قيمه وضعيه تحكميه • وفسر ذلك بقوله :

" ان الافراد الذين سبقوا الى وضع ايديهم على بعض مساحات من الارض

عدا بهم جسداهم وحرصهم على المحافظه على ملكيتهم • الى ان ياتمروا فيما

ينتمون على وضع تلك النظم والقوانين • لخدموا بها الجمهور • وهملوا

لها الفناء" (٣).

فالدين عند هؤلاء الماديين العصريين نقىض للحلم كما صرح بذلك

ستالين في تصريحه السابق • • فيها ضدان لا يجتمعان لماذا ؟

لانهم قصروا الكون على المحسوسات وانكروا ما وراء الطبيعه جمله وتفصيلا

فلا روح • ولا خلود

ولا ملائكه ولا الشيطان

ولا الغيب ولا الجنه ولا النار

بل ان هذا الوجود لا يحتاج الى خالق • • •

وتصوروا الدين على الشكل الذى يرون عليه بعض المتدينين من الخلط والخيوط

والبعد عن التصور الصحيح للدين •

(١) Voltaire, Essai Sur Les Moeurs P. 11

(٢) روسو جان جاك (١٧١٢-١٧٧٨) م فيلسوف فرنسي مشهور له عدة مؤلفات

منها موسومته • راجع الموسومه المصريه اليوسره ص ٨٩٤ •

Rousseau, Discours Sur L'origine Et Le
Fondement De L'inegalite parmi Les Hommes (٣)

راجع كتاب الدين - د • محمد عبدالله دراز ص ٨١

ولماذا لم يحكموا بتضاد هذين العالمين : العلم والدين ويسمون
في ازاله الثاني من العالم ..

ولكنهم لو انصفوا كما انصف في هذا العصر اكابرهم ووقفوا على ما فتح
الله به على العالم المصرى من الحجج المنيه في اثبات عالم ما وراء الماده . (١)
ثم لو نظروا للدين في اصله ونبوعه وعلاقته بالروح الانسانيه نظر الحكيم
المتبصر لعلوا انهم كانوا قى احكامهم الاولى غلاه مفرطين ولاصبحوا
من أعز ابناء الدين كما اصبح اليوم كذلك اكابر علماء الماده .. الذين
صرخوا الى ضروره التدوين لأن الانسان لا يستغنى عن الدين الفطرى مهما
تغيرت به الظروف المعيشيه .. واليك بعضا من تصريحاتهم فى فطريه التدوين:

فطريه التدوين

انه لم ينقض القرن الثامن عشر نفسه حتى ظهر خطأ هذه المزاعم حيث
كثرت الرحلات الى خارج اوربا واكتشفت الموائد والمقائد والاساطير المختلفه
وتبين من مقارنتها ان فكره التدوين فكره مشاعه لم تخل عنها امه من الأمم فى
القديم والحديث ، رغم تفاوتهم فى مداج الرقى ودركات البهيميه .. وهكذا
ظهر ان التدوين اقدم فى المجتمعات من كل حضاره الحاديه . وكما ظهر

(١) يراجع عرضا دائره معارف القرن العشرين ج ٤ ص ١٠٧ (ماده دين)

تأليف فريد وجرى .

ان الالهاده لم يكن معروفا الا عند عدد قليل جدا . ولم يحدثنا التاريخ
 في فتره من فترات التاريخ — قد اعتقت ان هذه
 فقط الامكان في هذا العصر الحديث المنحرف المنطوق اليها
 (١) وذلك ان الانسان اذا تولى من فطرته فلا بد ان يتسائل عن
 الالهاده :

من يدير هذا العالم الضخم ؟

ما الانسان ؟

ما هذه الحياه ؟

ما الموت ؟

ماذا بعد الموت ؟

ان هذه الاسئله ، فلا بد ان تأتي على انسان في اوقات السكون والهدوء . .
 يقول مصمم (لاروس) لاقرون العشرين " ان الفريزه الدينيه ، مشتبهه بين
 الاجناس البشريه حتى اشدها هجيه واقربها الى الحياه الحيوانيه . وان
 الاهتمام بالمعنى الالهي وبما فوق الطبيعه ، احدى النزعات العالميه الخافيه
 الانسانيه ."

ويضيف : ان هذه الفريزه الدينيه لا تختفي بل لا تضعف ولا تنبل
 الا في فترات الاسراف في الحضاره وعند عدد قليل من
 الافراد . (٢) .

(١) الدين — دكتور محمد عبدالله دراز ص ٨١

(٢) La Resusse Du xixieme Siecle, Article Religion.

وأما الباحث هنرى برجسون يزهد على ذلك بقوله :

" لقد وجدت وتوجد جماعات إنسانيه من غير علوم وفنون وفلسفات
ولاكنه لم توجد قط جماعه بخير ديانه " (١)

ويصح (بارتيلي سانت هيلير) بقوله :

" هذا اللغز العظيم الذى يستحث عقولنا : ما العالم ؟ ما الانسان ؟
ما الحياه ؟ ما الموت ؟ ما القانون الذى يجب ان يقود عقولنا فى اثناء
عبورنا فى هذه الحياه ؟ اى مستقبل ينتظرنا بعد هذه الحياه ؟ هل
يوجد شىء بعد هذه الحياه العابره ؟ وما علاقتنا بهذا الخلود ؟
هذا العالم وهذا الانسان ؟ من اين جاء ؟ من صنعهما ؟ من
يديرهما ، ما هدفهما كيف بدءا ؟ ..

هذه الاسئله .. لا توجد أمه ، ولا شعب ولا مجتمع ، الا وضع
لها حلاولا جيده او رديئه مقبوله او سخيئه ، ثابتة او متحوله .. " (٢)

ويقول شاشاوان : " مهما يكن تقدمنا العجيب فى العصر الحاضر ..
علميا ، وصناعيا ، واقتصاديا ، واجتماعيا ، مهما يكن اندفاعنا فى هذه
الحركه العظيمه للحياه الممليه ، وللجهاد ، والتنافس فى سبيل معيشتنا

Henri Bergson. Les Deux Sources (١)
De La Morle Et De La Religion p. 105
B.S.T. Hilairé, Mahomet et Le Coran (٢)
P. XXXIV.

ومعيشه ذويها ، فان عقلنا في اوقات السكون والهدوء (عظاما كنا او متواضعين
 خيارا كنا ام اشرارا ، يعود الى التأمل في هذه المسائل الأزليه : لم
 وكيف كان وجودنا ووجود هذا العالم ؟ والى التفكير في الحل الاولى او
 الثانيه وفي حقوقنا وواجباتنا " (١) .

يقول الدكتور (ماكس نوردوه) عن الشعور الديني : " هذا الاحساس
 أصيل يجده الانسان غير المتمدن ، كما يجده اعلى الناس تفكيرا ، واعظمهم
 حدسا . . . وستبقى الديانات ما بقيت الانسانيه ، وستتطور بتطورها وستجواب
 دائما مع درجه الثقافه العقلية التي تبلغها الجماعه " (٢) .

يقول سالمون اريناك : " ليس امام الديانات مستقبل غير محدود فحسب بل
 لنا أن نكون على يقين من انه سيبقى شيء منها ابدا ، ذلك لانه سيبقى
 في الكون دائما اسرار ومجاهيل . ولا أن الملم لن يحقق ابدا مهمته على
 وجه الكمال " (٣) .

و يقول ارنست رينان (Renan) في تاريخ الاديان :

" ان من الممكن ان يضمحل كل شيء نحيه وان تبطل حريه استعمال
 العقل والملم والصناعه . . . ولكن يستحيل ان ينحى الدين . . بل سيبقى

- Chachoin, Evolution Des Idees Religieuses p. 158 (١)

- Max Nordau, Reponse au Mercure^(٢)
 De France Paris 1908 .

- Salomon Reinach, Orpheus, p. 35-6^(٣)

وقال : * وان من أمة إلا خلا فيها نذير * (١)

وقال : * ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت * (٢)

هذه هي تقارير العلماء ، وهذه هي النصوص القرآنية تتفقان على أن الاتحاد
غير أصيل في الفطره الانسانيه ... فقد آن الاوان ان نسمع الى شهادته
التاريخ ... ابتداء من الحضاره الاغريقيه وانتهاء بالجاهليه العربيه
نسمع ذلك لنصل الى نتيجته واحده ، وهي : ان الاتحاد الحديث
لا مثيل له في التاريخ الانساني العام ..

ان الاتحاد فيما عبر من الزمان ، كان مزاجا شخصيا ولكن هؤلاء
الملاحده المعاصرون جعلوا الحلم سندا للاتحاد وأقاموا له دوله
بل دولا تحميه بالحديد والنار ، وليست روسيا الشيوعيه الا نموذجاً
من هذه الدول الاتحاديه .

(١) سوره فاطر : ايه : ٣٥

(٢) سوره النحل : ايه : ١٦

أول ملخص يصفه التاريخ في العهد اليوناني

رأينا في الصفحات الماضية ان الدين هو لمعوم جميع الأمم • ولكن لا يعني ذلك عمومه لكل افرادها ، فانه لا يخلو أمم من وجود ذاهليين يحسبون الحياه لهوا ولعبا ويتخذون الدين وهما وخرافه ، لكن هؤلاء دائما كما قلنا - هم الأقليون في كل أمم • وحتى في عصور اليونان المتسمه بالحركات العلميه الواسعه والفلسفات المطلقه الحره التي في حريتها لم تعرف الحدود كان القول بانكار وجود الله تعالى ، لا يكاد يسمح له صوت بين الفلاسفه والمفكرين ورجال السياسه والحكم • (١)

(٢)

من هؤلاء الذاهليين يذكر لنا التاريخ الفيلسوف اليوناني "ديمقريطس"

(١) كيف نحارب الالحاد • محمف باشمول ص ٦ الطبعه الاولى •

(٢) ترجمه (ديمقريطس) تقول الموسسوعه العربيه الميسره ص ٨٣٧ ان
ديمقريطس ٣٦٠ - ٢٧٠ قبل الميلاد ، فيلسوف يوناني يرى العالم
مؤلفا من ذرات متجانسه في طبيعتها • لكنها مختلفه حجما وشكلا
وثقلا ، ولا تدرك بالحواس ، ولا تنقسم • ولا تفنى • وتتحرك دائما ،
فليلتصق بعضها بعضا وتتكون الاجسام • وقد تدرك الحواس اختلافات
في الكيف بين الاشياء • لكن " كيف " الاشياء كلها متجانسه ، واختلافها
راجع الى فروق كميه ناشئه عن توزع الذرات التي تتألف منها • ولهذا
فلا يركن الى الحواس في ادراك حقائق الاشياء • بل يركن الى العقل
وغايه الحياه عنده هي السعاده ، متحققه بالسكينه النفسيه •

المعروف بصاحب المذهب الذري ، وان كان قد سبقه في تأسيس النظرية الذرية
استاذة (لوسيبس) الا انها كثيرا ما تنسب اليه .

ان هذا الفيلسوف كان ممن تبني مذاهب الالحاد وانكر وجود الخالق
سبحانه ومن شيعته الفيلسوف اليوناني " فيلوخوس " (١) الا انه اقل شهرة
من (ديمقريطس) . واليك مجمل آرائه في انكار وجود الخالق :

يقول : " ان الكون يتألف من عدد لا يتناهى من الذرات (Atomes)
وهي متشابهة متجانسة ازلية أبدية ، متحركة بذاتها ، في فراغ . ومن
حركاتها واختلافاتها تكونت الاشياء . وتكون العالم بأسره .

اما اختلاف صفات الاشياء فناتج عن اختلاف تلاقى هذه الذرات وتألفها
واوضاعها في الجسم ، واختلاف الناظر اليها ، وبجته على انها ازلية أبدية
متحركة ، هي ان الوجود لا ينشأ من اللوجود ، كما ان الوجود لا يصير الى
اللوجود ، ولولا وجودها في فراغ لا تمت عليها الحركة ، وقد انتهى
الى القول : ان في الكون حقائق اولية ثلاثا وهي : الذرات والفراغ والحركة
(Les Atomes, Le Vide, Le Mouvement) " (٢)

" وقد زعم هذا الفيلسوف بكل وقاحة ، ان ما في هذا الكون من بدائع الصنع
وروائع التجهيز والتركيب في الانسان والحيوان والنبات ليس من صنع الله تعالى وانما
هو نتيجة الحركة الذاتية المطبوعة في المادة والتي لا أول لها " (٣)

(١) الملل والنحل شهرستان ج ١ ص ١٥٩ سنة ١٢٨٧ هـ / ١٩٦٨ م

(٢) راجع كتاب قصة الايمان بين الفلاسفة والمفكرين والقرآن ، تأليف الجسرة في طرابلس ص ٣٥

(٣) راجع كيف نحارب الالحاد ، محمد محمد باقميل ص ٦

وقد يقول ارباب النظره المتسارعه ، ان المذهب الذرى ليس فيه الحاد ، وانما هو بيان لكيفية الخلق ، قد يكون هذا من الله كما يقول المؤمنون . وقد يكون ايضا من الماده كما يزعم بذلك الملاحده .

فنحن نبادر هؤلاء فقول : ان موضع الالحاد فى قول هذا الملحد الاول الا غريقى ، لا يمكن فى تصريحه بان الكون مؤلف من ذرات متجانسه تتلاحم حسب هذا التجانس بل فى قوله : " ان الحركه المطبوعه فى الماده هى الخالقه الصائمه المدبره " ان هذا بلا شك - الحاد كما حققنا ذلك فى مبحث التصريف اللغوى لكلمه الالحاد .

هذا ما يؤكده الشيرستان بقوله : " وانما شنع عليه الحكماء من جبهه قوله : " ان اول مبدع هو العناصر ، وبعدها ابدعت البسائط الروحانيه - فهو يرتقى من الاسفل الى الاعلى ، ومن الاكدر الى الاصفى " (١) .

هكذا وصلنا الى النتائج التاليه :

(١) - ان هذا الفيلسوف هو الملحد الاول فى التاريخ اليونانى ، الذى استطاع ان يخرج الفكره الالحاديه من دائره الموج الفكرى حتى صار علما يدرس .

(٢) - فكان هذا هو النواه الاولى للفكر الالحادى الذى قام على انكار وجود الله تعالى .

فما أحسن ما قاله الاستاذ محمد أحمد باشميل في ذلك :

" وكان على رأس هؤلاء الملحدين الفيلسوف اليوناني (ديمقريطس) صاحب المذهب الذري . . . وهذا المذهب الذري (الدييمقريطسى) الموثق فى القدم هو أساس المذهب الشيعى وكل مذهب الحادى يقوم على انكار الخالق سبحانه وتعالى " (١)

(٣) ان الالحاد الاحمر الحديث لا مثيل له فى التاريخ الانسانى ، لأن المذهب الدييمقريطسى لم يكتب له البقاء حيث تصدى له فلاسفة يونانيون آخرون منهم (اناكساغورس) ففقد رأى ديمقريطس فى الضرورة الصماء وسفيتها وقال : ان هذا النظام المحكم لا يمكن ان يصدر الا عن عقل حكيم .

أول من فتح باب الفلسفة الروحية فى اليونان

ولذا عدّ (اناكساغورس) أول من فتح باب الفلسفة الروحية ، وأتى برأى يحرم حول الحق ، وهذا ما جعل ارسطو يقول عنه انه أى (اناكساغورس) هو الوحيد الذى احتفظ برشده امام هذيان أسلافه . (٢)

(١) كيف نحارب الالحاد — محمد أحمد باشميل ص ٦

(٢) قصه الايمان بين الفلسفة والحلم والقرآن — نديم الجسر مفتى طرابلس

نقد المذهب الذري الديقريطسي

نود ، قبل ان تنتقل الى المذهب الروماني ، أن نقف وقفه خفيفه عند قول الفيلسوف : " ان الطبيعه هي الخالقه المدبره " .

نقول هل يستطيع هذا المذهب ان يثبت بالمذهب الذري ان الله فسر وجوده ؟ الجواب لا ، اذن نقول اينذا هل هذا الكون موجود ؟ فلا بد ان يقول نعم !! لانه اثبت وجوده منذ ان كان ذرات متناثره حتى اصبح كتابه متآلفه .

نقول مره اخرى : اذا سلمنا بان هذا الكون موجود فكيف تفسر وجوده ؟

فلا بد لهذا الفيلسوف واشياعه ان يتقوا امام اربعة احتمالات :

أولاً :- اما ان يكون هذا الكون مجرد وهم وخيال ، وهذا يتعارض مع ما اثبتته

الفيلسوف نفسه لانه اثبت وجود ذرات متجانسه . .

اذن فالكون ليس وهما بل هو موجود وجودا حقيقيا . .

ثانياً :- اما ان يكون هذا الكون قد نشأ من تلقاء نفسه من العدم . .

ثالثاً :- اما ان يكون ابديا ازليا ليس لنشأته بدايه . .

ورابعاً :- اما ان يكون له خالق . .

اما الاحتمال الاول فلا يقيم امامنا ايه مشكله لان من يكذب وجود هذا العالم يكذب ان يكون هو نفسه موجودا . (١)

(١) راجع الوجود الحق ، الدكتور حسن هويدى ص ٨ ط : ١٣٩٨-١٩٧٨ بيروت

فقد فند هذا القول الفيلسوف الفرنسي الشهير (١) بقوله : (انا افكر
اذن انا موجود) (Je pense, Donc, Je Suis)
(72)
ولا يحرف في التاريخ من يقول بهذا القول الا افرادا منهم السفطائية في
القديم وأما في العصر الحديث ، يقول (فرانك آلن) (٢) عالم الطبيعة
البيولوجيه أن " سيرجيس جينز " (٣) العالم الطبيعي " يرى ان هذا
الكون ليس له وجود فعلي ، وأنه مجرد صورة في اذهاننا " .
ولا نرد على هذا الهنديان اكثر من ان نقول : اننا نعيش في عالم
من الاوهام .

فمثلا هذه القطارات التي نركبها وننسىها ليست الا خيالات . وبها
ركاب وهمون . وتعتبر انهارا لا وجود لها وتسير فوق جسر غير مادي .
نقول ان هذا الرأي ، رأي وهو ايضا لا يحتاج الى مناقشه او جدال .

(١) وهو ديكارت ١٥٩٦ - ١٦٥٠ م واسمه رني ديكارت ، ولد ببلجي من
اعمال مقاطعة " تورن " بفرنسا . المشهور بالفلسفه ثم غادرها فنال
الاجازه في القانون .

راجع تاريخ الفلسفه الحديثه ، ليوسف كرم ص ٥٦
(٢) فرانك آلن عالم الطبيعة البيولوجيه اخذ الماجستير والدكتوراه من جامعه
(كورنل) استاذ الطبيعه الحيويه بجامعه (مانيتوا بكندا) من سنه
١٩٠٤ الى سنه ١٩٤٤ . الخ

راجع الله يتجلى في عصر العلم ص ٥
(٣) سيرجيس جينز العالم الطبيعي هو انكليزي ١٨٢٧ - ١٩٤٦ .
راجع الموسوعة العربيه الميسره ص ٦٨٣ .

وأما الرأي الثاني : فهو القائل : ان هذا العالم بما فيه من ماده وطاقه

قد نشأ هكذا وحده من العدم ، فهو رأى من المضحكات المبكيات ، فلا يقل عن سابقه سخفا وحقايقه . ولا يستحق هو ايضا ان يكون موضعاً للنظر في الأوساط العلمية . ومع ذلك سنوضح نقطه السخافه فيه حينما نتكلم عن الصدق العميق . . .

وأما الرأي الثالث : هو الذى ينادى بوجود خالق لهذا الكون . يقال في

عنصر واحد هو الأزلية . . .

اذن نحن نسأل الفيلسوف اليوناني (ديمقريطس) : الى من تنسب صفه

" الأزلية " ؟

الى عالم النيت ؟ او ننسبها الى اله حى يخلق ما يشاء ؟

ولكن لو أردنا ان نأخذ بالرأى الاول ، اى ان الذرات الصماء هى التى

تستحق صفه الأزلية اكثر من اله مدبر ، يقف امامنا العلم الحديث الذى يجذبونه

وهو يقول :

(٧٤)

" ان قوانين الديناميكا الحراريه تدل على ان مكونات هذا الكون تفقد

حرارتها تدريجيا وانها سائره حتما الى يوم تصير فيه جميع الاجسام تحت درجه

من الحراره بالغه الانخفاض هى الصفر المطلق . وهو مؤد تنعدم الطاقه وتستحيل

الحياه . .

" ولا مناص من حدوث هذه الحاله من انعدام الطاقات عندما

تصل درجه حراره الاجسام الى الصفر المطلق

بعضى الوقت ... (١) أما الشمس المستمرة والنجوم المتوهجه والأرض الغنيه
بانواع الحياه ، فكلها دليل واضح على ان اصل الكون اواساسه يرتبط
بزمان بدأ من لحظه معينه ، فهو اذا حدث من الاحداث . ومعنى ذلك
انه لا بد لاصل الكون من خالق ازلى ليس له بدايه علم محيط بكل شئ
قوى ليس لقدرته حدود ولا بد ان يكون هذا الكون من صنع يديه .

فعلى هذا التقرير العلمى الحديث ندرك ان الماده ليست ابدية ،
ومعنى ذلك ايضا انها ليست ازليه .

كما ندرك ايضا ان ديمقريطس لا عيب فيه الا أن ايامه تقدمت على
هذه العلوم الحديثه التى تنص بصفه قاطعه على ان بدايه الماده لم
تكن بطيئه او تدريجييه - كما يدعيه المذهب الذرى الديمقريطسى بل
وجدت بصورة فجائيه .

فلندع " ايرفنج وليام " ليرد على سلفه فهو يقول :

" فعلم الفلك مثلا يشير الى ان لهذا الكون بدايه قديمه ، وان الكون
يسير الى نهايه محتومه وليس مما يتفق مع العلم ان نعتقد بان هذا الكون ازلى
ليس له بدايه ، او ابدى ليس له نهايه ، فهو قائم على أساس التخيير ... " (٢)

(١) راجع كتاب الله يتجلى فى عصر العلم ، تأليف نخبة من العلماء الامريكيين -

بمناسبه السنه الدوليه لطبيحات الأرض ، اشراف (جون كلوفر مونما)

ترجمه الدكتور الدمرداس عبد المجيد سرحان ص ٦ مؤسسه الحلبي وشركاه

للنشر والتوزيع ١٤ شارع جواد حسنى القايره .

(٢) المرجع السابق ص :

هذا كلام هؤلاء على كفرهم - ردوا على اسلافهم - اذ الايمان بالله
له مستلزمات لم يتم بها هؤلاء لشيء الا ان علمهم بقوانين الكون اوصلهم الى
هذه الحقائق الخالده والثابته في كل فطره .

فهذا عالم طبيعي اخر وفيلسوف يرد على هذا المذهب الديمقريطسي
ايضاً ان هذا العالم هو (ستانلى كونجيدن) (١) .

يقول : " والنظريات المادية التي قدمها " ديمقريطس " وكذلك النظريات
المثالية الصرف التي تفسر هذا الكون تفسيراً معنوياً خالصاً مما قدمه (اينتز)
و (بيركلي) و (هيغل) ، نقول : ان هذه النظريات الالحادية جميعها
لا تمدوان تكون مجرد افتراضات تقوم على التخمين ولا تستند الى اي اساس من
البيحيه التجريبيه ... ولا بد لاي فلسفه تحاول ان تفسر الطبيعه
والكون من ان تختبر اولاً لمعرفة مدى قدرتها على تفسير سائر انواع الحقائق
والعوامل والعناصر التي يتألف منها هذا الكون او تظهر فيه " .

وأضاف (هولمهورتز) (Helmholtz) في احدى محاضراته
التي القاها عام ١٨٦٩ م والتي أمت مشهوره :

" ان الهدف النهائي للعلم (الطبيحيه) تتمثل في اكتشاف الحركات -
(Motion) التي تكمن وراء كل تغيير والقوى الدافعه فيها " (٢) .
وقال ايضاً : " اذن فان النظرية الذريه (الديمقريطسيه) هي
اسطوره وليست بتجربه " (٣) .

(١) الله يتجلى في عصر العلم ص ١٨

(٢) تدهور الحضاره الغربيه تأليف اسوالد اشينفيلر ص ٣٠ ج ١

(٣) المرجع السابق ج ٢ ص ١٤٧

ومن قبل قد ناقشهم القرآن الكريم مناقشه هادئه • ليس للملحد اذا
 سمعه الا أن يسلم ويتوب الى الله تعالى •• ولكن الملحد له قلب لا يفقهون
 بها ولمهم امين لا يبصرون بها ولمهم آذان لا يسمعون بها وهم أضل ممن
 حمارهم ••

يقول تعالى : * أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقتنا السموات
 والأرض ؟

ان هذا الكلام ليس وراءه مفر للملحد لانهم أثبتوا ان اصلهم ممن
 الذرات للسماء ••

نقول لهم هل للذرات عقل ؟ فيقولون لا !

نقول كيف يخلق غير العاقل شيئا يحقل ويفكر وينقل الا عاقل ؟

اذا لم يكن لديهم جواب ننقل الى الخطوة الاخيره وهي :

هل انتم العقلاء الذين خلقتكم هذا العالم فيقولون لا !

نقول اذن من الذي خلقكم وما تعلمون ؟

اذا سكنا نقول لهم : ذاكم الله ربكم * فالى الحب والنوى ؟

وبهذا وذاك يفقد المذهب الذرى وزنه المستمار ويرجع (بقصد او بخير

قصد الى وزنه الطبيعي) •• •• •• بكل صراحه وصراحه — ان المذهب الذرى الذي

اتخذ طبعه الاولون من الملحد ويستند عليه المتأخرون منهم : لا أساس

له من الصحة • لان الفطره السليمه (١) تكذبه والعلم الحديث يكذبه وقد
كذبه القرآن الكريم من قبل • وقيل الحمد لله رب العالمين •

(عود لبدء) وقبل هذه المناقشه كنا نتحدث عن الالحاد الحديث
من حيث كونه فريدا في اتجاهاته وقد رأينا في العهد اليوناني ان صيغ
الالحاد كما ان يكون مفقودا لولا هذا الفيلسوف (ديمقريطس) •

والان نود ان تنتقل الى العهد الروماني لنرى ايضا كيف كانت هناك
قيمه الالحاد والمحدثين • اكانت لهم دوله ام كانوا افرادا منحرفين ، هل كتب
لهم البقاء على الحادهم • ام تصدى لهم فلاسفه آخرون فأهالوا التراب على
مذهبهم السخيف ؟

وفي الصفحات الاثني نحاول الاجابه عن هذه الاسئله ان شاء الله
تمالى ...

(١) كما كذبهم امثال سقراط وافلاطون وارسطو وغيرهم : فيهمؤلاء هم اشهر
فلاسفه اليونان وان كانوا قد خلطوا اصول القول بقدم العالم وتخطى الى
الحدود في الحديث عن كنهه الباري سبحانه غير انهم دافعوا دائما
مجيدا عن فكره وجود الباري سبحانه حتى قضوا على المذهب الذرى •

الصيهد الرومانى

وأما الصيهد الرومانى — كما تفهيدنا المصطلحات التاريخية الموثوق بها (١) —

ان صوت الالحاد كان مختلفا طيلة عهد الفلسفة اليونانية ولم يكتب لهذا المذهب
السخيف الظهور الا فى الصيهد الرومانى على يد الفيلسوف الرومانى (لوقريطس)^(٦٤)
الذى حاول فى اوائل القرن الاخير قبل الميلاد ، احياء هذا المذهب الذى
السخيف ، فكان يردد مزاعم ديموقريطس .

ومن مزاعمه التى سجل عليها التاريخ ما يلى :

• ان البرج والمقل وكل ما فى الكون انما هو نتاج مادية بحتة . وعلى
هذا الاساس انكر ان يكون هناك خالق .

ثم ان هذا المذهب لم يكتب له البقاء بحيث تعرض لمقاومة عنيفة من قبل
الفلاسفة الذين كانوا يدينون بالفلسفة الافلاطونية ، قاوموه حتى انقطع صوته
وانتصر الحق .

وهكذا رأينا ان الالحاد لم يكن له سند فى الصيهد الرومانى يستند
عليه . ولم يكن له انصار ينصرونه وما كان منتصرا .

(١) كيف نحارب الالحاد — محمد احمد باشمى ص ٨

الملل والنحل لشهرستان ج ٢ ص ١٦٠

المهيد الجاهلي

اختلف آراء الباحثون الاسلاميين في وجود ملحدين في المهيد الجاهلي
الى رأيين اساسيين : رأى ينفي ، ورأى مثبت .

أولا : رأى النافي :

ان الباحث محمد احمد باشميل يرى في كتابه (كيف نحارب الالحاد)
ان الالحاد لم يكن له صوت في جميع عصور الجاهلية العربية .
وهو كد قوله هذا بان الالحاد لم يوجد قط في جميع عصور الجاهلية الوثنية
بين مختلف الأمم ابتداء من ايام نبي الله نوح عليه السلام الى ايام الجاهلية
العربية . . (١)

هكذا ذكر بدون ان يستدل بآية او حديث او غيره . .

ثانيا : رأى المثبت :

ان القائلين بوجود ملحد وزنادقة في المهيد الجاهلي كثيرون نختار منهم
ثلاثة علماء لشهرتهم في الاوساط العلمية :
أ - الشيخ الشيرستان^(٧٦) : انه من القائلين بوجود ملحدين في المهيد الجاهلي
فهو صرح بالكلمات التالية :

” فصنف منهم (العرب) انكروا الخالق والبحث والاعاده وقالوا بالطبع
المحي والدهر المفنى وهم الذين اخبر عنهم القرآن المجيد :
” وقالوا ما هي الاحيائنا الدنيا نموت ونحيا “

(١) كيف نحارب الالحاد ، محمد احمد باشميل ص ٨

- أشاره إلى الجاهل المحسوس في العالم السفلي • وقصرا للحياه والموت على تركيبها وتحليلها فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر • وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون • (١)
- ان هذا التفهيم الواضح الذي لا يحتاج الى اى تعليق • يشير الى ان العرب كان ملهم منكرون وباحدون ••
- ب- أبو حامد الغزالي : انه كذلك يثبت وجود منكروين في الجاهليه العربيه فهو يقول في كتابه " المنقذ من الضلال " مايلي •
- منهم من جحد الصانع المدبر العالم القدير • وزعموا : ان العالم لم يزل موجودا كذلك بنفسه • وبلا صانع • ولم يزل الحيوان من النطفه • والنطفه من الحيوان كذلك كان • وكذلك يكون أبدا •• وهو لا • هم الزنادقه • (٢).
- ج- الشيخ عبد الحلیم محمود شيخ الأزهر المرحوم • انه اثبت بشكل واضح ان هناك في الجاهليه العربيه من كان ينكر وجود الله سبحانه وتعالى كما وجد فهم من تزندق •• يرى ان ذلك مستورد من الحيره الى قريش • نقل ذلك عن ابن قتيبه من كتاب المعارف •• ويضيف أيضا :
- والحق ان جزيره العرب لم تكن - كما يظن عادة - بمنأى عن التفكير الديني القوي انكارا ووجودا او اثباتا وتأهيدا • (٣).

(١) الملل والنحل الشيرستان ج ٣ ص
 (٢) المنقذ من الضلال • أبو حامد الغزالي ص ١٥ مكتبة الحرم المكي تحت الرقم ٩٨١
 (٣) التفكير الفلسفي في الاسلام • د • عبد الحلیم محمود شيخ الأزهر ص ٦٤ •

وهكذا رأينا ان العهد الجاهلي قد وجد فيه من ينكر الصانع
ولكنهم كانوا دائما قليلين .

والذي ينبغي ان يقال هو : ان الالحاد لم تكن له دولة في اليهود
الوثنيين ولم يكن هناك " علماء " يدافعون عنه ويحفظون له سنداً علمياً
كما هو الحال في الالحاد الحديث ، ولكننا اذا نفينا ذلك بتاتا نتعارض
مع المصطلحات التاريخية الثابتة ...

اذن فالذي يصر اليه من الرايين هو الرأي المثبت لظهور أدله
مؤيد ، والله أعلم .

في عهد الكنيسة

وفي ظل سلطان الكنيسة في أوربا ظل صوت الالحاد منقطعا انقطاعا كاملا حيث كان البطش شديدا بالعلماء الذين لمسوا ملحدين • وانما ظن الرهبان ان في اقوالهم ما ينزع الى الالحاد او يجر الى الكفر كالعالم الايطالي (غاليليو) واضرا به ••• الامر الذي جعل الجهر بالالحاد وانكار الخالق سبحانه وتمالي مستحيلا طيلة عهود الكنيسة •

يقول برنتن :

" لم يكن يوسع الكثيرين من افراد المجتمع الغربي ان يحترضوا صراحه وجماعه بالالحاد او اللادريه او بمذهب الاتصال بالله او بآيه عقيدته اخرى غير المسيحيه الا خلال القرون القلائل الاخيره وقد كان الكفار الذين يجاهدون بكفرهم قلة نادره في الالف سنة التي استغرقتها القرون الوسطى • ولما كان الناس جميعا مسيحيين فلم يكن هناك مفر من ان تكون المسيحيه هي كل شيء لكل الناس • فلقد كان القديس فرانسيس ورازمس ولويولا وميكافيلين وباسكال ووزلي ونابليون وغلاستون وجون روكفلر جميعا مسيحيين " (١) •

والامر كما قال برنتن • ان شدة البطش على العلماء من قبل الكنيسة لا يعني ذلك انه ليس هناك من يدين بالالحاد • فالذي لا جدال فيه هو ان هناك افرادا من الفلاسفه والمفكرين (في اوربا) كانوا يمتنقون الالحاد مذهباً لهم فوضعوا له القواعد والاسس •

(١) يراجع كتاب افكار ورجال من تأليف برنتن ص ٢٠٧ •

بل ارادوا احياء المذهب الذرى الديمقراطي الذى اخلفه

عميد داويل *

الا انهم كانوا يتكلمون (تكما شديداً على زعمائهم الالحاديه فصاروا
لا يتركون عن مذاهبتهم الالحاديه الا شيئاً فشيئاً وشمسياً مع تقلص سلطانه
الكنيسه الزميه فى أوروبا *

وقد حفظ لنا التاريخ اسماء هؤلاء الفلاسفه الملاحده الذين قالوا

ان الحادهم قائم على اصول علميه كامثال :

(79) (80)

الفيلسوفين : (بختنر وهغل) فى المانيا

والفيلسوفين : (هيدسون تتل وتوماس هكسلى) فى انكلترا

والفيلسوفين : (لامارك وليريه) فى فرنسا

الا ان اراء هؤلاء الفلاسفه الملاحده - كما قلنا - ظلت اراء فرديه

لم يشغل نفسه به الا المرضى الذين تعطلت فيهم اجهزته الاستقبال الفطري *

وهكذا كانت الافكار الالحاديه (مجرد فكره) فى اذنيه هؤلاء

الافراد ولم تصل ابدا الى مستوى الشعب او مستوى الحكومه واستمرت الحال

كذلك حتى وقمت الطامه الكبرى * القاصمه التى تم بها الفصل بين الدين -

والدنيا .. بين السياسه والمقيدة او بين الكنيسه والمجتمع وانقطع - نهائياً -

ما بين التصور الاعتقادى والنظام الاجتماعى على يد كارل ماركس -

اليهودى *

أوروبا المادية

فأصبح الناس في أوروبا بهذا الفصل النكد — يحيدون المادة لا النصرانية
كما يشهدون من خوف النفس الأوروبية واتصل : لاورينسون كاتوليك
الذين كتبوا : بل ومن كتب أيضا •

فأصبحت كائنات هذا " الدين الجديد " المصانع الضخمة
ودور السينما والمختبرات الكيميائية ودور للرقص ومراكز إيد الكهرياء • وأما كينشوا
فسيتم رؤساء المصارف والمهندسون والمثلاث وكواكب السينما وأقطاب الشهرة
والصناعة والطهران •
وصارت هذه الحضارة لا يوجد في نظامها الذي موضع الله • ولا تشرف له
فأفاده ولا تشمر بحاجة اليه •

وهذه هي شهادة أحد كبار المعلمين في " لندن " وكتاب الانجليز
البارون • هو الاستاذ جود (Jod) رئيس قسم الفلسفة وطام النفس
في جامعة لندن في كتابه *Guide to Modern Wickedness* (1)
يقول : " سألت عشرين طالبا وتلميذا كلهم في أوائل العقد الثاني من
أعمارهم كم منهم مسيحي بأي معنى من معاني كلمة فلم يجب بـ " نعم " إلا
ثلاثة فقط •

قال سبعة منهم : انهم لم يفكروا في هذا المسألة أبدا • أما المشركه
الباقي فقد صرحوا انهم معادون للكنيسة •

(1) راجع كتاب ماذا خسر العالم : " سامسون " ليو الحبيب النوري •

وبهذا نصل الى النتائج التالية :

(١) رأينا العهد اليوناني والروماني والعهد الجديد هلى والكنسى
كان صوت الالحاد / ^{هناك} لا يكاد يسمع / ^{أبدا} ان دل هذا على شىء فانما يدل على
ان الالحاد الذى حصل فى اوربا الحديثه الحاد فريد فى نوعه .

(٢) ان اوربا كانت يوما صاحبه الديانه لديها نفوذ وقوه ومنصبه
نكيف تحول الناس من هذه الديانه الى اعتناق المذهب الالحادى ؟ وقامت
القيامه ضد هذه الديانه ؟ فارتفعت الصيحات هنا وهناك تقول :

" اشنقوا آخر ملك .. بامعاء آخر قسيس "

وتقول :

دعه يمر ! (Laissez passer)

دعه يفعل ! (Laissez Faire)

وهذا المحب الذى جعلنى اخترت ان يكون موضوع الباب الاول كالتالى :

" لماذا ألحد الناس فى اوربا الحديثه ؟ "

والصفحات الاتيه تعتبر اجابه عن هذا السؤال ، والله الموفق ،

وبالاجابه جدير ، والصلاه على النبي الكريم .

حواشي و تعريفات

(١) الطبرى ابو جعفر محمد ابن جرير (٨٢٩ - ٩٢٣) مؤرخ ومفسر وفقه ولد في طبرستان ثم اقبل على الدرس وحفظ القرآن صغيرا .. وزار عددا من البلدان الاسلامية طلبا للعلم منها : سوريا ومصر وبغداد والبصرة والكوفة .. وكان على مذهب الشافعي وعارض الحنابلة .. وحاول ان يكون له مذهب خاص .. وهو (الجريرية) واشهر كتبه : تفسير .

(جامع البيان في تفسير القرآن) (وتاريخ الرسل والملوك)

(٢) عبدالله بن عمر (٦١٢ - ٦٩٢) اكبر ابناء عمر بن الخطاب .. شقيق حفصة ولد في مكة قبل الهجرة بسنتين اسلم مع والده اشترك في معظم الغزوات الا بدر ا لصفر سنة .. عاون الخلفاء الاربعة في السلم والحرب .. وله سعة المام باخبار النبي صلى الله عليه وسلم وعاش طويلا .. عرف بالصلاح والزهد والتقوى .

(٣) الشحيح : هو البخل مع الحرص لسان ج ٢ ص ٤٩٥

(٤) الازهرى خالد بن عبدالله (١٤٢٤ - ١٤٩٩) نحوى ولد بجرجا بمصر ومات بجوار القاهرة التي نشأ بها .. درس بالازهر واشتغل بالتعليم ببعض المساجد شرح على الاجرومية وكتب كثيرة وتفسيرية * فلا اقسام بمواقع النجوم *

(٥) عبدالله بن الزبير (٦٢٣ -) قائد عربي اشترك في غزوة القسطنطينية التي جهزها معاوية ٦٧٠ .. ولما قتل الحسين ثار عبدالله في الحجاز .. ثم بويح له بالخلافة وولى الولاة .. ولما توفي يزيد ٨٤/٨٨٣ كانت له اكثر البلاد الاسلامية ما عدا الشام .. حاصره الحجاج بن يوسف الثقفي بمكة ستة اشهر ثم قتل وارسل الحجاج رأسه الى الخليفة (عبد الملك) .

(6) اللات احد اصنام العرب الكبرى . يرمز للشمس له معبد بالطائف

وصنم في الكعبة أبيد الصنم والمعبد بعد فتح مكة

(7) مناة صنم اسود كبير بين مكة والمدينة يرمز لالهة الفضاء

والهة الموت كانت الاوس والخزرج تعظمه وتحمله الذبائح . عذفن الجاهلية مع اللات والعزى بنات الله . أبيد بعد فتح مكة .

(8) العزى : اعظم اصنام قريش كانت تزوره وتحمله الذبائح

في مكة والطائف ثم كلف النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد بهدم معبده بعد فتح مكة ..

(9) صاحب المعجم الفلسفي .

(10) سبقت ترجمته في هامش صفحة ٢١

(11) نيوتن ، سيرا سحاق (١٦٤٢-١٧٢٧) فيزيقي انجليزي

عين استاذ بجامعة كمبريدج (١٦٦٩-١٧٠١) من اعظم علماء القرن ١٨

في الفيزيكا والرياضة .. خلف ذكره باكتشاف ناموس الجاذبية العامة وبتحليل

النور اختير لمنصب رئيس الجمعية الملكية بانجلترا تقديرا لاعماله ..

(12) لا بلاس (١٧٤٩-١٨٢٧) من مشاهير علماء الفلك الفرنسيين

صاحب الرأي السائد ان العالم تكون في بدئه كرة ضبابية انفجرت وصدرت

منها الاجرام السماوية ومنها ارضنا .

(13) دارون تشارلس روبرت (١٨٠٩-١٨٨٢) عالم طبيعي انجليزي

درس الطب برغبة ابيه ولكنه كان يفقد الميل نحو هذه المهنة وبدأ يدرس العلوم

في كمبريدج .. قام برحلة بحرية مدة خمس سنوات على الباخرة (بيكل) حيث

وصل الى فكرة التطور العضوي من اصل واحد . قال ان الانسان نهاية التطور

الحيواني .

(14) باستور لوتقخ فريهوفون (١٨٥٤-١٩٢٨) مؤرخ المانسي

مؤلف الكتاب الضخم " تاريخ البابوات من ختام العصور الوسطى " ٣٤ مجلد :

١٨٩١-١٩٤٢ سمح له الفاتيكان الاطلاع على وثائق كانت مجهولة ..

(١٥) البيولوجيا : (علم الاحياء) علم الكائنات الحية و يقسم الى

علمي النبات والحيوان ويتضمن على كل من هذين القسمين علوم الخلية والانسجة

والتشريح والمرفولوجيا (علم التركيب) والفسولوجيا (علم الوظائف) وعلم

الاجنة وعلم البيئة وعلم الوراثة والتطور وعلم الاحافير وعلم التصنيف والميكرو-

بيولوجيا : لفظ مستحدث يطلق على الدراسة العلمية للكائنات المجهرية التي

تشمل البكتريا والطحالب وغير ذلك وتقدم ادراكه البيولوجي منذ الافريق واجدر

بالذكر اوسطو حتى اخترع المجهر في القرن ١٦ فتقدم الى ابعد مدى .

(١٦) جود سيرل ادوين (١٨٩١ - ١٩٥٢) فيلسوف انجليزي

عقلي المذهب حاضر وكتب باسلوب واضح فجعل الفلسفة في متناول فيسر

نذ الاختصاص ..

(١٧) أوروبا : قارة (مساحتها مع الجزر المتاخمة ١٠٢٦٠٠٠٠ كم

وتعدادها ٥٥٠.٠٠٠.٠٠٠ نسمة) يفصلها عن اسيا جبال اورال ونهر

اورال وبحزوين والقوقاز والبحر الاسود والبوسفور والدردنيل .. وعين

افريقيا البحر المتوسط ومضيق جبل طارق ويحدها شمالا المحيط المتجمد

الشمالي .. وغربا المحيط الاطلنطي ..

(١٨) انجلترا : مساحتها ١٣٠.٨٠٠ كم ٢ وسكانها ٤١ر١٤٧ر٩٣٨

نسمة وكانت تسمى بريطانيا العظمى لكونها انذاك تتكون مع ويلز واسكتلندا وشمال

ارلندا .. وحكومتها برلمانية .. وعاصمتها (لندن) وديانتها المسيحية ..

وكانت انكلترا في القرن ١٩ تقود العالم في صادرات السلع المصنوعة .. وفيها

١١ جامعة اعظمها واقدمها جامعة اكسفورد وكمبردج ..

(١٩) جمهورية فرنسا : ٥٥٠.٨٩٣ كم ٢ و ٤٥ر٨٤٠ر٠٠٠ نسمة

وتشمل ٨٩ قسما اداريا وعاصمتها (باريس) ويغلب على فرنسا الثقافة اللاتينية

والدين الكاثوليكي .. ويرجع الفصل بين الكنيسة والدولة الى الصراع الذي دار

١٩٠٥-١٩٠٦ م فأدى ذلك الى قيام الثورة الفرنسية الكبرى ١٧٨٩م

(20) العدسة : قطعة مستدير من الزجاج ذات انحناء في احد سطحيهما او في كليهما تحدث انكسارا للاشعة الضوئية الساقطة على احد وجهيهما وتستخدم العدسات في آلات التصوير الضوئي . .

(21) ابن سينا (٩٨٠ - ١١٣٧) ولد في اخشنة قرب بخارى وتوفي في همدان حبيب وطبيب ومن كبار فلاسفة العرب وأحد مفكريهنم تضمن في درس فلسفة ارسطو وتأثيرا ايضا بالافلاطونية الجديدة قائلا بوجود العقل الكلي الا ان آراءه في الخالق لا تخلوا من شيء من الحلوللية الافلاطونية . . من مؤلفاته المطبوعة : " القانون في الطب " و " الشفا " و " الاشارات والتنبهات " و " كتاب النجاة " .

ولا يزال قسم من تأليفه مخطوطا في خزائن الكتب . وظلت كتبه الطبيعية عماد الدراسة في كليات الطب في اوربا قرونا عديدة . . راجع شمس العرب تسطع على الغرب ص ١٠٨

(22) الرازي ابوبكر (٨٦٤ - ٩٢٥) طبيب وعالم ولد في الري . . اهتم بالموسيقى والغناء ثم نبع في الطب والكيمياء تولى رئاسة بيمارستان بغداد ومات في مسقط رأسه . . كان اول من فرق بين الحصبة والجدرى واكتشف زيت الزاج (حامض الكبريت) واستخرج الكحول من مواد نشوية وسكرية وابتكر الفتيلة في الجراحة الف اكثر من مائتي كتاب اهمها : " الحاوي " وهو موسوعة في الطب استند فيها كثيرا على التجريب والاسرار والجدرى والحصبة راجع المرجع السابق ص ٢٠٣ .

(23) جلادستون وليم ايوارث ١٨٠٩ - ١٨٩٨ سياسي بريطاني كان الشخصية المسيطرة على حزب الاحرار ١٨٦٨ - ١٨٩٤ وخطيبا وحجة في الشؤون المالية . . كان وكيل وزارة الحرب والمستعمرات ١٨٣٤ - ١٨٣٥ . . عين رئيسا للوزراء اربع مرات . .

(24) بيكن روجر فيلسوف انجليزى وعالم تعلم في اكسفورد وباريس

وعلم في اكسفورد اتقن المعبرية ليدرس الانجيل واليونانية ، ليدرس ارسطو
والعبرية لصلته بالعرب ، . نسب اليه اختراع البارود واول من فحص عن الخلايا
بمجهر . . وهو صاحب المذهب التجريبي راجع الموسوعة ص ٤٦٩

(25) هارون الرشيد ٧٨٦ - ٨٠٩ خامس الخلفاء العباسيين وواسع

شهرة ابن الخليفة المهدى ثالث خلفاء بني العباس امه الخيزران حبيبة
ثاني او تسع مرات وغزوات غلب نيقيفورس ملك الروم وحال شارل الكبير
ملك الفرنجة .

(26) شارلمان (شارلمان الكبير او شارلمان الاول) ٧٤٢ - ٨١٤
امبراطور الغرب ٨٠٠ - ٨١٤ ملك الفرنجة هو اكبر ابناء بنيين القصير وحفيد
شارل مارتل اقتسم مع اخيه كارلومان حكم المملكة بعد وفاة ابيه وعندما توفي
كارلومان ٧٢١ نودي بشارل بفرداه ملكا على الفرنجة . . راجع الموسوعة
ص ١٠٦٦ حالف هارون الرشيد على خلفاء الاندلس الامويين . .

(27) المجسطى : كتاب للبطليموس مؤلف من ثلاثة عشرة مقالة .
اول من عني بتفسيره واخرجه الى العربية يحيى بن خالد بن برمك ثم فسر
أبو حسان وسلم لبيت الحكمة والى غير ذلك راجع شمس العرب ص ١٨٠

(28) هو ابو محمد بن جابر بن سنان الرقي ، وكان اصله من حران
صابيا وابتدأ الرصد على ما ذكره جعفر بن المكثفي انه سأل فاعبره انه
ابتدأ في سنة اربع وستين ومائتين الى سنة ست وثلاثمائة واثبت الكواكب الثابتة
في ريجيه لسنة تسع وتسعين ومائتين . . ثم جاء الى بغداد فلما رجع
مات في طريقه بقصر الجي سنة ٣١٧ وله من الكتب كتاب الزيج وكتاب معرفة
مطالع البروج فيما بين ارباب الفلك راجع كتاب شمس العرب تسطع على الغرب

(٢٩) عمر بن العاص ٥٧٥ - ٦٦٣ قائد عربي اذن له عمر بن الخطاب

في فتح مصر . انتصر في معارك صدر الاسلام وفلسطين انتصر على الروم في العريش والفرما ٦٤٠ وبلبيس وأم دنين ثم هزمهم ببابلين ٦٤١ حاصر الاسكندرية وفتحها عنوة وترك بها حامية . افتتح برقة وطرابلس ارسل نافع ابن عبد القيس الفهرى لفتح النوبة لتأمين مصر من الجنوب . اسس مدينة الفسطاط وبنى فيها جامعه المعروف فكان اقدم الجوامع في افريقيا وحفر خليج امير المؤمنين من النيل الى القلزم وشيّد مقياسا للنيل .

عزله عثمان عن ولاية مصر ٦٤٦ فعاش مدة بفلسطين ولما ولي معاوية الخلافة اعاده ٦٥٩ الى ولاية مصر بعد ان غاب عنها ١٢ سنة وتوفي بها الموسوعة العربية الميسرة ص ١٢٣٨

(٣٠) اثينا : مدينة تاريخية في سهل اتيكيا زعيمة الحضارة والديمقراطية في العالم الاغريقي القديم وعاصمة اليونان اليون (عدد سكانها وحدها ٥٥٩٢٥٠ نسمة ومع مينائها بيرايوس وعدة ضواحي ١٤٢ ١٣٦٨١) ومركزها الثقافي والديني فيها الكنيسة الارثوذكسية اليونانية .

(٣١) بيمارستان . كانت البيمارستانات في العهد الاسلامي دورا للعلاج . ومكانا لتدريس الطب . انشأ الوليد بن عبد الملك اول بيمارستان بدمشق حوالي ٧٠٧ واجرى الارزاق للمرضى وامر بحبس المجذومين لئلا يخرجوا . وفي صدر الدولة العباسية بنى المنصور دورا للعجزة والايتم . واخرى لمعالجة الجنون . وانشأ الرشيد بيمارستانين وفي نهاية القرن التاسع بنى الخليفة المعتضد بيمارستانا ببغداد وفي سنة ٨٧٢ بنى ابن طولون بيمارستانا بالفسطاط . وشرط انه اذا جىء بالعليل فرش له . والبس ثيابا ويفدى عليه ويراح بالادوية والاغذية والاطباء حتى يبرأ .

وكانت فيه خزانة كتب تحوى ما يزيد على مائة الف مجلد في سائر العلوم وهكذا انشئت البيمارستانات كثيرة حتى انشئ اول مستشفى بالاندلس سنة ١٣٠٥ بمدينة غرناطة ثم في الشام .

وكان العرب اول من اخترع المستشفيات المتنقلة منها ما كان يحمله على اربعمون جملا راجع الموسوعة ص ٤٧٣

(٣٢) الفرغاني : فلكي ارسله الخليفة المتوكل الى الفسطاط (القاهرة)

لينظره بناية مقياس النيل ٨٦١ . له " جوامع علم النجوم والحركات السماوية " نقل الى اللاتينية والعبرية وله ايضا كتاب " في الاسطرلاب " وهو آلة يقيس بها الفلكيون ارتفاع الكواكب (راجع شمس العرب ع ١٩٥٠) .

(٣٣) الكندي : ابو يوسف يعقوب ولد في الكوفة لقب " بفيلسوف

العرب " تعلم في البصرة وبغداد واقام في بلاد الحبشيين وترجم بالعبرية مؤلفات اليونان التي نقلت من ثم الى اللاتينية كان حجة في علم الفلك . وكان من المعتزلة توفي ٨٧٣ ، المرجع السابق ص ٢٠٠

(٣٤) الخوارزمي : قال ابن النديم " اسمه محمد بن موسى ، باصلا

من خوارزم وكان منقطعا الى خزانة الحكمة للمأمون وهو من اصحاب علوم الهيئة وكان الناس قبل الرصد ويعده يعولون على زيجه الاول والثاني ويعرفان بالسند هند . وله من الكتب : كتاب الزيج نسختين ، كتاب الرخامة ، كتاب العمل بالاسطرلاب ، كتاب عمل الاسطرلاب كتاب التاريخ " .

(٣٥) عبدالرحمن الصوفي : ٩٠٣ - ٩٨٦ ولد في الري من كبار علماء

الفلك والتجيم اتخذه عضد الدولة البويهى الفلكي معلما لمعرفة مواضع وحركات النجوم الثابتة . . من مؤلفاته " الذكرة ومطالع الشعاعات و " رسالة في الاسطرلاب " المرجع السابق ص ٢٠٠

(٣٦) ليوناردو دافنشى ١٤٥٢-١٥١٩ فنان ايطالي امتاز بالبناء

والهندسة والموسيقى وخاصة التصوير صاحب صورة العشاء السرى الشهيرة .

(٣٧) ابن الهيثم : هو ابو الحسن ابن الهيثم ٩٦٥ - ١٠٣٩ ولد في

البصرة من علماء العرب في الرياضيات والطبيعيات وفلسفة ارسطو . من مؤلفاته : " المناظرة " كان له اثر كبير في معارف الغربيين وكيفيات الاظلال و " في المرايا المحرقة بالدوثر " وفي مساحة الجسم المكافى نقلها الاغرنج الى لغاتهم .

(38) البيروني ٩٧٣ - ١٠٤٨ هو محمد بن احمد البيروني ابو
الريحان ، ولد بضاحية خوارزم مؤلف عربي من اصل فارسي درس الرياضيات
والفلك والطب والتقاويم والتاريخ والعلوم اليونانية والهندية ..
من مؤلفاته " كتاب الصيدلة في الطب كتاب الجماهير في معرفة الجواهر
كتاب الدستور تاريخ الهند . تحقيق ما للهند من مقولة . مقبولة في المثال
اورندولة وغير ذلك المرجع ص ١٠٥

(39) البغدادي موفق عبد اللطيف ١١٦٢ - ١٢٣١ ولد في
بغداد ودرس الطب والفلسفة واشتغل بتدريسها حينما بك مشق ودامها مشق
الى مصر والتقى بموسى بن ميمون ودرس العظام دراسة دقيقة واستطاع ان
يكشف عن اخطاء لجالينوس وردت في وصفه للهيكل العظمي .. ومن كتبه
الافادة والاعتبار - توفي في بغداد - الموسوعة ص ٣٤

(40) القزويني زكريا : ١٢٠٣ - ١٢٨٣ رحالة من اصل عربي ولد
بأقليم قزوين في (سن ، فارس) ترك كتابين : (١) في الفلك والجغرافيا
الابسمية وعنوانه " عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات "
(٢) في الجغرافية التاريخية بعنوان عجائب البلدان .. توفي في بغداد ..
والملاحظة هناك القزويني محمد بن عبد الرحمن ١٢٦٨ - ١٢٣٨ الفقيه
المحدث ليس هو المراد هنا ..

(41) ابن مسكويه ، ابو علي الخازن الملقب بمسكويه : معناها
(رائحة المسك) وهي تركيب اعصى ت ١٠٢٠ فيلسوف واديب ومؤرخ وعالم
بالكيمياء كان مجوسيا ثم اسلم . من مصنفاته : تجارب الاثم حاول التوفيق بين
الفلسفة اليونانية وبين الشريعة الاسلامية .. وكانت فلسفته تدور في الاخلاق ..
(42) الجاحظ عمر بن بحر ٧٧٠ - ٨٦٨ كاتب ادب مشهور له كتب
منها (الحيوان) والبيان والتبيان) والبخلاء والمحاسن والاضداد يظن ان
اصله من افريقيا راجع الموسوعة ص ٥٩١

(٤٣) خازن ابو جعفر توفي ٩٦٠ ولد بخراسان رياضي وفلكي عربي

كتب تعليقات على اعمال اقليدس وبخاصة الكتاب العاشر الموسوعة ص ٧٤٨

(٤٤) جابر بن حيان طبيب عربي اول من اشتغل بالكيمياء القديمة

عاش بالكوفة وبغداد في اخر القرن ٨ واول ٩ ترجمت كتبه الى اللاتينية

وهي تزيد على الثمانين ، وتعتبر اهم ما كتب في ذلك العصر ..

(٤٥) ابن النفيس على ابن الحزم القرشي ت ١٢٨٨ م احد اطباء

دمشق المشهورين كان اماما في علم الطب .. صنف كتاب شامل في الطب

اول من اكتشف الدورة الدموية الرئوية ووصفها وصفا علميا دقيقا فسبق بذلك

مايكل سرفتس الذي يعزو الاوربيون اليه هذا الاكتشاف .. ولا ريب ان

هذا اعظم اكتشاف في التشريح قام به العرب راجع الموسوعة ص ٢٩

(٤٦) ابن البيطار ابو محمد عبدالله بن احمد الطالق ت ١٢٤٨ م

عالم نباتي ولد بملقه وسافر الى بلاد الاغريق واقصى بلاد الروم والمغرب

عابن منابت النبات وتحقيقها ومن كتبه : الجابي في مفردات الادوية

والاغذية " وصف فيه الفا واربعمئة نوع من العقاقير

(٤٧) داود بن عمر الانطاقي ت ١٦٠٠ ولد بانطاكية مكوف البصر

وتتلمذ على شيخ فارس قرأ المنطق ودرس الطبيعيات والرياضيات واللغة

اليونانية فاجادهما .. له كتاب تذكرة داود - في الطب ولا يزال بعض المرضى

يعالجون انفسهم بوصفاته ..

(٤٨) المقدسي ابو عبدالله محمد بن احمد القرن ١٠ ولد ببیت

المقدس من اشهر الجغرافيين العرب وادقهم ساح في معظم جهات العالم

الاسلامي ورسم للبلاد التي زارها خرائط ملونة له كتاب (احسن التقاسيم

في معرفة الاقاليم) .

(٤٩) الادريسي ابو عبدالله محمد بن محمد ١١٠٠ - ١١٦٦ ويلقب

بالشريف ولد في الاندلس وقيل سبته بلد في المغرب من اسرة علوية وتعلم بقرطبة

وبرع في علم الهيئة والجغرافيا والطب والحكمة والشعر زار بلاد الروم واليونان ومصر

والمغرب وفرنسة وبريطانيا وله كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق " وكان مصنفه هذا

من الاعمال الجغرافية في عصره ..

(50) ابن ماجه شهاب الدين احمد ملاح عربي ولد بجزيرة العرب الف ٣٠ كتابا في البحرية بين سنتي ١٤٦٢ - ١٤٩٠ أشهرها (الفوائد في اصول علم البحر والقواعد)

(51) الدينوري ابو حنيفة احمد ت ٨٩٥ فقيه ولغوي ومؤرخ عربي له كتاب " الاخبار الطوال " طبع بلندن ١٨٨٨ وله كتاب " النبات " الذي حظى بتقدير العلماء

(52) ابن يونس ابو الحسن على ت ١٠٠٩ اكبر علماء الفلك العرب ساعدته اجهزة مرصد القاهرة في ايام الفاطميين .. ووضع جدول فلكية جديدة من أدق ما عرف حتى ذلك التاريخ " الزيج الكبير الحاكم " .

(53) موسى بن شاكر واولاده الثلاثة محمد واحمد والحسن وشوالة كانوا ممن تاهوا في طلب العلوم القديمة من الهندسة والحيل (ميكانيك) والحركات والموسيقى والنجوم .. توفي محمد بن موسى سنة تسع وخمسين ومائتين في شهر ربيع الاول

(54) ابن رشد هو الوليد بن احمد بن رشد ١١٢٦ - ١١٩٨ فيلسوف وطبيب اندلسي ولد في قرطبة وتوفي في مراكش ودفن في قرطبة لخص كثيرا من الكتب الفلسفية الاغريقية . وله كتاب الكليات في الطب . وقد رد على الغزالي " تهافت الفلاسفة " بكتاب (تهافت التهافت) ومن أشهر كتبه " بداية المجتهد ونهاية المقتصد " ترك اثرا بعيدا في التفكير وعرف بالفيلسوف والشارح وكانت له مدرسة في الجامعات الاوربية ..

شمس العرب ص ٢٠٣

(55) عباس بن فرناس من اصحاب الفن والصناعات ادخل الموسيقى الشرقية الى اسبانية قالوا انه استببط صناعة الزجاج من الحجارة وحاول الطيران برداء من ريش كسا نفسه به توفي عام ٨٨٨ م .

(56) الطأمون ٧٨٦ - ٨٣٣ من الخلفاء العباسيين ابن هارون

الرشيد احب الفرس ولم يكتسب ود العرب قلب البيزنطي بالقرب من طرطوس
الحاز الى مذهب المعتزلة في عصره ازدهرت العلوم والفنون الاسلامية ونقلت
مؤلفات اليونان نقش خاتمه : (الموت حق) وأسس بيت الحكمة ٨٣٠ م
راجع شمس العرب ص ١٧٨

(57) صلاح الدين الايوبي ١١٣٨ - ١١٩١ ولد في تكريت وتوفي

في دمشق مؤسس الدولة الايوبية اكبر ملوك المسلمين ايام الصليبيين هزم
الافرنج في وقعة حطين ١١٨٧ م وفتح بيت المقدس واخذ عسود الصليب
اشتهر بكرمه وعزة نفسه ورسالته وبتقشفه وقناعته . .

(58) اخوان الصفا جماعة سرية دينية وسياسية وفلسفية شيعية او

اسماعيلية باطنية : هم (١) محمد بن مشير البستي الطقطب بالمقدسي
(٢) ابو الحسن علي بن هارون الزنجاني ومحمد بن احمد النهرجوري . .
والعوضي وزيد بن رفاعة . .

جماعة تآلفت وتضافت واجتمعت على القدس والطهارة . . فوضعوا مذهباً
يزعمون انه يؤدى الى رضوان الله تعالى : هو انتظام الفلسفة اليونانية بالشرعية

المحمدية . . ذلك ان الشريعة - كما يزعمون - قد دنست بالجهالات ولا
تظهر الا بهذا بادماجها في الفلسفة فوضعوا رسائلهم في اربعة اقسام :

قسم في الرياضيات وقسم في الجسمانيات (الطبيعيات) وقسم
في النفسانيات (العقليات) وقسم في الناموسيات (الالهيات) وقد
عاشوا بالبصرة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري (الموسوعة ص ٦٦

(59) ابن خلدون ابو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون -

١٣٣٢ - ١٤٠٦ م مؤرخ وفيلسوف اجتماعي عربي مسلم مشهور . . ينتهي
نسبه الى اوائل بن حجر من عرب اليمن . . اقامت اسرته في تونس حيث نشأ
وتعلم بها ثم حج سنة ١٣٨٧ وله عدة كتب منها : " العبرود يوان المبتدأ
والخبر " و " مقدمة ابن خلدون " فهو يعتبر بحق واضع علم الاجتماع الذي

استمر فيه الغربيون كامثال فيكو واوجست كونت وهربرت سبنسر . . راجع الموسوعة

(60) نيوتن سير اسحق قد ذكرناه تحت رقم (١١)

(61) لا مارك (جان بابست) ١٧٢٩-١٧٤٤ عالم طبيعي فرنسي

اشتهر بتقديمه نظرية التطور . له كتاب : الزهور الفرنسية ١٧٧٨ م

(62) الحروب الصليبية ١٠٦٩ - ١٢٩١ وسميت بالحملات الصليبية

لأن المماربين النصارى كانوا يضعون اشارة الصليب على ثيابهم واسلحتهم

جاءوا من اوربا الغربية ليستردوا قبر المسيح والاراضي المقدسة . . وكان من

نتائجها التعارف بين الشعوب وتبادل العلاقات الثقافية والتجارية بين المشرق

والمغرب وازدهار فن البناء وترقى الصناعات في اوربا وهالك لائحة

الحملات مع تاريخها :

الحملة الاولى : ١٠٩٦ - ١٠٩٧ الحملة الثانية : ١١٤٨ - ١٢٤٩

الحملة الثالثة : ١١٨٩ - ١١٩٢ الحملة الرابعة ١٢٠٢ - ١٢٠٤

الحملة الخامسة : ١٢١٧ - ١٢٢١ الحملة السادسة ١٢٢٨ - ١٢٢٩

الحملة السابعة : ١٢٤٨ - ١٢٥٤ الحملة الثامنة : ١٢٧٠

(63) لامرتين الفونس ماري لوي دي ١٧٩٠-١٨٦٩ شاعر

فرنسي اشتغل بالسياسة وشغل مناصب سياسية كثيرة . .

(64) لنين فلاديمير اليسن ١٨٧٠-١٩٢٤ القائد الفعلي والفكرى

للمثورة الروسية التي انتهت باقامة النظام الشيوعي ١٩١٧ م ومن اهم كتبه

" الاستعمار على مراحل الرأسمالية " و " الثورة والدولة "

(65) انجلز فردريك ١٨٢٠ - ١٨٩٥ اشتراكي الماني اسهم مع

كارل ماركس في وضع اساس النظرية الاشتراكية الكديثة وفي صياغة البيان الشيوعي

الشهير ١٨٤٨ م . . اشترك في تدبير الحركات الثورية في اوربا واضطر الى

اقامة دائمة في انجلترا على اثر فشل ثورة ١٨٤٨ م

ومن اهم كتبه (معالم الاشتراكية العلمية) ١٨٧٨ م وكتاب (الدولة والملكية

الخاصة) و (اصل الاسرة ١٨٨٤) وغير ذلك .

(٦٦) الشيوعية : مصطلح يصعب تحديد معناه . وهو في صحيحه نظام اجتماعي تكون فيه الملكية (وخاصة ملكية الاراضى ووسائل الانتاج) في يد المجتمع بأكمله . . . وبعبارة اخرى : هي محاولة لا لغناء الملكية الفردية الموسوعة ص ١١١

(٦٧) الاشتراكية : مذهب اقتصادى وسياسى يعارض النظام الرأسمالي الذى يقوم على الملكية الفردية والشروعات الخاصة ويدين بالحرية الاقتصادية ويقر الفوارق الطبقيه . . . اى نظام يحاول تحديد الملكية الفردية - المرجع السابق ص ١٦٥

(٦٨) النظام الاقتصادى الذى يقوم على الملكية الخاصة لموارد الثروة . . . ويطلق المجال لحرية الافراد والشروعات الخاصة وبعبارة اخرى : هو نظام اقتصادى يتيح الملكية الفردية بدون قيد ولا شرط راجع المرجع السابق ص ٨٥٣

(٦٩) بروليتاريا : في النظرية الاشتراكية . . . طبقة العمال الخاضعين للاستغلال . . . الذين يعيشون من اجورهم وفي روما القديمة : كان " البروليتارى " هو المواطن الذى لا يملك شيئا . وعند (كارل ماركس) ان انهيار النظام الاقطاعي خلق طبقة جديدة معدمة من الافلاحين والاتباع اصبح افرادها مرغمين على بيع عملهم لقاء اجور فسي المراكز الصناعية الجديدة . . . يقول (لينين) ان (البروليتاريا) يجب ان ينتزع من الطبقة الرأسمالية . . .

(٧٠) دكتاتور : اصلا حاكم روماني معين لحكم ولاية في وقت الازمة ومعناه الان : الحاكم المطلق او الاوتوقراطي . . . ويعتبر هتلر مثالا لذلك . . . اما روسيا فقد نمت فيها في ظل الحكم الشيوعي دكتاتورية حزبية ذات عناصر كبيرة من الدكتاتورية الفردية . . . راجع الموسوعة ص ٧٩٩

(٧١) اناكسجوراس ٥٠٠-٤٢٨ ق م هو فيلسوف يوناني نقل الفلسفة الى اثينا ويقال انه استاذ سقراط . . رأى ان في الكون عقلا يسيره وينظمه وقال ان الشمس حجر ملتهب والقمر تراب ومخور ويعكس ضوء الشمس . فاتهم بالاحاد فهرب . . الموسوعة ص ٢٣١

(٧٢) سوفسطائيون : جماعة من الفلاسفة قبل سقراط كانوا يعطون البلاغة والخطابة انكروا الوصول الى حقيقة موضوعية ثابتة . . فالمهم هو اقناع خصمك لا بلوغ الحقيقة . .

ومن اشهرهم : جورجياس و بروتاجوراس : حارب سقراط تعليمهم ثم افلاطون .

(٧٣) ديناميكا الحرارة . . الديناميكا : تبحث في تأثير القوى على الاجسام المتحركة . . والحرارة : احدى صور الطاقة التي تتحول الى حرارة . وتعرف بطاقة حركة الجزيء . الشمس اهم مصادر الحرارة . . وتولد الحرارة من الاحتكاك والتفاعلات الكيميائية وضغط المواد ومرور تيار كهربائي في مقاومة عالية ع ١٩٤

(٧٤) لوكريتيوس ٩٩ - ٥٥ ق م شاعر روماني اسمه تيوس لوكريتيوس قادوس نظم قصيدة شامة في الادب اللاتيني تعتبر اروع ما خلفه الرومان . . عنوانها " عن طبيعة الاشياء " وتتكون من ستة اجزاء استلهم موضوعها من فلسفة ديمقريطس وبيقور وحاول فيها ان يقنع الانسان بأنه سيد نفسه وبانه ليس في حاجة في مخافة الالهة ومن ثم لا مبرر لخوفه من الموت . اعتمد في فلسفته هذه على النظرية الذرية التي تقول : ان الجسم والروح معا نشأ من الذرة . . وانهما اذا انفصلا فنيا معا . . الموسوعة ١٥٧٩ م

(٧٥) الرومان الرومانيون : هم سكان روما القدامى ، وقد تأسست روما عام ٧٥٣ ق م راجع شمس العرب ع ١٠٣

(٧٦)

(٧٧) فرنسيس الاسيزى القديس ١١٨٢ - ١٢٢٦ مؤسس رهبنة
الفرنسيسكان من اكبر قديسى المسيحية ايطالي الجلسية قضى فترة قصيرة
في الجيش ثم اتجه الى حياة التقوى والاعراض عن غرور الدنيا بدا الوعظ
سنة ١٩٠٩

(٧٨) نابليون الاول ١٧٦٩ - ١٨٤١ امبراطور الفرنسيين ولد ١٥
اغسطس في اجاكسيو بجزيرة كورسيكا وهو ابن كارلو وليتشيا بوناپرت . . وهو
مشهور . .

(٧٩) : بختلر لودفيج ١٨٢٤ = ١٨٩٩ طبيب وفيلسوف الماني
ارغم بسبب اراءه الفلسفية على ترك منصبه بجامعة توبنجن فكوس حياته
للدل والتأليف : : قاوم الميتافيزيقا المثالية . واتخذ من الحادية المتطرفة
مذهبا له . . ومن كتبه (القوة الحادية) ١٨٦٤ والطبيعة والمؤرخ
١٨٥٧ م

(٨٠) هيغل ، جورج فلهلم فردريك ١٧٧٠ - ١٨٢١ فيلسوف
الماني ومحصل فكرته مذهب النقيض وهو ان فكرة ما تولد النقيض لها
ومن تفاعل النقيضين تتجى فكرة جديدة تؤلف بينهما ثم تأخذ الفكرة
الجديدة نفس المراحل الثلاث المذكورة وهكذا . . ففكرة الوجود تولد
فكرة العدم ومن تألفهما تتجى الصيرورة . .

(٨١) هكسلى توماس هنرى ١٨٢٥ - ١٨٩٥ بيولوجى ومرب
انجليزى وقد كان داعية للداروينية وان كان قد اعتقها بشئ من التحفظ .

20 21 22 23 24 25 26 27 28 29 30 31 32 33 34 35 36 37 38 39 40 41 42 43 44 45 46 47 48 49 50 51 52 53 54 55 56 57 58 59 60 61 62 63 64 65 66 67 68 69 70 71 72 73 74 75 76 77 78 79 80 81 82 83 84 85 86 87 88 89 90 91 92 93 94 95 96 97 98 99 100 101 102 103 104 105 106 107 108 109 110 111 112 113 114 115 116 117 118 119 120 121 122 123 124 125 126 127 128 129 130 131 132 133 134 135 136 137 138 139 140 141 142 143 144 145 146 147 148 149 150 151 152 153 154 155 156 157 158 159 160 161 162 163 164 165 166 167 168 169 170 171 172 173 174 175 176 177 178 179 180 181 182 183 184 185 186 187 188 189 190 191 192 193 194 195 196 197 198 199 200 201 202 203 204 205 206 207 208 209 210 211 212 213 214 215 216 217 218 219 220 221 222 223 224 225 226 227 228 229 230 231 232 233 234 235 236 237 238 239 240 241 242 243 244 245 246 247 248 249 250 251 252 253 254 255 256 257 258 259 260 261 262 263 264 265 266 267 268 269 270 271 272 273 274 275 276 277 278 279 280 281 282 283 284 285 286 287 288 289 290 291 292 293 294 295 296 297 298 299 300 301 302 303 304 305 306 307 308 309 310 311 312 313 314 315 316 317 318 319 320 321 322 323 324 325 326 327 328 329 330 331 332 333 334 335 336 337 338 339 340 341 342 343 344 345 346 347 348 349 350 351 352 353 354 355 356 357 358 359 360 361 362 363 364 365 366 367 368 369 370 371 372 373 374 375 376 377 378 379 380 381 382 383 384 385 386 387 388 389 390 391 392 393 394 395 396 397 398 399 400 401 402 403 404 405 406 407 408 409 410 411 412 413 414 415 416 417 418 419 420 421 422 423 424 425 426 427 428 429 430 431 432 433 434 435 436 437 438 439 440 441 442 443 444 445 446 447 448 449 450 451 452 453 454 455 456 457 458 459 460 461 462 463 464 465 466 467 468 469 470 471 472 473 474 475 476 477 478 479 480 481 482 483 484 485 486 487 488 489 490 491 492 493 494 495 496 497 498 499 500 501 502 503 504 505 506 507 508 509 510 511 512 513 514 515 516 517 518 519 520 521 522 523 524 525 526 527 528 529 530 531 532 533 534 535 536 537 538 539 540 541 542 543 544 545 546 547 548 549 550 551 552 553 554 555 556 557 558 559 560 561 562 563 564 565 566 567 568 569 570 571 572 573 574 575 576 577 578 579 580 581 582 583 584 585 586 587 588 589 590 591 592 593 594 595 596 597 598 599 600 601 602 603 604 605 606 607 608 609 610 611 612 613 614 615 616 617 618 619 620 621 622 623 624 625 626 627 628 629 630 631 632 633 634 635 636 637 638 639 640 641 642 643 644 645 646 647 648 649 650 651 652 653 654 655 656 657 658 659 660 661 662 663 664 665 666 667 668 669 670 671 672 673 674 675 676 677 678 679 680 681 682 683 684 685 686 687 688 689 690 691 692 693 694 695 696 697 698 699 700 701 702 703 704 705 706 707 708 709 710 711 712 713 714 715 716 717 718 719 720 721 722 723 724 725 726 727 728 729 730 731 732 733 734 735 736 737 738 739 740 741 742 743 744 745 746 747 748 749 750 751 752 753 754 755 756 757 758 759 760 761 762 763 764 765 766 767 768 769 770 771 772 773 774 775 776 777 778 779 780 781 782 783 784 785 786 787 788 789 790 791 792 793 794 795 796 797 798 799 800 801 802 803 804 805 806 807 808 809 810 811 812 813 814 815 816 817 818 819 820 821 822 823 824 825 826 827 828 829 830 831 832 833 834 835 836 837 838 839 840 841 842 843 844 845 846 847 848 849 850 851 852 853 854 855 856 857 858 859 860 861 862 863 864 865 866 867 868 869 870 871 872 873 874 875 876 877 878 879 880 881 882 883 884 885 886 887 888 889 890 891 892 893 894 895 896 897 898 899 900 901 902 903 904 905 906 907 908 909 910 911 912 913 914 915 916 917 918 919 920 921 922 923 924 925 926 927 928 929 930 931 932 933 934 935 936 937 938 939 940 941 942 943 944 945 946 947 948 949 950 951 952 953 954 955 956 957 958 959 960 961 962 963 964 965 966 967 968 969 970 971 972 973 974 975 976 977 978 979 980 981 982 983 984 985 986 987 988 989 990 991 992 993 994 995 996 997 998 999 1000 1001 1002 1003 1004 1005 1006 1007 1008 1009 1010 1011 1012 1013 1014 1015 1016 1017 1018 1019 1020 1021 1022 1023 1024 1025 1026 1027 1028 1029 1030 1031 1032 1033 1034 1035 1036 1037 1038 1039 1040 1041 1042 1043 1044 1045 1046 1047 1048 1049 1050

89 90 91 92 93 94 95 96 97 98 99 100 101 102 103 104 105 106 107 108 109 110 111 112 113 114 115 116 117 118 119 120 121 122 123 124 125 126 127 128 129 130 131 132 133 134 135 136 137 138 139 140 141 142 143 144 145 146 147 148 149 150 151 152 153 154 155 156 157 158 159 160 161 162 163 164 165 166 167 168 169 170 171 172 173 174 175 176 177 178 179 180 181 182 183 184 185 186 187 188 189 190 191 192 193 194 195 196 197 198 199 200

الفصل الاول : اسباب الالحاد العامة

الفصل الثاني : أسلوب المفكرين في أسباب الالحاد الحديث

الفصل الثالث : طغيان الكيسة

الفصل الرابع : قوانين المادة

الفصل الخامس : مقارنة الأديان

الفصل السادس : الثورة الفرنسية

الفصل السابع : مذهب النشوء والارتقاء

لفصل الثامن : دور السیہود فی افساد اور بیا

لفصل التاسع : رجوع اوربا الى ارضها القديم

المسألة الأولى

لماذا ألحد الناس في أوربا الحديثة

ان هذا السؤال الخطير ، قد اجيب عليه بأسلوبين :

- ١ - أسلوب الملاحظة .
 - ٢ - أسلوب المفكرين من المسلمين والغربيين المنصفين . .
- فانصط لكل واحد منهما شرحا موجزا :

الأول :- أسلوب الملاحظة :

إذا قلت لأى ملحد ، من هو "المعاصرين" ، ما هو سبب إلحادكم في أوربا الحديثة ، سيقولون ، لأول وهلة - انما هو معارضة العلم للدين مطلقا . وذلك ان التطور الذى بلغ به الانسان - اليوم - هو أعلى مستوى من الانسانية وهو نقي للدين من تلقاء نفسه . .

وبعبارة أخرى : ان التفسير اللاهوتى للأحداث والوقائع لا يمكن اثباتها بالوسائل العلمية فهو باطل لا حقيقة له . . هذا هو منطق ملاحظة العصر الحديث واليك شواهد من اقوالهم يثبت ما قلنا :

يقول عميد الإلحاد في العصر الحديث وبالذات في القرن السابع عشر ، (برتراند رسل)^(١) كلمة تعتبر - بحق - تلخيصا للإلحادية آنذاك :

" ان تقرير الحقائق يجب ان يبنى على الملاحظة لا على الرواية غير المؤيدة " (يعنى بالرواية ، النصوص والدين) .

(١) يراجع اثر العلم في المجتمع . برتراند رسل ، ترجمة تلام حسان ، مصر .

يقول العلامة (ألفرد هوالث هو) (Alfred White Hed)

" ما من مسألة ناقض العلم فيها الدين الا وكان الصواب بجانب الحق والخطأ بجانب الدين " (١)

(٢)

وأصرح من كل ذلك قول ستالين في عام ١٩٢٧ م " اذ يقول :

" لا يستطيع الحزب أن يقف من الدين موقف الحياد : ان الحزب يشن

جملة غاية ضد الدين أي انحياز للدين .. لأن الحزب يؤمن بالعلم

بينما العلم يتعارض مع الانحياز للدين .. لأن الدين كله مناوئ للعلم " (٢)

وفي عام (١٩٢٨) جاء في برنامج المؤتمر السادس الدولي ما نصه :

" الحزب ضد الدين - أفيون الشعوب - تشغل مكانا هاما بين اعمال

الثورة الثقافية ويلزم أن يستمر هذا الحزب باصرار وبطريقة منتظمة ..

وحكومة العمال تعترف بحرية الضمير ولكنها في نفس الوقت تستعمل كل الوسائل

التي تملكها للقيام بدعاية ضد الدين .. وتنظيم التربية على أساس التصور المادي

للدنيا " (٣)

ويقول جوليان هكسلي صراحة في كتابه الانسان في العالم الحديث

" ان الجاهل والمجرب فقط هما اللذان يخضمان الانسان لله !

فاذا ازدادت معرفته وقوته ، فلا موجب - اذن لفكرة الله ، وما يرتبط بها

من عبادات ، وليكن الانسان (هو الله) (٤)

تقول دائرة المعارف البريطانية ما نصه :

" ان المعلومات الكونية واللاهوتية والعلمية التي وردت في الكتب المقدسة

(١) الجفوة المفتعلة بين العلم والدين تأليف محمد علي يوسف ص ١٢ نقلا عن

كتاب : Science And The Modern World

(٢) الاسلام في وجه الزحف الأحمر محمد الغزالي ص ٢٧

(٣) جاهلية القرن العشرين محمد قطب ص ٦٨ - ٦٩

لا تخرج عن كونها مسائل جانبية لا تتعلق بالنظر أو الاعتبار إذا وضعت تحت
منظار العلم الحديث * (١)

هذا يكفي أن نعترف بأن الملحدين لا يرون سببا آخر للإلحاد إلا معارضته
لنظام الحديث الدين لأنهم - طى ما يقولون - في خطين متوازيين :
العلم مبني على الحقائق ،
والدين مبني على الخرافة والجهل .

هل الملاحدة كانوا يؤمنون بما يقولون ؟ الجواب لا . إنما تمسكوا
بهذا المذهب تمسبا للإلحاد وشوقا إليه بل فرارا من سيطرة الكنيسة ودليلا
على ذلك أن برتراند رسل نفسه ، صرح في بعض مقالاته أنه يؤمن بحقيقة
الدين لأن هذا النظام الكوني الذي يفوق حد الوصف يستلزم أن يكون هناك
منظم ... ولكنه من شدة تعصبه إلى الإلحاد يرفض هذا الدليل المقبول
لمعارضته مذهب داروين . الذي لا يرى هدفا من وجود الإنسان والكائنات
... فهو يقول :

" هناك دليل من هذه الأدلة ليس منطقيا محضا ... أنه الاستدلال بـ ...
نظام تخطيط الكون " مع أن داروين طى كل حال أبطال هذا الدليل " (٢) .
وهذا نرى أن أهم ما في هذا الاقتباس هو اعتراف (رسل) بجواز
الاستدلال المنطقي بـ " نظام الكون " ولكن بالرغم من اعترافه بهذا الدليل
- كبدأ فانه يذهب إلى أن الداروينية قد أبطلت ذلك الدليل .
إن هذا يدل بكل وضوح أن الملاحدة لم يؤمنوا بالإلحاد لأجل كونه

(١) هزيمه الشيوعية ، أنور الجندي ص ٨٢

(٢) الدين / وحيد الدين خان ص ٣٦ نقله من كتاب :

Why I am not a Christian 1959,

P.XI.

الاستدلال المنطقي الوحيد ولكنهم آمنوا به المتعصب الأعمى .
والذى يؤمله هذا الملحد يقول به أيضا جميع الملاحدة . وهذا
واطس يقول :

" ان علماء الحيوان يؤمنون بالنشوء لا كنتيجة للملاحظة أو الاختيار .
أو الاستدلال المنطقي ، ولكن لأن فكرة الخلق المباشر بعيدة عن التصور ^(١) .
ويقول د . ه . سكوت : " ان نظرية النشوء جاءت لتبقى ولا يمكن أن
تتغلب عليها حتى ولو أصبحت عملا من أعمال الاعتقاد " (٢) .
يقول السير آرثر كيت (١٨٦٦ - ١٩٥٥) :

" الارتقاء غير ثابت ولا يمكن اثباته ، ونحن نؤمن من بعيد النظرية
لأن البديل الوحيد هو الايمان ب (الخلق المباشر) وهو أمر لا يمكن حتى
التفكير فيه " (٣) .
وهكذا رأينا أن الملاحدة القائلين بأن الدين خرافة إنما يقولون ذلك
بالسنتهم وتأني قلوبهم ..
وبهذا القدر نكتفي للاثبات أن سبب الالحاد عند الملاحدة هو إقامته
الدين على تفسير زائف للحقائق التاريخية ، وإقامة " العلم الحديث " على
الحقائق الثابتة لا يمانه بالملاحظات فحسب . وسنرى ان شاء الله في الصفحات
القادمة مقدار صحة هذا الزعم .

(١) مذهب النشوء والارتقاء ، منيرة على الغايات ، تقديم محمد البهي ،

مصر ١٩٦٥ م ص (٦) .

(٢) المصدر السابق ص (٧)

(٣) المصدر السابق ص (٦)

الفصل الأول

أسباب الالحاد العامة

وقبل أن نتكلم في أسباب الالحاد في أوروبا الحديثة ، نود أن نمطى للتارىء فكرة عن أسباب الالحاد عامة . ومن راجع الكتب التاريخية الثابتة ، يجد أن في الالحاد سمة مشتركة بين جميع الملحدين قديما وحديثا . وان اختلفت الصور الالحادية لأجل ملاح البيئة التى تعيش فيها . . . وملاحظ " الطور " الاقتصادى والاجتماعى والسياسى الذى يحيط بهم ، تجددهم دائما يشتركون في خصائص أصيلة هى التى تمنحها سمة الالحاد على مدار التاريخ . . . وذلك ان الالحاد ليس شيئا لا يوجد الا في فترة من الزمن محدودة ففى ثنايا التاريخ . . . وليس هو الشئ الذى يمثل العلم والحضارة والمدنية والتقدم المادى كما يقولون ، وانما هو رفض الاهتداء بهدى الله (١) ، قد يكون ذلك ففى التصور الاعتقادى أوفى الشميرة أوفى الشريعة . . . فهذا لا علاقة له بالبيئة والدور الاقتصادى والاجتماعى والسياسى .

إذا عرفنا ذلك ، فقد تهيأت أذهاننا ونفوسنا للحديث عن الملاح المشتركة بين جميع الملاحدة فى التاريخ القديم والحديث . . .

فما هى - اذن - تلك الملاح والسمة المشتركة . . ؟

فى القرآن الكريم يجد الباحث هذه السمات المشتركة بين الملحدين ففى عدة صور وأشكال ولكن نستطيع أن نجعلها فى هذه العناصر الخمسة الآتية :

(١) أزمة العصر ، محمد ، محمد حسين ص (١٠)

راجع كتاب قذائف الحق ، محمد الغزالي ص ٨

تحيات العلمانية ، الدكتور عماد الدين خليل ص ٢٦

(١) استنكار هدى الله

(٢) البحث عن الله عن طريق الحسن والمشاهدة

(٣) اتباع اليهود

(٤) الانجراف في الشهوات

(٥) اتباع الطواغيت

واليك شرحا قصيرا لكل مما ذكر :

أولا - استنكار هدى الله :

ان كل الأمم الملحدة - على مدار التاريخ - تشترك في رفض الاهتداء بما أنزل الله على رسوله، وتستجيب المعنى على الهدى ، وتزعم أن ما هي فيه هو الخير المحض ، وأن ما تدعى اليه من الهدى هو الضرر والخسران (١) . ولقد ضرب لنا القرآن الكريم مئات الأمثلة على ذلك : واليك ما يوضح ذلك :

يقول الجاهليون : * ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا * (٢)

* واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها * (٣)

* وسيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا * (٤) هذا بعض ما قاله الملحدة القدامى . . وسنرى أيضا أن الملحدة المعاصرين يقولون مثل هذا بدون أى اختلاف الا اختلاف الأساليب . . وأما الحقائق الجوهرية تظل دائما دون ما تغيير في صورتها وفي أفعاليها على مدار التاريخ .

(١) الاسلام والشيوعية ، وزارة الأوقاف ص ٣١

راجع ايضا المسلمون تحت الحكم الشيوعي / محمد ساني عاشور ص ٣٥ - ٥٢ بتصرف

الاسلام أو الشيوعية ص ١٢ تأليف محمد عرفة

(٢) الآية رقم ٥٧ من سورة القصص

(٣) الآية رقم ٢٨ من سورة الاعراف

(٤) الآية رقم ١٤٨ من سورة الانعام

(٤)

ويقول السير جيمس جينسر جيمس ستيفن السالف الذكر: " أن بعضهم يظن - أو يقول أنه يظن - أن الحياة كما يصورها العلم لا تستحق أن نحياها وهو عندى رأى باطل ، فنحن فى هذه الحالة خلقاء أن نحيا على أصول غير التى تعودوا أن يعتقدوها ..

" وسيبقى الحب والاخاء والدايم والمعرفة والأدب والفن وأمور السياسة والتجارة والصناعات والحرف وألوف غيرها - سارية فى مسراها كما كانت من قبل دون حاجة الى اله "

" نعم ! وان الذين يقدررون - مخلصين - أن ينظروا الى الدنيا هذه النظرة لتسمو بهم عقيدتهم وترفعهم فوق صفائر الحياة ، ويحق لهم أن يسرعوا هذه العقيدة امام غيرهم حيث تسويغ العقيدة الى حاملها وجوواها ولا يرجع الى صحتها ودلائل ثبوتها ..

" لما اذا وجب أن نطرح هذه العقيدة جانبا فلا أخال أن الحياة " تخسر قيمتها " .. " وأن الاخلاق " على الخصوص تنقطع وتنزل .. "

وسوف تموت الديانة .. ولكننا - كما اسلفنا - قادررون على أن نصيش عيشة حسنة بغير الديانة .. وان أقمناها على أصول غير هذه الأصول قلما تخالف فى لبابها أصول الصيش التى يدين بها نفسه كل ذى أخلاق " (١) .

ان هذا الاستعراض السريع لا يدع مجالا للشك من أن الملاحظة قديمها وحديثا مشتركون فى سجة الرفض لما أنزل الله على رسوله : وصدق الله سبحانه وتعالى اذ يقول * كوهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم * .

ثانيا - : البحث عن الله بطريق الحس وهو السمة الثانية :

ومن تأمل في صفحات التاريخ ، يجد أن أناسا في القديم والحديث أنكروا وجود الله لأنهم لم يدركوه بحواسهم متصورين أن هذا هو الطريق الوحيد إليه . ورموا المؤمنون بأنهم واهمون وضالون وخرافيون ومشوشون وغير علميين إلى آخر السلسلة الطويلة من السب والهز والسخرية والازدوار التي يوجهونها للملاحدة بالله إلى المؤمنون أنهم آمنوا بالله عن غير طريق الحس (١) (٢) (٣) ويحكي لنا القرآن أن ملاحدة في القديم جعلوا رؤىة الله أو تكليمه شرطاً للإيمان . . (١)

أما الرؤىة يقول فيها القرآن : * فقد سألوا موسى أكبر من ذلك . فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم * (٤) وقال أيضا : * قال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا * (٥) **وأما التكليم** يحكيه القرآن بهذا الأسلوب الفذ :

* وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم ، قد بينا الآيات لقوم يوقنون * (٦)

-
- (١) الاسلام والشيوعية وزارة الأوقاف الادارة العامة للدعوة (مصر) ص ٢٦
 - (٢) الفكر الاسلامي والمجتمع المعاصر * محمد البهي ج ٢ ص ٨٩ و ٩٢ بتصرف
 - (٣) راجع أيضا المسلمون تحت الحكم الشيوعي : محمد سامي عاشور ص ٣٥ - ٥٢ بتصرف
 - (٤) الآية رقم ١٥٣ في سورة النساء
 - (٥) الآية رقم ٢١-٢٢ في سورة الفرقان
 - (٦) الآية رقم ١١٨ في سورة البقرة

وهذه الآية الأخيرة تشير - بوضوح - الى أن هذه الخصيصة مشتركة بين جميع الملاحدة بدليل قوله تعالى * تشابهت قلوبهم * . وإذا رجعنا الى تاريخ الملاحدة المعاصرين تجد هذا التشابه الذي أشار اليه القرآن ينطبق فيهم تمام الانطباق . وهم أيضا يشترطون الاتصال الحسى للايمان بالله تعالى . واليك نموذج من أقوالهم :

يقول هيوم الملحد : " لقد رأينا الساعات وهى تصنع فى المصانع ، ولكننا لم نر الكون وهو يصنع فكيف نسلم بأن له صانعا " (١) .

ويقول عالم كبير من علماء النفس :

" ليس الاله سوى انعكاس للشخصية الانسانية على شاشة الكون " (٢) .

ويقول أستاذ أمريكي فى طب للأعضاء :

" لقد أثبت العلم أن الدين كان أقسى وأسوأ خدعة فى التاريخ " (٣) .

ونختتم هذا الجزء ببقالة أخرى لهيوم تؤكّد أن الملاحدة انما رفضوا

الايمان لعدم امكانية اتصالهم بالله حسيا يقول هيوم :

" لقد جلى التطور العلمى للانسان كثيرا من سلسلة الأحداث التى لم

يشاهدها من قبل فهو لم يكن على علم بأسباب شروق الشمس وغروبها ، حتى

زعم أن هناك قوة فوق الطبيعة تجعلها تشرق وتغرب . وها قد عرفنا اليوم

أن شروق الشمس وغروبها يحدث لدوران الأرض حول نفسها ، وبذلك انتهت

ضرورة القول بهذه الطاقة تلقائيا بعدما عرفنا الأسباب المؤدية الى هذه الحركة

الكونية : فإذا كان قوس قزح مظهرها لانكسار أشعة الشمس على المطر ، فماذا

يدعونا الى القول بأنها آية الله فى السماء " (٤) .

(١) الاسلام يتحدى / وحيد الدين خان ص ٣٥ - نقلا عن : Religion

(٢) المرجع السابق ص ٣٦ - without, Relation, N.Y. 1958 P. 52

(٣) المرجع السابق ص ٤٠ - ونقلا عن كتاب : Lenin, Selected works

(٤) المرجع السابق ص ٣٥ - 1947, vol. II P. 667.

كما رأينا القداى أنهم رفضوا الايمان بالله لعدم امكانية رؤيته أو تكليمه ،
رأينا هنا أيضا الملاحدة المعاصرين يرفضون الايمان للسبب ذاته وذلك أثر
من تشابه قلوبهم • كما أخبرنا بذلك كتابنا المبين • ان هذا يكفى للاثبات
أن التصور الحسى للبحث عن الله سمة مشتركة عند جميع الملاحدة قديما
وحديثا ••

فكلما يبلغ الانسان الى هذه الدرجة تتعطل فيه أجهزة الاستقبال الفطرى •
فحينئذ يضطرب كيانه و يشمل هذا الاضطراب جميع تصرفاته • فتتنوع مشاعره
وأعماله ووجدانه وسلوكه ومبادئه فلا يعود تلك الفطرة الموحدة التى
كان يتمتع بها منذ ولادته •• والقرآن الكريم أشار الى هذه الحقيقة بقوله :
* الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون *

وعندئذ يوجد الالحاد ويوجد البحث عن الله بطريق الحس بل توجد
محاربة الله ودينه ورسوله بصورة علنية دون حياء ولا خلق •

انظر الى هذا الملحد الظالم لنفسه لما افتقد الله من بين ذرات المادة
(على حد زعمه) ولم يجده هناك بدأ يقول هذه السخافات الآتية :

" ان عقيدة القادر المطلق الظالم في نهاية الامر ، الذى لا يرضى
الا بالطاعة الكاملة والوفاء ، كانت أول ما اتجته نظام المجتمع السامى • لقد
خلق هذا النظام جيرونا غير عادى •• وكانت نتيجته أن شريعة موسى
خرجت بقوائم ضخمة مفصلة عن المحرمات فى كل مجال من الحياة الانسانية •
وقد آمن بهذه القوائم الطويلة الموام الذين كانوا يتقبلون أحكام آبائهم الحمياء
ويطيعونها • وما التصوير الالهى (اليهودى) الا خيال مثالى لأب سامى •
مع شئ من المبالغة والتجريد فى الأوصاف والطاقات " (١)

(١) الاسلام يتحدى / وحيد الدين خان ص ٣٧

وراجع كتاب :
Tree of Culture, Ralph Linton

مرض من الأمراض القلبية

ويشهد وأن هذا الوهم الذي يمسك به كثير من الملاحدة أثر عن أمراض في النفس والقلب . وليس أثرا عن فكر سوى أو عقل مستقيم أو انصاف فسي تحقيق . فقد حدثنا القرآن الكريم أن هذه الأمراض ذاتها ، هي التي ينتج عنها هذا التصور الفاسد والكلام الخاطي ، ويحدد القرآن أسباب هذه الأمراض بأنها : الجهل ، والكبر ، والانحراف ، والظلم .

فلنصط شرحا موجزا لكل كلمة :

١ - الانحراف :

يحدثنا القرآن الكريم أن فرعوناً من فراعنة مصر ، لما استد انحرافه صدر قرارا الى وزيره يقال له " هامان " يأمره أن يبنى له بناءً عاليا ليقوم بالبحث عن اله موسى الذي يدعيه ، من بين ذرات المادة الخرقاء ، ومن هنا زين لفرعون هذا التصور الخاطي ، وضل عن طريق الوصول الى الله عز وجل . فلنستمع الى القرآن الكريم بصور لنا هذا المطلب السخيف :

﴿ وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب ، أسباب السموات فأطلع الى اله موسى واني لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل ﴾ (١) .

اذن ان الانحراف عن منهج الله القويم مرض قلبي ينتج عنه الالحاد والبحث عن الله تعالى عن طريق الحس .

٢ - الكبر :

يذكر لنا القرآن الكريم أن قوما آتاهم كبرهم الى أن طلبوا رؤيئة الله أو نزول الملائكة للإيمان . وبلا شك ان هذا كبر فريد وعتو غريب

(١) الآية رقم ٢٦ في سورة غافر

* وما قدرُوا اللهَ حقَّ قدره * ان هذا يدل على جهلهم من أن قوانين هذا العالم المادية ليس فيها للحواس من عالم الغيب من نصيب * يقول تعالى عنهم : * وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا ، لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا * يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين * (١)

والاية تشير الى أن الذين يريدون أن يروا الله * انهم الذين يتصورون أن الحياة الدنيا هي كل شيء * وليس وراءها الا المدم * ثم نوهت الاية الى أنه اذا كانت الملائكة في قوانين هذا العالم العادية لا ترى فأولى اذن أن تكون الذات الالهية كذلك * كما بينت الآية ان الكبر وحده هو الذى دفعهم الى مثل هذا المنطق * وليس الوضع السوى للانسان الذى يرغب بالحق ويسلك اليه طريقه الصحيح * .

٣ - الظلم * وكما أخبرنا القرآن الكريم أن اليهود قد طلبوا هذا المطلب الالحادى ظلما * فليس العدل هو الذى دفعهم الى أن يطلبوا مثل هذا الدالب * بل هو ظلم النفوس للحق ، اذ تصرفه وتتنكر له ، فلنقرا الايات التالية ::

• واذ قلتم يا موسى لن نؤمن بك حتى نرى الله جهرة ، فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون * (٢)

وفى موضع آخر يقول : * فقد سألوا موسى أكبر من ذلك ، فقالوا : أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم * (٣)

(١) الاية ٢١ - ٢٢ فى سورة الفرقان

(٢) الاية رقم ٥٥ فى سورة البقرة

(٣) الاية رقم ١٥٢ فى سورة النساء

هذه هي من عقائد اليهود الفدائي حين نزول القرآن وقبله ، بل وحتى اليوم لأنهم يؤكّدون في البروتوكولات أنهم يشكّون بهذه العقيدة الفاسدة حين يحتلون عرش الدنيا بأسره . فاقرا ذلك في البروتوكول الرابع عشران
شئت :

” حينما نمكن لأنفسنا فنكون سادة العالم — لن نهيج قيام أي دين غير ديننا ... ولهذا السبب يجب علينا أن نحطم كل عقائد الايمان ” .
فالظلم — اذن — من الأمراض القلبية التي ينتج عنها الالحاد في الله . ولولا هذا الظلم لما طالب اليهود رؤية الله جبهة فلتحسروا — اذن عن الظلم .

٤ — الجهيل : او الجهيل بحقيقة الألوهية يجعل الانسان في مصاف الملحدين . وقد ذكر لنا القرآن أن كل من أراد أن يتصل بالله حسيا قد يما وحديثا نتيجة من الجهيل بحقيقة الاله . لأنه لا يطلبه مؤمن جبار ولا كافر جاد وانما يطلب ذلك الجهيل من الملما يقول تعالى :
﴿ وقال الذين لا يعلمون ، لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية ، كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم ، تشابهت قلوبهم قد بينا الايت لهم يوقنون ﴾ . ويلاحظ في الآية أنها أشارت الى أن هذا القول ليس كلام عالمين بل كلام جهال . ان هذا الكلام ليس جديدا بل هو منطق الكافرين دائما قد يما وحديثا وذلك أثر عن تشابه القلوب . وأخيرا نقرر أن الطريق الى الله هي آياته ، أي آثاره التي تدل عليه .

(١) ليلاحظ القارئ أن علماء اليهود يجدون كل ما في وسعهم لهدم الأديان عن طريق المذاهب الاجتماعية والسياسية والفكرية والبيولوجية مثل مذهب (دوركايم) والشووعية والوجودية ومذهب التطور وأنهم القائمون على دراسة علم الأديان المقارن متوسلين به الى نشر الالحاد ونسف الأديان من النفوس . وأن تلاميذهم من المسلمين والمسيحيين في كل الأقطار يرجون لرائهم الهدامة بين الناس جهلا وظلما .

(٢) البروتوكول الرابع عشر ص (١٦٩) (٣) الآية رقم ١١٨ في سورة البقرة .

واقعيهم المادى يكذبهم

ان أمثال هؤلاء الذين يقولون : انهم لا يؤمنون الا بما ادركته حواسهم يكذبهم واقعيهم المادى الذى يعيشونه ، فهم مثلا يؤمنون بالجاذبية وقوانينها ولم يشاهدوها . بل رأوا آثارها فقط . (١)

يؤمنون بالعقل ولم يروه بل رأوا آثاره . كما يؤمنون بالمغناطيسية فقد شاهدوا فقط انجذاب الحديد الى الحديد دون رؤية الجناذب . ويؤمنون بوجود الالكترون والنيترون ولم يشاهدوا الكترونا أو نيترونا . فواقع امرهم يدل على أنهم آمنوا بأشياء لم تدركها حواسهم . ولكن آثارها هى التى دلتهم عليها وهم فيها على يقين لا يخالطه شك ، وهذا يعنى بوضوح أن كثيرا من حقائق الوجود يؤمن بها هؤلاء لاحتساسهم بآثارها دون احساسهم بها ذاتها .

والعلم الحديث الذى يتبحرون به يقرّ تقريراً جازماً بأن الحواس تمطينا أحيانا صورا كثيرة وهمية . فنضرب على ذلك أمثلة بسيطة :

أولا - فالحصا المغمور بالماء تبدو مكسورة .

ثانيا - والخطوة المتوازية التى تفصل بينها خطوط تبدو غير متوازية

ثالثا - والأرقام البيضاء تبدو أكبر من الأرقام السوداء .

رابعا - ان شمورنا دائما أننا نسير ورؤوسنا الى أعلى سواء كنا فى القطب

الشمالى أو الجنوبي أو على خط الاستواء والحقيقة خلاف ذلك .

فمثل هذه الصورتين لنا بوضوح أن الحواس - لولا العقل - لا أعطتنا

أخطاء بدلا من حقائق . ولولا العقل لم تكن لنا أى معرفة . والملاحظة

(١) راجع كتاب الدين ، سعيد صوى ص (١٠)

يقرون بكل هذا ثم ينحرفون إلى لا شيء إلا أن الالحاد يعنى القلب ، وهو كالحسد الذى يبتدىء بصاحبه قبل المحسود .

وبعد هذا يقف المسلم يتساءل وهو يهز رأسه السؤال التالى :

هل كان هؤلاء على صواب عندما حصلوا المعرفة كلها بالحواس ؟
 وهل كانوا مندققين مع أنفسهم عندما رفضوا الايمان بالله لأنه لم تدركه حواسهم ، مع أنهم بالآثار وحدها آمنوا بأغلب الحقائق العلمية الحديثة . .
 ومع اعترافهم بأن الحواس أحيانا تكون قاصرا . كيف يعتمدون عليها كل هذا الاعتماد ؟

يا ليت شمعى كيف آمنوا بالالكثرون الذى لا يرى بالعين ولم يكن فى وسعهم أن يؤمنوا برب العالمين الذى هو أعرف المعارف كلها . الذى خلق هذا العالم الضخم الفسيح .
 فهذه هى الأمراض التى توجد فى كل قلب ملحد كافر ونعوذ بالله من الالحاد والكفر .

الآن ننتقل الى السبب الثالث الذى اشترك فيه جميع ملاحدة الدنيا منذ الماضى السحيق الى يومنا هذا .

ثالثا - اليهودى :

وإذا كان الملحد ينكر وجود الله ولا يتبع هداه - لا محالة - أن يتبع هواه وذلك هو السبب الثالث للالحاد قد اشترك فيه جميع الملاحدة على مدار التاريخ .

ولكن هذا السبب الثالث ينبثق عن الأصل الأول الذى هو انكار وجود البارى والابتعاد عن منهجه القويم . ثم ان اتباع اليهودى بدوره يجعل الانسان ماديا خالصا لا يركن إلا الى الدنيا حيث يجعل حظه من حياته التمتع من

لذائذها الجسدية • ولا يوجهه الى الحياة الروحية عزما • ولا يهتدى بشي •
 مما آتاه الله من آياته المقررة أو المنظورة • والآيات القرآنية الآتية
 تشهد بذلك :

* وائل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان
 من الفاوتين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه فمثلهم
 كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا
 بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا
 وأنفسهم كانوا يظلمون * (١)

والآية توضح أن أى انسان أوتى الهدى فانسلخ منه الى الضلال والالحاد
 ومال الى الدنيا فتلاعب به الشيطان كانت عاقبته البوار والخذلان وخاب
 فى الآخرة والأولى • هذا ما نشاهد فى تاريخ الملاحدة قديماً وحديثاً •
 ثم أوضحت الآية الكريمة أن سنة الله قد اقتضت أن من يترك الهدى ويتبع
 هواه ويميل الى هذه الدنيا فلا شك أن يصبح فى أسوأ حال كحال الكلب
 الذى فى صفته هذه وهى أقبح حالاتها وأخسها • فهو فى همّ دائب وشغل
 شاغل فى جميع عرض الدنيا وزخرفها • يعنى بخسيس أمورها وجليلها • وتراه
 كلما أصاب سمة وسطة فى الدنيا زاد طمعا فيها وتاريخ أوربا الحديثة
 شاهد على ذلك • ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا •

ثم يأمر الله فى نهاية هذه القصة الغريبة • نبيه أن يقصص للناس قصة
 ذلك الرجل لعلهم يتفكرون فى المخلص مما هم فيه • والنظر فى الآيات بعين
 البصيرة لا بعين الهوى والعداوة فقال : * فاقصص القصص لعلهم يتفكرون *
 هذه هى الحقيقة الثالثة التى اشترك فيها جميع الملاحدة فى القديم والحديث
 والعيان بالله من الالحاد واتباع الهوى •

ثم ان الهوى كما يفسد العقائد يفسد أيضا في مجال البحث العلمي
لأنه يزين ضعيف الدلائل ويحسنه لدى النفوس ويكبره ويجسم بالوهم
والتخيل الكاذب وما يزال ينفخ فيه حتى يسيطر على الشاعر ويستحوذ
على أنه حقيقة . وأقرب مثال لهذا الوهم مذهب النشو والارتقاء الدارويني
الذي لم يصل بعد مرتبة الحقائق العلمية ولكن الملاحدة وطلاب التلمود
اتخذوه - بحكم الهوى والاضلال - حقيقة علمية يدرس في الجامعات المشهورة
وهذا ما يفعله الهوى بأصحابه ..

رابعاً - الانجراف في الشهوات :

ان السمة الرابعة المشتركة عند جميع الملحدين هي : (الانجراف في
الشهوات) .

المعلوم ، ان الله قد أودع في الانسان دوافع الطعام والشراب والسكن
والطبع والجنس وحب البروز والتملك لتربطه بالحياة وتدفعه الى
الحياة كما قال تعالى : * زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين
والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحراث * ذلك
مقاع الحياة الدنيا .. (١)

ولكن الشهوات حين تزيد عن قدرها المعقول ، وتصبح " شهوة " مسيطرة
على كيان الانسان فعندئذ لا تؤدي مهمتها الفطرية التي أوجدها الله من أجلها
وانما تصبح مبددة لطاقات الانسان صارفة له عن مهمة الخلافة وهابطة به عن
مستوى الانسان الكريم الذي كرمه الله وعلاّه الى مستوى البهائم ومستوى الشياطين .
هناك الميل العظيم الذي أخبر به القرآن الكريم بقوله : * والله يريد أن يتوب
عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما .

(١) الآية رقم ١٤ من سورة آل عمران

والتجربة البشرية خلال القرون تؤكّد هذه الحقيقة . وكثيرون يحسبون أن التقيد بمنهج الله وبخاصة في علاقات الجنسين - شاق مجهّد - والانطلاق مع الذين يتبعون الشهوات ميسّر مريح وهذا وهم كبير . . . فاطلاق الشهوات من كل قيد . وتحري اللذة - واللذة وحدها - في كل تصرف . وقصر الغاية من التقاء الجنسين في عالم الانسان على ما يطلب من مثل هذا الالتقاء في عالم البهائم . والتجرد في علاقات الجنسين من كل قيد أخلاقي ، ومن كل التزام اجتماعي . . . ان هذه كلها تبدويسرا وراحة وانطلاقا ولكنها في حقيقتها مشقة وجهد وثقل ، وعقابيلها في حياة المجتمع بل في حياة كل فرد - عقابيل مؤذية مدمرة ماحقة .

لقد كانت الفوضى الجنسية هي (الممؤل) الأول الذي حطام جميع الحضارات القديمة والحديثة - وسنرى تفاصيل ذلك في الباب الذي سنمقدّه في آخر البحث تحت عنوان " من آثار الاتحاد المدمرة " ان شاء الله تعالى .

خامسا - وجود الطواغيت في الأرض :

ان وجود الطواغيت سمة ملازمة للبعد عن منهج الله فحين ينحرف الناس عن العبادة الحقّة يتوجهون الى عبادة كائنات أخرى - بفردتها ، أو بالاشتراك مع الله ، وعندئذ تصبح هذه المعبودات طواغيت . يقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى : " معنى الطواغيت ما تجاوز به العبد به حدّه من معبود أو متبوع أو مطاع " ثم قال : " والطواغيت كثيرون . وروؤوسهم خمسة : ابليس لعنه الله ، ومن عبد وهو راض ، ومن دعا الى عبادة نفسه ، ومن ادّعى شيئا من علم الغيب ، ومن حكم بغير ما أنزل الله . " (١)

(١) راجع أبطال التذويع شرح كتاب التوحيد ، الشيخ محمد بن عبد الله بن عيسى ص ١٨ - صفحة ١٩ طبع عن نسخة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود بالمدّة لربيع الثور ١٤٠٠

ثم استدل بقوله تعالى :

* لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم *
وبهذا التقرير الواضح نعلم أنه يستوى أن يكون الطاغوت فردا أو طائفة أو جماعة أو عرفا أو تقليدا أو أى قوة تستعبد الناس لها فلا يملكون الخروج عن أوامرها .

والطاغوت - سواء كان فردا أو طائفة أو جماعة ... الخ - لا يجب للناس أن يؤمنوا بالله ويعبدوه حق عبادته ، فانه لا يستطيع أن يعيش ويتمكن حيث يكون الولاء لله ، ولا يعيش ويتمكن الا بصرف الناس عن عبادة الله ليتمكن هو من أن يفرض هواه ..

ومن ثم يقف الطاغوت دائما موقف العداء من الحقيقة ، لأنها تجعل الولاء الكامل لله وهو يريد لنفسه .

ومن ثم أيضا فان الالحاد - الانحراف عن منهج الله - تتلازم دائما مع وجود الطاغوت .

ان الطفيان من الأسباب المشتركة بين جميع الملاحدة . فقد حدثنا القرآن الكريم ان طاغوتا قد تجبر وازداد فى غطرسته حتى نسي حجمه الطبيعي فأسند الى نفسه احياء واماتا . ورد ذلك فى أثناء الحوار الذى جرى بينه وبين سيدنا ابراهيم عليه السلام حين قرر أن ربه هو الذى يحيى ويميت فانبأرى هذا الطاغوت ليدعى أنه يحيى ويميت . فلنستمع الى أسلوب القرآن فى ذلك الواقع المضحك :

■ ألم ترالى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال : أنا أحيى وأميت قال ابراهيم فان

الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر
والله لا يهدي القوم الظالمين .

فآيات الكريمة توضح أن الذي أورث ذلك الطاغى ، الكفر
والبطار وحمله على الاسراف في الضرور والاعجاب بقدرته حتى حاج ابراهيم -
هو ايتاء الله اياه الملك - ومن تأمل في الآية يجد بكل وضوح ان هذا
الطاغى لم يفهم مراد ابراهيم في الاحياء والاماتة . فابراهيم هو يريد
بالحياة انشاءها في جميع الموالم الحية من نبات وحيوان وغيرهما
كما يريد بالاماتة . ازالة الحياة بالموث . ولكن هذا البليد الطاغى
فهم من ذلك ، أن من حكم على شخص بالاعدام ثم عفا عنه فقد أعياه .
كما فهم من الاماتة بالامر بقتله . وهذا غاية من الغباوة وقصور فهم .

فلذا لما رأى سيدنا ابراهيم عليه السلام أنه لم يفهم مراده ، أوضح
جوابه كما حكى عنه سبحانه * قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من
المشرق فأت بها من المغرب * أى ان ربي الذي يعطي الحياة
ويسلبها بقدرته وارادته . هو الذي يطلع الشمس من المشرق ، فيمحو
الكون لهذه الكائنات على ذلك النظام البديع . والمنن الحكيم التسي
نظامها .

فهذا ما كان في شأن الطاغوت في القديم ، والآن نود أن نسمع
من الطغاة المعاصرين لنعلم أن وجود الطواغيت في الأرض سبب من أسباب
الاحاد في جميع المصور .

بعض أقوال الطواغيت في العصر الحديث

وقد قلنا أن الطواغيت لا يريدون للناس أن يعبدوا الله وحده لأن هذا يزلزل عروشهم من تحتهم .. واليك بعض تصريحات طواغيت في العصر الحديث مما يؤيد أن الطواغيت دائما — يرفضون الاعتقاد بهدى الله ثم لا يحبون أن يعبد من يقول لا اله الا الله محمد رسول الله .

أصدرت الحكومة السوفيتية في ١٢/١٢/١٩٢٣ م قانونا يتكفل من ثلاثة عشر مادة . كان اثنين الطاء في الكبير من وضع هذا القانون ..

ونصت المادة الثانية عشرة منه :

- ١ — بالتحريم على جميع الزعماء الدينيين أن تكون اممابدهم وكنائسهم ومساجدهم صفة الشخصية القانونية . وبعبارة أوضح أصدرت هذه الألمان فاستبعدت من حيز النظام القانوني .
- ٢ — الكنيسة منفصلة عن الدولة .
- ٣ — محظور إصدار أى قوانين أو لوائح محلية في أرض الجمهورية يكون من شأنها عرقلة أو تقييد حرية الضمير أو إيهاد أى امتيازات على أساس معتقدات المواطنين الدينية ..
- ٤ — لا تجرى أية مراسم أو احتفالات دينية في أى عمل من أعمال الدولة أو أى احتفال رسمى عام أو اجتماعى .
- ٥ — لا يستخدم أحد معتقداته الدينية كمذرا للتفصل من واجباته المدنية .
- ٦ — يلغى عمل قسم أو عهد دينى في الأحوال الضرورية . يكفى فقط بالوعد الصادق .
- ٧ — تقوم السلطات المدنية وحدها بجميع أعمال التسجيل المدني عن طرية، مكاتب الزواج والميلاد ..

- ٨ - التعليم الدينى محظور فى جميع المدارس الخاصة والعامة .
- ٩ - حرية القيام بالطقوس الدينية مكفولة الى الحد الذى لا تؤدى فيه الى اضطراب النظام العام ، فاذا كانت غير مصحوبة بالتعدى على حقوق المواطنين فللسلطات المحلية الحق فى اتخاذ جميع التدابير اللازمة فى هذه الأغراض لضمان المحافظة على النظام العام والأمن . (١)
- وظاهر هذه المادة الحرية لكل مواطن أن يعبد الله ان شاء أو يرفض الاعتراف به علنا . أما فى باطنها فقد أمدت الشيوعيين بسلاح مشروع بشن حملاتهم على الأديان فى ظل حماية القانون ورعايته .
- ومما يزيد الأمر خطورة ما نصت عليه المادة ٥٨ من قانون الجنايات السوفيتى سنة ١٩٥٣ م فقد وضعت هذه المادة التى تتفرع منها ١٤ فقرة (٢) وضعت جميع المتعبدين تحت باب أعداء الثورة . .
- وورد فى المادة (١٤٢) من نفس القانون النص على تحريم تلقيح الأطفال والأحداث ، العقائد الدينية سواء فى مدارس الحكومة أو فى المدارس الخاصة أو المعاهد التعليمية الأخرى ، وجعلت كل مخالفة فى هذا الشأن جريمة تستوجب الحبس الاصلاحى مع الأشغال مدة لا تزيد على السنة . (٣)
- وقد جاء فى كتاب الرد على الماديين للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى :

(١) راجع عرضا كتاب المسلمون تحت الحكم الشيوعى / محمد سامى عاشور ص ٣٥-٤٥ راجع أيضا : مجلة الاختصاص عدد مارس سنة ١٩٢٥ ص ٢٠

(٢) الاسلام والشيوعية ، وزارة الأوقاف ، الادارة العامة فى القاهرة ص ٣١

(٣) المسلمون تحت الحكم الشيوعى / محمد سامى عاشور ص ٣٥-٥٢ بتصرف المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ، محمد شاکر ص ١٢

" في روسيا نجد أن المادية فيها بدأت بحملة قاسية على رجال الدين فقتل عدد كبير منهم وحرم عليهم الظهور في المجتمعات ، واطقت بيوت العبادة وصودرت أوقافها وحرموا تدريس الدين ، وألغوا القسم به ، وألغوا التجمعات للدعاية اللادينية وأصدروا مجلة اسبوعية اسمها " بلا دين" (١) .

رأيانا في هذا العرض أن الطواغيت دائما لهم موقف المعطضة ضد ما أنزل الله ينكرون وجود اللخ ثم يقضون على كل ما يتعلق بالدين أو يمت للناحية الروحية بصلة . ان الطواغيت ثانيا ، يقومون بعملهم الاجرائي هذا لتعطيل أكبر مولد للطاعة الدافعة الى الخير في حياة البشرية ألا وهو الدين . . .

وعلى هذا يأمر الله تعالى بقتل الطواغيت اذا رفعوا عندنا في الأسر . . .

يقول تعالى :

* فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون * (٢)

هذا بعض ما فعله الطواغيت في العصر الحديث . فوجود الطواغيت سبب من أسباب الاتحاد .

(١) الرد على الماديين / محمد عبد المنعم خفاجي : نقلا عن الاسلام

والشيوعية ص ٣١

راجع أيضا مجلة روز اليوسف عدد ١٧ / ٢ / ١٩٧٥ م ص ٦ ، ٧ و ٨ .

(٢) في سورة التوبة الآية ١٢

الفصل الثانى

أسلوب المفكرين فى أسباب الالحاد فى أوربا الحديثة

ومن يتأمل فى كتب المفكرين الاسلاميين وغيرهم ممن بذلوا أقصى جهودهم للوقوف أمام الخطر الالحادى • يجد أن هذه الأسباب الكثيرة ترجع الى أمرين أساسيين :

أحدهما : خفى والآخسر : ظاهر •

فأما الأمر الخفى يتمثل فى شيئين هامين :

أولهما : هو ذلك الميراث النكد الوثنى من الجاهلية اليونانية القديمة ، والجاهلية الرومانية ، الذى كان كميناً فى الضمير الأوروبى •

لقد رجعت أوربا بعدما تحررت من عبودية الكنيسة الطاغية • الى أرضها اليونانى - الرومانى مع كل اتجاهاته المادية التامة ، فيما يتعلق بالحياة الانسانية وقيمتها الذاتية •

وكان هذا الرجوع ، بالنسبة لأوربا ، بمثابة سد مانع عن النظر

فى أى دين آخر بعد هروبها من سلطان الكنيسة الظالم الممتدى ••

وثانيهما : دور اليهود فى افساد أوربا •

ان هذا السبب لا يقل أهمية عن أى سبب آخر من أسباب الالحاد ، ولكننا

مع ذلك - وجدنا بعض الباحثين لم يستفتوا اليه • بحجة أن اليهود - من شأنهم أن يستغلوا الأحداث ولا يصنعونها ••

ان هذا حق ولكننا لا نأخذ على علمته • لأن اليهود أنفسهم صرحوا فى

بروتوكولاتهم أنهم كانوا وراء كل منظمة سرية ، وكل نظرية هدامة •

ولأن القرآن الكريم أخبرنا عنهم بقوله : * ويسعون فى الأرض فساداً * •

(١) أحجار على رقعة الشطرنج ، وليام دى كارص

(٢) راجع جاهلية القرن العشرين ، محمد قطب ص (٤٥)

(٣) راجع البروتوكول •

ولا جل ذلك كله قلنا ، ان أسباب الالحاد الخفية في شيئين :

١ - رجوع أوروبا الى ارضها الوثني القديم

٢ - دور اليهود في افساد أوروبا

ويحسن بنا قبل أن ندخل في تفاصيل هذين السببين ، أن نتحدث أولاً عن

الأسباب الظاهرة ، فما هي تلك الأسباب الظاهرة ؟ ؟

الأسباب الظاهرة

ان للالحاد في أوروبا الحديثة ، أسبابا كثيرة وأشكالا متعددة ، قد ذكرها

الباحثون في كتبهم النيرة ، ولكننا هنا متبعون اكبر الأسباب التي اقترنت

بمسألة العقيدة منذ القرن السادس عشر ، وكان لها شأن قوى في اضعاف

المقائد الموروثة على تقدير الباحثين بالاجماع . . .

وقد نرى من تتبعها كيف قويت على اضعاف المقائد التقليدية . ثم نرى

كيف آل الأمر بها أخيرا حتى فقدت قوتها الأولى على زعزعة الايمان

واثارة الشكوك ، ونرى من أين طرأ الضعف حتى انتقل بعضها من ترجيح

الانكار والالحاد الى ترجيح الاعتقاد واعادة النظر في الموضوع . .

هذه الأسباب على الاجمال خمسة . . ليس في أسباب الالحاد ما هو

(١) ان هذه الأسباب أخذناها من عدة مصادر ، عربية كانت أو أجنبية :

ومن باب المثال نذكر الكتب الآتية : (قذائف الحق . التعصب والتسامح بين
الاسلام والمسيحية " للشيخ محمد الفزالي " في ظلال القرآن ، خصائص التصور
الاسلامي ، معالم في الطريق ، الاسلام ومشكلة الحضارة . الاسلام والسلام
العالمي " السيد قطب " جاهلية القرن العشرين ، التطور والثبات في
حياة البشرية ، هل نحن مسلمون ، معركة التقاليد والدروس الانسانية في
القرآن " محمد قطب " ماذا خسر العالم " أبو الحسن الندوي " العجائب
" المودودي " الظاهرة القرآنية " مالك بن نبي " الاسلام يتحدى " وحيد
الدين خان " احجار على رقعة الشطرنج " وليام ذي كار " الدين " عبد
الله الدراز " وغير ذلك مما لا يتسع المجال لذكرها . .)

أقوى منها وأعظم فعلا في عقول المفكرين الأوربيين ، وفي عقول غيرهم ممن
نظروا الى دلالتها مثل نظرتهم ، وحكموا بها على الأديان مثل حكمهم
وهم غير قليلين بين المفكرين في مختلف الأقطار ..
وهذه الأسباب الخمسة هي :

- أولا - الدين وطغيان الكنيسة
- ثانيا - علم المقارنة بين الأديان والمباديات
- ثالثا - ظهور القوانين الطبيعية التي سميت بالقوانين المادية أو الآلية
- منذ عهد لا بلاس فكوبرنيكس ثم نيوتن
- رابعا - الثورة الفرنسية
- خامسا - مذهب النشوء والارتقاء

أولا - الدين -

لقد قامت أوربا ... الكثير - مما آل / أمر دينها .. هذه حقيقة لا يختلف
فيها اثنان .

لقد تفتحت آذانها وعيونها .. على دين مقصد يصادم العقل ويرهقه ..
فمن قائل بأقانيم ثلاثة ... (الأب والابن والروح والقدس)
ومن قائل " المسيح ابن الله " (١)
ومن قائل " ان الله هو المسيح بن مريم " (٢)
وهناك رهبانية تصادم فطرة الانسان ..
وهناك خرافات بالنسبة للكون جعلوه - قائل مقدسة .. (٣)
وكل ذلك تحريف لدين الله الذي جاء به عيسى عليه السلام ، وخرج عليه .

(١) التعمص والتسامح بين المسيحية والاسلام ■ محمد الفزالي ص (١٠٠)

(٢) سورة المائدة / ١٧

(٣) خصائص التطور الاسلامي ، سيد قطب : ص ٦٥

(٥)

وهذا ما أشار اليه المؤرخ الانجليزى (ويلز) الذى يقول :

" من الضرورى أن نستلفت نظر القارئ الى الفروق المميقة بين مسيحية

نبيقية التامة التطور وبين تعاليم يسوع الناصرى . "

ثم زاد قائلا :

" فمن الواضح تماما أن تعاليم يسوع الناصى ، تعاليم نبوية من الطراز

الجديد الذى ابتدا بظهور الانبياء العبرانيين ، وهى لم تكن كهنوتية . "

ولم يكن لها معبد مقدس . . ولا هيكل ولم يكن لديها شعائر ولا طقوس ،

وكان قرانها قلبا خاشعا ، وكانت الهيئة الوحيدة فيها هيئة من الوعظ . .

وكان رأس مآلديها من عمل هو الموعدة . . بيد ان مسيحية القرن الرابع

الكاملة التكوين ، - وان احتفظت بتعاليم يسوع فى الاناجيل - كنواة لها -

كان فى صلبها ديانة كهنوتية من طراز مألوف للناس من قبل الاف السنين . .

وكان المذبح مركز طقوسها المنقطة ، والممل الجوهري فيها هو القران

الذى يقربه قديس مكرس للقديس . . ولها هيئة تتطور بسرعة مكونة من

الشماسة والقساوسة والاساقفة . . " (١)

اعتراف مسيحي

والغريب أن بعض كبار المسيحيين يفتخرون بوجود اضافات بشرية الى أصل

الكتاب ويعتبر ذلك شرفا للديانة المسيحية .

ان هذا القائل هو الدكتور وليام (تامل) أسقف كنيسة (كنتربارى)

وحبر اخبار انجلترا فهو يقول :

(١) معالم تاريخ الانسانية تأليف (ويلز) ص ٧٢ و ٧٣ ، دكتور عبد العزيز

توفيق جاويز ، القاهرة ١٩٦٧ .

"ان من الخطأ الفاحش أن يظن أن الله وحده هو الذى يقدم الدليـلة
أو القسط الأكبر منها". (١)

بهذا التصريح من هذا الحبر الكبير اتضح لنا أن أوربا لم تمتنع دىـن
الحق الموحى من عند الله ، وإنما اعتنقت المزيج بالوثنيات التى صنعها
أجداد الدكتور (تامبل) من آباء الكنيسة منذ عهد (بولس) اليهودى الى
عهد القسطنطين الرومانى الذى قضى على البقية الباقية من هذا الدين .
يقول (برنتن) :

" ان المسيحية الظاهرة فى مجلس نيقية - العقيدة الرسمية - فى أعظم
إمبراطورية فى العالم مخالفة كل المخالفة لمسيحية المسيحيين فى
الجليل . . لا بأن مسيحية القرن الرابع تختلف عن المسيحية الأولى فحسب .
بل بأن مسيحية القرن الرابع لم تكن مسيحية بتاتا . . " (٢)

ولأجل ذلك كله تغالى بعض المؤرخين - عندما وقفوا على هذه
الخرافات فى الكتب المقدسة (اعنى التوراة والانجيل الأربعة) فقالوا :
" ان المسيح كائن أسطورى) فأنكروا وجوده كليا . وأنكروا كل كـاء فى
هذه الكتابين الذين يعتمد عليهما المسيحيون فى عقيدتهم الدينية وعباداتهم . .
ولكننا - نحن المسلمين - نعتقد اعتقادا جازما برسالة المسيح وعبوديته
لخالقه . كما نعتقد أيضا ان المسيحيين نسوا حظا مما ذكروا به ، وحرفوا
وبدلوا وزادوا زيادات كثيرة . .

(١) الجفوة المفتعلة بين العلم والدين . محمد على يوسف ص ١١
(٢) أفكار ورجال ص ٢٠٧ ، (قصة الفكر الغربى) جرين برنتن ،
(٣) محاضرات فى النصرانية ، أبوزهرة ص ٤٢
ن ، محمود ١٩٦٥

هذه هي الديانة التي وصلت الى أوروبا ، فكيف لا بُناءً على هذا المنهج —
 (أن يسيغوا ذلك " الخلط والخبط ")
 وكيف بمن سمعوا شيئاً عن عقيدة الاسلام * لو كان فيهما آية الا الله
 لفستنا * * ليس كمثله شيء * * قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد
 ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد *

كيف بمن سمع بهذه البساطة أن يسيغ ذلك التحقيد ؟
 ثم كيف مع ذلك التحقيد ، بما انحدر اليه رجال الدين الكنسي —
 الانحطاط الخلق والوقوف أمام التطور العلمي .
 لم يكن بعد ذلك غريباً أن ترتفع الصيحة :
 " اشفقوا آخر ملك ، بامعاء آخر قسيس "
 ثم بأن تكون " الردة " عن ذلك الدين .
 الى تبني الالحاد ، وانكار كل الغيبيات .
 والى تبني الأفكار الهدامة ودين كارل ماركس .

هذا ، ولما كانت المسيحية تؤمن بالتوراة الكتاب مقدس وتعترف به .
 ولما كانت الانتقادات التي وجهها أهل التنوير الى المسيحية ، كانت موجهة
 أيضاً الى هذه التوراة . رأينا من المستحسن أن نتحدث عن تحريف التوراة
 وعقيدتها بالنسبة الى الله والأنبياء ، لنبين للناس ومعهم الملاحدة ،
 أن المعلومات المضللة التي اشتملت عليها هذه التوراة ليست من عند الله ،
 المعلومات التي اتخذها الملاحدة سنداً لتبرير الحادهم ، وبها ينظرون
 الى جميع الأديان كشيء لا يستند الى أي أساس فهو لا يحدو أن يكون
 محض عقيدة لا دخل لها في تنظيم أمور الناس سياسياً واقتصادياً وغير
 ذلك . .

بينما جاء كل دين من عند الله ليورد البشر الى ربهم • ويرد نظام حياتهم الى منهجه المتفرد •• كيما يقع التواء • والتناسق بين ضميرهم وواقعهم •• لا ليقى مجرد شعور وجداني قابح في ضمائرهم •• ولا مجرد تهذيب روحى في أخلاقهم •• ولا مجرد سمائر تمبدية في محاريسهم ومساجدهم • ولا مجرد أحوال شخصية في جانب واحد من حياتهم * وما أرسلنا من رسول الا ليطاع *^(١) وهكذا جاءت التوراة • يوم أن جاءت تتضمن عقيدة وشرعية • وبمباراة أخرى • وهى تشتمل على الأقسام العلمية والعملية قال تعالى :

(٢)
• وكتبنا في الألواح من كل شىء • وموعظة • إشارة الى تمام القسم الملى •• * وتفصيلا لكل شىء • إشارة الى تمام القسم الملى • وكلف الله أهلها أن يتحاكموا اليها في كل شئون حياتهم • لا أن يجعلوها مواعظ تهذيبية لا تتجاوز وجدانهم • ولا سمائر تمبدية يقيمونها فى هياكلهم ••

* انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأخبار بما • ستحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء • فلا تخشون الناس واخشوني ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا • ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون • وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن واللسن باللسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون *^(٣)

فنظم موسى عليه السلام ومن بعده من انبياء حياتهم الواقعية عدة قرون ولقد كانت عقيدة التوحيد التى أسسها جدهم ابراهيم - عليه السلام

(١) سورة الناز / ٦٤

(٢) الأعراف / ١٤٥

(٣) المائدة / ٤٤

عقيدة خالصة ناصحة شاملة متكاملة . . واجه بها الوثنية مواجهة خاسمة
كما صورها القرآن الكريم * وصى بها ابراهيم بنيه كما وصى بها يعقوب بنيه
قبل أن يموت .

* ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا انه سفه نفسه ولقد اصفيناه في الدنيا
وانه في الآخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه أسلم . قال : اسلمت لله
رب العالمين . ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم
الدين ، فلا تموتن الا وانتم مسلمون أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت
اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا : نعبد الهك واله آبائك ابراهيم
واسماعيل واسحاق الهيا واحدا ونحن له مسلمون *

ومن هذا التوحيد الخالص ، وهذه العقيدة الناصحة ، وهذا الاعتقاد
في الآخرة انتكس الأحفاد ، وظلوا في انتكاسهم حتى جاءهم موسى
عليه السلام بعقيدة التوحيد والتنزيه من جديد والقرآن يذكر أصول
هذه العقيدة التي جاء بها موسى - عليه السلام - بنى اسرائيل ويذكر
تراجمهم عنها :

• وان أخذنا ميثاق بنى اسرائيل : لا تعبدون الا الله والوالديين
احسانا وذى القربى واليتامى والمساكين ، وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة
 وآتوا الزكاة ثم توليتم الا قليلا منكم وأنتم معرضون وان أخذنا ميثاقكم لا تسفكون
دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون . . ثم
أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم . تظاهرون
عليهم بالاثم والمدوان . . . (١)

(١)
بداية انحراف بني اسرائيل

ولقد بدأ انحرافهم وموسى عليه السلام بين أظهرهم .. من ذلك عبادتهم للعجل الذى صنعه لهم السامرى من الذهب الذى حملوه معهم من حلى نساء المصريين وقبل ذلك كانوا قد مروا عقب خروجهم من مصر على قوم يعبدون الأصنام فطلبوا الى موسى عليه السلام ان يقيم لهم صنما يعبدونه . وكذلك حكى القرآن الكريم الكثير من انحرافهم وسوء تصرفهم لله سبحانه وتعالى ووثنتهم .. (١)

(١) يقال لهم اليهود كما يقال لهم بني اسرائيل ويطلق عليهم أيضا العبرانيون فهي ثلاثة أسماء أقدمها وأعمها (العبرانيون) وأحدثها وأخصها ، (اليهود) وأحبها لديهم (الاسرائيليون) ولا فرق لمؤداهن جميعا فى الأصل . وأما الآن فقد غلب عليهم اسم اليهود . وقد يراد بتسميتهم به التحقير كما يراد بتسميتهم ببني اسرائيل التوقيح .. ويطلق عليهم أخيرا الصهيونية العالمية . والمبريون ينحدرون من العرق السامى الذى ينتسب له الآشوريون والعرب . وكانت بلاد العرب الوسطى والشمالية مهد الساميين ، وقد هاجر فريق منهم الى الشمال فى بلاد بابل حيث كان السلطان لحضارة (السومريين والأكاديين) فأما بما من الزمن ما أشبعوا فيه من تلك الحضارة ، ثم كثر عددهم فهاجروا من جديد فى أودار مختلفة . فتقدموا نحو الشمال أكثر مما تقدموا قبل ذلك . وانحدر بعضهم نحو الجنوب ، والساميون الذين بقوا فى بلاد العرب هم أجداد الشعب العربى ، والساميون الذين مروا من موطن الحضارة فى الفرات الأدنى ثم انتشروا فى جميع آسيا وفلسطين هم الآشوريون والاسرائيليون .. راجع اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى ص ٢٤ - ٢٥ تأليف غوستاف لوبون .

وأما دائرة المعارف البانى ، تحدد تاريخ بني اسرائيل بأنه كان بهجرة ابراهيم نحو ٣٩٠٠ سنة من أور الكلدانيين فى شرق الفرات الى غربيه .. راجع دائرة المعارف البانى ج ١١ ص ٦٦٠ دار المعرفة بيروت لبنان .

كما حكي لنا أنهم ثاروا في وجه أنبيائهم ، ورفضوا الاستجابة لهم ،
وطرحوا العقيدة التي جاء بها هؤلاء الأنبياء ، ثم هاجموا الأنبياء
وقتلهم أحيانا ، واستبد بهم الضلال والجحود ، فمبدوا غير الله وأنكروا
البعث ونسبوا لأنبيائهم ما لا يمكن أن يصدر من أنبياء .

ويجدر بنا ونحن لا نزال مع القرآن أن نستعرضه لنقتبس منه بعض الآيات
التي تحدثت عن بني اسرائيل ووصفت أخلاقهم وصفاتهم ، قال تعالى :
* وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله . ذلك بأنهم
كانوا يكفرون بآيات الله و يقتلون النبيين بغير حق . ذلك بما عصوا وكانوا
يعتدون * (١)

* ثم قست قلوبهم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة * (٢)
* أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك
الاخرى في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله
بغافل عما تعملون * (٣)

* أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ، ففريقا كذبتم
وفريقا تقتلون * (٤)

* وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت أيديهم . ولعنوا بما قالوا ،
بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء ، وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من
ربك طغيانا وكفرا . * وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة ، كلما
أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ، ويسمحون في الأرض فسادا والله لا يحب
المفسدين * (٥)

(١) البقرة آية ٦١ (٢) البقرة آية ٧٤ (٣) البقرة آية ٨٥

(٤) البقرة آية ٨٧ (٥) البقرة آية ٦٤

* واتخذ قوم موسى من بعده من حلبيهم عجلا جسدا له خوار ، ألم

يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ، اتخذوه وكانوا ظالمين * (١)

* ان الذين اتخذوا الجبل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة

الدنيا وكذلك نجزي المفترين * (٢)

* أقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم * (٣)

* وقالت اليهود عزيز ابن الله *

ومن لؤثة القومية حكى عنهم القرآن ما يلي :

ومنهم من ان تأمنه بدینار لا يؤدیه اليك الا ما دمت عليه قائما

ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل * ويقولون على الله الكذب

وهم يعلمون *

هذا وليس من أهدافنا في هذا البحث التهجيم على التورات والانجيل

وفضح تصرفات أصحابهما ، وليس كذلك تبرير الملحدين الذين أعلنوا

تمردهم على خالقهم في أثناء ثورتهم على خرافات التوراة والانجيل وعلى

طغيان الكنيسة وحمقات رجالها ، لكن هدفنا هو الحقيقة التي هي

ضالة المؤ من ..

لا سيما وأن القصة قضية انسانية عامة ، تعدت نطاق أوربا الى العالم

كله حتى وصلت نيرانها ولهبها العالم الاسلاني فانبهر بهم كثير

من " المثقفين " فبدوا يرددون مزاعمهم الالحادية .

وعلى هذا الأساس نستعرض موضوع انحراف بنى اسرائيل عقيدة وشريعة

وكذلك تحريف المسيحية أيضا عقيدة وشريعة محتمدین أساسا على كتبهم في

أغلب الأحيان ..

(١) سورة الاعراف الاية ١٤٨ (٢) الاعراف آية ١٥٢

(٣) سورة يوسف الاية ٤٠

لأن هذه المعلومات أو الخرافات بمعنى أدق - هي التي اتخذها الملاحدة سنداً في ابدال فكرة التدين . لقد رأينا فيما سبق من الصفحات أنهم قالوا : (الله ليس أفسوساً لصوب)

ولذا نريد أن نوضح هنا أن الدين الذي جاء الى أوربا هو دين محرف وعقيدة منحرفة . وأما ديننا الاسلامى المجيد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . يصرف ذلك كل دان وقاص . .

ولما كان قصدنا في هذا الفصل - هو بيان الظروف التي بدأ فيها الالحاد في أوربا الحديثة ، ولم يكن عرض التصورات اليهودية والنصرانية نكتفى بالعناوين التالية :

١ - عقيدة اليهود في الله (يهوه) (١)

(١) يقول الاستاذ العقاد في كتابه الله ص ١١٣ ان اسم " يهوه " لا يعرف اشتقاقه على التحقيق فيصح أنه من مادة الحياة ، ويصح أنه نداء لضمير الغائب أى (يا هو) . لأن موسى علم بنى اسرائيل أن يتقوا ذكره توقيراً له ، وأن يكتفوا بالاشارة اليه ، وهذا الاتجاه هو ما ذهب اليه (Smith) ، ويضيف هذا احتمالاً لاتجاه آخر : هو أن الكلمة العبرية المماثلة لكلمة (لورد Lord) هي يهوا . وكانت اللغة العبرية تكتب بدون حروف علة حتى سنة ٥٠٠ م ثم دخلت هذه الحروف ، فأصبحت كلمة يهوا : يا هوفا () وبذلك فكلمة (يهوا) أو (يا هوفا) معناها سيّد واله . راجع كتاب /

نقلاً عن كتاب اليهود تأليف احمد شلى ص : (١٥٣)

- ٢ - عقيدتهم في النبياهم .
 ٣ - وعقيدتهم في الآخرة والبحث .
 ٤ - موقف العلم الحديث من التوراة .

أولا - عقيدة اليهود (في الله) :

لقد تضمنت كتبهم المحرفة أوصافا لا لهم (يهوه) لا ترتفع أوصاف
 الا غريق في وثنياتهم لا لهمتهم .

ومن ينظر صفات (يهوه) اله اليهود في كتبهم ، يعتقد جازما أن
 (يهوه) ليس خالقا لهم ، وانما هو مخلوق لهم . وهو لا يأمرهم بل يسير
 على هواهم وكثيرا يأتهم بأمرهم . لا فرق بينه وبين البشر في جميع
 تصرفاته . . . وستتضح لك هذه الصورة في الصفحات الآتية :

الأوصاف الحسية ليهوه

قالوا : انه كان يسير أمام جماعة بني اسرائيل في عمود سحب . . فقد جاء
 في سفر الخروج : " وارتحلوا من سكوت ونزلوا في ايثام في طرف البرية . .
 وكان الرب يسير أمامهم نهارا في عمود سحب ليهدىهم في الطريق ، وليلا
 في عمود نار ليضيء لهم " (١) .

هل الفطرة السليمة تؤمن بهذا ولا غرابة ان أن يثور أصحاب النهضة
 الجديدة في وجه هذا الكتاب الجامع جميع خزعبلات الدنيا وترهاتها . .

واليك قصة أخرى تتجلى فيه بشرية هذا الاله اليهودي :

يقول محرروا التوراة وهم يصفون يهوه بصفات بشرية محضة :

" ثم صعد موسى وهرون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ اسرائيل ورأوا

الماسرائيل وتحت رجله شبه صلعة من الحقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء
في النقاوة .. ولكنه لم يمد يده الى أشرف بنى اسرائيل " .. فيصنمون
لى مقدسا لا سكن فى وسطهم " (١)

ويهموه هذا ليس معصوما • وكثيرا ما يقع فى الخطأ • ثم يندم على ما فعل •
واليك بعضا من هذه النصوص :

" فندم الرب على الشرق ^{الذى} قال انه يفعله بشعبه " (٢)
وفى نص آخر • " وكان كلام الرب الى صموئيل قائلا : " ندمت على أنى
قد جعلت شا ول ملكا لأنه رجع من ورائى ولم يقم كلابى " (٣)
لقد وصف اليهود الهمهم بأنه لا يعلم الأمور الا بعد وقوعها :
جاء فى الاصحاح الثالث من سفر التكوين :

" وسما صوت الرب الاله ماشيا فى الجنة عند هبوب ريح النهار •
فاختبيا : آدم وامرأته من وجه الرب الاله فى وسط شجر الجنة • فنادى
الرب الاله آدم وقال له : أين أنت ؟ فقال : سمعت صوتك فى الجنة فخشيت
لأنى عريان • فاختبأت • فقال : من أعطاك أنت عريان ؟ هل أكلت من
الشجرة التى أوصيتك الا تأكل منها ؟ "

هكذا يزعمون • واليك لونا آخر من تلك العقيدة المجيبة :
وقد اجتمعت اليهود عن آخرهم على أن الله تعالى لما فرغ من خلق السموات
والأرض استوى على عرشه مستلقيا على قفاه • واضعا إحدى رجله على
الأخرى • (٤)

ووصفوا الهمهم بأنه له شعر قطط • وفروة سوداء وأنه بكى على طوفان
نوح حتى رمدت عيناه • وأنه ضحك حتى بدت نواجذه • (٥)

(١) الخروج ٢٥ : ٨
(٢) الخروج ٣٣ : ١٤
(٣) صموئيل الأول ١٥ : ١٠
(٤) الملل والنحل • شهرستان ج ٢ ص ٢٢
(٥) المرجع السابق ص ٢٢

واليك بعض شواهد من كتبهم المحرفة :

يقول كاتب التوراة :

* وفرخ الله في اليوم السادس من عمله فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل ، وبارك الله اليوم السابع وقدمه ، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقا .*

ودعك من الركافة التى صيغت بها هذه العبارة ، فقد يكون المترجم هابط الأسلوب في التعبير عن معنى ما ، ولكنه لا تستطيع أن تفهم معنى آخر من هذا الكلام الا أن (الله استراح) من جميع أعماله في اليوم السابع هذه الاعمال التى أداها بوصفه خالقا .*

ما أبعد الشقة بين هذا التصوير ، وبين وصف الله لنفسه فقال :

* أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهم قادر على أن يحيى الموتى بلى انه على كل شىء قدير *

* ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من

لدوب *

وياليت محررى التوراة اكتفوا بذلك ، بل قالوا أيضا ان الله تعالى كان

يخاف من تمرد آدم لما أكل الشجرة ، خاف ربما يزداد تموده حتى

ينازح الله في ملكه أى كان ملكه مهدد بهذا التمرد الانساني .*

جاء في العهد القديم :

* وقال الرب الاله : هوذا الانسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر

والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ، ويأكل ويحيا الى الأبد

وأخرجه الرب الاله من جنة عدن ليحمل الأرض التى أخذ منها ، وطرد

الانسان وأقام شرقى جنة عدن الكروم ولبيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة

(١) سفر التكوين : الاسحاح الثانى (٢) سورة الأحقاف اية ٢٣
(٣) سورة ق آية ٣٨ (٤) سفر التكوين الاصحاح الثالث

هل الله يحزن ؟

وأغرب من كل ذلك انهم وصفوا الله بأنه حزن على خلق آدم وأبنائه
ولم يكن الله حين خلقه يعرف أنه سيكون شريرا الى هذا الحد بل لقد فوجئ
بما وقع . ومن أجل ذلك حزن الرب وتأسف في قلبه أن خلق آدم وأبنائه .
قال العهد القديم :

" فحزن الرب انه عمل الانسان و وأن كل تصور أفكار قلبه انما هو شرير
كل يوم . فحزن الرب انه عمل الانسان في الأرض وتأسف في قلبه ، فقال
الرب : أمحو عن وجه الأرض الانسان الذي خلقتة ، ... الانسان مع
بهائم ودبابات وطيور السماء ، لأنني حزننت اني عملتهم ... " (١)

ويعلق الاستاذ محمود الغزالي على هذا الاصحاح بقوله :

" الحق أنني أدهش كل الدهشة للطفولة الغريبة التي تنضج من هذا
الحديث الخرافي عن الله جل جلاله " (٢) .

ان الاله — كما ترى — في هذه السياقات الصبائية كائن قاصر .. متقلب
ضعيف . وما أشك في أن مؤلف هذه السطور كان سجين تصورات وثنية
عن حقيقة الألوهية وما ينبغى لها . ولا شك أن يكون هذا التبلد من الأسباب
التي جعلت عصر التنوير يرفضون أن يكون الكتاب المقدس وحيا من عند الله .

هل الله ينسى ؟

ان محرري التوراة أثبتوا في توراتهم أن الله تعالى ينسى فلذلك وضع
قوس قزح ليتذكر دائما الميثاق الذي أخذه على نفسه كي لا يغرق الأرض مرة
أخرى .. أي كلما يرى هذه القوس يتذكر ، والا يتورط في طوفان آخر ..
فلنقرأ النصوص الآتية :

(١) سفر التكوين الاصحاح ١ (٢) قذائف الحق ، محمد الغزالي ص ٢٢

" وكلم الله نوحا وبنيه معه قائلا : أقيم ميثاقى معكم فلا ينقض

كل ذى جسد أيضا بمياه الطوفان ، ولا يكون أيضا طوفان ليخرب الأرض .

وقال الله : هذه علامة الميثاق الذى أنا واضعه بينى وبين كل ذوات

الأنفس الحية التى معكم الى أجيال الدهر .. وضعت قوس فى السحاب

فتتكون علامة ميثاق بينى وبين الأرض فيكون متى أنشر سحابا أبصرها لا ذكر

ميثاقا أبديا بين الله وبين كل نفس حية فى كل جسد على الأرض "

هل هذا يلحق بجلال الله وعزته ودقة علمه ، الذى يعلم السر

وأخفى ؟

فليس غريبا أن يكون هذا الشعب اليهودى شعبا ملعوناً على لسان

داود وعيسى بن مريم .

هل الله يصارع الانسان ؟

وبعد هذا نقف - الآن - بازاء قصة أخرى من أغرب وأفجر ما اختلق

الروائيون !!

القصة الجديدة تحكى مصارعة بين " الله " و " عبده " يعقوب " وهذه

المصارعة المبررة الفذة ، دامت ليلا طويلا ، وكاد يعقوب يفوز فيها

لولا أن الطرف الآخر فى هذه المصارعة ، وهو الله - باإلجاء الى حيلة

غير رياضية هزم بعدها يعقوب .

ومع ذلك فان يعقوب تعلق بالله ورفض أن يطلق سراحه حتى يعطيه

" لقب اسرائيل " .

وعند هذا المعجز الالهى منحه الله هذا اللقب الفخرى " ثم تركه يعقوب

ليصعد الى العرش ويدبر أمر السماء والأرض ، بعد ذلك الصراخ الرهيب
يا ترى أى عقل يقبل هذه الخزعجلات ؟ ..

اذن لم يعد غريبا حينما يرفض المفكرون الكتاب المقدس ومثليه
في أوربا .. فلنستمع الى التوراة تصور لنا هذا الاختلاق :

" فبقى يعقوب وحده وصارعه اسنان حتى طلوع الفجر . ولما رأى أنه
لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذه يعقوب فى مصارعته
معه ، وقال : أطلقنى ! .. فقال : لا أطلقك ان لم تباركنى ! فقال له :
ما اسمك ؟ فقال يعقوب ، فقال : لا يدعى اسمك فى ما بعد يعقوب بل
اسرائيل .. وسأل يعقوب ، فقال : أخبرنى باسمك فقال : لماذا تسأل
عن اسى وباركه هناك . فدعا يعقوب اسم المكان " فينيثيل " قائلا : لأننى
نظرت الله وجهها لوجه ونجيت نفسى .. لذلك لا يأكل بنو اسرائيل " عرق
النساء " الذى على حق الفخذ الى هذا اليوم لأنه (الله) ضرب حق
فخذه يعقوب على عرق النساء !! " ..

وكم يفخر اليهود اذا كان أبوهم بهذه المثابة العجيبة من القوة والبطش
اللذين يمجز عنهما الاله الذى فطر السموات والأرض وخلق النملات والنور
فلذلك حرموا على أنفسهم أكل الفخذ .

وبهذا القدر نكتفى لبيان أن تبلى الضمير الدينى كان من الحوامل
الأساسية التى أبعدت الناس - فى أوربا - عن التدين .

اليهود واللاهوتية عموماً

وهكذا رأينا أن المادية والتطلع الى أسلوب نفى في الحياة ، من أكبر ما يشغل اليهود . بل ليست ديانتهم الا تعبيراً طبيعياً لشعب خاص لا تقبل الغرباء . (١)

والذى يقرأ الأُسفار لا يجد فيها ما يدل على أن موسى أو بنى اسرائيل ما كانوا مأمورين بدعوة غيرهم الى ديانتهم .
وكل ما فى الأُسفار منصب على كون الديانة اليهودية ديانتهم الخاصة وكون الرب ربهم الخاص .

هذه هى قصة الاله عند اليهود وهى واضحة الدلالة على أن اليهود لم يعرفوا الاله الحق فى أكثر تاريخهم ، وهم الآن يتخذون تراب فلسطين الهيا لهم . ان تراب فلسطين رمز المادة التى تحكمت فى الفكر اليهودى على مر التاريخ .

ولولا حبيل من الله وحبل من الناس (٢) لما كان اليهود يستحقون البقاء فوق هذه البسيطة لفساد عقيدتهم وسوء أخلاقهم .

(١) ما يقال عن الاسلام ، العقاد : ص ٥١

محمد دروزة ، تاريخ اسرائيل فى أسفارهم ج ١ ص ٧٢

وتاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد على ج ٦ ص ٢٤٦

راجع أيضاً اليهود ، أحمد الشلبي ص ١٦٣

(٢) هذا اقتباس من قوله تعالى : ﴿ فى سورة آل عمران : ﴾ ضربت عليهم

الدلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباءء وا بغضب من

الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون

الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون .

وسنرى فى الصفحات الآتية ألوانا أخرى من عقيدتهم الفاسدة تجاه
 أنبيائهم الأبرار .. لقد صورهم اليهود فى صور اللصوص والفساق والمنحرفين ..
 لم يسلم من ذلك أحد منهم ..

الأنبياء فى التوراة

ان اليهود صوروا أنبيائهم ورسلمهم أبشع صورة وأقذرها ليسبحوا
 لأنفسهم القذارة والسفالة وكل الأخلاق اللئيمة المقوتة ، وإذا كان
 القدوة قدرا سائلا فلا لوم — اذن — على المقتدى أن يكون كذلك
 ان كل من يقرأ التوراة بالتأمل يجد أنه لم ينج واحد من الأنبياء الأول الاكابر
 من التلطيخ .

فنج يسكر حتى يفقد وعيه . ولوط يضاجع بناته وهو سكران .. ويعقوب
 يسرق البركة والنبوة والأغنام والمواشى .. ويهوذا يزنى بامرأة ابنه
 وداود يشتكى زوجة الضابط (أوريا) فيزنى بها ويرسل زوجها للقتل
 ليتخلص منه .. أما بيت داود النبى العظيم كان بيت الفجور والاجرام
 ففيه يضاجع الابن زوجات أبيه فى عين الشمس وأمام جميع اسرائيل
 اما سليمان فيختتم حياته المجيدة بعبادة الأصنام .. وهارون يصنع المجل
 الذهبى ويعبد .. حتى موسى تقول التوراة انه خان ربه ولم يقده (١)
 ولهذا يحرمه الرب من دخول الأرض الموعودة ويموت فى سيناء هو وهارون ويقول
 الرب لهما فى التوراة :

" لأنكما خنتماي ولم تقدساني لن تدخلوا الأرض التى تفيض لبنا وعسلا
 ويدخلها عبيدى يشوع بن نون " (٢) .

(١) راجع عرضا كتاب التوراة ، مصطفى محمود ص ٦٢ بتصرف طفيف .

(٢) المرجع السابق ص ٦٢

حتى أيوب نقلوا عن لسانه أنه ينكر البحث والقيام من القبور - ولم
يسلم واحد من الأنبياء الأول الصالحين الذين بنوا صرح الدولة اليهودية
من التلطيخ .

واليك نماذج من هذا التلطيخ من التوراة نفسها :

سيدنا ابراهيم والتوراة

فالتوراة تعرض صورة قذرة لابراهيم ، فهو - كما تزعم التوراة - يعرض
امراته الجميلة الفاتنة ، ويجعلها وسيلة كسب وثر .
تقول التوراة في " سفر التكوين " أول اسفارها الخمسة المقدسة المجمع
على قداستها من مختلف طوائف اليهود والنصارى ومن السامرة (١) ضد
" وحدث جوع في الأرض ، فانهدر ابرام الى مصر ليتغرب هناك . لأن
الجوع في الأرض كان شديدا ، وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراي
امراته : اني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر . فيكون اذا رآك المصريون
أنهم يقولون : هذه امراته ، فيقتلونني ويستبقونك ، قولي : انك اختي
ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك .
" فحدث لما دخل ابرام الى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة
جدا ورآها رؤساء فرعون ، فأخذت المرأة الى بيت فرعون ، فصنع الى ابرام
خيلا بسببها " (٢) .
" وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد واماء وأتت وجمال ، فضرب الرب فرعون
وبنيه ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة ابرام . . .

(١) راجع اليهود والنصرانية ، أحمد عبد الغفار عطار ص ٤٣ ، دار الاندلس

(٢) راجع سفر التكوين في الاصحاح العشرين . بيروت

" فدعا فرعون أبرام وقال : ما هذا الذى صنعت بي ؟ لماذا لم تخبرني
أنها امرأتك ؟ لماذا قلت : هي أختي ، حتى أخذتها لي لتكون زوجتي ؟
والآن ، هوذا امرأتك ، خذها واذهب ، وأوصى فرعون رجلاً فشيخوه
بأمراته وكل ما كان له " (١)

وهكذا يصور كاتب هذا الاصحاح سيدنا ابراهيم .. وأما نحن —
المسلمين — نقول : اذا كان كتاب اليهود الذى يدين به النصارى أيضاً
تكذب على ابراهيم فتذكر عنه ذلك المسلك الشائن فان كتاب المسلمين ^{كذلك} ذلك ،
وهذا أعظم دليل على ان كتاب المسلمين هو الحق .

يقول القرآن الكريم فى ابراهيم :

* واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقاً نبياً (١)
* ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين (٢)
* وان من شيعته لا ابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم (٣)
* سلام على ابراهيم ، كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين (٤)
* ان ابراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يكن من المشركين شاكراً لأنعمه
اجتباه وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه فى الدنيا حسنة وانه فى الآخرة
لمن الصالحين *

* ونجيناه ولوطاً الى الأَرْضِ التى باركنا فيها للمالئين .. ووهبنا له اسحاق
ويمقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين . وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا
اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين*
* ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً *

(١) سفر التكوين فى الاصحاح العشرين (١) مريم آية ٤١

(٢) الانبياء آية ٥١ (٣) الصافات آية ٨٤

(٤) الصافات آية ١٠٩ — ١١١

* ابن ابراهيم لاواه حلیم *

* ان ابراهيم لحليم أواه منيب *

وغير ذلك من الآيات البينات التي تصف ابراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام بما يليق به . ويكفي أن الله جعله اماما للناس . وكل هذه المحامد والصفات الكريمة تنفي فريضة سفر التكوين الذي نسجها كاتبه الساقط البدي .

وإذا كان أبوالأنبياء بهذه السقوط الخلق الذي يدعيه سفر التكوين فكيف يؤمن بهذا الكتاب رجال العالم الحديث الهاربون عن رب الكنيسة . وبهذه وتلك يظهر بكل وضوح كلام الشيخ محمد الغزالي حيث قال : ان الالحاد الحديث لم يحدث في أوروبا المعاصرة الا من تبلد الضمير الديني عند أهل الكتاب والجمود الفكري والتجارة بالدين .

الدفاع عن التوراة

" يقول المدافعون عن التوراة . . ان ما جاء في العهد القديم عن خطايا الأنبياء حقيقة لا تلطيخ فيه ولا مبالغة . . . وأن الله كانت له حكمة وراء ما حدث . فقد أراد أنبياءه أفراد عاديين يخطئون . . ليكونوا أمثلة لنعمة الله ورحمته ومغفرته " (١) .

هذا هو كلام المدافعين

وهو كلام مردود عليه

فكيف نقود قطيعا من الخراف الضالة بكيش ضال مثلهم . . أليس طبيعيا أن يكون القائد قدوة طيبة ونموذجا حسنا . . كيف يدعو الأنبياء الى الصايا الشر وفي أولها لا تقتل لا تسرق لا تزني . . ويكونون هم أول من يقتل ويسرق ويزني .

(١) راجع كتاب التوراة مصدق محمود ص ٦٤ .

أنا لم أقل ان الانبياء يجب أن يكونوا آلهة •

وانما قلت ان من الطبيعي أن يكون النبي قدوة طيبة ونموذجا حسنا
بحكم كونه المختار من ملايين •• والا سقطت عنه وظيفته - وأصبح تشریف
الله في اختياره له دون الملايين غيره تشريفا بلا معنى •• وتحول من قدوة
حسنة الى مثل سيء وأصبح مضللا بدلا من أن يكون هاديا •
والواقع خلاف ذلك لأننا لم نر نبيا أبدا مضللا بل كانوا هداة ••
وكانوا خير قدوة •• ولكن حرص اليهود على تخريب كل شيء (وهم أبناء
الافاعي وقتلة الانبياء) جعلهم يقتلون حتى ذكرى هؤلاء الانبياء
ويشوهون ويتابعون أعمالهم وأقوالهم بالتحريف •

ولنقف وقفة تأمل أمام تلك الحادثة الفريدة التي توربها التوراة عن

داود وامرأة قائد الجيش (أوريا) •

" وحبلت المرأة (من الزنا مع داود) فأرسلت وأخبرت داود وقالت
اني حبلي •• فأرسل داود في طلب أوريا (ليمنحه اجازة يقضيها مع امرأته
في محاولة لستر هذا الحمل " السفاح ") •

وقال داود لأوريا انزل الى بيتك واغسل رجلك •• فخرج أوريا
من بيت الملك مع جميع عبيد سيده ولم ينزل الى بيته بل نام على باب الملك
فأخبروا داود قائلين لم ينزل أوريا الى بيته فقال داود لأوريا أما جئت
من السفر فلماذا لا تنزل الى بيتك فقال أوريا لداود ان تابوت العهد واسرائيل
ويهوذا ساكنون في الخيام وسيدى يوبآب (قائد الجيش) وعبيده نازلون على
وجه الصحراء •• وأنا آتى الى بيتي لأكل وأشرب واضطجع مع امرأتي وحياتك
وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر " •

(١) راجع التوراة - مصطفي محمود ص ٦٩

(٢) راجع المصدر السابق •

ومن هو ذلك النبي داود .. الذي صورته التوراة ؟
هل يمكن أن يرسل داود مثل هذا الرجل الى الموت ليأخذ امرأته
غنيمة الا أن يكون داود زليما ؟
من أجل ماذا تلك الشناعة ؟
من أجل لحنة نروث رآها ذات مساء على السطوح
والعقل يقول : ان هذا محال أن يقع لنبي .
تلكم هي بعض تصورات اليهود تجاه الهمم (يهوه) وأنبيائهم
الذين صوروهم للناس في ثياب اللصوص الذين ليس لهم هم ————
جمع حطام الدنيا واقتراف المنكرات .. وليس غريبا ان نجد
المفكرين قد ثاروا على هذه العقيدة التي لا تصدقه العقول السليمة
والفطرة السليمة .
وبعد هذا ننتقل الى موقف العلم الحديث من التوراة .

التوراة المحرفة

قد رأينا في السطور الماضية عقيدة اليهود في رسم وفي أنبيائهم
الذين صوروهم في صور اللصوص وقطاع الطرق .

فكان ذلك مما يساعد الملاحدة على تكذيب جميع الأديان وجميع
الكتب السماوية . . . وهنا نريد أن نقدم للقارئ نماذج من تحريف التوراة ليعلم
الملاحدة أن المعلومات المناقضة للحلم الحديث في التوراة . ليست من
عند الله وإنما كتبت التوراة هم الذين كتبوها بأيديهم فقالوا : هذا من
عند الله .

وقبل الخوض في بيان هذا التحريف الخطير يحسن بنا أن نعطي
للقارئ فكرة موجزة عن التوراة نفسها . .

فكرة موجزة عن التوراة

التوراة : هو الاسم السامي .

أما التعبير اليوناني الذي أعطى كلمة (pentateuque)

الفرنسية فهي تعني مؤلفا يتكون من خمسة أجزاء :

سفر التكوين . و سفر الخروج . و سفر اللاويين . و سفر العدد ،
وسفر التثنية . وهي الأسفار التي كونت العناصر الأولى لكتاب العهد القديم
من تسعة وثلاثين مجلدا . .

وتتناول هذه المجموعة من النصوص أصل الكون وحتى دخول الشعب
اليهودي أرض كنعان ، الأرض الموعودة بعد الخروج من مصر ، وبالتحديد
حتى موت موسى . وتستخدم حكاية هذه الأحداث كإطار لعرض التدابير
الخاصة بالحياة الدينية والحياة الاجتماعية للشعب الشيعودي . ومن هنا

جاء اسم التوراة يعنى الناموس^(١) ، هذه فكرة موجزة عن التوراة ، وإذا فهمنا هذا قد تهيأنا بعض التهيؤ لننتقل الى استعراض نماذج لتحريف التوراة من التوراة نفسها ..

نماذج من تحريف التوراة

لقد ظلت اليهودية والمسيحية ، لقرون طويلة ، تعتبران أن موسى نفسه هو كاتب التوراة .

وربما كان سبب هذا الظن اعتمادهم على بعض النصوص وردت فى الاناجيل التى توهم أن موسى هو الذى كتبها ومن هذه النصوص ما يلى :

جاء فى سفر الخروج أن الرب قال لموسى : " اكتب هذا تذكارا " (٢) والمقصود من هذا هزيمة عماليق .

أو اعتمدوا على الآية الثانية من الاصحاح الثالث والثلاثين من سفر العدد : " وكتب موسى مخارجهم برحلاتهم حسب قول الرب " (٣) .

أو أنهم اعتمدوا على آية فى سفر التثنية " وكتب موسى هذه التوراة " (٤)

هذه هى بعض أدلة القائلين بأن موسى هو الذى كتب التوراة نفسه حتى

كان بعض المتحمسين - كأمثال (فلافيوس جوزيف) (Lavius Josephe)

وفليون الاسكندرى (Philon)^(٥) ، يرون أن موسى هو الذى كتب

الأسفار الخمسة كلها . وكان هذا التحمس ابتداء من القرن الأول قبل الميلاد .

(١) يراجع فى هذا الى كتاب دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة موريس بوكاى ص ٢٦

(٢) الخروج الاصحاح ٢٧ الاية ١٤ (٣) العدد الاية الثانية من الاصحاح ٣٣

(٤) التثنية الاية التاسعة من الاصحاح الحادى والثلاثين

(٥) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة موريس بوكاى ص ٢٧

وأما أدلتهم من الانجيل كالتالي :

أولا :- (٦) ان بولس قد كتب في رسالته الى أهل رومية يقول :
 " لا ن موسى يكتب في اكبر (١) الذي يصدر من الناموس " (٢)

وأما يوحنا - ان كان هو الذي كتب الانجيل المنسوب اليه ، فهو يجهل
 المسيح يقول تلك العبارة التالية :

" لأنكم لو كنتم ترون موسى لكنتم تصدقونني لأنه هو كتب عني "
 فان كنتم لستم تصدقون ما كتب فكيف تصدقون كلاي " (٣) وهذه
 بعض ما يعتمد عليه المسيحيون في نسبة كتابة التوراة الى موسى عليه السلام .

ولكن كل ذلك بهتان وزور ويتضح ذلك فيما يلي :
 ذلك ان الله تعالى قد سخر بعض كبار المسيحيين لرد هذا الزعم .. وهو
 الأب ديفو (R. P. De Vaux) الذي يعترف به جميع المسيحيين
 في تمسكه للديانة المسيحية والذي بالقدس حيث كان مديرا لمدرسة
 الكتاب . وهو الذي قدم لترجمته لسفر التكوين عام ١٩٦٢ م بمقدمة
 عامة لأسفار موسى الخمسة . وهي مقدمة تحتوي على حجج قيمة تناقض
 الدعاوى الانجيلية الخاصة بأبوة المؤلف المعنى به ..

يذكر الأب ديفو أن " التراث اليهودي الذي امتثل له عيسى والرسول "
 " كان مقبولا حتى نهاية القرون الوسطى .. وكان الرفض الوحيد لهذه
 الدعوى " أبين اسرا (Aben Ezra) في القرن (٤)

(١) المقصود هنا المدل

(٢) الاصحاح الماشر الاية . من رسالته لأهل رومية

(٣) انجيل يوحنا . الاصحاح الخامس ٤٦ - ٤٧

(٤) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة موريس بوكاي ص ٢٧

وقال أيضا :

" وفي القرن السادس عشر أشار كارلشتاد (Carlstadt) الى استحالة أن يكون موسى قد كتب بنفسه كيف مات " (١)

ويذكر أيضا بعد ذلك نقاد آخرين يرفضون نسبة كتاب التوراة

الى موسى ويذكر على وجه الخصوص دراسة ريشار سيمول (-

(Richard Simon) في كتابه " التاريخ النقدي للعهد

القديم " .

(Histoire Critique Du vieux Testament)

(١٦٨٨) . وفيه يؤكّد ر . سيمون على الصعوبات الخاصة بتسلسل

الأحداث والتكرارات وفوضى الروايات وفوارق الأسلوب في أسفار

موسى الخمسة .

وعندما صدر هذا الكتاب جن جنون الكنيسة ضده لأنه أشار ضجة

وسخطا ولم يتابع أحد حجة ر . سيمون تقريبا . . خوفا من سلطان الكنيسة . . (٢)

وكما استطاع النقاد أن يثبتوا أن التوراة قد عينت أماكن بأسماء لم توضع

لها إلا بعد موسى بقرون عديدة (٣) يستطيع القارئ أن يتصور إلى أي حد

كان من الصعب تدحيض هذه الخرافة ، خرافة أن موسى هو كاتب التوراة .

ومع هذه الصعوبات كلها جاء رجل مسيحي آخر فقام بدراسة أخرى

يثبت فيها أن موسى لم يكتب التوراة التي بأيديهم . . وهذا الرجل هو :

جان استروك (١٧٥٣) .

(١) سفر التثنية الاصحاح ٣٤ الآيات من ٥ الى ١٢

(٢) المرجع السابق ص ٢٨

(٣) انظر المشكلة الأخلاقية والفلاسفة ص ١٢٢ تأليف كرسون ، ت عبد الحليم حمود ط ٢ القاهرة .

ورسالة في اللاهوت والسياسة لسبينورا ترجمة حسن حنفي مصر ١٩٦٣م

ان هذا الرجل كنت لديه شجاعة أن ينشر على الملأ ملاحظة أساسية

هي وجود التناقض في نصوص التوراة • ونذكر من هذه التناقضات ما يلي :

أولا :-
وجود نصين جنباً الى جنب في سفر التكوين يحتوى كل منهما على
خاصية مختلفة في تسمية الرب :

اذ يسميه أحدهما " ييهوه " ويسميه الثاني بـ " ألوهيم " •

اذ نفسر التكوين يحتوى على نصين جنباً الى جنب •

ثم قام " ايخهون " (Eichhorn) ١٧٨٠ - ١٧٨٣

بنفس الاكتشافات بالنسبة للكتب الأربعة الأخرى •• ثم جاء (ايلجن)

(Ilgen /) ١٧٩٨ ولاحظ أن أحد النصين اللذين

مزيهما (ستروك) وهو النص الذى سعى فيه الرب بألوهيم ، ينقسم هو

أيضا الى قسمين :

وبهذا تفتت كتاب أسفار موسى الخمسة •

وأما بحاشة القرن التاسع عشر الميلادى فقد كرسوا جهودهم فى بحث

عن المصادر أكثر دقة ••

وفى سنة ١٨٥٤ م كانت هناك أربعة مصادر مقبولة وتسمى بالأسماء

التالية :

١ - الوثيقة اليهودية

٢ - الوثيقة الألوهيمية

٣ - وسفر التثنية

٤ - للنص الكهنوتى

ومن المدهش ان الباحثين قد أفلحوا فى اعطائها اعمارا فقالوا :

ان الوثيقة اليهودية تقع في القرن التاسع قبل الميلاد (وقد حررت في مملكة الجنوب) .

واما الوثيقة الألوهية فهي أقرب تاريخيا بقليل (وقد حررت بإسرائيل)
واما سفر التثنية فينتس الى القرن الثامن من قبل الميلاد في رأى آدموند جاكوب .

واما النص الكهنوتي فينتس الى عصر النفي أو ما بعد النفي ، أى القرن السادس قبل الميلاد .

بهذا يتضح لنا أن الأسفار الخمسة لم يكتبها موسى عليه السلام . لأنها ثبت أنها كتبت بعد موته بقرون عديدة . (١) وبالتحديد على ثلاثة قرون بأقل تقدير . (٢) وليس في استطاعة اليهود ولا المسيحيين الذين يؤمنون بقداسية الأسفار الخمسة ، أن يردوا هذا البحث المميق الموضوعي .

وكما يتضح أيضا تكون كتاب أسفار موسى الخمسة من أقوال مورثة مختلفة جسمها - بشكل يقل أو يزيد حذفاً - محروون ، وضموا تارة ما جمعوها جنباً الى جنب . وطورا غيروا من شكل هذه الروايات بهدف وحدة مركبة تاركين للمين أمورا غير محقولة وأخرى متنافرة . . . كما من شأنها أن قادت المحدثين الى البحث الموضوعي عن المصادر .

أخبار لا توافق الواقع التاريخي

قد وجدت في التوراة أخبار لم توافق الوقائع التاريخية . وكل ذلك ساعد الملاحدة على رفض الأديان . وسنكتفي بذكر شئ واحد من هذه التناقضات وفيه الكفاية :

(١) يراجع في هذه الأخبار التاريخية الى دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة مورييس بوكاي (٢٨ - ٢٩) ومن راجع هذا الكتاب يجد هناك أشياء كثيرة تثبت عدم نسبة التوراة الى موسى عليه السلام ولكننا اختصرنا الكلام فيه نظرا الى أن المقام لا يتسع لذلك .
(٢) المرجع السابق (٤٠)

لقد ورد في سفر التكوين أن الله تعالى قد حدد - قبل الطوفان -
بقليل - عمر الانسان بمائة وعشرين سنة . تقول التوراة :

" وتكون أيامه مائة وعشرين سنة " (١)

ومع ذلك يلاحظ فيما بعد في نفس سفر التكوين الاصحاح (١١) الآيات من
١٠ الى ٣٢ أن حياة أنسال نوح العشرة قد دامت من ١٤٨ الى ٦٠٠
سنة .

ان التناقض بين هاتين العبارتين واضح ويدل دلالة واضحة أن التوراة
ليس من عند الله لأنه لم يمكن بحال من الأحوال أن يوجد في كلامه اختلاف
لأنه ^{هو الذي} يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم . ولا تخفى عليه خافية . .
اذن ان هذا يثبت أن التوراة محرفة . . ولكن كيف حرفت ؟ فيجب
على ذلك بعض الباحثين الغربيين المعاصرين يقولون :

" ان تحليل ذلك بسيط : فالعبارة الأولى التي وردت في (سفر
التكوين) نص (يهوى) يعود تاريخه - كما مر بنا - الى القرن العاشر
قبل الميلاد .

أما العبارة الثانية في سفر التكوين الاصحاح ١١ - الآيات من ١١ - ٣٢
فهي نص وجد (في القرن السادس قبل الميلاد) في التراث الكهنوتي الذي هو
أصل هذه الانساب التي تمتنى في احصاء أعمار كل من أتى بعد آدم الى
عهد المسيح . . . (٢) .

ويسبدوننا جليا أن التوراة محرفة . وان دل هذا البحث الذي قام
به هؤلاء المسيحيون ، على شيء ، فانما يدل على صحة القرآن العظيم السدى
قد سبق العلم الحديث في الاشارة الى هذه النقطة وقال :

(١) سفر التكوين الاصحاح ٦ آية ٣
(٢) المصدر السابق (٤٠)

* يحرفون الكلم عن مواضعه * (١) وقال :

* ونسوا حظا مما ذكروا به * (٢)

وليس غريبا ان أن ترتفع هذه الضجة الكبرى ضد رجال الكنيسة

و ضد كتبتهم وفي مقدمتها التوراة المحرفة .

ولم يكتف محرروا التوراة بهذه التناقضات وانما زعموا أيضا ان الله

تعالى بعد أن خلق السموات والأرض - تعب فأخذ راحته بعد ستة أيام ..

وقد تكلمنا عن هذه النقطة عند الحديث عن عقيدة اليهود في الله ولكننا

أعدنا الكلام عليه لأجل أن نبين مصدر هذه الأسطورة ..

وقد رأى الباحثون أن لهذه الأسطورة تعليلا وهو :

ينبى أن نتذكر دائما أن رواية الخلق هنا تأتي من النص الذى سقى

بالكنهوتى ، كتبه الكهنة وهم الورثون الروحىون لحزقيل نبى النفسى

ببابل فى القرن السادس قبل الميلاد .

ومعروف أن هؤلاء الكهنة قد أعادوا روايتى الخلق اليهودية والألوهيمية

وأعادوا صياغتها على مشيئتهم وحسب اهتماماتهم الخاصة (٣) على حين لا يشير

النص اليهودى ، الذى يسبق النص الكهنوتى بمدة قرون الى راحة الله

الذى تعب من عمله طيلة الأسبوع .

اذن ان مصدر هذه الأسطورة هو الرواية الكهنوتية وذلك بعد نفسى

اليهود من بابل . ودليل ذلك خلو النص اليهودى من هذه الرواية .. فالتوراة

بهذه المثابة - كتاب محرف كذب على الله . ففضحها الله أمام رجال

العلم الحديث .. وأما الله - كما يقول القرآن لا يمسه من لغوب يقول الله :

(١) سورة المائدة الآية رقم ١٧

(٢) = = = = (٢)

(٣) سفر التكوين الاصحاح السادس اية ٣

ذلك اختصار شديد لبيان التحريف في التوراة ، التحريف الذي كان ثغرة
 أخذ منها الملاحدة للتفديد جميع ما يتعلق بالدين المسطلق ،
 وتكميلاً لبيان تحريف التوراة ، نود أن نستمع إلى رأى العلم الحديث
 في شأن التوراة .
 وغرضنا في هذا الجزء - كما قلنا - نريد أن نقول للملاحدة الذين
 الذي ثارت عليه أوروبا دين يستحق أن يثار عليه لا شتماله على الخرافات
 والباطيل . . وأما ديننا الاسلامي بخلاف ذلك ، لأنه كما ينمى
 على اللاحاد الذي يعيشه الملاحدة ، ينمى أيضاً على الخرافات والتدين
 المنحرف الذي كان يتمتع بها رجال الكنيسة الأوربية . . .

موقف العلم الحديث من التوراة

ومن يتأمل في هذه التوراة المحرفة ، يجد فيها حشداً من المتناقضات وروايات
 مختلفة عن موضوع واحد ، وأخطاء تاريخية وأموراً غير معقولة أو يستحيل أن يتفق
 مع المعطيات العلمية الثابتة . .
 ومع ذلك نجد المجمع المسكوني الثاني (١٩٦٢-١٩٦٥) يريد أن يجد
 مبرراً لهذه المتناقضات ، وذلك بإدخال تحفظ على " أسفار العهد القديم"
 التي تحتوى على الشوائب وشئ من البطلان" (١) .
 ترى هل يبقى هذا التحفظ مجرد تعبير عن نية طيبة ؟ الجواب لا !
 بل قام أناس في عصر أدرك فيه المفكرون استحالة اتفاق بين بعض فقرات التوراة مع
 المعارف الحديثة ، - للمقارنة بين ما ورد في التوراة مما يتعلق بالتاريخ
 والكون وبين المعطيات العلمية ، فوجدوا أن أغلب المعلومات التي وردت في

(١) المرجع السابق ص (٤٠)

التوراة باطلة لا تمت الى العلم بصلة .. فلندكر من ذلك ثلاث نقاط فقط :

- ١ - خلق العالم
- ٢ - تاريخ خلق العالم وتاريخ ظهور الانسان على الارض
- ٣ - رواية الطوفان

واليك تفاصيل ذلك :

أولا - خلق العالم :

ان العلم الحديث لم يوافق ما ورد في التوراة من خلق العالم . ويرى
ان رواية التوراة في هذا الباب لسطورة محضة . واليك القصة بالنص .
تقول التوراة :

" في البدء خلق الله السماء والارض . وكانت الارض خربة وخالية والظلمات
تغطي اللجة وروح الله على المياه " (١) .

يرى العلم الحديث ان الحديث عن الماء في هذه الفترة ، أسطورة —
أساطير كتاب التوراة .. وأما الذي يعتقد العلم الحديث هو : وجود كتلة
غازية في المرحلة الأولى لتكون الكون ... ولكن القول بوجود الماء
في تلك المرحلة غلط ..

ومن هنا نعلن نحن المسلمين — للعالم بأسره ان كتابنا خال من الخرافات
التي امتازت بها هذه التوراة ، لان رأى العلم الحديث في الكتلة الغازية التي
كونت العملية الأساسية لتشكيل الكون ، يشبه بما جاء في القرآن العظيم ..
فالقرآن يقول :

" أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا
من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ؟

وفي هذه الآية يدعو الله تعالى الى التأمل في خلق الأرض ثم يأمر
النبي صلى الله عليه وسلم بأن يقول : ■ ثم استوى الى السماء وهي دخان
فقال لها وللارض اثريا طوعا أو كرها فقالتا أتينا طائمين *
فيجب الالتفات الى ما يلي :

أ - الإشارة الى وجود كتلة غازية في هذه الفترة • يؤخذ ذلك
من كلمة " دخان " اذ يتكون الدخان عموما من قوام غازي •
ب - الإشارة الى عملية الفتق للكتلة الفريدة الأولى التي كانت عناصرها
في البداية ملتحة : لأن الفتق هو فعل القطع أو فك . اللحم أو الفصل
وأن (الرتق) فعل اللحم ووصل العناصر •• هذا ما يفهم من هذه
الآيات • اذن العلم الحديث لم يأت بجديد على المسلمين وانما نقول ان الذي
جاء به العلم الحديث بهذا الصدد فيه شبه بهذه الآية الا أننا في الوقت
نفسه لا نوافق العلم الحديث الذي حاول أن يحدد عمر الدنيا بأنه يبلغ ٤
مليارات من السنين تقريبا ^(١) لأن هذا التحديد مبني على الخيال والتخمين
وليس على الحقائق العلمية لقوله تعالى :

* ما أشهدتهم خلق السموات والأرض • ولا خلق أنفسهم وما كنت
متخذاً المضلين عضداً *

بعد هذه الآية الكريمة لا يتردد مؤمن أن يقول ان كل محاولة لتحديد
نشأة الكون محاولة اضلالية • لأن ذلك لا يتم الا بالمشاهدة والمعاونة •
هل هؤلاء وهؤلاء شاهدوا ذلك ؟ أو عاونوا الله عند الخلق ؟ الجواب لا !
فتحديدهم اذن في مثل هذا الموطن لا يعنى به • لا من قبل الخرافات
التوراتية ولا من قبل الفروض الكثيرة التي يعتمد عليها أرباب العلم الحديث •

فكل فكرة تدعى تفسير الكون ينبغي عليها أن تتخذ طريقة ليست فيها الصدفة والافسوس مرفوضة عند المسلم من أساسها • لأن من أسس بنيانه على الرمال فسوف تذريره الرياح ••

إذا كانت التوراة غلطت في تحديد نشأة الكون وعمره • فغلط العلم الحديث أشنع لأنه يدعم فكرته هذه على نفى وجود الله أولاً ثم اثبات شيء خيالي أخيراً ••

الخلاصة :

ان التوراة المليئة بالكاذب حاولت أن تحدد عمر الدنيا ففشلت ، فإذا بالعلم الحديث أراد أن يكشف هذا الغلط فوقع فيما هو أشد اضلالاً وهو : نفى تدخل اللفظ الكون • والكلام الوسط ما أشار اليه القرآن الكريم وهو — أن أصل الكون كان كتلة دخانية ثم فتقها الله بقدر خاص وحكمة بالغة وغاية مرسومة مقدرة بدون أى تحديد زمنى يقول تعالى : ﴿ أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ﴾ (١) • وبعد هذا نتقدم الى خطوة
ثالثة •

الطوفان

نود في هذا البحث التاريخي الخطير أن نستعرض الآراء بدون أى تعليق ليفكر فيه القارئ برأيه الخاص • وذلك أن التاريخ غيب لا يمكن لأى أحد أن يصل الى معلومات يقينية الا عن طريق السمع أو اشارة من علم • ورغم كل ذلك سنجد العلم الحديث يجد ثغرات كثيرة في روايات التوراة بل يجد

ففيها تناقضات لا يستسيغها أى عقل انساني - واليك تفاصيل ذلك :

أولا - رأى التوراة فى قصة الطوفان :

والرواية كلها فى شمولها هى ما يلى من سفر التكوين ثرويهها بالمعنى
لقصد الاختصار ..

لما عم فساد البشر قرر الله تدميرهم مع كل المخلوقات الحية الأخرى .
فحذر نوحا وأمره ببناء السفينة التى سيدخل بها زوجته وأولاده الثلاثة
بزوجاتهم الثلاث وكائنات حية أخرى ..

ويختلف المصدران بالنسبة للكائنات الحية : فهناك مقطع من الرواية (وهو
كهنوتى الأصل) يشير الى أن نوحا قد أخذ زوجا من كل نوع . ثم يحدد
المقطع التالى وهو من الأصل اليهودى أن الله قد أمر بأخذ سبعة من كل نوع
ذكر وأنثى من الحيوانات المسماة بالطاهرة ، وزوجا واحدا من الحيوانات المسماة
بغير الطاهرة . ولكن بعد ذلك يتحدد أن نوحا لن يدخل الى السفينة فعلا
الا زوجا من كل نوع من الحيوانات .

ويؤيد المتخصصون ، مثل الأب (ديفو) ، أن المعنى هنا هو مقطع
معدل من الرواية اليهودية .

وهناك فقرة (وهى من الأصل اليهودى) يشير الى أن عامل الطوفان
هو ماء المطر ولكن هناك فقرة أخرى (وهى كهنوتية الأصل) تقدم سبب الطوفان
على أنه مزدوج أى ماء المطر والينابيع الأرضية .

تغطت الأرض حتى قمم الجبال وأعلى منها بالماء ، وتدمرت فيها كل الحياة
وبعد سنة خرج نوح من السفينة التى رست على جبل (أرارات) بعد الانحسار^(٣).

(١) سفر التكوين الاصحاحات ٦ ، ٧ و ٨

(٢) راجع كتاب الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ص ٥٢ ولكن بالتصرف

(٣) راجع سفر التكوين من التوراة عرضا

ثم لو راجعت التوراة تجد أن للطوفان روايتين مختلفتين : اذ تقول
الرواية اليهودية أربعون يوما فيضانا ، على حين يقول النص الكهنوتي
انها مائة وخمسون يوما . .

ثم الغريب ان الروايات اليهودية ، لا تحدد تاريخ وقوع هذا الحدث من
حياة نوح ولكن الرواية الكهنوتية تحدد به حين كان عمر نوح ٦٠٠ سنة .
وتمطى نفس هذه الرواية اشارات عن موقعه الزمني بالنسبة لآدم وبالنسبة
لا ابراهيم . .

وبما ان ذلك : ان قوائم الانساب في التوراة تقرر ان نوحا قد ولد بعد
١٠٥٦ عاما من آدم (انظر جدول اسلاف ابراهيم في سفر التكوين) فيكون
الفترة الزمنية بين آدم والطوفان كالتالى :

$$(١٠٥٦ + ٦٠٠) = (١٦٥٦) \text{ سنة}$$

وبالنسبة الى ابراهيم فيحدد سفر التكوين أن ميلاده كان بعد الطوفان
بـ (٢٩٢) سنة ٠٠٠ أى ثلاثة قرون تقريبا .

ولما كانت التوراة نفسها تثبت ان بين ابراهيم وعيسى ١٨ قرنا فنصل الى
النتيجة التالية :

ان الطوفان وقع قبل المسيح في القرن (٢١) فاذا جمعنا ٣ قرون
التي وقمت قبل ميلاد ابراهيم مع ١٨ قرنا التي تعتبر الفترة الزمنية بين ابراهيم
وعيسى عليهما السلام .

وبهذا استطاع محررو التوراة أن يصلوا الى تاريخ محدد لمعرفة زمن
الطوفان .

ثم ان سفر التكوين ، يخص كل الجنس البشرى بهذا الطوفان وأن البشرية
قد أعادت تكوين نفسها ابتداء من أولاد نوح وزوجاتهم . . .

والهك نصوحا من التوراة تدل على طوفان نوح كان عالميا ..

أ - " فقال الله لنوح : ها أنا آت بطوفان الماء على الأرض لا هلك

كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء ، كل ما فى الأرض يموت " (١)

ب - " وتعاطمت المياه وتكاثرت جدا على الأرض فتفطت جميع

الجبال الشامخة تحت كل سماء . خمس عشرة ذراعا فى الارتفاع تعاطمت المياه

فتفطت الجبال " (٢)

ج - وضعت قوس فى السحاب فتكون علامة ميثاق بينى وبين الأرض .

فيكون متى أنشر سحابا على الأرض ، وتظهر القوس فى السحاب . أنى اذكر

ميثاق الذى بينى وبينكم وبين كل نفس حية فى كل جسد ، فلا تكون أيضا

المياه طوفانا لتهلك كل ذى جسد " (٣)

هذه من أدلة التوراة لاثبات عالمية طوفان نوح عليه السلام (٤) . والآن

نود أن نرى موقف العلم الحديث من هذه الروايات :

(١) سفر التكوين ٦ : ١٧

(٢) سفر التكوين ١٩ : ٢٠

(٣) سفر التكوين ٩ : ١٣ - ١٥

(٤) الآن يريد بعض المسيحيين أن يشبوا عالمية الطوفان بالاكشافات العلمية

الحديثة . فذكروا أشياء مختلفة منها : أنه وجدت عظام حوت فى شمال

بحيرة (أنتاريو) على ارتفاع (٤٤٠) قدم فوق مستوى سطح البحر . هذه

تعتبر علامات على أن الماء كان يوما يغمر الأرض فى أماكن كثيرة ..

ومعنى ذلك أن الطوفان كان عالميا .. هكذا يزعمون .. والعلم عند

الله الله .

(راجع كتاب : الانسان هل هو متطور أو مخلوق بقلم نورس أندرسون

ص ٣٣) .

موقف العلم الحديث من رواية الطوفان

ان العلم الحديث لم يكذب التوراة في وقوع الطوفان ، ولكنه كذبها في

النقاط التالية :

ليس في التوراة رواية واحدة فقط عن الطوفان بل هناك روايتان ولكنهما

حررتا في عصور مختلفة ■

— الرواية اليهودية ترجع الى القرن التاسع قبل الميلاد .

— الرواية الكينوتية التي ترجع الى القرن السادس قبل الميلاد .

والتي أخذت هذا الاسم لأنها مؤلف لكهنة ذلك العصر ..

ولا تأتي هاتان الروايتان كل الى جانب الأخرى وإنما تتشابكان وتتداخل عناصر احدهما في عناصر الأخرى وتتعاقب فقرات كل مصدر بالتبادل مع فقرات المصدرين الآخرين ، فهذا يدل على خبث محرري التوراة وسوء نياتهم حيث خلطوا

الروايات بعضها ببعض لتويعر الطريق أمام الباحث .

يقول الأب (ديفو) : انهما حكايان للطوفان تختلف فيهما المواضع

التي أدت الى الطوفان كما يختلف زمن وقوعه ويختلف عدد الحيوانات التي شحنها نوح بالسفينة (١) .

ويقول موريس بوكاي تعليقاً على كلام الأب ديفو :

" ان رواية الطوفان في العهد القديم غير مقبولة في اطارها العام وذلك

لسببين يتضحان على ضوء المعارف الحديثة :

أ — يعطى التوراة للطوفان طابعاً عالمياً

ب — وعلى حين لا تعطى فقرات المصدر اليهودي للطوفان تاريخاً ■

تحدد الرواية الكينوتية زمن الطوفان عصر لم يكن من الممكن أن تقع به كارثة

من هذا التنوع والحجج التي يستند اليها هذا الحكم هي ما يلي :

" تحدد الرواية الكهنوتية أن الطوفان قد حدث عندما كان عمر نوح ٦٠٠ عام غير أنه من المعروف ، بحسب الأنساب المذكورة في الاصحاح الخامس من سفر التكوين أن نوحا قد ولد بعد آدم بـ ١٠٥٦ عاما .

وينتج عن ذلك أن الطوفان قد وقع بعد ١٦٥٦ عاما من خلق آدم .

وكما تؤكّد التوراة أن ابراهيم قد ولد بعد الطوفان بـ (٢٩٢) عاما .

ولما كنا نعرف أن ابراهيم كان يعيش في حوالي ٢١ أو ٢٢ قرنا قبل الميلاد اذن ان الطوفان قد وقع في القرن ٢١ أو ٢٢ قبل المسيح ، هذا ما لا يتفق مع المصطبات الحديثة : كيف يمكن اليوم تصور أن كارثة عالمية قد دمرت الحياة على كل سطح الأرض (باستثناء ركاب السفينة) في القرن ٢١ أو ٢٢ ق م ؟ ففي ذلك العصر كانت هناك على نقاط عدة من الأرض حضارات قد ازدهرت وانتقلت أطلالها الى الأجيال التالية .

وبالنسبة (لمصر) على سبيل المثال ، كان ذلك في الفترة الوسطى التي تلت نهاية الدولة القديمة وبداية الدولة الوسطى . والنظر الى ما نعرف عن تاريخ هذا العصر فانه يكون مضحكا القول بأن الطوفان قد دمر في ذلك العصر كل الحضارات .

وفي بابل أسرة أور الثالثة . ومن المعروف جيدا أنه لم يحدث انقطاع في هذه الحضارات والتالي لم يحدث اعدام يخص البشرية برمتها تقوّل التوراة :

" وبالتالي فلا يمكن اعتبار أن روايات التوراة الثلاث تصف للانسان أمورا تتفق مع الحقيقة . . هل أنزل الله شيئا غير الحقيقة . . ؟ "

هذا ما يقوله العلم الحديث ضد هذه الرواية وطبعي أن ذلك
يثير افتراض وجود تحريف بواسطة البشر - أما في الأقوال المتوارثة التي
الثقلت شفيها من جيل لا آخر أولى النصوص بعد تحديد هذه الأقوال
المتوارثة .

وعندما نصرف أن مؤلفا مثل سفر التكوين قد عدل على الأقل
مرتين وهذا على مدى ثلاثة قرون ، فكيف ندهش حين نجد فيه هذه
الأمور المتناقضة أو روايات يستحيل أن تتفق مع واقع الأشياء .

فليس غريبا إذن أن تكون هذه الديانة في موضع السخرية والازدراء
لدى الملحدة الذين وقفوا على هذه المضحكات المبكيات في هذه التوراة
المحرّفة .

وليس غريبا إذن أن يقول الملحدة :

" ان الدين أسوأ خدعة في التاريخ "

أقولون :

" ان الدين أفيون الشعوب "

ولنكتف بهذا القدر مخافة التطويل ، ولكن قبل أن ننتقل إلى
طفيان الكنيسة الذي يعتبر بحق الناقد المعلن لمجى الثورات ضد
الدين ، يحسن بنا أن نمطى فكرة موجزة عن موقف القرآن الكريم
من رواية التوراة للطوفان . . .

موقف القرآن من رواية التوراة للطوفان

على حين تتحدث التوراة عن طوفان عالمي لحق كل البشرية الكافرة .
يشير القرآن على العكس ، الى غويات عديدة نزلت على جماعات محددة جدا
تشير الى ذلك الآيات التالية :

* ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه خارون وزيرا . فقلنا
اذهب الى قوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا *
* وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية
واعتدنا للظالمين عذابا ألينا *
* وعادا وثمودا وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا
له الأمثال وكلا تبرنا تتبيرا * (١)

وعلى هذا فالقرآن يقدم كارثة الطوفان باعتبارها عقابا نزل بشكل خاص
على شعب نوح وهذا يشكل الفرق الأساسي بين الروایتين
أما الفرق الجوهرى الثانى فهو أن القرآن ، على عكس التوراة : لا يحدد
زمن الطوفان ولا يحطى أية إشارة عن مدة الكارثة نفسها .

وأما أسباب السيل فقد وافق فيها القرآن رواية التوراة التى تقول :
” فى ذلك اليوم انبثقت عيون الماء من الهوة بالسحيفة وانفتحت هواويس
السماء ” . (٢)

وأما القرآن الكريم فيقول :
” ففتحنأ أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر
قد قدر ” (٣)

(١) سورة الفرقان ، الآيات ٣٥ الى ٣٩

(٢) سفر التكوين ٢ = ١١

(٣) سورة القمر ، الآية ٥٤

وكما أن القرعان يخالف التوراة في تحديد محتوى سفينة نوح حيث يقول :
 *... احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن.
 وما آمن معه إلا القليل * (١)

وأما رواية التوراة لا تشير إلى هؤلاء من بين ركاب السفينة .. ومع ذلك
 أن التوراة قدمت لنا ثلاث روايات عن محتوى السفينة كلها متناقضة .

— على حسب الرواية الكهنوتية : نوح وأسرته دون أى استثناء وزوج من كل
 نوع .

— على حسب الرواية الیهویة ، هناك تمييز من ناحية بين الحيوانات الطاهرة
 والطيور وبين الحيوانات النجسة من ناحية أخرى (والسفينة تحتوى
 على سبعة أزواج من الفئة الأولى . ذكر وأنثى وعلى زوج واحد فقط
 من الفئة الثانية) .

في نهاية المطاف نستطيع أن نقول — مطمئنين — أن الاختلافات بين رواية
 القرآن وروايات التوراة موجودة .. وهى هامة

وكما أصبح واضحاً تمام الوضوح عدم إمكانية اتفاق رواية التوراة في تقديمها
 للطوفان بزمته ومدته — مع مكتسبات المعرفة الحديثة وعلى العكس من ذلك
 فإن رواية القرآن تتضح خالية من أى عنصر مشير للنقد الموضوعى .

والسؤال الآن موجه الى الملاحدة الذين يقولون بوجود تناقض بين
 العلم الحديث وبين الأديان كلها ، نقول لهم :

فمن عصر رواية التوراة الى عصر تنزيل القرآن هل حصل الناس على معلومات
 من شأنها أن تلقى نورا على حدث مثل هذا ؟

بالتأكيد لا | فمن العهد القديم الى القرآن كانت الوثيقة الوحيدة

التي في حوزة الناس عن هذه الحكاية القديمة هي التوراة بالتحديد .

واذا لم يكن عند الانسانية كلها علم آخر يبين خطأ التوراة في هذا

الحدث الا القرآن فقط ، أفلا يتسع في أخلاذ الملاحدة أن يصدقوا

هذا الكتاب المعجز ؟ وأن يعرفوا أن العلم الحديث لا يناقض الدين

الصحيح ، وانما يناقض الأديان المحرفة المبنية على الخرافة والجهل والقصور . . .

ثم نقول لهم :

لولم يكن القرآن من عند الله أنبي لمحمد رسول الله صلى الله عليه

وسلم أن يأتي بأسى فكرة عن الاله والكون والانسان ، صحت فكرة الفلسفة

النظرية كما صحت فكرة العقائد الدينية .

فكان تصحيحه لكل من هاتين الفكرتين ، في جانب النقص منهما — ان هذا

لهو أعظم المعجزات التي أثبتت له في حكم العقل المنصف والبديهة الصادقة

أنه وحي من عند الله . . .

وصدق الله تعالى : ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم *

* ما فرطنا في الكتاب من شيء *

* لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه *

ماذا قال المفسرون عن عالمية الطوفان وعدم عالميته؟

إن المدارس لكثرت التفاسير المعتبرة ، يجد أن المفسرين ليسوا على اتفاق تام في مسألة الطوفان ..

منهم من يرى أن الطوفان كان خاصا لقوم نوح ..
والبعض الآخر يرى أنه كان شاملا لجميع سكان الأرض ..
واليك أدلة كل من الفريقين :

وقد رأينا - تلخيصا جيدا للآراء - في تفسير روح المعاني للعلامة
الألوسي البغدادي ، نود أن ننقله اليك بنصه :

يقول الألوسي وهو يشرح قوله تعالى :

﴿ ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجينا أهله من الكرب العظيم
وجعلنا ذريته هم الباقين ﴾

" وقد روى أنه مات كل من في السفينة ، ولم يعقبوا عقبيا باقيا غير أبنائه
الثلاث اسام وحام ويافث وأزواجهم فانهم بقوا متناسلين الى يوم القيامة ..
ثم ساق الحديث الذي يدل على عالمية الطوفان فقال :

" أخرج الترمذي وحسنه ، وابن سعد ، وأحمد ، وأبو علي ، وابن
المنذر وابن أبي حاتم والطبري والحاكم وصححه عن سيرة أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال : " سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم .. " (١)
ثم علق عليه بقوله : " ولا أعرف حال الخبر " (٢)

(١) تفسير الطبري ج ٢٣ - ٢٥ ص ٦٧ . راجع أيضا تفسير الكشاف ج ٣ ص ٣٤٣

راجع أيضا الدرر المنثور للسيوطي ج ٤ ص ٣٣٩

راجع أيضا القرطبي ج ١٥ ص ٨٩

(٢) تفسير روح المعاني ، الألوسي ج ٢٣ - ٢٤ المجلد الثاني عشر ص ٩٨

ثم ساق أيضا قول الفريق الثلثي للذين يرون أن الفرق لم يكن —
عاما لجميع السكان فقال : :

" وقالت فرقة : أبقى الله تعالى ذرية نوح عليه السلام ومد في
نسله وليس الناس منحصرين في نسله بل من الأمم من لا يرجع إليه ..
ثم قال :

" وكان هذه الفرقة لا تقول بعموم الفرق . ونج عليه السلام ، إنما
دعا على الكفار وهو لم يرسل إلى أهل الأرض كافة فان عمم البعثة ابتداء من
خواص خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم : ووصول خبر دعوته وهو في جزيرة
الحرب إلى جميع الأقطار كقطر الصين وغيره غير معلوم .
ثم أضاف قائلا :

" والحصص في الآية بالنسبة إلى من في السفينة ممن عدا أولاده
وأزواجهم فكانه قيل : وجعلنا ذريته هم الباقين لا ذرية من معه في السفينة
وهو لا يستلزم عدم بقاء ذرية من لم يكن معه ... وكان في بعض الأقطار
الشاسعة التي لم تصل إليها الدعوة ولم يستوجب أهلها الفرق كأهل الصين
كما يزعمون ..

وهكذا رأينا أنه أجاز الوجهين : العام والخاص ولم يجزم بتقديم
أحدهما على الآخر . والذي يبدو من خلال كلامه أنه يؤيد القول
بخصوص فهم نج بالفرق بدليل قوله " ولا أعرف حال الخبر " .. أي أنه
لا يستطيع أن يأخذ هذا الحديث سنداً لا ثبات عموم الفرق لأنه (الحديث)
مجهول لدي ..

وإذا لم يصرح برأيه الخاص فقد صرح غيره من المفسرين بأن الفرق
لم يكن عاماً لجميع سكان الأرض بل كان خاصاً بقوم نوح فقط .. ومن هؤلاء
المفسرين الشيخ أحمد مصطفى المراغي في تفسيره = تفسير المراغي إذ يقول

وهو يشرح قوله تعالى : ﴿ وجعلنا ذريته هم الباقين ﴾ . أي أهلكنا
 من كفر بنا استجابة لدعوته : ﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ﴾
 ولم يعقب أحد ممن كان في السفينة عبقا سوى أبنائه الثلاثة :
 (سام وحام ويافث) فسام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان
 من المشرق والمغرب ، ويافث أبو الترك .

ثم قال : " وهذا هو المشهور على السنة المؤرخين ، وليس في القرآن
 ولا في السنة نص قاطع على شيء من ذلك كما أنه ليس في القرآن ما يشير إلى
 عموم دعوته لأهل الأرض قاطبة ولا أن الشرق عجم الأرض جميعا . وأن
 ما تفيد الآية من جعل ذريته هم الباقين إنما هو بالنسبة لذرية
 من معه في السفينة ، وذلك لا يستلزم عدم بقاء ذرية من لم يكن معه وقد
 كان في بعض الأقطار للشاسعة من لم تبلغهم الدعوة فلم يستوجبوا الفرق
 كأهل الصين وغيرهم من البلاد النائية " (١) .

هذا ما صرح به الاستاذ أحمد مصطفى المراغي من أن الطوفان لم يكن
 عاما لجميع سكان الأرض . وهذا ما أبدته مستدلا بقوله . . . ﴿ وقوم نوح
 لما كذبوا الرسل أغرقناهم ﴾ .

وهذا ما أبدته أيضا كثير من الباحثين . نذكر منهم اثنين : واحدا من
 العالم الاسلامي وواحدا من أوربا :

وأما الأول هو : الشيخ محمد الخزالي في كتابه القيم : (قذائف الحق)
 وهو يقول : " ورأي أن الطوفان القديم كان عقوبة لقوم نوح وحدهم . وأنه
 ليس غرقا استوعب سكان القارات الخمس . . . فما ذنب هؤلاء المساكين ونوح
 ورسالته محلية لا عالمية . اللهم الا اذا كان المعمور يومئذ من هذا الكوكب
 ديار نوح وحسب " . (٢) .

(١) تفسير المراغي ج ٢٢ - ٤٤ - أحمد مصطفى المراغي ص ٦٧

(٢) قذائف الحق ، محمد الخزالي ص ٢٢

موريس بوكاي يتكلم

وللمباحث الآخر الغربي هو : الأستاذ (موريس بوكاي) • يرى هذا الأستاذ أن للطوفان لم يكن عاما بل كان خاصا بقوم نوح فقط فلنقرا له هذه الكلمات التالية :

” ولكن ، كما يقول سفر التكوين ، يخص الطوفان كل الجنس البشرى • وكل الكائنات الحية التي خلقها الله قد أعدمت على الأرض حسب هذه الرواية • ان البشرية ، والأمر هكذا تكون قد أعادت تكوين نفسها ابتداء من أولاد نوح وزوجاتهم • • بحيث انه عندما يولد ابراهيم يجد ذلك بثلاثة قرون تقريبا • فانه يجد الانسانية قد أعادت تكوين نفسها في مجتمعات • • كيف يمكن لاعادة البناء هذه أن تتم في زمن قليل الى هذا الحد • • ثم قال :

” ان هذه الملاحظة البسيطة تنزع عن النص أية معقولة • أكثر من ذلك فالمعطيات التاريخية تثبت استحالة اتفاق هذه الرواية مع المعارف الحديثة • • (١) (٢)

بهذا نكتفى للاثبات أن محرري التوراة هم الذين جعلوا الطوفان كارثة عالمية وتبعهم في ذلك رجال الكنيسة • ثم انتقلت هذه المعلومات الى عقول سائر الناس • • والحمد لله الذي وفقنا لا زالة هذه الخرافة عن عقول الناس • •

(١) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة • موريس بوكاي ص ٥٣

(٢) ان المعارف الحديثة التي يريد ها هنا ، قد تكلمنا عنها سابقا عند كلامنا على موقف العلم الحديث من التوراة • • فليراجع هناك •

الفصل الثاني

طغيان الكنيسة

قد مر بنا في السطور الماضية ، تبدل الضمير الديني عند اليهود ، ورأينا كيف انحرفوا عن العقيدة السليمة التي رسمها لهم الرسولان العظيمان : ابراهيم وموسى عليهما السلام . وكما رأينا ان التوراة المحرفة ، لا تستطيع أن تقوم على قدميها أمام المعارف الحديثة لاشتغالها على الخرافات والترهات والأباطيل في أغلب الأحيان .

وفي هذه الصفحات ، نود أن نتكلم عن طغيان الكنيسة وتبدل الضمير الديني عند رجالها المحتكرين ، لنرى كيف أصبحت هذه الديانة عوناً لقيام الاتحاد الحديث ، وكيف صارت غملاً بشما تطارد الناس في يقتلتهم ومنامهم .

ومن يلقي على هذه الديانة نظرة فاحصة ، يجد أن الحال لم يكن ممياً خيراً مما كانت عليه اليهودية ، بل كان الأمر أدهى وأمر . . . لأنهم — بعد ما أن طمس "بولس" معالمها ، انتقلت إلى الدولة الرومانية (١) و(٢) و(٣)

(١) هو بولس "القديس" من أعظم رجال المسيحية ، ولد في طرسوس بآسيا الصغرى اسمه الأصلي (شاول) روماني الجنسية . درس في القدس ونشأ نشأة يهودية متحمساً لأبيه ووطنه ، وكان يضطهد المسيحيين . . . كلف من قبل رئيس الكنيسة بالذهاب إلى دمشق لمقاومة المسيحية سنة (٣٥) وفي طريقه يقول : أنه رأى بختة نوراً ساطعاً وسمع صوتاً يقول : "شاول شاول لسم تضطهذي ؟ فقال : من أنت يا رب . فأجابه الصوت : "انه يسوع الذي تضطهده" . فأجاب شاول وذهب إلى دمشق حيث نزل عند المسيحيين وانخرط في مسلكهم . . . راجع الموسوعة العربية الميسرة ص ٤٤٢ .

(٢) راجع معالم تاريخ الانسانية هـ : و ويلز ج ٣ ص ٩٠٢ ت : عبد العزيز توفيق جاويد . القاهرة ١٩٦٧ هـ ولكن بتصرف طفيف .
(٣) راجع أيضاً مقارنة الأديان المسيحية ، أحمد شلبي ص ٧٥ — المرجع أيضاً تاريخ الدعوة الإسلامية آدم عبد الله الألوري ص ٣٢ .

الوثنية التي قد بلغت من الوثنية عظمتها ، ومن الانحلال الخلقى والفساد الاجتماعي متبهما (١) وفي هذا الجو الوثني ، بدأت هذه الديانة تنتشر في هذه الدولة حتى دخلت فيها الامبراطورية الرومانية بقيادة قسطنطين (الامبراطور) في سنة ٣٠٠ م . . . وكان دخوله فيها خيرا للنصرانية لانها ربحت ملكا عظيما ، ولكنها في الوقت نفسه خسرت ديننا جليلا . . . لان الوثنية الرومانية مسخت دين المسيح ومسخت اهلهم . . . وكان قسطنطين اكثر الناس افسادا له ، بسبب ولائه لوثنيته الاولى . . .

انه دخل في النصرانية لا لتخضع الوثنية للنصرانية ولكن لتخضع النصرانية للوثنية الرومانية . . .

وفي هذا يقول الكاتب الأمريكي داربر في كتابه (الدين والعلم) :

(١) لقد ذكر المؤرخون الكثير من اخلاق الروم المنحطة : منها ما ذكره (سنيكا)

الفيلسوف الروماني الشهير (٤ ق م) يندب كثرة الطلاق ويشكو تفاقم خطبه بين بني جلدته فيقول :

" انه لم يعد الطلاق - اليوم - شيئا يندم عليه أو يستحي منه في بلاد الرومان . . . وقد بلغ من كثرة وذيوع امره لان جعلت النساء يعددن أعمارهن بأعداد أزواجهن ."

وأغرب من ذلك ما ذكره القديس جيروم (٣٤٠ - ٤٣٠) عن امرأة تزوجت في المرة الأخيرة الثالث والعشرين من أزواجها . . . وكانت هي ايضا الزوجة الحادية والعشرين لبعليها . . . راجع التطور والثبات في حياة البشرية تأليف محمد قطب ص ٦٨ .

وكانت عندهم لعبة وحشية حيث يتجمعون اليها وينفقون في سبيلها بسخاء يتصارعون فيها بالسيوف والخناجر ، يشق بعضهم بطون بعض ويقطعون أوصال بعضهم . . . وسادات الرومان يشهدون ذلك بلذة وشغف . راجع جاهلية القرن العشرين محمد قطب ص ٣١ .

" دخلت الوثنية والشرك في النصرانية بتأثير المنافقين ، الذين تقلدوا وظائف خطيريه ومناصب عاليه في الدولة الرومانية ، لتظاهروهم بالنصرانية . ولم يكونوا يحفلون بأمر الدين ولم يخلصوا له يوما من الأيام . وكذلك كان قسطنطين^(١) ، فقد قضى عمره في الظلم والفجور ولم يتقيد بأوامر الكنيسة الدينية الا قليلا في آخر عمره سنة ٣٣٧ ميلادية .

" ان الجماعة النصرانية ، وان كانت قد بلغت من القوة بحيث ولت قسطنطين الملك ولكنها لم تتمكن من أن تقطع دابر الوثنية ، وتقتلع جرثومتها . وكان نتيجة كفاحها ان اختلطت مبادئها ، ونشأ من ذلك دين جديد تتجلى فيه النصرانية ، والوثنية سواء بسواء - هنالك يختلف الاسلام عن النصرانية ، اذ قضى الاسلام على منافسه (الوثنية) قضاء تاما ونشر عقائده خالصة بغير غش ."

" وان هذا الأباطور الذي كان عبدا للدنيا والذي لم تكن عقائده الدينية تساوى شيئا رأى لمصلحته الشخصية ولمصلحة الحزبين المتنافسين - النصراني والوثني - أن يوحدهما ويؤلف بينهما ، حتى ان النصراني الراسخين أيضا لم ينكروا عليه هذه الخطة ولعلهم كانوا يعتقدون أن الديانة الجديدة سيزدهر اذا طمست ولحقت بالمقائد الوثنية القديمة . وسيخلص الدين النصراني عاقبة الأمر من ألدناس الوثنية وأرجاسها " (٢) .

(١) قسطنطين : أباطرة رومان وبيزنطيون : قسطنطين الأول (الكبير)

(٢٨٨ - ٣٣٧) ابن قسطنطين الأول والقديس . راجع الموسوعة

العربية الميسرة ص ١٣٨١ .

(٢) راجع كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبو الحسن الندوي -

ص ١٦٦ - ١٦٧ .

القرآن يذكر بعض انحرافاتهم

وقد ورد في القرآن الكريم بعض الاشارات الى هذه الانحرافات الخطيرة في الديانة النصرانية التي أفقدها الثقة على أن يعطى التفسير الالهي للوجود وحقيقة صلته بخالقه • وحقيقة هذا الخالق وصفاته وحقيقة الوجود الانساني وغايته وطريقه • فلنقرأ الآيات التالية لتوضح لنا مدى انحراف هذه الديانة الخريبة •

* لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم • وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ، وماواه النار وما للظالمين من أنصار •

• لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة • وما من اله الا اله واحد • وان ينتهوا عما يقولون ليمسّن الذين كفروا منهم عذاب أليم • أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ؟ ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات • ثم انظر أني يؤفكون • قل: أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا ؟ والله هو السميع العليم • قل : يا أهل الكتاب لا تغفلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا ، وضلوا عن سواء السبيل * (١) •

* وقالت اليهود عزير ابن الله • وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم ، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل • قاتلهم الله أني يؤفكون ؟ * (٢)

(١) سورة المائدة الآية : ٧٢ - ٧٧

(٢) سورة التوبة الآية : ٣٠

* وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم ، أنت قلت للناس ، اتخذوا لنسبي وأمي الهين من دون الله ؟ قال : سبحانك ! ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق . إن كنت قلته فقد علمته . تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم إلا ما أمرتني به : أن اعبدوا الله ربي وربكم . وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم . فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد . إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم * (١)

وهكذا نرى مدى الانحراف الذي دخل على النصرانية . من جـرا تلك الملبسات التاريخية . حتى انتهت إلى تلك التصورات الأسطورية التي دارت عليها الخلافات والمذاهب عدة قرون (٢) .

(١) سورة المائدة الآية : ١١٦

(٢) قال ابن القيم في كتابه القيم : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، مبينا أسباب هذا الانحراف فقال : " وما زال أصحاب المسيح بعده على ذلك - على منهجه - قريبا من ثلاثمائة سنة ثم أخذ القوم في التخيير والتبديل والتقرب إلى الناس بما يهون ومكيدة اليهود ومناقضتهم بما فيه ترك دين المسيح والانسلاخ منه جملة " ثم قال : " وفي عهد قسطنطين الرومي ابن هيلانة الحرانيه الفندقية . وفي زمنه بدل دين المسيح . وهو الذي أشاد دين النصارى المبتدع وقام به وقعد . وكان عدتهم زهاء ألفي رجل فقرروا تقريرا ولم يرتضوه ثم اجتمع ثلاثمائة وثمانية عشر رجلا منهم . والنصارى يسمونهم الآباء فقرروا ألوهية المسيح " وهذا ما يسى في التاريخ مجمع نيقية في سنة ٣٢٥ ميلادية . راجع الكتاب المذكور ص : ١٥١ .

وهذه هي العقيدة الوثينة التي ثارت عليها أوروبا ، العقيدة التي
 شوهت معالمها منذ أول خطوة لها . . . وهؤلاء هم رجال الدين الكنسي
 الذين قدموا هذه الجناية على أنفسهم وعلى الدين وعلى البشرية ، والذين
 أتاحوا الفرص للملاحدة أن يكذبوا بجميع الأديان والمبادئ والقيم
 الأخلاقية بل بوجود الباري - سبحانه - أيضا . غير أن الأمر
 لم يقف عند تبليد الضمير الديني ، وفساد التصور الاعتقادي بل أضافت
 الكنيسة إلى ذلك بما يحزن منه القلب وتدمع منه المين . وهو بيع غفران
 الله بالصكوك . واليك تفاصيل ذلك :

صكوك الغفران

لقد قررت الكنيسة أن تمنح نفسها الحق في إعطاء صكوك الغفران ، في
 إحدى المجامع الكنسية الكثيرة التي كانت تجتمع بين الحين والحين وتفسير
 وتبدل وتحرف وتنشئ وتضيف ما تشاء الأهرام المقدسة إلى
 العقيدة النصرانية . . .

إن مما أثار المعارضة الشديدة بين رجال الدين الكنسي وبين المفكرين
 في أوروبا هو التوسع في بيع صكوك الغفران . وابتدأ هذه الصكوك - كما
 أفاد بذلك د . عبد الحميد البطريق - يرجع إلى عام ١٣٠٠ م عندما ابتكر
 البابا بونيفاس السابع (٧١١) (١) مرسوما بابويا مقدسا

(١) راجع كتاب التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا ، تأليف
 الأستاذ الدكتور عبد الحميد البطريق والدكتور عبد العزيز نوارس ٩٣ -
 دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ص ب ٧٤٩ .

يعرف بالفقران (Indulgence) ^(١) ويقضى بأنه اذا اعترف شخص
اعترافا كاملا بذنوبه وتبرا وندم ندما حقيقيا على خطاياہ فانه يتخلص من
عقاب الآخرة . ولكي يحصل على هذه المغفرة عليه أن يدفع لقاء ذلك هبة
مالية . . . وعلى هذا أفرط رجال الدين في اعطاء حق بيع الفقران افراطا
شديدا . وأنشأوا له صكوكا تباع وتشترى . فباعوها كأنها عرض من أعراض
الدنيا ، ومتمعة من متمعاتها . وبذل العصاة في سبيلها المال الكثير . وفي
هذا يقول العلامة ابن القيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ : ^(٢)

" وليس عندهم على من زنى أو لاط / ^{أو سكر} حد في الدنيا أبدا ولا عذاب في
الآخرة لأن القس والراهب يفرله . فكلما أذنب امرؤ ذنبا أهدي
للقس هدية أو أعطاه درهما أو غيره يفرله . واذا زنت امرأة أحدهم
بيتها عند القس ليحطببها له ، فاذا انصرفت من عنده وأخبرت زوجها
أن القس طيبها ، قبل ذلك منها وتبرك " ^(٣) .

-
- (١) الأصل في نشأ هذه الصكوك ، هي فكرة الاعتراف أمام القسيس لقبول توبة
المعترف الذي لا يدخل الجنة في الحال بعد موته . بل يمضي فترة
من الزمن فيما يسمى بالمطهر الذي يقضى فيه المذنبون حكم الله بالعذاب
الى أن يتطهروا من ذنوبهم ولتخفيف عذاب المطهر . ابتكرت الكنيسة صكوك
الفقران التي كانت موردا ماليا در عليهم أموالا كبيرة جعلها تتفالى في
اباحة بيعها حتى لمن يريد غران خطاياہ القادمة في مستقبل أيامه .
راجع التاريخ الأوربي الحديث ، د . عبد الحميد البطريق ص ٩٤ .
- (٢) راجع كتاب هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى . ابن القيم ص ١٤٢
- (٣) الدارس لكتاب حرية الفكر ، يجد فيه أن الكنيسة أباحت لنفسها حقوقا
كثيرة منها حق التحلة فهو حق خاص يبيع للكنيسة أن تخرج عن تعاليم
الدين وتتخلى عن الالتزام بها متى اقتضت المصلحة . راجع كتاب حرية
الفكر تأليف سلامة موسى ص ٥٦ .

وهذا نص صك الغفران ، الذى كان يباع ببيع السلمة !

" ربنا يسوع يرحمك (يا فلان) ويحك باستحقاقات الآم الكلية
 القداسة . وأنا بالسلطان الرسولى المعطى لى ، أحلك من جميع القصاصات ،
 والأحكام والطائعات الكنسية التى استوجبتها وأيضا من جميع الافراط والخطايا
 والذنوب التى ارتكبتها - مهما كانت عظيمة وفظيمة - ومن كل علة - وان
 كانت محفوظة لا بينا الاقدس البابا والكرسى الرسولى - وأحوج جميع أقدار
 الذنوب ، وكل علامات الملامة ، التى ربما جلبتها على نفسك فى هذه
 الفرصة . وأرفع القصاصات التى كنت تلتزم بمكابدتها فى المطهر وأدرك حديثا
 الى الشركة فى أسرار الكنيسة . وأتركك فى شركة القديسين . أردك ثانية
 الى الطهارة والبر اللذين كانا لك عند محموديتك ، حتى أنه فى ساعة الموت
 يفتح أمامك الباب الذى يدخل منه الخطاة الى محل العذاب والعقاب . ويفتح
 الباب الذى يؤدى الى فردوس الفرح . وان لم تمت سنين مستطيلة ، فهذه النعمة
 تسبق غير متغيرة حتى تأتى ساعتك الأخيرة . باسم الأب والابن والروح
 القدس . "

هذه صورة صك الغفران تذكر أنها تتحوالات ، وتغفر ذنوب الماضى
 ما تقدم منها وما تأخر ، تفصله من ذنوبه الماضية حتى يصير طاهرا ، ثم
 لا يصير قابلا لأن تؤثر فيه الذنوب مهما يرتكب من خطايا ومهما ينغمس
 فى المعاصى ، كأن ذلك الصك جوازا للمرور الى النعيم القيم لا بمسوق
 حامله عاق ، ولا يردده عن الوصول خازن أو حارس .

(١) راجع كتاب محاضرات فى النصرانية . للاستاذ الشيخ أبوزهرة ص ٢٠٦ -

الطبعة الخامسة ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م ، دار الفكر العربى .

ان هذه المسألة - كما قلنا - كان لها أثر في الفكر المسيحي ، وبسببها وغيرها تقدم المصلحون في جراءة ، داعين إلى اصلاح الكنيسة بالحسنى أو بخير الحسنى . ترتب على ذلك ظهور المذهب البرتستانتي " على يد المصلح الكبير " مارتن لوثر " وأمثاله . فأرادت الكنيسة أن تقضى على هذه الحركة اللوثرية ، بأن أصدر البابا (لويس العاشر) قرار الحرمان من الكنيسة ضد لوثر (ديسمبر ١٥٢٠) وكان رد (مارتن لوثر) أن أحرق قرار البابا علانية أمام الناس . لذا اعتبر (مارتن لوثر) خارجا على القانون وحكم عليه باهتدار دمه . ورغم ذلك استمرت الحركة في طريقها حتى جاء رجال عظيمي وهما : أولبرخ زونجلي (١٢٨٤ - ١٥٣١) و جون كلفن (١٥٠٩ - ١٥٦٤) وكان لهما أثرهما الفعال في توجيه حركة الاصلاح . (١)

مسألة الاستحالة

ان الكنيسة لم تكف بهذه المييزة • مييزة صكوك الغفران • بل أضافت اليها شيئا آخر مستحدا ما جاء به الكتاب المقدس عندهم وما تعرض لـه النصارى الاطون ولا المجامع المقدسة الاولى • وهو مسألة الاستحالة • وهى مسألة تتقزز منها النفوس (٢) ولذا كانت هى أيضا احدى الحالات التى ثار عليها مارتن لوثر وكالفن وزنجلى فيما يسمى بالاصلاح الدينى (٣) قصتها كما يلى :

(١) راجع عرضا كتاب التاريخ الاوروبى الحديث • الدكتور عبد الحميد البطريق

والدكتور عبد العزيز نوار ص ١١٠

(٢) أنظر التمسب والتسماح • محمد الفزالى ص : ٩٠

(٣) راجع الكتاب المستقبل لهذا الدين • سيد قطب : ص ٤٨

" أن المسيحيين يأكلون يوم الفصح خبزا ويشربون خمرا ويسمون ذلك المشاء الرباني ، ولقد زعمت الكنيسة أن ذلك الخبر يستحيل إلى جسد المسيح ، وذلك الخمر يستحيل إلى دم المسيح المسفوك . فمن أكلهما وقد استحالا هذه الاستحالة فقد أدخل المسيح في جسده بلحمه ودمه " (٣) و(٤)

فلا غرابة إذن أن يثور الناثرون على هذه العقيدة الغريبة التي لا يستطيع العقل البشري أن يستسيغها بيسر وسهولة بل لا يستطيع أن يستسيغها قط . . . ولكن الكنيسة فرضت على الناس قبولها ومنعتهم من مناقشتها ولا عرضها للطرد والحرمان .

هذه هي القاصمة

ثم لم تكف حماقة الكنيسة بهاتين المسألتين الغريبتين على العقل البشري بل اتبعتهما بأمثالهما في الكون والحياة . فادعت آراء ونظريات جغرافية وتاريخية وطبيعية مما كان سائدا في عصرها مليئة بالأخطاء والخرافات عن الكون وما يحويه . وعن الحياة والانسان . . . وجعلتها مقدسة لا تجوز مناقشتها ولا تصحيحها ولا تجربتها ولا القول بسواها لأنه قد سادت في افكار الناس - آنذاك - النظرية القائمه بأن الباطل الله في الأرض . .

وكانت هذه هي القاصمة لأنها الباطل الذي يسير على التجربة بيان بطلانه وكشف زيفه ولأنها المنطقة التي أطلق فيها العقل الانساني ليرتادها ولم يفرض عليه منها نظرية معينة . .

-
- (١) راجع ايضا كتاب محاضرات في الفهرانية ، للشيخ ابن زهرة ص ٢٠٤ .
(٢) راجع كتاب المسيحية للدكتور محمود الشلبي ص : ٦٦ الطبعة الثانية (١٩٦٥)

واليك نموذجاً بسيطاً من هذه النظرية المسيحية آنذاك !
 وبرجوع سريع الى كتاب معالم تاريخ الانسانية ، نجد فيه أن الفلسفة المسيحية
 كانت تشمل على معلومات تفصيلية عن الكون تقول : " ان الله خلق العالم ابتداءً
 سنة ٤٠٠٤ ق م وتيج ذلك بخلق الانسان في جنة عدن على مسيرة يومين
 من البصرة بالضبط " . والعجيب أن هذه النظرية المسيحية ظلت مستمرة
 حتى مطلع القرن التاسع عشر فقد طبع كتاب الاسقف (آثر) الذي يحمل هذه
 النظرية سنة ١٧٧٩ م .
 (١)

ومن الطرائف أن مجلساً كنسياً كان قد أعلن في بداية القرن العاشر
 للميلاد أن القرن الأخير من حياة العالم قد استهل لأن الله قد جعل
 المدة بين انزال ابنه ونهاية العالم الف سنة فقط " (٢) .

المسيحية والطوفان

ان المسيحيين لم يكتفوا بهذه الروايات المتضاربة بل أيدوها أيضاً
 بمعلومات بشرية تؤكد أن الطوفان كان عالمياً . . واليك شيئاً من ذلك :

يقول (نورس أندرسون) وهو يؤيد عالمية الطوفان :
 " وبما أنه حدثت طوفانات محلية كثيرة منذ أيام نوح . . فان علامة
 العهد التي وضعها الله تكون فلا معنى اذا لم يكن طوفان نوح عالمياً
 في مداه " (٣) .

-
- (١) انظر معالم تاريخ الانسانية هـ ج ويلز ج ١ ص ١٦
 (٢) انظر قصة الحضارة ، ول ديورانت ، ت : محمد بدران ، القاهرة ١٩٥٧ م
 (٣) الانسان هل هو متطور او مخلوق ، نورس أندرسون ص ٣٩ .

ثم قال : " (نحن نعتقد) أن الطوفان كان عالميا في مداه ٠٠ وذلك
استنادا على اكتشافات ومشاهدات علمية مختلفة ، نقدم منها العينة القليلة
الآتية :

أ - تحتوى بعض طبقات الصخور ذات اللون البنى الموجودة فى ألمانيا
على نباتات دفنت فى الأرض على الفور * ولكنها جاءت من خطوط
المرض ٠٠ وحفريات حيوانية مختلفة لقرود و تماسيح وحيوانات جرابيه وخطايات
من آسيا ، و طير استرالى ونسر امريكى * وأيسط تفسير لهذه المجموعه
غير العاديه هو أن الطوفان اكتسح هذه النباتات المختلفه الى مكان واحد
حيث ضغطت نتيجة للتحركات العظيمه للقشرة الأرضيه .

ب - ان الطرق الاشعاعية لتحديد التاريخ قد أثبت أن عمر النفط فى خليج
المكسيك لا يتعدى الاف السنين * وليس ملا بين السنين كما كان الاعتقاد
سابقا . فان كان عمر النفط الاف فقط ، فلا بد ان يكون قد تكون بفترة
(ربما بفعل الطوفان) بدلا من تكوينه ببطء فى عصور طويله من الزمن -
كما يعتقد أغلب الجيولوجيين ٠٠ (١)

هذه كانت بعض أدلة المسيحيين فى كون الطوفان عالميا وأنه
وقع فى المدة التى حددتها التوراة ٠٠٠

ولكن هذه الاكتشافات لا يمكن بحال من الأحوال أن تتخذ دليلا
على صحة مقررات الدين ، لأن علوم الانسان فى تطور دائم لا تثبت على
حالة مستمرة ٠٠ فمن بنى دينه على هذه المعلومات فكأنما بنى بيته على
الرمال ٠٠ ومع ذلك جعلت الكنيسه المحتدية أمثال هذه المعلومات

معلومات مقدسة لا يجوز الخروج عنها .. فأنشئوا محاكم التفتيش التي
تعاقب كل من يخرج عن تعاليمها ..

فكان ذلك إحدى الحالات التي ثار الملاحدة ضدها ثم ضد
فكرة التدين نفسها ..

فاجتهدت الكنيسة في هذا العمل الإجرامى البغيض أن لا تدع فى
العالم النصرانى عرقا نابضا ضد الكنيسة ، وأحصت على الناس الأنفاس
وناقشت عليهم الخواطر حتى يقول عالم نصرانى :

" لا يمكن لرجل أن يكون مسيحيا و يموت حتف أنفه " (١)

ثورة رجال النهضة

هناك عيل صير المتنورين .. لأن ذلك وقع فى عصر انفجرت فيه
بركان العقلية فى أوربا ، فزيف العلماء هذه الخرافات وانتقدوا الكتب المقدسة
فى صراحة وصراحة واعتذروا عن عدم اعتقادها والايان بها .. وأعلنوا اكتشافاتهم
واختباراتهم . فقامت قيامة الكنيسة كما قلنا . واستحل رجالها دماء العلماء
وأموالهم فى سبيل الدين المسيحى وأنشأوا محاكم التفتيش التي تعاقب - كما
يقول البابا ■

" أولئك الملحدون والزنادقة الذين هم منتشرون فى المدن
والبيوت والأسراب والغابات والمفارات " (٢) .

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ■ أبو الحسن الندوى ص ١٧٦

(٢) المرجع السابق ص ١٧٥ .

الكنيسة تضطهد العلماء

ويقدر - كما ورد ذلك في كتاب ماذا خسر العالم بالحنطاط المسلمين - عدد من عاقبت هذه المحاكم بثلاثمائة ألف • أحرق منهم اثنان وثلاثون ألفا أحياء • كان منهم العالم الطبيعي المعروف " برونو " نقت منه الكنيسة آراء - - - - - أشدها قوله بتعدد العوالم ، وحكمت عليه بالقتل ، واقترحت بأن لا تراق قطرة من دمه • وكان ذلك يعنى أن يحرق حيا ! وكذلك كان ! وكذلك عوقب العالم الطبيعى الشهير " جاليليو " بالقتل لأنه كان يعتقد بدوران الأرض حول الشمس (١) •

ومما يذكر فى هذا أن أحد العلماء واسمه " بيلاد " كان له رأى فى تفسير خطيئة آدم خالف به رأى الكنيسة فقال : ليست حياة المسيح وصلبه وما لاقى فى ذلك من تعذيب سبيلا لا رضا الله وانزال عفوه عن خطيئة الانسان فعفو الله أيسر من ذلك وأقرب ، وانما لاقى المسيح ما لاقى اعلانا لما يكنه قلبه من حب الله وعسى أن يثير فى الناس عاطفة الشكر وعرفان الجميل فيعيدهم الى طاعة الله • ولكنه ما ان قال ذلك القول حتى انعقد مجلس لمحاكمته ، فكان نصيب كتابه التحريق • ونصيبه السجن الدائم حتى وافته منيته • (٢) •

(١) راجع كتاب ماذا خسر العالم بالحنطاط المسلمين ، ابو الحسن الندوى ص

(٢) محاضرات فى النصرانية ، أبوزهرة ص ٢٠٠

راجع ايضا الاسلام والنصرانية لمحمد عبده ص ٢٢

راجع ايضا تاريخ الدعوة الاسلامية آدم عبدالله الألوورى ص ٤٠

الاتاوات المالية

لقد فرضت الكنيسة لنفسها سلطانا على الجماهير ، استغلته أبشع استغلال
في فرض الاتاوات المالية الباهظة التي تجبى اليها مباشرة مما جعل الناس
يثنون تحت هذا الارهاق . والآ ن الكلمة للراهب جرم (Jarum)
ليصور لنا ما كانت عليه البابوية من ترف وأكل أموال الناس بالباطل وانحطاط
خلفى :

" ان عيش القسوس ونعيمهم كان يزرى بترف الأُمراء والأغنياء المترفين
وقد انحطت أخلاق البابوات انحطاطا عظيما واستحوذ عليهم الجشع وحسب
المال ، وعدوا طورهم ، حتى كانوا يبيعون المناصب والوظائف كالسلع ، وقد
باع بالمزاد العلني ويؤجرون أرض الجنة بالوثائق والصكوك وتذاكر الغفران ،
ويأذنون بنقض القانون وينحون شهادات النجاة وإجازات من المحرمات والمحظورات
كاوراق النقد وطوايح البريد ، ويرتشون ويرابون . . . وقد بذروا المال تبذيرا
حتى اضطر البابا (انوسنت) الثامن أن يرهن تاج البابوية ، ويدعى
البابا (ليوالعاشر) أنه انفق ما ترك البابا السابق من ثروة وأموال . وأنفق
نصيبه ودخله وأخذ يريد خليفته المرتقب سلفا وأنفقه او يروى أن مجموع
دخل ملكة فرنسا لم يكن يكفي البابوات لنفقاتهم وأرضاء نفوسهم .

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبو الحسن الندوي ص ١٢٣

نقله عن كتاب Conflict of Religion, And Science

(٢) المستقبل لهذا الدين ، سيد قطب ص ٤٣

فرض سلطانها على الملوك

بالثقت الكنيسة - كما رأيت - في شدتها ولم ينج حتى الملوك من طغيانها . لقد صار البابوات غير خاضعين بأى نوع من أنواع الخضوع لأى ملك من الملوك وعلى النقيض من ذلك ان البابا له سلطان على كل ملك ، لأنه مسيحى وله السلطان الكامل على كل المسيحيين . ولأن البابا خليفة لبطرس الرسول ، وبطرس الرسول أقامه المسيح رئيسا على الحواريين من بعده . فالبابا على هذا الاساس خليفة للمسيح ينطق باسمه ويتكلم بخلافته وينفذ بسلطانه ومن خرج عن طاعته فقد خرج عن طاعة المسيح وحارب دينه لأنه - كما قلنا - ظل الله فى الأرض .

ونذكر للقارى على سبيل المثال الأثلة التالية تبين مدى طغيان الكنيسة

وحماقتها :

١ - قرارات الحرمان تنال الملوك :

فقد جاء فى كتاب سوسنة سليمان : المجمع الثالث عشر انعقد فى ليون من أعمال فرنسا سنة ٢٤٥ بأمر البابا " اينوسنت " لأجل عزل فريدريك ملك فرنسا وحرمانه " (١) .

٢ - اشتداد النزاع والمنافسة بين البابوية والأمبراطورية :

وكان ذلك فى القرن الحادى عشر حيث انتصرت فيها البابوية أولا حتى أن هنرى الرابع ممثل الأمبراطورية اضطر سنة ١٠٧٧ م أن يتقدم بخضوع نحو البلاط البابوى فى قلعة كانوسا ولم يسمح له البابا بالدخول الا بعد أن شفع له الرجال بالمثل بين يديه فدخل الأمبراطور صاغرا حافيا لا بسا الصوف وتاب على يديه

٣ - الخضوع المذل لرجال الدين :

بلغ الخضوع المذل لرجال الدين ، الى حد السجود في الأرض الموحلة بالطين عند مرور أحد رجال الكهنوت ، فوق ذلك ، راحت الكنيسة تفرض على الناس ضرائب مالية كما قلنا - وتحصيله - ^(٢) فالمشور والاتاوات والعمل المجاني في أراضي الكنيسة الاقطاعية ، والتجنيد في جيوشها التي تحارب بها الملوك والمصاة وتؤدبهم .. ذلك لون من طفيان الكنيسة وسلطانها المفروض على العباد .. لم ينج اذن الملوك من قرارات الحرمان والطرده .

٤ - وقوف رجال الدين في صفوف الظلمة ضد الشعب الكادح : الذين فرضت

عليهم حقوق غير مفهومة . مثل حق الصيد للنبل ، وبيع الوظائف والامتيازات الضرائبية والاقطاعية وغير ذلك من الحقوق التي كانت للطبقة الارستقراطية (النبلاء ورجال الدين) .

وتلك " بعض " انحرافات الكنيسة التي قامت بها في العصور الوسطى في أوروبا زد على ذلك أن الكنيسة الأوروبية كانت قيّمة على الجاهل وحرصه عليه . فلما ثار عليها ثائرون فما كان من الكنيسة الا أن تحافظ على جهلها لئلا يضمن لها استئانة الجماهير لسلطانها الطاغى . فبدأت تحارب العام - كما رأينا - وكان أمرا طبيعيا أن تقوم " الحركة " في أوروبا على غير أساس الدين كان أمرا طبيعيا من جميع الوجوه .

(١) ماذا خسر العالم باحطاط المسلمين ، أبو الحسن الندوي ص ١٢٣ .

(٢) راجع كتاب جاهلية القرن العشرين . محمد قطب ص ٣٤

راجع كتاب معركة التقاليد للمؤلف ص ١٤

راجع كتاب التطور والثبات للمؤلف ص ١٦ - ١٧

راجع كتاب تاريخ أوروبا العصور الوسطى : ١/١٧١ أعيد نشره / مصطفى زيادة مصر ١٩٦٦ م

فالدِّين كما تصوِّره الكنيسة الأوربية صورته للناس كأن يشل الشبات المطلق
 في جميع الأمور . وقد تحولت هذه الديانة من معنى الرحمة كما رأيناها
 مع الملوك والطبقة الكادحة والعلماء الباحثين ، قد تحولت إلى سلطان
 دنيوى قاهر مذل (١) و (٢) .

من طفيان الكنيسة هذه الرهبانية الماتية

لقد ابتدعت الكنيسة رهبانية ضد الترف الرومانى ولكن رجال الدين
 الكنسى ما رعوها حق رعايتها . . . لعلها كانت شرا على الانسانية والمدنية
 من بهيمة رومة الوثنية . .

وقد تخطت هذه الرهبانية المبتدعة حدود القياس . . . وكان من أهم
 نتائجها أن تزلزلت دعائم الحياة الاجتماعية وأصبحت المدنية يحكمهم
 ورهبانيتهم فى صميمها ، فلم يتضاعف عدد سكان انكلترة فى (خمسمائة سنة)
 ولم يتضاعف عدد سكان القارة الأوربية فى (ألف سنة) (٣) . وعمت
 القسوة على الأقارب . . . فكان الرهبان الذين تفيض قلوبهم حنانا ورحمة
 وعيونهم من الدمع ، تقسو قلوبهم وتجمد عيونهم على الآباء والأُمهات
 والأولاد فيخلفون الأمهات ثكالى والأزواج أيتام والأولاد يتامى عالة يتكفون
 الناس ، ويتوجهون قاصدين الصحراء . . . همهم الوحيد أن ينقذوا أنفسهم
 فى الآخرة لا يبالون ماتوا أو عاشوا . . . وحكى ليكى فى كتابه تاريخ أخلاق

(١) قصة الحضارة ، ول ديورانت ، ت/ محمد بدران ، القاهرة ١٩٥٢ م ٣٥٢ / ١٤

(٢) أما البابا الطاغية (جريجورى السابع) فقد أعلن أن الكنيسة بوصفها
 نظاما الهييا خليفة بأن تكون صاحبة السلطة العالمية . . . راجع المصدر السابق

ج ٣٩٤ / ١٤ + وفشر ١٤٧ / ٢

(٣) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبو الحسن الندوى ص ١٧٤

أوريا ما يحزن القلب ، يقول فيه مايلي :

" زاد عدد الرهبان زيادة عظيمة ، وعظم شأنهم واستفحل أمرهم واسترعوا الأنظار وشغلوا الناس ، ولا يمكن الآن احصاؤهم بالدقة ، ولكن مما يلقي الضوء على كثرتهم وانتشار الحركة الرهبانية ما روى المؤرخون أنه كان يجتمع أيام عيد الفصح (خمسون ألفا من الرهبان) .

وفي القرن الرابع المسيحي كان راهب واحد يشرف على (خمسة الاف راهب) .. وكان الراهب (سرايين) يرأس (عشرة الاف) .. وقد بلغ عددهم في نهاية القرن الرابع عدد أهل مصر .. " (١) .

جناية الرهبان على أنفسهم

لقد أصبح تعذيب الجسم تقربا الى الله في هذه الديانة المجيبة . روى المؤرخون من ذلك ما تمجده الأسماع و تستنكره الطبيعة الانسانية ..

قالوا : ان الراهب ماكاريوس (Makarius) أنه

نام ستة أشهر في مستنقع ليقصر جسمه العارى ذباب سام ..

وكان يحمل دائما قنطار من حديد ..

(١) اقرا تاريخ أخلاق أوريا " ليكي "

(Lecky: History of European Morals)
Chapter 1 N

نقلا عن كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين • أبو الحسن الندوي

وكان صاحبه المراهب يوسيبس (يحمل
 نحو قنطارين من حديد .. وقد أقام ثلاثة أعوام في بئر نزع • وقد
 عبد الراهب يوحنا (ثلاث سنين قائما على رجل
 واحدة ولم ينم ولم يقعد طول هذه المدة • فاذا تعب جدا أسند ظهره الى
 صخرة •

و كان بعض الرهبان لا يكتسبون دائما • وانما يتسترون بشعرهم
 الطويل ويمشون على أيديهم وأرجلهم كالأنعام ..
 وكان أكثرهم يسكنون في مغارات السباع والأبواب النارحة والمقابر •
 ويأكل كثير من الكلاب والحشيش •
 وكان أزهد الناس عندهم وأتقاهم أبعدهم عن الطهارة وأغلبهم
 في النجاسات والدنس •

يقول الراهب (اتينيس) • ان الراهب (أنتوني) لم يقترب اثم غسل
 الرجلين طول عمره .. (١)

وكانوا يفرون من ظل النساء ويتأثمون من قريبن والاجتماع بهن • وكانوا
 يعتقدون أن مصادفتهم في الطريق والتحدث اليهن ولو كن أمهات
 وأزواجا أو شقيقات تحبط أعمالهم وجهودهم الروحية • (٢) • وروى
 المؤرخون الشيء الكثير من ذلك •

ان هذه الرهبانية كما رأينا فلا شك أن تكون سببا من أسباب الالحاد
 في أوربا الحديثة .. لأنها شيء فوق مقدور الانسان ..

(١) المرجع السابق ص ١٦٨

(٢) المرجع السابق ص ١٦٩

من طفيا ن الكنيسة غيا ب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم

عن الاناجيل الاربعة

لقد قال القرآن الكريم بشكل قاطع أن المسيح ، قبل أن يصعد الى السماء أخبر حواريه بأن الله تعالى سيرسل اليهم وسيطلا آخر ا ينوب عنه في ابلاغ رسالة الله وهو محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم .

(١) فقال تعالى : *... ومبشرا برسول يأتي من بعدى اسمه احمد *

هل حافظت الاناجيل على هذه الوصية الهامة التي تعتبر بحق خلاصة دعوة المسيح عليه السلام ؟ أم حرفوها أو حذفوها ؟

فلا - بد - اذن - من رجوع الى دراسة الاناجيل الاربعة :

ان الدارس للاناجيل الاربعة للبحث عن هذه الوصية يخرج منها

بالتائج التالية :

١ - ان الاناجيل الثلاثة (انجيل لوقا وانجيل مرقس وانجيل متى)

لا يوجد فيها أثر لهذه الخطبة التي عليها مدار مسائل أساسية في المسيحية ..

٢ - ان الذى ذكرها هو انجيل يوحنا وحده .. واليك نصها

من انجيله بالترجمة المسكونية :

" اذا كنتم تحبوننى فستعلمون على اتباع أوامرى ، وسأصلى للأب الذى

سيمطيك " *paraklet* " (٢) (براكليت) .

" رحبلى فائدة لكم ، لأننى اذا لم أرحل فالـ "

لن يأتى اليكم ، وعلى المكس فاذا رحلت فسأبعث به اليكم ، وهو بمجيئه

سيذهل العالم فيما يخص الخطيئة والعدل والحكم .. " (٣) .

" عندما سيأتى روح الحقيقة ، فسيجعلكم ترقون الى الحقيقة بكاملها لأنه لن

يتكلم بأرادته وانما سيقول ما يسمع وسيعرفكم بكل ما سيأتى وسيجدنى " (٤) .

(١) سورة الصف آية : ٦

(٢) انجيل يوحنا بالترجمة المسكونية (١٤ ، ١٥ - ١٦)

(٣) = = = = (١٦ ، ٧ - ٨)

(٤) = = = = (١٦ ، ١٣ - ٤)

نقلا عن كتاب دراسة الكتب المقدسة ، موريس بوكاي ص ١٢٥ - ١٢٦ .

فما معنى هذه الكلمة (paraclet) (براكليت) ؟

لقد اختلف المسيحيون في تحديد معناها • فكل فريق منهم فسرّها حسب ما يتناسب مع رغباته •

ان الذين يعتقدون أن المسيح هو آخر من يرسل من عند الله ، فسروا الكلمة بمعنى " الروح القدس " •

فقالوا ان الروح القدس هو الذي سينزل بعد رفع عيسى الى السموات ، ويذكرهم كل ما نسوا من تعاليم المسيح • وحملوا على الروح القدس كل الصفات الواردة في هذه الوصية ••• من الكلام والسمع وتكوين المجتمع المثالي لبنى البشر على ظهر هذه البسيطة ••

واليك ما يقولون في معنى الكلمة ••

كاتب انجيل يوحنا جعل المسيح يقول :

"الـ (paraclet) هو الروح القدس الذي سيرسله الاب

باسمى سـيـلـفـكم كل شـئ" وسـيـجـمـلكم تـذكـرون كل ما قـلت لكم " • (١)
" هو نفسه يشهد " • (٢) •

ويعطينا " المعجم الصغير للمصيد الجديد " للأب تريكو (Tricot)

معنيين لهذه الكلمة ، الا أنه يؤيد معنى (الروح القدس) •• فيـهـو

يقول : " هذا الاسم أو هذه الصفة المنقول من اليونانية الى الفرنسية غير

مستخدم في المصيد الجديد الا في انجيل يوحنا ، فهو يذكر الكلمة

أربع مرات عند سرده لخطاب المسيح بعد المشاء الأخير •• (٣)

ثم بيّن مراده من الكلمة فقال : " ان الكلمة تنطبق على (الروح القدس) (٤) •

(١) انجيل يوحنا بالترجمة المسكونية (١٤ ، ٢٦)

(٢) = = = = (١٥ ، ٢٦)

(٣) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، موريس بوكاي ص ١٢٦

(٤) الواقع أن المسيح ، في قول يوحنا ز يلقى خطابه الطويل في أثناء وفية

يتحدث عن الـ (paraclet) وهو خطاب لم يسرده المبشرون

الأخرون ••

ثم أضف قائلا :

" لقد كانت كلمة (paraclet) سائدة لدى اليهود الهلنستيين في القرن الأول بمعنى " الوسيط أو المدافع " ^{يقول} اذن لهذه الكلمة معنى - ان : أوليها : (الوسيط) • وثانيها : (الروح القدس) وبعد ذلك يطلق بقوله :

" فالمسيح يمدن ان الروح سيرسل بالآب والا بن في دوره الانقاذى الذى يؤديه في أثناء حياته الفانية على الأرض وذلك لصالح تلاميذه وان الروح القدس يتدخل ويعمل كبديل للمسيح باعتباره (paraclet) أو وسيط قادر على كل شئ " (١) .

يفهم من هذا التعليل ان الروح القدس هو الذى سيأتى بعد ما يرفع عيسى الى السماء مرشدا أسى للبشرية جمعاء • • • ويتدخل فى الشؤون الاجتماعية ويقدم حلولاً لجميع المشكلات الانسانية .

يا ترى فهل هذا الشرح يتفق مع نص يوحنا ؟

نقول بدون تأخير بأن نسبة الصفات الواردة فى انجيل يوحنا ، الى الروح القدس نسبة غير معقولة • • • بل لا تنطبق على الروح القدس لما يأتى :

ان الـ (paraclet) الذى رأيناه فى نص يوحنا لا يمكن بحال من الأحوال أن يكون الا كائنا بشريا مثل المسيح ، يتمتع بحاستى السمع والكلام • • • وهما الحاستان اللتان يتضمنهما نص يوحنا بشكل قاطع • • • فيكون تفسير الخطبة على النحو التالى :

" ان المسيح يصرح بان الله سيرسل - فيما بعد - كائنا بشريا على هذه الأرض ليؤدى الدور الذى عرفه " يوحنا " أى وسيطا بين الله وبين خلقه • • • انه دور نبي من بنى آدم " وليس هو دور الروح القدس الذى

لا يتصل بالناس الا عن طريق الالهام ان صح هذا التعبير ؟

النبي هو الذى يتكلم ويسمع ويذكر الناس ويكرر رسالة عيسى على مسامح

الناس ويكون المجتمع المثالى المبني على العدل ...

يا ترى • هل بعد ما رفع المسيح فعل الروح القدس المزعوم شيئا من

ذلك ؟ هل كَوْن مجتمعا يرى أفرادہ ؟ وأنى بكتاب يصدق الانجيل ؟

لا والله ! ان الروح القدس لم - ولن - يستطيع أن يفعل شيئا من ذلك

لأن الأرواح المجردة من المادة لا تتصل بالناس اتصالا ماديا ..

ونحن نتحداهم فى ذلك .. هل فى استطاعة احد من المسيحيين أن يثبت

ثبوتا قطعيا أن " الروح القدس " المزعوم كَوْن مجتمعا انسانيا بعدما رفع

المسيح ؟ هل كان تلاميذ المسيح يلتفون حوله لاستماع رسالات الله كما

كانوا يفعلون ذلك فى أيام عيسى عليه السلام ؟؟

هل جاء هذا الروح القدس المصطنع بكتاب آخر غير الانجيل يذكر

الناس فيه تعاليم المسيح التى نسبت • ويمجد المسيح وينفى عنه جميع

الشبهات التى أثبتت حوله ؟

والجواب لا ! اذن ان (paraclet) (براكليت) الذى

تحدث عنه انجيل يوحنا (١٦ ، ١٤) بقوله : " سأصلى لله وسيرسل لكم

(paraclet) آخر " • وهو شئ آخر غير الروح القدس المزعوم ..

لأن الصفات التى حددتها هذه الوصية ، صفات انسان مثل المسيح • سيكون

وسيطا بين الله وبين خلقه • سيرسله فى صالح البشر فى اثناء حياته

على الأرض ..

فلنسأل التاريخ الانسانى العام بالسؤال التالى •

هل جاء بعد المسيح ، وسيط بين الله وبين خلقه استطاع أن يكون مجتمعا

مثاليا غير محمد صلى الله عليه وسلم ؟

هل جاء احد بعد ؟ يكرر رسالات السماء السابقة على مسامح البشر غير
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ؟ الجواب عند المسيحيين .. فانهم يأتوا
بجواب حاسم : نقول لهم :

ان التفسير المنطقي للنص يوحنا هو ان الله سيرسل رسولا من البشر مثل
عيسى يقوم بالدور الذي قام به عيسى من تربية الناس و ردهم الى تربية الله
في وجيل . ولان لكون من المبشرين ه ان قلنا ان المسيحيين حرفوا معنى
هذه الكلمة لحاجة في نفوسهم ! وهي اعتقادهم ان عيسى هو الله
رسل الله وانبيائه . لانهم يعرفون جيدا ان الكلمة ان بقيت على أصل معناها
وهي (المسمي) لفهم الناس مجي رسول آخر بعد عيسى يؤدي نفس الدور
الذي كان يؤديه .. فلذا حرفوا معنى الكلمة فقالوا انه هو " الروح
القدس " الذي لا يرى ولا يخاطب .

وبعد هذه المناقشة المبررة مع كاتب انجيل يوحنا الذي أثبت هذه
الخطبة في انجيله مع تحريف المعنى الصحيح ؟ نود الآن أن نوجه
أسئلة الى المسيحيين جميعا والى كتاب الانجيل الثلاثة (انجيل متى وانجيل
لوقا وانجيل مرقس) بصفة خاصة . فنقول لهم :

كيف يمكن أن نشج الغياب التام (في انجيل متى و مرقس ولوقا) لرواية
الوداع المؤثر الذي يحتوي على وصية المسيح الروحية ؟
هل كان النص موجودا اولا عند المبشرين الثلاثة الأولين ؟
أم يحذف من أناجيلهم فيما بعد ؟
ولماذا ؟

وانقل فورا انه لا يمكن الاتيان بأية اجابة ..

انما ثغرة في رواية المبشرين الثلاثة ...

انما ثغرة كبيرة حيث خلت أناجيلهم من آخر حديث للمسيح وهو يتحدث
عن مستقبل البشرية بروحها .. معطيا ارشاداته وأوامره ومعددا بشكل نهائي

المرشد الذى على الانسانية أن تتبعه بعد اختفائه ..

انه لغريب جدا وبعيد عن الاحتمال أن تغيب هذه الوصية عن مرقس

ومتى ولو قارب

فإذا قالوا ان هذا النص كان موجودا عندنا ثم نسيناه .. نقول لهم

كما قال تعالى : * ونسوا حظا مما ذكروا به *

فأناجيلهم اذن ناقصة .. لا تصلح أن تكون كتاب دين صحيح .. وإذا

قالوا ما نسيناه ولكن حذفناه من أناجيلنا !

نقول لهم لماذا ؟ .. ليس هناك الا جواب واحد .. وهو ان النص

لا يتناسب مع عقيدتنا فلذلك حذفناه من أناجيلنا !

فتتلو عليهم قول الله تعالى : * يحرفون الكلم عن مواضعه *

فأناجيلكم - اذن كتاب محرف . والكتاب المحرف باتفاق جميع العقلاء

لا يحتج به أبدا ، لا فى المقائد ولا فى الأحكام ولا فى العبادات .. وبهذا

وجدنا أن المسيحيين قد حكموا على كتابهم أنه كتاب نسي فيه عن كثير

من تعاليم المسيح أو حُرف فيه كثيرا من تعاليمه ..

وليس غريبا اذن أن تقوم هذه الثورة الحاتية ضد هؤلاء المنحرفين -

المنحرفين .. ان مثل هذه الأمور غير المحقولة هى التى قادت المحدثين

الى البحث الموضوعى عن قيمة هذا الكتاب .

ان يتوبوا فهو خير لهم ، فيعلنوا للناس رسالة محمد صلى الله عليه

وسلم . فممنذئذ يكونون فى تعداد * الذين يتبعون الرسول النبي الأمي

الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم

عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث .. ويضع عنهم اصرهم

والأغلال التى كانت عليهم .. فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور

الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون * (١)

ان هذه الوصية التي اخفيتوها فقد بينها القرآن العظيم - رغم أنفكم -
 على لسان نبيه العظيم محمد صلى الله عليه وسلم وكشف عن نواياكم الخبيثة
 ان يقول : * واذا قال عيسى ابن مريم يبنى اسرائيل انى رسول الله
 اليكم مصداقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه
 أحمد .. فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين . (١)
 وهكذا رأينا أن الطغيان أدى بهؤلاء الى هذه الخياة العلمية الكبرى ...

حقائق وأباطيل

وقد رأينا في الصفحات الماضية أن بعض الباحثين قد تغلوا في تكذيب
 جميع المعلومات المسيحية . حتى قالوا ان سيدنا عيسى (كائن اسطوري) ..
 نود هنا أن نسوق آيات قرآنية لهؤلاء المنكرين الذين أنكروا عيسى ورسالته
 متعللين بأن خلقه لم يكن وفق السنن الطبيعية .. نقول لهم : ان هذا لا غرابة
 فيه . فان كان عيسى قد خلق من غير أب فان آدم عليه السلام قد خلق من
 غير أب . (٢)
 * ان مثل عيسى عند الله كمثّل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن
 فيكون .

هذه هي الحقيقة .. وأما انكار وجوده باطل من أباطيل ..

كما ردونا على هؤلاء المنكرين ، نرد أيضا على هؤلاء الذين أطروا عيسى
 ابن مريم الذين قالوا انه ابن الله أو انه هو الله . (٣)

(١) سورة الصف آية : ٦

(٢) راجع قصص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار ص ٣٧٢

(٣) تفسير الطبري ص ٤٦٨ .

نثبت لهم أولا : بشرية عيسى
 ثانيا : أن عقيدة الثلث عقيدة وثنية ، معتمدين أساسا على
 القرآن الكريم والآنجيل . . . واليك نموذج لكل من ذلك :
أولا - بشرية عيسى عليه السلام :

يقول تعالى : ﴿ انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاهــ
 الى مريم وروح منه ﴾ (١)
 ومن تأمل في هذه الآية يعلم أن عيسى بشر لا غلو فيه ولا أباطيل
 ولا نسوت ولا لاهوت ولا أقانيم ثلاثة هو بشر مخلوق لا اله خالق ، ذلك هو ابن
 مريم لا ابن الله (٢) وليس هو كائنات أسطوريا كما يدعى الملاحدة .
 وبعد أن اثبت القرآن بنوة عيسى الى مريم أثبت له بعد ذلك بعض صفات
 تثبت بشريته وهي ثلاث كلمات :

١ - رسول الله

٢ - كلمته

٣ - روح منه

واليك أدلة على كل من هذه الصفات الثلاثة :

- (١) - الرسالة ، تتحدث آيات كثيرة عنها في القرآن منها ما يلي :
- ﴿ ورسولا الى بنى اسرائيل ﴾ (٣)
- ﴿ ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾ (٤)
- ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ، منهم من كلم الله ورفع بعضهم
 درجات وآتيناه عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ﴾ (٥)

(١) الآية في سورة

(٢) الامثال في القرآن ، محمود بن الشريف ص ٣٦ طبعة دار المعارف .

(٣) سورة آل عمران الآية : ٤٩

(٤) سورة المائدة الآية : ٧٥

(٥) سورة البقرة الآية : ٢٥٣ .

أى رسولا الى بنى اسرائيل لما حَرَفُوا شريعة موسى وحَرَفُوا التوراة وعهدوا
 يهوذا وعزير ، أرسله اليهم بالتوحيد وعبادة الاله الواحد .

(٢) - كلمة الله :

فمعنى وصف عيسى بالكلمة - أنه المكوّن بالكلمة من غير أب .. أى انه
 تكون بكلمته وأمره الذى هو " كن " من غير واسطة أب ولا نطقه ..
 قال الله لعيسى : كن فكان .. أى كان عيسى بكن وليس عيسى هو
 (الكن) يقول قتادة : " ليس الكلمة صار عيسى ولكن بالكلمة
 صار عيسى " . (١)

ان هذا دليل قاطع على بشرية عيسى خلافا لما يمتقده المسيحيون
 المحرّفون المنحرفون ..

(٣) - وروح منه :

ان تفسير هذه الكلمة كالتالى : (وروح منه) أى ذو روح منه .. أضيف
 اليه تعالى تشريفا كما يقال (بيت الله) و (ناقة الله) .. (٢)
 ثم ان لفظ الروح ليس خصيصة قرآنية اختص بها عيسى بل وردت لفظية
 (الروح) فى القرآن لمعاني عدة ..
 اطلقت على آدم ، وعلى القرآن ، وعلى الوحي بمعناه العام وعلى من
 نزل الوحي ، وعلى النصر ، وعلى نوع ممتاز من المخلوقات أعظم من
 الملائكة .

(١) تفسير الجلالين ج ١ ص ٤٥١ حاشية الجمل .
 وراجع ايضا كتاب الجواب الصحيح لابن تيمية ص ٢٢ .

(٢) راجع تفسير الجلالين ج ١ ص ٤٥١

على آدم .. * فاذا سويته وثفخت فيه من روحي فقموا له ساجدين * (١)

وعلى القرآن .. * كذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب * (٢)
* والایمان *

وعلى مطلق الوحي .. * ينزل الملائكة والروح من أمرنا على من يشاء من عباده * (٣)

وعلى جبريل .. * فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا * (٤)

وعلى النصر .. * أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه * (٥)

وعلى النوع الممتاز المختار من الملائكة .. * يوم يقوم الروح والملائكة صفا * (٦)

وبهذه الآيات يتضح لنا أن كلمة الروح تطلق على عيسى كما تطلق على غيره وليست خاصة به ..

وقبل أن نختم هذه الفقرة يحسن بنا أن نزيل شبهة كانت ولم — نزل تشوش بعض المقول ..

فما هي هذه الشبهة ؟؟

انها شبهة قد وقع فيها كثير ممن لا يتدبرون الآيات القرآنية ^{روح} القول بأن

عيسى جزء من الله تعالى و روح منه ؟

فلنقرأ الكلمات التالية : " أن طييسا نصرانيا جاء للرشيد فناظر عليا بن

الحسن الوافدى ذات يوم فقال له :

(١) سورة الحجر آية : ٢٩

(٢) سورة الشورى آية : ٥٢

(٣) سورة النحل آية :

(٤) سورة مريم آية : ١٧٣

(٥) المجادلة : ٢٢

(٦) النبا : ٢٨

ان في كتابكم ما يدل على أن عيسى جزء من الله وتلا قوله تعالى : * وكلّمته
ألقاها الى مريم وروح منه * *

فقرأ الوافدى ■ وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه *
وقال : اذن يلزم أن تكون جميع تلك الاشياء جزءا منه سبحانه فانقطع النصارى
وأسلم ... (١) و (٢)

وعلى هذا الأساس المتين نقول للملاحدة : ان كانت المسيحية مفردة
فى شأن عيسى ، وأنتم فى نفس الوقت مفردون فيه حيث نفبتم وجوده
اطلاقا ولم يكن لديكم من الصبر على الدراسة والتفكير ومن العقل والاجتهاد
ما تميزون به بين الدين ورجال المنحرفين وتفرقون بين ما يرجع الى الدين
من مسئولية ، وما يرجع الى اضافات رجال الكنيسة وسوء تمثيلهم ... فلا
تنبذوا عيسى نبذ النواة ... وكان فى استطاعتكم أن تراجعوا القرآن
الكريم الذى يدين به أم معاصرة لكم ... القرآن الذى يقول :

* لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ■ ولكن الاستمجال لم يسمح
لكم بالنظر فى ذلك الأمر حتى وقحتم فى هذا التفريط المذل ...

ثانيا - التثليث :

لقد جلى القرآن الكريم هذه القضية وعرض زيفها وزعمها ... ودعا
أهلها دعوة منطقيه بأن لا يفلو فى دينهم ولا يشتطوا فى عقيدتهم
وأن يلتزموا جادة الايمان الحق بأن يحكموا عقولهم • ويحكموا بما أنزل
الله اليهم فى انجيلهم وأن يلتزموا بمضامينه وما فيه من دعوة الهيبة صريحة
لعبادة الله الواحد الأحد ، والايمان برسوله عيسى وبمحمد الذى يجدد الله اسمه
وصفته مكتوبين فى انجيلهم ...

(١) حاشية الجمل على تفسير الجلالين ج ١ ص ٤٥٢
(٢) وأما حقيقة الروح لا يعلمها الا الله ■ ويسألونك عن الروح • قل الروح من أمر
ربى • وما أوتيتم من العلم الا قليلا ■ سورة الاسراء اية : ١٨٥

وعقيدة للتثليث تزخر بمزاعم وأباطيل ، ففي تزعم أن الله
ثالث ثلاثة .. وأنه ثلاثة أصول (أقانيم) متساوية .. الله الأب .. الله
الابن .. والله الروح القدس .. ثم ترجع فتقول : أن الاقانيم الثلاثة
واحدة .. أي أن $1 + 1 + 1 = (1)$.

فمعتد بهم أن المسيح اله • وهو ابن الله وفي الوقت نفسه هو بشر واله هو
لاهوت وناسوت .. هو الله وابن الله .. وأصل من الأصول الثلاثة المكوّن
لله .. سبحانه وتعالى عما يشركون ..

ويصدر القرآّن حكمه في هذه القضية العقيدية ويحكم بكفر من اعتنقها
أو اعتقد فيها :

* لقد كفر الذين قالوا أن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله
شيئا أن أراد أن يملك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا .. (١)
ان هذه الآية ستظل مسجلة على أهل التثليث غلوهم وانحرافهم • ولعلمهم
أن كانوا أتباع المسيح حقا أن يثوبوا الى عقيدته الحقّة وكما ينبه القرآن الى أن
المسيح وأمه كانا يأكلان الطعام .. ومن البين أن الذي يأكل الطعام
فيتحول في جسمه دما ولحما وعظاما وينضح عرقا ، ويخرج فضله لوبقيت
في الجسم لا ضرته ..

من الواضح أن كائنا من هذا النمط لا يمكن أن يكون الا بشرا • خاضعا
لكل قوانين البشرية التي لا تؤدى الى نقص في مرتبته (٢) كرَسُول ..

(١) سورة المائدة الآية : ٧

(٢) كتاب التفكير الفلسفي في الاسلام للدكتور عبد الحليم محمود ص ٧٤ .

التثليث عقيدة وثنية

ثم اذا دققنا النظر في التاريخ نجد أن التثليث عقيدة وثنية ، فهو ليس بطائفة على العقيدة المسيحية ، ولكنه يمتد بجذور عميقة في أرض العقيدة الوثنية العالمية القديمة .. ويتصل بها بأقوى الوشائج والصلات ..

فالعقيدة المسيحية زعمت أن الله ثلاثة أقانيم (أب وابن والروح القدس) وهي نفس الثلاث الجاهلي " اللات والعزى ومناة الثالثة " .

وهي نفس الثلاث البرهمي في الديانة الهندية " (براهما وسيفا وفشنو)"

وهي نفس الثلاث الإلهي لقبائل البانتو الأفريقية " مزيمو وبيسو ومولنجو (١)

ليس هذا أدل على أن عقيدة الثلاث وثنية ..

*

وبعد هذا نود أن نقوم بجولة تفتيشية في الأناجيل الأربعة ، لنذكرهم أن كتبهم — وأن كانت جل معلوماتها محرقة — لم يزل فيها قبس من —
النور الإلهي الذي يدل على وعدانية الله — وعلى عبودية عيسى وأنه ابن
الإنسان لا ابن الله . وإنما هو رسول من الله / إلى بني إسرائيل ..

(١) راجع كتاب الأديان في القرآن محمود الشريف ص ٢٠٢

راجع أيضا الأسفار المقدسة ، دكتور وافي ص ١٠٧

شواهد من كتب النصارى على عبودية عيسى عليه السلام

(٦)

ورد في انجيل يوحنا ما يلي :

" قال المسيح في خطاب مريم المجدلية " لا تلمسيني لانني لم اصعد
بعد الى ابي ولكن اذهبي الى اخوتي وقولي لهم اني اصعد الى ابي
وأبيكم والهي والهمكم " (١) .

فحكم ببشريته وانسانيته عندما قال " الى ابي وأبيكم والهي والهمكم "
ان هذه الاية رد على مزاعم رجال الكنيسة القائلين بأن عيسى ابن الله ..
وتوافق أيضا ما ورد في القرآن ..

* ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم * (٢)
* وقال اني عبد الله * (٣)

عن رسالته :

ورد في انجيل يوحنا ما يدل على ذلك وهو قوله :
" الكلام الذي تسمعون له ليس لي بل للأب الذي أرسلني " (٤)
في ذلك اعتراف برسالته وبأن دعوته وحى من عند الله .
وفي انجيل متى ما يلي :
" لا تدعولكم ابا على الارض لان اباكم واحد الذي في السموات " (٥)
فهذا اعتراف صريح بوحديته لله تعالى .

(١) انجيل يوحنا الاية ١٧ من الاصحاح ٢٠

(٢) سورة المائدة اية : ١١٦

(٣) سورة مريم الاية : ٣٠

(٤) انجيل يوحنا اية ٢٤ باب ١٤

(٥) انجيل متى باب ٢٣ آية ٩

انسانيته في الانجيل

في انجيل متى :

" قال يسوع : أقول الحق الآن تبصرون ابن الانسان " (١) في نفس

الانجيل يقول :

" أما ابن الانسان فليس له أن يسند رأسه " .

وكذلك وردت لفظة ابن الانسان في الاصحاح التاسع آية ٦ من هذا الانجيل

السابق ..

وعلاوة على ذلك ان متى نفسه قال أول كلمة في انجيله في الاصحاح الأول :

" كتاب ميسلاذ يسوع المسيح ابن داود بن ابراهيم .. فذكر نسبه

المسيح ولم يقل انه ابن الله ولا انه اله من اله " (٢)

وفي انجيل يوحنا يقول :

" الحق الحق أقول لكم ، من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة السماء

يصعدون وينزلون على ابن الانسان " (٣) .

هذه مقتطفات من الانجيل قد ثبتت بشكل واضح أن فكرة التثليث أو القول

بأن عيسى ابن الله أو هو الله فكرة مستحدثة من هؤلاء البشاة المسيحيين

وصدق الله تعالى :

* وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم *

وهذه هي المسيحية الباغية وهؤلاء هم رجالها المعتدون المنتظمون

المطربون .. وتلك هي خرافاتهم في عيسى وفي الكون التي كانت سببا

(١) انجيل متى اصحاح ٢٦ آية ٦٤

(٢) الاطريارح في القرآن ، محمود شريف ص ١٩٤ .

للكفاح المشئوم بين الدين والعلم والعقل الذى انهزم فيه الدين .. ذلك
الدين المختلط بعلم البشر الذى فيه الحق والباطل والخالص والزائف -
هزيمة منكورة .. وسقط رجال الدين سقوطا لم ينهضوا بعده ، وشـر
من ذلك كله وأشأم أن أوربا أصبحت لا دينية .

*

ولا يشك أحد أن تبلد الضمير الدينى عند رجال الدين الكنائسى
كان من أكبر العوامل لقيام الاتحاد فى أوربا الحديثة .. وهذا
لا ينفى أن تكون هناك أسباب أخرى وإن كانت أقل درجة من طغيان الكنيسة
ولكن بعضها ساندت بعضها حتى وقع هذا الفصل النكد بين الدين
والدنيا وبين الخالق وخلقهم ...

فى الصفحات التالية محاولات لبيان شىء من هذه الأسباب .

الفصل الثالث

(٨)

قوانين المادة

لقد اتخذ الملاحدة قوانين المادة سندا للالحاد فاعتبروا هذه القوانين المادية التي نسميها " السنن الربانية " بدلا عن اله مدير حكيم . . والذي يجب أن نفهمه هنا هو : ان المذاهب المادية نشأت قبل العلوم التجريبية فالمذاهب المادية تنكر وجود الله . وأما العلوم التجريبية تدعو الى الايمان به كما صرح بذلك . ا . كريسى موريسون بقوله :

" وقد يقودنا هذا الضوء الى الاعتراف بوجود عقل عام أسمى ، أى الى وجود الخالق " (١) .

وكانت فضيلة المذاهب المادية عند الماديين ، أنها تقوم على الوقائع والحقائق ولا تقوم على الظنون والأوهام . وكانت المادة عندهم حقيقة الحقائق الثابتة التي لا يحترقها الشك ولا يلزم بها الباطل ، لأنها محسوسة ملموسة محصورة في مكان محدود .

يخطأ أحدهم على المادة بيده ، أو يضرب على الأرض بقدمه ، ويقول لمن يجادله : " هذه هي الحقيقة التي ألمسها بيدي وقدمي أو أراها بعيني وأسمعها بأذني ، وليست ما تخطون فيه من الظنون والأوهام " (٢) .

وكان العهد بدعاة الالحاد أن يحتجوا لدعوتهم المادية بأدلة يحسبونها علمية ، حتى لقد ظن البعض أن العلم والايمان نقيضان لا يجتمعان بل ألف أحد العلماء الغربيين - وهو جوليان هكسلى - كتابا في ذلك المذهب المادى سماه : " الانسان يقوم وحده " (Man Stands Alone) زعم فيه أن العلم ينكر وجود الله . (٣)

(١) العلم يدعو للايمان ، ا . كريسى موريسون ص ٤٧ ترجمة صالح محمود صالح الفلكي .
(٢) عقائد المفكرين ، عباس محمود العقاد ص ٥ .
(٣) العلم يدعو للايمان السابق ص ١٧ - ١٨

فرد عليه ٠١ كريسى موريسون السالف الذكر فى كتاب سماه :
 "الانسان لا يقوم وحده" (١) (Man Does Not Stand Alone)
 أثبت فيه بمختلف العلوم أن الله باري الكون وهو خالق كل شىء

*

ثم شاعت العلوم التجريبية فى القرون الأخيرة ، وشاعت معها قوانين الحركة
 والحرارة والضوء وسائر القوانين من الجاذبية وغيرها التى سميت بالقوانين—
 الطبيعية عند الماديين .

فقالوا : هذه هي قوانين الكون التى تسيطر على حركاته وسكناته وتفسر
 كل ظاهره من الظواهر . على الافلاك العلوية كما تسرى على الممادين
 الأرضية . ولا يشذ عنها حكم واحد من الأحكام التى تشمل المادة فى جميع
 صورها وأشكالها ، ومنها مادة الأجسام الحية أو مادة الحياة ..
 وبهذه التصورات المادية اللاحادية أصبحت قوانين المادة تستعمل
 ضد فكرة وجود اله لهذا الوجود .. وأصبحت فكرا ماديا بقسميه الميكانيكى
 والديالكتيكي (٢) .

(١) المرجع السابق ص ١٨

(٢) الفكر المادى العلمى ينقسم الى اتجاهين :

— الاتجاه الميكانيكى (Mechanistic Materialisme)

وهو اتجاه مادى لا يرى وجودا للروح والعقل فضلا أن ينسب اليهما تدبير
 الجسم .

— الاتجاه المادى الديالكتيكي (Dialectic Materialisme)

ويرى أن وجود الروح والعقل تابع لوجود المادة . والاتجاهان بذلك
 ينكران الغيب أو يستبعدانه .

راجع كتاب : الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ، د .
 الببى ص ٨٦ .

كما أن النظريات الجديدة عن الكون في هذا القرن - قرن السابع عشر -
قد غمرت الأفكار الفلسفية واستأثرت بالاهتمام البالغ من قبل الأوساط الدينية
والعلمية على السواء وأعظم هذه النظريات "نظرية الجاذبية" لاسحاق
نيوتن .

إن هذه النظريه الضئيلة تشير الى امكانه تفسير ظواهر الطبيعه
بربط بعضها ببعض دون حاجه الى تدخل قوه خارجيه عنها .^(١)

وبهذا كان هذا الاكتشاف الضئيل بمثابة النواة للمذهب "الطبيعى"
والنظريه الميكانيكيه اللذين كان لهما صدى واسع فى قادمات الأيام . .
وكان موقف الكنيسه تجاه هذه النظريه ، الرفض التام بل شنعت
على معتقبيها قائله : ان الأشياء لا تعمل بذاتها ولكن عناية الله
هى التى تسيرها .

ولم تكن الكنيسه من سمعة الصدر على جانب يسمح لها بتفهم عدم
المنافاة بين نسبة الأفعال الى الله تعالى باعتباره الفاعل الحقيقى ، وببدون
نسبتها الى الأسباب باعتبارها وسائط مباشرة ، بل كان حنقها على كـل
جديد صارفا لها عن ذلك .

كما أن أصحاب النظريه اندفعوا اندفاع الفراش الى النار - فأنكروا عمل
العنايه الالهيه وربطوا الأسباب بالمسببات معتقدين أن كل ما عرفت علته
المباشره فلا داعى لا افتراض تدخل الله فيه - حسب تصريحاتهم . . .
واليك بعضا منها . يقولون مثلا " لقد اثبت (نيوتن) أنه لا وجود
لاله يحكم النجوم وأكد (لابلاس) بفكرته أن النظام الفلكى لا يحتاج الى
أى أسطوره لا هوتيه . "

(١) (Religion, And The Scientific Outlook,)
م. ٢٥
نقلا عن كتاب الاسلام يتحدى - وحيد الدين خان ص ٣٤ - ٣٥

وقام بهذا الدور عالمان " داروين " و " باستر " في ميدان البيولوجيا
وقد ذهب كل من علم النفس المتطور والمعلومات التاريخية الثمينه التي حصلناها
في هذا القرن بمكان الاله الذي كان مفروضا أنه هو مدير شؤون الحياة الانسانية
والتاريخ " (١)

هذا ما يقوله الملاحدة بعد اكتشاف قوانين المادة ...

ما آلت اليه الماديه

وشاء الله بحكمته البالغه أن حدثت في السنوات الخمس الأخيرة
من القرن التاسع عشر حوادث " علميه " غيرت كل صورة من صور المسالمة
عرفها الأقدمون ...

نقد عرف الكيميائيون قبل ذلك أن عناصر المادة أكثر من أربعة ، وأنهم
ليست محصورة في النار والتراب والهواء والماء .
وعرفوا أن ذرة " الهيدروجين " أخف العناصر ليست هي أصغر
جسم من أجسام المادة ينتهي اليه التقدير ...

عرفوا الكهرباء الذي تحسب ذرة الهيدروجين جبلا ضخما بالقياس
اليه ، ثم تقدموا في معرفة الكهرباء والذرة حتى أفلتت المادة كلها
من بين أيديهم ولم يبق منها غير حصة رياضية ... حصة رياضية كانوا
يحسبون بها ، مثلا في الدقة ، والضبط والعظمة من الخل ، فإذا هي في
النهاية حصة لا يضبطها الحساب الا على وجه التقريب .
أفلتت من المادة كل شيء ثابت أو كانوا يحسبون مضر المثل في
الثبوت و " الحقيقة " .

فاللون من الشماع ، والشماع هزات في الأثير ...
 والوزن جاذبية ، والجاذبية فرض من الفروض ...
 والجسم نفسه متوقف على الشحنة الكهربائية وعلى سرعة الجسم في الحركة
 ونصيبه من الحرارة ...
 والحرارة ما هي ؟ حركة ...
 والحركة في أى شىء ؟ في الأثير ...
 والأثير ما هو ؟ فضاء أو كالفضاء ... (١)
 وصدق القائل : " ان العلم الحديث بدا بالاحتمال وانتهى الى الاحتمال (٢)
 وهكذا رأينا أن الدعاوى الملحدة ليس لها سند من العلم التجريبي
 ومع ذلك تستحق النظر فيها وسوف نناقشها عند مناقشة الآراء ان شاء
 الله تعالى .

(١) راجع عقائد المفكرين عباس محمود العقاد بتصرف طفيف ص ٥٦-٥٧
 (٢) راجع الله يتجلى في عصر العلم : مقال لـ (وولتر أومر) راندومج ص: ٢٢

الفصل الرابع

مقارنة الأديان

توطئة :

من نظر الى شيوع التدين في جميع الأجناس يعلم يقينا أن التدين فطري في الانسان ، لا تكاد تجد أمة من الأمم الماضية أو الحاضرة في قلب الحضارة المادية الا تجد فيهم من يميل الى التدين وأحيانا يدافع عنها . . .

ان هذه الظاهرة ، ظاهرة التدين تدل على أمرين هامين :

هما : قانونا (السببية والغائية) .

ولوتدبر الملاحظة في هذين القانونين لادياهم الى أسس الحقائق

الدينية :

" عقيدتي التوحيد والخلود " وأن عقيدة الشرك والوثنية والفناء

انما هي وليدة ضرب من القفله أو الكسل العقلي الذي يمنعهم من البحث

الصحيح . .

وبيان ذلك : ان قانون السببية يقرر أن شيئا من " الممكنات " (١)

(١) التعبير المشهور هو أن شيئا لا يحدث من لا شيء ، وقد أضفنا عبارة :

" من الممكنات " تحديدا للمجال الحقيقي الذي يطبق فيه هذا المبدأ . ودفعنا

للخطأ الذي ينجم من أخذه على إطلاقه . ذلك أن الأمور " الضرورية الوجود "

لكون الكل أكبر من جزئه ، وكون الشيء عين نفسه ، الى غير ذلك - تحمل

في طبيعة مفهومها سبب وجودها ، فهي موجودة بنفسها لا بسبب خارجي

والأمور " المستحيلة لكون الجزء أكبر من كله وغير ذلك من أحكام التناقض -

تحمل في نفسها سبب عدمها ، فلا تقبل الوجود بنفسها ولا بغيرها . أما الممكنات

التي تقبل الوجود والعدم ولا تقتضي طبيعتها واحدا منها ، فان وجودها انما يرد

اليها من سبب خارج عنها حتما اذ لو وجدت بنفسها لكانت واجبة الوجود وهو

خلاف المفروض . . . راجع : (الدين) د . عبدالله دراز ص : ١٠٤

لا يحدث بنفسه من غير شيء * لأنه لا يحمل في طبيعته السبب الكافى لوجوده * ولا يستقل باحداث شيء * لأنه لا يستطيع أن يمنع غيره شيئاً لا يملكه هو .

كما أن الصفر لا يمكن أن يتولد عنه عدد ايجابى . فلا بد له فى وجوده وفى تأثيره من سبب خارجى . وهذا السبب الخارجى ان لم يكن موجودا بنفسه احتاج الى غيره . فلا مفر من الانتهاء الى سبب ضرورى الوجود يكون هو سبب الاسباب ..

واذا قال الملحد : ولماذا لا يمكن لنا معرفة كنه هذا السبب الاول ؟ فنبادره بالقول : انه غيب عنا . فالانسان لم يعط الوسائل بعد لمعرفة الغيب .. نوء من به لا تاره كما آمننا بوجود الالكترون والبروتون بآثارهما ولم نشاهد الكترونا ولا بروتونا ..

وقد آمننا بالمغناطيس ولم نشاهده بأعيننا وانما شاهدنا فقط انجذاب حديد الى حديد دون رؤية الجاذب وهكذا دواليك ...
وأما قانون الفائية فمن وجبه أن كل نظام مركب متناسق مستقر لا يمكن أن يحدث عن غير قصد ، وأن كل قصد لا بد أن يهدف الى غاية ، اذا لم نجد عند الماديين مصنعا للسيارات يصدرها بدون غاية ؟ فلا بد - أن يكون من وراء هذا العالم غاية ...

نعم ان طاقة البشر ، وطبيعة المخلوق ، أعجز من أى تحصى مراحل الاسباب والغايات مرحلة مرحلة ، وتتابع سلسلتها حلقة حلقة ، حتى تشهد بداية العالم ونهايته .. ولذلك يئس الماديون الذين قاموا بمقارنه الأديان من معرفة أصول الأشياء وغاياتها الأخيرة ، وأعلنوا عدولهم عن هذه المحاولة فقالوا : ان الديانات ما هى الا منظمات مستحدثة ، وأعراض طائفة على البشرية حتى قال (فولتير) : ان الانسانية لا بد أن تكون قد عاشت قرونا متطاولة فى حياة مادية خالصة قوامها الحرث ، والنحت .

والبناء • والحداده والنجاره قبل أن تفكر في مسائل الدينيات والروحانيات
بل قال :

ان فكرة التالبيه انما اخترعها دهاة ماكرون • من الكهنه والقساوسة
الذين لقوا من يصدقهم من الحمقى والسخفاء • (٢)

هذه هي مقاصد علماء الأديان المقارنه • فهم يستهدفون الى تحديد
الأصل للمعقده • والمظهر الذى ظهرت به فى أول الأزمنه باطلا •
فقالوا : ان الأمم البدائية هم أحسن أرضية لهذا البحث • وتجاهلوا
عن موكب الرسل من لدن آدم الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واعتبروا
القول فى اثبات رسالتهم عن الله • خرافه ووثنيه ••

وهم انما يفعلون ذلك • لأن المنهج كله انما قام ابتداء على أساس
العداء • والرفض للمنهج الدينى • بسبب ما ثار بين الكنيسه الأوربيهه
والبحث العلمى فى كل صور • فى فترة من فترات التاريخ •• فبدأ المنهج
وفى عزم أصحابه أن يصلوا الى ما يكذب مزاعم الكنيسه من أساسها للوصول الى
تحطيم الكنيسه ذاتها ••

ومن أجل هذا جاء منهجا منحرفا منذ البدء لأنه يعتمد الوصول سلفا
الى نتائج معينه • قبل البدء فى البحث •••

وحتى حين هدأت حدة العداء للكنيسه بعد تحطم سيطرتها العلميه
والسياسيه والاقتصاديه الفاشمه • فان المنهج استمر فى طريقه •• لأنه لم
يستطع أن يتخلص من أساسه الذى قام عليه •• والتقاليد التى تراكمت على
هذا الأساس • حتى صارت من أحوال المنهج ••

أما خطأ النتائج فهو ضرورة حتمية لخطأ المنهج من أساسه • هذا الخطأ
الذى طبع نتائج المنهج كلها بهذا الطابع •• وإذا كان المنهج والحالة هذه ؟
فما موقف المسلم من تعلم هذا العلم كحقيقه علميه ؟

موقف الاسلام من تعلم علم مقارنة الأديان

وللاجابة على هذا السؤال لا نتوانى أن نقول : انه لا يجوز لمسلم بحال من الأحوال ، أن يأخذ بهذه النتائج ، لأن تقريراته مخالفته مخالفته أساسيه للتقاريرات الالهيه كما يوضحها القرآن الكريم . . .
 وإذا جاز للملاحده أن يأخذ بنتائج تخالف مخالفه صريحه قول الله سبحانه في مسأله من المسائل ، فانه لا يجوز لباحث يقدم بحثه للناس على أنه " مسلم " أن يأخذ بتلك النتائج ، ذلك أن التقارير القرآنيه في مسأله الاسلام والالحاد ، وسبق الاسلام الالحاد المادى في التاريخ البشرى ، وسبق التوحيد للتعهد والتثنيه . . قاطعه . . وغير قابله للتأويل . .
 فبى مما يقال عنه : انه معلوم من الدين بالضرورة . . . (١)

وعلى من يأخذ بنتائج علم الأديان المقارنه في هذا الأمر ، أن يختار بين قول الله سبحانه وقول علماء الأديان . . أو بتعبير آخر :
 أن يختار بين الاسلام وغير الاسلام لأن قول الله في هذه القضية منطوق وصريح ، وليس ضمنيا ولا مفهوما . . كقوله تعالى :
 « ولقد بحثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » (٢)
 وعلى أية حال فان هذا البيان عن موقف الاسلام في هذا المنهج ليس هو المقصود بالذات هنا ، انما نستهدف هنا الى اثبات أن ظهور هذا العلم ، علم مقارنة الأديان كان سببا من أسباب الالحاد في أوروبا الحديثه . وكان ضربه قاصمه على أصحاب الكنيسة ولكن بمرور الزمن أصبح سندا لأصحاب الأديان أيضا يحتجون به على فطرية التدين وفطرية التوحيد . . ولا بد من ايضاح هذه المفارقات العجيبة .

(١) ان هذه التقارير مستفادة من كتاب (فقه الدعوة) ، جمعة احمد حسن من ظلال القرآن ص ١٦٠
 (٢) في سورة الخل الآية : ٣٦

قصة مقارنة الأديان في أوروبا

يذكر لنا التاريخ أنه لما اكتشفت أمريكا الوسطى ، ووجد الأسبان فيها أقواما يتعبدون على أديان لا يعرفونها — توافد القساوسة والمبشرون الى البلاد المكشوفة ليجتثوا في أديانها ويحولوا أقوامها الى العقيدة المسيحية فأدهشهم بعد قليل أن يروا لهم شعائر الأديان المعهودة في الدنيا القديمة وأنهم سمعوا منهم كلاما عن التفكير والخلاص ومساك الأديان على شئ من الشبه بنظائره في الديانة المسيحية ، وثاروا في تحليل تلك المشابهة . . فخطر للقساوسة والمبشرون الذين توافدوا الى هذه الدنيا الجديدة ■ أن هذه العبادات التي يتعبد بها هؤلاء القوم المنكرون ■ بقية من بشاره قديمه نسيت واندثرت ونتجت عنها هذه العبادات المسموخة وكان هذا ^{هو} التفسير الذي اكتفى به الناس لفهم أسرار المشابهة بين الأديان في الدنيا القديمة والأديان في الدنيا الحديثة التي رجح عندهم أنها كشفت لأول مرة ، وظل هذا التفسير كافيا من أوائل القرن السادس عشر الى أواخر القرن الثامن عشر ، ثم اتسعت كشف الرحالين وتبذمت أخبار القبائل والسلالات التي تتشابه بينها شعائر الأديان والعبادات ، وتقدم علم الأجناس ومعه على المقارنة على أيدي هؤلاء الباحثين الذين يريدون ازاله الكنيسة بكل ما تمد اليه أيديهم : فاحتاج الأمر الى تفسير غير ذلك التفسير عند المتدينين والمعتقدين . . . فقالوا ان الأديان كلها من وضع البشر فاتخذوا من هذه المشابهات دليلا على صحة ما قرروه . (١)

وكانت صدمة قويه لأنصار الدين ، لأن القرن الثامن عشر على الخصوص قبيض لديهم مشاكل كثيرة لم يفرغوا منها أثرت في نفوس الأجيال الجديدة شكوكا تعالجها الكنائس واحده بعد واحدة ■ ولا تنتهي من علاجها ■

(١) عقائد المفكرين في القرن العشرين ■ عباس محمود العقاد ص ٧٤ - ٧٥

فلما أسفرت المقابلة بين الأديان والعبادات عن تلك المشابهة المتكررة كانت ضربه قويه محرجه بعد ضربات مثلها في القوه والاحراج ، كادت أن تخذل عوامل الايمان والاعتقاد أمام عوامل الشك والاحاد ...

هذا أن الملاحده بعد ما اتفقوا في أن الدين خرافه ، اختلفوا في العوامل الأولى لا يقاظه في النفوس الى مذاهب شتى ... اهمها كالتالى :

أولا - مذهب التطور التقدي

ان هذا المذهب يرى أن الدين بدأ في صورته الخرافه وأن الانسان قد ترقى في دينه وتطور ، على مدى الأجيال حتى وصل الى الكمال فيه بالتوحيد كما تدرج نحو الكمال في العلوم الطبيعیه والصناعیه ... (١) وقد أشرنا سابقا الى أشهر رجاله ..

ثانيا - المذاهب الكونية أو الطبيعیه

ترى هذه المذاهب أن العامل الأول في اثاره الفكرة الدينيه كان هو النظر في مشاهد الطبيعه ولا سيما الأفلاك والعناصر ... (٢)

أشهر مقررى هذه النظرية هو العالم الألماني ماكس ميلر (Max Muller) في كتابه عن الأساطير المقارنه (Comparative Mythologie) وليس هنا مناقشة هذه الخزعات وإنما قصدنا عرض هذه التصورات الخاطئة التي يريد بها أصحابها أساسا محاربه الكنيسه لا للبحث العلمى والوصول الى الحق .

ثالثا - المذاهب الروحيه المشهوره باسم الحيويه : (Animisme)

ان هذه المذاهب ترى أيضا ان الأديان ليست من عند الله ولم يرسل

(١) الدين ، عبد الله دراز ص ١٠٧ مع تفسيرات طفيفة .

(٢) المرجع السابق ص ١١٤

أحدًا من الرسل وإنما نشأت الأديان في الإنسان من (أجل عبادة أرواح الموتى) .
 وهذه النظرية الروحية قررها تيلور (Tylor) في كتاب
 "المدنية البدائية" (La Civilisation primitive)
 وتابعه عليها مع تعديل يسير الفيلسوف الانجليزي هربرت سبنسر -
 (Herbert Spencer) في كتاب مبادئ علم
 الاجتماع (principles De Socialogie) (١).
رابعاً - المذاهب النفسية :

هذه فصيلة أخرى من النظريات تتلخص فكرتها العامة في أنه لا أجل
 الوصول إلى العقيدة الإلهية لم يكن بالناس حاجة إلى التأمل في الطبيعة
 وجمالها ولا في التقلبات الكونية وأحوالها . ولا إلى التجارب العجيبه
 في عالم الأرواح وأسرارها ، بل إن تجارب الإنسان النفسية ، في حياته المادية
 المألوفة له في كل يوم ، كانت كافية لتوجيه نظره بقوة إلى تلك الحقيقه
 العليا ... (٢) .

ومن أشهر رجالها أوجست ساباتيه (Auguste Sabatier)
 في الفصل الأول من بحثه عن (فلسفة الدين) .
 (Esquisse D'une philosophie De Religion)
 و (هنري برجسون) (H. Bergson) في كتابه عن "يتابع
 الخلق والدين" :

(Les Deux Sources De La Morale Et De
 La Religion.

(١) الدين ، عبداللعدراز ص ١٢٢

(٢) المرجع السابق ص (١٣٥)

خامسا - المذهب الاجتماعي :

(Durkheim

يخالف الملا مه (دوركايم))

جميع المذاهب المتقدمة في دعواها أن التدين حاله نفسه تنبع من فطرة الفرد كلما فكر في الآفاق أو في نفسه ويرى هو أن التدين ليس فطريا فسي الكيان الانساني وانما هو وليد أسباب اجتماعيه فسي هذا المذهب " بالعقل الجمعي " (١) هذا النظام هو نظام التوتيم (Totem) (٢) فزعم أن هذا العقل الجمعي هو الذي يوجد في الانسان عناصر التفكير وأساس المعرفة العقلية .

هذه أهم المذاهب التي حاولت أن تحلل نشأة التدين في الانسان بعدما اتفقوا جميعا على أن الدين لم يكن يوما من الأيام في الفطرة الانسانية . ان هذه المذاهب كلها لا تستحق الوقوف عندها للمناقشة لأنها ليست في نياتها الخير للانسانيه وانما أرادت أن تصل الى نتيجة معينه - كما قلنا سابقا - وهي اباداة الكنيسه عن طريق قتل المقيدة الدينيه فسي الانسان ... قبل البحث عن حقائق الأديان ...

ولكن لما كان المذهب الأخير ، الذي هو المذهب الاجتماعي أكثر انتشارا في الأوساط العلمية ، سوف نقاؤه قليلا لآزالة اللبس عن الذين يعتبرونه حقيقة علميه ثابتة ...

(١) (Reinach, ouv. cite, p. 23; Durkheim)
ouv, cite p. 144

(٢) هذا الاسم مأخوذ من لغة الهنود الحمر في أمريكا الشمالية : وهم اسم لم يتفق بعد على ضبطه قيل (وغير ذلك تستعمل

تارة في موطن المشير أو علامه والشمار .

هذا ما كان من شأن علم المقارنه بين الأديان ، حتى انجلى النزاع
الذى أثاره هذا المنهج بين الكنيسه ورجال علم المقارنه ، عن هذا
الموقف فى أوائل القرن العشرين ...

فلما أفاقت الكنيسه من سكراتها بعد هذه المعركه المنيفه ، أدركت أن
هذا المنهج وان كان أساسا يحارب الأديان ، ولكنه يصلح أن يستخدم
فى فطريه التدين وضرورة التدين وأنا بديهيه مركبه فى طبيعته
البشر ، ولولا ذلك لما أجمعوا على التدين متفرقين فى أرجاء الأرض مع
اختلاف الأزمان وتفاوت الحضارات وتباعد الثقافات وطبقات التفكير ... ولكن
هيميات وقد انتشر هذا المذهب فى جميع العلوم بل اعتبروها أساسا لجميع
العلوم الانسانيه ...

الا ألتنا نقول : يصدق على مقارنة الأديان ما يصدق على القوانين الطبيعیه
فى مسألة العقيدة ، وقد رأينا أنها شككت العقول زمنا فى أصول الاعتقاد
ثم أصبحت فى القرن العشرين سندا لمن يؤثرون الاعتقاد ويشككون فى
الاحاد ... بهذا انسدل الستار على هذا المذهب السخيف ...

الفصل الخامس

الثورة الفرنسية

ومن يتأمل في صفحات التاريخ الموثوق بها يخرج بالتأنيج التاليه :
- ان الثورة الفرنسية ^{لهما} صفتان مختلفتان :

- صفحه مشرقه نيره : وهى ضد ظلم القوانين وسوء توزيع الثروه العامه .

- وصفحه سوداء مظلمه : وهى ضد الدين والمبادئ الاخلاقية بل ضد فكرة وجود الله مدمر لهذا الكون .

واليك توضيحا لكل من الصفتين :

الصفحة الاولى :

كانت هذه الصفحه ضد الظلم والقوانين وسوء توزيع الثروه العامه (١)
وبيان ذلك : كان الفرنسيون الى القرن الثامن عشر يعيشون تحت ظل نظاماتهم المتعيقه التى بلغت الى الفساد السياسى ، والتدهور الاقتصادى غايتهما ...
حتى ان (كالون) وزير الخزانة الملكيه اعترف بذلك سنة ١٧٨٧ م ، وأرادت الحكومه سد عجز الميزانية بارهاق الشعب بضرائب جديدة فادحه ، فازدادت أحوال الطبقات المسحوقة سوءا وعمفت فى البلاد موجة من الجوع ونقص المؤن ...

فى الوقت الذى بلغ فيه صبر الشعب الى نهايته وانتهت المجاعة والبؤس كان هناك طبقتان تنغمسان فى مختلف الملذات هما :

(١) الدين ، د . عبدالله دراز ص ٨١

— طبقة رجال الدين ، وطبقه الأشراف بالإضافة إلى الأسره المالكيه
 التي كانت عبثا ثقيلًا على المجتمع الفرنسي .. كانت هناك ارادة الملك
 لا راد لها ولا معقب لها وكان الفلاحون يراعون مع أرضهم كالبهائم ، وكان
 رجال الدين يستغلون جهل العامة استغلالا لا حد له ويتحكمون في رقابهم
 بالاتحاد مع رجال الحكومه .. من هنا وقف الشعب بكل فئاته : الفلاحين ،
 والمهنيين ، والقساوسة الصغار ، جبيه واحد ضد الجبيه الأخرى
 التي تتألف من الطبقتين المحتكرتين : رجال الدين والأشراف ..
 وفي ٥ أكتوبر دفع الجوع بنساء باريس الجائعات إلى القيام بزحف
 كبير صوب (فرساي) فذهبن ومعهن أعداد غفيرة من العاطلين
 والحرس الوطني بقيادة (لافاييت) للمحافظة على المسيرة ..
 هذه من ناحيته ، ومن ناحيته أخرى ، هناك حكم جائر تقوم به
 هاتان الطبقتان المجرمتان ضد الشعب الفرنسي ، ولقد ذكر لنا التاريخ
 الكثير من هذه المبكات المضحكات ، ومن أشهر تلك المأساة الانسانية
 هذا السجل الظالم الذي سموه بـ (الباستيل) .. لقد لقي هذا السجن
 ما لا يوصف فنكتفى بالحادثه الأخيره وهي التي انتهت بهدمه وذلك
 في عهد الثورة الفرنسيه سنة ١٧٨٩ م (٤) .
 ولكننا قبل الدخول في هذا الموضوع ، نصف بعض ما كان يلقاه
 المسجونين فيه :

-
- (١) التطور والثبات في حياة البشرية ، محمد قطب ص ١١١
 - (٢) أوروبا العصور الوسطى ، دكتور عبد الفتاح عاشور ج ٢ ص ٢٥٨
 - (٣) دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدي ج ٢ ص ١٤٥
 - (٤) التاريخ الأوربي الحديث ، دكتور عبد الحميد البطريق ود ، عبد العزيز نوار ص ٣٧٣

ما لقيه المسجونون في الباستيل

يذكر التاريخ أن أمكنة السجن من هذا المقل كاستامو يوجد داخل البرج التي كانت مقسمة الى خمسة أدوار ، في كل دور ملها غرفة ذات ثمانية أضلاع ليس فيها الا نافذة صغيرة في حائط عرضة ستة أقدام ، فمما كان ينفذ الى هذه الغرف من أشعة الشمس الا نور ضئيل . . .

وكان يوجد غير ذلك غرف تحت الأرض على بعد ٦٦ ر أمطار من سطحها ، تقتل من فيها برطوبتها وظلمتها وهي مع ذلك لم تكن بأسوأ حالا من حجرات موجوده في قم تلك البروج معرضه لحرارة الصيف وزمهرير الشتاء . . كان المسجونون المراد تعذيبهم يوضعون فيها بقصد تمريرهم لفاعيل الطبيعة المتناقضة مع عدم السماح لهم باتقائها بوقايه . هذا وصف مختصر لهذا السجن الظالم . .

وكان المتهم يعتبر مجرما حتى تثبت براءته . فلذلك كان يقاد المتهم لهذا السجن وقد لا يعلم الأمر الذي اتهم به ، فينزل الى ظلماته مسوقا بأيدي حديدية ويقف أمام رجال أشبه بالجلاميد قسوة وفظاظة فيسأل عما نسب اليه ، ويناقش فيه ويتمق معه في الأخذ والرد رجاء أن يكون منكرا أو معه شركاء . . هذا كله لا يعلم أهله أين ذهب ولا يسمح لهم بشئ من خبره ولا له بشئ من خبرهم ، فيبقى هناك منقطعا عن أهله وذويه والعالم كله تحت رحمة سجانين لم يتمتعهم الله بماطفة حنان ولم يجطهم بخلق صالح . .

في هذا السجن ذاق رجال العلم والفضل في فرنسا أشد انواع العذاب في عهد الاستبداد . فكم هلك فيه فيلسوف عظيم ؟ وتلاشى دون جدران المظلمة مصلح كبير ؟ وكم من سياسي جنت عليه مباحته لخبر البلاد فيهوى منه في مستقر سحيق ما خرج منه الا حرضا لا يفيد ولا يستفيد ؟

فلا جرم أن كره الفرنسيون الباستيل ، معبد المسف ومهبط القسوة
والفسومة فلم يكادوا يثيرون ضد حكوماتهم حتى كان أول غرضهم الباستيل
فهدموا هدمًا واقتلوا أصوله اقتلاعًا وأخذت فتات أحجاره فجعلها النسوة
عقودًا تحلين بها في أمكنة اللآلي ، أشاره إلى غلبة الأمه على الظلم
وانتقامها من الظالمين وقد أقيم اليوم مكان هذا البناء تمثال الحرية . . .

هذا جزء ضئيل مما كان يمارسه هؤلاء الطغاة ضد الشعب الفرنسي .
وقضت سنة الله أن ينتصر الشعب على جلاديه وأن تحصد معظم
الروؤس المترفة الطاغية .

وفي يوم ١٤ يوليو ١٧٨٩ م كان يوما مشهودا في باريس إذ تغلب الشعب
الفرنسي على الضاغطين عليه فخلص من أسرهم وحصل على حريته
بجده وجلاده (١) .

هذه هي الصفحة البيضاء لهذه الثورة الظافرة على الظلم والقسوة . . .
أما الصفحة المظلمة لهذه الثورة التي جعلتها سببا من أسباب الاتحاد
تتضح في الصفحات الآتية ان شاء الله .

(١) دائرة معارف القرن العشرين ، فريد وجدي ج ٢ ص ٣٥ .

الصفحة المظلمة للثورة الفرنسية

ان هذه الثورة التي قامت أساسا ضد الظلم والظفیان ، قد تمخضت عن نتائج بالغة الأهمية ، فقد ولدت لأول مرة في تاريخ أوربا المسيحية دولة جمهورية لا دينية تقوم فلسفتها على الحكم باسم الشعب وليس " باسم الله " وعلى حرية الدين بدلا من الكتلکة .. وعلى الحرية الشخصية بدلا من التقيد بالأخلاق الدينية وعلى دستور وضمی بدلا من قرارات الكنيسة .

ان هذه النتائج والتطورات التي تمخضت عن ثورة قامت ضد الظفیان فحسب ثم تحولت الى ثورة ضد الدين والأخلاق ، شىء يستحق أن يقف عنده الانسان باحثا عن أسبابها ودوافعها .

شىء عجيب كهذا لا بد أن تتوفر فيه عدة عوامل وأسباب تفوق حد الوصف . ولكننا نود أن نذكر هنا أهم تلك الأسباب ..

أولا - وقوف الكنيسة ضد مطالب الجماهير :

ولولا وقوف الكنيسة ضد مطالب الجماهير الجائعين الذين يبحثون عن الخبز ، لولا ذلك لم تمتنع الجماهير المسيحية أفكار الكتاب الملحدین . ولم تتخل عن عقيدتها الراسخة .

وكيف لا تمتنع الجماعير من الفلاحين وغيرهم أفكار الملحدین وهم يسمعون من (توماس جيفرسون) نفسه يقول :

" ان القسيس في كل بلد وفي كل عصر من أعداء الحرية وهو دائما حليف الحاكم المستبد يعينه على سيئاته في نظير حمايته لسيئاته هو الآخر " . (١)

(١) أفكار ورجال تالیف - جرین برتن ص ١١ ترجمة محمود محمود مصر ١٣٧٧هـ
يراجع أيضا المفسدون في الأرض ص ١٩٧٣ م ص ١٤٦ فبايحهدها .

ان كان هذا هو من تصريحات رجال الدين الكنسى فى أوربا الجاهله
فلا غرابة - اذن أن نرى الجماهير ترتفع فيهم الصرخات التالىة حلف
(ميرابو) :

" أشنقوا آخر ملك بامعاء آخر قسيس "

وبهذه الرؤى الواضحة ندرك جيدا أن وقوف الكنيسة المجرمه فى
صفوف الظلمه سبب من أسباب تنفير الجماهير عن فكرة التدين والمبادئ
الاخلاقية ..

وكما ندرك أن الثورة أقيمت فى أول أمرها - ضد نواحي الضعف
من رجال الكنيسة والأشراف . ولكن وقوف هؤلاء الرجال الحمقى فى صفوف
الظلمه قد زاد الطين بلة فتحولت الثورة عن ثوره ضد المظالم الى ثوره
ضد الأديان كلها .. هذا ما أبدته الكاتب الانجليزى (ويلز) حيث
يقول :

" كانت ثورة الشعب على الكنيسة دينيه .. فلم يكن اعتراضهم على قوة
الكنيسة بل على مساوئها ونواحي الضعف فيها ، وكانت حركات تمردهم على الكنيسة
حركات لا يقصد بها الفكك من الرقابه الدينيه بل طلب رقابه دينيه أتم
وأوفى ..

وقد اعترضوا على البابا لأنه الرأس الدينى للعالم المسيحى بل لأنه
لم يكن كذلك أى لأنه كان اميرا ثريا دنيويا بينما كان يجب أن يكون
قائدهم الروحى .. (١)

ولأجل ذلك قلمت الثورة بأعمال غريبه فقد سرحت الرهبان والراهبات
وصادرت أموال الكنيسة وألفت كل امتيازاتها . وحررت المقائد الدينيه ، هذه
المرة ، علنا وبشدة وأصبح رجل الدين موظفا لدى الحكومه .

(١) فيما يتعلق بأسباب ونتائج الثورة الفرنسيه . يراجع كتاب أوربا فى العصر
الحديث فى الفصل الأول ..

هذا شيء يسير مما جنته الكنيسة على نفسها وعلى جميع الأديان
السماوية وقد ذكرنا بعضها سابقا في باب طغيان الكنيسة . وهنا
رأينا لونا آخر أيضا من هذا الطغيان ، رأينا أن الكنيسة هي المسئولة
في الدرجة الأولى عن هذا الاتحاد الأحمر .

ثانيا - الخلايا الخفية في الجسم الأوربي :

وقد يكون أن تغضب الجماهير على الكنيسة لأجل موقفها الخبيث ضد
الحقوق الشرعية للشعب ، ولكنها تبقى دائما في دائرة الدين والإيمان
بالله والتمسك بالأخلاق الفاضلة ، لاولا أنه وجدت هذه الخلايا
الخفية التي كانت تعيش في الجسم الأوربي وتمتص دماؤه بحيث لا يشمرو .
وهذه الخلايا القوى الشيطانية الخفية اليهودية أعداء الله وأعداء
البشرية جمعاء .

وقد أخبرنا الله تعالى : انهم * يسمون في الأرض فسادا *
وستحدث عن هذه القوى الشيطانية في باب مستقل ان شاء الله .
ونكتفي هنا بالإشارة إلى أن هذه الخلايا الخفية لها دور حاسم في
تغيير أهداف الثورة الفرنسية التي هي البحث عن الخبز والخبز فقط . . .
وبين عشية وضحاها لقت هذه القوى الشيطانية الخفية ، الجماهير
الثائرة هتافات أخرى يذهب بها كل فكر ديني وكل فكر أخلاقي وهي :

” شعار الحرية والمساواة والاخاء ” .

ثم تلى هذا الشعار ، شمارا آخر : ” لتسقط الرجعية ” وهي كلمة
تعني أول ما تعني الدين والأخلاق .

وقد أقر اليهود أنفسهم هذه الحقيقة في كتابهم الخطير : ” بروتوكولات
حكماة علماء الصهيون ” . فهم يقولون فيه :

" تذكروا الثورة الفرنسية التي تسميها (الكبرى) أن أسرار تنظيمها
 التمهيدي معروفه لنا جيدا لأنها من صنع أيدينا " • ويقولون :
 " كذلك كنا قديما أول من صاح في الناس " الحرية والمساواة والأخاء " .
 كلمات ما افكت تردد ها منذ ذلك الحين بين غارات جاهله متجمهره من كل مكان
 حول هذه الشعائر " (١) .

ثالثا - الفكر اللاديني الذي طبع عصر التنوير :

هناك سبب ثالث له أخطاره الكثيره ، ومع ذلك لم يذكره كثير من
 الباحثين في ضمن أسباب الثورة الفرنسية . . .
 فما هو هذا السبب الخطير ؟ ؟
 انه الفكر اللاديني الذي طبع عصر التنوير الذي تحدثنا عنه في
 الباب الذي عقدناه تحت عنوان " صورته عن أوروبا الحديثه " •
 ان هذا الفكر اللاديني كان يسرى في عقول المفكرين آنذاك ، سريان
 الدّم في العروق ، وكانت له مدارس كثيرة ، قد سلكت كل مدرسه منحى
 خاصا لتحقيق هدف واحد ، وهو : تقويض الدين واجتثاث مبادئه من
 النفوس •
 واليك فكره موجزه عن كل من هذه المدارس :

(١) البروتوكولات ص ١٠٣ • ١١١

أولاً :- مدرسة ذات طابع اجتماعي وسياسي . كان رأس هذه المدرسة الكاتب (روسو) (١) صاحب (العقد الاجتماعي) الذي أطلق عليه " انجيل الثورة الفرنسية " و (مونتسكيو) (٢) صاحب (روح القوانين) . . . ومن كتابات هؤلاء استلهم زعماء الثورة مبادئهم واقتباساتهم . . . والفرض الوحيد لهذه المدرسة هو احلال (عبادة المجتمع) في محل عبادة الله . . . وذلك ما نادى به الثورة الفرنسية أخيراً . . .

ثانياً :- مدرسة ذات طابع فلسفي هدام ، انها تنادى الى الدين — الطبيعي أو " القانون الطبيعي " وربما كان الفيلسوف اليهودي (سبينوزا) رائد هذه الفكرة الشنيعة . ذكر ذلك في كتابه " رساله في اللاهوت والسبيله " . ثم اكتملت لدى (فولتير) فكرة الدين الطبيعي التي ورثها عن (سبينوزا) و (لا بينتر) واستق منها فكرة " القانون الطبيعي " حيث نجده يقول :

(١) ترجمة روسو : هو روسو هـ جان جاك : ١٧١٢ — ١٧٧٨ م فيلسوف فرنسي . ولد بجنيف وقد رافق دافيد هيم الملحد في رحله الى انجلترا . . . وله أثر في مختلف مجالات الفكر ، سياسيه وأدبيه وتربويه وكان مجمل مذهبه السياسي : ان الانسان الطبيعي لا هو بالخير ولا بالشرير ، وأن مساواة الناس قد زالت بظهور الزراعة والصناعه والملكيه . . . وأن القوانين شرعت لتثبيت الظالم على المظلوم فالسياده يجب ان تكون للمجتمع . . . فلا تشريع القوانين بغير رضا الجماعه كلها . . . الموسوعه الحرييه ص ٨٩٤ .

(٢) مونتسكيو ، شاول لوى دى سلوندا : ١٦٨١ — ١٧٥٥ م كاتب فرنسي قد نادى بالديمقراطيه النيابيه . وقد كان لآراء مونتسكيو وبخاصة نظريته في الفصل بين السلطات أثر كبير على رجال الثورتين ، الفرنسيه والامريكيه : المرجع السابق ص ١٧٩٠ .

" ان دين أهل الفكر دين رائع خال من الخرافات والأساطير المتناقضة
وخال من العقائد المهيمنة للعقل والطبيعة .. لقد منع الدين الطبيعي
الآف المرات المواطنين من ارتكاب الجرائم ... أما الدين المصطنع فإنه
يشجع على مظاهر القسوة .. كما يشجع على المؤامرات والفتن وعلى أعمال
القرصنة وقطع الطريق ... ويسير كل فرد نحو الجريمة مسرورا تحت حماية
قدسيته ... " (١)

واستمرت هذه الفكرة بعد موت روسو وفولتير الى أيام الفيلسوف الألماني
" كانت " الذي أدرك أيام الثورة الفرنسية ، وقد اشتهر ^{هذا} /الفيلسوف
في تأييدها وهو الذي طور فكرة المقد الاجتماعي في كتابه " الدين فسي
حدود العقل وحده " . (٢)

وهكذا بتأثير الفكر اللا ديني جسدت الثورة الفرنسية الفكر الفلسفي
القديم باقامة مجتمع يرفض القيم والأخلاق الدينية ويجعل المصالحات النفعيه
المحضة هي الرباط المقدس الوحيد ..

وهكذا أيضا استغلت اليهوديه العالميه هذه الثورة الفرنسيه وهذ
الأفكار اللا دينيه لمحاولة السيطرة على العالم بأسره .

هذه هي الثورة الفرنسيه التي بدأت فوره على الظلم ثم مشت شوطا فصارت
ثوره على الأديان والعقائد والقيم والمبادئ والأخلاق وجميع التقاليد الموروثة
على الإطلاق .

وبعد هذه الفرحه الثوريه العظمى حدث شيء جديد يجعل الحليم حيران،
شيء لا مثيل له في التاريخ مع أن في التاريخ مثلا بل أمثله لكل حادث غريب .
وما هو هذا الشيء ؟ ؟ هو مذهب النشوء والارتقاء الذي نحاول التحدث عنه في
الجزء التالي .

(١) مختطفات من القاموس الفلسفي لفولتير : سلسلة تراث الانسانيه ج ٨ ص ٢٠٧

(٢) أنظر رجال وأفكار ص ٤٨٩ .

توطئة :

ان هذا المذهب - باجماع المفكرين - يعتبر من أخطر المذاهب الهدامة التي وقعت ضد الدين لأنه قد أعطى إحياء بين متضادين :

الإحياء بالتطور الدائم الذي يلقى فكرة الثبات ، والإحياء بحيوانية الإنسان وماديته بارجاعه إلى الأصل الحيواني من ناحية ، وحصر القوى التي تروى فيه من ناحية أخرى بالقوى المادية في " البيئة " أو على الأقل في " الطبيعة " وإغفال الجانب الروحي إغفالا تاما ، وإغفال تدخل الله في عملية الخلق أو عملية التطور سواء .

قال داروين : " ان تفسير النشوء والارتقاء بتدخل الله ، هو بمثابة ادخال عنصر خارق للطبيعة في وضع ميكانيكي بحت " (١)

وبهذين الإحياء بين صار هذا المذهب من أخطر المذاهب على الأديان بل هو بمثابة الناقوس المعلن لمجى الأحداث على الكنيسة .

يقول جوليان هكسلى في كتابه " الإنسان في العالم الحديث " (Man In The Modern World) (٢) وهو من علماء الداروينية

الحديث :

" وبعد نظرية داروين لم يعد الإنسان يستطيع تجنب اعتبار نفسه حيوانا " هذا ما يوحى به هذا المذهب الإلحادى . ولكننا قبل أن نتحدث عن الآراء التي قيلت حول هذا المذهب من قبول ورد يحسن بنا أن نعطي القارئ فكرة قصيرة عن هذا المذهب الذي زلزلت به أقدام رجال الكنيسة وأزيلت به فكرة الثبات المطلق التي كان يعتقد رجال الدين الكنسي .

(١) التطور والثبات في حياة البشرية ، محمد قطب ، ص ٣٥

(٢) ترجمة حسن خطاب ومراجعة عبد الحليم منتصر

نقلا عن المرجع السابق ص ٣٥

فكرة عن مذهب النشوء والارتقاء

قبل أن يأتي هذا المذهب ، كان الايمان المسيحي والاخلاق المسيحية

قد تعرضا لضربات قاسية وهزات عنيفة :

وقد رأينا كيف كانت الضربات التي نزلت على المسيحية منذ أن ظهرت
نظرية نيوتن بالنظرية الجاذبية الميكانيكية الآلية للكون .. وكيف
كانت هزيمتها المبررة امام نظرية " كوبرنيكس " في مركز الأرض . كما رأينا
انتقادات فولتير وأمثاله تصهيدا للثورة الفرنسية ، وما أصاب الكنيسة على
يدى هذه الثورة من نكبات ..

وكما رأينا الدين الطبيعي الذي نادى به الفلاسفة العقليون ، ونظرية
التطور الفكري كما تخيلها " كانت " وأمثال ذلك التي مرت بنا في هذا الفصل
قد رأينا أن كل ذلك لا يلهي الا ويترك أثرا بليفا في جسم المسيحية أو
ينهش منه نهشة أويزيل من بنيان الكنيسة لبنة أو عدة لبنات ..
لكن كل ذلك لم يزل الايمان من قلوب الجماهير . ولم يكن يسمح لأى
مفترض بأن يتنبأ بانتهاء كامل للمسيحية أو يقول انه لا توجد في الانسان
قيم ثابتة ولا أخلاق ثابتة ولا تقاليد ثابتة ..

ولقد صدق الناس الكثير من أقوال المفكرين وانتقاداتهم ضد الكنيسة ولكنهم
مع ذلك كله كانوا مؤمنين بوجود اله يدبر هذا الكون ، وبأن آدم هو أبو
البشر بكيانه المنفرد .. حتى جاء داروين بتأليفه المجيب الذي غير مجرى
التاريخ الانساني ..

(١)
لقد ألف داروين أصل الأنواع سنة ١٨٥٩ فأحدث ضجة عنيفة لم يحدثها
أى مؤلف آخر في التاريخ الأوربي جميعا وكان له من الآثار في المجالات الفكرية
والعملية ما لم يكن في الأذهان .

بعد هذا يحسن بنا أن نشير ولو طفيفا الى ملخص تاريخي لهذا المذهب ، لنعرف كيف
طرا على العالم ...

(١) راجع التطور والانسان الدكتور حسن رينوس ٤٢ وعقائد المفكرين ، عباس
محمود العقاد ص ٦٨ .

ملخص تاريخي لتدرج القول في فكرة " أصل الأنواع "

والواقع ان الجديد الذي جاء به داروين ليس فكرة التطور العام أو المضمون ولكنه (داروين) زاد على الفكرة القانون الذي تسير عليه عملية التطور بغض النظر عن قيمته العلمية ..

أما فكرة التطور العام قد عرفه بعض الباحثين ونخص بالذكر (بافون) الذي يعتبر حق أول من كتب فيه بأسلوب علمي في العصر الحديث . الا أنه لم يبحث في أسباب استحالة الأنواع ووسائلها .. حتى جاء عالم آخر تقدم الى خطوة أبعد منه : وهو (لامارك) +

وكان (لامارك) أول من نهت نتائج بحوثه الأعمار لهذا الموضوع .. ففي سنة ١٨٠١ م نشر هذا العالم الطبيعي آراءه في الناس . وفي سنة ١٨٠٩ زاد اليها كثيرا في كتابه " فلسفة الحيوان " ثم عقب عليها في مقدمة كتابه " تاريخ اللاقاريات الطبيعية " الذي نشر في سنة ١٨١٥ فأبيد فيه الكتب التي تقول ان الأنواع ومنها الانسان ناشئة من أنواع أخرى ..

(١) بافون : جورج لويس بكلاء ، كونت دي - Compté(2)

عالم فرنسي ولد سنة ١٧٠٧ وتوفي بباريس في سنة ١٧٨٨ ، له كتاب في التاريخ الطبيعي ظهر في مجلدات من سنة ١٧٤٩ الى سنة ١٧٨٨ اي سنة وفاته عالج فيه كثيرا من مشكلات علم الحيوان .. راجع أصل الأنواع : تشارلز داروين ص ١٠٣ .

(٢) لامارك : جان باتيست ببيرا أنطوان () عالم فرنسي ولد سنة ١٧٤٤م

وتوفي سنة ١٨٢٩ م درس الظواهر الجوية والنبات . وله كتاب في نباتات فرنسا في ثلاث مجلدات . وظهر كتابه " فلسفة الحيوان في باريس سنة ١٩٠٨ في ثمانية مجلدات ، فوضع فيه من المبادئ والنظريات ما كان له اكبر الأثر فيمن عقب عليه من العلماء في بابيه .. المرجع السابق ص ١٠٣ .

وأول ما قام به ، هو تنبيه الأذهان إلى أن للتطور من سنن الوجود

ولا أثر لمجزأة في شىء من ذلك .

ثم بعد ذلك تتابع المؤلفون في هذا الباب كأمثال " جفرى سانتيلير "

(١٧٩٥) ودكتور (ولز) سنة ١٨١٣ . والاستاذ جرانت سنة ١٨٢٦ والاستاذ

هكسلى وغيرهم . . . ولا س، وراى وباركسون ولينو (١) وجاء تشارلز

داروين الذى نسب اليه المذهب التطورى أخيرا . .

وقد يتساءل بعض الناس ويقول : اذا كان بعض الأوربيين قد سبقوا داروين

في هذا المجال ، لماذا أهملت نتائج بحوثهم ولم تؤثر في العقيدة الدينية

مثل ما أتى به داروين ؟

فنقول : ان الذى يفسدو في عدم انتشار مذهبهم مثل مذهب داروين ،

راجع الى التفسيرات التى قدموها للتطور . . فقد قال هؤلاء : ان التطور خطة

مرسومة وفيها رحمة للعالمين .

ولذلك وصفت نظريتهم بأنها " لا هوتية " . . ان هذا كان كافيا

أن يجعل نتائج بحوثهم للتطور في زاوية النسيان . .

وكان الناس في ظروف مريرة وصراع شديد مع الكنيسة ، يريدون أن يتغلبوا

عليها بأية وسيلة ولو كانت أوهى من نسج العنكبوت . . ولما كانت هذه

النتائج تشتمل فيها رائحة الهالكة الكنيسة السفاح الحقود ، رفضوها . . .

وكانت الظروف تتطلب أن توجد فكرة أيضا عن الانسان والحيوان على الطريقة

الميكانيكية لطريقة نيوتن في الفلك .

ولما جاء داروين تفوق على الجميع لا استطاعته المثور على هذه القوانين

الطبيعية الأربعة كما يزعم .

وفي الصفحات التالية نود أن نتحدث عن تلك القوانين الأربعة . .

(١) انظر الطريق الطويل الى الانسان ص ١٩٧ فصاعدا

(٢) سلسلة تراث الانسانية ، مجموعة من الأساتذة السبئية العامة مصر ص ٣٢٩ .

الفرض الأساسي لهذه النظرية

والفرض الذى يدور حوله الكتاب هو كالتالى :

- أولا : (قانون الانتخاب الطبيعى) ثانيا : (قانون تنازع البقاء)
 ثالثا : (قانون بقاء الأصل) وقيل له ناموس المطابقة .
 رابعا : (قانون الوراثة)

١ - قانون الانتخاب الطبيعى :

يعنى به أن الطبيعة تنتخب من الموجودات ما يصلح للبقاء .. فالحيوانات مثلا تنسل عددا لا يحصى ، ولا يبقى منه الا القليل ، ولم يبق ما يبقى من قبل نفسه . ولكن لأنه هو الذى قام الحوادث المختلفة وفواعل الطبيعة ، فصلح للبقاء ، بدون أى تدخل خارجى .. فالقوى يبقى والضعيف يفتنى ، فالطبيعة هى المصدر الوحيد فى ذلك واليهما تصير الأمور ..
 فما تفعله الطبيعة على حد زعمه - من انتخاب أصلح الموجودات لتمنحه ميزة البقاء سى " الانتخاب الطبيعى " ..

وبتعبير آخر : ان الطبيعة هى التى تمنح الحياة والبقاء لمن تشاء ، وتزيلها عن تشاء بيدھا التصرف الكامل فى الكون ، انه لا يقف أمامها أى معارض أو منافس .

٢ - قانون تنازع البقاء :

يأتى تفسيره كالاتى : يرى داروين أن المخلوقات فى نزاع شديد . فبين الأنواع حرب ضروس ترى أسدا يفترس ذئبا .. وذئبا يفترس خروفا ، وانسانا يفترس كثيرا من الحيوانات البرية والبحرية .. أضف الى ذلك ، أن النوع الواحد قد يتنازع بعض أفرادہ مع بعض عند الازدحام على شىء لا يكفى لسد رغباتها جميعا كما ترى من تنازع القطط على قطعة اللحم .

وكما ترى من تنازع الانسان مع الانسان .. وهذا التنازع الذى يجرى بين

الأنواع والأفراد هو الذى سعى (تنازع البقاء) .. يعنى التنازع لأجل البقاء .. (١)

وهكذا فسر داروين الهدف الأساسى لهذه الحياة الدنيا .. يعنى أن الحياة مبنية - بطبيعتها - على التنازع والصراع المرير بين جميع المخلوقات . الا ان اكبر دليل على كشف هذه الخرافة الداروينية ، ظهور الأمة الاسلاميه فى العالم .. وقد يعلم المدوقبل الصديق أن العالم الاسلامى لم يأت نتيجة من هذا الصراع المزعوم وانما ظهر للوجود لتحقيق الغايات الثلاث الآتية :

* كنتم خير أمة اخرجت للناس : تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر
وتؤمن بالله .. *

أين الصراع فى قول النبي صلى الله عليه وسلم : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله فان قالوها عصم منى دماؤهم وأموالهم الا بحق الاسلام " (٢) .

أين هذا الصراع البغيض فى قول أول خليفة للمسلمين وهو سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه حيث يقول فى أول خطبة الى الأمة الإسلامية الفتية : " أما بعد أيها الناس فاني قد وليت عليكم ولست بخيركم .. فان أحسنت فسأعينونى وان أسأت فقومونى .. الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوى عندى حتى أرجع عليه حقه ان شاء الله .. والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه ان شاء الله .. "

(١) يراجع فى هذا التفسير الى دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدى ج ٤ ص ٣٠

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٦ ص ٣٠١ - مطبعة السعادة - مصر

بها خصاصة ... ولا تريد علوا في الأرض ولا فسادا . ان من يكذب هذا الصراع المفترض قول هذا الصحابي الجليل (ربيع) بن عامر حين دخل على (رستم) وهو يتوكأ على رمحته فوق النمارق فخرق عاتقها . فقالوا له : ما جاء بكم ؟

فقال : " الله ابتعثنا لمخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله ومن ضيق الدنيا الى سعتها . ومن جور الأديان الى عدل الاسلام " . ثم قال :

" فأرسلنا بد بنه الى خلقه لندعوهم اليه ، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه ، ومن أبى قاتلناه أبدا حتى نفى الى موعود الله ... قالوا : وما موعود الله ؟ قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى والظفر لمن بقى ... " (١)

ومن يقرأ هذه القصة يعلم يقينا أن داروين كان كذابا في ادعائه ... كما يعلم أيضا أن الاسلام المجيد خرج للناس بمفاهيم وقيم انسانية كريمة بعيدة عن النزاع الدارويني المزعوم . انه رفعهم من شريعة الخاب وشريعة المخلب والنا ب وشريعة المنجل والفأس وشريعة رأس المال الظالم والشيوعية الماكرة الى مستوى قيم الانسان ، وأخلاق الانسان وكرامته في سبيل خالق الانسان ... وليس في سبيل البقاء على الأرض .

الذنوب سبب هلاك الأمم وليس الانتخاب الطبيعي

ثم ان داروين يدعي ان سبب هلاك الأمم هو الانتخاب الطبيعي وبقاء الأصلح ... هل عند داروين دليل واحد ملموس على ذلك ؟ الجواب لا انما هو ظن فحسب ...

ثم قال رضى الله عنه : " لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله الا خذلهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم الا عمهم الله بالبلاء ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ، قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله " .

ولم تكن مبنية على الوثام والتوافق ولا التعاون .. فلا شك ان هذه النظرية تصادم المبدأ وتخالف الفطرة البشرية .. بل تخالف مخالفة أساسية القرآن الكريم القائل :

* انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم * .

ان الآية تقر بان خلق الانسان كان لأجل التعارف والتوافق لا لأجل التقاتل والصراع على البقاء .. كما أشارت الآية أيضا ان الذى يجب أن يتسابق فيه الناس هو شئ واحد .. وهو التقوى وتطبيق أوامر الله عز وجل .. نعم ! يوجد هناك بعض النفوس الشريرة التى تعطلت فيها اجهزة الاستقبال الفطرية ، تتصارع على البقاء فى هذه الدنيا وتقاتل .. كما حصل ذلك فى الحربين العالميتين الماضيتين ، ولكنها تبقى دائما نفوسا خارجة عن الفطرة الانسانية هذا ما نوهت اليه الآية الكريمة الآية :

* ونفس وما سواها ، فآلهمها فجورها وتقواها ، قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها * ..

اذ ان النفوس المتصارعة على البقاء هى النفوس التى دسها اهلها فى ظلمات الاحاد .. ومن هنا فقط نلتقى مع داروين فى أن بعض النفوس تتصارع لأجل البقاء .. ولكننا - فى الوقت نفسه - نخالفه فى تميم هذا الحكم .

نخالفه لأننا نرى دائما نفوسا طاهرة تتمر ولا تخرب .. تجمع ولا تفرق ، ترحم وتتصدق ولا تختب ، بل تؤثر غيرها على نفسها ولو كانت

وأما القرآن الكريم يقرر لجميع الناس في كل زمان ومكان • أن الذنوب هي

سبب هلاك الأمم فقط وليس هو الانتخاب الطبيعي المزعوم •

* أفلم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم

ببعض ذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون • • • (١)

* ولقد أهلكنا القرون من قبلك لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات

وما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل • (٢)

انه مقياس رباني للأمر ليس مقياس الصالح الذي يعتمد على الكثرة

وليس مقياس المال ولا القوة • •

وانما الايمان والعمل الصالح وهما طريقا بقاء الأمم في الدنيا والخلود في

الآخرة • • قال تعالى :

* فلولا كان من القرون من قبلك أولو بقية ينهون عن الفساد الا قليلا

من أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما اُتروا فيه وكانوا مجرمين •

ولولا هذا المقياس الرباني ، كيف يتغلب الأصحاب على أهل الكفر والالحاد

ففي غزوة بدر • • • ولم يكن تعداد المسلمين كتعداد الكفار • • وليست عدتهم

كعدد هؤلاء الكفرة • • ومع ذلك كانت الغلبة للأصحاب • انها آية من

آيات الله وليس للانتخاب الطبيعي أن يتدخل في هذا الأمر ان صح هذا

التعبير - اسمع ما يقول القرآن في هذه القصة المجيبة :

* قد كان لكم آية في فئتين التقتا ، فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة • •

يرونيهم مثلهم رأى المين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لمبرة لأولي

الابصار •

وهكذا اتضح لنا ان الانتخاب الطبيعي أوبقاء الأصالح افتراء على تاريخ

الانسان وتضليل لهؤلاء الدهماء السذج الذين لا يعرفون شيئا من هذا النور

(١) الآية في سورة الاعراف : ١٠٠

(٢) الآية في سورة هود : ٧٤

(٣) الآية في سورة هود : ١١٦

وأخيرا : لا يجوز لمسلم أن يؤمن بهذه الخرافة المخلقة ، وكما لا يجوز له أن يتردد في بطلانه ولا يظن أبدا أنها ستكون صحيحة يوم ما . وبهذا نعلم يقينا أن الصراع الذي زعم الدارويين أنه حتى من حتميات التاريخ تدل على التاريخ ، وقد فنده التاريخ الاسلامي ..

فلا شك أن دارويين قد استلهم هذه الفكرة من الشاردين الهاربين عن الدين - لأن الصراع فكره استعماريه نشأت في عصر النهضة الاستعماريه التي كانت تعتمد على القوة وسيلة لغلبة القوى على الضعيف ..

فهي شريعة الناب التي سارت في الحروب الاستعمارية وانطبعت بها العقلية الغربية .. والصراع بغلبة القوى على الضعيف فكرة استعماريه لا أخلاقية ، تهدف الى الاستيلاء على موارد وممتلكات الخير والثورة والحق ، وقد ظهرت نتائج هذه المقلية في العقائد الأوروبية التي سادت في القرنين الماضيين وأدت كما قلنا الى حربين عالميتين وإلى الثورة الفرنسية والثورة الروسية وإلى ظهور الفاشية والنازية والشيوعية -

الصراع على البقاء في هذه النظرية ، لا من أجل مقل ومبدأ انساني أخلاقي . ولكن من أجل المادة وسيلة الناب والمخلب .

ان هذا فيه الكفايه للبيان أن الصراع لم يكن من حتميات التاريخ الانساني وانما وجد ذلك في فترة من فترات التاريخ الأوربي ... فمهم دارويين هذا الأمر الخاص .. حاجة في نفسه ..

أما ناموس الوراثة :

هو ان الصفات المرضية التي تحدث في الآباء بواسطة اختلاف الأحوال والأوساط المعيشية تنتقل الى الأبناء ، فتنشأ تلك الأبناء مختلفة فيها بينها .. ومثلا ان النسل المتولد من الأقوياء قوى ، ومن الضعفاء ضعيف ومن تولد من ضعاف الصدر كان عرضة لمرض الصدر ، وهكذا واليك ..

ولا يزال هذا الاختلاف بين الأُولاد - على زعم داروين - يقوى على مرّ الأجيال والقرون ، حتى يستحيل ذلك الاختلاف المرضي الى اختلاف جوهرى توهم الرائي لها انها اختلافات نوعيه من أصل الخلقة . وهى فى الحقيقة اختلافات بسيطة فى مبدئها ، توالى عليها الحقب حتى ازدادت تأصلا فى الكائن الحى ونمت فيه فأدت الى مباينة الأُصل الذى نشأ منه تمام المباينة . . حتى ان الرائي لهما يظنهما من نوعين مستقلين - وهما من نوع واحد كما نرى ذلك ^{فيما} بين الحمار والحمار فانهما (على مقتضى مذهب داروين) من نوع واحد وانما اختلف الحمار عن الحمار هذا الاختلاف تبعا لمقتضيات الوسط الذى عاش فيه الحمار والجهاد المعيشى الشديدا الذى يلي به .^(١)

هذه هى القواعد الأربع التى بنى عليها داروين مذهب التطور والنشوء والا رتقاء .

فما أحسن هذا الكلام من تفكير ؟ ولكن هل عند داروين دليل من العلم الحديث ؟

وقد أجاب عن هذا السؤال العالم الطبيعى " الكبير " كرسى موريسون بقوله :

(١) دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدى ج ٤ ص ٣٠ - ٣١

وكتاب الآليات البيئات للسلطان صالح بن غالب القمبطنى ص ٦٩ ط

راجع كتاب الاسلام ومذهب داروين ، محمد باشمبيل -

ص : ٤٥

(٢) راجع كتاب قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ، نديم الجسر ص

راجع أيضا الاخلاق . موسوعة أحمد أمين الأدبية ص (١٠٩)

" ان القائلين بنظرية التطور (النشوء والارتقاء) لم يكونوا يعلمون شيئا عن وحدات الوراثة (الجينات) ، وقد وقفوا في مكانهم حيث يبدأ التطور حقا ، أعني عند الخلية ذلك الكيان الذي يحتوى الجينات ويحطمها " .

اذن ان العلم الحديث يتنافى مع هذا المذهب السخيف لأنه ظنون وتخمينات ... المعلم ان طريق العلم هو البحث والتحقيق والاثبات والبرهان . وطريق الفلسفة هو الظن والخرص واليهوى ..

ان مسألة التطور يجب ان تتم دراستها في البحث عن بقايا وهياكل الأحياء المنقرضة في التاريخ الجيولوجي الفابر .. فهي الطريقة العلمية الوحيدة التي يمكنها ان تثبت ان شكلا ما تغير وتطور من عصر اقدم الى عصر أحدث .

أما التخيلات والأوهام التي يقول بها بعض من يدرسون الحيوانات والنباتات الحالية ويقارنون أعضاءها ببعضها ليقولوا انها نشأت من بعضها البعض ان ذلك يخالف قواعد العلم والبحث والتحقيق ..

وفي متاهات هذه الظنون المتناقضة يتفلسف داروين وأعوانه ليقولوا ان أصل الانسان من قرود وهذا من جربوع وذلك من ضعفه أو سمكه الخ .. وبالاختصار ، فكل من يدعي ان شكلا من الأحياء نشأ من شكل آخر ينفى أن يثبت ذلك بالأدلة المستحاثية طبقه وطبقه وشكلا فشكلا أو في بعض الأحيان النادرة كما في مثال الذباب بطريقة علم الوراثة باجرا تجارب موضوعية يقينية .. ولكن حشا داروين أن يفعل شيئا من ذلك ... ومن ثم يرفض العلم كل تخربات الملحدين الذين تدور مقالاتهم كلها حول أصل الانسان من أحياء منحطة صغيرة وهدفهم من ذلك نفى وجود آدم عليه السلام ومن ثم انكار الديانات السماوية وانكار الخالق عز وجل .

فالمسألة التي يدور حولها الحوار والنزاع هي في النهاية وفي البدايه أيضا
مسألة العقيدة والايان بالله ■ بخالق الكون والاحياء فيه ولهذا لاقت قضية
التطور ونشوء الانسان مجالا رحبا واسعا تخطى آفاق اليقين التجريبي
الى متاهات الشكوك والترهات والخرافات التي تزعمها الملحدون ...

ان مبدأ التحكيم الى العلم الحديث هو الفاصل بيننا وبين الملاحدة ..
لا لانه ينقل الانسان الذي اكرمه الله تعالى من الظن والهوى والخرافة
والسخافة الى العلم والنظر واليقين فحسب .. بل لانه يجرد كذلك الملحدين
وأعوانهم من السلاح الذي يملكون به ضد المؤمنين ... فيكون العلم هو
السلاح الذي يقتربن بالايان في معركة الانسان المؤمن من ضد ابليس
اللمين .

انه لسلاح عجب يجمع يقين الايمان بيقين العلم ودليل الحق بدليل
البرهان . وقد أشار القرآن الكريم في اكثر من آية الى هذا السلاح القوي
فقال ■

✽ قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة
الآخرة ✽ (١)

وبهذا تبقى هذه النظرية بدون برهان فيضاف الى مصاف الخرافات القديمة
التي عرفت في التاريخ الانساني .

انى أعلم أن هذا التصريح سيثير غضبة كل من يريد أن ينتسب
الى القروء والديدان ... ولكن الحقيقة يجب ان تقال ■
وبعد هذا ننتقل الى استماع رأى الكنيسة في الموضوع ■

موقف الكنيسة من مذهب التطور

ولما ظهر هذا المذهب التطوري نشبت معركة من أعظم المعارك الفكرية في التاريخ الأوربي واشتط أصحاب النظرية في موقفهم وتطرفوا الى حد انكار وجود الله وانكار الأديان جملة وإعلان الحادهم الصريح . كما تطرفت الكنيسة وأشياعها فأعلنت كفر وهرطقة كل من لم يكن في جانبها . .

وانتهت المعركة الى نتيجة مفرعة : فقد تزلزلت العقائد الدينية جملة ، وانتشر الالحاد وشاع بطريقة غريبة شاذة . . .

ويكفيك أن تعلم من حملة رجال الدين على هذا المذهب التي استمرت في ضراوتها الى نهاية القرن التاسع عشر ، مثلاً : أن أسقف أوكسفورد « وهو من اكبر العلماء » أعلن « في خطبة ألقاها أمام مجمع تقدم العلوم البريطاني » أن داروين ارتكب أشنع جريمة حينما حاول أن يحدد مجد الله في فعل الخلق « (١) وأن الكاردينال (ماننخ) قال « ان مذهب داروين هو فلسفة وحشية تؤدى عقلاً الى انكار الاله » (٢)

وأن الدكتور (به رى) كبير أساقفة مطبورن وضع كتاباً حمل فيه على داروين واتهمه بأنه يزرع في نفوس الناس بذرة الكفر وانكار الكتب السماوية « (٣)

وأن المونسنيور (سه غور) في فرنسا قال عن مذهب داروين (انه من المذاهب المردولة التي لا يؤيدها الا أخط النزعات وأسفل المشاعر ، فابوها الكفر واسمها القذارة . . » (٤) .

وفي ألمانيا أعلن بعض العلماء أن مذهب داروين يناقض كل فكرة موجودة في الكتب المقدسة .

(١-٢-٣-٤) نقلنا هذه النصوص عن كتاب قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ص ١٩٣ للشيخ نديم الجسر مفتي طرابلس .

وأعلن (لوناردت) استاذ اللاهوت في لا يزيغ (ان فكرة النشو
والارتقاء تناقض الحكمة الالهيه مناقضة تامه ، وان فكرة الخلق ملك الدين
لا للعلم الطبيعي وأن كل الهيكل الأعلى للدين ، انما يقيم على مذهب الخلق .
ودعا احد علماء اللاهوت في سويسرا الى القيام بحرب صليبيه ضد هذا
المذهب الخاطيء المفسد . . . وقالت مجلة جامعة دبلن (ان داروين يبحث
كيف يخلق الله عن عرشه) .

وصف العلامة الدكتور قسطنطين (جمس) في كتابه (الدار وينزم
أو الانسان القردى) الذى نشر في باريس سنة ١٨٧٢ مذهب داروين بأنه
(أسطورة اضحوكه) .

وقال الدكتور موفيلد من الجامعة نفسها : (ان التوفيق بين مذهب
النشوء وبين التنزيل غير ممكن ، وأن من يؤمن به ، ولو ثبت علميا ، يكون كافرا
بالله .

وقال الدكتور (لي) (أنه لا يمكن بأى اسلوب من اساليب التفسير أن
نؤول لفة الكتاب المقدس بتوسع يحتمل القول بهذا المذهب ، ونعمت
داروين واتباعه مبشروا البلايع القذرة .

وفي الكلية الأميركية في بيروت طرد الاساتذة الذين ظهروا أنهم
يقولون بمذهب داروين (١) .

وهكذا رأينا موقف الكنيسة من هذه النظرية ، وهى تقول انها ترفض
حتى فى حالة ثبوتها علميا يقينيا . . .

وللواقع أن طبيعة الفلسفة المسيحية تجعلها أكثر الأديان تعرضا للانهايار
فى حالة ثبوت النظرية ، صحيح أن الأديان كلها تؤمن بمقيدة الخلق المستقل
لكن المسيحية تزيد على ذلك بأنها تجعل هذه المقيدة قطب الوحي للايمان
المسيحي برمته .

فالمسيحية البولسية والقسطونية^(١١) ، تعتقد أن الله خلق آدم وحواء ونهاهما عن الأكل من شجرة معرفة الخير والشر فأغرتهم الحية فأكسلا من الشجرة فارتكبا بذلك خطيئة لا تغتفر إلا أن يرسل الله ابنه الفرد-كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون الا كذبا * - الذى يعتبر بحق -
عندهم - الاقنوم الثانى من الثالوث المزعوم ، فقتله الروم فى عهد (بيلاطس) بايعاز من اليهود ، على الصليب ليخلص البشرية من الخطيئة الموروثة عن أبيهم آدم عليه السلام .. وهذه العقيدة هى محور التعاليم الكنسية ولا يمكن بحال أن يعد المرء مؤمنا بالمسيحية ما لم يمتدحها ..

وبهذه الرؤى الصادقة عن عقيدة المسيحية لم يعد غريبا أن نجد النظريه تقضى مضاجع رجال الدين الذين يرون أن التصديق بأن الانسان خلق بالطريقة التطويرية من الخلية الواحدة (الأميبا) الى القرد فـالانسان معناه بكل وضوح نفي وجود آدم وحواء بل نفي الخطيئة الأولى التى أسس عليها التعليم المسيحى ...

والخلاصة أن الكنيسة ترى أن تعاليمها تناقض مذهب النشوء والارتقاء مناقضة صريحة حتى فى حالة ثبوت النظرية .. وقد رأينا تصريحات علمائهم كلها تدور حول هذه الفكرة وحدها .

وقد أحسن ويلز فى مقالته فى هذا الصدد :

" الحق أنه لم يخل عصر من المصور من متشككة فى المسيحية ... على أن هؤلاء كانوا أناسا غير عاديين أما الآن (أى بعد نظرية داروين) فقد أصبحت كل المسيحية بوجه الاجمال متشككة اذ مست الخصومة كل انسان قرأ كتابا أو محاوراة بين

وبعد هذا الموقف المبرر من الكنيسة تجاه النظرية للداروينية ، نسود
أن نسمع أيضا شيئا ولو يسيرا من الطرف الثاني في المعركة وهو طرف الملاحده
الذين اتخذوا النظرية سنداً علمياً للالحاد الذي اخترعوه ..

موقف الملاحده من النظرية

ان الملاحده - بصرف النظر عن عدم ثبوت النظرية علمياً - قد اتخذوها
قاعدة من القواعد الثابتة التي لا يزغ عنها الا هالك ... والبك شيئا من
تصريحاتهم :

يقول ماندير : " لقد ثبت صدق هذه النظرية . حتى اننا نستطيع
أن نعتبرها أثرب شيء الى الحقيقة " (٢)

ويقول (سبيس) في هذا الصدد :

" ان نظرية النشو والارتقاء حقيقة ثابتة اخيرا وكلها ، وليست بقياس .
أو (فرض بديل) صيغ للبحث العلمي " (٣)

ويعتقد محرر دائرة المعارف البريطانیه ١٩٥٨ : أن نظرية الارتقاء في
الحيوانات " حقيقة وأن هذه النظرية قد حظيت بموافقة عامة بين
الملماء والمثقفين بعد داروين " (٤)

(١) معالم تاريخ الانسانيه تاليف ويلز ج ٤ ص ١١٣ ومابعدها

(٢) Clearer Thinking p.56 IBLA. p. 113

(٣)

(٤) Meaning Of Evolution p. 127

نقلا عن كتاب الاسلام يتحدى، وحيد الدين خان ص ٦٥ .

هذان موقفان متضادان أو متناقضان بأدق الأسلوب :

الكنيسة تقول : أنا لا أؤمن بالمذهب التطوري ولو أصبح حقيقة علمية يومها ما ..

الإنسان القردي؛ لماذا هذا أيتها الكنيسة المسكينة ؟

الكنيسة : لأن هذا المذهب يخالف عقيدتي بالخطيئة الأولى التي تعتبر قطب الرحى للمقيدة المسيحية الحالية ؟

الإنسان القردي : أنا لا أترك هذا المذهب أبداً ولو يدى لي بطلانها

الكنيسة : لماذا هذا أيها الإنسان القردي المسكين ؟

إن المذهب جاء ليبقى لأنه يخالف الخلق المباشر الذي تمتعده المسيحية ..

إن هذا الحوار البسيط بين الكنيسة والإنسان القردي الملحد يبين

أن كل واحد منهما خالف قواعد مذهبه .

فالكنيسة خالفت قواعد الأديان الصحيحة ، منها :

أن العلم الصحيح لا يتعارض مع دين صحيح لأن الدين بدون علم أعشى

والعلم بدون دين أعرج ..

الذي ينبغي لصاحب الدين أن يطلب أصحاب النظريات أن تأتي بالبرهان

كما قال تعالى : ﴿ فَأْتُوا بِبُرْهَانِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١)

﴿ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٢)

وأما إن يتعصب صاحب الدين لمقيدة معينة بعد وضع الدليل العلمي الذي

يخالفها ، فهذا خروج عن قواعد الدين نفسها ..

هذا ما فعلته الكنيسة .. أنها لم تفرض النشوء والارتقاء لكونها باطلة

فحسب ولكن لكونها لا تتماشى مع عقيدتها التي تبنتها ..

فالدین الاسلامی لا یؤیدها علی ذلك ^{فرض} ایقول : " الحکمة ضالة المؤمن من يأخذها

حيث وجدها " .. ولكن الكنيسة رفضتها قبل البحث عن حقيقتها ..

(١) سورة البقرة آية : ١١١

(٢) سورة آل عمران الآية : ٩٣

والانسان القردى الملحد كذلك خالف قواعد العلم الحديث التى تقول :

ان العلم الحقيقى ما يدخل تحت التجارب الحسية والملاحظات .. هل هذا

المذهب الداروينى ما ينطبق عليه هذا الشرط ؟ الجواب : لا

اذن ان هذين الموقفين متطرفان . فكل واحد منهما يحارب الطرف

الآخر فى عمالة وجهالة بغير علم ..

فالكنييسة مخطية فى رفضها كل فكرة صحيحة ما دام تخالف معتقداتها ..

والانسان القردى^{الملحد} مخطى فى تبنيه هذه الفكرة بدون دليل علمى ..

هذا ما صرح به بعض المنصفين من الغربيين . يقول (ستيوارت تشيس) :

" أيد علماء الأحياء جزئيا قصة آدم وحواء كما ترويها الأديان ... وإذا

تواريخ سفر التكوين فى التوراة خاطئة وحوى كثيرا من الحذف والتزييف والبيان

الشاعرى فان السفرة صحيحة فى مجملها " (١)

وليت شمعى ماذا لا يقول هذا الرجل لو قرأ القصة كما وردت فى

القرآن فى آيات كثيرة منها :

* " واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا اتجعل فيها

من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح لك ونقدس لك قال انى اعلم

ما لا تعلمون .. وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني

بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك

قال يا آدم انبئهم بأسمائهم فلما

انبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون

وما كنتم تكتمون * (٢)

أو قوله تعالى : * الذى أحسن كل شئ خلقه *

(١) الانسان والمخلقة البشرية تأليف ستيوارت تشيس ، ت / احمد حمودة .

مصر ١٩٥٥ م
(٢) سورة البقرة الآيات :

أى خلق الله تعالى كل مخلوق على أتم وجه وسخر له كل الأعضاء
 والوسائل التى تمكنه من العيش فى الوسط المقدر له ... اذا تغير الوسط
 الذى يحف بالكائن كأن صار بحرا بدل البرقا ما ! ان ينجو بنفسه عن طريق
 السباحة أو يموت ويندثر .. ولكن هذا التغيير أبعد ما يكون بأن يجهل
 الحيوان البرى ماثيا كأن يجهزه بغلاصم^(١٢) تنفس كالسمك كما يدعيه داروين ..
 ان هذا الكذب واضح .. ولنضرب مثلا بداروين نفسه : ولوجعلناه فى الماء
 هل يستطيع أن يعيش فيها كالسمك وبتمبير آخر هل يستطيع الانتخاب
 الطبيعى أن يعطيه أجهزة السمك .. لا ! بل يموت فورا ان لم يحسن
 السباحة ...

اذن ليس هناك شىء يسمى الانتخاب الطبيعى بل هناك الانسجام والاحسان
 كما أشارت الآية الكريمة .

ان الذى يقرأ هذه الآية كيف يؤمن بعدها بخرافات داروين وولا سحيث
 يقول ان طول رقبة النعامة او الزرافة سببه طول الاشجار وذلك ان
 تأثير الوسط الذى يعيش فيه المخلوق هو الذى يغير شكله ..
 نقول ان هذا كذب وبهتان .. بل المحقول هو أن طول أعناقهما تابع
 الى ارتفاع قوائمه .. اذ لو كانت أقصر مما عليه ما كانت تتمكن من شرب
 الماء على ظهر الأرض وأكل النباتات القصيرة التى لا ساق لها .
 وبهذا يبدو جليا ان هذه النظرة لا أساس لها من الصحة وانما اعتنقها
 الملاحدة فرارا من الخلق المباشر الذى تبنته الكنيسة .

وقال ر - س لل :

" ظلت نظرية الارتقاء تحصل على تأييد متزايد ، يوما بعد يوم بعد
 داروين ، حتى أنه لم يبق لدى المفكرين والعلماء شك فى أن هذه
 هى الوسيلة المنطقية الوحيدة التى تستطيع أن تفسر

عملية الخلق وتشرحها " (١) .

وبعد هذه التصريحات من الملاحدة على مختلف تخصصاتهم ، لا يبقى

خافيا عنا أن المعركة كانت معركة عنيفة بين الفريقين .

فكل منهما يدعى أن صاحبه ليس على شيء . . . تقول الكنيسة أنها

ترفض رفضا باتا هذا المذهب . . لأنه يريد (أن يخلق الله عن عرشه)

والملاحدة يقولون : ان المذهب هو التفسير الوحيد لعملية الخلق . .

ان هذا الموقف المتأزم يقتضينا أن نرجع سريعا الى موقف الملهم

الحديث لنرى موقفه في هذه التصريحات . . ثم ننظر في موقف بعض

المفكرين الاسلاميين من المذهب . ثم نبدي رأينا الخاص في الموضوع .

أولا - موقف الملهم الحديث من نظرية داروين :

ان هذه النظرية التي اجمع العلماء الملاحدة على صحتها ، هل لاحظها

أحدهم أو جربها في معمله ؟ . . . والجواب : لا ! هذا الذي دفع

" السير آرثر كيث " الذي يعتبر محاميا متحمسا لنظرية الارتقاء - أن يسلم

بأن هذه النظرية ليست بملاحظة أو تجربة . وانما هي مجرد عقيدة .

ومن كلماته :

" ان نظرية الارتقاء عقيدة أساسية في المذهب العقلي " (٢)

وعرف أحد المحاجم العلمية نظرية داروين بأنها : " نظرية قائمة

على تفسير بلا برهان " (٣) .

Organic Evolution, P. 15 (١)

Revolt Against Reason, P. 112 (٢)

Ibid, P. 111 (٣)

نقلا عن كتاب الاسلام يتحدى . وحيد الدين خان ص ٦٦

وقد سئل الأستاذ (ديتار سبارليسن) (النمساوى) المختص فى علم الموروثات : " هل صحيح أننا لا نعلم الى الآن كل الحلقات الوسيطة فى تطور الانسان انطلاقا من الحيوان ؟ "

فأجاب الأستاذ : " طبعاً . فهو قريب الاحتمال أننا لن نعرفها أبداً " .
ويقول الأستاذ (بيار بيبارسون) الفرنسى فى كتاب " أصل الانسان " :
" ويعتمدون - بدون حجة علمية على احتمال وجود انسان فى العهد الثالث وعلى الحلقات المفقودة فى السلسلة الرابطة بين الفرد والانسان " .
يقول الدكتور الكسيس كاريل :

" لقد أصبح جلباً أن تقدم كل العلوم المتعلقة بالانسان لا يكفى
لا شباب احتياجنا عنه ؟ وما يجاز شديد . ان علمنا عن ذاتنا لا يزال فى
حال بدائية " (٢) .

يقول عباس محمود المقاد : " واذا رجعنا الى مكان مذهب التطور من العلم
لم نجد من يحسبه علماً قاطعاً مفروغاً من اصوله وفروعه . وأكبر
انصاره لا يدعى له أكثر من أنه صحيح فى بعض ملاحظاته ومقارنته " .
ومن أشهر التطوريين المحدثين " ليكونت دى نوى " وهوفى الحقيقة
صاحب نظرية تطورية مستقلة ، ومع ذلك فهو يقول :

(١) لله العلم . بشير التركى ص ٦٥

(٢) الدكتور الكسيس كاريل فى كتابه :

راجع الدين ، وحيد الدين خان ص ٨٧

راجع الاسلام ومشكلة الحضارة ، سيد قطب ص :

(٣) عباس محمود المقاد ، عقائد المفكرين ص ٧٢

" أما تطور الكائنات الحية بجمليتها فانه يناقض علم المادة الجامدة تناقضا تاما وهو يتنافى مع المبدأ الثانى من مبادئ علم القوة الحرارية وهو حجر الزاوية فى علمنا المرتكز على قوانين المصادفة فلا سبب التطور ولا حقيقته يدخلان فى نطاق علمنا الحاضر وليس من عالم يستطيع انكار ذلك " (١)

ان كان هذا موقفا من مواقف أنصار الداروينية ، فكيف يكون موقف الممارضون من العلماء الغربيين أيضا :

يقول كريسي موريسون " ان القائلين بنظرية التطور لم يكونوا يعلمون شيئا عن وحدات الوراثة (الجينات) وقد وقفوا فى مكانهم حيث يبدأ التطور حقا أعنى عند الخلية " (٢) .

أما (انتونى ستاندى) فى كتابه " العلم بقرة مقدسة " ينفى فيه أن تكون حلقة واحدة مفقودة بل هناك حلقات كثيرة مفقودة ان كانت هناك حلقة فقدت . يقول : " انه لا قرب من الحقيقة أن نقول ان جزءا كبيرا من السلسلة المفقودة وليس حلقة واحدة بل اننا نشك فى وجود السلسلة ذاتها " (٣)

وهذا أوستن كلارك ينفى قطعا المذهب التطورى فيقول :
" لا توجد علامة واحدة تحمل على الاعتقاد بأن أيا من المراتب الحيوانية الكبرى ينحدر من غيره ، أن كل مرحلة لها وجودها المتميز

(١) انظر العلم أسرار وخفاياه مقدمة ج ٣ هارولد نابلي وزميلاه ، ت/الفندى وزميله ، مصر ١٩٧١ م

وراجع كتاب تاريخ العالم ، ج ١ فصل نظرية التطور

وراجع أيضا مصير الانسان ص ٣٢٣

(٢) موريسون كريسي : العلم يدعول لاي مان ص ١٤٧

(٣) مذهب النشوء والارتقاء ، ص ٢٣ ، منيرة على الفاياتى تقديم محمد

البيهى ، مصر ١٣٩٥ هـ

الناتج من عملية خلق خاصة متميزة ، لقد ظهر الانسان على الارض فجأة
وفي نفس الشكل الذي نراه عليه الآن " (١)

وهكذا رأينا أن انصار الداروينية ومحايديه اتفقوا على أن المذهب
لا يؤيده العلم الحديث وانما مجرد افتراض وتخمين ، مما يبدو جلياً
أن الملاحظة لم يمتنعوا هذا المذهب لأجل كونه من الحقائق العلمية
وانما اعتنقوه للتعصب ضد الكنيسة ولشهوة الالحاد والحرية المطلقة
والتخلص من نير الكنيسة .. هذا ما أشار اليه بعض أنصار الالحاد ..

ولقد كفانا السير آرثر كيت في اثبات هذه الحقيقة حيث يقول :

" ان نظرية النشوء لا زالت حتى الآن بدون براهين وستظل
كذلك والسبب الوحيد في أننا نؤمن بها هو أن البديل الوحيد الممكن
ليس هو الايمان بالخلق المباشر وهذا أمر غير وارد على الإطلاق " (٢)

وأيد في ذلك واطس فيقول :

" ان علماء الحيوان يؤمنون بالنشوء لا كنتيجة للملاحظة
أو الاختبار والاستدلال المنطقي ولكن لأن فكرة الخلق المباشر
بعيد عن التصور " (٣)

ويقول د . هـ سكوت : " ان نظرية النشوء جاءت لتبقى ولا يمكن
أن تتخلى عنها حتى لو أصبحت عملاً من أعمال الاعتقاد " (٤)
وبعد هذا نود أن تنتقل الى آراء بعض الاسلاميين في هذا
الموضوع .

مواقف مفكرين اسلاميين من الداروينية

ان الباحثين الاسلاميين في نظرية داروين لم يتفقوا على رأى واحد بل لهم آراء مختلفة .. ومن أهمها رأيان أساسيان :

أولهما : رأى يرفض هذه النظرية ، بدليل وجود تعارض بينهما وبين النصوص القرآنية المتعلقة بخلق آدم عليه السلام ..

وأما الرأى الثانى : لا يرى أى تعارض بينهما بدليل أن النصوص التى وردت في القرآن والتى تتعلق بخلق آدم ، نصوص غير صريحة يفهم منها الخلق المباشر والخلق المتميل على حد سواء ..

فاليك نموذجاً من أدلة كل من الفريقين :

أولاً :- الرأى المعارض :

أصحاب هذا الرأى وهم - الجمهور - يرون التناقض بين هذه النظرية وبين تعاليم الاسلام ..

فلندع الكلام للشيخ محمود شلتوت ليتكلم :

يقول : " ان نظرية التطور ، لم يدل عليها برهان ، ولم يشهد بصحتها حش أو تجربة " . وقد قرر الدين ، رفض كل الفروض التى من هذا القبيل فلا غرو اذن أن يرفض نظرية التطور ... " (١) ثم قال فضيلته :

ان نظرية التطور تخالف صريح القرآن لقوله تعالى :

■ لقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون ■ (٢)

هذا بالنسبة لجوهر النظرية ، وأما القوانين الأربعة التى أشار اليها داروين ، فيرى الأستاذ الدكتور المهندس (حسن زينو) الذى أخذ الدكتوراة في الجيولوجيا والتنقيب ، أن هذه القوانين باطلة لمعارضتها للنص القرآنى

(١) أنظر كتاب " الفتاوى " لفضيلة الشيخ محمود شلتوت صفحة ٣٦٩ وما بعدها

طبعة الادارة العامة للثقافة الاسلامية بالأزهر (جمادى الآخرة ١٣٧٩ هـ -

ديسمبر ١٩٥٩ م) .

(٢) سورة الحجر الآية : ٢٦

وبيان ذلك أن خلاصة القوانين الأربعة هي أن الطبيعة وهبت بعض الكائنات عوامل البقاء وهو هلات حفظ النوع • بإضافة أعضاء أو صفات جديدة تستطيع بواسطتها أن تتواءم مع الظروف الطارئة بدون أي تدخل خارجي •
 أن هذا - لا شك - ينفي (أولاً) تدخل الله في عملية التطور المزعوم • كما يدل على أن الكون يتخبط خبط عشواء بدون حكمة ولا غاية (ثانياً) وكما يلغى جميع التكاليف الربانية عن الإنسان (ثالثاً) لأنه جاء في هذه الدنيا عن طريق هذا التطور الأعشى ، ولم يخلقه خالق فكيف يعبدونها ؟ • ولما كانت القوانين والحالة هذه قال الدكتور (حسن زينو) :
 أن ذلك يتنافى مع قوله تعالى :

﴿ الذي أحسن كل شيء خلقه ﴾ (١)

﴿ قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾ (٢)

لأن الآيتين تدلان على أن الله تعالى خلق كل شيء على أتم وجه وسخر له كل الأعضاء والوسائل التي نمكنه من العيش في الوسط المقدور له • • وليس البيئة التي تكيف الكائنات الحية كما يدعي داروين ذلك • • (٣)

هذا ما أشار إليه الاستاذ ، فإذا جاز للملحد أن ينكر القرآن فلا يجوز لمسلم قرأتين الآيتين ثم يشك في بطلان هذه القوانين المصطنعة • •
 فالأية صريحة في أن الله تعالى قد أعطى كل مخلوق ما يحتاج إليه من أعضاء وهو في بطن أمه • •

(١٤)

فهو الذي جعل (الخلد) مثلاً ، يسكن تحت الأرض لكونه خلق دون عيني • •
 ولكن داروين يقول : لا ! • • أن سكناه تحت الأرض كان سبباً لمحوها ومحو أثرها • • لأنه لا يحتاج إلى عيني • •

أن هذا المثال البسيط يبين الفرق الأساسي بين الفكر الإلحادي

(١) سورة السجدة آية : ٧

(٢) سورة طه آية : ٥٠

(٣) التطور والانسان د • (حسن زينو) ص

وبين الايمان بالله تعالى .. ثم ضرب الاستاذ مثلا آخر وناقشه فقال :

" من حكمته البالغة أن جعل الأفعى تسلك في المسالك الضيقة لأنها خلقت دون أطراف فهيأ الله لها هذه الأماكن لمناسبة حالها .. وأما داروين وأعوانه يقولون : لا ! ان المسالك الضيقة هي التي صيرتها دون أعضاء ..

فأضاف قائلا : ان كان جسد الأفعى صار أمسا من ضيق المسالك فأى ضيق في الماء جعل ديدان الماء أمسا ؟

ولم لم تنبت للسمك أيدى وأرجل طوال ؟

ولماذا لم يكن جسد من يسكن الأرض كالخرباء والفأر والنمل والقنفذ وما أشبهه كجسد الأفعى أمسا ؟

هذا ما قاله الدكتور من أن هذه القوانين التي اخترعها داروين « قوانين باطلة لا يؤيده الواقع الملموس ولا يؤيده النقل الصحيح بل لا يؤيده العلم الحديث فلذلك قال :

" قد تبين من دراسة علم الوراثة أن الهيكل الأساسي للكائن الحي ليس سببه العوامل الخارجية وإنما من أصل ذاتي حسب اقتران الصفيحات (١٥) والناسلات لكل نوع وحده " (١)

من العلماء الذين عارضوا مذهب داروين الشيخ (سعيد صوى) في كتابه " القيم والله جل جلاله " قال :

" وقد ذكرنا هذه المقدمات ، لأن دارس ظاهرة الحياة لا بد أن يطالبنا بتوضيح الرأي الصحيح في نظرية التطور ، كنظرية تحليل تنوعات الأحياء ، وظهور الإنسان ، واليك ما نقول في هذا الموضوع :

(١) يراجع كتاب التطور والانسان د . حسن زينو ص :

(١) - ان القول بأن انساننا الحالي الذى أتى من أب واحد • وأم واحدة

كان متحدرا من قرد خطأ ، لا شك فيه ولا ريب ، نقول هذا بلغة العلم
ولغة القرآن ، ولا يتناقضان : (١)

أما بلغة القرآن فلأن الله تعالى يقول : • ان مثل عيسى عند الله كمثل
آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون • (٢)

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : • ان الله عز وجل ، خلق آدم من
قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، فجاء منهم
الأحمر والأسود وبين ذلك ، والسمر والحزن ، والطيب والخبيث • قال
الترمذى : حديث حسن صحيح •

وقال عليه السلام : • لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح • عاىس ، فقال :
الحمد لله ، فحمد الله بأذنه ، فقال له ربه : رحمك الله يا آدم ، اذهب
الى أولئك الملائكة - الى ملائمتهم جلوس - فقل : السلام عليكم
فقالوا : وعليك السلام ورحمة الله ، ثم رجع الى ربه فقال : ان هذه
تحيتك وتحية بنيك بينهم • •

وأما بلغة العلم :

ان التاريخ كله ، كل سفر فيه ، وكل حجر من أحجاره ، وكل رواية يتناقلها
الآبناء عن الآباء تذكر أن أبا البشر آدم •

(٢) - الفوارق الكبيرة بين الانسان والقرد أو أى حيوان آخر ، تثبت
أنه لا صلة توالدية بين الانسان الحالي وأى حيوان ، هذه الفوارق التى تبدأ من
الناحية الجسمية وتنتهى عند الأخلاق وبين ذلك الفكر والعلم والارادة
... الخ

(١) الله جل جلاله ، سعيد صوى ص ٤٩ - ٥٠

(٢) سورة آل عمران آية : ٥٩

ثم قل :

" وهذه القضية هي التي جعلت حتى بعض أنصار داروين " كوالدس " يقول : (ان الارتقاء بالانتخاب الطبيعي لا يصدق على الانسان ولا بدا من القول بخلقه رأساً) .

وقال " فرخو " : (انه يشبه لنا من الواقع أن بين الانسان والقرود قرناً بعيداً ، فلا يمكننا أن نحكم بأن الانسان من سلالة قرود أو غيره من البهائم ، ولا يحسن أن نتفوه بذلك) .

(٣) - ان اكتشاف الكرسومات (الصبغيات) وهي العامل في انتقال الصفات الوراثية ، جعلت العلماء يتخرجون بادعاء ، أن الانسان منحدر من قرود ، وذلك أن هذه المرمى الملونة ، لها عدد ثابت في كل نوع من انسان أو حيوان حيث بها يختلف النوع ويتميز الجنس (١) .

وبعد هذا التقرير الواضح يقول :

" واذا كان العلم والقرآن يقولان بما أسلفنا ، فلا كلام لغيرهما بل ولو شك العلم وقال القرآن ، لما كان عاقل الا مع القرآن ، وذلك لأن الله الذي خلق الانسان ، أعلم به كيف خلق . . .

* ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم * (٢)

■ ■ ■

وأما الاستاذ (محمد قطب) يرى أن النظرية تتعارض مع الاسلام من ناحية الایحاءات . . . فانها توحى الى عدة أشياء لا تتفق مع ديننا الحنيف .

(١) المرجع السابق ص ٥٠

(٢) سورة الكهف آية : ٥١

منها الايحاء الى مادية الانسان وحيوانيته : (١)

وقد أجمع الداروينيون على الانسان انه حيوان مادي لا فرق بينه وبين
أى حيوان آخر .. مثل البراغيث والفيران والضفادع فهذا جوليان هكسلى
يقول :

" من المسلم به أن الانسان في الوقت الحاضر سيد المخلوقات ولكن قد
تحل محله القطعة أو الفار " (٢)

ومن هنا الايحاء الى نفي تدخل الله في الخلق .. وقد رأينا سابقا أن داروين
قال :

" ان تفسير النشوء والارتقاء بتدخل الله ، هو بمثابة ادخال عنصر خارق
للطبيعة في وضع ميكانيكى بحث " (٣)
منها الايحاء الى نفي الغاية والقصد .

توطئة :

ان من الحقائق التي اتفقت عليها الأديان السماوية وآمنت بها العقول
السليمة وتدركه الفطر السليمة ، أن للوجود الانساني على الأرض غاية مقصودة
أرادها خالقها .

فكل ذرة من ذرات هذا الكون المادي تشهد بذلك . بل ان كل الكرون
أوبروتون شاهدة على ذلك ..

فلذا نجد رسالات الله ، لم تأت لاثبات هذه الحقيقة بل للتذكير بها
وايضاح ما قد يخفى منها على العقول ..

يقول تعالى : ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا ، وأنكم ألينا لا ترجعون ﴾ (٤)
فلذلك كان الفلاسفة القدامى ركزوا جهودهم على الخوض في الملل الخائفة
للأشياء ليجنوا عليها نظرياتهم الفلسفية عن الكون والحياة ..

■ ■ ■

(١) التطور والثبات في حياة البشرية محمد قطب ص ٤٩

(٢) معركة تقاليد ، محمد قطب ، ص ٥٢

(٣) التطور والثبات ■ محمد قطب ص ٤٩

(٤) سورة المؤمنون آية : ١١٥

فلما ظهرت نظرية التطور العضو الدرويني ، وادت بأن الانسان
وليد سلسلة طويلة من التطورات المتعاقبة ، بدأت من جرثومة في مستنقع
آسن وانتهت في خط سيرها المتخبط الى صورته الراهنة ^(١) ، لم يصد
هناك ما يدعو الى التفكير في الغاية من خلق الانسان ..

فلذا قال داروين : " ان الطبيعة تخبط خبط عشواء " ..

أى ليس هناك قصد ولا غاية ولا حكمة للوجود الانساني ومن العبث
أن نبحث عن غاية مرسومة وهدف مقصود لعملية الخلق " ..

ويشهد الفيلسوف الملحد (برتراند رسل) بالأثر الدارويني في هذه

الحقيقة ، اذ يقول :

" بالرغم من أنه لا يزال في امكان الفيلسوف أو عالم اللاهوت أن يقول ان لكل
شيء غرضاً ظاهراً أن الفرض ليس فكرة نافعة حين نبحث في القوانين العلمية ،
وقد قيل في الاثناجيل ان القمر قد خلق لتنير بالليل ولكن العلماء مهما كانوا
متدنيين لا يمتثلون ذلك ايضاحاً علمياً لأصل القمر ولقد كان عمل داروين
فاصلاً بهذه المناسبة .. فالذى فعله جاليلو ونيوتن من أجل علم الحياة " ..
" ان الذى جعل من الممكن تفسير التكيف دون الكلام عن الفرض لم يكن
حقيقة التطور بل كان الميكانيكية الداروينية كما تتضح من تنازع البقاء وبقاء
الأصلح فالاختلاف الاعتباري واختيار الطبيعة لا يستخدمان الا الملل
الصورية " (٢)

هكذا رأينا الداروينيين قد اتفقوا على نفي الغاية والقصد لخلق الانسان ..
ان هذا بدون أى شك مما يتعارض مع تعاليم الاسلام المبنية على نفي العبث
عن الخلق والخالق ..

نحن لا نناقشهم أكثر مما نقول ..

(١) خلق الانسان بين الطب والقرآن د . محمد على البار ص ١٠

(٢) أثر العلم في المجتمع ، برتراند رسل ، ت/ تمام حسان ، مصر ص ١٢ ١٣٦

إذا لم تر مصانع تصدر الدائرات بدون قصد وغاية فكيف نسلم بأن هذا

الخلق ليس لها قصد ولا غاية :

* فأنها لا تسمى الأَبصار ولكن تسمى القلوب التي في الصدور * (١)

ان هذا الأيحاء (يعنى نفي القصد والغاية عن الخلق) أصبح منتشرا

في جميع العلم الغربية .. لذا أهملت فكرة (الغائية) ، بعد ظهور الداروينية ،

في البحوث العلمية الحديثة ، من علم الطب والفلك والجيولوجيا والاحياء

وسائر العلم .

ومنها الأيحاء الى (الصدفة العمياء) :

فقد أوجت هذه الفكرة الى اعتناق فكرة الحادية هزلية لا قيمة لها ولا وزن

في حساب العلم .. تلك هي فكرة المصادفة العمياء ..

ولولم يكن هناك ايحاء آخر غير هذا الأيحاء لكان كافيا للمسلم أن يرد

هذه النظرية الملحدة ..

لأن كل تفسير للتاريخ الانساني وللتطور الاجتماعي ، يفتل ارادة الله

وقدره وتدخله المباشر في حياة البشرية ، هو تفسير قاصر ، لا يفسر حقائق

الوجود ، بل هو تخمينات وظنون ، لا سند لها من علم ولا برهان . قال

تعالى :

* ان يتبعون الا الظن ، وان الظن لا يغنى من الحق شيئا * (٢)

ومنها الأيحاء الى ترك عبادة الله تعالى :

ولقد صارت هذه النظرية سببا مباشرا لصد الناس عن الاستماع لوصي الله

عز وجل . لأنها توحي بأن الله لم يخلقهم وانما جاءوا على الأرض نتيجة من

التطور الحيواني الأصم .. وبهذا أنكر الملاحدة الرسالات والرسول أصلا بل

(١) سورة الحج آية : ٤٦

(٢) سورة النجم آية : ٢٨

لجسوا في غيبها الى انكار وجود الله وعرضوا عن جميع الآيات الدالة على الاله .

* وان يروا سبيل النقي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين * (١)

آثار الداروينية في الحياة الأوربية

ولقد كانت النتيجة المنطقية لا نتصار الداروينية على المسيحية ، أن عمت فوضى في عقائد الناس في المجتمعات الأوربية وانتقلت منها الى بقاع الأرض الأخرى وصارت أفكارهم خاضعة للمادية والحيوانية . وتخلت جموع عقبرة عن ايمانها بالله تخليا كاملا أو شبه كامل وطفست على الحياة الأوربية الأفكار الالحادية الغريبة ..

ولئن بقى في الغرب أثاره من دين وسط التيار المادى العارم .. فذنيها " غلالة " رقيقة لا نحسب أنها تصمد طويلا .. ودليل ذلك احصائيات كثيرة .. ودليله كذلك لجوء رجال الدين في الولايات المتحدة من أجل ترويح بضاعتهم الى وسائل لا تتفق أبدا مع الدين .. وهو ما يحدث من دعوتهم الشباب من الجنسين عقب الصلوات الى حفلات راقصة .. تخفف فيها الأنوار وتتلاصق الأجساد .. وتنطلق الأنغام خافتة حالمة .. توقظ الرغبة .. وتشمل الشهوة .. (٢)

هذا هو مصير المسيحية بعد ظهور هذه النظرية .. وتلك هي آثارها المدمرة .. حتى أصبح الشيطان هو المعبود في أوربا أولا وفي الأرض ثانيا .. ان دعاة المادية الملحدة قد أوهمو الناس أن الانسان حين يلقى عنه عبادة الله

(١) سورة الاعراف آية : ١٤٦

(٢) أساليب الغزو الفكرى . د . على محمد جريشة ، ومحمد شريف ز يسبق ص ٨

سيصبح سيد نفسه ، ويصبح هو (الله) ! يقول أحد كتبيهم الملحدين -
وهو جوليان هكسلى - فى كتاب " الانسان فى العالم الحديث " :
" لقد تعلم الانسان وأصبح مسيطرا على البيئة ولم يعد جاهلا بالكون
ولا عاجزا عن السيطرة على طاقته كما كان من قبل ومن ثم فقد آن للانسان أن
يأخذ على عاتق نفسه ما كان يلقبه من قبل فى عصر الجاهل والمجمر - على
عاتق الله ، ويصبح هو " الله " (١) ! وهذا مصداق قوله تعالى !
* كلا ان الانسان ليطغى ، أن رآه استغنى * (٢)

* * *

انطلاقا من هذا التفكير الشارد صار الناس فى أوروبا عبيدا للطفاة بصورة
لم يشهدها التاريخ سواء طفاة الرأسمالية فى الغرب أو طفاة الشيوعية فى
الشرق ..

عبدت أوروبا الشيطان بطرق متعددة :

عبدته عن طريق عبادة الطبيعة ...
يقول داروين ، نبي هذه العبادة :
" ان الطبيعة تخلق كل شئ ولا حد لقدرتها على الخلق " .
وعبدته أيضا عن طريق عبادة الانسان .. وقد رأينا الفيلسوف اليهودى
نيشة قائلا : ان الاله قد مات وأن الانسان الأعلى (سوبرمان) ينبغى أن
يحل محله ..

وعبدته عن طريق عبادة المادة .. وكان نبيها يهوديا أيضا وهو كارل ماركس
الديانة التى تدين بها اليوم الملايين من البشر .. فى الاتحاد السوفيتى وما
حولها ..

(١) مقرر علم التوحيد ، وزارة المعارف فى المملكة العربية السعودية للصف الثالث
الثانوى ص ٣

(٢) سورة الملق آية : ٦ - ٧

كما عبدته أيضا عن طريق عبادة " الجنس " .. وكان لليهودى فرويد
هو بطل هذه المباد ..

وعبدته مرة أخرى عن طريق عبادة المجتمع التى دعى اليها الملحد
دور كايسم ..

وهكذا نجد أن نظرية التطور أسهمت اسهاما عظيما فى هدم العقيدة الدينية
وابعادها عن الحياة الاجتماعية كلها ..

وعبدته عن طريق عبادة الآلة .. هى التى تحركهم وتسيرهم وتكيف أفكارهم
ومشاعرهم . وصار الناس عبيدا للشهوات تملكهم ولا يملكونها .. وتدمر حياتهم
ولا يستطيعون استنقاذ أنفسهم منها .. سواء شهوة الجنس أو الخمر أو المال
أو السلطان ..

وبعبارة موجزة أصبح الانسان - فى ظل هذه النظرية - عبدا للشيطان ..
ولأجل هذا كله قال علمائنا - كما سبق - أن هذه النظرية كما تصادم
النصوص القرآنية ، تصادم ايحاءاتها الفطرية الانسانية أيضا . والدليل على ذلك
انفماس أوروبا فى هذه الشهوات المدمرة التى ذهبت بكرامة الانسان وعزته
ورفحته وحرية ..

بل يكفى دللا على ذلك فساد أخلاق الناس فى أوروبا . والعزلة الفردية
والأنانية التى يمشون بها . وغلبة المنافع المادية عليهم - أفرادا وشعوبا ،
أودولا أو تكتلات - ولو خالفوا فى سبيل ذلك للوصول اليها كل القيم
والمبادئ والأخلاق . وخذ مثلا - قضايا الاستعمار والتمييز المنصرى نماذج
للأخلاق المعاصرة المنبثقة عن التطور الحيوانى .

وخذ كذلك قضية فلسطين التى أصبحت بين المستعمرين تارة نسمع هناك
مبادرة أمريكية ، وطورل نسمع مبادرة أوربية ومرة أخرى نسمع دورا سوفيتيا .
وهكذا دواليك .

فمرجع كل هذه الأخلاق الثعلبية . حيوانية الانسانية وماديتها ...
اللذان توحى اليهما هذه النظرية .

وأما أحوال الانسان الأوربي فيبقى شاهدا عليها الاضطرابات النفسية
والعصبية والجنون والقلق والانتحار، ومحاولة الهروب من الواقع بالادمان على
المسكرات والمخدرات .

ويبقى شاهدا عليها معدل انتشار الجريمة وهو معدل يتزايد باستمرار .
وسوف نتحدث عنه في الباب الذي سنمقده تحت عنوان آثار الالحاد في
أوروبا الحديثة . .

ويبقى شاهدا عليها الظلم السياسي والاقتصادي والاجتماعي الواقع على
جمهرة أهل الأرض تحت أسماء براقة من الديمقراطية والاشتراكية والمعادلة
والحرية والاخاء والمساواة . . .

تلك هي بعض نتائج المذهب التطوري الذي أبعد الناس عن عبادة الله
وهذه هي جناية النظرية المادية التي رجع بها الانسان الى الحضيض لافرق
بينه وبين أي بموض أو أي حشرات . بل سيصبح حسب هذه النظرية
جرادا منتشرا وتصبح الجراد أصحاب القوانين الدولية وملاك البنوك وأصحاب
البرلمانات والندوات . .

وأخيرا يقول الملحد جوليان هكسلي الكلمة الختامية لنظرية داروين،
تصور لنا مدى الانحطاط الذي بلغ اليه الانسان بعد هذه النظرية وهو يقول:
" بعد نظرية داروين لم يعد الانسان يستطيع تجنب اعتبار نفسه حيوانا (١) ."
وداروين لم يكتف بأن جعل بين الانسان وبين القردة أخوة، بل زعم أن
الجَدَّ الأُصْلَى لآدم هو (أميبا) جرثومة صغيرة كانت - بعد ما سقطت من بعض
الكواكب - تعيش في طين المستنقعات التي تتصاعد منها الفازات الكبريحية
الرائحة، وذلك قبل ملايين السنين . . على حد زعمهم . .

* * *

ان الأمانة العلمية تقتضينا أن نقول ان داروين لم يصدر أحكاما مستقلة على الانسان • ولكن احياءات النظرية - كما قلنا توحى الى هذه النتائج المدمرة •

ثم الذين جاؤا من بعده زادوا الدمار بلة • •
 ذلك أنهم تلقوا النظرية أصلا بدوافع مفرضة ووجهوها لتخدم أهدافا خفية • • كانوا - ولا يزالون - ينفثون أفكارهم الهدامة التي تنظر للانسان على أنه حيوان وتحدد مطالبه بمطالب الحيوان وتدرسه كما تدرس الحيوان • •
 فالانسان في نظر الداروينية - لم يتطور مختارا بل كان تطوره مظهرا لخضوعه المطلق للبيئة الطبيعية أى لعوامل خارجية حتمية • •
 ومن تأمل في مقالاتهم يجد أن الحيوانية والمادية ليستا هما الأثر الدارويني الذي أحط كرامة الانسان ولكن الداروينية تقول ان (آدم) الانسان الأول - بعد ما أن تطور من الجرثومة الصغيرة ، فالنبات فالحيوانية ثم القرد ، قد كان (لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم)^(١) •
 وتقول أيضا أن العوامل الطبيعية وحدها صانعة التطور ، والانسان ما هو الا مرآة تنعكس عليها تقلبات الطبيعة المفاجئة وتخبطاتها غير المنهجية • •
 وعليه نستطيع أن نقول : ان فكرة التطور في ذاتها أوحى بحيوانية الانسان بينما أوحى تفسير العملية التي سار عليها التطور بماديته • •
 وقد ظهرت آثار هذه الايحاءات جليا في الدراسات الاجتماعية والنفسية التي تناولت موضوع الانسان •
 ومن أبرز الأمثلة على الأفكار التي استمدت من الداروينية : النظرية الشيوعية والنظرية الاجتماعية والنظرية النفسية • • •
 اليك شرحا موجزا لكل واحد منها • •

(١) الاسلام ونظرية داروين ، أحمد باشمیل ص ١٢

ان اليهودى (كارل ماركس) - قبحه الله - استمد من هذه النظرية فكرة حيوانية الانسان وماديته ، فبنى على ذلك المذهب الشيوعى الملمون وحدد فى البيان الشيوعى المطالب الرئيسية للانسان الشيوعى بالغذاء والسكن والجنس ...

ثم لم يكتف بذلك بل جعل المادة أصلاً لكل شىء . وفسر التاريخ الانسانى تفسيراً مادياً . . . فيرى ان القوة المادية أو القوى الاقتصادية هى التى تكيف الحياة البشرية وتحاطبها طابعها وتنشئ أفكارها ومفاهيمها وعقائدها حسب درجتها من التطور . . . فاذا انتقلت البشرية من طور الى طور بحكم قوة التطور الدائمة المفروضة على الانسان من خارج نفسه ، والتى لا علاقة لها بإرادته الذاتية . . . فان صورة الحياة تتغير ومشاعر الناس تتغير وأفكارهم ومفاهيمهم وعقائدهم تتغير وتتغير كل شىء فى المجتمع من أخلاق وعادات وتقاليد تغيراً حتمياً " (١)

وكتب ماركس فى هذا الموضوع ما يلى :

" ليس الادراك هو الذى يحدد معيشتهم بل على العكس من ذلك ان معيشتهم الاجتماعية هى التى تحدد ادراكهم " . (٢)

واما ستالين يصح بالتصريحات التالية :

" يجب البحث عن منشأ حياة المجتمع العقلية ، وعن أصل الأفكار والنظريات الاجتماعية ، والآراء السياسية والأوضاع السياسية . . . لا فى الأفكار والنظريات ، ولا فى الآراء ، والأوضاع السياسية نفسها ، بل فى شروط الحياة المادية للمجتمع فى الوجود الاجتماعى الذى تكون هذه الأفكار والنظريات والآراء وما إليها انعكاساً له . . . " (٣)

(١) معركة التقاليد محمد قطب ص ١٨

(٢) كارل ماركس ، مساهمة فى نقد الاقتصاد السياسى - المقدمة - عن ستالين المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية ص ٣٧

(٣) المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية ، ستالين ص ٢٧

ولذلك فقد تطورت المحبة الاجتماعية وتدرجت من طور الى طور وذلك
وفقا لتغير وتطور أدوات الانتاج ، حيث مر المجتمع البشرى - كما قلنا - فى
خمسة ادوار وهى على التوالى :

المشاعبة البدائية (الشيوعية الاولى) ونظام الرق ، والاقطاعية والرأسمالية
فالشيوعية (١) .

هذا بعض ما جنته هذه الفكرة الداروينية الملحدة . وهذا ما قام به هذا
البيهودى لتوسيع الهوة بين الدين وفكرة التطور . فأسسوا أول دولة
الحادية محضة تحارب الدين علنا - وتعادى كل متدين ومو من . وحذفوا
أسماء الأنبياء والرسل من قواميس التاريخ الانسانى - فقالوا . ان تاريخ
الانسان كله تاريخ البحث عن الطعام . (٢)

هذا ما أكده أنجلس فيلسوف الشيوعية بقوله :

" وهكذا برهنت العلوم الطبيعية ^{أن} تعمل فى النتيجة بصورة دياكتيكية ،
لا بصورة ميتافيزيقية ، وأنها تتحرك فى دائرة تبقى هى ذاتها دائما وتتكرر
الى الأبد . بل ان لها تاريخا واقعا . وبهذه المناسبة ينبغى أن نذكر
بالدرجة الأولى (داروين) الذى وجه ضربة قاسية الى الفهم الميتافيزيقى
للطبيعة باثباته أن العالم المضوى بأسره ، كما هو موجود اليوم . أى أن
النباتات والحيوانات . وبالتالي الانسان أيضا هو كله نتاج يجرى من
ملايين السنين " (٣)

وبهذه التصريحات من قمة الشيوعية . ندرك مدى خطورة هذه النظرية
الداروينية .

(١) راجع ل . سينغال . لمحة عن تطور المجتمع منذ بدء التاريخ - المكتبة الاشتراكية
دار دمشق ص ١٢

(٢) أصول الفلسفة الماركسية ، جورج بوليتزر ، مى بيبسى موريس كافين
ج ٢ ص ٥٨

(٣) ضد دوهرنغ - دياكتيك الطبيعة ، كارل ماركس وفردريك أنجلس ص ٢ .
موسكو الطبعة الألمانية ١٩٣٥ م

اليهودى دوركايم ونظرية داروين

أما اليهودى (دوركايم) صاحب المذهب الاجتماعى ، خرج للناس بفكرة فريدة • يرى هذا الملحد ان الانسان حيوان خاضع لجبرية اجتماعية أوقهر اجتماعى يفرض عليه العقل الجماعى وسى هذه الخرافة (بالعقل الجمعى) • هذا ما فعلته نظرية داروين بهذا اليهودى حتى/التدين/فطريا فسى ^{قال ان لم يكن} الانسان وانما ينتج من العقل الجمعى الذى هو في خارج نطاق الفرد ••

اليهودى فرويد ونظرية داروين

أما فرويد فلم يأخذ من الداروينية الجانب التطورى ، وانما أخذ عندها حيوانية الانسان في تفسير السلوك الانسانى • فهو يرى أن الدافع الجنسى هو دافعه الوحيد ، فالمولود يرضع ثدى أمه بدافع جنسى ويتبرز بدافع جنسى ويظل يعامل مع الآخرين بناء على هذا الدافع وحده • (٢) والدين والاخلاق والمثل العليا كلها تابعة من هذا الدافع الجنسى أيضا •• وهكذا صار الانسان عند فرويد ليس حيوانا فحسب بل هو حيوان جنسى •• وراء كل حركة منه شهوة جنسية ظاهرة أو خفية : ويقول ان الكب وعقدة أوديب هما مصدر الدين ، وليس فطريا فى الكيان الانسانى • (٣)

-
- (١) قواعد المنهج فى علم الاجتماع ، تأليف اميل دوركايم ترجمة الدكتور محمود قاسم ومراجعة الدكتور السيد محمد بدوى مقدمة الطبعة الثانية ص ٤٢ و ٢٢٢
- (٢) انظر الموجز فى التحليل النفسى لفرويد • ٢٢ - ٣٤
- راجع أيضا الانسان بين المادية والاسلام ص ٥١ محمد قطب
- راجع أيضا كتاب (Totem And Taboo) ص ١٤٥ لفرويد
- نقلا عن كتاب التطور والثبات فى حياة البشرية ، محمد قطب ص ٤٩
- (٣) دراسات فى النفس الانسانية ، محمد قطب ص ٢٢٥

تلك هي بعض احياءات هذه النظرية .. التي جردت الانسان من كل
مثل أخلاقية وجعلته تابعا ذليلا لشهواته فقط .. فلاشك أن هذه الاحياءات
التي تحط من كرامة الانسان تتعارض مع قوله تعالى :

* ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات
وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلا *

اننا لا نناقشهم/ ^{هنا} انما نريد فقط أن نثبت أن احياءات التطور قد شملت
جميع الأفكار الأوربية : في الاقتصاد والاجتماع وعلم النفس . بل وجميع
علومهم ..

ولم يكتفوا بهذه المجالات بالتطور العضوي بل يرون أن كل شيء في
الدنيا يتطور مثل العقائد والقيم والبيادى والأخلاق وما لا يقبل التطور
بذاته يجب أن يطور بالقوة ..

وهذه بعض أدلة هؤلاء العلماء الفضلاء في رفض هذه النظرية
وهناك أدلة كثيرة كلها تؤكّد أن هذه النظرية تتعارض مع ديننا الحنيف ..
ولكن ما ذكرناه هنا فيه الكفاية لاثبات وجهة نظرهم في هذه النظرية ..
وبعد هذا يحسن بنا أن نقدم صورة ولو صفرة عن وجهة نظر الفريق
الثاني : وهم الذين يرون أن هذا المذهب التطوري لا يتعارض مع الاسلام ..

ثانيا - الرأى المؤيد :

وقد أشرنا في مطلع هذا الفصل الى أن هناك رأيين للباحثين الاسلاميين حول نظرية داروين ، وقلنا هناك ان الرأى الأول ، يعارض هذه النظرية ويقول بعدم موافقتها مع القرآن ، وقد تحدثنا عنه طويلا . . .
والآن نريد أن نتحدث عن الرأى الثانى القائل بوجود ملائمة بينهما وبين الاسلام : واليك بعض آرائهم فيها :

يقول الشيخ محمد رضا آل الملامسة التقى الاصفهاني فيما نقله عنه الأستاذ محمود العقاد وهذا نصه :

" ان فلسفة التثوي والارتقاء ليست مما ينافى الدين ، ان الذى يجب علينا اعتقاده ، هو أن جميع الموجودات بأراضيها وسماواتها وما فيها من صنوف المخلوقات صنع اله واحد قادر حكيم وسع كل شئ ، علما ، واتقنه صنعا ، خلق جميع الأنواع عن قصد واختيار . وهذا أمر متفق عليه فى جميع الأديان . . . وأما كيفية الخلق ، وأن هذه الأنواع كلها خلقت خلقا مستقلا ووجدت من كتم المدم ابتداء ، وأنها لم تتغير عما وجدت عليه في أوائل الخلق . . . ففي هذا لم يرد فيه نص من الكتاب ولا متواتر من السنة . (١)

هذا ما صح به هذا الشيخ . فلننتقل الى شيخ آخر من الشيخ الذين يريدون التوفيق بين مذهب داروين وبين القرآن العظيم . . .
وأما الأستاذ محمد فريد وجدى يؤيد ما قاله الاصفهاني ويؤيد على ما قال بقوله :

" ان هؤلاء الناس الذين يعادون قوانين مذهب داروين كله لا أجل نتيجته . لا يدرون أنه قد أقام أقوى البراهين الحجة على حقائق قرآنية ، كان الضريبون لولاه يتوهمون أنها جهاتنا الضعيفة التي يبرهنون بها على عدم حقيقة ديننا " (٢)

(١) أنظر الانسان فى القرآن الكريم ، عباس محمود العقاد ، طبعة دار الهلال ص ١٠٦

(٢) الدين والعلم الحديث . ابراهيم عبد الباقي ص ٢٥-٢٦

وأما الشيخ نديم الجسر ، كانت نتائج بحوثه في هذه النظرية ، أن ترك في قلب السذج وضماع القلوب شكوكا فاقت حجة الوصف . يرى أن موقف المسلم من هذه النظرية التوقف وعدم الجزم بالخلق المباشر الذي ورد في القرآن ولا بالخلق المتميل التطوري . فلندعه يعبر عما في قلبه :

” ... نعم ليس في تلك النصوص صراحة بأن الله خلق الانسان الأول من تراب (دفعة واحدة) أو يتكون (متميل) على انفراده .. فسبيل هذا عندنا التوقف وعدم الجزم بأحد الأمرين .. وان كان قد يظهر من بعض النصوص الاحادية أن تكون الانسان الأول وهو (آدم) كان يتميل ومرت عليه مدة من الزمان ، ولكن ظواهر النصوص التي عليها مدار الاعتقاد تدل على الخلق المستقل . ولا يجوز تأويل هذه النصوص ، وصرفها عن معناها الظاهر ، الا اذا قام الدليل العقلي القاطع على مذهب النشوء وعندما تقوم الدلائل العقلية القاطعة على وجود الانسان بطريق النشوء يمكن تأويل هذه النصوص ، والتوفيق بينهما وبين ما قام عليه الدليل القاطع ولا ينافي في ذلك اعتقاد المسلمين في شيء ، ما دام الأصل عندهم ان الله تعالى هو خالق الانسان فـ في كل حال .. (١)

ونجد الأستاذ محمود المقاد يقول ما يلي :

” عاش (داروين) بقية حياته مؤمنا بأن مذهب لا يقتضي من العقل أن ينفي وجود الله ، ولا أن يمس عقائد المؤمنين بوجوده وأن الايمان بأى ديانة من الديانات لا يتوقف على الفصل في قضية التطور الى الرفض أو الى القبول .. ”

وهو صريح في أن داروين عاش مؤمنا بالله تعالى ، كما أن مذهب لا يتعارض مع الديانات .. ولكن سوف نوضح أن داروين مات وهو ملحد كافر ..

وهذه هي أهم ما يقوله المؤمنون في نظرية داروين ، والآن نسود
أن نقف على أهم فقرات هذه التقارير لنبدى فيها رأينا ...

■ ■ ■

ان المتأمل في هذه الأقوال يصل الى النتائج التالية :

أولاً :- قولهم ان النصوص التي تتعلق بخلق آدم في القرآن غير صريحة
في الخلق المباشر ..

ثانياً :- قولهم ان النظرية أثبتت حقائق قرآنية ، لولاها لانكرها الملاحدة ..

ثالثاً :- قولهم ان داروين عاش مؤمناً بالله تعالى ..

الحقيقة ان هؤلاء العلماء الأجلاء ، لا يوجد أحد اطلع على آثارهم
الملمية . ثم / في سمو التفكير ودقة التعبير والدفاع عن بيضة
الدين الاسلامي ، من الذي لا يعترف بجهود الأستاذ (محمود الحقاد) ؟
والشيخ (نديم الجسر) مفتي طرابلس ؟ وكذلك الاصفهاني ؟ وأما
الأستاذ محمد فريد وجدي غني عن التعريف ويكفيه شهرة كتابه المشهور
(دائرة معارف القرن العشرين) .

الا أن الحكمة هي ضالة المؤمن .. فمن هذه الحبيثة نود أن نقف
قلبلاً على هذه النتائج الثلاثة التي توحى اليها تصريحاً تبهم ..

النتيجة الأولى : قولهم بأن النصوص التي وردت في القرآن أو السنة
غير صريحة لا نوافقهم على ذلك ولا نؤيدهم أبداً . وذلك بأدلة من
القرآن والسنة .

أولاً - أدلة من القرآن :

نحن نتحدى أي قائل يقول بأن النصوص القرآنية لا تدل على الخلق المباشر ،
ونقول لهم ان هناك مئات الآيات الدالة على الخلق المباشر ولكننا نختار

لكم الآيات التالية :

يقول تعالى : ﴿ وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ . فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا . ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان (مشتبها وغير متشابه) أنظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه . ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان (متشابها وغير متشابه) كلوا من ثمره اذا أثمر وأتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المرففين ﴾ (٢)

هاتان الآيتان هما المحين الذى لا ينضب . الذى منه تستقى كل العلم

وترتوى ^{١٦} (١٦) ^{١٧} (١٧)

ثمرتا الشمس والدراق ، أليستا متشابهتين ؟ ولنقل نصفهما عادة فى فصيلة واحدة . وليست كلتاها من أصل واحد وهو ماء السماء ؟

انهما تشبهان أن تكونا شيئا واحدا فى الشكل أو الأصل . كذلك النحلة والدبور . . . أليس يشبهان فى الفصيلة والشكل والأعضاء وشئ من نظام الحياة الخ . . . ولكنهما كذلك غير متشابهين فى الكثير الكثير . . .

وهناك وقع داروين وأعوانه فى هذا الخطأ الفاحش . . . انهم لما رأوا هذا التشابه بين بعض المخلوقات قالوا : ان أصل الأنواع واحد لا جل تشابه بعضها ببعض ولكن الله الحكيم الذى يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ترك لنا - معشر المؤمنين - هذه الآيات الناطقات عن أصل الكون وهو الماء . لكى نرد مزاعم الملاحدة فى كل زمان ومكان القائلين أن هذا الكائن الحى تطور من ذاك الكائن . . .

ومن تلك الآيات قوله تعالى : ﴿ وجعلنا كل شئ حى من الماء أفلا يؤمنون ﴾ (٣)

(١) سورة الأنعام آية : ٩٩

(٢) = = = ١٤١ :

(٣)

لقد ألمقت هذه الآيات الضوء للكاشف على حقائق العلم وأثبتت
أن المخلوقات كل منها خلقها الله وحدها ولم تنشأ من مخلوقات أخرى
 غيرها ..

ان أصل الكائنات وهو (الماء) واحد ، مهما تعددت وتنوعت وأفرطت في
 الاشتباه ، لكنها تبقى دائما غير متشابهة ..

ما أظلم هذه الصيغة (متشابهة وغير متشابهة) .. لو تأملها علماءنا
 الذين يريدون أن يجعلوا القرآن ملحقا للنظرية الداروينية ؟ ؟
إنها القاعدة الحقة في معرفة أصل الأنواع ، وليست هذه الفروض
 والتخمينات الداروينية ..

صنوان وغير صنوان

ينص القرآن المجيد أن المخلوقات ، لم ينشأ بعضها عن بعض وإنما خلقها
 الله تعالى لنفسها خلقا مستقلا لا تتطور فيه لا في الماضي السحيق ولا في
 المستقبل البعيد ..

في هذا يقول تعالى :

* وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل ، صنوان
 وغير صنوان يسقى بماء واحد ، ونفضل بعضها على بعض في الأكل ان في
 ذلك لآيات لقوم يعقلون * (١)

يا ليت علمائنا القائلين بالتطور المعنوي ، تأملوا في قوله تعالى :

* صنوان وغير صنوان .. وقوله تعالى : يسقى بماء واحد * وقوله

تعالى : ونفضل بعضها على بعض في الأكل *

لو تأملوا فيها : لعرفوا أن الآية صريحة في الخلق المباشر ولرجعوا عن

قولهم ذلك ..

فالأية تشير بوضوح الى أن الصنوان الذى معنله ، الأصل المجتمعمة
 فى مثبت واحد كالرمان والتين وبعض النخيل ونحو ذلك .. وأن غير الصنوان
 الذى معناه : ما كان على أصل واحد كسائر الأشجار ، لم ينشأ بعضها عن
 بعض وإنما أصلهما الماء فقط رغم تعدد أنواعهما وتنوع ألوانهما .
 وكما تشير الى أن هذا التفضيل بين الأنواع أثر من آثار الحكمة الالهية
 وليس من ناموس الوراثة الذى اخترعه داروين من بنات أفكاره المنحرفة ..
 بدليل قوله تعالى :

﴿ ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ﴾

ثم أشارت الآية بهذا التعقيب المخيف اذ قالت :

﴿ ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون ﴾

ومعنى ذلك ان الذين لا يؤمنون بضمون هذه الآية ليسوا من العقلاء !
 الذين لا يؤمنون بأن هذا التشابه تشابه ظاهرى فقط وإنما ^{هو} فى الحقيقة
 غير متشابه ليسوا من العقلاء !

والذين لا يؤمنون بأن صنوان و غير صنوان خلقا خلقا مستقلا من أصل
 مائى رغم التفاضل الذى بينهما ، ليسوا من تعداد العقلاء وإنما هم من
 الجيلاء الدهماء الذين ينظرون الى ظواهر الأمور دون تعمق فيها ..
 لأن الذى يتعمق فى التأمل فى هذه المخلوقات ، يعلم يقينا أن هذا التشابه
 الظاهرى حكمة ربانية . وأن هذا التنوع تدل على عظمة خالقه ..

ومن نفس هذه الحكمة أن خلق الله مخلوقا أو مخلوقات تشبه الانسان فى

الشكل نوعا لذكر الانسان بنعمة النبوة والكتاب والعقل والهمم والبيان ..

ان هذه النعمة الكبرى ، نعمة وجود التشابه مع نفى التشابه الحقيقى
 قد جعلها داروين وأعوانه نقمة كبرى بأن جعلوا بين الانسان وبين القرود نسبا ..

خلق آدم

وبعد ما تأكّدنا من خلال هذه الآيات النيرة ، من أن الكائنات لم يتطور بعضها عن بعض نود أن نتقدم خطوة أخرى لتري أن أبانا آدم لم يمرّ قط بهذه المراحل التي يصورها داروين وأعوانه .. ولنثبت لحمائنا الأفاضل الذين أنكروا وجود النصوص الصريحة الدالة على خلق آدم خلقاً مستقلاً ، بأن هناك نصوصاً قاطعة في الخلق المباشر .. ثم ننتقل بهم الى السنة المطهرة ليرى العالم كله أن القول بعدم وجود نص قاطع في الخلق المباشر قول لا يساعده القرآن ولا السنة ..

النصوص التي وردت في القرآن :

يقول تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ﴾ (١)

ورد في تفسير ابن كثير : من سلاله من طين وهو آدم عليه السلام خلقه الله من صلصال من حمأ مسنون .

وقال قتادة : استل آدم من الطين .. فان آدم عليه السلام خلق من طين لا زب وهو الصلصال من الحمأ المسنون وذلك مخلوق من التراب كما قال تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون ﴾ (٢)

الآية توضح بشكل واضح أن خلق آدم كان قبل أن ينفخ فيه الروح من الطين على هيئته السوية دون أن يمر بمراحل ودون أن يتطور من مخلوقات أخرى لتتضح معجزة الخلق الأول : ﴿ كن فيكون ﴾ .

هذا ما أشارت اليه الآية التالية :

﴿ وان قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقموا له ساجدين ﴾ .

(١) سورة المؤمنون الآية : ١٢

(٢) سورة الروم الآية : ٢٠

والآية تدل على الحقائق التالية :

١ - أن خلق آدم كان من الصلصال الذى كان من حمأ مسنون ..
والحمأ المسنون هو الطين الأسود الضنن . والمسنون : الذى أسن وتغير
وهو صفة للحمأ ..

اذن ان بشرية آدم جاءت مباشرة من الصلصال لا من القرد .. هذا
ما فهمناه من كتاب ربنا .. والذى فهم^{غير} هذا فعليه أن يأتي
آخر من القرآن نفسه ..

٢ - أن خلق آدم كان أولاً بدون الروح : والداروينيون لا يقولون
بهذا وإنما قالوا ان نشأة الحياة كانت من طين المستنقعات التى تتصاعد منه
الغازات الكبريتية الرائحة .. وهى غاز الميثان ()
وغاز كبريتوز الهيدروجين () وغاز النشادر (الأمونيا)
(١) .

فقالوا ان هذه الحياة هى التى تطورت حتى تفرعت عنها الأنواع كلها ..
والغريب أن نجد بعض المفكرين الاسلاميين يصدقون هذه الخرافة كأمثال
الدكتور محمد البار فى كتابه : (خلق الانسان بين الطب والقرآن) يقول فيه :
" وترى صورة ضخمة فى قاعة المتحف الطبيعى (بلندن) تصور كيف
تجمعت هذه الغازات المنستنة من الحمأ المسنون لتكون الأحماض الأمينية
ثم كيف تطورت هذه لتكون البروتينات وأهمها الحامض النووى الذى
به سر الحياة " (٢) .

ثم استدل بقوله تعالى :

﴿ وإذ قال ربك للملائكة ، انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون ،
فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ .

(١) راجع كتاب خلق الانسان بين الطب والقرآن د . محمد البار ص ١٠

(٢) المرجع السابق ص ١٠

فقال : الحمأ : الطين الأسود المثلث . والمسنون : الذى أسن وتغير
ويرى أن هذه الآية تدل على ما قاله العلم الحديث من أن الحياة نشأت من
الطين الآسن .

فنحن نقول : ان هذا الاستدلال في غير محله وذلك للأمور الآتية :
ان الآية تشير بوضوح الى أن الروح أو الحياة ، ليست من الطين الآسن ،
وانما هى شئ زائد على الطين قد نفخه الله في آدم بعد ما أتم خلقه
من الطين .. بينما العلم الحديث — كما قال الدكتور — تشير الى أن الحياة
جاءت مباشرة من الطين وكانت جرثومة صغيرة ثم تفرعت منها جميع الكائنات الحية ..
فشتان بين هذه الصورة ، وتلك الصورة ..

لأن الصورة الأولى تقول : ان الله هو الذى نفخ الروح في آدم بعد أن
جاوز المراحل الطينية كلها (أى التراب — ثم الطين المسنون — ثم
الصلصال كالخيار) ولكن الصورة الثانية ، تصرح بأن الحياة بدأت بصدفة
على وجه الأرض ثم تطورت من (أميبا) الى النبات ثم الى الحب — وان
وكان آدم (الانسان الأول الذى لا يتكلم وليس له ادراك) في نهايتها
هذا التطور ...

هل هذه هى الصورة الطاهرة تشبه تلك الصورة القذرة ؟
ثم لم تكف الآية بذلك ، ولكن قالت ان خلق آدم تم في السماء على
مشهد من الملائكة وفي حفل حافل ..

ولكن التطوريين يقولون : ان خلقه بدأ في الأرض وتم فيها بدون أية
حكمة ولا ارادة ولا أى تدخل خارجي وانما كانت الجرثومة تتخبط خبط عشواء ..
فاذا البرغوث أصبح جملا واذا الجمل أصبح بموضة واذا (الفوريل) يقطع
ذنبه ليصبح انسانا ذا عقل وروية وتفكير هل هذه الصورة كذلك ؟ الجواب
لا !

فكان من حق الدكتور أن يكفر كل قائل بنفى تدخل الله في الكون
أوفى عملية التطور ومن حقه أيضا أن يكفر^(١) كل من يقول : ان أبانا آدم
كان غير مكمل العقل وكان لا يتكلم ولا يدرك شيئا ، لأنه تكذيب للقرآن
الكريم ، ولأنه ينفي قصة آدم وحواء (الوارد ذكرها صراحة في القرآن)
نفيا تاما . . .

يضاف الى هذا أن قصة وجود انسان أول لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم
(كما هي قواعد نظرية داروين) هي قصة مبنية (باعتراف قطبها داروين)
على الفرض والتخمين والظن . ومن السفه أن ينفي الانسان (وخاصة المسلم)
قصة آدم وحواء المذكورة في القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه . ليصدق قصة ليس لها أى ظل من الحقيقة . قصة أساسها
الفرض والحدس والتخمين لا القطع واليقين . . ان الخرافة تظل دائما
خرافة ولو وجدت صورتها في المتحف البريطاني والفرنسي والأمريكانسي
أو الروسي .

* * *

وان كنت تعجب فاعجب قولهم : اذا أصبحت هذه النظرية حقيقة
سوف نؤول النصوص التي تدل على الخلق المباشر للتوفيق بين القرآن وبين
النظرية . .

(١) ان الدكتور بعد ما أكد صحة هذه النظرية بالآية السابقة ، رجح
فقال في الصفحة التالية : " ولم ينشج صدرى لما توصلت اليه . . " اذا كان
قوله هذا حقا فلم يستدل بالآية لأجل بيان صحتها . . ولم يكتف بذلك بل
استشهد على صحتها بأقوال لابن خلدون في مقدمته . . فقال : وأنت ترى
ما جاء في كلام ابن خلدون تصريحاً أقوى مما جاء في نظرية (داروين) في
كتاب النشو والارتقاء . . ان هذا يدل على أنه كان يؤمن بالنظرية
التطورية الداروينية الخرافية .

نقول لهم : هل رأيتم باطلا انقلب حقيقة ؟

هل رأيتم حقا انقلب باطلا ؟

إذا تم ذلك فكيف تصبح النظرية التي ثبت بطلانها ، حقيقة ؟

وكيف ينتقل الحق الواضح الذي رأيناه ^{في كتاب ربنا} إلى باطل ؟

ولن نتحقق أمنيتم هذه حتى يشبّ الغراب ان شاء الله ..

أدلة من السنة :

قد رأينا نصوص قرآنية تؤكد أن آدم قد خلق خلقا لا تطور فيه ،
والآن نريد أن نأتي بأحاديث صحاح لنؤكد بها أن القول بأن النصوص
التي وردت في الكتاب والسنة نصوص محتملة ، قول قد جانب الصواب ولا يجوز
لمسلم أن يتفوه به أبدا .. واليك أحاديث بهذا الصدد ..

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

" أن الله عز وجل ، خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ،

فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، فجاء منهم : الأحمر والأسود وبين ذلك .

والسهل والحزن ، والطيب والخبيث " قال الترمذي : (حديث حسن صحيح) .

وقال عليه الصلاة والسلام : " لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح ، عطس ،

فقال : الحمد لله ، فحمد الله بأذنه . فقال له ربه :

رحمك الله يا آدم . اذهب إلى أولئك الملائكة - إلى الملائكة منهم جلوس

فقال : السلام عليكم .. فقالوا : وعليك السلام ورحمة الله ، ثم رجع إلى ربه

فقال : ان هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم " (١)

ان هذين الحديثين لا يدعيا مجالا للشك من أن آدم خلق خلقا مباشرا

وهو كامل في عقله على تمام الإدراك .. وقد تم خلقه في السماء في وسط

الملائكة ، ان هذا يخالف أباطيلهم التي تقول ان تطور الحياة كله حصل في الأرض ..

وتم فيها .. ولست أدري كيف يؤولون هذين الحديثين إذا أصبحت النظرية حقيقة

لمموسة كما يرجون ؟

(١) الله جل جلاله ، سميدى ص ٥

التطور في المستقبل

بدى أنصار داروين أن التطور كما حصل في الماضي السحيق فهو مستمر إلى المستقبل البعيد :

وقد قال جوليان هكسلي كلمته الشهيرة :

" من المسلم به أن الإنسان في الوقت الحاضر سيد المخلوقات ولكن قد تحل محله القطة أو الفأر " .

نحن نتحداهم بالقرآن قائلين : ان ذلك لن يحصل أبدا كما لم يحصل في الماضي . وذلك أن الله تعالى أخبرنا أن هذا القرآن محفوظ في——
الحجة البالغة إلى يوم القيامة : ﴿ نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ (١)
ان كان القرآن محفوظا فالنوع الانساني كذلك يبقى غير متطور .. لأنه لو تطور فمن الذي يقرأ القرآن ؟ أتقرأه القطة أو الفأر ؟

ان هذا مستحيل : وبدل دلالة واضحة أن لا تطور في المستقبل كما تخيله هؤلاء الداروينيون .

ثم ان الله تعالى أخبرنا أن القيامة تقوم والنوع الانساني باقى على انسانيته . يقول تعالى : ﴿ اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدت واذا الجبال سيّرت واذا البحار عطلت واذا الوحوش حشرت الى قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت »

ان هذه الأمثلة البسيطة تدل على عدم التطور في المستقبل والا يأتي يوم القيامة لا يوجد على وجه الأرض أحد من الناس لأنهم قد يتطوروا إلى الديدان التي لا تكليف عليها .

هل رأيت كيف أدت هذه الفكرة التطورية إلى الفناء يوم القيامة ؟ وإلى تعطيل تعاليم القرآن العظيم ؟ لأنه قد تأتى أزمان لا يوجد أحد يحفظ القرآن لأنهم قد تطوروا إلى أنواع من الحشرات ..

هل يرضى عما لنا الذين يبرجون تحقيق الفكرة التطورية في المستقبل ،
بهذه النتائج ؟

ان كانوا لا يرضون بها فليقولوا للناس صراحة أن لا تطور في المستقبل ،
آية أخرى تنفي التطور المضوى بآمله :

﴿ وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما
يعرشون ، ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا ، يخرج من بطونها
شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس . ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ (١)
ان هذه تنقض التطور في المستقبل وفي الماضي معا .. لأن النحل كان
ولم يزل يخرج لنا العسل منذ أن وجد فوق الأرض انسان ..

فمنذ أن عرف الانسان النحل والعسل ، ومنذ وجد هذا النحل على
وجه الأرض (ومنذ الاف السنين) وطريقتهما في الانتاج هي كما
أخبر به القرآن .. ان دل هذا على شيء فانما يدل على أن التطور لم يحصل
في الماضي .. ولو كانت هذه النظرية صحيحة للاحظ الانسان طفلة هذه
الاف من السنين - شيئا من التطور والارتقاء على هذا النحل .. لا سيما وأن
النحل قد تواتر أمره في جميع بقاع الأرض منذ أقدم العصور لا رتباط وجوده
بوجود العسل الذي لا يمكن انتاجه الا عن طريق هذا النحل وحسب النظام
الالهي الذي يسير عليه دائما ..

ولن يحصل هذا التطور أبدا في المستقبل بدليل أن هذا النحل لو يحدث
عليه شيء من التطور والتحول (وحسب النواميس التي وضعها الداروينيون لنظرية
التطور والارتقاء) لا فتقد الانسان مادة العسل الى الأبد .. لأنه قد يكون
قد تطور وارتقى الى أي نوع من الأحياء لا يسمح له تركيبه الجديد ، وشكله
الجديد بانتاج هذه المادة .. لأنه قد يصبح ديكاً أو نسرًا أو طيلاً أو ما شابه
ذلك من الحيوانات ..

وهكذا فان واقع النحل والعسل لمن أقوى الأدلة على عدم صحة نظرية التطور والارتقاء ، في الماضي والمستقبل ..
ولا أجل هذا كله نستغرب من هؤلاء العقول الكبار حين صدقوا هذه النظرية ، حتى توقموا صحتها في المستقبل ..
نظرية قد رفضها كل ذوى العقول في أوروبا ، فكيف يؤمن بها علمائنا الكبار ان هذا لغريب من غرائب الكون ..

علماء غربيون يرفضون النظرية

وقبل أن تنتقل الى الجزء التالي ، نسوق اليك تصريحات من أنصار الداروينية قد تراجع أصحابها عن هذه النظرية لما تأملوا فيها بالدقة .
يقول العلامة (والاس) : " ان الارتقاء بالانتخاب الطبيعي لا يصدق على الانسان ، ولا بد من القول بخلقه رأساً " (١) . وهذا الأستاذ كان من أشد مناصري هذه النظرية . ومع ذلك أنكر على استاذ داروين القول بأن يكون الانسان قد تم تكوينه على طريقة التطور والارتقاء ..

وقال الأستاذ (فرضو) انه يتبين لنا من الواقع بين الانسان والقرد فرقا بعيدا ، فلا يمكننا أن نحكم بأن الانسان سلالة قرد أو غيره من البهائم ، ولا يحسن أن نتفوه بذلك .

وقال (ميفرت) : ان مذهب داروين لا يمكن تأييده وانه رأى من آراء الصبيان .

أما العلامة (أغاسير) فقد حكم على مذهب داروين بالبطالان وذلك في رسالة أصدرها تحت عنوان (أصل الأنواع) وتلاها في ندوة العلم الفكتورية فقال فيها ما خلاصته :

" ان مذهب داروين خطأ على باطل في الواقع ، وأسلوبه ليس من أساليب العلم بشئ ، ولا طائل تحته " .

هكسلى يرد على صديقه داروين :

أما العلامة (هكسلى) فبالرغم من أنه على مذهب (اللأدرية) وصديق حميم لداروين ، فقد تراجع عما كان عليه من تأييد جميع القوانين الداروينية فقد صح عنه أخيراً أنه قال :

" انه بموجب ما لنا من البينات لم تبرهن قط أن نوعاً من النباتات أو الحيوان نشأ من الانتخاب الطبيعى أو الانتخاب الصناعى " (١)

ودعا العلامة (تندرل) الى عدم الاهتمام بمذهب داروين فقال :

" انه لا ريب فى أن الذين يعتقدون الارتقاء يجهلون أنه نتيجة مقدمات لم يسلم بها .. ومن المحقق عندى أنه لا بد من تغيير مذهب داروين " .

وأخيراً قال العلامة الايطالى (روزا) ان الاختيار الاصطناعى الذى جربه بنو الانسان فى خلال الستين سنة الماضية دليل عظيم ضد نظرية داروين . (٢)

وبعد هذه الجولة الطويلة نستطيع أن نثبت الحقائق التالية :

- (١) - أنه توجد فى القرآن الكريم نصوص صريحة فى الخلق المباشر لا بينا آدم عليه السلام خلافا لما ذهب اليه بعض علمائنا ..
- (٢) - التطور العضوى للكائنات الحية تتعارض مع القرآن كله .. وذلك أن القرآن الكريم قد عين أسماء بعض الكائنات الحية كالنحل وغيرها وذكر أن فيه شفاء ، ولو تطور النحل تبقى هذه الآية المتعلقة به بلا معنى ، لأن الناس لن يعرفوا النحل بعد تطوره فيما بعد .
- (٣) - ثم ان الانسان لو تطور الى كائن آخر من الذى يقوم - حينئذ - بالتكاليف الربانية ؟

(١) هذه النقول عن كتاب الاسلام ونظرية داروين - أحمد باشميل ص ٤٥

(٢) المرجع السابق ص ٥٤

وكل هذا بوضوح توضيحاً لا غموض فيه أن الانسان لن يتطور أبداً
 في المستقبل فضلاً عن أن يكون متطوراً في الماضي ..
 يبدو أن علمائنا الذين أرادوا التوفيق بين هذه الفكرة وبين القرآن لم
 يلاحظوا هذه الناحية .. أو لاحظوها ولكنهم أعرضوا عنها لحاجة
 في نفوسهم .. فما هي هذه الحاجة إذن ؟

حاجة في نفوسهم

ومن يتأمل في أقوال علمائنا الذين أبدوا مذهب التطور ، يجد أن الذي
 دفعهم الى هذا القول يرجع الى الأمور الآتية :

- ١ - مجازاة الأوربيين حتى لا يتهموا ديننا بأنه دين تأخر وجمود
 كما حصل ذلك فعلاً في الديانة المسيحية ..
- ٢ - اثبات أن ديننا يتمشى مع كل زمان ومكان ..
- ٣ - الاسلام دين الفكر والعلم والبحث يتوسع لجميع الأفكار ..

استخلصنا هذه الأمور الثلاثة من تقرير الشيخ محمد فريد جدي السابق
 الذي يقول فيه :

" ان هؤلاء الناس الذين يعادون قوانين مذهب داروين كله لا أجل
 نتيجته لا يدرون أنه قد أقام أقوى البراهين الحية على حقائق قرآنية ، كان
 الغربيون لولا يتوهمون أنها جهاتنا الضعيفة التي يبرهنون بها على عدم
 حقيقة ديننا " (١)

فنقول نعم ! ان الاسلام فرض على الناس الفكر والبحث ، وآيات القرآن
 في هذا المعنى كثيرة ..

﴿ أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء ﴾ (٢)

﴿ قل انظروا ماذا في السموات والأرض ﴾ (٣)

* أولم يتفكروا في أنفسهم ؟ ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى * (١)

نعم ! ان الاسلام فرض على الناس العلم ، والآثار الواردة في الحث على العلم كثيرة وكذلك الايات التي تبين أن العالمين بالكون أعرف بالله .
* ومن آياته خلق السموات والأرض ، واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين * (٢)

* ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأشجار مختلف ألوانه . كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء * (٣)

ومن البدعي بعد هذا ، أن ما وصل اليه الفكر والعلم يفترض على المسلم أن يقول به ، ولا يقول بخلافه ، وقد يحدث أن يوجد بعض المسلمين الجاهلين وحتى ممن ينتسبون الى العلم ، ومن يعارض بعض الحقائق العلمية . ولكن في هذه الحالة يبقى رأيهم شخصيا ، وهم فيمخاطئون ويؤخذهم على ذلك عامة المسلمين وعلماءهم .

ولقد قال أبو حامد الغزالي الامام في كتابه (تهافت الفلاسفة) حاملا على علماء الدين ، المنكرين للحقائق العلمية ، كمعرفة وقت الكسوف والخسوف وغيرها .
" ومن ظن أن المناظرة في ابطال هذا من الدين فقد جنى على الدين وضحف أمره ، فان هذه الأمور تقوم عليها براهين هندسية وحسابية لا تبقى مصيها رية فمن يطلع عليها ويتحقق من أدلتها ، ثم يقال له : ان هذا على خلاف الشرع لم يسترب فيه . وإنما يسترب في الشرع ، وهو شر الشرع ممن ينصره لا بطريقته أكثر من ضرره ممن يطمئن فيه ، وهو كما قيل : (عدو عاقل خير من صديق جاهل) (٤) ، انه ليس من المحقول أن يأمرنا الله عز وجل بالبحث والعلم والنظر

(١) سورة الروم آية : ٨ (٢) سورة الروم آية : ٢٢

(٣) سورة فاطر آية : ٢٧

(٤) راجع الله جل جلاله ، سعيد صوى ص ٤٧

والمعرفة ، ثم يحرم علينا أن نأخذ بنتائج هذا العلم والبحث والمعرفة ؟
بل على العكس اذا أمرنا بالفكر أمرنا بالأخذ بنتائج الفكر
وهكذا ...

ولكن اذا كان الاسلام ديناً علمياً والمسلم على التفكير والاتجاه
وهدفه أن يصل الى الحقيقة العلمية المركزة ، فليس معنى هذا أن يقبل
الظن • أو الفرضية • أو النظرية على أنها حقيقة علمية • •

ان المسلم يجب أن يقف أبداً على أرض من صخر في عالم الفكر •
ان الله الذي حرم علينا أن لا ندعس للحقيقة ، لم يرض لنا أن نقبل
شيئاً دون برهان • أو نعتبر الفرضية والنظرية حقيقة ، فنأخذ على
أنها مسلمة • •

* ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك
كان عنه مسوؤلاً (١) *

وهذا هو الفارق الكبير بين العقلية الاسلامية والعقلية الأخرى •
العقلية الاسلامية عقلية علمية ثابتة لا تقبل شيئاً دون برهان وعلى
ضوء هذا نود أن نقف وقفة عند تقرير الشيخ محمد فريد وجسدى
السابق ...

الأستاذ محمد فريد وجدى والتطور

وأما قول الأستاذ فريد وجدى أن الداروينية قد أقام أقوى البراهين الحجة على حقائق قرآنية ، نود أن يوضحه هنا ، وبيان ذلك أن الأستاذ يرى أن القوانين الداروينية حقيقة من حقائق الكون فلذا سنجد بعد قليل يقارن بين تلك القوانين وبين بعض النصوص من القرآن ليبرهن على صحتها .
كتب يقول :

" أساس مذهب " داروين " أن العالم خاضع لنواميس : منها ناموس تنازع البقاء ونصه ، فى الكتاب الالهى :

+ * ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض :

ثم قال وهو يشرح الآية على طريقته الخاصة :

" قد أشار الله تعالى الى سر الغلبة فى هذا التنازع وهى القوة لقوله

تعالى : * وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة :

وأضاف قائلا :

" بهذه الآيات جمع النبى صلى الله عليه وسلم الى صفات القوة الجسدية

أعلى صفات الكمال الإنسانية ، وبشرى فى أفئدة أصحابه فدانت لهم الدنيا

وأصبحوا ملوك الأرض .. "

ثم قال أخيرا :

" ويقول (داروين وأحزابه : اذا سلمت أن تنازع البقاء ناموس من نواميس

الكون ، فلا مناص لك أن تسلم بحصول غلبة لبعض المتنازعين ، وخذلان للبعض

الآخر .

ومعنى تلك الغلبة وذلك الخذلان بلسان علم الحياة : (البقاء والتلاشى)

بمعنى أن الحزب الغالب يبقى متمعا بما افتتحه بقوته ومهارته .. وأما الحزب

المغلوب سيزول ويدح الجو خاليا لخصومه .. " هذا ما قرره الأستاذ محمد

(١)

فريد وجدى . واليك ما نراه فى الموضوع .

(١) تلخيص عن كتابه الاسلام فى عصر العلم نقلا عن كتاب الدين والعلم الحديث ،

تأليف : ابراهيم عبد الباقي ص ٧٨ - ٧٦

الاستدلال فيه نظير

ومن تدبر في تقرير الأستاذ (فريد وجدى) يجد أنه يدور حول شيئين

أساسيين :

أولا - ان الأنواع الدنيا الضعاف ، لا تجتمع مع العليا لأنها ستزول وتخلى الجو لخصومها .. بل تتعاقب وتسبق الأولى الثانية أبدا ..

ان هذا التقرير خلافا لما نجده في عالم المستحاثات وتسلسلها الزمنى التاريخى حسب الأعمار كما نجده في الأحياء جنبا الى جنب .. (١)

اذا عدنا الى القرآن الكريم وجدناه يؤكّد على أن الله يختار من خلقه للبقاء في الكون ما يشاء ، وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون * (٢)

الآية تنص على أن أى شخص يسند الخيرة الى الناس أو الى القوة دون الله فهو من المشركين .. لأنه أشرك غير الله مع الله في تفسير الكون .. وبذلك نكون قد نفينا تعبيرات الشرك التى نجدها في كل مؤلف كتب عن هذا الموضوع .

ثانيا - مفهيم الأصلح : يؤكّد مذهب داورين أن الأصلح هو من يستطيع أن يستولى - بأى وسيلة كانت - على ممتلكات الغير ، بالقوة والثورة والعنف كما يفعل سكان الغاب من ذى ناب ومخلب وظفر ..

هذا الذى أبده الأستاذ (فريد وجدى) واستدل له بآيات قرآنية ؟

منها قوله تعالى : * وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة *

ان كانت الآية تأمر المسلمين بالاستعدادات الحربية اربابا لقلوب اعداء الله ، ولكن لا يفهم منها أبدا الحث على أخذ ممتلكات الغير لأجل الغلبة

(١) راجع التطور والانسان ، حسن زينو ص ٢

(٢) سورة القصص الآية : ٦٨

والملو في الأُرغى فحسب .

المسلمون في جهادهم لم تكن تهمهم أنفسهم بتدروا بهمهم اعلاء كلمة الله .. اذن لا يمكن الاستدلال بهذه الآية وأمثالها تأييدا للمذهب تتازع البقاء الذي اخترعه داروين وأعوأنه ..

وأما مفهم الأصلح في الاسلام يتمثل في الدينونة لله تعالى في التصور الاعتقادي ، وفي الشريعة والاتباع والشعائر التعبدية ..

وبتعبير آخر : هو الايمان بالله وتطبيق شريعته .. ان ذلك هو سبب بقاء الأمم والحضارات في الدنيا وسبب تغلب الضعفاء المتقين على الأقوياء الكافرين والشيطان ..

وكما ان الذنوب والفسق عن أمر الله واتباع المنكر والشيطان هي سبب المهلال والزوال ..

ولا ينكر عاقل أن الاستعداد قبل الحرب من أسباب النصر أنه مأثور به . ولكنه بدون الايمان والصالح يصبح هزيمة نكراء على أصحابه .. هذا ما تشهد به الآية التالية :

﴿ فلما نسوا ما ذكروا به ، فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرجوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون ﴾

نسوق اليك قصتين لتوضح هذه النقطة التي خفيت على كثير من الباحثين . قصة في الماضي البعيد . وقصة أخرى في الماضي القريب :

القصة الأولى :

هي قصة استخلاف بني اسرائيل ونصرهم على الفراعنة ، انها ليست صراع ذئاب ولا غلبة القوى على الضعيف وانما العكس انتصار الايمان والحجة على يد موسى ضد طاغوت فرعون مصر ، انتصار قلب عليه السحرة فأمنوا وآثروا الموت من تلك اللحظة ﴿ قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض ، انما تقضى هذه الحياة الدنيا .. انا آمنا بربنا ليفسر

لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى .. انه من يسأت
ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا .. ومن يأت به مؤمنا
قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى * (١)

* ثم أورثنا الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا
فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بسما صبروا ودمرنا ما كان
يصنع فرعون وقومه وما كانوا يمرشون * (٢)

قالوا يا نوح انا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت
علينا بعزیز * (٣)

والقصة واضحة ولا تحتاج الى توضيح آخر . فهي اذن تخالف تقريرات
الأستاذ محمد فريد وحيدى مخالفة تامة الذى يرى أن الغلبة للقوى دائمة
فأرجو من القارئ الكريم امعان النظر فيما قلنا ..
القصة الثانية :

هى قصة قيادة سعد ووصية عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ..
وانتخب عمر رضى الله عنه لقيادة هذا الجيش العظيم سعد بن أبى
وقاص الزهرى القرشى خال رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فوالله ووصاه ، وكان
فيما قال له :

* بسم الله الرحمن الرحيم *

أما بعد :

" فانى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، فان تقوى
الله أفضل المدة على العدو ، وأقوى المكيمة فى الحرب . وآمرك ومن معك
أن تكونوا أشد احتراسا منكم من عدوكم ، فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من

(١) سورة طه الآية : ٢٤

(٢) سورة الأعراف : ١٣٧

(٣) سورة هود الآية : ٩١

عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ولو ذلك لم تكن لنا بهم
 قوة ، لأن عدونا ليس كعددهم ، وعدتنا ليست كعدتهم ، فان استويننا
 في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة ، والا نتصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم
بقوتنا ..

فاعلموا أن عليكم في سيركم حفظاً من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا
 منهم ، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله .
 ولا تقولوا ان عدونا شر منا فلن يسلط علينا ، فرب قوم سلط عليهم
 من هو شر منهم ، كما سلط على بني اسرائيل لما عملوا بالمعاصي كـ
 المجوس فجاسوا خلال البئر ، وكان وعدا ففعلوا .
وسلوا الله الحون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم وأسأل الله
ذلك لنا ولكم " (١) "

وهناك العديد من الأمثلة ، ولكن الذي ذكرنا فيه الكفاية من التطويل ..
 وهكذا رأينا أن الصراع على البقاء ليس هدفاً اسلامياً ، وإنما هو
 فكر مادي استعماري بحث لا أخلاقي .. لأنه يهدف - أول ما يهدف -
 الى الاستيلاء على الشعوب الضعاف .
 ولا يجادل أحد من العقلاء أن الانتصار لا يتم في هذا العالم المادي بدون
 معرفة أساليب الحرب ومعرفة كيفية الاستعمال للآلات الحربية ، ولكن
 ذلك ليس هو القانون العام الذي يسير عليه العالم في بقاء الأمم وانقراض الآخرين .
 كما عرفنا أن شجاعة شخص ما مهما بلغت لا تكفيه ليدق المسمار بقبضته
 اليدوية فلا بد له من مطرقة .. ولكن هذه الوسائل وحدها لا تكفي - كما هو
 ظن الملحدين - فلا بد من الصبر على الطاعة أولاً والصبر عن المعصية ثانياً
 والصبر على ضربات العدو ثالثاً ..

(١) اتمام الوفاء في سيرة الخلفاء ، محمد الخضرى رحمه الله تعالى ص ٦٨ مكتبة
 دار الدعوة بحلب . الطبعة الأولى المحققة ١٣٩٨ هـ

وأية أمة تتوفر فيها هذه الشروط الثلاثة هي الغالبة ولن كانت أقل عددا وأضعف جندا •• هذا ما تشهد عليه الآية الثالثة :

* كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بأذن الله والله مع الصابرين * (١)
هذه الشروط هي التي توفرت في الفاتح الكبير (صلاح الدين الأيوبي -
حين هزمت أمامه جيوش الأفرنج • انك لم يكن يتمتع بالشجاعة فقط ومعرفة
فنون الحرب • أولم تكن بلاده تتبوء - من الناحية العسكرية - المكانة التي
تحتلها الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي • فحسب •• ولكنه أيضا يتمتع
بما هو أقوى من كل ذلك • وهو الايمان بالله وتطبيق شريعته واجتناب
المنكرات • يقول الله تعالى * لقد نصرم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين
اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم
وليتم مدبرين * (٢)

وانطلاقا من هذا المبدأ السامي ندرك أن الذين أرادوا أن يدافعوا
عن الاسلام بهذه النظرية التي لم تصل بعد إلى الحقائق - ولن تصل أبدا -
قد جانبوا الصواب • ولكن الله تعالى سيجزيهم عن نيتهم الطيبة ان شاء
الله •• وأما نحن لا نأخذ بهذه النظرية لبعدها عن الصواب •• ولإقامة
البراهين القاطعة على بطلانه ••

وبعد هذا ننتقل إلى الجزء الأخير • وهو مصير داروين ••

مصير داروين

ان الذي يتأمل في المخططات التاريخية • يجد أن لداروين ثلاثة تطورات
- الطور الأول كان فيه مؤمنا
- الطور الثاني كان فيه شاككا
- الطور الثالث كان فيه ملحددا

واليك شرحا موجزا لكل من هذه الأخطاء الثلاثة :

الأول : أن داروين كان في البداية أمره ينفي عن نفسه تهمة الكفر والالحاد فقد كتب مرة إلى أحد أصدقائه يقول " .. أنه لا يعرف لماذا يتهمه الناس بالكفر والالحاد مع أنه لا يعتقد أن نظريته تنفي وجود اله للكون (١) " هذا يدل على أنه كان مؤمنا .. فلننتقل إلى الطور الثاني .

الثاني :- بينما نرى داروين هكذا ينفي عن نفسه تهمة الكفر والالحاد إذ بنا نبجده في موضع آخر يعلن ترددده في الاعتراف بوجود الله تعالى فقد كتب سنة ١٨٧٩ م إلى المستر (فوردايس) صاحب كتاب ملامح من الشكوكية ، عندما سأله عن عقيدته الدينية ، كتب إليه يقول :

" أن آرائى الخاصة مسألة لا خطر لها ولا تعنى أحدا غيبي ، ولكمك سألتنى فاسمح لنفسى أن أقول اننى متردد ، ولكننى فى أقصى خطوات هذا التردد لم أكن قط ملحدا بالمعنى الذى يفهم فيه الالحاد انه انكار وجود الله واحسب أن وصف اللاادري بصدق فى أكثر الأوقات - لا فى جميعها - كلما تقدمت الأيام " .

وقد كتب قبل ذلك .. سنة ١٨٧٣ م إلى طالب هولندى سأله عن عقيدته الدينية فقال :

" أن استحالة تصور هذا الكون العظيم المجيب وفى نفوسنا الشاعرة قائما على مجرد المصادفة - هى فى نظرى أقوى البراهين على وجود الله ولكننى لم أستطع أن أقرر قيمة هذا البرهان ..

وأخيرا كتب هذه المقالة / إلى الطالب نفسه فيقول : " انه لا يرى دليلا على الوحي وأن الايمان بالبحث متروك لكل من يشاء أن يتخذ له فيه معتقدا بين الاحتمالات المتضاربة .. " (٢)

(١) عقائد المفكرين ، المقاد ص ٥٥ راجع ايضا الانسان بين المادية والاسلام ،

محمد قطب ص ٢٣

(٢) الاسلام ونظرية داروين . محمد احمد باشمهل ص ١١٢

ان هذه للتصريحات من داروين ان دل على شيء فلنطه يدل على ان داروين
كان في هذه المرحلة شاكاً في وجود الله عز وجل ، وقد يكون أكثر ميلاً
الى الالحاد والكفر .

ولكن داروين لم يصرح بالالحاد في هذه المرحلة المتوسطة من حياته
فانه قد صرح في آخر عمره عن الحاد وكفره بالله تعالى .

الثالث : كفر داروين والحاد :

فقد صح عنه قوله : " لم أكن واثقاً من اعتقادي بالله ، ولكنني واثق
تماماً من اعتقادي بالانسان .
ونقل عنه أنه قال :

" ان الاعتراف بوجود خالق له ارادة في الخلق ، هو بمثابة ادخال
عنصر خارق للطبيعة في وضع ميكانيكي بحت " (١)

ان هذه اشارة صريحة من داروين الى أنه ينفي تدخل الله في
عملية التطور وأن وجوده ليس ضرورة لرعاية هذا الكون المادي .
هل اكتفى داروين بنفي تدخل الله في الكون فحسب ؟ لا ! بل ذهب
الى أبعد من ذلك ، انه قد أعلن كفره والحاد قبل أن يموت ..

وقد اعترف بالحاد في خطاب وجهه الى صديقه (غراي) في جامعة
(هارفارد) ، قال فيه : علي أن أخبرك - كرجل شريف - بأنني بلغت
غاية الهرطقة والالحاد في قولي أنه ليس ثمة من أنواع مستقلة الخلق ولعلك
مستحقرني من أجل ذلك " .

ولم يكتف داروين بهذا الاعلان الالحادي بل ندم على استعماله
لفظ الخلق في كتابه أصل الأنواع .. فهذا الاستاذ يوسف كرم يوضح
ذلك بقوله : (٢)

(١) الانسان بين المادية والاسلام ، محمد قطب ص ٢١
(٢) عباقرة العلم ص ١٧٦ نقلاً عن كتاب الاسلام ونظرية داروين ص ١١٤

" وقد كان (داروين) مؤمناً بالله الى وقت ظهور كتبه (لأصل الأنواع)
الذى قال في ختامه ان الصور الحية الأولى مخلوقة ، ثم تطور فكره شيئاً فشيئاً
حتى أعلن أسفه لاستعماله لفظ الخلق مجازاً للرأى العام ، وصرح بأن الحياة
لغز من الألغاز وأن ما فى العالم من ألم يعدل بنا عن القول بعناية
المهية .. " (١)

فقد ظهر لنا هنا أن داروين اتخذ وجود الشرفى الكون دليلاً لا نكار
وجود الله عز وجل ..

وشهد شاهد من أهله :

ولعل أقوى شهادة لدينا على كفر داروين والحاده هى شهادة زوجته
التي قالت بعد موته :

" لا ريب عندى فى أن داروين قد كفر بالله سبحانه وتعالى ، ولكن
الله غفور رحيم وهو سيصفح عنه " (٢)

وهكذا كان مصير داروين .. لقد اتضح سر اختلاف الناس فى إيمان
داروين ، وأن الكل صادق فيما وصف به داروين .

قد كان مؤمناً فى أول أمره ولذا قال الفريق الأول انه مؤمن ولعل هذا
الفريق لم يطلع على ما صرح به داروين من كفر والحاد . ثم صار شاكاً ومضائماً
للرأى العام ، ولذا قال الفريق الثانى انه منافق ، ثم كان مصيره الى الإلحاد
والتعطيل الصريح آخر أيامه .. ولذا يقول الفريق الثالث انه ملحد وبدى
الى محاربته ومحاربة أفكاره الإلحادية التي كتبها فى كتابه المشهور
(أصل الأنواع) .

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة ، يوسف كرم ص ٣٣٦

(٢) عباقرة العلم ص ١٨٤ نقلاً عن كتاب الاسلام ونظرية داروين ، باشميل

موقفنا من المنظور

لقد نقلنا الأقوال في خلال هذا البحث ، ولما قلنا بعض الآراء لنبرهن على أن نظرية التطور ليست إلا من قبيل الفرضيات التي لم يبق عليها برهان قاطع ، ولولا أن الصهيونية العالمية والشبوعية ، كل واحد منهما تتبناها ، لهرى في النفس كامن . لنقضت من زمن نتيجة للحملات العلمية المركزة التي قام بها آلاف من العلماء عليها . . . ان بروكولات حكما صهيون . تذكر أنها هي التي مهدت لنجاح داروين وقصدها من ذلك تحطيم الأديان في أنفس البشر غير اليهود . .

والشبوعية تتمسك بها - كتمسك لا بد منه ولو باطلا - لاثبات المادية الجدلية .

أما موقفنا نحن المسلمين من هذه القضية فهو الذي ذكرناه سابقا كموقفنا من كل شيء : ما قام عليه البرهان قبلناه ، والا توقفنا فيه اذا كان النص القرآني محتملا ، أما اذا جزم النص القرآني وشك فنحن مع النص جزما . .

■ ■ ■

ولا يفهم أحد منا أن البحث عن نشأة الكون ممنوع شرعا ، فقد أمرنا الله أن نبحث عن نشأة الحياة :

﴿ قل سبروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ﴾
 ﴿ أولم يروا كيف يسجد لله الخلق ثم يميده ﴾ (١)
 ولقد أمرنا أن ننظر كيف وجدت الأحياء : ﴿ أفلا ينظرون إلى الأبل كيف خلقت ﴾ (٢)

وعند الله علم اليقين : قال تعالى ﴿ فما بال القرون الأولى ؟ ﴾ قال : علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ﴿ (٣)

(١) سورة المنكبوت الآية ١٩ - ٢٠

(٢) سورة الفاشية الآية ١٧

(٣) سورة طه الآية : ٥١ - ٥٢

فما أخبرنا عنه من ذلك لا يكون غير ه حقا ولا يكشف العلم عن سواء •
 فقد رأينا أن النصوص التي تتعلق بخلق آدم كلها توءم كد الخلق المباشر •
 ولا تجد نصا صريحا يدل على الخلق المتميل المتطور • • اللهم الا اذا كان
 من قبيل الفرضيات العقلية • •

وقد رأينا العلم الحديث أيضا لا يؤيد هذه النظرية بحال من الأحوال
 بل اعتبرها أسطورة من الأساطير • •

وآخر دعوانا في ذلك قوله تعالى :

* ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون *

* الذي أحسن كل شئ خلقه *

* سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى • والذي قدر فهدى • والذي

أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى *

* والله خلق كل دابة من ماء • فمضهم من يمشى على بطنه ومضهم من يمشى

على رجلين ومضهم من يمشى على أربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل

شئ قدير *

سبحان الذي خلق الخليقة وسوى كل مخلوق في أحسن الهيئات وجعل

بعضهم يمشى على بطنه من أصل خلقته وبعضهم على رجلين منذ بدايته

خلقهم وبعضهم على أربع كما أراد الله لأنه يخلق ما يشاء ولا يمجزه

شئ • • ولم يسند هذا للطبيعة الممياء ولا للانتخاب الطبيعي كما يدعون • •

والحمد لله الذي أعطى كل حيوان ما يحتاج اليه من أعضاء وآلات وحواس •

وهيا الانسان تهيئة خاصة لتحمل أعباء المسئولية والتكاليف الرأبسية

أحمده وأشكره وأصلي وأسلم على النبي الكريم •

الفصل السادس

دور اليهود في افساد أوروبا

لقد رأينا في السطور السابقة أن من أهم العوامل التي أدت إلى تمكين الفكرة
الاحادية في أوروبا الحديثة الأسباب التي ذكرناها ..

ولذلك أن نتحدث عن الأسباب الخفية التي قد أهملها كثير من الباحثين :

وهما : (١) دور اليهود في افساد أوروبا

(٢) رجوع أوروبا إلى آرائها الوثنية القديم .

فلننظر .. كلا .. لحظة سريعة ..

دور اليهود في افساد أوروبا :

لقد استغلت اليهودية العالمية ، هذه الظروف المحيطة بالكنيسة ورجالها ،
لتوسيع الهوة التي قامت بين فكرة الدين وفكر الاحاد .. استغلتها تحقيقا
لحقدتهم القديم ضد غير اليهود عامة ، وحقدتهم على المسيحيين بصفة خاصة
من أجل ما لا قوه منهم من اضطهاد .. (١)

(١) ثأرهم مع المسيحية في أوروبا ثأر قديم .. ثأر الاضطهاد الفظيع الذي نالوه
من الحكم الروماني المسيحي ، والاذلال الذي اصابهم في كل مجتمع مسيحي
فلنضرب على ذلك مثلا واحدا .. كان المسيحي يحتاج إلى المال فيقترضه من
اليهودي ومع ذلك يأبى إلا أن يحقر مقرضه ، فلا يسلم عليه بيده ولا يلمسه
إنما يوقفه بعيدا عنه كالنبيذ ويقول له آمرا موبخا : (ضع المال بعيدا واغرب
عن وجهي يا خنزير . فإذا ابتعد خطوات في ذلة ذليلة ، اقترب (السيد)
المسيحي ليأخذ المال الذي اقترضه من اليهودي .. اذلال لا تنساه ذاكرة
اليهود .

راجع التطور والثبات في حياة البشرية ، محمد قطب ص ٣٣

راجع أيضا مكائد يهودية عبر التاريخ ، عبد الرحمن حسن جنبكة المبداني ص ٢٢٢

وراجع أيضا كتاب أحجار على رقعة الشطرنج ، الاميرال وليم (١) . كار ص ١

(١)
ففكرت هذه اليهودية العالمية في أن اعظم مادة تبني بها هذا الجدار اللصين
مادة الالحاد والكفر بالله عز وجل ، لا قامة الحسابات الرياضية والرفات المادية
مقامه .

لأنهم يدركون جيدا أن هذه المبادئ السامية متى انتهت في قلوب الناس
فقدوا - بالضرورة - كل الروادع الداخلية التي تردعهم عن الشر ... فيقومون
صرى لهذه الشرذمة الملحونة أو يكونون حميرا ليركبها * شعب الله
المختار .

وتلك كانت مهمة اليهودية العالمية . وقامت بها بنجاح منقطع النظير (٢)
ونستطيع أن نجمل المخططات التي قامت بها اليهودية لافساد أوربا ، ففى
دورين هامين :

أحدهما :- دور نظري ، وثانيهما :- دور عملي . فكل دور منهما له
أخطاره الكبيرة فلا بد من ايضاح كل منهما ولو قليلا :

الدور العملي :

وأما الدور العملي الذى قام به اليهود لافساد أوربا فأسبابه كثيرة ومتنوعة
ولكننا نستطيع أن نجملها فى شيئين اثنين :

(١) الثورة الفرنسية

(٢) الثورة الصناعية

(١) راجع كتاب مكائد يهودية عبر التاريخ ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٢٢٥

(٢) التطور والثبات فى حياة البشرية ، محمد قطب ص ٢٢

راجع ايضا كهاجى : ترجمة الاستاذ لويس الحاج ص ١٤٦ ، ١٤٧

راجع ايضا كتاب اليهود فى القرآن ، غيف عبد الفتاح طبارة ص ٥٠ ط :
السابعة .

أولا - الثورة الفرنسية الكبرى :

خلال القرن الثامن عشر الميلادي دبر اليهود مكائدهم لا قامه الثورة الفرنسية الكبرى التي اندلعت ناراها في عام ١٧٨٩ م^(١) كما سبق واستطاعوا أن يجنوا الثمرات لأنفسهم ، على حساب الأمم والشعوب ، والدماء التي اهرقت من جرائها لا تعد ولا تحصى واستطاعوا أن يظلوا في الخفاء بحيد بن عن الأنواء ، وأن يمزوروا كثيرا من الحقائق التاريخية لستر مكائدهم وغاياتهم وأن يصوروا هذه الثورة وما جرت وراءها بالصورة المحببة الجميلة ، وأن يجعلوها إحدى الأعمال التاريخية المجيدة . وذلك عن طريق الدعايات والاشاعات المزخرفة المقرونة بالشعارات البراقة التي انخدعت بها الجماهير وأخذت تردها بخفلة وحماسة وجبيل بما تهدف اليه كما تردد الببغاوات الكلمات التي تسميها وهي لا تعلم ما تدل عليه .

والبك جملة تدل على صدق ما نقول :

قالوا في بروتوكولاتهم : (١٨)

" لقد أقمنا الأُميين بأن مذهب الحرية سيؤدي بهم الى ملكة العقول وسيكون استبدادنا من هذه الطبيعة لأنه سيكون في مقام يقمع كل الثورات ويستأصل بالعنف اللازم كل فكرة تحررية من كل الهيئات .

" حينما لاحظ الجمهور أنه قد أعطى كل أنواع الحقوق باسم التحرر تصور نفسه انه السيد وحاول أن يفرض القوة . وان الجمهور مثله مثل كل أعى آخر قد صادف بالضرورة عقبات لا تحصى ، ولأنه لم يرغب في الرجوع الى المنهج السابق وضع عندئذ قوته تحت اقدامنا . ثم قالوا وهو محل الشاهد :

" تذكروا الثورة الفرنسية التي نسميها (الكبرى) ان اسرار تنظيمها التمهيدى

مصرفة لنا جيدا لأنها من صنع أيدينا . ونحن من ذلك الحين نقود الأمم قدما من خيبة الى خيبة " (٢)

(١) أحجار على رقعة الشطرنج ، الاميرال وليام غاي كارص ١٤

(٢) البروتوكول الثالث ص (١٢٩)

هذا ما يقوله اليهود بأنهم هم الذين نظموا هذه الثورة والمعلم أن اليهود ليسوا هم الذين ينشئون الأحداث ولكنهم يستغلونها للقيام بدورهم الخطير. وقد عرفنا أن المظالم وسوء توزيع الثروة العامة كانت قائمة من قبل الأشراف والنبلاء ورجال الدين ولكنهم (اليهود) استغلوا هذه البهيسة الفاسدة لبهت مخططاتهم كما قلنا سابقا ولجعلوا من ذلك سندا للعامة والجاهل حتى يعرفوا أن التمسك بالدين والأخلاق والتقاليد تهممة ينبغي التبرؤ منها ..

هذه هي الثورة اليهودية التي سموها - بهتاناً وزوراً بالثورة الفرنسية - وهكذا جرت الأمور وتتابع لتصلح اليهودية العالمية وزوروا الحقائق التاريخية هذا ما اعترفت به دائرة المعارف الماسونية على لسان المؤرخ السياسي الاقتصادي لويس بلان : " ان الماسونية كانت ممعلا للثورة .. فقد مكثت الماسونية - نحو نصف قرن تعدد محافلها أفكار الشعب الفرنسي للقيام بثورته الكبرى ولا غربة في الأمر " فالماسونية ، قد اتخذت شعارا لها ، كلمات ثلاث : حرية - مساواة ، اخاء اتخذها قبل ان تتخذها الثورة الفرنسية شعارا " (١)

تمويل الثورة الفرنسية

أما عن تمويل الثورة الفرنسية فتعترف دائرة المعارف اليهودية أنه كان

وراء الثورة عدد من اليهود قاموا بتمويلها وتذكر أسماءهم صريحة وهم :

دانيال انزج	(١٧٢٢-١٧٩٩) من برلين
ديفيد فريد لاندر	(١٧٥٠-١٨٣٤) من برلين
هرز سير فيبر	(١٧٣٠-١٨٩٣) الألزاس
بنجامين جولدمسد	(١٧٥٥-١٨٠٨) من لندن
ابراهيم جولدمسد	(١٧٥٦-١٨١٠) من لندن
موزس موكاتا	(١٧٦٨-١٨٥٧) من لندن

(١) البروتوكول الأول ص ١١٩

وراجع حنا أبو راشد ص ١٥٢

نقلا عن كتاب الأفعى اليهودية في محافل الاسلام ، عبدالله التل ص ١٣

وهم عم المليونير الانجليزى مونتفيورى (١) ومن المعروف ان نيكر (-

(اليهودى السويسرى كان وزيرا لمالية لويست

السادس عشر ملك فرنسا ، فاعرق هذا الوزير فرنسا بالديون حتى وصلت

الى ١٧٠ مليون جنيه استرلينى ، وهى ديون باهظة فى ذلك الحين ، فرسموا

خطة تجويع فرنسا ٠٠ وحينئذ لم يسبق للشعب الفرنسى صبر على تحمل هذه

المجاعة العامة فقاموا بهذه الثورة اليهودية التلمودية ٠٠

ولن يعد غريبا مثل هذه الافكار الهدامة والأعمال المجرمة ، اذا قرأنا

الوثيقة الخطيرة التى وجدت بين أوراق ميرابو (Miraboh)

التي ضبطت فى منزل (مدام لجاي) زوج ناشركب ميرابو وذلك

فى ٦ اكتوبر (١٧٨٩) ونصها :

” يجب أن نسحق كل النظام ، وأن نلغى القوانين ، وأن نحوا كل السلطات

وأن نترك الناس فى فوضى ، وقد لا تنفذ القوانين التى نسنها فى الحال ، ولكننا

متى اردنا السلطة الى الشعب فانه سوف يقاتل من أجل حريته . يعتقد أنه

يقاتل لصونها ،

ولكن لما كان الشعب آلة يحركها المشرعون طبق ارادتهم فمن الضروري

أن نستخدمه لتأييدنا ، وأن نحمله على بغض كل ما نرى الى هدمه . وأن نفذه

بالخيالات والأوهام ، كذلك يجب ان نشترى كل الاقلام المرتزقة التى تبث

مبادئه ، والتى تعرف الشعب باعدائنا الذين نهاجمهم .

” فرجال الدين - مثلا - وهم أقوى الطوائف تأثيرا فى رأى العام لا يمكن

هدمهم الا بالسخرية من الدين ، والتشهير بأقطابه ، وتصويرهم أوغادا منافقين

(١) راجع :

نقلا عن كتاب الأسمى اليهودية فى معاقل الاسلام تأليف عبدالله التل ص ١٣

ذلك لأن (محمدا) مهد لانشاء دينه بالطعن في الوثنية التي يعتنقها
 العرب ، ومن الواجب ان تقوم النشرات القاذفة في كل وقت بحملات جديدة على
 رجال الدين ، فتبالغ والقتل والكفر كلها مباحة في أوقات الثورة . ثم يجب
 أن نشين من قدر النبلاء وأن نرجعهم الى أصل ساقط (١)

وهكذا كان شأن الثورة الفرنسية . . . فهي كانت - كما قلنا سابقا - من أسباب
 شقاء العالم واذلال الشعوب وتسخيرها لخدمة اليهودية العالمية التي خططت
 للثورة ومولتها ونفذتها وجنت أرباحها .

ويبقى أن نذكر الحقيقة المرة وهي أن فرنسا منذ ثورتها اليهودية
 الماسونية سنة ١٧٨٩ م قد تحولت تدريجيا الى مزرعة يهودية بمالها
 وثقافتها وعلمها وسياساتها واقتصادها .

كما غدت فرنسا بفضل التسامح الذي فرضته الثورة اليهودية بؤرة فساد .
 توزع الرذيلة والدعارة والفجور على العالم بأسره واذ فهمنا ذلك فلننتقل
 الى الدور الثاني الخطير الذي قام به اليهود في بث الأفكار الهدامة ضد
 الكنيسة ورجالها ، وهو الثورة الصناعية . . . فالى هناك !

ثانيا - الثورة الصناعية :

وقد قلنا - وسنظل نقول دائما - ان اليهود لا ينشئون الأحداث ولكنهم
 يستغلونها لتنفيذ مخططاتهم الماسونية التلمودية الصهيونية .
 نعم ! قد فرحت اليهودية العالمية أيما فرحة بقيام النهضة الأوروبية الحديثة
 على أساس لا ديني (Secularité) . ولم تكن فرحتها - بعد ظهري -
 الداروينية - أشد من الثورة الصناعية فبذلت اليهودية جهود الجبابرة لتوسيع
 الهوة التي قامت بين الدين وبين هذه الثورة .

■ * ■

(١) تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة ■ لجنة التأليف والترجمة والنشر
 ط ٢ ، ١٩٥٤ ص ١٤٤ ، ١٤٥

لقد استغلت اليهودية العالمية هذا الانقلاب الصناعي استغلالا يتجاوز حدود القياس ...

استغلته لتفتيت الروابط الأسرية وفساد الأخلاق ..
كما استغلته أيضا لنشر التعامل الربوي في أوروبا أولا وفي جميع بقاع العالم أخيرا ..

فلا بد - اذن - من إيضاح لهذه الاستغلالين ...
الا أننا نود - قبل هذا الإيضاح - أن نعطي للقارئ الكريم فكرة موجزة عن الثورة الصناعية التي كانت بمثابة (الذير العريان) (١) لمجيء الأحداث على الدين والأخلاق والتقاليد في أوروبا الحديثة ...
فالبك شرحا مختصرا لهذه الثورة الصناعية :

ان هذه الثورة المعجية بدأت بظهور الآلة .. فأحدثت انقلابا شاملا للحياة الأوروبية .. لا يقف عند حدود العلاقات الاقتصادية والاجتماعية فحسب ، وإنما يتعداهما الى كل نواحي الحياة في أوروبا ..
في البيت والشارع ..
في العمل وفي الأفكار ..
في التقاليد والقيم ..
والمبادئ والأخلاق ..

لم يبق شيء على الإطلاق الا أصابته سبوه ..
ان هذا الانقلاب ظهر أول ما ظهر في المدن تله الصناعية ، حيث بدأت تجذب اليها الشباب من الرجال الحزب ليعملوا في المصانع الجديدة ويعيشون في المدن على صفة لم يعرفوها سابقا ...
جاءوا بدون أسر .. فاجتمعوا في زمالة العمل .. غير متعارفين ولا مترابطين وفجأة بدأت الحياة الأوروبية تتغير ..

(١) هو الذي ينذر قومه وهو عريان ليعلموا أن الأمر شديد فيستعدوا بالجد قبل نزول الغارة أو المصائب .

الفلاحون الذين كانوا يعملون في الأرض ، أخذوا يعملون في المصانع " التي
تجمع حولها الشبان الأقوياء الفتوى العضلات " الذين يقدرون على الجهد
المعنى العنيف " .

وجاء دور تشغيل المرأة في المصانع :

ولما كان العمال الشبان يعملون فوق ما يطبقون ولا يأخذون الا بخس دراهم ،
فساءت العلاقة بين العمال والسادات " فكروا حينئذ في تشغيل المرأة بأقل
الأجور من الرجال " (١)

ثم جاءت المرأة لتعمل مع الشبان في المصانع .

جاءت أيضا بدون أسر " تشترك مع الشبان في العمل ، وصارت تملك
مالها ملكا تاما " . وتعامل مع الرجال الا جانب في المصنع والتاجر والطريق " .
فأحست المرأة أنها " تحررت " .

فكان ذلك انقلابا في نفسها " .

فاذا هي تلتقي مع الشباب المتحررين أيضا " .

من هنا خبثت أخلاقهم وانحلوا من ربة الدين والتحلى بالفضائل " .

ولكن الأمر لم يتوقف عند هذه الحدود ، بل قامت المرأة المتحررة تطالب

بجميع حقوقها كاملة غير منقوصة " .

وتطالب المساواة مع الرجل في الأجور " .

تطالب المساواة مع الرجل في التحلل والاباحية والانطلاق " .

تطالب دخولها في الجامعات مع الرجال جنبا الى جنب " .

تطالب دخولها في البرلمان والانتخابات والتمثيل الشعبي والصهي والنقابي " .

تطالب الحرية في القول والعمل " .

" فتحررت المرأة " وتحرر الناس من قيود الدين والأخلاق والتقاليد

وأصبحت الاباحية ديانة معترفا بها " ويقوم بالدعاية اليها رجال على مسيح من الحكومة " .

(١) التطور والثبات ، محمد قطب ص ٢٣ ولكن بالتصرف .

كتبوا وقصصا وبحوثا وصحافة وإذاعة وسينما وتلفزيون ..

وكان شعارهم في جميع أنحاء أوروبا : دعه يفعل (

دعه يمر)

ومعنى ذلك دع " الفرد " يعمل كما يشاء بلا قيود ودعه يمر لحاجاته

بلا حواجز ولا عوائق ..

فاندحرت أوروبا في ظلمات الالحاد والاباحية ..

هذا جزء ضئيل من قصة الثورة الصناعية ..

وجاء اليهود في وسط هذه الاباحية المطلقة الحرة لينفخوا في

صورها ويزينوها للناس في صورة براقعة خلافة .. فافهموا هؤلاء المجانين

أن الجنس عملية بيولوجية بحثة لا علاقة لها بالأخلاق - فبدوا

يحيطون بالمجتمع الأوربي المفتون المسكين ، من المغريات بشتى أشكالها

من القصص والمسرحيات وسينما ، وتلفزيون والإذاعة والصحافة ..

كل ذلك يصور الحياة من خلال الجنس ! الجنس فقط .. وتصوره على أنه

شيء طبيعى ..

ان اليهود أنفسهم قد اعترفوا بهذا الدور الفظيع الذى قاموا به فقالوا

في البروتوكول مايلي :

" يجب أن نعمل لتنهيار الاخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا .. ان فرويد

منا ، وسيظل يمرض العلاقة الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب

شيء مقدس ، ويصبح همه الأكبر هو اراء غرائزه الجنسية وعندئذ تنهار أخلاقه^(١)

وقالوا أيضا فيه :

" لقد رتبنا نجاح داروين وماركس ونيتشة بالترويج لآرائهم وأن الأثر

الهدام للأخلاق الذى تنشئه علومهم في فكر غير اليهودى واضح لنا بكل تأكيد^(٢)

(١)

(٢) البروتوكول الثاني ص ١٢٣

وهكذا جعلت اليهودية العالمية ، أوروبا بكاملها بين " فكي الكاشية " ولم
تستطع أوروبا التخلص من بينهما حتى وقعت صريعة بين أيدي اليهودية العالمية .
فأسست لها النظريات التي أسس عليها بنيان المجتمع الغربي الحديث ، يمكن
حصرها في ثلاثة عناوين :

- ١ - المساواة بين الرجال والنساء
- ٢ - استقلال النساء بشؤون معاشهن
- ٣ - الاختلاط المطلق بين الرجال والنساء

ولا يخفى على كل ذي عقل ان هذه الكلمات الثلاثة فيها ما فيها من تدمير
الأخلاق والخروج بالنساء من الانسانية الكريمة الى البهيمية الهابطة .
١ - أنهم فهموا من ساداتهم - اليهود ، أن معاني المساواة أن يرخص
للمرأة عنان القيود الخلقية مثل ما أرخص للرجل من ذي قبل .. فهذه الفكرة
الخاطئة جعلت المرأة غافلة بل منحرفة عن أداء واجبها الفطري الذي
يتوقف على أدائه بقاء المدنية بل بقاء الجنس البشري وهو تربية الأولاد في
البيوت وبترك هذا الواجب الفطري وصلت أوروبا الى نتائج فادحة ..

ومن نتائج هذا الاتجاه المنحرف أن تفككت الأسرة

لماذا ؟ الأب يعمل ..

الأم تعمل ..

والأولاد يعملون ..

فقد أدى هذه الاعمال المرهقة الى تعاطي موانع الحمل وقتل الأولاد ■
لأنهم يمتصونهم من أعمالهم .. هل يرضى بذلك البهائم والوحوش من سكان
الغاب والبراري ؟ لا والله !

هكذا صارت بنات حواء في المجتمع الغربي الحديث ..

اذا فهمنا هذا فلنتقدم الى خطوة ثانية ..

استقلال المرأة بشؤونها :

٢ - نود هنا أن نلقى الأضواء على النظرية الخبيثة التي تقول :
 باستقلال النساء بمعايشهن وأن يقمن بحالهن وبشؤونهن الاقتصادية ..
 ان هذه النظرية اليهودية ، نظرية باطلة لما ظهر منها من نتائج سيئة
 تتعارض مع الفطرة الانسانية ..

وبيان ذلك أن هذه النظرية تدعو أن تفوض شؤون البيت الى الفنادق
 والشركات .. لأن المرأة قد تحررت اقتصاديا ، تذهب صباح مساء الى الشغل
 وليس عندها وقت لاعداد الطعام في البيت ..
 الرجل
 وكذلك لا يوجد لديه وقت .. لأنه مشغول عن نفسه في كل ما يتعلق بشؤون
 المنزل .

فلم يبق بعد هذا الانقلاب بينهما من صلة ترغبهما في العشرة البيتية
 وتجبرهما على الحياة الزوجية المشتركة غير صلة الشهوات وغرائز النفس
 الحيوانية .

ومن الظاهر أن مجرد اطفاء أوار الشهوة البهيمية ليس بأمر يضطر الرجل
 والمرأة الى أن يتماشرا في بيت واحد ، مقرونين في نير الرابطة الزوجية الأبدية .
 لأنه من الميسور أن يجد كل واحد منهما مكانا آخر لا طفاء هذه الشهوة ،
 فما للمرأة - اذن - ترهق نفسها باعباء خلقية وأثقال قانونية في غير طائل .
 وان كانت تخاف من ولد الزنى الذي تلده من فاجر مغمور ، ولكن قد أذهب
 عن نفسها هذا الخوف ما ابتكر أخيرا من أساليب التخلص منه : وأولها تدابير
 منع الحمل . فان أخفقت فلا بأس باسقاط الجنين .. وان لم يتحقق ، فلا
 حرج في قتل المولود من وراء الجدران ، في جنح الليل وان أبت عا طفة الأمومة
 قتل المولود ، فلا لهم على الفتاة في كونها أمّا لا بن زنية ..

وبهذا فقد أصبح الناس في المجتمع الصناعي لا يعتبرون الاتصال الجنسي
 غير المشروع ، عيبا وازدراء وحظا من شأن الانسان ، بل العكس عندهم

هو الصحيح • وهو أن يفعل الانسان هذا الاتصال الجنسي البهيمي تخلصا من
تهمة الرجسية وحكم التخلف والجمود • •

هذا هو الذي أفسد أخلاق أوروبا من القواعد • وزلزل كيانه زلزالا
شديدا ولا يستطيع أحد أن يتصور مقدار هذه البهيمية التي يعيشون بها
الا من اتصل بالآخرين عن كتب • بل عن كتب أيضا • • يقول أبو
الأعلى المودودي في هذه المناسبة :

" كل قطر من أقطارهم ترى مئات الألوف من الفتيات والنساء عوانس • يرتدن
موارد الفحشاء والشهوات من غير تحفظ ولا خجل • •

" ويتفوقهن في كثرة العدد اللاتي يتزوجن في سورة من عاطفة
الحب المارضة • ولكنه لم يبق بين الرجل والمرأة من صلة غير صلة
التمتع الجنسية - تحوج أحدهما الى الآخر • •

وقد عادت أمثال هذه الأواصر الزوجية كأوهن ما يكون من الأمور • •
" وهذه الحال الراهنة هي السبب في شيوع المفسد من ضح الحمل واسقاط
الأجنة وقتل الأولاد وانخفاض تناسل المواليد وكثرة أولاد النفل • وكذلك
لها يد وأتى يد في انتشار الفاحشة والخلاعة وازدياد الأمراض السريسة
الفتاكة • • (١)

فلا بد أن يصلوا الى هذه النتائج المخيفة لأنهم في انحرافهم هذا قد خالفوا
الفطرة الانسانية ، فلا بد اذن من عقوبة الفطرة •

ان فطرة الانسان ترى دائما أن المبدأ الصحيح أن يكسب الرجل وتدبير
المرأة شئون البيت • • هناك يحصل التوازن ويحصل الوئام بين الطرفين •
بل يحصل هناك السكون والرحمة والمودة • •
النظيف

هذا ما قرره الاسلام في تكوين المجتمع المسلم / فقال تعالى :

(١) الحجاب لأبي الأعلى المودودي ص ٣٠ ، دار الفكر للطباعة والنشر •

* ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا انتم بشر تتشرون *

* ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم

مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون * (١)

أى أن البيت السعيد هو الذى يكون فيه السكون والرحمة والمودة .. ويكون

الفرض الأساسى للاتصال الجنى تشجيع على الانجاب والتكاثر الذى يرثك

ويدعوك بعد الموت .. وليس الفرض هذه الشهوات الحيوانية النكراء ...

٣ - ولم ينته المكر اليهودى فى تضليل الأوربيين حتى جردهم من كل خلق

انسانى ، قد استبدله لهم بأخلاق " الكلاب " و " الذئاب " .. قد استبدل

هذا البيت السعيد الهادى ، بالاختلاط المطلق بدون حياء ولا مروءة ...

فنتجت عن هذا الاختلاط المطلق ، نتائج فادحة ..

(١) التبعج والمرى فى النساء .. لأن الجاذبية الجنسية -

(Sexual Attraction) التى أودعها الله سبحانه

وتعالى - فى فطرة الرجل والمرأة ، لها سلطانها الذى لا ينكر ..

ان هذه الجاذبية - كما يعرف ذلك الجميع حتى الملاحدة - تزداد

قوة واشتدادا باختلاط الجنس ..

(٢) ولا ينتهى هذا الافتتان بابداء الزينة والجمال عند حد ...

بل يتجاوز الحدود كلها واحدا بعد الآخر ، حتى ينتهى أمره الى غايات المرى

المشين ..

ان أوربا الجاهلة شاهدة على ذلك .. فقد ازدادت - ولا تزال تزداد فى

المرأة الأوربية ، غريزة التجميل وحب الظهور بالمظاهر الجذابة للرجال

الى حد لا تكاد تظن أنها تعتبر نفسها انسانا ..

تراها تكاد تتجرد من ملابسها وتريد ألا تستر جسمها هدية ثوب مشمى ..

هذه حال المرأة عندهم ..

كل ذلك من تخطيط هذه الخلايا الخفية " اليهودية العالمية " .
وأما رجالهم فما تزيدهم كل هذه المظاهر الخلافة من الجمال النسوي الا نهمة
وشوقا ..

لأن نار الشهوة والمحافظة البهيمية المتأججة في الصدور لا تخمد بكل
مظهر جديد من الخلاعة والسفور .. بل تزداد دائما وتزداد ... (١)
ولا يزال هذا الداء الوبيل - من غلبة الشهوة البهيمية - ينخر في كيان
الأمم الغربية وينقص من قوة حياتها بسرعة هائلة ..
والتاريخ يشهد أنه ما سرى هذا الداء في مفاصل أمة الا أوردتها موارد
التلف والفناء ..

ذلك بأنه يقتل في الانسان كل ما آتاه الله من القوى العقلية والجسدية
وتقدمه في الحياة ..
وسنتكلم على ذلك بالتفصيل في الباب الذي سنعقده - ان شاء الله -
تحت عنوان (من نتائج الاتحاد الحديث) .

اندفاع غريب الى الشهوات

لقد تقرر معنا أن اليهودية العالمية لا تنشأ الا أحداث وانما تستغلها
وتنفخ فيها وتغبر أهدافها ، ، ، ، اذن تعلم أن الاندفاع الى هذه الشهوات
الحيوانية كانت موجودة في عروق الأوربيين .. فلا بد أن يكون ذلك لسبب من
الأسباب .. لأننا لم نراهم ديانسة يتجردون من دينهم بهذا الشكل
الغريب الفظيع الا الأوربيون .. فما هو سبب انحلالهم من الأخلاق
بهذا الشكل ؟

(١) حكم التبرج والاختلاط في الاسلام ..

الحقيقة أن الدارس لآخلاق المسيحيين يجد أن هذا الاندفاع إلى الشهوات

بهذا الشكل السريع وقع . كمر فعل ضد الكبت الكسبي . .

وتفصيل ذلك : أن الفكرة التي كان يحطها الآباء المسيحيون — كما قلنا سابقا —

في باب طغيان الكيسة — عن علاقة ما بين الرجل والمرأة ، كانت قد جاوزت

حد التطرف في جانب ، وكانت حربا على الفطرة البشرية في جانب آخر . .

فاليك شرحا موجزا من نظرتهم إلى المرأة . .

(١) أن المرأة ينبوع المعاصي وأصل السيئة والفجور . .

(٢) وهي باب من ابواب جهنم لأن منها انبجست عيون المصائب

الانسانية جمعاء

(٣) فيحسبها ندامة وخجلا أنها امرأة . . وينبغي أن تستحي من

جنسها وجمالها . . لأنه سلاح إبليس الأقوى . .

هذه نموذج من الفكرة التي كان يحطها آباء الكيسة تجاه المرأة . .

وكان ذلك رد فعل لا ندلاع هذه النار الشهوانية في ظل الثمورة

(١)

الصناعية .

فلنستمع إلى ترتوليان (Tertullion) الذي هو أحد

أقطاب المسيحية الأول وأعمقها مبينا نظرية المسيحية في المرأة :

" أنها مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان . . وأنها دافعة بالمرء إلى

الشجرة المنوعة ، ناقضة لقانون الله ، ومشوهة لصورة الله — أي الرجل . . (٢)

وكذلك يقول كراي سوستام (Chrysostem)

الذي يعد من كبار أولياء الديانة المسيحية في شأن المرأة . .

" هي شر لا بد منه ، ووسوسة جبلية ، وآفة مرغوب فيها ، وخطر على الأسرة

والبيت ، ومحبة فتاكة . . (٣)

(١) الحجاب ص ٢١

(٢) المصدر السابق ص ٢٢

(٣) المصدر السابق ص ٢٢

أما نظريتهم الثانية في باب النساء : فخلاصتها أن العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة هي نجس في نفسها . يجب أن تتجنب . ولو كانت عن طريق نكاح وعقد رسمي مشروع . (١)
 وأن كنا لا نجد مبررا للاحاد ، ولكنا نقول ان الكبت الكسبي له يد في اندفاع الناس الى هذه الشهوانية البهيمية الحقاء .

الخلاصة : ان هاتين النظريتين ما وضعتا المرأة المكانة اللائقة بها . .
 هناك تنفير منها ، وهناك دعوة الى عبادتها . . فالكل متطرف . .

تنبيه :

اذا قلنا أن الدول الأوروبية الملحدة قد فسدت أخلاقها وخبثت ليس معنى ذلك انهم لا يوجد لديهم شيء ما من الأخلاق ؟
 لا ! ان لديهم ألوانا من الفضائل في مجال التعامل الفردي : الصدق والاخلاص في العمل والاستقامة والأمانة ونظافة التعامل . . ولكنهم - لبعدهم عن منهج الله - تنحرف عن طريقها القويم .
 فقد تحولت - كما سنرى في آخر هذا البحث - الى فضائل " نفعية " يتبعها من يتبعها ، لأنها في مجموعها " نافعة " في التعامل . . تجعل عجلة الحياة تسير بلا احتكاك . .
 أما حين تفقد نفوسهم تجد الأوربي غير الأوربي وتصبح الأخلاق في نظره حماقة وعدم الفهم لا تستحق الاتباع ومستعمراتهم تشهد على ما نقول . .

هذا ما أريد أن أنبه اليه . .

الثورة الصناعية والتعامل الربوي

قد مررنا أن الانقلاب الصناعي بدأ بظهور الآلة ، وهي تحتاج إلى رؤوس الأموال الضخمة لإدارتها . . . فليس هناك من كان عنده مثل هذه الأموال إلا اليهود المرابون ، لا عند ملاك الأرض الاقطاعيين ولا غيرهم . . . فكانت هذه الفرصة بالنسبة لليهود فرصة سانحة أيضا . . . لأنهم يعلمون جيدا أنهم كما أفسدوا الأخلاق بواسطة النظريات والمنظمات السرية يستطيعون أيضا أن يفسدوا الجو في عالم الاقتصاد بسبب التعامل الربوي . . .

فبدوا يقرضون الرأسماليين عن طريق (الربا) غير مباليين تعاليم التوراة التي تقول : " لا أخيك لا تبع ربا " . . . (١)

أي لا تبع ربا لا أخيك في الإنسانية . . . ولكن اليهود - بنيتهم الخبيثة -

حرفوا معنى النص فقالوا : ان معناه كالتالي :

لا تبع ربا لا أخيك اليهودي . . . أما (الأميون) غير اليهود فلا جناح

عليك أن تمتص دماءهم بكل سبيل . . .

* ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل * (٢)

من هنا أباح اليهود الربا لأنفسهم ، فانتشر التعامل الربوي في الرأسمالية

الناشئة . . . فاتسمت - منذ البدء - برغبة الحصول على الربح الفاحش . . .

ومن أسهل سبيل .

وهذا هو بدء الكارثة التي أفسدت اقتصاديات أوروبا . وأبعدتها من كل

معنى الرحمة ومن كل معنى الإنسانية . . . (٣)

(١) سفر اللاويين ، الاصحاح ٢٥ آية ٣٦

(٢) سورة آل عمران الآية ٧٥

(٣) يراجع في هذا جاهلية القرن العشرين . محمد قطب ص ١٤٢ ، ١٤٥ .

ولكن بالتصرف .

من نتائج التعامل الربوى

ان هذا التعامل الربوى الذى يراه الناس شيئا تافها أو موردا من الموارد المالية ، قد نتجت عنه كوارث عالمية كبرى .

١ - قد أدى الى الاحتكارات الخانقة

وذلك ان تضخم الرأسمالية المتزايد ، والتقدم العلمى المتزايد ، أدى الى أن رؤوس الأموال الكبيرة صارت أقدر على الربح - بإمكاناتها العلمية - من رؤوس الأموال الصغيرة فأكلتها ! أو اضطرتها الى الدخول معها في اتحادات .

من المعلوم ، حين تتداخل كل رؤوس الأموال العاملة في صناعة ما ، وتكون اتحادا واحدا ، يصبح هذا الاتحاد بالضرورة محتكرا لهذه الصناعة وحده . . . بدليل أنه لا يستطيع أصحاب رؤوس الأموال الصغيرة ان ينافسوه في هذا الميدان الذى تخصص فيه وتبنيها لاحتكاره . . .

فمن هنا قلنا : ان التعامل الربوى تودى الى الاحتكار والانانية فلذا حاربه الاسلام بقوله تعالى : ﴿ أحل الله البيع وحرم الربا ﴾ (١)

ولأجل هذا نجد عالمنا كله اليوم يريدون نظاما اقتصاديا عالميا جديدا يخرجهم من هذه الاحتكارات التى تسود عالمنا اليوم الى الاستقرار الاقتصادى . هذا من مساوى اليهودى في أوروبا أولا وفي العالم بأسره أخيرا . . .

٢ - الاحتكار أدى الى فتح باب الاستعمار

وبيان ذلك : ان الصناعات قد زادت وتكدس الانتاج هنا وهناك . . . وأصبح لا بد من تصرف فائض الانتاج . . .

ومن هنا سعت الدول الرأسمالية الى الاستعمار والتوسع " الامبريالى " لكى تضمن الأسواق لفائض الانتاج . . .

* * *

فكان من نصيب الدول الاسلامية والافريقية أن وقعتا تحت نير الاستعمار الأوربي . .
ولم يكف هؤلاء المستعمرون بمحاولة بيع فائض الانتاج فحسب بل صاروا
يقتصون دماء تلك البلاد المستعمرة وينقلون خيراتها الى بلادهم
الأوربية .

هذه بعض نتائج التعامل الربوي الذي فتح بابه اليهود المرابون
وبعد : حان الأوان أن تنتقل الى الدور النظرى الذى استعمله اليهود في
افساد أوربا الجاهلة الضالة . . .

الدور النظرى :

وأما الدور النظرى : فهو بث النظريات الالحادية التى تنكر وجود الله
وتتغنى تدخله في الكون . وتنزع الأفكار الدينية كلها من رؤوس الناس
وقلوبهم . يقول البروتوكول الرابع في ذلك :
" يجب علينا أن ننتزع فكرة الله ذاتها من عقول غير اليهود وأن نضع
مكانها عمليات حسابية ورغبات مادية " (١)

ومما لا يختلف فيه اتفاق أن رباط الأمة الوثيق الذى يجعلها في مأمن
من التدهور والانحطاط هو الايمان بالله وكذلك لا أخلاق التى هى
أثر من آثار الهداية الالهية والتي سمت الأديان الى اشاعتها فكانما سارت
الأمة في مضمار الهداية شوطا ازدهرت حياتها ويشمل السلام ربوعها +
ولذا كان شدة هور الأخلاق في أمة ما نذيرا بالخراب . ومن الأهداف
المرسومة عند هؤلاء الصهاينة تقويض الأخلاق عند الغير لاضعافه
والسيطرة عليه فاستغلوا لذلك النظريات الهدامة والأفكار المضللة . هذا
ما صرحت به سياستهم في البروتوكول .

(١) راجع البروتوكول الرابع - ترجمة خليفة التونسي ص ١٣١ الطبعة الرابعة .

" ان الشباب قد انتابه الحته لانفسه في للفسق المبكر الذي دفعه اليه
أعواننا من المدرسين والخدم والمربيات اللاتي يعملن في بيوت الاثرياء والموظفين
والنساء اللواتي يعملن في اماكن اللهو ونساء المجتمع المزعومات اللواتي
يقلدنهم في الفسق والترف " (١)

وهذا ما اعترف به " أدولف هتلر " اذ قال : " فمذ أن وضع اليهود
والبلاشفة نصب أعينهم تقويض صرح الدولة الالمانية • رأينا الرذيلة تنصب
شراكها في طريق الشبيبة الالمانية ، كيفما اتجهت وأنى وجدت ، ورأينا
عرش الاباحه والخلاعة ينتصب في دور العرض السينمائي والمرايح والحانات
وحتى في الساحات العامة "
ثم أبدى أسفه بقوله :

" كيف يرجي من شبيبة هذا شأنها أن تهيب للذود عن الوطن وأن تستميت
في الدفاع عن مؤسساته وتقاليده .. " (٢)

ومن الروائع أن القرآن الكريم سبق أن قرر هذه الحقيقة منذ أرمية
عشر قرنا ، بما جاء في قوله تعالى عن اليهود :

* ويسمون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين * (٣)

وقال تعالى في اليهود أيضا : * وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان
وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون • لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن
قولهم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون * (٤)

فما ذكره القرآن الكريم ينطبق على اليهود الصهاينة - اليوم - أشد الانطباق ،
فهم لا يتورعون عن الآثام وفساد الخير يشق الطرق للسيطرة عليه • ومن طرقهم
المنحرفة استغلال النظريات التي توحى الى هدم قواعد الدين وإزالة أهله • واليك
نموذج لذلك •

(١) راجع اليهود في القرآن ، عفيف طيارة ص ٥٠ الطبعة السادسة

(٢) راجع كفاحي ترجمة الاستاذ لويس الحاج ص ١٤٦ ، ١٤٧

(٣) سورة المائدة الآية : ٦٤

(٤) المصدر السابق الآية : ٦٣

نظرية داروين ودور اليهود

لقد فزحت اليهودية العالمية أعظم فرحة يوم ظهر داروين المسيحي -
 بنظره للسائلة الذكر في أصل الأنواع وأصل الإنسان . فقد أدركت بذلكها
 بما وراء ذلك الحدث الضخم من صدام عظيم مع الكنيسة يقول كتاب بروتوكولات
 حكماء صهيون :

" ان داروين ليس منا ولكننا عرفنا كيف ننشر آراءه على نطاق واسع ونستغلها
 في تحطيم الدين المسيحي " (١)

واستغلت اليهودية العالمية نظرية (داروين) أبشع استغلال ..
 استغلتهما على يد ثلاثة من أكبر علمائها .. قاموا بصياغة الفكر الأوربي
 كله في ميدان الاقتصاد وعلم النفس والاجتماع .. أخطر ميادين ثلاثة في علم الفكر .
 أولئك هم ماركس وفرويد ودوركايم . وقد أشار اليهود الى هذا الاستغلال
 في بروتوكولاتهم فقالوا : " لقد رتبنا بنجاح داروين وماركس ونيشة بالترويج
 لآرائهم " وان الأثر الهدام للاطلاق الذي تنشئه علومهم في الفكر
 غير اليهودي واضح لنا بكل تأكيد " (٢)

ونكتفي بهذا القدر هنا مخافة الاستطويل والا لو أردنا أن تأتي بأكثر
 من هذا لفعلنا لأن كتبهم كهيلة لذلك . وانما أردنا هنا أن نثبت فقط
 انهم استخدموا النظريات لهدم الأديان والأخلاق .

استغلال المنظمات السرية لمحاربة الدين

كما استغلت اليهودية العالمية النظريات لمحاربة الأديان ، استغلت أيضا
 المنظمات السرية للعرض نفسه . ومن أخطر هذه المنظمات السرية المنظمة الماسونية .

(١) البروتوكول الثاني ص ١٢٣

(٢) المصدر السابق

قد استغلت اليهودية هذه المنظمة الخبيثة بشكل فريد • ونصوصهم في هذا الميدان كثيرة جداً • واليك نموذج من هذه النصوص الدالة على حقد اليهود على جميع الأديان والمبادئ النبيلة • ففي إحدى الكلمات التي القيت في مؤتمـ^(١) المشرق الأعظم الماسوني لعام ١٩٢٣ م قول أحدهم

” يجب أن لا تقتصر الماسونية على شعب دون غيره ولتحقيق الماسونية العالمية، يجب سحق عدونا الأزلي الذي هو الذين مع إزالة رجاله ...”

” سلقصر رجال الدين وشعاليهم على جانب صغبر جداً من الحياة وسيكون تأثيرهم وبيلا سيئا على الناس حتى ان تعليمهم سيكون لها أثر منقوض للأثر الذي جرت المادة بأن يكون لها ...” (٢)

ثم لم يكتف اليهود بافساد المسيحية بل حاولوا العبث بالمؤسسات والهيئات والجمعيات الدينية وادخال عناصر فاسدة فيها وتولية أمورها السذج من رجال الدين الذين لا قدرة لهم على التبصر في الأمور الدقيقة •

جاء في نشر المشرق الأعظم الماسوني الفرنسي لسنة ١٩٢٣ م قولهم :

” على الاخوان أن يتغلغلوا في صفوف الجمعيات الدينية وغيرها بل لعلهم — ان احتاج الأمر أن يقوموا بتأسيس تلك الجمعيات على ان لا تشتمل فيها أية رائحة حقيقية للدين • عليكم أن تلموا شمل قطيعكم أينما كنتم • حتى في المعابد الصغيرة وعلبكم أن تولوا أمورها السذج من رجال الدين وليطعموا خفيصة ذوى القلوب الكبيرة من الرجال بقطرات من سموكم •”

ثم قال : ” وبغية التفرقة بين الفرد وأسرته عليكم ان تنتزعوا الأخلاق من أسسها لأن النفوس تميل الى قطع روابط الأسرة والاقتراب من الأمور المحرمة • لأنها تفضل الثروة في المقاهي على القيام بتبعات الأسرة • وأمثال هؤلاء من الممكن اقتلعهم بالدرجات والرتب الماسونية ، وعلبكم أن تنتزعوا من بين أطفالهم وزوجاتهم وتقذفوا بهم الى ملاذ الحياة البهيمية ”

(١) مكائد يهودية ، عبر التاريخ ، عبد الرحمن حسن حبكة الميداني ص ١٣٨

(٢) المصدر السابق ص ١٣٨ (٣) المصدر السابق ص ١٨

هذه هي مهمة الماسونية وهذه هي مخططاتها الفريدة . لقد أثبتت تاريخ هذه الجمعية أنها من أخطر الجمعيات السريّة العالمية التي لعبت أدوارا خطيرة في تاريخ العالم والأمم ، وأثرت تأثيرا مباشرا على مصائر كثير من الشعوب ، وتحكمت في سياسة معظم دول العالم ، من حيث لم تشعر هذه الدول أنها قد كانت فريسة خديعة يهودية دخلت إليها عن طريق المحافل الماسونية التي تدبرها من وراء الستار أصبح المكر اليهودي ولقد يبلغ الدهش عند من يبحث عن مخططات هذه المنظمة السريّة . ملفه العظيم حينما يعلم أن حروبا عالمية كبرى قد كان اليهود هم العاملون على إثارتها واشمال نازها عن طريق الجمعية الماسونية ومحافلها في العالم .

وحينما يعلم أن كثيرا من القادة والزعماء المنحرفين في العالم قد أرسلتهم الى مراكزهم من الحيل اليهودية العالمية عن طريق الجمعية الماسونية ومحافلها في البلاد . . .

فتقد يرى بعض السطحين وقصير النظر ان هذا ضرب من الوهم ، وبالفئة من مبالغات الحدس ولكن الحقيقة التاريخية والواقعية جدرة بأن يكشفها الباحثون ، ويفتحوا أعين الناس حتى يروها ، ومهما كانت بعيدة عن مدى حدسهم ومهما استهان بهم عدم معرفتهم لذلك . ولاجل هؤلاء البسطاء نسوق هذه الأدلة التالية :

جاء في البروتوكول الرابع :

” من ذا وماذا يستطيع أن يخلق قوة خفية عن عرشها ؟ هذا ما/حكومتنا الآن . ان المحفل الماسوني المنتشر في كل أنحاء العالم يعمل في غفلة كقناع لا غراضنا ، ولكن الفائدة التي نحن دائبون على تحقيقها من هذه

(١) راجع عرض كتاب مكائد اليهود عبر التاريخ ، عبد الرحمن حسن حبكة الميداني

القوة في خطة عملنا وفي مركز قيادتنا ما تزال على الدوام غير معروفة للعالم كثيرا " (١)

(٢)

وجاء في البروتوكول الحادي عشر قولهم :

" ان الأُميين (اي غير اليهود) كقطيع من الغنم ، واننا الذئاب فيهم تعلمون ما تفعل الغنم حينما تنفذ الذئاب الى الحظيرة انها لتخضع عبوديتها عن كل شيء " .

وقضية محاربة الماسونية للدين قضية لا تحتل أى جدل أو مناقشة . لأنها من الأمور الكثيرة التي كشفتها تصرفاتهم الدائمة ثم اعترافهم وأقوالهم المنتشرة في كثير من الوثائق الصادرة عنهم من تصريحات وخطب وكتابات . وقد جاء في مضابط مؤتمر بلغراد الماسوني لسنة ١٩٢٢ قولهم :
" ويجب أن لا ننسى بأننا نحن الماسونيين أعداء للأديان ، وعلينا أن لا نألو جهدا في القضاء على مظاهرها " (٣)

وجاء في مضابط المشرق الأعظم الماسوني لسنة ١٩١٣ م قولهم :

" سوف نتخذ الانسانية غاية من دون الله " (٤)

وجاء في مضابط المؤتمر الماسوني العالمي لسنة ١٩٠٠ م قولهم :

" اننا لا نكتفي بالانتصار على المتدينين ومحابدهم ، انما غايتنا الأساسية هي ابادتهم من الوجود " (٥)

(١) البروتوكول الرابع ص ١٣١

(٢) البروتوكول الحادي عشر ص ١٥٨

(٣) مكائد يهودية ، عبد الرحمن حسن جنيحة الميداني ص ١٣٧

(٤) المصدر السابق ص ١٣٧

(٥) المصدر السابق ص ١٣٧

وفي مجلة لافاسيا للماسونية سنة ١٩٠٣ م قولهم :

" ان النضال ضد الأديان لا يبلغ نهايته الا بعد فصل الدين عن الدولة ^(١)

وجاء في مجلة الشرق الاكبر التركية الماسونية قولهم :

" لا نعتقد كهر الملحدين أو ثواب المتدين أو وصف الجنة والنار ، وإذا وجد

من يحاول العمل في ساحة الدين فنتركه وشأنه مع الله ، وإذا أصر على رأيه

فترجوه أن يتركنا وأن يدخلنا بينه وبين الله " ^(٢)

وفي النشرة الرسمية التي أذاعها الشرق الأعظم في فرنسا في تموز سنة ١٨٥٦ م

قولهم : " نحن الماسون لا يمكننا ان نتوقف عن الحرب بيننا وبين الأديان لأنه لا

خاص من ظفرها أو ظفرنا ، ولا بد من موتها أو موتنا ، ولن يرتاح الماسون

الا بعد أن يخلقوا جميع المعابد " ^(٣)

وقال " كوقيل " في حفل منفيس بلندن :

" اننا اذا سمحنا لمسلم أو نصراني بالدخول في احد هياكلنا ؟ فانما ذلك

قائم على شرط أن الداخل يتجرد من أضرابه ، ويجحد خرافاته وأوهامه التي خدع

بها في شبابه ؟ "

وفي المحاضرة الرابعة لم حفل السلامة الماسوني قولهم :

" ان الماسونية تجرد الافكار من الخرافات والنظريات اللاهوتية المدسوسة

من قبل الأديان " ^(٥)

وفي محاضرات حفل الشرق لعام ١٩٢٣ م قولهم :

" انه يجب أن تبقى الماسونية لمة واحدة ، وعليه يقتضى محو الأديان

ومقتسبها من الأساس " ^(٦)

واليك نموذجا آخر من نماذج التخطيط اليهودي لهدم الخلافة الاسلامية عن

طريق الماسونية .

(١) مكائد يهودية ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ص ١٣٧

(٢) المصدر السابق ص ١٣٧ (٣) المصدر السابق ص ٢٣٧

(٤) المصدر السابق ص ٢٣٨ (٥) المصدر السابق ص ٢٣٨

(٦) المصدر السابق ص ٢٣٨

الماسونية والخلافة الاسلامية

لقد رأينا في تصريحات الماسونية ، أن اليهود يسمعون دائما لمحـ
الاديان ومنتسبيها من الاساس .. فعلا قد رأينا الاعمال للتحريسية التي
قاموا بها ضد المسيحية .. فمن المستحسن أيضا وقبل أن تنتقل الى الثورة
الصناعية التي أفسدت أخلاق أوربا — أن نعطي فكرة موجزة عن دور
الماسونية في هدم الخلافة الاسلامية ليتضح لنا :

الدور الخطير الذي قام به اليهود لافساد العالم بأسره

ولما كان تفصيل ذلك وتأيد به بالواقع مما لا يحتمله الا كتاب ضخيم فاننا نكتفي
بذكر الباعث الحقيقي الذي جعل اليهود يقومون دائما بالمؤامرات ضد
الاسلام وأهله .

ان الدارس للتاريخ يجد أن الذي دفع اليهود للقيام بهذه المؤامرات
ضد الاسلام وأهله يرجع الى عدة أسباب . ولكن نذكر في هذه العجالة
سببين أساسيين بارزين هما :

(١) الحسد ضد الاسلام .

(٢) موقف السلطان عبد الحميد من الماسونية :

فلنعط فكرة سريعة لكل من هذين السببين :

أولا — الحسد ضد الاسلام :

ان اليهود قاموا بعدة مؤامرات ضد الاسلام منذ البداية بحسدا من عند أنفسهم
فقد حاربوا الاسلام في البدء ظاهرا أعنف حرب ، حتى فشلوا في ذلك ^(١) فارتدوا
يسالمونه سلا ما كان شرا عليه من حربه الظاهرة .. ^(٢)

(١) راجع الخطر اليهودي ، برتوكولات حكماء صهيون ، محمد خليفة التونسي ص ٧٤
(٢) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ د . ابراهيم علي شعوط ص ٤٥ سنة ١٣٩٦ هـ
١٩٧٦ م شارح يعقوب بالمالية ص ٥١

فلنضرب على هذه الحرب الخفية أمثلة بسيطة :

فكعب الأخبار - مثلاً - يفسر القرآن ويروى الأخبار ويملاً ذلك كله بما يسعى
عندنا " الاسرائيليات " (١) حتى أصبح من الصعب تخلص الكتب الاسلامية
الجليلة من الاسرائيليات .. ثم انه من جبهة اخرى يشترك في المؤامرة بقتل
عمر رضى الله عنه .. (٢)

وينشط عبد الله بن سبا نشاطاً من نوع آخر .. فهو يثير عصبية المسلمين
على خليفاتهم (عثمان) لما أحدث من بدع (على حد تمبيرهم) و كان
ينتقل بين العراق ومصر والشام مؤسساً " الخلافة الخفية " التي تثير النقمة
على عثمان رضى الله عنه انتهى الأمر بقتل عثمان وانقسام المسلمين أحزاباً ..

وهو من ناحية أخرى ينشط لنشر المبادئ الهدامة للإسلام فبدعو إلى
الايهان بترجمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته (٣) .. وغير ذلك
من المؤامرات اليهودية الكثيرة المنتشرة في كتب التاريخ ..

وهكذا انخدع المسلمون فحشدوا في كتبهم خرافات التوراة (٤) ، وجرى
بعضهم وراء تلك الأفكار الهدامة التي كان يبيتها هذا اليهودي الخبيث
(ابن سبا) .

وهذه أمثلة بسيطة من المؤامرات التي قام بها اليهود ضد ديننا
الاسلامي الحنيف ..

* * *

(١) الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير محمد بن محمد ابوشهيه ص ٢١ سنة

١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م

(٢) البروتوكولات ص ٧٦

(٣) المصدر السابق ص ٧٦

(٤) أباطيل يجب ان تحي من التاريخ د . ابراهيم على شعوط ص ٥١ - ٥٢

ط ٤ سنة ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ م

فلنقفز قفزة واسعة الى الفقرة الثانية ، وهى موقف عبد الحميد من الماسونية
لنرى أن أصبحا من الأصابع اليهودية كاملة وراء كل دعوة تستخف بالقياس
الأخلاقية ، وترى الى هدم القواعد التي يقوم عليها مجتمع الانسـان
في جميع الأزمان .. فاليهود كانوا وراء هدم الخلافة الاسلامية العنيفة .
واتخذوا لذلك وسائل متعددة .. سنبين بعضها فيما يأتي ..

(20)

ثانيا - موقف السلطان عبد الحميد من الماسونية :

وبذكرنا التاريخ أن السلطان عبد الحميد ، قد تعرض لضغط الصهيونية
العالمية برئاسة (تيودور هرتسل) الذي زاره في سنتي ١٩٠١ - ١٩٠٢ وعرض
عليه السماح لليهود باستيطان فلسطين على نطاق واسع مقابل كميات كبيرة
من أموال اليهود .. (١)

وكان مع هرتسل يهوديان آخران هما : (ايمانويل قروصو) رئيس الجالية
اليهودية في سلانيك - والحاخام (موسى ليوى) .
وبعد مقدمات مفعمة بالرياء والخداع ، فصّح هرتسل عن مطالبه ، فلقى من
السلطان الازدراء التام لذهب اليهود واطماعهم ووقاحتهم .. وما قاله السلطان
ردا على هرتسل :

" ان أرض وطننا لا تباع بالدرهم - ان بلادنا التي حصلنا على كل شبر منها
ببذل دماء أجدادنا لا يمكن أن نغترط بشبر منها بدون أن تبذل أكثر ما بذلنا
من دماء في سبيلها .. " (٢)

وحينما أدرك اليهود ثبات السلطان عبد الحميد في وجه اطماعهم زادوا من
تآمرهم لا سقاطه . واستعانوا في هذا السبيل بشتى الوسائل نذكر أهمها :

(١) خطر اليهودية العالمية ص ٤٥ عن كتاب الأفعى اليهودية في معازل

الاسلام ، عبد الله التل ص ٨٤

(٢) جواد رفعت ص ١٢٤ عن المرجع السابق ص ٨٤

الماسونية والقومية العربية واستغلال المبشرين للوصول الى هدفهم ..

واليك كلمة لكل واحد من هذه الامور الثلاثة :

أولا - الماسونية :

لقد جندت الماسونية قواها لخدمة اليهود وهدم الخلافة الاسلامية . واستخدم اليهود محافل الماسون في فرنسا وإيطاليا لنشر الدعاية الكاذبة ضد الخلفاء وبخاصة عبد الحميد الثاني الذي كان عدوا للماسون (١) .

ولم تترك أبواق الماسون عيبا من عيوب الحكم الا والصقته بحكم عبد الحميد الثاني ، حتى أصبح رمزا للظلم والاستبداد والقسوة .. وأخيرا شاعت الأقذار أن تسقط هذه الخلافة العظيمة التي كانت رمزا للقوة عند المسلمين ..

والغريب أن الماسون لا يخفي علاقتهم بالانقلاب العثماني الذي أطاح بالسلطان عبد الحميد الثاني . بل انهم يفخرون بالأدوار الاجرامية التي قاموا بها في تلك المجالات .. فقد قال الفيلسوف الماسوني (شاريبا) في حفل اقيم للماسون :

” انظروا الى اخوانكم الماسونيين الذين قاموا بالحركة الدستورية التي قلبت الحكم العثماني في آخر عهد السلطان عبد الحميد دون أن تسيل نقطة دم واحدة .. أجل فبمثل هذا الشعب الماسوني تفخر الماسونية ويعظم من شأن وسائلها السلمية السلمية .. ” (٢)

- (١) اعلان الحرية والسلطان عبد الحميد الثاني ، استانبول ١٩٦٠ ، نظام الدين نظيف ص ١١ وراجع أيضا مجلة الضار العدد الاول سنة ١٣٢٩ هـ مقالة للسيد محمد رشيد رضا . وراجع أيضا تركية الفتاة د . أرنست رامزور ، ترجمة الدكتور صالح العلي . مكتبة الحياة بيروت - ١٩٦٠ م ص ٤١
- (٢) دائرة المعارف الماسونية ص ١٦٦ نقلا عن كتاب الأفعى اليهودية في معاول الاسلام ، عبد الله التل ص ٧٨

وكذلك ضمنت جميعيات الماسون السرية المجرمين والارهابيين من اليهود والبلغار واليونان وغيرهم : فهو " عماد الثورة التي زحفت على استانبول وعزلت السلطان عبد الحميد ..

وكان يرأس الوفد الذي قدم للسلطان وثيقة العزل اليهودي الماسوني (قره صو) الذي صده السلطان مع (هرتسل) في المحاولات الصهيونية الاولى (١) .
وبعد عزله أخذت النكبات تتوالى على الامبراطورية الاسلامية العظيمة (٢)
فضاعت " ليبيا " واحتلتها (ايطاليا) ، ثم ضاعت مراكش ١٩١٢ م ..
وهكذا تتابعت الولايات اثرويات على الخلافة حتى جاء الشيطان الكبير ..
مصطفى كمال الذي تم به كل مخططات الماسونية الماكرة ..
واليك نموذجاً مما قام به هذا الشيطان الكبير ..

مصطفى كمال رأس الأفعى اليهودية

لقد اختارت اليهودية العالمية هذا الشيطان الكبير (مصطفى كمال) للقيام بيهدم الخلافة الاسلامية ، لما كانت تعلم أن مصطفى كمال هو الجواد الرابع الذي ينفذ أوامرها ويهدم الخلافة ..
والطريف في الأمر ، أن مصطفى كمال قد نجح في حشد القوى الشعبية التركية بسلاح الاسلام ، حيث يستند فيهمهم للدفاع عن الوطن الذي استباحته الصليبية اليونانية ..
وكان يتظاهر بالتدين والتعلق بأهداب الدين ويصلي في مقدمة الجنود البسطاء ..
وكان يتعلق العلماء ويحطف عليهم ويستغلهم لشحن النفوس ودفعها الى الاستشهاد في سبيل الله . (٣) (أنظر الصورة المرفقة) ..

(١) عمر مفتي زادة ، جهاد ناطق ، الدار البيضاء ١٩٦١ ، ص ٨

(٢) الفخارة على العالم الاسلامي ص ١٧٨

(٣) جهاد ناطق ص ١٠ عن كتاب الأفعى اليهودية في معاقل الاسلام ، عبد الله التل ص ٨٨

وحلما استتب له الامر وأصبح ابالأتراك كما كانوا يسمونه (أتاتورك)
(١) شرح بتنفيذ الخطة الجهنمية التي رسمت للمحاربة الاسلام ولهدم الخلافة .

وكانت الخطة الجهنمية ، بعد تفاوضه مع الحلفاء اليهود في الاتفاقية
المعروفة باتفاقية " كهرزن " ذات الشروط الأربعة :

- (١) - إلغاء الخلافة الاسلامية نهائيا من تركيا .
 - (٢) - أن تضمن تركيا تجميد وشل حركة العناصر الاسلامية الباقية في تركيا .
 - (٣) - أن تقطع تركيا كل صلة مع الاسلام .
 - (٤) - أن يستبدل الدستور العثماني القائم على الاسلام بدستور مدني بحت .
- ولم يقدم مصطفى كمال على تنفيذ خطط اليهود والماسون دفعة واحدة وإنما
تدرج بها ، ونفذ أجزاء الخطة بحسب الظروف المواتية ..

ففي أول نوفمبر ١٩٢٢ م خلع وحيد الدين (محمد السادس) من الخلافة
وسوى عبد المجيد بدلا عنه ، وفي أغسطس ١٩٢٣ م أنشأ حزب الشعب الجمهوري
وأغلب أقطابه من يهود الدونمة والماسون .

وفي ٢٠ أكتوبر ١٩٢٣ م أعلنت الجمهورية التركية وانتخبت الجمعية
الوطنية " مصطفى كمال رئيسا للجمهورية " .
وفي ٢ مارس ١٩٢٤ م ألغيت الخلافة التي طالما كانت خنجرا في صدر
اعداء الاسلام (٣) .

فلنستمع الى المؤرخ " آرمسترونج " يصف هذه الخطوات المملونة ،
بالقول ::

(١) انظر ايضا فصل صناعة الزعيم ، من كتاب عندما يحكم الطغاة د . جريشة .

وفي ظلال القرآن ، سيد قطب ٨ : ٨٦

والدبلوماسية والميكافيلية ، محمد صادق ص ١٤٩

(٢) المخططات الاستعمارية لمكافة الاسلام ■ محمد محمود الصواف ١٣٨٩ هـ ص ١٧٤

(٣) كتاب ترك واتاتورك ص ١٨-٢٠ وراجع ايضا ، مصطفى كمال الذئب الأكبر

أرمسترونج دار الهلال ١٩٥٢ ص ٢١٢

" انطلق كمال اتاتورك يكمل عمل التحطيم الشامل الذي شرع فيه وقد قرر انه يجب عليه أن يفصل تركيا عن ماضيها المتعفن الفاسد ، يجب عليه أن يزيل جميع الأنقاض التي تحيط بها ، هو حطم فعلا النسيج السياسي القديم ، ونقل السلطة الى ديمقراطية ، وحل الامبراطورية الى قطر فحسب ، وجعل الدولة الدينية جمهورية عادية ، انه طرد السلطان (الخليفة) وقطع جميع الصلات عن الامبراطورية العثمانية ، وقد بدأ الآن في تغيير عقلية الشعب بكاملها وتصوراتها القديمة واعاداته ولباسه وأخلاقه وتقاليدته وأساليب الحديث ومناهج الحياة المنزلية التي تربطه بالماضي .. " (١)

هذا ما فعلته الماسونية بالخلافة الاسلامية . وكانت ترغب أن تحول الأمة الاسلامية بكاملها الى دولة الحادية كما فعلت ذلك في أوروبا ولكن العقيدة الاسلامية الصامدة حالت بينها وبين ما ربهما .

ومع ذلك استطاعت أن تغير جانبا كبيرا من الحياة الاجتماعية الاسلامية في تركيا ونحوها ..

فلذا نجد مصطفى كمال نصب نفسه اليها من دون الله يشرع للأمة كما يشاء ، فلفق قانونا فريدا يتكون اكثره من القانون السويسري والقانون الايطالي وغيرهما وأكمل الباقي من عنده ومع ذلك يدعى أنه ممن عنده قائلًا :

" نحن لا نريد شرعا فيه قال وقالوا ولكن شرعا فيه قلنا ونقول " (٢)

ثم اقتفاه وزير العدل هارحا وفسرا :

" ان الشعب التركي جدير بأن يفكر بنفسه بدون أن يتقيد بما فكر غيره من

قبله وقد كانت كل مادة من مواد متبنا القضائية مبدوءة بكلمة قال (وقالوا) ::

(١) الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية ، النسوي ، القاهرة ص ١٦

(٢) حاضر العالم الاسلامي ، حواش شكيب ارسلان ٣/٣٤٣

فأما الآن فلا يهنا أصلا ماذا قالوا في الماضي بل يهنا أن نفكر نحن
(١)
ونقول نحن :

ولم يكتف مصطفى كمال بهذه الخطوات الماسونية اليهودية بل تجاوز كل ذلك
فقام وألغى بالعنف والارهاب ما يلي :

- ١ - الكتابة التركية بالاحرف العربية .
 - ٢ - وحرم الاذان بالعربية
 - ٣ - وكب المصحف بلغة الهجين التركية
 - ٤ - وحدد عدد المساجد
 - ٥ - وألغى وزارة الأوقاف
 - ٦ - وألغى الأعياد الاسلامية
 - ٧ - وأخرج النساء من الحشمة والحياء الاسلاميين
- ماذا بقي للدين ؟

وبعد هذه الدساتير اليهودية والمؤامرات الماسونية وقعت تركيا في شبكة
اليهود واصبحت - كما وصفها الأ مير شكيب أرسلان " ليست حكومة دينية من طراز
فرنسا وانجلترا فحسب " بل هي دولة مضادة للدين كالحكومة البلشفية في روسيا
سواء بسواء .

اذ أنه حتى الدول اللادينية في الغرب بثوراتها المعروفة لم تتدخل
في حروف الاناجيل وزى رجال الدين وطقوسهم الخاصة وتلغى
الكنائس " (٢)

(١) المصدر السابق : ٣ : ٣٤٦ ، ٣٤٥

ويراجع كتاب الرجل الصنم ضابط تركي سابق ، ت / عبدالله عبدالرحمن ،
بيروت ص ٢٠٥

(٢) حاضر العالم الاسلامي ، الأ مير شكيب أرسلان ٣ / ٣٣٦

النموذج للحكام

وبهذه الحقيقة المرة صار هذا الشيطان الكبير (مصطفى كمال) النموذج الصارخ للحكام في عالمنا الاسلامي أعنى الحكام الذين اتبعوه فـى هذا الاتجاه المنحرف ..

ولقد كان لاسلوبه الاستبدادى الفذ أثره في سياسة من جاء بعده ، منهم .. كما أعطى الاستعمار الغربي مبررا كافيا للقضاء على الاسلام .. ولكن ربك لرب المصايد ...

بهذا القدر نكتفي لتثبيت أن الخلايا الخفية لها يد خفية في جميع الحروب والثورات التي تعصف بحياتنا ، والفوضى التي تسيطر على عالمنا وبعد كل ذلك ندرك يقينا أننا لسنا مع مخلوقات عادية من لحم ودم ، بل مع القوى الروحية والفكرية التي تعمل في الظلام وتسيطر على معظم هؤلاء الذين يشتغلون المراكز العليا في العالم بأسره .. (١)

رائدناها قد أنزلت الولايات على المسيحية حتى أصبحت أوروبا دولة الحادية وكما رأينا أصابعها أيضا تحرك الأمة الاسلامية المجيدة حتى أسقطت خلافتها المريقة . ان دل هذا على شيء فانما يدل على أن القرآن المجيد وحى من عند الله حيث أخبرنا عنهم قبل أربعة عشر قرنا بقوله :

﴿ ويسمون في الأرض فسادا ﴾

■ * *

ولكن ليس بأعجب من هذا الرجل عميل الماسونية وزمرته ممن ينادون اليوم — من عالمنا الاسلامي — باقامة حكومات علمانية ويقولون ان مصطفى كمال هو قائدهم الروحي .. يا للمعجب !!

(١) أحجار على رقعة الشطرنج ، الاميرال وليام دى كار ص ٢

ان السرفي قولهم هذا مجرد تقليد أعمى وليس عن دراسة وعلم وانصاف في

التحقيق ..

انهم قلدوا في هذا القول بعض الاوربيين الذين يمدحون مصطفى كمال على

فعلته هذه ..

فمثلا نجد (توينبي) يمدح مصطفى كمال على عمله واعتبره أعظم من هتلر

عبقريه في معرفه فن الهدم وقطع الصلة بالماضي ، وقال :

" ان الدولة القومية التركيه التي أقامها مصطفى كمال على النسق الغربي

تبدو - وقت كتابة هذه السطور - عملا ناجحا لم يتحقق مثله حتى ذلك الوقت

في أي بلد اسلامي آخر " (١)

وكما امتدحه (ولفرد كانتول سميث) - على طريقته الخاصة - قائلا :

" رأينا تركيا في سبيل رفعة شأنها وخلق مثل عليا جديدة لم تتردد

في سحق السلطات الدينية وألغت تعاليمها وحررت الاسلام وكشف النقاب عن

الدين الحق القويم " (٢)

وبهذه الأقوال انخدع هؤلاء الدعاة الى اقامة الدولة الملمانية فسي

العالم الاسلامي . ولكن الله غالب على أمره .

(١) مختصر دراسة التاريخ ، أرنولد توينبي ، ت فؤاد نبيل القاهرة ١٩٦١ م .

١١٣/٣

(٢) الاسلام والخلافة ، علي الحسن الخربوطلي ، بيروت ١٩٦٩ م -

ص ٢٨٥ .

ثانيا - الدعوات المفرضة للقومية العربية :

ان هذه الدعوات قد أسهمت في تحقيق مآرب اليهود في القضاء على الخلافة وقد استغل اليهود بعض مفكرى العرب من النصارى الذين لم يروا الا فساد الخلافة وظلمها فأبرزوا المساوىء على نطاق واسع ودعوا الى القومية العربية بأساليب بحثت الشك في اولئك الدعاة الذين نادوا بتحرير العرب وفصلهم عن الخلافة مقلدين النزعات القومية التي اجتاحت دول أوروبا في القرن التاسع عشر .. (١)

ويعترف مؤرخو العرب من النصارى بان الرواد الاوائل لحركة القومية العربية كانوا من (النصارى) ، وأنهم تعاونوا مع الماسونية الأوروبية وفروعها ومحافلها في المشرق العربي .. وكان لهذه الحركة أثر فعال في هدم الخلافة الاسلامية ..

وأسهم ادباء النصارى وشعراؤهم في نشر الافكار القومية منددين بالحكم التركي ومتعذرين بأمجاد العرب كما قال شاعرهم ابراهيم اليازجى :

تنبهوا واستفيقوا أيها العرب	فقد طوى الخطب حتى غاصت الركب
كم تظلمون ولستم تشتكون وكم	تستغضبون فلا يسبد ولكم غضب
أقداركم في عيون الترك نازلة	وحقكم بين أيدي الترك مقتصب
فشمروا وانهمضوا للأمر وابتدروا	من دهركم فرصة ضمنت بها الحقب (٢)

* * *

(١) الأفعى اليهودية في معاقل الاسلام ، عبدالله التل ص ٨٠

(٢) القومية العربية في القرن العشرين ، تأليف دكتور توفيق بروتو ، دمشق .

الأعمال السياسية

وعلى ضوء هذا كان نصارى العرب على صلة وثيقة بالجمعيات الهدامة
اليهودية وشبكات الجاسوسية العالمية ..
ولذلك كونوا الجمعيات السرية التي تناهض الخلافة الاسلامية وتدعو
الى حكومة لادينية وطنية او قومية .

ولنذكر على سبيل الاختصار عددا من هذه الجمعيات منها :
جمعية بيروت (فارس نمر) وجامعة الوطن العربي (نجيب عازوري)
والجمعية القحطانية ■ ثم الحزب القوي السوري (أنطون سمادة) واخيرا
حزب البعث (ميشيل علق) (١)

ولم تكف هذه الجمعيات في تنفيذ المخططات الماسونية في الحقل السياسي
وانما نفذوها أيضا في الأعمال الفكرية أيضا . واليك نموذجا من ذلك :
الأعمال الفكرية :

حاول هؤلاء النصارى تنفيذ هذه المخططات الماسونية في الفكر والثقافة
فاستعملوا لهذه الوسائل الآتية :

١ - الصحافة : فأصدروا صحفا كثيرة منها : الجنان والمقتطف والهلال وكان
محرروها أمثال نصيف البازجي ويعقوب وجرجي زيدان يمثلون طلائع اللادينية
في الشرق الاسلامي .

ب - التراث الاسلامي : اتجه قسم منهم الى التراث الاسلامي اتجاها يشابه طريقة
المستشرقين فألفوا المعاجم اللغوية والقواميس والموسوعات للترجمة .. ومن
هؤلاء أحمد فارس الشدياق وبيطرس البستاني ولويس شيخو .
(١)

(١) القومية العربية في ضوء الاسلام (رسالة ماجستير) صالح العبود ، جامعة
الملك عبد العزيز ص ٨٠

ج - الفلسفة : قد انكب بعضهم - تنفيذاً لمخططات الماسونية الجهنمية - على الفلسفات المريبة فنشروا مؤلفاتها ومجدوا زعمائها ، ودأبوا الحرب على اعتناقها واقامة حياتهم على أسسها .
من هؤلاء شبل شميل الدارويني المتطرف وسلامة موسى ..

د - الشعر : قد ظهر من هؤلاء النصارى شعراء أذكو بشعرهم الحماس القوي ضد الاسلام مثل ابراهيم اليازجي وبشارة الخوري والشاعر القروي وشعراء المهجر ..

يقول شبل شميل :

"... الا تم تقوى بمقدار ما يضعف الدين فهذه أوروبا لم تصبح قوية ومتمدنة - فعلاً - الا عندما حطم الاصلاح والثورة الفرنسية سلطة الكليروس على المجتمع وهذا يصح أيضا على المجتمعات الاسلامية" (١)

ان هذا مما لا يدع مجالاً للشك أن الماسونية لها يد في اسقاط الخلافة الاسلامية المجيدة ..

فلنتقل اذن الى الجزء الثالث والاخير لنرى كيف أسهم المبشرون ايضا في الفارة على العالم الاسلامي وفق مخططات الماسونية اليهودية العالمية ..

ثالثا - الصليبية الغربية الحاقدة :

قد مرّ بنا أن اليهود لما حاولوا بث مخططاتهم في قلب نظام الخلافة الإسلامية استعملوا خطوات عديدة قد ذكرنا منها أولا الماسونية شمس القومية العربية ثانيا والآن نحاول أن نتكلم عن الصليبية الحاقدة بكل ابهازاز... لأن قصدا هنا بيان خبث الماسونية التي كانت من أسباب الانحطاط الخفية في أوروبا الحديثة ثم تجا وزت أوروبا حتى امتدت اليها هدم الخلافة الإسلامية .

الصليبية الماكرة الحقاء ، بعد أن رأت امتداد رقعة الاسلام ولا سيما بعد سقوط القسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح وزحف الاسلام حتى أبواب فيينا - فقد وضعت الصليبية الحاقدة نفسها في خدمة اليهودية العنصرية ليسخرها رأس الأفعى في مساعدته على تحقيق خطط اليهود والتخريب .

ومن أجل هذا تحالفت قوى الصليبية الأوروبية في دول عديدة هي :
(22) (23) (24) (25) (26) (27)
بلغاريا ورومانيا والنمسا وفرنسا وروسيا واليونان وإيطاليا ، لمحاربة الدولة العثمانية وحرمانها من الهدوء والاستقرار والتفرغ البناء .

وقد أدى الضغط الصليبي المستمر الى تشييق رقعة الاسلام في أوروبا .. كما أدى الى تقطيع أوصال السلطة التي كانت تمتد من تركيا شمالا الى حضرموت جنوبا ومن ايران شرقا الى طنجة غربا . فضاعت الجزائر سنة ١٨٩٠ م ثم احتلت مصر سنة ١٨٨٢ م ومن بعدها تونس وليبيا والمغرب (١)

وفي الختام نشب هنا ما قاله رئيسها رساليات التبشير الالمانية في تقرير وضعه عن أعمالها سنة ١٩٠٠ م :

(١) انظر الأفعى اليهودية في معادل الاسلام ، عبد الله انتل ص ٧٦ .

" ان نار الكفاح بين الصليب والهلال لا تتأجج في البلاد النائية ولا في مستعمراتنا في آسيا و افريقيا ، بل ستكون في المراكز التي يستمد الاسلام قوتها وينتشر سريانها في افريقيا ام في آسيا وبما أن الشعوب الاسلامية تولى وجهها نحو الاستانة عاصمة الخلافة ، لان كل المجهودات التي نبذلها لا تأتي بفائدة اذا لم نتوصل الى قضاء لبناتها فيها ..

ويجب أن يكون جل ما تتوخاه جمعية ارساليات التبشير الالهانية هو بئذ مجهوداتها نحو هذه العاصمة وهي قلب العالم الاسلامي .. " (١)

عنا انما عاصمة الخلافة - الاستانة - هي المقصودة أولا ، لان الخلافة كانت الشبح الرهيب الذي يقض مضاجع المبشرين والمستشرقين من اليهود

كيف لا ! وهي التي كانت بهيمتها وسيطرتها تزلزل عروش أوروبا وتعمل لواء الاسلام بصدق وأمانة .. وتذود عن المقدسات التي توحدت دون حدود أو حدود طوال خمسمائة عام ..

ومن أجل هدم الخلافة ابتدع شياطين اليهود فكرة القومية التركيبية (الطورانية) أولا ثم القومية العربية اقتداء بها ، ونكاية ...

وهذه هي اليد الخفية في أوروبا وفي العالم الاسلامي وفي العالم كله ...

(١) الفكرة على العالم الاسلامي را . ل شاتليه ، محب الدين الخطيب ط ٢

ثانيا - رجوع أوروبا الى ارثها القديم

في الجزء الأول قد تحدثنا عن دور اليهود في افساد أوروبا وقتلنا أنه أحد السببين الخفيين من أسباب الالحاد ، وهنا نود أن نتحدث عن السبب الثاني الذي هو رجوع أوروبا الى ارثها القديم . ان أوروبا - بعدما كبرت برب الكنيسة رجعت الى ارثها القديم . وهو الوثنية الاغريقية - فخير نموذج له الأسطورة الاغريقية الشهيرة .

" زيوس هو رب الالهة والناس جميعا ، وكانت الصراعات بينه وبين الالهة تشب باستمرار وكان بينه وبين الاله " بروميتون " عداوة أيضا . فخلق بروميتوس الانسان من الطين وعندما انتهى من تشكيله نفخت فيه الروح الالهية " أثينا " وحقد زيوس على الجنس البشرى وقصد حرمانهم من كل خير ففى الدنيا وابتلاهم بحرمانهم من النار التي هى ضرورة جدا للانسان ، و لكن (بروميتوس) سرق النار من السماء أو من مصنع (هيفايستوس) اله النار والحرف . وبخاصة الحدادة كما علم البشر الفنون والحرف متحديا الاله الأكبر . فلما تعلم الانسان ذلك ، يثس زيوس من قدرته على اهلاكه لكنه ظل على الدوام يتحين الفرصة للانتقام منه وتقليل فرص المعرفة أمامه كيلا يتجاوز حدوده فيصبح الاله . . " (١)

هكذا ورثت أوروبا الحديثة هذه الفكرة المنحرفة ، من الاغريق ، وفهمت من هذا الارث " الكبير " أن كل ظفر للانسان في مجال العلم والمعرفة - انما هو حزيمة لارادة الاله وكل كشف يصل اليه انما هو انتصار على هذا الاله المزعوم .

وبقيت هذه الفكرة في أخلاذ الناس في أوروبا ، وحتى بعد أن تخلت أوروبا عن عبادة زيوس وغيره ، ورفضت عبادة اله الكنيسة معتنقة عبادة الطبيعة ، وظلت

(١) انظر مثلاً أساطير الحريق ج ٥ سلسلة تراث الانسانية . مجموعة من الأساتذة
الهيئة العامة للكتاب ، مصر . .

في أفكارهم هذه الأُمنية يعنى التصار الانسان على (الله) عز وجل عن طريق انتصاره على الطبيعة ..

وكلمة اليونسكو في كتاب " تاريخ البشرية توضح هذه النية ..
 " كانت الفكرة العامة في معظم المجتمعات في الماضى ان الطبيعة موجودة ببساطة ، تؤثر في حياة الانسان على نحو لا يتغير ، وازاء قوتها العارمة لم يحاول أن يطوعها كثيرا لاحتياجاته بل كان عليه أن يكيف نفسه ووفق ما يلائمها ولكن انسان القرن العشرين قد أخذ يخناق الطبيعة مما على أن يستخرج أسرارها وأن يستغل مواردها وأن يقهر آثاره الخطرة (١)
 ويقول نخبة من العلماء السوفييت في كتاب أصدره مايلي :

" الطبيعة كنم لا تبع بأسرارها . فهي تكتب قوانينها بنظام غامض ثم تحكم غلظها واخفائها بعيدا في خزانات متينة .. وهي لا تكشف عن أسرارها الا قسرا فلا تصلح الباحثين من هذه الأسرار في كثير من الأحيان الا بدلائل للحقيقة فقط ... " (٢)

هذه هي فكرة العلماء الماديين الى الله عز وجل . فهم يحاولون - بكل ما أعطوا من قوة العلم أن يتغلبوا على الله حتى يصبح الانسان هو الله كما مر بنا ذلك سابقا . واعتمادا على هذه الفكرة اللاحادية ، ذهب بهم الخلو الى حد أنهم يرفضون ذكر اسم الله على أي بحث علمي .

بحكي لنا استاذ من أساتذتنا في جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة .. انه قد شهيد في أوروبا بحثا قدمه طالب من المسلمين فكتب في الصفحة الأولى - (بسم الله الرحمن الرحيم) .. ولما رآه بعض الأساتذة الأوربيين استغرب فقال له : لماذا تكتب اسم الله على كتابك ؟ هل هو الذى بحث لك هذا البحث ..

أنت الذى قمت بهذا العمل بدون أى تدخل منه .. فلماذا تكتب اسمه ؟؟

هذا ما فعله هذا الارث اليوناني في افكار الملاحدة الأوربيين الى هذا الحد يظهر لنا بكل وضوح آثار التراث اليوناني في البحث العلمى الحديث .

- (١) الفضاء الخارجى والانسان تأليف مجموعة العلماء السوفييت ت/ زكريا فهمي ١٩٧ ص ٣٥
- (٢) على مفترق الطرق ، محمد أسد ص ٦١
- (٣) هذا الاستاذ هو محمد قطب قال ذلك في أثناء القائه لنا الدرس في السنة المنهجية بجامعة الملك عبد العزيز .

حواشي الباب الأول

- (1) برتراند رسل (١٨٧٢ -) (فيلسوف ورياضي انجليزي تعلم بكمبريدج حيث تولى التعليم بعدئذ .. عارض الحرب لانه الحرب المالمية فسجن .. وبعد الحرب كتب مؤلفاته في الاصلاح الاجتماعي .. سمي مذهبه الفلسفي (بالواحدة المحايدة) لانه يرى انه لا فرق بين عقل ومادة الا في طريقة التكوين .. وذلك ان الحوادث لا هي عقل ولا هي مادة .
- (2) ستالين جوزيف فساريو نفتش (١٨٧٩ - ١٩٥٣) سياسي ودكتور روسي وزعيم شيوعي اتهم انه اشترك في سرقة بنك ١٩٠٦ في تغليس وقبض البوليس القيصري عليه خمس مرات بين (١٩٠٢ - ١٩١٣) ولكنه كان يهرب في كل مرة ثم صار يحكم روسيا بيد من حديد حتى وفاته في مارس ١٩٥٣
- (3) افليون له رائحة قوية وطعم مر .. ان تعاطى الافيون بالتدخين او المضغ ينتج عنه الادمان مما يسبب تدهورا في عقلية وصحة المدمنين .. وقد منعت بعض الحكومات زراعة الافيون الا ان كل هذه القوانين لم تفلح في منع التجارة فيه واستعماله بطرق غير مشروعة .. الموسوعة ص ١٨٣
- (4) جينتر ، سبرجيمس (١٨٧٧ - ١٦٤٦) عالم رياضيات وفيزيقي وفلك بريطاني ..
- (5) ولز هربرت جورج (١٨٦٦ - ١٩٤٦) اديب صحفي انجليزي ولد في بروملي وتخرج في جامعة لندن ١٨٨٨
- (6) يوحنا الرسول " احد الرسل الاثني عشر " اخو يعقوب بن زبدي صاحب الانجيل الرابع وله ثلاث رسائل وكتاب الرؤيا كان التلميذ الذي كان يسوع يحبه (يوحنا ١٣ : ٢٤ ، ١٩ : ٢٦) اوصاه المسيح عندما كان مصلوبا ان يتكفل بوالدته (مريم) توفي يوحنا حسب اخبار القرن ؟ في جزيرة باتموس - (رؤيا ١ : ٩) توفي اتمس .
- (7) متى القديس : احد الرسل الاثني عشر كان عشارا من كفرناحوم راجع انجيل متى ٩ : ٩ - ١٣ .. ولوقا ٥ : ٢٧

(٨) مادة : كل ما يشغل حيزا من الفراغ وله وزن وصورنة وعزم وقصور هذا هو تعريف المادة في السابق . وعلى هذا يقول الماديون : ان المادة لا تخلق ولا تنعدم بل تتحول من صورة الى اخرى . وطبقا للنظرية الجزيئية ، تتكون المادة من جسيمات صغيرة تسمى " جزيئات " في حركة دائبة داخل الجسم . للمادة ثلاث حالات طبيعية : الصلابة ، والسيولة والغازية . وأما الان أصبحت المادة لا يمكن تعريفها على وجه الدقة . لانها أصبحت تنقسم خلافا لمن قال انها لا تنقسم . ثم أصبحت المادة كهارب من بروتين والكربون . فانفلت من أيدى الماديين كل ما كانوا يعتبرون حقيقة . تفصيل ذلك في الصفحة () .

(٩) فرساي : مدينة سكانها ٦٣١١٤ نسمة عاصمة محافظة السين ولواز (سن) فرنسا الى الجنوب الغربي من باريس بدأ ١٦٦١ لويس ١٤ تشييد القصر . ونقل اليه بلاطه ١٦٨٢ واكرهت الثورة الفرنسية لويس ١٦ الى الانتقال لقصر التويلري بباريس ١٧٩٠ . حول لويس فيليب القصر الى متحف وطني . تشتهر هذه المدينة بكثرة قصورها وحدائقها . وفيها وقعت معاهدة فرساي في نهاية حرب استقلال الولايات المتحدة ضد انجلترا ١٧٨٣ وفي نهاية الحرب العالمية ١٩١٩ م راجع الموسوعة ص ١٢٨٩ .

(١٥) باستيل ، حصن وسجن حكومي بباريس كان يقع - حتى هدم ١٧٨٩ م - بالقرب من موضع ميدان الباستيل الحالي . بدأ تشييد ١٣٦٩ م تقريبا هيو اوبريو حاكم باريس في عهد شارل / ٥ / ثم وسع . ومن بين نزلائه المسجونين السياسيين : نيقولا فوكيه . وذو القناع الحديدي وفولتير . وفي ١٤ يوليو ١٧٨٩ م هجم شعب باريس الذي غضب لطرد نيكرو - على الباستيل أملا في الاستيلاء على الاسلحة . وقتل حاكمه (المركيز دي لونى) وأطلق سراح نزلائه السبعة . فكان هذا الحادث البداية الحقيقية للثورة الفرنسية واكتسب أهمية رمزية . وأصبح يوم ١٤ يولييه العيد القومي للجمهورية الفرنسية . راجع الموسوعة ص ٣١١

(11) القسطنطينية : المراد بها هنا المسيحية التي غيرها الامبراطور القسطنطين في مجمع نيقية سنة ٣٢٥ واما القسطنطينية : وهي استنبول اليوم مدينة في تركيا على ضفتي البوسفور ٨٤٥ ر ٠٠٠ هي بيزنطا القديمة أسسها الاغريق الاقدمون (القرن ٧ ق م) وجعلها قسطنطين من عواصم الامبراطورية الرومية بعد ان سماها باسمه القسطنطينية ٣٣٠ ثم اصبحت قاعدة الامبراطورية البيزنطية الى ان فتحها الاتراك المثلثون ١٤٥٣ م وفيها استقر السلاطين وهي مركز تجارى هام ونقطة عسكرية حساسة في الشرق ، وبلد علم وفن الباني التاريخة وابدعها آجبا صوفيا وجامع السلطان سليم وخرانات المخطوطات النفيسة والمتاحف ٠٠ راجع شمس العرب ص ١٠٦

(12) غلاصم

(13) شلتوت محمود (١٨٩٢ - ١٩٦٣) عالم بالدين وشيخ الازهر ١٩٥٨ - ١٩٦٣ ولد بمنية بني منصور بالبحيرة ، بمصر التحق بمعهد الاسكندرية الديني ١٩٠٦ وكان ترتيبه الاول في جميع سنى الدراسة حصل على شهادة العالمية ١٩١٨ م عين مدرسا بالقسم العالي بالازهر ١٩٢٧ م . فصله الشيخ الظواهري من المعهد ١٩٣١ م فمارس المحاماة ٠٠ وبعد شهور اعيد الى منصبه مدرسا بكلية الشريعة ثم عضوا في لجنة الفتوى ثم وكبلا لكلية الشريعة ثم عضوا بالمجمع اللغوى عين شيخا للازهر في ٢٢ اكتوبر ١٩٥٨ م وظل في منصبه الى وفاته ٠٠ من مؤلفاته : " الاسلام عقيدة وشريعة " و " الدعوة المحمدية " و " القتال في الاسلام " و " المسئولية المدنية والجناية في التشريع الاسلامي " و " فقه القرآن " ٠٠ الموسوعة ص ١٠٩١

(14) خلد الماء : حيوان ثدي نصف مائي استرالى يضح البيض ويسمى ايضا منقار البط وهو بني اللون . والرأس والجذع والذيل كلها عريضة مفلطحة وطول الذكر البالغ ٥٠ سم ٠٠ الموسوعة ص ٧٦٢

(١٥) صبنى أو كروموسوم : شكل تتخذه المادة الصبغية في نواة الخلية

في اثله مراحل الانقسام غير المباشر والانقسام الاختزالي ويعتمد شكل عدد الصبغيات على النوع - فهي في الانسان ٤٨ وفي ذبابة الفاكهة ٨ واما الاعداد الشائعة في النباتات فهي : ١٢ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢٤ وكلها اعداد زوجية . واما الخلايا الجنسية فتحتوى بعد عملية الانقسام الاختزالي ، نصف هذا العدد وعندما يتحد المشيج الذكرى بالانثى يعود العدد الى اصله . وتحتوى الصبغيات على الموروثات (الجينات) التي تحدد الصفات الوراثية المميزة وهي جوهرية في الوراثة وتحديد الجنس . الموسوعة ص ١١١٥

(١٦) شمش : نبات اسمه العلمى برونس أرمينياكا ، يتبع الفصيلة الوردية موطنه المناطق الاسيوية المعتدلة .

(١٧) دراق ويسمى ايضا خوخ اسمه العلمى برونس دومستكا من الفصيلة الوردية . موطنها اسيا وتنتشر زراعتها في المناطق المعتدلة شجرتها صغيرة ازهارها وردية اللون جميلة المنظر تخرج مبكرة في اواخر الشتاء . الثمرة كروية بديعة الالوان .

(١٨) بروتوكول : لفظ يطلق على الوثائق الرسمية : والاتفاقات التي تقرر قواعد سياسية عامة . صفاتها موجزة غالبا .

تعقد الوثيقة السياسية باجراء مفاوضات ويجتمع لها مندوبو الدول المتعاقدة كما انها تعقد بالمراسلة ومثل هذه الاتفاقات لا تكون طريقة الاجل بل نافذة لمدة معينة - الموسوعة ص ٣٥٧

(١٩) بلغراد : مدينة ١٨٨٩ ر ٤٦٩ نسمة عاصمة يوغسلافيا على نهر الدانوب والساف وهو مقر لكبرى اساقفة كاثوليكى روماني وبطارىك أرثوذكسى سقى مفتاح البلقان . نظرا لاهمية موقعها الاستراتيجى منذ عهد الرومان . أصبحت عاصمة صربيا في القرن ١٩ . استولى عليها الاتراك (١٥٢١ م

(20) عبد الحميد الاول ١٧٢٥ - ١٧٨٩ سلطان تركي . . بدأ حكمه

بمعقد معاهدة " كوجوك قيترجي " ليس هو المراد هنا . . وانما المعنى هنا

هو عبد الحميد الثاني :

(عبد الحميد الثاني) : ١٨٤٢ - ١٩١٨ سلطان تركيا واجلس مكانه مراد

أخا عبد الحميد . . ولكنه انزل عن العرش بحجة جنونه واعتلى عبد

الحميد الثاني مكانه . . قبل دستور مدحت باشا ولكنه ما لبث ان الغاء .

استمر على الحكم حتى اكرهوه على منح دستور للبلاد سنة ١٩٠٨ ثم خلعوه

١٩٠٩ ، وسجن اولاً في سالونيك . . ثم في جهة قريبة من ازمير . . الموسوعة

العربية ص ١١٨٠

(21) مصطفى كمال : أتاتورك ١٨٨٠ - ١٩٣٨ مؤسس تركيا الحديثة . .

اتخذ هذا الاسم ١٩٢٤ بدلا من اسمه الذي كان معروفا به وهو مصطفى كمال

ومعنى (أتاتورك) : أبوالأتراك ولد بسالونيك . . أقام جمهورية " تركيا "

١٩٢٣ م وانتخب رئيسا لها . . وأعيد انتخابه في ١٩٢٧ و ١٩٣١ و ١٩٣٥

ثم شرع في حزم ونشاط كبيرين في تنفيذ برنامج واسع النطاق " من التفسير

الداخلي " واقتباس النظم الغربية . . فغير معالم تركيا تغييرا كبيرا دون اية

معارضة . . فالقى الخلافة ١٩٢٤ م وفصل بين الدين والدولة . . واستبدل

بالحروف العربية الحروف اللاتينية . . واستعمال الطربوش والعمامة . . والحجاب . .

وجعل القانون المدني يقوم على اصول التشريعات الاوربية بدلا من الشريعة الاسلامية

وكان يشرب الخمر فأضرامه الخمر بصحته . . ومات في سن الثامنة والخمسين . .

راجع الموسوعة ص ٤٥

(22) روما : مدينة سكانها ١٩٤٤٠٠٠٠ في وسط ايطاليا قرب الساحل

الغربي على شفتي نهر التيبر عاصمة ايطاليا . . وفيها الفاتيكان مقر البابوية

يطلق عليها (المدينة الخالدة) وكذلك (المدينة المقدسة) وهي مركز ثقافي

وفني وديني منذ عهد طويل . . وقد مرت على روما عصور مختلفة :

(١) قبل عصر اغسطس (٢) وعهد الامبراطورية (٣) وروما في العصور الوسطى

(٤) وروما في عصر النهضة والعصر الحديث . . الموسوعة ص ٨٩٩

(23) النمسا او (اوستريا) جمهورية اتحادية ٨٢٨٥١ كم ٢ و ٧.٠٢٠.٢٢٦ نسمة باوروبا الوسطى بخترقها نهر الدانوب و تحد بوجسلافيا و ايطاليا جنوبا و سويسرا و (ليختنشتاين) غربا . و باقريا وتشيكوسلوفاكيا شمالا . والمجر شرقا . عاصمتها فيينا ومقاطعاتها تسع . وهي ممثلة في المجلس الاعلى من البرلمان الاتحادى ذى المجلسين . ويغلب على سكانها المذهب الكاثوليكي واللغة الالمانية .

(24) فرنسا : جمهورية ٥٥٠.٨٩٣ كم ٢ و ٤٥.٨٤٠.٠٠٠ نسمة في اوربا . يحدها شمالا القنال الانجليزى . وغربا المحيط الاطلنطى وجنوبا غربا اسبانيا والبحر المتوسط . وشرقا ايطاليا وسويسرا والمانيا وفي الشمال الشرقي لكسمبورغ وبلجيكا . عاصمتها باريس . وفرنسا اهم اعضاء (الاتحاد الفرنسى) وتشمل ٨٩ قسما اداريا . ويغلب على فرنسا الثقافة اللاتينية والدين الكاثوليكي . ويرجع الفصل بين الكنيسة والدولة الى الصراع الذى دار ١٩٠٥ - ١٩٠٦ م وقامت الثورة سنة ١٧٨٩ م . راجع الموسوعة ص ١٢٩٢ - ١٢٩٣

(25) روسيا . الاسم الشائع الذى يطلق على اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية . قامت بالثورة الشيوعية سنة ١٩١٧ م . (اليونان : اسمها الاغريقى القديم (هيلاس او الاين) تؤلف مملكة ١٢.٩٨٨.٠ كم ٢ و ٨.٣٥٨.٠٠٠ نسمة وتقع في جنوب شرق اوربا وعاصمتها (اثينا) راجع الموسوعة ص ١٩٩٤

(26) ايطاليا : جمهورية مساحتها ١١٠.٢٠٢ كم ٢ وعدد سكانها ٤٦.٤٠٠.٠٠٠ تقع جنوب اوربا وعاصمتها روما . تفصل جبال الالب شمال ايطاليا عن فرنسا وسويسرا والنمسا وبوجسلافيا . وهي شبه جزيرة على شكل حذاء . وتحتوى على مدينة الفاتيكان وسان مارينو .

رقم الصفحةالموضوع

٢٢ - ١	المقدمة
١	تعريف الالحاد
٢	الاشتقاق
٣	المعنى اللغوي
٨	تحديد معنى الالحاد الاصطلاحي
١١	موقف البشرية من الالحاد
١٤	موقف الاسلام من الالحاد
١٥	انواع الالحاد
١٦	كلمات مزيفة
١٧	كلمة الحضارة
١٨	الحضارة في الاصطلاح
٢١	مفهوم الحضارة عند الماديين المعاصرين
٢٣	كلمة العلمانية
٢٥	العلمانية في تعريف الغربيين الماديين
٣١	كلمة التطور
٣٥	فكرة عامة عن اوربا الحديثة
٣٦	بداية العصور الوسطى
٣٩	بداية العصر الحديث
٤١	الاكتشافات الجغرافية
٤٢	اوربا في النصفه العلمية والأدبية

شهادات من او ربا

٤٤	شهادة من النمسا
٤٦	شهادة من فرنسا
٥٠	شهادة من ألمانيا
٥٢	شهادة من أمريكا
٥٣	شهادة من بريطانيا
٥٥	شهادة من الهند
٥٨	شهادة جوستاف لومون
٦٢	هدايا الحرب للعرب
٦٣	طريقة الاستدلال العلمي
٦٥	سرتفوق العرب على الاغريق في الابحاث العلمية
٦٦	سرتقدم العرب على المسيحية
٦٩	فرقة عظيمة
٧٣	من هدايا العرب موسوعات الطب الاسلامية
٧٤	كتاب القانون ه ابن سينا
٧٩	الترجمة
٨١	كلمات عربية في اللهجات الاوربية
	<u>الصراع في تاريخ الفكر الاوربي</u>
٨٣	سيادة الدين
٨٥	سيادة العقل
٩٠	سيادة الحس
٩٣	بناة المذهب الوضعي
٩٤	كارل ماركس

<u>الموضوع</u>	<u>رقم الصفحة</u>
الصراع بين الطبقات	٩٧
الدين مخدر	١٠١
المذهب المادى التاريخي	١٠٢
الماركسية كنظام سياسى للجماعة	١٠٤
<u>ظروف عامة مهدت لقيام دولة الالحاد في الارض</u>	
اول ملحد يعرفه تاريخ اليونان	١٢٩
اول من فتح باب الرهينة في اليونان	١٣٢
نقد مذهب الذرى الديمقراطى	١٣٢
العهد الرومانى	١٣٣
العهد الجاهلى	١٤١
في عهد الكنيسة	١٤٤
اوربا المادية	١٤٦
حواشى التعريفات	١٤٨

الباب الاول

الفصل الاول :

لماذا الحد الناس في اوربا الحديثة	١٦٣
اسباب الالحاد العامة	١٦٧
استنكار هدى الله	١٦٨
البحث عن الله عن طريق الحس	١٧٠
مرض من الامراض القلبية	١٧٣

رقم الصفحةالموضوع

١٧٦

واقصم المادى يكذبهم

١٨٣

بعض اقوال الطواغيت في مصر الحديث

الفصل الثاني :

١٨٦

اسلوب المفكرين في اسباب الالحاد

١٨٧

الاسباب الظاهرة

١٨٨

الدين

١٩٨

عقيدة اليهود في الله

١٩٨

الاصناف الحسية لليهود

٢٠٤

اليهود والالهية عموما

٢٠٥

الانبياء في التوراة

٢٠٦

سيدنا ابراهيم والتوراة

٢٠٨

الدفاع عن التوراة

٢١١

فكرة موجزة عن التوراة

٢١٢

نماذج من تحريف التوراة

الفصل الثالث :

٢٣٦

طهارة الكنيسة

٢٣٩

القرآن يذكر بعض انبيائهم

٢٤١

صكوك الغفران

٢٤٥

هذه هي القاصمة

٢٤٦

المسيحية والاطوفان

٢٤٩

الكنيسة تضطهد العلماء

٢٥٠

الاتاوات المالية

<u>رقم الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
٢٥١	فرض سلطانها على الملوك
٢٥١	قرارات الحرمان
٢٥٢	الخضوع والمذل لرجال الدين
٢٥٢	وقوف رجال الدين في صفوف الظلمة ضد الشعب المكافح
٢٥٤	جنابة الرهبان على انفسهم
	من طغيان الكنيسة غيب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من
٢٥٦	الاناجيل الاربعة
٢٦٢	حقائق وأباطيل
٢٦٣	بشرية عيسى عليه السلام
٢٦٦	التثليث
٢٦٩	شواهد من كتب النصارى على عبودية عيسى عليه السلام
٢٧٠	انسانيته في الاناجيل
	<u>الفصل الرابع :</u>
٢٧٢	قوانين المادة
٢٧٣	ما آلت اليه المادية
	<u>الفصل الخامس :</u>
٢٧٧	مقارنة الأديان
٢٨١	قصة مقارنة الأديان في أوروبا
٢٨٢	مذهب التطور التقدمي
٢٨٢	المذاهب الروحية المشهورة باسم الحيوانية
٢٨٣	المذاهب النفسية
٢٨٤	المذهب الاجتماعي

الفصل السادس :

٢٨٦	الثورة الفرنسية
٢٨٨	ما لقبه المسجونون في الباستيل
٢٩٠	الصفحة المظلمة للثورة
٢٩٠	وقوف الكنيسة ضد مطالب الجماهير
٢٩٢	الخلايا الخفية في الجسم الاوربي
٢٩٣	الفكر اللاديني الذي طبع عصر التنوير
	<u>الفصل السابع :</u>
٢٩٦	مذهب النشوء والارتقاء
٢٩٧	فكرة عن مذهب النشوء والارتقاء
٢٩٨	ملخص تاريخي لتدرج العقول في فكرة اصل الانواع
٣٠٠	الغرض الاساسي لهذه النظرية
٣٠٢	الذنوب سبب هلاك الامم وليس الانتخاب الطبيعي
٣٠٩	موقف الكنيسة من مذهب التطور
٣١٢	موقف الملاحدة من النظرية
٣٢٠	مواقف بعض المفكرين الاسلاميين من النظرية
٣٢٨	اثار الداروينية في الحياة الاوربية
٣٢٩	عبدت أوروبا الشيطان بطرق متعددة
٣٣٧	الرأي المؤيد
٣٤٣	خلق آدم
٣٥٥	الاستاذ محمد فريد وجدى والتطور
٣٦٠	مصير دارون
٣٦٤	موقفنا من النظرية

الفصل الثامن :

٣٦٦	دور اليهود في افساد أوروبا
٣٦٧	الدور المحلي
٣٨٣	من نتائج التحامل الربوى
٣٨٤	الدور التطبرى
٣٨٦	نظريّة دارون ودور اليهود
٣٨٦	استغلال المنظمات السريّة لمحاربة الأديان
٣٩١	المأسوية والخلافة الاسلامية
٣٩٥	مصطفى كمال رأس الأفعى اليهودية
٣٩٩	النموذج للحكم
٤٠١	الدعوات المفروضة للقومية العربية
٤٠٦	الصلبيّة العربية الحاقدة
٤٠٨	رجوع أوروبا الى ارضها القديم حواشى الباب الاول

جامعة الملك عبد العزيز
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا الشريعة
فرع العقيدة

الإحسان

وآثاره في الحياة الأوربية الحديثة

رسالة مقدمة لنيل درجة التخصّص الأولى (الماجستير)

من الطالب:

صالح السبيعي بامبا صالح

بإشراف الاستاذ:

محمد الغزالي

١٤٠٠ - ١٤٠١ هـ

الجزء الثاني

الباب الثاني

مناقشة الملحدين

مستندات الملحدين في انكار وجود الله سبحانه :

توطئة :

قبل أن نخوض في مناقشة الملاحدة ، كان علينا أن نهيئ أولا نقطة هامة وهي :
اننا عندما نناقش مستندات الملاحدة في انكار وجود الله لا لكونها أدلة قائمة
على الحق ، وانما نناقشها باعتبارها شبهة تمسك بها الملاحدة في انكار وجود
الله - سبحانه - والا لا يوجد أحد - على الاطلاق - من الملاحدة ومن غير
الملاحدة ، يستطيع أن يثبت خطأ الفكرة التي تقول " ان الله موجود " كما
أن احدا لا يستطيع أن يثبت صحة الفكرة التي تقول " ان الله غير موجود " .
وقد ينكر منكر وجود الله ولكنه لا يستطيع أن يؤيد انكاره بدليل . وأحيانا
يشك الانسان في وجود شيء من الأشياء ولا بد في هذه الحالة أن يستند شكه
الى أساس فكري (١) . ولكن لم أقرأ ولم أسمع في حياتي دليلا عقليا واحدا ولا حسيا
واحدا على عدم وجوده سبحانه وتعالى .

وقد قرأت وسمعت في الوقت ذاته أدلة كثيرة على وجوده ، منها مقروءة في
الكتب ومنظورة في كتاب الكون من الذرة الى المجرة (٢) . . .

ولكن لما تسربت تحاليم الملاحدة في غول كثيرة من الناس فألحدوا ، كان علينا
أن نقوم بدورنا من مقاومة هذه الأفكار الهدامة وبهتان بطلانه وبعده عن
الحقائق العلمية .

وعلى هذا الأساس نحاول هنا أن نناقش شيئا من أفكارهم الخطيرة التي يضللون
بها الدماة وضماف القلوب . .

واليك بعضا من أفكارهم ومناقشتها :

(١) راجع كتاب الله يتجلى في عصر العلم ، تأليف نخبة من العلماء الأكابر من مناسبة
السنة الدولية لطبقيات الأرض ص (١٤٤)

الفصل الأول

قضايا الملاحدة

لقد قامت قضايا الملاحدة على مغالطات كثيرة وشبهات متعددة لا تعدولا

تحصى • الا أننا متبعون هنا أهمياتها وأهمها وهي كمايلي :

أولا - اصل الكون ونصيب الصدفة منه

ثانيا - نشأة الحياة وتنوعها

ثالثا - الدين يتعارض مع العلم مطلقا

تلك هي اهم حجج الملاحدة التي يتذرعون بها •• وقد سارت هذه التعاليم ،
بواسطة الاستعمار والاستشراق والتبشير ، الى بعض الناس من الدهماء فأخذوا ••
ولسوف ننظر في صحة هذه القضايا الثلاثة ، على أسس علمية ان شاء
الله تعالى ••

جهد جهيد بذله الاستعمار والاستشراق والتبشير لتحقيق هذه الغاية • ثم
تلقفه منهم " تلاميذهم " المسلمون في العالم الاسلامي كأمثال " د • عظم
وطه حسين " فأخذوا يرددون الاسطوانة في عالمنا الاسلامي ••
يقولون : أن أوروبا متقدمة ••

وليست متدنية ••

فتقدمت وتحضرت ووصلت الى القمة والسلطان ••

ونحن متدنيون ••

وفي الوقت نفسه متأخرون ••

فينبغى أن نسلك الطريق القويم •• ننبد دينا - كما فعلت أوروبا ••

فتتقدم ونتحضر ونصل الى القوة والسلطان ••

وتلك خلاصة السوم في حياة البشرية ، التي وضعها التبشير والاستشراق والاستعمار ••
(١)

(١) التطور والثبات في حياة البشرية ، محمد قطب ص ١٦٦
وراجع ايضا (صراع مع الملاحدة حتى العظم) عبدالرحمن حسن هينكة الميداني
ص ٢٥١ سنة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م فيه مقال للدكتور عظم بهذا الصدد . وراجع كتاب
الشعر الجاهلي للدكتور طه حسين ص ١٢

أولا - أصل الكسوف :

من الدعاوى العريضة التي يدعيها أصحاب المذاهب الهدامة ، أنهم
يعتمدون على الحقائق العلمية وعلى مناهج البحث العلمي الصحيح ، ويتجنبون
الآلهام ، والخيالات التي تعلق بها دعاة الأديان الخادعون والمخدوعون
في كل زمان ومكان ..

وان كان أصحاب المذاهب الهدامة ، مضللين في كثير من الأمور ، فالأمر
الأول منها هو هذه الصفة العلمية التي يزينون بها مذاهبهم اللاحادية ..
وهو مناقض لكل علم ، مخالف لكل حساب ..

سنرى عما قريب أن النظريات التي ترمى الى تفسير الكون تفسيراً آلياً فإنها
تمجّز عجزاً تاماً عن تفسير كيف بدأ الكون .. وكيف انفصل الكوكب الأرضي عن
السموات .. (١)

تمجّز لأنها وقعت في الخطأ من حيث المبدأ لكونها تسند كل ما حدث من
الظواهر التالية للنشأة الأولى الى محض المصادفة ..

ان هذا يخالف مخالفة تامة قواعد البحث العلمي ، يخالف ما يجب على رجسالم
العلم أن يتبعها في تفكيره وعمله وحياته ، فهو يتبع المبدأ الذي يقول بأنه
لا يمكن أن توجد آلة دون صانع ..

وهو يستخدم العقل على أساس الحقائق المعروفة ويدخل الى محله لكى
يصل الى النتائج الصحيحة عن طريق الملاحظات والتجربة ..

(١) قلنا : " عن السموات " ، ولم نقل : " عن الشمس " كما في تعبيرات
الملاحدة . لأن القرآن لم يقل بذلك . ولم ندر أى سماء انفصلت عنها الأرض
اذن ان القول بأن الأرض انفصلت عن الشمس بالذات ، مجرد ظن وليس
من باب التجربة الحسية التي يعتمد عليها العلم الحديث .

سنرى - عما قريب - أبرز العلماء الطبيعيين الذين ^{قد} حاولوا أن يمحطوا
 صفة الخالق للمصادفة العمياء ، وأنها هي التي خلقت نفسها بنفسها ..
 أليس هذا سخرية على عقل المشرحيين ؟ واحتقار من قيمة العلم الحديث
 نفسه ؟

ألا يجب على معجزات المعرفة العلمية المعاصرة في هذا الميدان وغيره ،
 أن تقود الإنسان الذي يتأمل الى نتيجة عكسية تماما ؟ ..
 ان ذلك التنظيم الذي يتحكم في الكون ، وفي الحفاظ عليه ، ألا يراه كسل
 من يدرسه متزايدا في التعقيد .. ؟

أفلا يرون كلما تقدمنا في امتلاك العلم ، وخاصة فيما يتعلق بكل ما هو
 مستناه في الصغر مثل ذرة ، ازدادت الحجج القائلة بوجود الخالق المبدع
 الحكم العليم الخبير ... ؟

ولكن الملحدين بدلا من أن يستلوا بالتواضع أمام هذه الوقائع ينتفخ
 تكبرا على خالقه وبارئه ..

ذلك هو المجتمع المادي في تمام توسعه - الآن في الغرب ..

■ ■ ■

فيجب على المؤمنين بالله - اذن - أن يجابهوا أولياء الشيطان الذين
 لوثوا عقائد الناس وأفكارهم بهذه الخرافات التي تحمل الصفة العلمية زورا
 وبهتاناً ...

يجابهوهم بحقائق القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
 خلفه ..

■ ■ ■

نعم ! ان هذه الموجة المادية وغزو الاتحاد للغرب لم تظهر الا بسبب عجز
 المسيحية عن الصمود .. لماذا ؟ لأنها كانت مشغولة بطغيانها وحمقتها وورهبانيتها

والتمسك بجهلها الموروث (١) .. هكذا كانت .. حتى أصبح الملحد لا يرى فيها الا نظاما تبناه البشر منذ حوالى الفى عام لا رساء سلطة لا قلبية قليلة على بشر مثلها .. ولا يجد في كتابها المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) لغة تتشابه مع لغته ولو من بعيد ..

والكننا - (المسلمين) نريد أن نجابه هؤلاء بقرآتنا العظيم لكى نردهم الى حجمهم الطبيعي .. نفهم كل ملحد أن فكرة المصادفة فكرة لا يتبنها الا الجهال " من العلماء " .



وأثال هؤلاء الباحثين اذا سألتهم :

- كيف ظهرت مادة الكون الى حيز الوجود ؟
- ومن أين جاءت ؟ يقولون : انها جاءت من المصادفة ..
- وما هو نوع القوى التى أدت الى نشوئها وانتظامها ؟ يقولون : هى المصادفة ؟
- يا عجا ! من الذى قام بتزويد المادة بطاقة لا زمة لهذا النشو ؟ يقولون : هو المصادفة !
- لو قلنا أيضا هل كانت لهذا الكون بداية ؟ يقولون : لا ! ليست لها بداية ولا نهاية لأنها ترجع الى المصادفة
- ما حظ المصادفة - اذن فى نشو هذا الكون ونظامه ، أهى ممكنة أو مستحيلة ؟ ترى الملاحظة يصدون عنك صردا ...
- فأصبحت القضية اذن - قضية صيدانية .. ومع ذلك كله .. سوف ندرس هذه الادعاءات على أسس علمية مستوحاة من القرآن الكريم والواقع المسلمون .. ان شاء الله تعالى ..

(١) أى ورثت هذا الجهل المطبق عن آباء الكنيسة الذين غيروا تعاليم المسيح ونسوا حظا ما ذكروا به ... وأما أصل ديانة المسيح كان يفيض بالعلم والنور ..

أصل الكون والفروض التي قدمها الملاحدة

ان التأمل في كتب الباحثين الغربيين عن أصل الكون ، يهديهم من خرجى

مدرستين اثنتين :

١ - مدرسة المذهب الذرى ..

٢ - مدرسة الفلكيين الطبيعيين ..

وأما المدرسة الأولى هي التي أسسها الفيلسوف الملحد اليوناني (ديمقريطس)

(٤٦٠ - ٣٧٠ ق م) وقد سبق أن تحدثنا عنه ، وقلنا انه يرى العالم

مؤلفاً من ذرات متجانسة في طبيعتها .. ولا تنقسم ، ولا تفنى . (١)

فقد ناقشنا هذا المذهب في مطلع هذا البحث فلا داعى لاعادته هنا ، وأما

الذى يسمونها هنا هو المدرسة الثانية .. لأنها هي التي تدعى أن ما وصلت

اليه من علم نفى للدين من تلقاء نفسه .. وأن الذى أتت به قوسها ، هو

النهاية .. ولا قول لأحد بعده .. وأنه هو الجدد .. وغيره .. هو

الباطل .. (٢)

ان اصحاب هذه المدرسة قد عللوا أصل الكون ، بكثير من الفروض المتعارضة

أشهرها ثلاثة و نوجزها في الكلمات التالية :

(٣)

الفرض الأول :- فرض (دى بوفون) (*Bofone*) العالم الفرنسى

(١٨٠٨ - ١٨٨٨) الذى يقول في كتابه (التاريخ الطبيعى) الذى نشره

عام ١٧٤٩ : ان المنظومة الشمسية نشأت من اصطدام الشمس بأحد المذنبات

السابحة في الفضاء .. وأن الصدمة أطار منها السيارات فطفت تدور حولها

بحكم الحركة المركزية والجاذبية (٣).

(١) الموسوعة العربية ص ٨٣٧

(٢) الزحف الأحمر ، محمد الخزالي

(٣) راجع عقائد المفكرين ، محمود العقاد ص ٣٥ - ٣٦

ولكن العلماء الذين تبعوه عرفوا من تركيب المذنبات ما لم يكن يعلمه
 (بوفون) في عصره ، فاستبدلوا بالمذنبات نجما عظيما يقارب الشمس ففى
 المظم ، لأن قوام المذنبات أخف من أن يحدث ذلك الاصطدام العنيف الذى
 فرضه (بوفون) ..
 وبهذا أصبحت نظرية بوفون ، في زاوية النسيان .. فانتقلوا الى نظرية
 أخرى وهى :

الفرض الثانى :- وهو فرض (لا بلاس) (Laplace) الفرنسى
 انه أظهر خطأ آخر في نظرية (بوفون) .. لأنه يرى أن السيارات طارت من
 الشمس على اثر انفجار شديد في باطنها .. وأن هذه السيارات على شكلها الذى
 نسميه اليوم .. (١)

لا شك ان هذا يخالف فرض (بوفون) مخالفة تامة بل نقول ان بينهما
 تناقضاً بيننا لأن (بوفون) يرى أن الانفجار كان بسبب خارجى ..
 وأما (لا بلاس) يقول انه كان بسبب داخلى .
 فأى الفرضين نأخذ به اذن ؟ ومع ذلك يدعون أنهم هم العلميون
 الباحثون الحقيقيون وغيرهم هم الجهال لا يعلمون شيئاً ..

(١) قد تقدم أن أشرنا فى مطلع هذا البحث أن نابليون بونابرت وجه
 سؤالاً الى (لا بلاس) هذا عن عمل القدرة الالهية في تنظيم الأفلاك
 السماوية .. فقال (لا بلاس) : " اننى لم أجِد في نظام السماء ضرورة
 القول بتدبير اله " . انطلاقاً من هذا التفكير الشارد ، ندرك مدى الضالة
 التى وقع فيها هؤلاء الباحثون الفلكيون .. راجع عقائد المفكرين
 محمود المقاد ص ٣٠

ثم قال (لابلاس) ان الأجسام التي تتطابق من الشمس، ينبغي أن تدور
في شكل بيضاوي، بخلافه لا فلاك السيارات التي تستدير وتقرب من
شكل الدائرة التامة، فأثبت بذلك خطأ (بوفون) الذي يقول ان الدوران
كان بشكل دائري .. فأى القولين أولى بالصواب ؟ (١)
فلنتقدم الى فرض آخر ..

(4)

فرض "كانت" (Kante) : الفيلسوف الألماني وله رأيا آخر وهو يشبه
نظرية (لابلاس) الا أنه يفوق عليه بالقول ان الشمس هي التي كونت
مجموعتها السيارة بنفسها (٢) دون تدخل أى جرم سماوي آخر ولا خالق
مدبر حكيم .. يوافق بهذا القول قول (لابلاس) الذي يقول : " ان
نظام الكون لا يحتاج الى أى اسطورة لا هوتية " .
واذا قلنا للفيلسوف "كانت" .. كيف كونت الشمس نفسها ومجموعتها ؟
يقول :

" كانت الشمس في مراحلها الاولى كتلة ضخمة من الغاز المنخفض الحرارة
نسبيا . تملأ حيز المجموعة السيارة الحالي بأكمله .. وتدور حول محورها
ببطء ، وأخذت حرارتها تنخفض باستمرار لفقدائها قسما منه بالاشعاع فى
الفضاء المحيط بها ، مما جعلها تنقلص تدريجيا ، ثم تولدت قوة مركزية
طاردة ناتجة عن هذا الدوران حول المحور أدت الى التفلطح التدريجى
لمادة السديم ، أو الغاز الأصلية مما ترتب عليه طرح عدد من الحلقات
الغازية من حافة خطها الاستوائى الممتد .. انظر الشكل (٢) ..

(١) عقائد المفكرين . محمود العقاد ص : ٤٦

(٢) للتوسع انظر ايضا المريخ ، من ص ٦٠ الى ٧٠ وكتاب الجغرافية الطبيعية
ص ١٢ وكتاب الفضاء الكونى ، ص ٢٢٠ وكتاب " وجه الأرض " للدكتور
محمد متولى .

* وتكوين مثل هذه الحلقات من موارد تدور حول محورها .. ثم تفرض النظرية أن الحلقات الغازية المتكونة بهذه الكيفية تقطعت فيها بعد .. وتكونت منها الكواكب السيارة ، أما نواة السديم ، وهي الجزء الأوسط والأكبر ، فقد بقيت ولم تنفصل منها حلقات ، وتكونت منها الشمس * .

والفيلسوف صريح في أن الصدفية العمياء هي الخالقة الصائفة المديرة

كما ترى *

فلما جاء العالم الانجليزي " كلارك مكسويل " خالفه في شكل الغازات فقال : " ان الغازات - في هذه الحالة - لا تتجمع على شكل كرة بل ينهض أن تتعلق حلقات متفرقات * .

ولكنه وافقه في أن الصدفية العمياء هي المصدر الوحيد في تشكل الأجرام السماوية كلها ..

ثم صار الناس في أوروبا يؤمنون بهذه النظرية الأخيرة ويدرسونها في مدارسهم حتى تبين لهم أنها خطأ فانتقلوا إلى فرض آخر وهو :

الفرض الثالث :- وجاء العالم الروسي الملحد (جورج جاموف) (٤) -

(GAMW) فهو يرى : " أن انشقاق السيارات إنما نشأ من مرور نجم آخر على بعد من الشمس لم يبلغ من قربه أن تصطدم بها ولم يكن من البعد بحيث يعبرها في طريقه فبرز من الشمس " تنوء " منجذب إلى ناحية نجم آخر .. ثم انفصل على شكل مخروط تقطع رؤوسه على التوالي وتداركها الجاذبية وفعل الحركة المركزية فتتجمع منها هذه السيارات . واحداها هذه الكرة الأرضية " (١) .

فلما ظهرت هذه الفكرة الجديدة ، قامت أوروبا وقعدت ، فأمنت بها بشكل
فطبيع ، واعتبرتها من الحقائق العلمية التي لا تجارى ولا تماثل .. وبقيت
هذه النظرية مقبولة حتى عهد قريب ، فظهرت في كل المؤلفات والكتب المدرسية
التي تبسط العلم للجمهور .. (١)

عودة الى نظرية التصادم

فبينما هم كذلك اذ هم يرجعون أيضا الى نظرية التصادم التي رفضوها أولا ..
وكانت هذه العودة على يد ثلاثة من علماء الفلك وهم : (ساميرلن ، ومولتون
وجيمس جينز) .

ان هؤلاء الثلاثة ، رفضوا نظرية الانفجار الداخلي التي تبناها
الفيلسوفان " كانت " و " لا بلاس " ورجعوا بأوروبا مرة ثانية الى نظرية
التصادم التي قد رفضت من قبل ..

الا انهم قالوا : ان سبب التصادم ليس كما يقول (بوفون) ولكنه كان بسبب
هجوم جرم كبير على الشمس فاجتزأ من الشمس أجزاء هي " الكواكب " .

تعديلات جديدة على النظرية

ثم ان العلماء الفلكيين غيروا آراءهم خلال المقدين ، تغيرا تاما عن أصل الكون ..
لأنهم بدؤوا يقولون : " ان تكوين المجموعة السبارة ، لم يكن حادثا استثنائيا ..
كما يدعيه الفلكيون الأول .. بل لا بد أنه تكرر عند تكوين الغالبيات المظلمى
من نجوم الكون ..

وبناء على ذلك : لا بد أن يوجد في مجموعتنا المجرية وحدها ملايين
السيارات التي تكاد تماثل الأرض ، وضاح الطبيعية لسطح الأرض " (٢)

(١) مثل كتاب جورج جامو : " ميلاد الشمس وموتها " الذي صدر عام ١٩٤٠م

وكتاب " حياة الأرض " الذي صدر عام ١٩٤١م

راجع كتاب " تاريخ الأرض " لجامو ص ٢١

(٢) نقلا عن كتاب الانسان بين العلم والدين ، شوقي أبو خليل ص ٣٢

هذه هي النتائج التي قدمها علماء أوروبا للمالم ، فأمنوا بها لمجرد
التعصب الأعمى ...

انها نكسة كبرى ورجعية نكراء ان صح التعبير ..

ان القوم في بداية الأمر اتفقوا ^{على} جميعاً / أن أصل الكون كان كتلة غازية
ثم تفرعت الكواكب ... قلنا هذا جميل ولكن كيف تفرعت عن الأصل ،
هل تفرعت بإرادة منها أو من شيء آخر ؟

قالوا : ليس باختيار نفسها ولكن بصدفة عمياء : قلنا كيف ذلك : ..
قالوا : ان الشمس تصادمت مع مذنبات صفار .. ثم تبين لهم ان ذلك
مستحيل .. فقالوا انها تصادمت بنجم أضخم من الشمس نفسها ثم تركسوا
هذا الرأي بكامله .. فقللوا : ان الصحيح هو الانفجار الداخلي ..
فأمنوا بذلك برهة من الزمان ، حتى جاء اليوم الذي أعلنوا فيه مرة أخرى
أن الصحيح كل الصحيح هو نظرية التصادم ولكن بسبب هجوم نجم أكبر
من الشمس بكثير .. وهي النظرية السائدة الى هذه اللحظة ..

وأخيراً قرروا أن هذا التصادم لم يكن حادثاً فريداً في تاريخ الكون
— كما هو المظنون — وانما وجد هناك تصادمات عديدة في الكون .. واستنتجوا
من ذلك : ان مجرتنا تحتوى على العديد من السيارات .. أى أن العالم متعدد
في السماء . والأُسرة الشمسية هذه واحدة من هذه الموالم ..

تلك هي النتائج المقترفة التي حاربوا بها الأديان جميعاً ..
وكيف لا تكون النتائج من هذه الفروض مقترفة عندما نعرف المواقف المقترفة
التي اتخذها ابرز العلماء كهؤلاء .. الذين حاولوا أن يمحطوا صفة الخلق
للمصادفة العمياء وانما خلقت نفسها بنفسها .. هذه سخريّة على عقول
البشر جميعاً واحتقار من قيمة العلم الحديث نفسه . . الا يجب على معجزات
المعرفة العلمية المعاصرة في هذا الميدان وغيره — كما قلنا — أن تقود الانسان
الذي يتأمل الى نتيجة عكسية تماماً .. ؟ فذلك التنظيم الذي يتحكم فسي

الكون وفي الحفاظ عليه لا يراه كل من يدرسه متوايذا في التحقيد ؟
كلما تقدمنا في امتلاك العلم ، وخاصة فيما يتعلق بكل ما هو متناه في الصغر
مثل الذرة ، ازدادت الحجج القائلة بوجود الخالق المبدع الحكيم المليم
الخبير ، كما قلنا سابقا ..

ولكن الملاحظة بدلا من ان يمتلى عظيم بالتواضع أمام هذه الوقائع ينتفخ
تكبرا ، هو يعتقد أن من سلطانه السخرية من " فكرة الله " كما يسخر من
كل ما يتصل بالدين من أخلاق وعفة وأمانة وإيمان .

ذلك هو المجتمع المادي في تمام توسعه - الآن - في الغرب (١)

ما هي اذن القوى الروحية التي يمكن دفعها لمجابهة تلويث هؤلاء الملاحدة
من العلماء الغربيين المعاصرين ؟

فقد رأينا فيما مضى من أول هذا البحث ان هذه الموجة المادية
وغزو الاتحاد للغرب لم تظهر الا بسبب عجز اليهودية والمسيحية عن الصمود ..
كل منهما غارق في الحيرة ... ان المادي الملحد لا يرى في المسيحية الا نظاما
ابتناه البشر منذ حوالى ألفى عام لا رساء سلطة لا قلية قليلة على بشر مثلها ..
ولن يجد في الكتب المقدسة (العهد القديم والعهد الجديد وغيرهما)
لغة تتشابه مع لغته ولو من بعيد .. فهذه الكتب كما رأينا سابقا - تحتوى
على كثير من الأمور التي لا تتفق مع المعطيات العلمية الحديثة ومن المتناقضات
والأمور غير المحقولة وهل القرآن كذلك ؟ ؟ هذا ما نحاول الاجابة عنه في
الصفحات التالية ... ان شاء الله تعالى ..

(١) وقد تحدثنا عن هذه الجملة في الصفحات السابقة ، وأعدناها هنا
للأهمية ..

موقف القرآن من أصل الكون

ان هذه الدراسة ودراسة موقف القرآن من أصل الكون قد يبدوا لبعض الناس انها قليلة الفائدة بدليل ان الناس منذ عهد نزول القرآن قد آمنوا بدون معرفة هذه الأشياء وهكذا ، يجب ان يؤملوا دون ان يحتاجوا الى هذه الدراسة الكونية . .

فنحن نخالف هذا الرأي مخالفة حاسمة فنبادرهم بالقول بأن دراسة الآيات الكونية لها مكانة خاصة في الدعوة الى الله في هذا العصر ، عصر العلم الكونية التي كشف الانسان بعض أسرارها فبلغ من القوة المادية ما بلغ ، وان لم يبرح في استنطارها واستغلالها ما شرع الله له . ولكن هذا النوع من الدراسة يحجز الالحاد أن يجد موقفاً للتشكيك في الدين الا أن يتبرأ من العقل . .

اذا كانت الكتب المقدسة المسيحية عجزت عن مقاومة الالحاد لما اشتطت عليه من معلومات مظلمة ، فجاء القرآن الكريم بحقائق علمية كونية لم تعرفها الانسانية الا في القرن التاسع عشر أو العشرين ، أفلا يدل ذلك عند كل ذي عقل على أن خالق هذه الحقائق هو منزل القرآن ؟ ؟ .

ونكرر دائما أننا لسنا مع الذين يريدون أن يشتوا القرآن بالعلم الحديث ولكننا نريد ان نبرز لهؤلاء الملاحدة جانباً من الكنوز العلمية التي احتواها هذا الكتاب العظيم . سواء وافق معطيات العلم الحديث أو لم يوافق وسنرى عن قريب أن اشارات القرآن الكريم الى نشأة الكون تخالف جوهرها - كل معطيات العلم الحديث في هذا الميدان .

وقد رأينا الفروض الثلاثة التي ذكرها هؤلاء (بوفون ولا بلاس وجون جامو) ومن لف لفهم . . . كلها تشير الى نقطة واحدة وان اختلفت في مظاهرها وهذه النقطة هي :

ان الكون جاء عن طريق المصادفة ولا يحتاج الى تدبير اله خالق . وأن الكون
تطور الى ما وصل اليه تطورا عشوائيا بدون ارادة ولا حكمة . هذا ما بينا كذبسه
في السابق . ولكن هنا نريد أن نبين للناس ان القرآن الكريم تناول الموضوع نفسه
ولكن بطريقة نظيفة يقبلها كل عقل سليم . . يقول تعالى :
﴿ أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من
الماء كل شيء حتى أفلا يؤمنون ﴾ (١)
ان الآية الكريمة من عجائب الإعجاز العلمي في القرآن لأنها سبقت علماء
الفلك المحدثين الى ما قرروه من أن الكون كله ، قبل ان يتشكل عوالمه
وصجاراته ونجومه ، كان كيانا سديما غير متميز عن بعضه البعض ثم
أخذ يتميز ويتطور ، وهنا وقف العلم وصار ينتقل من فرض الى فرض لكي يصل كيف
تطور الكون وتميز بعضها عن بعض الى أن انتهى الى هذه الفروض الثلاثة
المذكورة .

* * *

ولكنا اذا رجعنا الى الآية مرة ثانية نجدها تشير الى أن الفتق كان
بأمر الله وإرادة الله ، هذا ما يفرضه الملاحظة فقال : ﴿ ففتقناهما ﴾ اذن
ان القرآن خالف العلم الحديث في كيفية تطور الكون بعدما كان سديما أو
دخاننا على التعبير القرآني (٢) فانه يرى أن ذلك كان بفعل الله وإرادته وأما
أرباب العلم الحديث أسندوا كل ذلك الى الصدفة العمياء الخرقاء .
ثم اذا رجعنا الى الآية مرة ثالثة نجد فيها اعجازا آخر مدعشا . . نجد أنها
تشير بوضوح الى أصل الحياة وهي المسألة التي شغلت العقول في كل
عصور الانسان .

(١) الآية في سورة الأنبياء : ٣٠

(٢) إشارة الى قوله تعالى ﴿ ثم استوى الى السماء وهي دخان ﴾

ان القرآن قد ذكر ذلك بايجاز فقال ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾
أفلا يؤمنون ؟

فلا يسهل تعنى ان كل شيء مصدره المادة كمادة جوهرية ، أو تعنى أن أصل
كل شيء حي هو الماء . ويتفق هذان المعنيان تماما مع العلمية . . . فالمعلم
الحديث انتهى الى القول الى أن أصل الحياة مائي وأن الماء هو العنصر
الأول المكون لكل خلية حية (١) ولكنه لا يعرف من الذي خلق الماء فأسندته
الى المصادفة الحقاء فهل هناك غيب أكبر من هذا ؟ ؟

* * *

ان كلمة الماء في الآية شاملة لجميع انواع المياه ، من ماء المطر
أو ماء المحيطات أو أى سائل آخر .
تدل على ذلك الآيات التالية :

﴿ . . . وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى ﴾ (٢)
﴿ والله خلق كل دابة من ماء ﴾ (٣)

واذن فسواء كان المقصود هو أصل الحياة عموما أو العنصر الذى يجعل النبات
تولد في التربة ، أو كان المقصود هو بذرة الحيوان فان كل عبارات القرآن تتفق
تماما مع المعطيات العلمية الحديثة الصحيحة ولا مكان مطلقا في نص القرآن
لأى خرافة من الخرافات التى كانت سائدة في العالم في عصر تنزيل القرآن
الكريم . . .

فالحاد الملاحدة بعد ذلك الحق المبين يصبح مجرد التعصب أو مجرد
شهوة الالحاد التى لا دليل عليها . . .

(١)

(٢) سورة (طه) ٢٠ - الآية ٥٣

(٣) سورة النور ٢٤ - الآية ٤٥

القرآن معجزة قديما وحديثا

ان هذه الايات بقيت معجزة لمصرنا نحن ، كي يبق القرآن في جعدة
وكأنه أنزل ليومه هذا ..

معجزات رآها الصحابة من خلال ايات كتاب الله ، لم نرها نحن .. كقوله
تملئ : * غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيخلبون * (١)
وتحقق ما أورده القرآن الكريم ، فغلبت الروم وانتصر الفرس .. ثم قال
عز شأنه مخبرا عن ستكون له العاقبة : * وهم من بعد غلبهم سيخلبون *
وحدد لها : * في بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد .. * (١)

هذا ما حدث فعلا حسب إخبار القرآن الكريم ، حيث جمع هوقل جموعه
بتركيز كبير وهاجم الفرس الذين استكانوا للنصر ولذاته ، وقتلوا عن الحفاظ
عليه ، فانتصر عليهم ، أيام انتصار المسلمين في بدر (٢) .
ولما ملك " شبرويه " في فارس صالح الروم عام ٦٢٨ م ورد أسراهم
وردا وأسرا ..

انها لمعجزة كبيرة تفوق حدود القياس والمعارف الانسانية ...

* * *

معجزة الوعد والوعيد :

وقال عز وجل قبل غزوة بدر الكبرى : * وان يمدكم الله احدى الطائفتين
انها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ، ويريد الله أن يحق الحق
بكلماته ويقطع دابر الكافرين ، ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كسر
المجرمون * (٣)

(١) سورة الروم : الاية الكريمة : ٣ ، ٤

(٢) في شهر أيار عام ٦٢٤ ميلاديا ، عن كتاب الانسان بين العلم والدين ، خليل

شوقي ص ٤٣

(٣) سورة الانفال : الاية الكريمة ٧ ، ٨

هذه الالبات تنبأت بمستقبل غيبى آت .. انها آيات دقيقة وحساسة

جدا ..

فالدعوة الاسلامية في بدء بها . فلو جاءت آية واحدة مخالفة لما تنبأت به لشك الناس بالنبوة وشكوا بصحة القرآن الكريم ولجعلها الكافرون والمشركون سلاحا اعلاميا مضادا ..

ولكنه القرآن الكريم .. وحى السماء الى الارض .. لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (١)

■ ■ ■

هذه من المعجزات التي رآها الصحابة .. وها نحن اليوم نرى معجزات كثيرة من معجزات القرآن الكريم .. ومن هذه المعجزات (أصل الكون) وتكوينه من الدخان ثم فتقه الى ما شاء الله تعالى .. وعندما أراد العلم الحديث أن يتناول الى ذلك أخفق وسنرى في خلال هذا الفصل معجزات أخرى كلها تؤكد أن القرآن وحى من عند الله .. ولكن الملاحظة قصارى النظر .. لا يهتمون بالدين وكل ما يتصل به .. فلذلك تراهم في طغيانهم يعمهون ..

■ * ■

ومن أهم ما اتخذته الملاحظة سنداً لنقض الأدیان هو قضية نشأة الحياة انهم يدعون أنهم قد عرفوا ذلك بطريقة العلم الحديث .. وفي الصفحات الآتية محاولات لبيان كذبهم وافتراءهم .. وقبل ذلك نود أن نسجل هنا كلمة لبعض الباحثين المنصفين من الغربيين وهو (د . واين أولت)

ان يقول :

" أما النظريات التي ترقى الى تفسير الكون تفسيراً آلياً فانها تمجزعن تفسير كيف بدأ الكون .. ثم ترجع ما حدث من الظواهر التالية للنشأة الأولى الى محض المصادفة " (٢)

(١) سورة فصلت الآية الكريمة : ٤٢

(٢) الله يتجلى في عصر العلم ص : ٣٨

الفصل الثاني

نشأة الحياة وتنوعها

لقد رأينا في السطور الماضية أن الملحدين يقولون : ان الحياة بدأت خلية واحدة ، ثم بدأ التكاثر يعمل عمله (١) . والانتخاب الطبيعي يعمل عمله بطور - حيناً - بعض الكائنات من جرثومة صغيرة الى حيوان كبير . ثم يتطور الكبير الى جرثومة صغيرة أيضا . وهكذا يعمل التطور عمله حتى وصلت الحياة الى ما وصلت اليه الآن . . .

ولكن هل لهم على هذا من برهان ؟ . .

والجواب لا ! لو كان عندهم برهان لفعلوا ذلك في معاملهم ، لأنهم يدعون أن كل شيء في الحياة معروف - وكل شرط تحتاجه الحياة يمكن أن تتوفر في المصنع .

والعناصر التي تتركب منها الاحياء - يقولون - انها معروفة ، ونسبها معروفة ، وأجهزتها معروفة . .

فبقيت الظروف ، لأنهم يقولون : ان الظروف الأولى التي ولدت فيها الحياة لا تتوفر بالسهولة . .

فنقول لهم : يمكن لكم أن تقدروها وتوجدوا ظروفها مثلها ؟

هيهات ! لن تستطيعوا أبدا ! والا فجرّبوها !

وقد ناقشهم القرآن - ومن قبل مناقشة هادئة لا مغرّ منها أبدا فقال :

﴿ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطالب . . ما قدروا الله حق قدره ﴾ (٢)

(١) الله جل جلاله . سعيد صوى ص ٥٦

(٢) سورة الحج الآية : ٢٣ - ٢٤

روسيا الموحدة تبحث عن نشأة الحياة

ولقد حاول الملحدون في روسيا الموحدة أن يبرهنوا على امكانية نشأة الحياة كيميائية ، وذلك - في زعمها - كدليل تثبت به مذهبها الالهادي .. وكيف كانت النتيجة ؟

كانت النتيجة كالتالي :

وقد كلفت هذه الدولة الموحدة ■ بهذا الموضوع " أوبارين " رئيس المعهد الكيميائي في الاتحاد السوفياتي ، وطلبت أن يتفرغ للبحث في أمر واحد ، وهو مدى امكانية ايجاد الحياة عن طريق التفاعل الكيميائي . وبعد عمل متواصل قارب (عشرين عاما) أعلن حوالي سنة ٦٣ عن انتهاءه من دراسة هذا البحث ، وأعلن عن النتيجة التي توصل اليها ، في تقرير رسمى أذاعته جميع وكالات الأنباء في العالم اذ ذاك ■ وهي ■ أن العالم الكيميائي عاجز عن ايجاد الحياة في المختبر .. والعلم لا شأن له الا بالمادة المحسنة ..

■ ■ ■

وكانت الفرصة مهيأة لهذا الرجل ولاهل روسيا أن يؤمنوا بالله ويتوبوا عن الحادهم وتمردهم على الله ، ولكن سبقفت اليهم شقوتهم .. وبدل أن يعترف هذا الباحث الموحدة بأن الله هو خالق الحياة ■ أجاب على سؤال كانت صيفته :

" هل التفاعل الكيميائي في المادة قادر على بحث الحياة ، كما انبعثت الحياة الأولى منذ ملايين السنين وعلى الصورة التي دعاها أرست هيكلي ؟ - ان هذا ممكن ولكن في كواكب أخرى غير كوكبنا هذا . (١) هل رأيتم - أيها القارئ الكريم - تهربا واضحا اكثر من هذا الجواب ؟

(١) راجع الله جل جلاله ، سعيد صوي ص ٥٧

ومع هذا التهرب الواضح نقول لهم :

اذن لم لم تستطيعوا صناعة الحياة وكل شيء متوفر ؟

أفلا يدل هذا العجز الانساني على أن هناك قوة عظيمة أقوى من كل ما

يتصور ؟ هي موهب الحياة كلها ■

أفلا يدل ذلك على أن تلك القوة هي خالق الحب والنوى ؟

يخرج الميت من الحي .. ويخرج الحي من الميت ؟

ويحيى الأرض بعد موتها ؟ ؟

* ■ *

والواقع ان عامة الذين لا يؤمنون بالله يتهربون من هذا الموضوع بمشغل

هذه الادعاءات ؟

تصور معنا أيها القارئ في قولهم :

" ان الحياة قد جاءت من بعض الكواكب في شكل جرثومة انسلت دون

أن يصيبها تلف ، وبعد أن بقيت زمنا غير محدود في الفضاء استقرت

على الأرض ، ومن ثم تسلسلت الحياة عن تلك الجرثومة ، أو يقولون .. انها

وصلتنا عن طريق نيزك أصاب أرضنا " (١)

هل هذا الكلام معقول ؟

هل هذا الكلام يفسر لنا حقيقة علمية ؟

الجواب : لا !

اذ كيف استطاعت هذه الجرثومة أن تبقى حية في درجة الصفر المطلق

في هذا الفضاء الواسع ؟

فلنقل نعم استطاعت أن تبقى رغم ذلك ■ ولكن كيف نجت من الاشعاع الكثيف

ذي الموجة القصيرة الذي يقتل أمثالها ؟

فلنقل أيضا - مجازاة معهم - انها بقيت حية رغم ذلك ، ولكن كيف وجدت
لنفسها مكانا ملائما في الأرض ؟

وكيف وجدت هذا الاتفاق المدهش في الظروف ، حتى توالدت فبدأت الحياة ،
وكم من السنين استغرقت هذه الرحلة التطورية حتى وصلت ؟

* ■ *

فلنقل نعم ! كل ذلك ممكن وحق ..

ولكن كيف بدأت الحياة على ذلك الكوكب الأول ؟

هذا سؤال يبقى دائما - بدون جواب الى يوم القيامة ..

اذن ان المنطق الوحيد المعقول ، هو أن الله الحي هو وحده خالق الحياة ..

■ والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون .. أموات غير

أحياء وما يشعرون آيات يمحئون * (١)

ولا يستويان في منطق العقل :

* أنمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون * (١)

ولا يستويان كذلك عقليا ■

انسان نسب الحياة الى المصادفة الحمياء ، وآخر ينسبها الى الله ...

والقرآن يقول ان الذي يجعل الملاحظة ينسبونها الى المصادفة هو : الغفلة ..

فيهم لا يستعملون قلوبهم ، استعمال الفقه والفهم الصحيح * ولا ينظرون الى المخلوقات

نظرا لاعتبار والتفكير ، ولا يسمعون نداء الله بواسطة رسله - سماع من يطلب الخير

لنفسه .. فلذلك نزلوا بقلوبهم هذه ، وأعينهم هذه ■ وأذانهم هذه ، الى

مستوى البهيمية .. وبتعبير أدق ان البهيمية أعدل وأبصر وأسمع من

هؤلاء الملحددين :

(١) سورة النحل الاية : ٢٠ - ٢١

(٢) المصدر السابق الاية : ١٧

* ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ،
ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام
بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون * (١)

* أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون * (٢)

ان الكون مخلوق لا خالق ، ومن أعطى الكون أو الطبيعة صفة الخلق ،
فقد أشرك بالله جبلا وسفاهة • بل قد أُلحد في الله تعالى •

فنشأة الحياة لا تعلل الا بالله •

ووجود الأنواع والأجناس لا يعطل الا بالله •

وما في الحياة من عجب لا يعطل الا بالله •

وكل جزئية من هذا كله آية من آيات الله •

* ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا * (٣)
ونفتخ هذا الفصل بقولنا :

ان نشأة الحياة دليل على الله •

وتحيدات الحياة دليل على الله •

وتنوع الأحياء دليل على الله •

ومركز الانسان في هذا الكون بصفاته العليا دليل على الله •

وفي النفس البشرية - اخلاقها وعجائبها - دليل على الله •

فمهل يبقى لمُلحد بعد ذلك من حجة أو سبيل ؟ الا حجة الجبل وسبيل
المسيحي المؤدى الى البوار ثم النار * ألا لعنة الله على الملحدين * والحياد
بالله من الألحاد ..

(١) سورة الاعراف الآية : ١٧٩

(٢) = = = : ١٩١

(٣) سورة الاسراء الآية : ٨٥

الفصل الثالث

الطبيعة أو الصدفة

بعد ما تبين لنا ، بما لا يقبل الشك ، أن الالحاد ينتج عن الجبل لا عن العلم ، وتبدت أمامنا تلك الشبهات بقيت هناك شبيهة من شبهات العصر وضلالة أخرى من ضلالتة وهي - كما يظهر لك - مصنعة كما تصطنع الأصنام .. مخبئة على الافكار كما تخيم الأوهام ، ولكنها - بكل أسف - مع اصطناعها هذا • وعدم استنادها الى أساس ، نجدها مسيطرة على عقول كثير ممن يدعون " الثقافة والمعرفة " ، وقد أصبحت غشاوة على قلوبهم دون أن يكلفوا أنفسهم غناء البحث والتحقيق .. تلك الشبهة هي : قولهم : ان الطبيعة هي التي أوجدت نفسها .. وبتعبير آخر ، ان الطبيعة وجدت عن طريق المصادفة ... اله المصير المزعوم ...



حينما تبادر أحد الطبيعيين بالقول :

من خلق السموات والأرض ؟ يقول : الطبيعة ..

من خلق النبات والحيوان ؟ يقول : الطبيعة ..

من خلق الانسان ؟ يقول لك : الطبيعة ..

من يدبر جميع هذه الأمور الفلكية ، والحيوانية والفرزية • وكل بحساب دقيق ونظام لا يحيد ، فسيقول لك : الطبيعة .. (١)

وكل ما خفى عن الادراك ، سببه ، فسببه الطبيعة ..

واذا قلت كيف جاءت الطبيعة نفسها ؟ قالوا : انها جاءت عن طريق المصادفة أو أوجدت نفسها بنفسها .. يا للعجب !

(١) راجع كتاب الله جل جلاله ، سعيد صوى ص ١٢٣

وكل منطق يؤدي في نهايته الى التسليم بوجود خالق مدبر حكيم عند المؤمنين
 ينتهي عند الملاحظة بوجود شيء لا وجود له هو المصادفة .. وكل ما كان
 وكل ما يكون ، وكل ما هو كائن فعلته الأولى هي المصادفة وأساسه الحقيقي
 هو المصادفة ، منها صدر ، وعليها يقوم ، وبها يتخذ ما شاءت له
 المصادفة من شكل أو كيف أو اتجاه .. (١)

وليس شأننا في هذا البحث أن نكتفي بالتسفيه والتشنيع ، ولكننا نناقش
 الأمر من جميع الوجوه .. نناقشه بأقوال الكثرة الكاثرة والأغلبية الساحقة من
 أمثالهم من أساطين العلم الحديث ..

ثم نترك المجال للطبيعة نفسها لتكذب فكرة الصدفة العمياء . وبعد ذلك
 نتقل الى مناقشة افكار بعض الملاحدة المؤيدين للصدفة وأخيرا نقرر للملاحظة
 قانون الصدفة للبيان أن الصدفة ليس لها عمل في الخلق ..

* * *

أولا - الطبيعة والكون :

الطبيعة في اللغة ، تعني الخلق والسجية ، وقد جاء في تاج
 المروس قوله : " والطبع والطبيعة والطباع ككتاب الخلقة والسجية
 التي جبل عليها الانسان " (٢)

أما الكون في اللغة فهو (الحدث) (٣) إذ أن لفظة (كون) في
 الأصل تدل على حدوث شيء ، أما في زمان ماض أو زمان حاضر .. (٤)
 إذن ان كلمة الطبيعة تختلف عن كلمة الكون اختلافا بينا ..

(١) راجع الجفوة المفتعلة بين العلم والدين ، محمد علي يوسف ص ٣٤ - ٣٥

(٢) الزبيدي . تاج المروس من جواهر القاموس ج ٥ ص ١٤٢٨

(٣) ابن منظور لسان العرب ج ١٣ مادة الكون

(٤) ابن فارس . مقاييس اللغة ج ٥ مادة الكون

ولذلك عند المتكلمين مرادف للوجود (١) . وأما معنى الكون في القرآن هو عبارة عما يكون بالارادة الالهية من الموجودات على اختلاف الوانها واشكالها بعد أن لم تكن (٢) . يقول تعالى : * اذا قضى أمر فانما يقول له كن فيكون * (٣) وتطلق الكلمتان : الكون والعالم على كل شيء سوى الله لعدم اتصافه بالحدوث . . . وقد استعمل الأوربيون كلمة الطبيعة (Nature) بمعنى الكون أو العالم . فالطبيعة في اصطلاحهم : هي العالم بما فيه من أشياء مختلفة (٤) وهي تنقسم الى مفهومين في عقولهم :

المفهوم الأول :- انها عبارة عن الأشياء بذاتها ، فالجماد والنبات والحيوان كل هذه الكائنات هي الطبيعة وهو مفهوم غير دقيق ، وحكم غير سديد كما سيتضح لنا فيما يلي :

المفهوم الثاني :- انها عبارة عن صفات الأشياء وخصائصها فهذه الصفات من حرارة وبرودة ، ورطوبة ويوسية وملامسة وخشونة ، وهذه القابليات من حركة وسكون ، ونمو واغذاء وتزاج وتوالد كل هذه الصفات والقابليات هي : الطبيعة .

هذان هما المفهومان لمعنى الطبيعة عند الأوربيين . فما نصيبيهما من الحق اذن ؟ ؟

أما القول الأول فلا يخرج بالطبيعة - بالنسبة لخلق الوجود - عن تفسير الماء بالماء . يقولون : الأرض خلقت الأرض ، والسماء خلقت السماء والأصناف صنفت نفسها وكل شيء أوجد ذاته . وهو في الوقت نفسه ، الخالق والمخلوق ، والحادث والمحدث . . .

(١) البستاني ، بطرس ، محيط المحيط مادة الكون مكتبة البيان

(٢) التيهانوي . كشف مصطلحات الفنون مادة التكوين

(٣) سورة مريم ٦ اية رقم ٣٥

(٤) الجفرة المفتعلة بين العلم والدين : محمد علي يوسف ص ٤١

وبطلان هذا القول واضح ، لا يحتاج الى أية مناقشة ، فهو ادعاء بان
الشيء وجد بذاته من غير سبب . وقانون السببية عند جميع العقلاء - ما عدا
الملاحدة - يحطل ذلك .. فمذهبهم هذا يدل على اندماج الخالق والمخلوق
في كائن واحد فالسبب هو عين المسبب وهو مستحيل ، بل هو من التناقضات
والتناقض الصريح بحيث لا يحتاج الى الوقوف والشرح ..

أما القول الثاني : الذي هو جعل قابليات الاشياء خالقا لها . نقول :
لو تكلف هؤلاء في البحث عن قابليات الاشياء التي اعتمدوا عليها فسي
خلق الاشياء لوجودها سرايا خادعا يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم
يجد شيئا .. ولا بد من توضيح ذلك بطريقة علمية :

لو أردنا استنبات حبة قمح ، نضعها في التراب أو القطن المبلل بالماء
فتنتفخ هذه الحبة وتنطلق فيظهر منها - أولا - الجذر متوجها نحو الأسفل
ثم يظهر الساق يتوجه الى الأعلى ، ثم تظهر الأوراق فالأزهار فالثمار .
وفي هذه الحالة ، اذا سألت الملحد من الذي أنبت هذه الحبة يقول انه
القابلية .. القابلية فقط !

فلا بد - اذن - أن نبحث عن هذه القابلية وعن حقيقتها :

لو لم تنتفخ الحبة وتنطلق لما نشأ شيء .. فمن الذي نفخها وفلقها ، لو كان
للحبة عقل وتدبير لقلنا : ان عقلها هو الذي هيأ لها ذلك ، ولو ان الماء هو
الذي نفخها وفلقها ، لا يمكن للماء أن ينفخ في الحديد ويفلقه . اذن فلا
بد من مؤثر وقبول لذلك المؤثر ، وان كانت الحبة بذاتها - جدلا - انتفخت
وانفلقت فلماذا لم يجمد وتضر بدلا من أن تنتفخ وتنمو ولكي يحصل التكاثر والبقاء
يحتاج الأمر الى عقل وادراك ، ومضاج مرسوم من قبل تلك البذرة ونعلم معنا
الملاحدة ، أن البذرة لا تملك شيئا من ذلك ، فكيف حصلت اذن ثمرة بحينها ؟
بل كيف حصلت ثمار كثيرة متنوعة ؟ ؟

وكيف كضت الغاية المحيطة والصفات المقصودة في صميم كل بذرة منها ؟

والحقيقة أن من أنعم النظر في تعبير الملاحدة المستندين الى القابلية حينما يقولون : طبع النبات على ذلك ، انتفخت الحبة وانفلقت وتوالدت الخلايا ، تميل الخلية الحية الى الانقسام ... يجد أنها افعال مبنية للمجهول لجعلهم أوتجاهلهم الفاعل الحقيقي .. فكان الملحد الطبيعي أغض العين عن السبب الحقيقي وبنى الفعل للمجهول تخلصا من ذكر الله تعالى .

فتقول له : فمن الذى نفخ في الحبة ؟ ومن الذى فلقها ؟ ومن الذى أدى الى التواليد ؟ ومن جبل الخلية على الانقسام ؟ ومن الذى جعلها تنتفخ بدلا من أن تضمر ، كل هذا التحقيق لا تصل اليه نظرة الملاحدة الطبيعيين القصيرة ! بل هي مقتصرة على وصف الظواهر دون الذهاب لى أسبابها ، بل هي مخطئة في جعل الصفة المنفصلة سببا فاعلا ، والقابلية مؤثرا ، والظاهرة المجهولة عاملا مكونا . .

والمجيب أن تجد الملحد الطبيعي يجعل من مجموع هذه الصفات مفهوما مركبا سماه (قابلية التوالد والنمو) ، فجعل من القابلية التى هي عرض من أعراض الشئ سببا فى الخلق ومن الصفة الانفعالية التى لا تمى ولا تدرك سببا فاعلا واعيا فى تكوين الأشياء !

اذن فمن الذى ركز الطبيعة فى العناصر ؟ ومن الذى نوع تلك الطبائع ؟ اذا قلت ذلك ترى الملحد ين - بدون حياء - يقولون : ان ذلك كله من فعل الصدفة ! الصدفة وحدها التى اعطت الطبيعة قانون الطبيعة واذنا قلت ان بذرة الشمس وبذرة الارز مثلا حين توضعان فى التراب تنتج كل واحدة منهما ثمرا يختلف عن الآخر ، بلونه ، وطعمه ، ورائحته مع أنه يسقى بماء واحد . ومع اتفاقنا على أنه ليس للبذرة عقل ولا لجذر الشجرة ادراك فكيف كان الجذر يمتص الماء ويصطفى ذرات بعينها ، ويكون العصارة ، وينشئ الحلاوة اذا قلت له ذلك يرجع الى صنمه الأول فيقول : ان ذلك من فعل الصدفة وقوانين الطبيعة واليك قول هكسلى :

إذا كانت الوقائع نتيجة لعمل طبيعية فهي بالطبع ليست نتيجة لعمل
ما فوق الطبيعة * (١)

* ■ ■

أين يكمن الضعف في استدلال الملاحدة الطبيعيين ؟

اننا نستطيع فهم هذا الضعف من المثال البسيط التالي :

قد يشاهد احد الرجال قاطرة تجرى على قضبان الحديد فيتبادر الى ذهنه

سؤال : كيف تجرى هذه المجلات الثقيلة ؟

وبعد قليل من المشاهدة يصل الرجل الى الات وتروس القاطرة فيرى ان المجلات

الثقيلة تتحرك بتحريك التروس والالات . أفبعد هذا الاكشاف يحق لهذا الرجل

أن يزعم أن الات القاطرة وحدها هي السبب في تحريك عجالاتها .

ومن الواضح أن الأمر ليس كذلك بهذه البساطة ، لأنه يجب أن نعترف

بالسائق الذي يدير الماكينات ، ثم بالمهندس الذي صنع تلك الماكينات وأوجد

القاطرة ، فلا وجود في الحقيقة للقاطرة ولا يمكن أحداث الحركة في الاتيها

بدون عمل المهندس والسائق . فالماكينات الداخلية ليست هي الختام في قصة

القاطرة بل ان الحقيقة النهائية هي " العقل " الذي أوجد تلك الماكينات

ثم أدارها وحركها وفق ارادة مرسومة .

لقد أصاب عالم مسيحي حين قال : " ان الطبيعة لا تفسر الكون " وانما هي

نفسها في حاجة الى تفسير * (٢)

وذلك لأن الطبيعة مجرد حقيقة من حقائق الكون وليست تفسيراً له ..

(١) راجع الدين ، وحيد الدين خان ص ٦٥

(٢) نفس المرجع السابق ص ٦٦

ولنفهم هذا من مثال آخر .

ان الككوت يعيش أيامه الأولى داخل قشرة البيضة القوية ، ويخرج منها بعد ما تتكسر مضخة لحم . لقد كان الانسان القديم يؤمن بأن الله أخرجه ، ولكنا شاهدنا اليوم — بالمنظار — أنه في اليوم الحادى والعشرين يظهر قرن صغير على منقار الككوت يستعمله في تكسير قشرة البيضة لئلا يخرج منها ثم يزول هذا القرن بعد بضعة أيام من خروجه من البيضة .

■ * ■

هذه المشاهدة — كما يزعم الملاحدة — أبطلت الفكرة القديمة القائلة بأن الله يخرج الككوت من البيضة اذ قد رأينا يقينا أن قانون " الواحد والعشرين يوما " يحدث هذه العملية . والحقيقة أن المشاهدة الجديدة لا تدلنا الا على علاقات جديدة للحادث ، ولا تكشف عن سببه الحقيقي ، فقد تغير الوضع الان فاصبح السؤال لا عن (تكسر البيضة) بل عن (كيف يظهر القرن) ؟ ان السبب الحقيقي سوف يتجلى لأعيننا حين نبحث عن الحلة التي جاءت بهذا القرن ، الحلة التي كانت على معرفة كاملة بأن الككوت سوف يحتاج الى هذا القرن ليخرج من البيضة ، فمن لا نستطيع أن نعتبر الوضع الأخير (وهو شاهدتنا بالمنظار) الا أنه مشاهدة للواقع على نطاق أوسع " ولكنه ليس تفسيرا له .

ان الاكتشاف الذى اعتبروه بدلا " لالله " يمكننا أن نفسره بسهولة بأن الله " أسلوب عمل الطبيعة " . اننا نستطيع أن نقول بكل قوة ، ان الله يجسرى ارادته في الكون بواسطة هذه القوانين التي كشفت علومنا الحديثة بعض أجزائها فقط حتى الآن — يقول الله تعالى : ﴿ وآتيناه من كل شيء سبيلا فاتبع ﴾ (١) فإله تعالى جعل هذه القوانين اسبلا لتبذل بها الخلق .

ولست هذه الأسباب أو هذه القوانين هي الخالقة المدبرة ، وأما الفاعل الحقيقي هو الله جل جلاله وعز كماله ..

ولو قصر النظر عند الملاحظة على هذه الأسباب ، لوجدنا الجواب شافيا منطقيا منسجما مع ما تقدم من التحقيق الملمس في الآية الكريمة التالية :

■ ان الله فلق الحب والنوى ، يخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي ذلكم الله ربكم فأنى تؤفكون ؟ (١) بذلك ترجع الاسباب كلها الى الخالق الاول وتعرف المجاهيل ، وبحسب الامر ...

■ * ■

ولكى تزيد الامر وضوحا ، نضرب لذلك مثلا آخر :

لنفرض ان رجال الدين يعتقدون ان الله باتى بالمد والجزر في البحار ثم باتى عالم من " علمائنا " الجدد ويقول لنا : ان المد والجزر له سببان هما قوة الجاذبية في القمر ، والتكوين الجغرافي أى الوضع الجغرافي لاجزاء الارض البرية والبحرية .

اننا سنقبل هذا الكشف الملمي بكل سرور فليس هناك من داع يقتضى رفض هذا الكشف لأنه لا يؤثر اطلاقا على صواب عقيدتنا ، اننا نسلم بأن حدوث المد والجزر يقتضى قوة الجاذبية القمرية ، ويقتضى وضعا جغرافيا معينيا لاجزاء الارض . ولكن ما هي قوة الجاذبية ، وما هو الوضع الجغرافي الارضى ؟ انهما - ايضا - من خلق الله ، والله يستخدم هذه الوسائل لتنفيذ ارادته وفعله ، ولولا استخدامه لهذه الوسائل المحددة لتنفيذ مشيئته لحلت الفوضى في الكون ولا نعدم النظام - فالله سبحانه وتعالى لا يزال هو السبب الاول والحقيقي لطوفان البحار وفلق الحبيب والزارع الحقيقي كما ورد ذلك في آيات كثيرة منها قوله تعالى :

■ أفأرىتم ما تحرثون ؟ أنتم تزرعونه ام نحن الزارعون ؟ لو نشاء لجعلناهم حطاما فظلمتم تفكهيون : انا لمفرمون بل نحن محرومون ؟ (٢)

(٢) في سورة الواقعة : ٦٣

(١) في سورة الانعام : ٩٥

هذا الزرع الذى ينبت بين ايديهم وينمو ويأتى ثماره • ما دورهم فيه ؟
انهم يحرثون و يلقون الحب والبذور التى صنعها الله • ثم ينتهى دورهم
وتأخذ يد القدرة فى عملها المعجز الخارق العجيب • • • تأخذ الحبة أو
البذرة طريقها لاعادة نوعها • تبدو • وتسير فيه سيرة الحافل العارف الخبير
بمراحل الطريق • الذى لا يخطئ • مرة كما يخطئ • الانسان فى عمله ولا ينحرف
عن طريقه ولا يضل الهدف المرسوم ! • •

هل هذه البذرة الصغيرة عاقلة حتى تحمل هذه الاعمال المجيبة ؟ لا !
والله ! بل يد القدرة الالهية هى التى تتولى خطاها على طول الطريق •
ولولا ذلك تصبح هذه البذرة الصغيرة اعقل من الانسان ! لأن الانسان
يخطئ • فى جميع أعماله • حتى اتخذ العلم الحديث الخطأ والاحتمال
قاعدة تنطلق منها للوصول الى الحقائق العلمية • وإذا انتفى أن هذه
البذرة عاقلة لا يبقى هناك الا ان نقول ان المجيبة التى نراها فى هذه
الحبة هى من صنع الله العظيم الحكيم •

* ■ ■

ولولا ذلك كيف تأخذ هذه الحبة رحلتها المجيبة • الرحلة التى ما كان
تد العقل ليصدقها • وما كان الخيال ليتصورها • لولا أنها حدثت وتحدثت
ويراها كل انسان فى صورة من الصور • ونوع من الأنواع • والا فأى عقل
كان يصدق • وأى خيال كان يتصور أن حبة القمح — مثلا — يكمن فيها هذا
الصود وهذا الورق وهذه السنبلة • وهذا الحب الكثير ؟ أو أن النواة تكمن فيها
نخلة كاملة سامقة بكل ماتحتويه ؟ !

* ■ ■

(١) هذا الشرح أخذناه من كتاب فى ظلال القرآن • سيد قطب ج ٢٧ ص ٢٠٣
المجلد السابع ولكن بالتصرف •

أى عقل كان يتناول به الخيال الى تصور هذه العجيبة . لولا أنه يراها
تقع بين يديه صباح مساء ولولا أن هذه القصة تتكرر على مرأى ومسح من
جميع الناس ؟

وأى انسان يمكنه أن يدعى انه صنع شيئاً في هذه العجيبة سوى الحرث
والقاء البذور التى صنعها الله ؟

ثم يقول الناس : زرعنا !! وهم لا يتجاوزون (الحرث) والقاء البذور . أما
القصة العجيبة التى تشتملها كل حبة وكل بذرة . وأما الخارقة التى
تنبت من قبلها وتنمو وترتفع فكلها من (صنع الله) الخالق الزارع الحقيقى .
بل ولو شاء الله لم تبدأ رحلتها . ولو شاء لم تتم قصتها . ولو شاء لجعلها
حطاماً قبل أن تؤتى ثمارها وهى بمشيتها تقطع رحلتها من البدء الى
الختام !

ولو وقع ذلك لظل الناس يلونون الحديث وينوعونه يقولون : * انا المضمون *
: غارمون * بل نحن محرومون * ولكن فضل الله يمنحهم الثمر ويسمح للنبته
أن تتم دورتها ، وتكمل رحلتها ، وهى ذاتها التى تقوم بها الخليفة
التي تمنى . . وهى صورة من صور الحياة التى تنشئها القدرة الالهية
وترعاها . . (١)

ومع هذا كله نقول للملاحظة : ان القابليات والاسباب كل اولئك ارادة الله
في الكون . وان الطبيعة مجرد حقيقة من حقائق الكون ، وليست تفسيراً له . .
ومع كل ذلك تجد الملاحظة يصدون عنك صدوداً ويقولون : ان فاعل ذلك
كله ، هو الصدفة ! الصدفة هي تحمل عملها في الظلام بدون ارادة ولا علم
ولا عقل وانما هي تخطيط خبط عشواء . . .

(١) لخصنا هذا الشرح أيضاً من كتاب في ظلال القرآن ، لسيد قطب المجلد

وان بدت سخافة هذه المقالة الصيانية ،فانها تستحق النظر لانها
 افسدت في العالم قلوبا وافكارا ..
 اذن فما هي الصدفة وما قبشها عند العلماء وعند البحث العلمي الصحيح
 البعيد من الهوى والاحاد ؟

الملم والدين يقاتلان فكرة المصادفة العمياء

كثيرا نسمع من الملاحدة المعاصرين يقولون : " ان هذا الكون المادى
 لا يحتاج الى خالق ويلخص بيرتراند رسل هذه النظرية المادية المتطرفة
 فيقول :
 " ليس وراء نشأة الانسان غاية او تدبير . ان نشأته وحياته وآماله ومخاوفه
 وعواطفه وعقائده ليست الا نتيجة لاجتماع ذرات جسمه عن طريق المصادفة ..
 ولا تستطيع حماسته او بداولته او فكره او شعوره ان تحول بينه وبين الموت ..
 وجميع ما قام به الانسان عبر الاجيال من اعمال فذة وما اتصف به من ذكاء واخلاص
 مصيره الفناء المرتبط بنهاية المجموعة الشمسية . ولا بد ان يدفن جميع
 ما حققه الانسان من نصر وما بناه من صروح المدنية تحت انقاض هذا الكون ..
 ان هذه الامور جميعا حقائق لا تقوى فلسفة من الفلسفات على انكارها (١)
 ذلك هو منطق الملحد الذي عبر عنه هذا الملحد الماتى ولكنه منطق
 سلي .. لانه ليس كل العلماء الطبيعيين يعتقدون في قدرة الملم على كل
 شىء حتى تستطيع ان تجد تفسيراً لكل شىء .. كما مر ذلك سابقا .
 فالملم لا يستطيع ان تحلل (الحق والجمال والسعادة) وذلك باعتراف جميع
 الماديين . كما أنها عاجزة عن ان تجد تفسيراً لظاهرة الحياة او وسيلة لادراك
 غايتها .. بل ان الملم اشد عجزاً عن ان تثبت عدم وجود الله سبحانه
 وتعالى ..

والكل يعلم - حقيقة - أن العلم لا يستطيع ان تفسر لنا كيف نشأت تلك الدقائق الصغيرة المتناهية في صغرها والتي لا يحصيها عدّ وهي التي تتكون منها جميع المواد . كما لا يستطيع العلم ان تفسر لنا بالاعتماد على (فكرة المصادفة) وحدها كيف تتجمع هذه الحقائق الصغيرة لكي تكون الحياة . ولا يوجد عند احد دليل قديما وحديثا على ذلك . . .

بل نتحدى هذا الملحد وغيره ان يبين لنا كيف يستطيع المصادفة أن تخلق هذا الكون . بل ان العلم نفسها قد أبدت فعلا كثيرا من النبوءات التي جاءت بها الأديان الحقّة . كما قاتلت العلوم ، فكرة المصادفة - مع الأديان جنباً الى جنب كأنها من مشكاة واحدة . بل انهما من مشكاة واحدة لأن الأديان أتت بكتب الله المقرّوة وأما العلم فهي تدرس كتب الله المنظورة وهي هذا الكون الفسح من الذرة الى الاجرام السماوية . . . هذا ما صرح به العالم الطبيعي والكاتب اللامع (أوليفر وندل) في هذه المناسبة : " كلما تقدمت العلوم ضاقت بينها وبين الدين شقة الخلاف ، فالفهم الحقيقي للعلوم يدعو الى زيادة الايمان بالله " (١)

وأيدّه (ايرفنج وليام نوبلوتشى) أستاذ العلوم الطبيعية - الحاصل على درجة الدكتوراة من جامعة أيووا - اخصائي الحياة البرية في الولايات المتحدة - أستاذ العلوم الطبيعية في جامعة ميشيجان منذ سنة ١٩٤٥ م اخصائي في وراثة النباتات ودراسة شكلها الظاهري . أيدّه بقوله : (٢) " أما بالنسبة الى نفسى بوصفى احد المشتغلين بالعلوم ، فاننى لا أستطيع أن انفى قوانين المصادفة (٣) لأننى ألمس نتائجها في كثير من أمور حياتنا

(١) الله يتجلى في عصر العلم ص ٥٣

(٢) المرجع السابق ص ٥٣

(٣) يرى فريق من العلماء المعاصرين ان استخدام لفظ المصادفة هو تخلص من تفسير الظاهرة او الأمر الذى حدث تفسيراً طبيعياً ، وعلة ذلك اننا لم نصل بعد الى تلك التفسيرات الطبيعية . هذا يقصده هذا العالم في استعمال لفظة المصادفة .

اليومية • ولا أستطيع كذلك أن أرفض النظريات المادية رفضاً باتاً لأن نجاح
المشتغلين بالعلم يتوقف على مدى وصولهم الى تفسيرات طبيعية للظواهر
المربوطة التي يدرسونها ••

” ولكنى أو من بوجود الله • اننى اعتقد فى وجوده - سبحانه - لأننى
لا أستطيع أن اتصور ان المصادفة وحدها تستطيع أن تفسر لنا ظهور
الالكترونات والبروتونات الاولى او الذرات الاولى او الاحماض الامينية الاولى
او البروتوبلازم الاول او البذرة الاولى او العقل الاول • اننى اعتقد
فى وجود الله لأن وجوده القدسى هو التفسير المنطقي الوحيد لكل ما يحيط
بنا من ظواهر هذا الكون التى نشاهدها “ (١)

وبعد هذا التقرير الصريح من عالم أتحت له هذه الفرصة السانحة
للاطلاع على نتائج هذه العلم كلها ، ننتقل الى استعراض صورة من العلم
الحديث فى ابطال الصدفة ، واستعراض بعض الايات القرآنية للاثبات
أن العلم والدين يقاتلان معا ضد الصدفة العمياء •

العلم يبطل فكرة المصادفة

أولا - شهادة علم الهندسة :

ان هذه الشهادة يؤيدونها عالم من العلماء الطبيعيين بل هو الذى استطاع
أن يخترع المخ الالكترونى (٢) فلندعه يتكلم : (٣)

(١) المرجع السابق ص ٤ •

(٢) مختار هندسى - حاصل على درجة الماجستير من جامعة كلرادو ومختار
هندسى بمعامل جنرال (الكويك - مصمم العقل الالكترونى للجمعية العلمية
لدراسة الملاحة الجوية بمدينة لانجلى فيلد) اخصائى فى الآلات الكهربائية
والطبيعية للقياس •

المرجع السابق ص ٨٨

(٣) تنبيه : لا اعتراض بين ما قررنا أولاً أن الملاحظة اتخذوا العلم لضرب الأديان
وبين ما نقره هنا من ان العلم يدل على الايمان •• فى التقرير الاول / هم الذين
اتخذوا العلم سلاحاً للالحاد والعلم برئ من ذلك • ان الملاحظة

"وأني أحب ان أبدأ بذكر الحقائق التي لا سبيل الى انكارها والتي لا أشك في أن غيري ممن اسيموا في هذا الكتاب قد تناولوها : وهي ان التصميم يحتاج الى مصمم . وقد دعم هذا السبب القوي من اسباب ايماني بالله ما أقدم به من الاعمال الهندسية . . . فبعد اشتغالي سنوات عديدة في عمل تصميمات لأجهزة وأدوات كهربائية ، ازداد تقديري لكل تصميم أو ابداع ابننا وجدته . . . وعلى ذلك فانه مما لا يتفق مع العقل والمنطق أن يكون ذلك التصميم البديع للعالم من حولنا الا من ابداع اله أعظم لا نهاية لتدبيره وابداعه وعبقريته . . .



"حقيقة ان هذه طريقة من طرق الاستدلال على وجود الله ، ولكن الملمم الحديثة قد جعلتها أشد بيانا وأقوى حجة منها في أي وقت مضى . . . ثم زاد قائلا :

"ان المهندس يعلم كيف يمجّد النظام ، وكيف يقدر الصعاب التي تصاحب التصميم عندما يحاول المصمم أن يجمع بين القوى والمواد والقوانين الدابصية في تحقيق هدف معين ، انه يقدر الابداع بسبب ما يواجهه من الصعاب والمشكلات عندما يحاول ان يضع تصميمها جديدا .



لقد اشتغلت منذ سنوات عديدة بتصميم مخ الكروني يستطيع ان يحل بسرعة بعض المعادلات المعقدة المتعلقة بنظرية " الشد في اتجاهين " . وقد حققنا هدفنا باستخدام مئات من الانابيب المفرغة والادوات الكهربائية والميكانيكية والدوائر المعقدة ووضعها داخل صندوق بلغ حجمه ثلاث اضعاف حجم اكبر " بيانو " ولا تزال الجمعية الاستشارية العلمية في (لانجلي فيلد) تستخدم هذا المخ حتى الان . . . وبعد اختراعي هذا الجهاز سنة أو سنتين ، وبعد أن واجهت كثيرا من المشكلات التي تطلبها تصميمه ووصلت الى حلها ، صار من المستحبات بالنسبة

التي أن يتصور عقل أن مثل هذا الجهاز يمكن عمله بأية طريقة أخرى غير استخدام العقل والذكاء والتصميم (١) .

" وليس العالم من حولنا الا مجموعة هائلة من التصميم والابداع والتنظيم وبرغم استقلال بعضها عن بعض ، فانها متشابكة متداخلة ، وكل منها أكثر تعقيدا في كل ذرة من ذرات تركيبها من (ذلك الخ اللكتروني) الذي صنعه . .

فاذا كان هذا الجهاز يحتاج الى تصميم أفلا يحتاج ذلك الجهاز الفسيولوجي الكبيبي البيولوجي الذي هو في جسي ، والذي ليس - بدوره - الا ذرة بسيطة من ذرات هذا الكون اللانهائي في اتساعه وابداعه ، الى مبدع يبدعه . . ان التصميم أو النظام أو الترتيب ، أو سمها ما شئت لا يمكن أن تنشأ الا بطريقتين : طريق المصادفة أو طريق الابداع والتصميم . وكلما كان النظام أكثر تعقيدا ، بعد احتمال نشأته عن طريق المصادفة . .
ونحن في خضم هذا اللانهائي لا نستطيع الا أن نسلم بوجود الله تعالى (٢) .

شهادة العلم الطبيعية

يتساءل العلامة أ. كريسي موريسون عن سر الحياة وهل هي من صنع المادة :
" ان المتفق عليه عموما هو أنه لا البيئة وحدها ولا المادة مهما كانت موائمة للحياة ولا أي اتفاق في الظروف الكيماوية والطبيعية قد تخلقه المصادفة يمكنها أن تأتي بالحياة الى الوجود " (٣) ويقول :
" فالحياة هي المصدر الوحيد للوعي والشعور وهي وحدها التي تجعلنا ندرك صنع الله ويظهرنا جماله وان كانت أعيننا لا تزال فوقها غشاوة " .

(١) الله يتجلى في عصر العلم ص ٨٩

(٢) للمصدر السابق ص ٩٠

(٣) العلم يدعو الى الايمان . تأليف أ. كريسي موريسون ص ٩٧

(٤) المصدر السابق ص ٩٠ الطبعة الخامسة يونيو سنة ١٩٦٥ م .

ويقول : " والطبيعة لم تخلق الحياة ، فان الصخور التي حرقها النار ، والبحار الخالية من الملح ، لم تتوافر فيها الشروط اللازمة " .

" نرى انه مما يدعو الى الدهشة على الاقل ان يكون تنظيم الطبيعة على هذا الشكل بالغاً هذه الدقة الفائقة . لانه ، لو كانت قشرة الأرض أسماكاً هي بمقدار بضع أقدام ، لا تمتص ثاني اوكسيد الكربون والاكسجين ، ولما أمكن وجود حياة النبات ، وهناك احتمال بأن قشرة الأرض والمحيطات السبعة قد امتصت كل الاوكسجين ، وأن ظهور جميع الحيوانات التي تستنشق الاوكسجين وأن الحساب الدقيق قد يجعل هذا المصدر للأوكسجين في حيز الامكان ولكن مهما كان مصدره فان كميته هي بالضبط مطابقة لاحتياجاتنا .

ولو كان الهواء ارفع كثيراً مما هو ، فان بعض الشهب التي تحترق الان كل يوم بالملايين في الهواء الخارجي ، كانت تضرب في جميع أجزاء الكرة الأرضية . وهي تسير بسرعة تتراوح بين ستة اميال واربعين ميلاً في الثانية ، وكان في امكانها ان تشمل كل شيء قابل للاحتراق

وعجلة الموازنة العظيمة هي تلك الكتلة الفسيحة من الماء أى المحيط الذى استمدت منه الحياة والغذاء والمطر والمناخ المعتدل والنباتات . وأخيراً الانسان نفسه . . . فده الذى يدرك ذلك يقف في روعة أمام عظمتة . ويقر بواجباته شاكراً " .

(١) العلم بدعوى الايمان ٠١ كريسى موريسون ص ٨٩

(٢) العلم بدعوى الايمان ٠١ كريسى ص ٦٦ .

قد أصاب هذا الباحث حيث اثبت ان الحياة مستمدة من الماء لأن الله تعالى يقول : ﴿ أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ﴾ سورة النساء .

وقد استدللنا بهذه الآية في مبحث " موقف القرآن من أصل الكون ولكننا رجعنا إليها هنا لملاققتها الواضحة بما نحن بصدده .

شهادة علم الفلك في ابطال فكرة المصادفة

ورائدنا في هذه الشهادة رائد الفضاء الامريكي الذي يقول :

”... عندما وقع علي الاختبار لبرنامج الفضاء كان بين اوائل الاشياء التي اعطيت لي ، كتيب (صغيرة) يحوي الكثير من المعلومات عن الفضاء ، وكان بين محتوياته فترتان تتعلقان بضخامة الكون اثرتا في تأثيرا بالغا...

” ولكي ندرك هاتين الفترتين يجب ان نعرف أولا ما هي السنة الضوئية :

ان الضوء يسير بسرعة تبلغ ٣٠٠ الف كيلو متر في الثانية — أي ما يعادل الدوران حول الأرض حوالي سبع مرات في الثانية — فاذا أطلقت هذا الشعاع من الضوء وجعلته يستمر لمدة عام فان تلك المسافة التي يقطعها — وتبلغ حوالي ٩٥ مليون مليون كيلو متر — وهي السنة الضوئية !

واني اقتبس هنا ما ورد في الكتيب عن حجم الكون الذي نعيش فيه .. وعندما نذكر أن المجرة التي تضم كوكبنا يبلغ قطرها حوالي ١٠٠ الف سنة ضوئية

نשמربدهشة .

” ولما كانت الشمس نجما لا يعتمد به يقع على مسافة حوالي ٣٠ الف سنة ضوئية من مركز المجرة ، ويدور في مدار خاص به كل ٢٠٠ مليون سنة أثناء دوران المجرة فاننا ندرك مدى صعوبة المقياس الهائل للكون الواقع وراء المجموعة الشمسية ..

” بل ان الفضاء الذي يقع بين النجوم في مجرتنا ليس نهاية هذا الكون فورا ، ملا بين من المجرات ، الأخرى تندفع جميعا فيما يبدو ومتباعدة عن بعضها البعض بسرعة خيالية وتمتد حدود الكون المرئي بالمجهر مسافة ٢٠٠٠ مليون سنة ضوئية على الأقل في كل اتجاه .

” ان هذا الوصف يظهر مدى ضخامة الكون الذي نعيش فيه ... ”

”... ولنعد الآن لما نعرفه عن تكوين الذرة وهي أصغر جسم حتى الآن فنجد أن هناك تشابها كبيرا بين الذرات ومجموعتنا الشمسية في الكون ...”

” ذلك أن هذه الذرات لها إلكترونات تدور حول النواة بصورة منتظمة كدوران الأسرة الشمسية حول أمها الشمس .. ”

ثم قال :

” والآن ماذا أريد أن أقول ؟ أريد التحدث عن نظام الكون بأسره من حولنا ...

” من أصغر تكوين ذرى الى أضخم شيء يمكن تصويره - مجرات تبعد ملايين السنين الضوئية كلها يسير في مدارات مرسومة محدودة تضبط علاقة كل منها بالآخرى . فهل يمكن أن يكون ذلك كله قد حدث اتفاقا ؟
 ” أكانت مصادفة أن حزمة من نفايات الغازات الطافية بدأت فجأة في صنع هذه المدارات وفقا لاتفاقها الخاص ؟

فقال في صراحة وصرامة :

” اننى لا أستطيع تصديق ذلك .. بل ان ذلك مستحيل .. والمؤكد ان ذلك تم وفق خطة مرسومة محددة .. وهذا واحد من الأشياء الكثيرة في الفضاء التي تبين لي أن هناك لها ... وأن قوة ما قد وضعت كل ذرة الأشياء في مدارات وأبقتها هناك تؤدي وظائفها المعتادة ..

” ولنقارن السرعة في مشروعنا ” عطار ” مع بعض هذه الأشياء التي نتحدث عنها :

” اننا نظن أحيانا ان المشروع على ما يرام و فقد بلغنا سرعة تصل الى حوالي ٢٩ الف كيلومتر في الساعة في الدوران حول الارض - أى حوالي ٨ كيلومترات في الثانية - وهي سرعة كبيرة حقا بالنسبة لمقاييسنا الأرضية كما أنها سرعة

مرتفعة الى حد مناسب ونحن على ارتفاع يزيد قليلا على ١٦٠ كيلومتر .
أما بالنسبة لما يجرى فعلا في الفضاء فان مجهوداتنا هذه تعد ضئيلة
جدا " اهـ . (١)

وصدق رائد الفضاء في كلمته تلك ، فان ما يصل اليه الانسان بجهدده وفكره
شيء محدود القيمة بالنسبة الى ما يقع في العالم حوله ، ان الذي يتجول في
مصانع السكر - مثلا - يرى الانابيب الطائفة بالعصير والأفران الملبثشة
بالوقود ، والآلات التي تغطي مساحة شاسعة من الأرض ٠٠٠ فلا يدرك
أن يتعجب من ذلك ٠٠٠

ولكن لو تأمل هذا الانسان في بطن نحلة صغيرة يؤدي هذه الوظيفة ٠٠
وظيفة صنع السكر دون كل تلك الاجهزة الدوارة والضجيج العالي : لو تأمل
في ذلك لقال سبحانه الله * هذا خلق الله فأرني ماذا خلق الذين من
دونه * (٢)

وأين نصيب المصادفة في كل ذلك ؟ هل للمصادفة نصيب في قطرة
الماء التي ترى تحت المجهر وهي تحتوي الكروونات تدور حول نواة في المركز
وهي تتشابه بتلك النجوم التي تشاهد خلال المنظار الكبير ؟ ؟
ان العقل السليم لا يقبل هذا بحال من الأحوال . بل لا يسمعه الا أن يمجده
ذلك النظام الرائع وتلك الدقة البالغة والقوانين التي تعبر عن تماثل
طواف الكروونات حول كميتها (البروتون) وطواف الأسرة الشمسية حول كميتها
أيضا التي هي الشمس . هل في ذلك نصيب للمصادفة المزعومة . ب * فانيها
لا تسمى الأَبصار ولكن تسمى القلوب التي في الصدور * (٣) .

(١) المصدر السابق ص ١٩

(٢) الآية من سورة لقمان / ١١

(٣) الآية من سورة الحج / ٤٦

هذا غريب من غرائب الفكر الالحادى

ولست أدري كيف يفسر الملاحدة على أساس المصادفة ما أثبتته العلم الحديث للأرض من صور الملاءات العديدة .. ان العلم الحديث يرى أن الأرض كرة معلقة في الفضاء تدور حول نفسها ، فيكون في ذلك تتابع الليل والنهار ، وهى تسبح حول الشمس مرة في كل عام ، فيكون في ذلك تتابع الفصول الذى يؤدى بدوره الى زيادة مساحة الجزء الصالح للسكنى من سطح كوكبنا ويزيد من اختلاف الأنواع النباتية اكثر مما لو كانت الأرض ساكنة ..

ولست أدري/يفهمون كيف أساس المصادفة ما قرره العلم الحديث من أن الأرض محيطة بخلاف غازى يشتمل على الغازات اللازمة للحياة ويمتد حولها الى ارتفاع كبير يزيد على ٥٠٠ ميل .. ويبلغ هذا الغلاف الغازى من الكثافة درجة تحول دول وصول ملايين الشهب القاتلة .. والغلاف الجوى الذى يحيط بالأرض يحفظ درجة حرارتها في الحدود المناسبة للحياة ، ويجعل بخار الماء من المحيطات الى مسافات بعيدة داخل القارات حيث يمكن أن يتكاثف مطرا يحيى الأرض بعد موتها ، والمطر مصدر الماء العذب ، ولولاها لأصبحت الأرض صحراء جرداء خالية من كل أثر للحياة . ومن هنا نرى أن الجو والمحيطات الموجودة على سطح الأرض تمثل عجلة التوازن في الطبيعة (١) كما أفاد بذلك كريسى موريسون في شهادته السابقة ...

ان الغريبة كل الغريبة كون الملاحدة يؤمنون بكل ذلك ولكنهم ينحرفون عن نتائجها اللازمة وهى اثبات انه لهذا الكون الغريب .

(١) يراجع في ذلك كتاب الله يتجلى في عصر العلم ص ٦ - ٧

ولست أفهم أيضا كيف يقررون للماء خواصا هامة ثم ينسبون لها إلى شيء لا عقل له بل هو يخبط - على زعمهم - خبط عشواء - أن ذلك ليس بالضلال المبين .

فهم يقررون ما أقره العلم الحديث من أن الماء ممتاز بأربع خواص هامة تحمل على صيانة الحياة في المحيطات والبحيرات والأنهار ، وخاصة حيثما يكون الشتاء قارسا وطويلا ، فالماء - كما يقرر العلم الحديث - يمتص كميات كبيرة من الأوكسجين عندما تكون درجة حرارته منخفضة . . . وتبلغ كثافة الماء أقصاها في درجة أربعة مئوية . . . والثلج أقل كثافة من الماء مما يجعل الجليد المتكون في البحيرات والأنهار يطفو على سطح الماء لخفته النسبية فهي بذلك الفرصة لا استمرار حياة الكائنات التي تعيش في الماء في المناطق الباردة . وعندما يتجمد الماء تتطلق منه كميات كبيرة من الحرارة تساعد على صيانة حياة الأحياء التي تعيش في البحار . . . هذا بعض ما قرره العلم الحديث (رب الملاحظة) ولكنهم يهربون من دلالات العلم الحديث . العلم يقول أن التصميم لا بد أن يكون له مصمم . . . ولكن الملاحظة يرون خلاف ذلك . . . فهم يعترفون بالتصميم الموجود في الكون ولكنهم ينكرون المصمم ويقولون : أن نظام الكون لا يحتاج إلى أية أسطورة لا هوتية . وإذا وضعنا خواص الماء جانبا وانتقلنا إلى الأرض اليابسة التي تعمل في صمت ولكنها عجيبة . نجد الملاحظة يعترفون بتلك الأعاجيب كلها ثم ينحرفون عن لوازمها ودلالاتها .

فالأرض اليابسة - كما يقول العلم الحديث - فهي بيئة ثابتة للحياة كثيرة من الكائنات الأرضية . فالتربة تحتوي العناصر التي يمتصها النبات ويحولها إلى أنواع مختلفة من الطعام . يفتقر إليها الحيوان . . . ويوجد كثير من المعادن قريبا من سطح الأرض ، مما هي السبيل لقيام الحضارة الراهنة ونشأة كثير من الصناعات والفنون .

وعلى ذلك فإن الأرض - بلغة العلم الحديث - مهياة على أحسن صورة للحياة وهذا - بلا شك - من تدبير حكيم عليم لا يفضل ولا ينسى ، وليس من المعقول ولا من المألوف أن يكون كل ذلك مجرد مصادفة أو خبط عشواء... وأخيرا لست أدري كيف عميت قلوبهم حينما يعترفون بوجود البروتونات وتوانينها المعقدة التي تحيرت منها قلوب الباحثين ، ثم يقولون بالصدفة الحمياء .

أليس العلم الحديث (خالقهم الأوحى) يقول على لسان (فرانك ألن) البيولوجى " ان البروتينات من المركبات الأساسية في جميع الخلايا الحية . وهي تتكون من خمسة عناصر هي : الكربون ، والهيدروجين والنيتروجين والأكسجين والكبريت .

" و يبلغ عدد الذرات في الجزيء البروتينى الواحد ٤٠٠٠٠٠ ذرة . ولما كان عدد العناصر الكيميائية في الطبيعة ٩٢ عنصرا موزعة كلها توزيعا عشوائيا ، فان احتمال اجتماع هذه العناصر الخمسة لكي تكون جزيئا من جزيئات البروتين يمكن حسابه لمعرفة كمية المادة التي ينبغي أن تخلط خلطا لكى تؤلف هذا الجزيء . ثم لمعرفة طول الفترة الزمنية اللازمة لكي يحدث هذا الاجتماع بين ذرات الجزيء الواحد ...

" وقد قام العالم الرياضى السويسرى (تشارلز بوجين جاى) بحساب هذه العوامل جميعا فوجد أن الفرصة لا تتغيرا عن طريق المصادفة لتكوين جزيء بروتينى واحد إلا بنسبة (١) الى ١٦٠/١٠ أى بنسبة الى رقم عشرة مضروبا في نفسه ١٦٠ مرة . وهو رقم لا يمكن النطق به اوللتعبير عنه بكلمات . وينبغي أن تكون كمية المادة التي تلزم لحدوث هذا التفاعل بالمصادفة بحيث ينتج جزيء واحد أكثر مما يتسع له كل هذا الكون بملايين المرات ويتطلب تكوين هذا الجزيء على سطح الأرض وحدها عن طريق المصادفة بملايين لا تحصى

من السنوات قدرها العالم السويسرى بأنها عشرة مضروبة في نفسها ٢٤٣ مرة
من السنين (١٠ ٢٤٣ سنة) .

ثم يقول متسائلا :

" ان البروتينات تتكون من سلاسل طويلة من الأحماض الأمينية فكيف تتألف
ذرات هذه الجزيئات ؟ ؟ انها اذا تألفت بطريقة

اخرى غير التي تتألف بها . تصير غير صالحة للحياة . بل تصير في بعض
الأحيان سموما . وقد حسب العالم الانجليزى ج . ب . ليتز (J.B. Letz)
الطارق التي يمكن ان تتألف بها الذرات في أحد الجزيئات البسيطة من
البروتينات فوجد أن عددها يبلغ (١٠^{٤٨}) وعلى ذلك فانه من المحال عقلا
أن تتألف كل هذه المصادفات لكي تبني جزيئا بروتينيا واحدا .

■ * ■

ثم صرح بأن المصادفة لا تعجز عن تأليف الذرات فقط ولكنها تعجز
بشكل واضح عن ايجاد الحياة في المواد الكيميائية فقال :

" ولكن البروتينات ليست الا مواد كيميائية عديمة الحياة ، ولا تدب فيها
الحياة الا عندما يحل فيها ذلك السر المجيب الذي لا ندري من كنهه
شيئا . انه العقل اللانهائي (١) وهو الله وحده ، الذي استطاع أن يدرك
ببالغ حكمته أن مثل ذلك الجزيء البروتيني يصلح لأن يكون مستقرا للحياة
فبناه وصوره وأغدى عليه سر الحياة . . (٢)

(١) اننا لا ننكر المجيئود الجبار الذي قدمه العالم للوصول الى الايمان بالله وحده
ولكنه لم يزل - بعد - يحمل في ذاكرته بعض المصطلحات الالحادية وهو :
تسمية الله سبحانه وتعالى " بالعقل اللانهائي " ان هذه التسمية ولو كان يراد
بها اثبات وجود الله ، ولكنها في الوقت نفسه لا يجوز لمسلم أن يسعى الله بها
لانها ليست من الاسماء الحسنى . ولقوله تعالى * قلله الاسماء الحسنى فادعوه
بها . وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون *

(٢) راجع الله يتجلى في عصر العلم ص ١٠

وقد رأينا في هذا الاستعراض السريع ان العلم الحديث يحارب فكرة الصدفة
محاربة شديدة الا أن الملاحظة الجيلاء الذين ليس لديهم علم واسع في
العلوم الطبيعية ولا في العلوم الدينية ، هم الذين ينكرون وجود الله الخالق
المدير . هذا ما أكدته " آينشتاين " :

" ان التجربة الدينية للكون افضل وأقوى من كل ما يتفجر من أعماق البحوث
العلمية والذي لا يفهم المجهودات الجبارة والثقة بالنفس التي من دونها
لا يكشف شيء جديد في التفكير العلمي فهو لا يستطيع أن يقدر قوة الشعور
الذي ينشأ من خلال هذا العمل العلمي البعيد عن الحياة اليومية المباشرة .
ولا بد أنه يوجد عند كيبليز ونيوتن مثلا ايمان عميق بحكمة نظام
الكون وارادة قوية لفهمه وحتى لو لم يكن هذا الفهم الا شعاعا ضئيلا
من الحكمة المنزلة في الدنيا " (١)

ويقول أيضا : " ان العلم لا يستطيع أبدا أن ينفي بجد وجود الله
الواحد الذي يقدر جميع الحوادث الطبيعية " .

ويقول : " والعلم لا يكشف الا من طرف من هو متشبع جدا بعلوم معرفة
الحقيقة بتمامها وانما هذا الشعور مستمد من الدين ومن أيضا يظهر الايمان
بأن القواعد المطبقة في عالمنا هذا منطقية أي ان العقل يدركها واني لا
أتصور عالما لا يملك هذا الايمان العميق واني أعبر عن الحالة تلك بعبارة :
الصورة : " العلم بلا دين أعرج والدين بلا علم أعمى " (٢)

هكذا يتضح خلال هذا المثال البسيط الذي يخص الضوء أن الموقف
الفكري عند أصحاب العلم الحديث الجهايزة ، يتنافى مع فكرة الصدفة وبحد
هذا نود أن نرى أيضا موقف الدين .. في هذا المجال ..

(١) راجع كتاب الله العلم : بشير التركي ص ٣٣

(٢) المرجع السابق ص ٣٣

الدين يبطل عقيدة الصدفة العمياء

ليست مصادفة ان تكون اول كلمات القرآن الكريم امرا بالدعوة الى القراءة ..
وان تدعو اول آياته الى العلم .. فان أول ما نزل من الآيات الشريفة
هي :

* اقرأ باسم ربك الذي خلق - خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم
الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم * (١)

وهي دعوة صريحة لتعلم القراءة والكتابة .. بل وجهت نظر الانسان
الى ادق العلوم التي تخرجه من ظلمات فكرة المصادفة الى العلم بالايمان
الصحيح .. وهي علم الحيلة وخلق الانسان ..
فما نصيب الصدفة العمياء في خلق الجنين في بطن امه كما أخبرنا به القرآن
الكريم في الايات التالية :

* ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين .
ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا المعلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا
العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين * (٢)

ثم بعد مئات السنين يقرر العلم الحديث ، بعد الاستماعة بالمجاهر وأجهزة
للتصوير والأشعة ، أن الترتيب المنصوص عليه في هذه السورة هو ترتيب
خلق الجنين ، والاكثر من هذا أنه حتى لم يكن الاستماعة من ألفاظ
القرآن بغيرها . فهي الألفاظ التي تدل على المعنى بغير لبس أو غموض
أو زيادة أو نقصان .. فهذا ان دل على شيء فانما يدل على أن الدين
والعلم يقاتلان معا هذه الفكرة الخاطئة ، فكرة الصدفة العمياء التي لا وجود
لها في عالم الواقع .. كما يدل أن القرآن حق .

ثم تتابع الايات التي توجه النظر الى دقائق خلق الانسان فيقول الله سبحانه
وتعالى : * فلينظر الانسان مم خلق .. خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب
والترائب * (٣)

(٢) في سورة المؤمن آية : ١٤

(١) في سورة العلق آية : ٥

(٣) في سورة الطلاق آية : ٧

ثم يقرر القرآن حقائق وراثية الصفات في خلق الانسان فيقول المولى في سورة الانسان :

* انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا * (١)

أفبعد ذلك مكان للصدفة العمياء في العقول الثيرة ؟ أفليس لك دعوة صريحة من الله عز وجل للمسلمين بأن يتعلموا ؟ وليست مصادفة كذلك أن تتكرر في القرآن الكريم آيات الدعوة الصريحة الى النظر في خلق السموات والأرض وما فيها مثل :

* قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغنى الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون * (٢)

* أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء * (٣)

* أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج * (٤)

ولم يكف القرآن بذلك بل دعا الى النظر في خلق النبات ومراقبة نموه

ودراسة حياته ان يقول المولى :

* وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا

نخرج منه حبا متراكبا ومن النخيل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب * (٥)

وقال : * أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زيدا رابيا * (٦)

تؤكد هذه الايات ان مراقبة نمو النبات ودراسته حياته شيء ينفي الصدفة

العمياء التي لا تتفق مع العقل السليم ثم أكدت الايات كذلك على اهمية المهيون

المائية وتموينها بماء المطر الذى يتجسه اليها . ويستحق الأمر وثقة لنذكر

بتسلط بعض المفاهيم في القرون الوسطى كفهم (أرسطو) الذى كان يرى أن

الينابيع المائية تتمون بواسطة بحيرات جوفية . ويصف ر . آينبيرج

(R. Remeneras) الأستاذ بالمدرسة الوطنية للمهندسة الزراعية

(١) سورة الانسان آية : ٢

(٢) سورة يونس آية : ١٠١

(٣) سورة الاعراف آية : ١٨٥

(٤) سورة قى آية : ٦

(٥) سورة الانعام آية : ٩٩

(٦) سورة الرعد آية : ١٧

والمياه والغابات في مقاله " الهيدرولوجيا " (Hydrologie)

بدائرة معارف أونيفرسال يصف المراحل الرئيسية في علم المياه ويستشهد بأعمال الرى القديمة الرائعة وخاصة تلك التى انجزت في الشرط الاوسط ، وهو يلاحظ أن المعرفة العلمية قد سادت كل هذه الانجازات على حين كانت الافكار صادرة عن مفاهيم مخلوطة . ويردف المؤلف قائلا : " ويجب أن ننتظر حتى عصر النهضة ما بين ١٤٠٠ و ١٦٠٠ تقريبا حتى تخلص المفاهيم الفلسفية الصرفية المكان لأبحاث تعتمد على الملاحظة الموضوعية للظواهرات الهيدرولوجية . (١)

فقد ثار (ليوناردو دافنشى) (Leonardo De Vinci)
(١٤٥٢ - ١٥١٩) على دعاوى أرسطو .

ويعطى (برنارد باليس) (Bernard paleissy)

في بحث له بعنوان " خطاب في روعة طبيعة المياه والعيون الطبيعية

منها والصناعية
Discours Admirable De La
Nature Des Eaux Et Fontaine Tant Nature-
Lles qu'artificielles.

(باريس ١٥٢٠) يعطى تفسيراً صحيحاً في دور المياه وخاصة عن تموين الأمطار
للينابيع " . (٢)

البت هذه بالتحديد هي الإشارة التى نجدها في الآية التالية التى تذكر

اتجاه مياه الأمطار نحو الينابيع في الأرض .

■ ألم تر أن الله يزجى سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق

يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال من برد فيصيب به من يشاء ويعرفه

عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار * (٣)

(١) راجع عرضاً كتاب دراسة الكتب المقدسة على ضوء المعارف الحديثة موريس بوكاي

ص ٢٠٢

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٢ (٣) سورة النور آية : ٤٣

ويقول تعالى : * أفرايتم الماء الذي تشربون ؟ أنتم أنزلتموه من المزن
(١)
أم نحن المنزلون لو نشاء لجعلناه أجاجا فلولاً تشكرون *
الاستشهاد بأن الله تعالى كان يستطيع أن يجعل الماء الطيب بطبيعته
مالحا شديداً الملوحة هو يدل على عجز الانسان وقصور فهمه عن طبائع
المخلوقات ومنها المياه .

وقد كتب م ١٠٠ فاس (M.A. Facy) مهندس عام الارصاد
الجوية الوطنية في مقالة " الهواء " بدائرة معارف (أوفيز سالي)
مايلي (٢) :

" لن يمكن أبداً اسقاط المطر من سحابة لا تحتوي على سمات السحابة القابلة
للإطول او من سحابة لم تصل الى درجة مناسبة من التطور (أو النضج) ،
وبالتالي فان الانسان لا يستطيع الا أن يجعل بعملية الإطول مستعينة
في ذلك بالوسائل التقنية الملائمة ، على شرط ان تكون الظروف الطبيعية
لذلك جاهزة سلفاً . ولو كان الامر غير ذلك لما كان الجفاف عملياً . وهذا غير
حادث . كما هو واضح . التحكم في المطر والطقس الجميل ما زال حتى
اليوم حلماً . .

" لا يستطيع الانسان ان يقطع كيفما يشاء الدورة الثابتة التي تضمن حركة
المياه في الطبيعة وعلى حسب تعليلات (الهيدرولوجيا) الحديثة فيمكن تلخيص
هذه الدورة كما يلي :

" يشير الاشعاع الحراري للشمس تبخر الماء في المحيطات وكل السطوح الأرضية
المغطاة أو المشبعة بالماء . يتصاعد بخار الماء بهذا الشكل نحو الجو ويشكل
سحباً عن طريق تكاثفه . . عندئذ تدخل الرياح لتؤدي دورها في نقل
السحب بعد تشكيلها الى مسافات متنوعة . . وقد تختفي السحب دون أن تعطي

(١) سورة الواقعة الايات ٦٨ - ٧٠

(٢) الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ٢٠٣

مطرا . كما يمكن أن تلتقى كتل السحاب مع كتل أخرى لتعطي بذلك
سحباً ذات كثافة كبرى ، وقد تتجزأ القطع المطرا في مرحلة من تطورها .
وسرعان ما تتم الدورة بوصول المطر الى البحار التي تشكل ٧٠ ٪ من سطح الكرة
الأرضية .

أما المطر الذي يصل الى الأرض فقد يمتص جزئياً بواسطة النباتات . مساهماً
بذلك في نموها وهذه بدورها تقوم خلال ترشحها بإعطاء جزء من الماء الى
الجو . أما الجزء الآخر فإنه يتسلل بمقدار قد يقل أو يكثر الى التربة ليتجه
نحو المحيطات عبر مجارى الماء أو قد يتسرب في التربة ليمود نحو
الشبكة السطحية عن طريق الينابيع أو الأماكن الأخرى التي يخرج منها
الماء الى السطح .

ولوقارنا معطيات علم الهيدرولوجيا الحديث بتلك التي نجدتها في كثير
من الآيات القرآنية المذكورة في هذه الفقرة ، سنلاحظ وجود توافق رائع
بين الاثنين .

فعلى أى يدل هذا التوافق المجيب ؟ ؟ يدل على أن العلم والدين
من منبع واحد ، لأنهما كتب تتلى ولآخر كتب تنظر ^{فيها} . ان النتيجة
الحتمية لهذا التوافق تراجع الى شيء واحد لا ثانى له هو :
أن خالق هذا الكون اله واحد لا شريك له وليس له معين في الخلق لا من
المقلاء ولا من غير المقلاء مثل الصدفة المزعومة .

الآفاق والأَنْفَس

فمخلوقات الله في السماء والأرض أكثر من أن تحصى ، فهل الى ذكرها
من سبيل ؟ الجواب : لا ولكننا لو اتبعنا طريقة القرآن في عرض هذه
الأشياء لكان أيسر لأن القرآن يحض على النظرة الشاملة الكاملة حين يقول :

* أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء * (١)
ثم نجد القرآن الكريم يقسم هذه النظرة الشاملة الكاملة الى قسمين : ويقول :
* سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق * (٢)
إذا بحسن بنا أن نسير في هذه الفقرة على طريقة القرآن في اختبار بعض
آياته في الآفاق بالذكر . وقصدنا في كل ذلك : اثبات ان العلم والدين
لا يعترفان - بحال من الاحوال - بوجود المصادفة المزعومة بل انهما
يحاربانها محاربة عنيفة . فلنقرأ هذه الآيات من كلمات ربي . يقول الخلاق
العظيم في كتابه الكريم :

■ والسما بنيناها بأيدينا وانا لموسعون * (٣)
* أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء * (٤)
* أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج * (٥)
* الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها * (٦)
* وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون * (٧)
* الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع
البصر هل ترى من فطور * (٨)
■ أنتم أشد خلقا أم السماء بناها ورفع سمكها فسواها وأغطس ليلها * (٩)
* ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا * (١٠)
■ تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا * (١١)
* والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قد رنا منازل حتى عاد
كالمرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار
(١٢)
وكل في فلك يسبحون *

* فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لا تعلمون عظيم * (١٣)

-
- (١) سورة الاعراف آية : ١٨٥ (٢) سورة فصلت آية : ٥٣
(٣) الذاريات آية : ٤٧ (٤) الاعراف آية : ٧٥
(٥) ق آية : ٧ (٦) الرعد آية : ٢ (٧) الانبياء آية : ٣٢
(٨) سورة الملك آية : ٦ (٩) النازعات آية : ٢٨ (١٠) فاطر آية : ٤١
(١١) الفرقان آية : ٤١ (١٢) يس آية : ٢٨ (١٣) الواقعة آية : ٧٦

فتعال أيها الملحد المفتري ، ننظر ، كما أشارت الايات على ضوء العلم الحديث الذي تعتبرونه الخالق المدبر ، الى ما في هذه السماء من مخلوقات ثم تبدى رأيك في الصدفة الخرقاء الحمياء ..

هل نظرت الى هذه السماء وما تحتويه من شيء مخلوق بلا تفاوت ، وبنبان مشيد بلا عمد ، وسقف محفوظ بلا فطور ، وسلك مرفوع بلا فروج ، والى ما فى بنائها من نجوم لا تحد ولا تحصى وما لهذه النجوم من (مواقع) تستحق أن تكون محلا للقسم العظيم يقسمه الخلاق العظيم .

بماذا أحدثتك هذه الجولة عن سعة السماء يا ملحد وان كنت لا تؤمن بهذه الايات القرآنية النبيرة المباركة وما تحدثت عنه من سعة السماء ؟ فتعال مرة ثانية الى معطيات العلم الحديث في هذا المجال ستري ان السعة التى عرفها العلم اليوم عن السماء لم تكن تخطر على قلب بشر في العصر الذى نزل فيه القرآن .

انت قد درست فيما درست معنا فيما مضى من هذا البحث ■ وبالتحديد في مبحث " شهادة علم الفلك " ، " وأن الضوء يقطع في الثانية ١٨٦ الف ميل أو ٣٠٠ ألف كيلومتر أى أنه يقطع في الثانية (١١ مليون و ١٦٠ الف ميل) في السنة الواحدة من سنينا يقطع ستة ملايين مليون او ستة الاف مليار ميل تقريبا) .. وهذه المسافة هي التي اصطالحوا على تسميتها (السنة الضوئية) ليعبروا عن ابعاد السماء الهائلة ، فمتى قيل لنا ان نجما يبعد عنا سنة ضوئية فهنا أنه (١) يبعد عنا ستة ملايين مليون ميل ..

أليس هذا ما تؤمنون به يا ملحد ! نعم ! نعم ! هذا هو الحق ان الملهم لا ينطق الا بعد التجربة الحسية .

اذن نتقدم خطوة اخرى معك يا ملحد !

(١) راجع كتابة قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ■ نديم الجسر ص ٣٠٥

" فللقمر يا ملحد ، وهو أقرب الأجرام المساوية الى الأرض ، يصل لوره اليها في أقل من ثانيتين لأن بعده عن الأرض ٢٤٠ الف ميل تقريبا أليس هذا يقره العلم الحديث يا ملحد ! نعم هذا هو ما نعتقد وموت عليه . أحسنت يا ملحد فلنتقدم أيضا الى الأمام ..

" أما الشمس فيصل نورها اليها في نحو ٨ دقائق لأن بعدها عن الأرض ٩٣ مليون ميل تقريبا . فهل أزيدك يا ملحد ! نعم زدني ! فاعلم أن أقرب نجم اليها بعد الشمس يبعد عنا أربع سنوات ضوئية تقريبا ومعنى ذلك انه يبعد عنا ٢٣ مليون مليون ميل تقريبا .

أتو من بهذا التقرير العلمي الحديث يا ملحد ! طبعا طبعا فكل ما يصدر عن العلم لا مساومة فيه ابدا .. طيب ! ان هذا العدد تافه جدا امام التقارير الحديثة التي تقول : " ان وراء ذلك (النسر الطائر) الذي يبعد عنا ١٤ سنة ضوئية و (النسر الراقع) الذي يبعد عنا ٣٠ سنة ضوئية و (السمك الراقع) الذي يبعد عنا ٥٠ سنة ضوئية أي ٢٩٤ مليون مليون ميل تقريبا .

فما رأيك في هذا ؟ يا ملحد ! ان الحقيقة ان هذا الاخير شيء مذهش . (١)
وهذا أيضا تافه يا ملحد !

" فورا ذلك نجوم تبعد عنا الف سنة ضوئية . ووراء مجرتنا هذه سديم فيها سديم " المرأة المسلسلة " الذي يبعد عنا مليون سنة ضوئية . ووراءه من السدم ما هو أبعد في تقدير العلماء ."

أليس هذا الذي وصل اليه العلم الحديث يا ملحد ! انه هو !
" هذا في سعة السماء ، أما عدد النجوم فيماذا أحدثك عنه العلم الحديث يا ملحد ؟ واصل حديثك انني موافق لكل ما ذكر ..

(١) ان هذا الحوار نقلناه عن المصدر السابق مع تغييرات كثيرة ص ٣٠٥

" ان العلم يذكر ان النجوم يمدّ اليوم بالعلماء بين يمد ان كان الناس في

السابق يمدونها بالالف ٠٠٠ فقد وصلوا - الآن - الى ثلاثين مليار في مجراتنا التي نحن من عالمها . هذا شيء يسير في سعة هذا العالم . اليس كذلك يا ملحد ! نعم لأنه من نتائج العلم الحديث الصرفة .. أفلا تحدثنا يا ملحد عن مواقع النجوم؟

لا ! لا ! واصل كلامك اذا وجد هناك خطأ فسوف أبينه !
" لقد رأى العلماء ان لهذه النجوم مواقع لا تتبدل ولا تتغير ، فظنوها ثابتة وسموها (الثوابت) ومنها شمسنا . وما هي بثوابت كما حقق العلماء في هذا العصر ، بل كلها تدور وتجرى لمستقر لها في مجريين مختلفين متداخل احدهما في الآخر ..

هل توافق العلم في تقريره الاول أم الثاني ؟

الملحد : أوافق في الثاني ! ولماذا لا توافقه في الأول ؟

الملحد : انه قد تبين انه خطأ .

أيق العلم الحديث في خطأ ؟ ؟

الملحد : وكيف لا ! انه في تطور دائم ومحاولات جديدة مستمرة ..

وكيف تؤمنون بشيء في كل شئونكم مع الاعتراف بأنه متعرض للخطأ ؟ ولما طالبت مدة انتظار الجواب من الملحد قلنا : فلنتقدم اذن يا ملحد الى الامام

مع هذا المأخذ الواضح على العلم الحديث الذي لا مفر منه ..

يا ملحد ! الست قرأت معنا الايات السابقة أن القرآن يقول : * والشمس تجري

لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم *

الملحد : نعم قد قرأنا هذه الاية .

هل هي تتناقض مع حقائق العلم الحديث التي توصل اليها اخيرا ؟

الملحد : لا منافاة بينهما !

لماذا لا تؤمن بالحقائق التي جاءت بها الأديان والتي وافقت معلوماتك ؟

الملحد : أعرف بعد هذا الحوار ان الدين كذلك قام على حقائق علمية
ولكن لا نستطيع ان نتصور ان لهذا الكون خالقا لأن بعض علمائنا المشهورين
مثل برتراند رسل أثبت أن هذا الكون لا يحتاج الى موجد ومثل لا بلاس الذي
يقول : ان هذا الكون لا يحتاج الى اية اسطورة لا هوتية وكما قال داروين :
ان تدخل الله في الكون بمثابة / فكيف اذن أترك هذه التقارير من هؤلاء
العلماء الفطاحل ؟

يا ملحد : ما زلت على ضلالك القديم ؟ اذن نغير معك اسلوب الحوار
فلننتقل سريعا الى قانون المصادفة لنرى معك نصيب المصادفة من هذا
العالم المنظم المتفق ..

الملحد : طيب فلننتقل اليه فهو الفصيل في هذا الباب ..
وهكذا رأينا ان الالحاد مبني على تقليد أعى اكثر من ان يكون مبنيا
على علم ودراسة . ان الملحد اقر بأن الشمس تجرى كما قال القرآن
ولكنه لا يستطيع أن يؤمن بقيمة هذه النتيجة لأن علمائهم اثبتوا في
اقوالهم أن هذا العالم لا يحتاج الى موجد مدبر حكيم . فلا يؤمن بالله
الا اذا اثبتنا علميا أن الصدفة عاجزة عن خلق هذا الكون ،
اذن - / قانون الصدفة الذي اتفق عليه علماء الطبيعة ومصير الملاحظة
ايضا .

قانون الصدفة

ان المصادفة تبدو شاردة ، غير منتظمة ، وغير خاضعة لأي طريقة
من طرق الحساب . ولكن اذا كنا تدعشنا مفاجأتها فانها مع ذلك خاضعة
لقانون صارم نافذ . (١) ولا بد من ايضاح ذلك بضرب الأمثلة :

(١) العلم يدعو للايمان ٠١٤ كريسي موريسون ص ١٣

إذا أخذنا - مثلا - لوحا • وأغرنا فيه ابرة • ووضعنا في ثقبه ابرة ثانية
أخرى وقل لي يا ملحد • إذا رأى انسان عاقل هاتين الابرتين • وسأل كيف
أدخلت الثانية في ثقب الأولى ؟ فأخبره انسان • معروف بالصدق • ان الذى
ادخلها رجل ماهر قذف بها • من بعد عشرة أمتار • فاستطاع أن يدخلها
في شق الابرة الاولى ..

ثم أخبره انسان • معروف بالصدق • ان الذى ادخلها في ثقب الاولى • صبي
صغير ولد من بطن أمه أعشى • فوقعت في الشق (بطريق المصادفة)
فأى الخبرين تصدق يا ملحد !

الملحد • انه ولا ريب أميل الى تصديق : الخبر الأول وكما يميل اليه كل
عاقل • ولكننى مع ذلك أرى أن المصادفة ممكنة • فلذا لا أستطيع بهذا
المثال أن أجزم بترجيح أحد الخبرين على الآخر ... اذا كان عندك
شيء آخر غير هذا فات به ! (١)

فاسمع اذن يا ملحد ! لو اذا رأى هذا الرجل ابرة ثالثة مغروزة في شق
الابرة الثانية ايضا • فهل يبقى عدم الترجيح على حله عندك ؟
الملحد : كلابل يتقوى ترجيح (القصد) على المصادفة • ولكنه مع كل
ذلك لا أستطيع أن انفى فكرة المصادفة كليا وانما ارجح القصد ترجيحا
ضعيفا ..

يا عجباً • ولكن اذا رأيت أن هناك عشرات • كل واحدة منها مغروزة في
ثقب الاخرى التى تليها • فهل ترجح فكرة القصد ترجيحا ضعيفا أو قويا •
الملحد : الآن القصد مرجح عندى ترجيحا قويا حتى يبدو ان أقول
ان فكرة المصادفة كادت أن تتلاشى • ولكنى أجد في نفسى دائما - أن
المصادفة موجودة ولكنها تكون مستبعدة احبانا كهذه الحال وليست مستحيلة ؟

(١) راجع كتاب قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن • نديم الجسر • ولكن أغلب

الالفاظ قد تصرفنا فيها • ص ٢٩٢

الى الان ما زلت على فكرتك القديمة يا ملحد ؟

اذن فلا بد أن نغير معك اسلوب الحوار أيضا وصدق الله : ■ وكان الانسان

اكثر شئ * جدلا * فخذ مثلا آخر لحلك به تهتدى :

يا ملحد ! لو رأيت احدا يقول لك ان حرف مطبعة كونت بنفسها عند
اختلاطها ■ بالمصادفة كتابا كاملا من (٥٠٠) صفحة ينطوي على قصيدة
واحدة تؤلف بمجموعها وحدة كاملة مترابطة متلائمة منسجمة بالفاظها واورانها
وقوافيرها ومعانيها ومغازيها ، فهل كنت تصدق ذلك يا ملحد ؟

الملحد : لا ! لا ! أبدا لا أصدقه !

(١)

ولماذا لا تصدقه يا ملحد !

الملحد : لأنني هنا أجد الاستحالة بديهية حقا بخلاف الابر العشر ■

لا أجد وجه الاستحالة واضحا وبديهيا كما أجده في مثلال الكتاب ■

أتدري — يا ملحد — ما هو السبب في ذلك ؟

السبب يرتكز على قانون المصادفة نفسه : فالتزام بين الابر يجرى بين
عدد قليل فيجعل خط المصادفة بنسبة معينة ٠٠ وهذه النسبة وان كانت
تكفي لا بطلان فكرة المصادفة ، ولكن التزام بين حروف الكتابة يجرى بين
(٥٠٠) الف حرف على تكوين (١٢٥) ألف كلمة تقريبا ، بأشكال وترتيبات
لا تعد ولا تحصى أبدا . وهذا ما يجعل خط المصادفة بنسبة واحد ضد

عدد هائل جدا جدا لوقلت عنه أنه طيار طيار طيار لكان قليلا ٠٠٠

هذا في كتاب المطبعة وكلماته المحدودة الممدودة يا ملحد !

فما قولك في كتاب الله الأعظم وكلماته التي يقول عنه جلت قدرته :

■ قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي

ولو جئنا بمثله مددا * ■

ويقول : * ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة

أبحر ما نفدت كلمات الله * ■ ؟

وبهذا الاستمرار نصل الى النتيجة التالية :

• ان حظ المصادفة ، من الاعتبار يزداد وينقص • بنسبة معكوسة مع

عدد الامكانيات المتكافئة المتزاحمة * (١)

وتوضيح ذلك : انه كلما قل عدد الأشياء المتزاحمة ، ازداد حظ المصادفة

من النجاح • وكلما كثر عددها قل حظ المصادفة • فاذا كان التزاحم

بين شيئين اثنين متكافئين ، يكون حظ المصادفة بنسبة (واحد ضد

اثنين) واذا كان التزاحم بين عشرة يكون حظ المصادفة بنسبة (واحد ضد

عشرة) وهكذا الامر حتى تصبح المصادفة في حكم العدم ، بل المستحيل ••

فتعال نتصور في عدد ما في عالم الخلق (من شيء) في ملكوت السموات والارض ،

من الذرة الى المجرة ، وعدد ما يربط بينهما • في عالم الامر ، من رابطة

وعلائق على اختلاف النواميس ، والاقدار ، والمدد ، والأشكال والحركات

والأوضاع •• هل يتصور أن توجد هذه الأشياء بطريق الصدفة ؟ انه مستحيل

في حكم العقل السليم •• ؟

هذا ما أكدته الدكتور (وابن اولست) بقوله :

• أما النظريات التي ترقى الى تفسير الكون تفسيراً آلياً فانها تعجز عن

تفسير كيف بدأ الكون ، ثم ترجع ما حدث من الظواهر التالية للنشأة الاولى

الى محض المصادفة • فالمصادفة هنا فكرة يستماض بها عن فكرة وجود الله

بقصد اكمال الصورة والبعيد بها عن التشويه •• ولكن حتى بغض النظر عن

الاعتبارات الدينية عامة ، نجد ان فكرة وجود الله أقرب الى العقل والمنطق

من فكرة الصدفة ولا شك ، بل ان ذلك النظام البديع الذي يسود هذا

الكون يدل دلالة حتمية على وجود اله منظم وليس على وجود مصادفة

عمياء تخبط خبط عشواء * (٢)

(١) قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن — نديم الجسر ص ٢٩٢

(٢) عن كتاب الله يتجلى في عصر العلم ص ١٣٣ — ١٣٤

ويقول (أدوين فاست) : " وإذا نظرنا إلى الكائنات الحية الراقية فإننا نرى من بينها ما لديه من الذكاء ما يجعله قادرا على التخطيط والابتكار والقيام بأعمال تقرب من حد الإعجاز وتحاول أن تتغلب على القوانين الطبيعية ... فإذا تصورنا أن كل ذلك يتم بمحض المصادفة التي تجعل الجزيئات تجتمع بصورة معينة لكي تكون ذرات يتألف بعضها مع بعض لكي تكون أجساما تقوم بدورها بالتكاثر وأداء سائر وظائف الحياة ويكون لها عقل وتفكير دون أن يكون وراء كل ذلك إله مدبر هو الذي خلق قصور فأبدع ... فان ذلك ما لا يقبله عقل أو يتصوره فكير ... (١)

" وحتى إذا فعلنا ذلك فإننا نكون قد أخذنا بفرض مستحيل من الوجهة العلمية ، وطرحنا وراء ظهورنا فرضا منطقيا ألا وهو وجود الله الذي أنشأ هذا الكون وبدأه بقدرته . فالله هو المبدئ " (٢)

وهكذا رأينا مع الملحد أن نظرية المصادفة لا تقوم على أي دليل علمي مقبول ولا يقبلها أي عقل سليم ... ولهذا نرى القرآن يخاطب هؤلاء المشككين بأسلوب اقتاعى يبين فيه أن الكون لا بد له من مسبب وهو الله سبحانه (أفى الله شك فاطر السموات والأرض) أى أفى وجود الله وألوهيته وحده شك وهو خالق السموات والأرض ؟

وبلغت القرآن النظر إلى الحكمة المتمثلة في خلق المخلوقات والتي تدل على خالق في نهاية العلم والحكمة * صنع الله الذي أتقن كل شيء * فالمصادفة لا تخلق وجودا فيه علم وحكمة واتقان صنع ...

والفرض في هذه الفقرة ، اثبات أن العلم والدين يحاربان المصادفة معا . وقد حصل ذلك بمنه وكرمه ... وقد رأينا مختلف العلم الحديثة قد حاربت هذه الفكرة وكما رأينا القرآن يحاربها ثم رأينا أخيرا قانون الصدفة الذي يعترف به الملاحدة قد حاربها : والحمد لله على ذلك .

وليس معنى ذلك أن الملحد يرفض الالحاد بمجرد اثبات الدليل على
بطلانه لا إنا ذلك بتوفيق الله وعنايته لأن الملحد قد تعدلت فيسه
أجهزة الاستقبال الفطري فليس في استطاعته أن يؤمن بمجرد وضوح
دليل هذا ما أشار إليه القرآن بقوله :

- ﴿ الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون ﴾ (١)
ولولا ذلك كيف يلحد الانسان وهو يتلو الايات التالية :
- ﴿ انا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ (٢)
﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديرا ﴾ (٣)
﴿ وكل شيء عنده بمقدار ﴾ (٤)
﴿ والارض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون ﴾ (٥)
﴿ وان من شيء الا عنده خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم ﴾ (٦)
﴿ وأنزلنا من السماء ماء بقدر ﴾ (٧)
﴿ الذي أحسن كل شيء خلقه ﴾ (٨)
﴿ لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ﴾ (٩)
﴿ قل انظروا ماذا في السموات والارض ﴾ (١٠)
﴿ ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ﴾ (١١)
﴿ وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون ﴾ (١٢)
﴿ سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ﴾ (١٣)

(١) سورة الانعام اية : ١٣	(٢) سورة القمر اية : ٤٩ (٣) الفرقان آية : ٢١
(٤) سورة الرعد اية : ٨	(٥) سورة الحجر اية : ٢٩
(٦) سورة الحجر اية : ٢١	(٧) سورة المؤمنون اية : ١٨
(٨) سورة السجدة اية : ٧	(٩) سورة التين اية : ٤
(١٠) سورة يونس اية : ١٠١	(١١) سورة الملك اية : ٣
(١٢) سورة يوسف اية : ١٠٥	(١٣) سورة فصلت اية : ٥٣

هذا يا ملحد بعض آيات الله التي أنزلها على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم النبي الأمي سليل القبيلة الأمية وربيب البيئمة الأمية ، منذ أربعة عشر قرناً .
 والملاحظة قديما وحديثا اذا اقيمت عليهم أدلة الاثبات لوجود الله تراهم ينتقلون الى حجة شيطانية خبيثة لا يستطيع المؤمن أن يردّها الا بعد تعمق في العلوم الدينية والفلسفة والمادية .
 فما هي اذن هذه الحجة الشيطانية ؟
 وفيما يلي محاولات لبيانها وابطالها :

حجة شيطانية

رغم أننا قد ابدلنا في الفقرة السابقة ، فكرة المصادفة ، ولكن تبقى هناك حجة شيطانية يتمسكون بها - قديما وحديثا - لاثارة الشكوك في قلوب المؤمن الذين لم يجربوا الأمور .
 وهذه الحجة الشيطانية قولهم : " اذا كان الله هو الخالق ، فمن الذي خلقه ؟ " (١) كبرت كلمة تخرج من أفواههم . سبحان الله عما يشركون .
 ان هذا الهذيان لا يقوله مؤمن جاد ، ولا عالم طبيعي جاد ، وانما يقوله جاهل بالدين وجاهل بالعلم الحديث " والقديم " .
 فالمؤمن الجاد يعلم يقينا ان للخالق صفات تخصه ، وللمخلوق صفات تخصه فلا يجعل من كان وجوده ذاتيا وواجبا في درجة من كان وجوده جائزا ان الخالق ليس بحادث ، فينطبق عليه قانون الحوادث في السؤال عن خالق له فذلك غير سائغ . لأنه كامل مطلق . والكامل المطلق لا يحتاج الى غيره . . .

(١) الوجود الحق ، الدكتور حسن الهويدي ص ٣٢

وقول الملحد هنا ، بعد اقراره بأن الله يجب ان يكون هو الكامل المطلق :
 أين موجود الكامل للمطلق ؟ تناقض بين ، وخطأ ذريع تشتمل عليه
 الجملة في طرفيها ، فأولها عجز وافتقار : (أين موجد) ؟ وآخرها
 (كمال مطلق) لا يتطرق اليه العجز والافتقار ! اذن فالكامل المطلق
 لا يفتقر بحكم كماله الى سبب يحدثه ، والا كنا مضطرين الى نقض كماله . وذلك
 أمر ثابت مقرر عندنا . .

ولعل بعض السطحيين يظن أن هذه المفاجأة بهذا السؤال غريبة على
 عقول المؤمنين بالخالق . والحق ان السؤال ليس مفاجئاً . فقد أشار اليه
 الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يأتي الشيطان احدكم فيقول من خلق
 كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول من خلق ربك ؟ فاذا بلغه
 فليستخذ بالله ولينته " (١)

وقد ورد معناه في حديث آخر ، برويه البخاري ايضاً وسلم عن ابي هريرة قال
 " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال : هذا
 خلق الله الخلق . فمن خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل : آمنت
 بالله ورسوله " .

والتورط في هذا الخطأ راجع الى علة نفسية وجعل صاحب السؤال بالدين
 والعلم . ذلك ان شدة سيطرة القاعدة الاولى الخاصة بالحوادث (لا بد لكل
 حادث من محدث) والتي تبرز لا عيننا في مئات الحوادث كل يوم ، جعلته يطبق
 (بقصد او بغير قصد) هذه القاعدة على الله الذي ليس كمثله شيء .

(١) رواه البخاري في باب الاعتصام ١٢ ورواه مسلم في باب الايمان ٢١٢

(٢) رواه البخاري ، بدء الخلق ١١ ورواه مسلم } ٢١٤
 ٢١٥
 ٢١٧

وشأنه في هذا القياس الشمولي ، شأن رجل يشتغل طوال عمره بكيمياء
النحاس فعرض له الذهب فجاءه ، فراح يطبق عليه قوانين النحاس ، افتراه
يصيب أم يخطئ ؟ لا جرم انه مخطئ . . . وأن خطأه نشأ من انه مأكمه
الدائم في قانون معين وعقلته عن التفريق بين القوانين حينما اختلفت مجالاتها
التطبيقية و تعرف كل فطرة سليمة أن خالق الحوادث لا يتصف بالحدوث قطعا
فكيف تطبق عليه قانون الحوادث .

ان هذه الشبهة مع سخافتها و حماقتها ، يقيم في ظلماتها الكثيرون ، هي
التي ردت كثيرا من الناس اليوم عن قبول الحق ، وهي نتيجة سيئة لامتداد
الفلسفة الى ما وراء حدود اهلها ، حتى بلغت عقول العامة من المتطفلين
على الفلسفة ، أو ادعاء العلم الحديث ، فأصبحوا في كل واد يهرمون و يتكلمون
فيما لا يعرفون ، وهم لقصور باعهم في هذا المضمار ، لا يستطيعون تحييص
الحق من الباطل ، ولو اخلصوا في ذلك ، لعدم الاستعداد ، كالرجل الذي
لم يدرس الهندسة والحساب ، ويحاول ان يبرهن لك صحة نظريته
(فيثاغورس) مثلا واليك نموذج من هؤلاء المتطفلين :

الدكتور العظم والحجة الشيطانية

خذ مثلا الدكتور صادق جلال الدين العظم . الذي ألف كتابا سماه : نقد
الفكر الديني . ومن قرأ هذا الكتاب يرى فيه عجا من المفالطات والباطل
والافتراءات . وسائر وسائل الجدل بالباطل كدحض قضية الحق . .
ومن هذه الافتراءات قوله :

” ان قولنا باحتضار الله في المجتمعات المتخلفة يشكل تمثيلا رمزيا لحالة
الثورة والفوران ، وفقدان الجذور التي تعانيتها هذه المجتمعات في محاولاتها
الوصول الى نوع من التعايش المرحلي بين الافكار العلمية الجديدة وتطبيقاتها

العلمية والصناعية ، وبين تراثها الدينى السحيق . دون أن يتنازل كلياً
ومرة واحدة غماً فى ماضيه من قيم غيبية . لذلك نسمع دائماً أصداً صرخة
تقول :

" حتى لو سلمنا كلياً بالنظرة العلمية للأشياء ستبقى أمامنا مشكلة (المصدر
الأول) لهذا الكون .

لنفترض مع (رسل)^(٢) أن الكون بدأ بسديم . ولكن العلم لا يقول لنا : من
أين جاء هذا السديم . انه لا يتبين لنا من أين جاءت هذه المادة الأولى
التي تطوّر منها كل شيء ؟ فلا بد للعلم اذن من أن يتصل بالدين فى
نهاية المطاف .

" ولكن السؤال بهذه الصورة يبين لنا مدى تحكم تربيتنا الدينية ، وتراثنا
النفسي فى كل تفكيرنا ..

" لنفرض اننا سلمنا بأن الله وحده هو مصدر وجود المادة الأولى ، هل
يحل ذلك المشكلة ؟ هل يجب هذا الافتراض على سؤالنا عن مصدر
السديم الأول ؟

والجواب هو طبعاً بالنفي . أنت تسأل عن علة وجود السديم الأول وتجب
بأنها (الله) ..

وأنا أسألك بدورى : " وما علة وجود الله " ؟

وستجيبنى بأن الله غير معلول الوجود .

وهنا أجيبك : ولماذا لا نفترض أن المادة الأولى غير معلولة الوجود ؟
ابعداً بحسب النقاش دون اللجوء الى عالم الغيبيات ، وإلى كائنات روحية بحته
لا دليل لدينا على وجودها . علماً بأن مهل الفلاسفة القدماء بما فيهم المسلمون
كان دائماً نحو هذا الرأي اذ قالوا : (بقدّم العالم) ولكنهم اضطروا

(١) راجع ايضاً كتاب صراع مع الملاحدة حتى العظم . عبد الرحمن حسن جبهة الميداني
ص ١٠١

(٢) بقرئ (رسل) الملحد الحاتى (برتراند رسل) الذى تحدثنا عنه مراراً .

(١)

للمداورة والمدارة بسبب التعصب الديني ضد هذه الفكرة الفلسفية للموضوع.
 " في الواقع علينا أن نعتزف بكل تواضع بجهلنا حول كل ما يتعلق بمشكلة
 المصدر الأول للكون .. "

عندما تقول لي : " وما علة وجود الله ؟ " ان أقصى ما تستطيع الاجابة
 به ، " لا أعرف الا أن وجود الله غير معلول " (٢)

ومن جهة اخرى عندما تسألني : وما علة وجود المادة الأولى فان أقصى
 ما أستطيع الاجابة به : " لا أعرف الا أنها غير معلولة الوجود " ++
 في نهاية الأمر اعترف كل منا بجهله حيال المصدر الأول للأشياء .
 ولكنك اعترفت بعدى بخطوة واحدة ، وأدخلت عناصر غيبية لا لزوم لها لحل
 المشكلة . ثم قال :

" والخلاصة : اذا قلنا : ان المادة الاولى قديمة . وغير محدثة ، أو أن
 الله قديم وغير محدث ، نكون قد اعترفنا بأننا لا نعرف ولن نعرف كيف يكون
 الجواب على مشكلة المصدر الأول للأشياء . "

فالأفضل اذن - أن نعتزف بجهلنا صراحة وبباشرة عوضا عن الاعتراف
 به (بطارق ملتوية) وبكلمات وعبارات رنانة ..

ليس من العيب أن نعتزف بجهلنا ، لأن الاعتراف الصريح بأننا لا نعرف ما لا
 نعرفه من أهم مقومات التفكير الحلي .

وتعرفون أن العالم ملزم على تطبيق الحكم عندما لا تتوفر لديه الأدلة والشواهد
 والبراهين الكافية لاثبات أولنفي قضية ما .

" هذا هو الحد الأدنى من متطلبات الأمانة الفكرية في البحث الجاد
 عن المعرفة والحقيقة " (٣) .

* * *

(١) المصدر الأول ص ١٠٢

(٢) المصدر الأول ص ١٠٣

(٣) المصدر الأول ص ١٠٣

هذا كالمذهب العظيم " حرفيا ، وعلينا أن نقوم بدورنا لثمينة أبا طبله
أمام القارئ وبيان مغالطاته السخيفة ..

اننا لا نرد عليه في سخافته حيث أطلق على هذا الخلاق الملى التقدير كلمة
(الاحتضار) * وقد سبق لنا في هذا البحث أن (نبشة) يقول : ان الله
قد مات . ان مثل هذه الحماقة لا تستحق الوقوف عندها ولا تدخل في أى مجال
أو في أى مستوى من مستويات النقاش العلمى أو البحث المنطقى . ولا جواب لها
في الحقيقة الا أن ينزل الله عليه صاعقة * ولكن الله يسهل ولا يسهل حتى
إذا أخذه بالمذاب لا تجد له من نصير ..

ومن تأمل هذه المقالة الشنيعة ، يجدها تركز على النقاط التالية :

أولا :-
_____ ان المؤمن والملاحد سواء . فكل منهما لا يجد جوابا في اثبات ما
يمتقده الا أن يقول : لا أعرف الا أن وجود هذا الاصل غير معلول ..
اذن فلا فضل للإيمان على اللاحاد .. لأن كلا منهما يؤمن بشئ غير
معلول . وكلاهما قديم .

ثانيا :-
_____ وبعبارة اخرى : ان كلا من الله والسديم يصلح أن يكون هو الموجد
لهذا الكون على حد سواء ..

ثالثا :-
_____ اذا كان الله - سبحانه وتعالى - علّة لوجود الكون فما هو علّة
وجوده ؟ لأن القاعدة الفلسفية تقول : " كل موجود لا بد له من موجد " .
فهذه هي أهم النقاط التي دار حولها كلام هذا الملاحد : فلننط " كلا " .
كلمة ..

أولا - تولد ما دام الله غير معلول فلم لا يكون السديم غير معلول أيضا ؟
ولدى البحث المنطقي المهادى . يتبين لكل ذى فكر صحيح . ان هذه الحجة
التي ساقها ليست الا مغالطة من المغالطات الفكرية ..

وهذه المفالطة قائمة على التسوية بين أمرين متباينين تباينا كليا ولا يصح التسوية بينهما في الحكم . وفيما يلي تمهيد تامة لهذه المفالطة من كل التلبسات التي جلدتها بها .

فإذا أردنا أن نبين المفالطة في قوله هذا : يكون التعبير كالتالي :
ما دام الموجود الأزل غير محلول الوجود فلم لا يكون الموجود الحادث غير محلول الوجود أيضا ؟

وقد رأينا في الصفحات السابقة أن قياس الحادث على القديم الأزل الذي لا أول له . من سخافة القول ومن حماقة والجهل . .
وإذا قال الملاحد : ولم لا تكون المادة الأولى لهذا الكون (كالسديم مثلا) قديمة أولية غير حادثة + يصدر منها الخلق ثم يعود عليها ؟

نقول ان جوابه يؤخذ من طبيعة هذا الكون وما فيه من صفات وخصائص .
لقد اتفق العلماء الطبيعيون المنصفون على حدوث العالم . وقد رأينا فيما مضى حينما ناقشنا الملاحد الأول (ديمقريطس) القانون الثاني للحرارة الديناميكية وهو القانون الذي يسمونه (قانون الطاقة المتاحة) أو يسمونه (ضابط التنبير) ان هذا القانون يثبت أنه لا يمكن أن يكون وجود الكون أزليا :
اذ هو يفيد تناقض عمل الكون يوما بعد يوم . ولا بد من وقت تتساوى فيه حرارة جميع الموجودات . وحينئذ لا تبقى أية طاقة مفيدة للحياة والعمل وتنتهي العمليات الكيميائية والطبيعية وبذلك تنتهي الحياة . .

يذكر هذا التحقيق العلمي عالم امريكي في عالم الحيوان ، هو : " ادوارد لوثر كيسل " ثم يقول :

" وهكذا تلقائيا وجود الاله . لأن كل شيء ندى بداية لا يمكن أن يتدى بذاته . ولا بد أن يحتاج الى المحرك الأول الخالق الاله " .

ونجد مثل هذا في كلام (السير جيمس) ان يقول في كلام له :

"تو من العلم الحديثة بأن (عملية تخير الحرارة) سوف تستمر حتى تنتهي طاقتها كلية . ولم تصل هذه العملية حتى الان الى آخر درجاتها . لأنه لو حدث شيء مثل هذا لما كنا الآن موجودين على ظهر الأرض حتى نفكر فيها . ان هذه العملية تتقدم بسرعة مع الزمن . ومن ثم لا بد لها من بداية ، ولا بد أنه قد حدثت عملية في الكون يمكن أن نسميها (خلقا في وقت ما) حيث لا يمكن هذا الكون أزليا " (١)

اذن - فحدوث الكون أمر محترف به عند العلماء الماديين . ولكن المحدثين بالله يغالطون في الحقائق . ويتظاهرون بالانتماء الى قافلة العلم والبحث العلمي زورا وبهتانا .

فيبدو لنا بعد ذلك - أن تسوية (العظم) بين الاله الخالق الأزلي وبين العالم المخلوق الحادث في موضوع الأزلية ، تسوية مبنية على الهوى لا على العلم والانصاف في التحقيق ...

وقد حققنا فيما مضى أن من كان أصله الوجود ، ووجوده أزلي . فانه لا يحتاج أصلا الى علة لوجوده . واذا كان لا يحتاج الى علة لوجوده فالسؤال عن هذه العلة خطأ وضلال .. ومخالف للمنطق السليم ..

وأما قوله ان المؤمن بالله ليس في استطاعته أن يثبت وجود الله الا أنه غير محلول . ان القول فيه حقائق وأباطيل .

وأما الحقائق في هذا القول ان الانسان لا يستطيع أن يدرك كنه الله لأنه لم يعط - بعد - الوسائل الكافية في معرفة الله عز وجل حسباً . بل أن المنطق الصحيح يقضي أن الصغير لا يستوعب الكبير ، وأن الناقص لا يحيط بالكامل ، وقد عرفنا أن الانسان لا يتمتع اكثر من الكمال النسبي وأن الخالق يتصف بالكمال المطلق ..

(١) نشقلا عن كتاب صراع مع الملاحدة حتى العظم ص ١٠٧

ومعنى ذلك ان الكمال النسبي لا يمكن ان يحيط بالكامل المطلق ، كما
لا يحيط العدد المحدود باللانهاية ، أى : ان الانسان لا يمكن ان يحيط
بالخالق حين البحث في معرفته أو ان يدركه ادراكه للمحسوسات التي بين
يديه ..

ولكن ليس معنى ذلك ان عدم الاحاطة يقتضى عدم المعرفة ، كما يظنه هذا
الدكتور العظيم ، فان الطفل الصغير يمكن ان يعرف رجلا كبيرا دون ان يحيط
بجميع صفاته ، فالطفل عرفه ولكنه لم يحط به ، فالمعجز عن درك الادراك
ادراكه " فمن نفي ذلك فانه اما مصاب في عقله او متعصب للحاده واغوائه ..

الفطرة السليمة تقر معرفة الله بدون احاطته

ان هذا يعرفه كل ذى فطرة سليمة - تجد ذلك مصورا تصويرا حسيا فيما
يرى " عن رجل مرتاب مر برجل مؤ من على ساحل البحر ، فدعاه
الى الايمان فأبى الا أن يرى الله جبهة - كما يحتج بذلك كل ملحد -
فانتحى المؤ من جانبا وحفر حفرة صغيرة وأخذ يصب من ماء البحر والماء يطفح
من جوانبها ، واستمر على ذلك حتى عجب منه صاحبه الملحد ، فأقبل
عليه قائلا :

ماذا تفعل ؟ قال : أريد أن انقل البحر الى هذه الحفرة ! قال : وهل
يفعل ذلك عاقل ؟ وهل يستوعب هذه الحفرة الصغيرة مياه البحر الكبير ؟ قال
المؤ من : " وهل يستوعب هذا الانسان الصغير الخالق الكبير ؟ " - انك لتجد
تحديد هذا النوح من المعرفة في آيات القرآن الكريم " (٢)

* لا تدركه الابصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير * (٣)

لأن ادراك الاحاطة من خصائص الأكبر بالنسبة الى الأصغر ، وهو مفقود
في الأصغر بالنسبة الى الأكبر .

(١) الوجود الحق الدكتور حسن هويدى ص ٣١

وراجع أيضا في ظلال القرآن ط ١ ص ١٣ في المقدمة

(٢) المرجع السابق ص ٣١ (٣) سورة الانعام اية : ١٠٣

* واذا قلت يا موسى لن نو من لك حتى نرى الله جبهة فلخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون * (١) لا استحالة اشتغال العين عليه ، لأنه ليس من الحوادث المحسوسة فينتقل بطريق الحس . أي انه غير مادي فينطبق عليه قانون المادة .

* قال رب أرني انظر اليك ، قال لمن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صمعا * (٢)

وفيه إشارة الى أن الخالق لم يحجب نفسه ضنا على المخلوق بل ان نقص المخلوق الذي يتناسب مع الخلافة في الأرض هو الذي حجبته عن الرؤية ولذا يقول تعالى :

* وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا * (٣) لماذا لا يستطيع البشر أن يرى الله في هذه الدنيا ؟ فتجيب الآية :
* ليس كمثله شيء وهو السميع البصير * (٤)

وما دام لا يماثل الأشياء ولا تماثله فلن يدرك ادراك الأشياء اذن فالذي نخلص اليه أن المبدع الأول لا يمكن أن يحيط به حين معرفته ولا أن ندركه ادراك المحسوس فهو يعرف معرفة كما قال تعالى :

* وقالت رسلهم أنى الله شك فاطر السموات والأرض * (٥)

ولكنه لا يحاط به احاطة .. وهذا تتضح للناس مغالطات الدكتور العظيم وتطرفاته بل الحادة المضل .

* * *

(١) سورة البقرة آية : ٥٥

(٢) سورة الاعراف آية : ١٤٣

(٣)

(٤) سورة الشورى آية : ١١

(٥) سورة ابراهيم آية : ١٠

وهنا يطرح الملحدون على عوام المسلمين مغالطة في سوق الدليل على وجود الله فيقولون لهم : أستم تقولون : " ان كل موجود لا بد له من موجد " وان هذا الكون موجود فلا بد له من موجد ، وذلك هو الله تعالى ...
 فيقول/العامي الذي لا يعرف أصول المغالطات : بلى . عندئذ يستدرجه الملحدين فيقول له : الله موجود وهو على حسب الدليل لا بد له من موجد فيجد العامي نفسه قد انقطع ان لم يستطع جوابا ..

لكن الخبير الذي يسير على ضوء الكتاب والسنة ، لا يقبل أصلا صفة الدليل على هذا الوجه القائم على المغالطة ..

وذلك لأن المقدمة (كل موجود لا بد له من موجد) مقدمة كاذبة غير صادقة . فالخبير لا يسلم بها لفسادها لأنه قياس شمولي .
 فالله تعالى لا يتناوله القياس الشمولي ولا قياس التمثيل والذي ينبغي فسي حقه هو قياس الأولى ..

فماذا يقول الخبير ؟ فالخبير يقول بدل ذلك (كل موجود حادث لم يكن ثم كان لا بد له من موجد) .. ثم يقول :

(وهذا الكون موجود حادث لم يكن ثم كان بشهادة العقل وشهادة البحوث العلمية) عندئذ تتحصل النتيجة على النحو التالي : (اذن فلا بد لهذا الكون من محدث) وهذا المحدث للكون لا بد أن يكون موجودا أزليا غير حادث ولا بد أن يكون منزها عن كل الصفات التي يلزم منها حدوثه ، حتى لا يحتاج الى موجد بوجوده ، بمقتضى الدليل الذي أثبتنا فيه وجود الله ..
 وهكذا تجرى مغالطات الملحدين ، ليتصيدوا بها الجيلة والفاةلين من المسلمين .. بغية استدراجهم وإخراجهم . ونقلهم من مرحلة الايمان الى مرحلة التشكك .

فالمؤمن يعلم أن الخالق أزلي ليس له من الصفات ما يلزم حدوثه ، وليس من الكائنات التي ندركها في العالم الخارجي . لأن الكائنات عرضة للتغيير

والأقول • وأن صفاتها الطارئة تملئ عليها املاءً وتتحكم بها قهرا والزما •
 وأن اكمل الكائنات هو هذا الانسان الذي نجده مقهورا لأسباب كثيرة فهو
 يولد ، ثم يعاني الام الحياة ثم يموت • يجرى عليه كل ذلك رغم أنه •
 فما أروع ما استدل به أبوحنيفة على الفرق بين واجب الوجوب وبين
 الانسان المجز • • • لقد سئل أبوحنيفة رضي الله عنه عن الدليل • فتمسك
 بأن الانسان يريد أن يكون له ابن فتكون انثى وبالعكس فدل على وجود
 الصانع المختار • • • وهو الله تعالى وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك
 فيقول * يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم • (٢)
 وانك لتجد ذلك التحقيق واضحا في القرآن الكريم في عدة صور • منها
 ما ورد بشكل حجة منطقية ، ومنها ما استند الى الواقع في آياته الكونية
 والله أعلم • • •

(١) مع الله نظرات في الكون والحياة ، عبد الجواب رجب ص ٥٣

(٢) سورة آل عمران آية ٦

الفصل الثالث

الدين يتعارض مع العلم الحديث

ان الدين - كما يزعم الملحدين - من " العلماء " : شيء لا حقيقة له ، وهو مظهر للفرية الانسانية الباحثة عن حقائق الكون . . بل لا يعتقدون بأن للوجود خالقاً ، انما يقولون أن كل ما في الوجود أزلي صادر عن المادة . .

فلذا سخروا جميع علومهم لمحاربة الله ودينه ، وتشنيع " الفسيقيات " وتسفيه المؤمنين بها . . (١)

فهذا الفيلسوف الفرنسي " أوجست كونت " يدعى أن التاريخ الانساني قد وصل - الآن - الى المرحلة الأخيرة . . يعني المرحلة الوضعية (Positive Stage) حيث لا تذكر الأرواح والالهة والقوى المطلق . . فقد سبق وتحدثنا عن كل ذلك وأما هنا نود أن نشير الى منشأ هذا الضلال وهذه السخافة التي يترنم بها الملاحدة أمام المصوم السذج البسطاء . .

* * *

ان المتبع لأقوال الملاحدة ، يجد أن قضية المصير الحاضر ، ضد الدين هي : قضية " طريقة الاستدلال الملقى " (٢) أغنى الطريقة التي اتخذوها للوصول الى الحقائق العلمية المادية . . هذه الطريقة الجديدة ، هي معرفة الحقيقة بالتجربة والملاحظة ، على حين تتصل عقائد الدين - في زعمهم - بعالم ما وراء حواسنا ، ولا يمكن إخضاعها للتجربة وهو ما يجعله متعارضاً للعلم . .

(١) أسس المادية الديكتيكية والمادية التاريخية ، تأليف سبيركين ، " ياخوت "

ت ، محمد الجندي ، دار التقدم موسكو ص ٤٤

(٢) الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص ٦٠

هذا هو مصدر الضلال والالحاد الذى حال بين الملاحدة وبين الايمان

بالله وقد نقلنا عنهم قولهم :

" كل معرفة حقة ، مرتبطة بالتجارب ... بحيث يمكن فحصها أو اثباتها بصورة مباشرة أو غير مباشرة " (١)

بناءً على هذا يدعى الملحدون المعاصرون أن التطور الذى بلغ به الانسان - اليوم - أعلى مستوى من الانسانية ، وهونفى للدين من تلقاء نفسه ... وذلك أن (نيوتن) أثبت " أنه لا وجود لاله يحكم النجوم " .. وقال (لابلاس) الفرنسى قوله المشهورة ، التى تحدثنا عنها مرارا - وهى : " ان النظام الفلكى لا يحتاج الى أى اسطورة لاهوتية " (١)

* * *

وقبل ان ننقل اليك اقوال بعض العلماء الطبيعيين الذين ردوا على الملاحدة ، نقول اولاً : ان قضية العصر الحاضر باطلة .. لأنها لا تقوم على أسس علمية .. وذلك ان الطريقة الجديدة ، لا تنفي وجود أشياء لم تجرب مباشرة ، كما لا تنفي الأشياء التى لا تدخل - بدليلتها - تحت التجارب الحسية .. مثل وجود الارواح ، والمقل ، والذات الالهية ... وما أشبه ذلك .. ان مجاله أن يسأل فقط عن (ما هذا) ؟ ولا يدخل في نطاقه السؤال الذى صيغته : (لماذا) ؟ .. فالدين من النوع الثانى .. فليس من الممكن البحث عن حقائق الدين ، كما يبحث عن تطورات فتون العمارة ، والنسيج والحياسة والسيارات ..

فالدين علم على حقيقة يقبلها المجتمع أو يرفضها ، أو يقبلها فى شكل ناقص كالمنهجية مثلاً .. ويبقى الدين فى جميع هذه الأحوال ، حقيقة واحدة فى ذاتها .. وانما تختلف فى أشكاله المقبولة ..

(١) الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص : ٢٤ نقلاً عن كتاب :

ولهذا لا يمكن ان نفهم حقائق (الدين) بمجرد فهرسة مماثلة لجميع
 الاشكال الموجودة في المجتمعات باسم الدين .. أو بدراسة الشعوب البدائية
 في استراليا أو في افريقيا كما فعل ذلك (أميل دوركايم) وأمثاله ..^(١)
 وكما فعل (كارل ماركس) الملحدون الذي يقول : " ان الدين وليد
 التطور الاقتصادي ولا ارادة للانسان ان يتخلص منه أو هو أفيون الشعوب " ..^(٢)
 اننا لا نرد على كارل ماركس هنا أكثر من اشارتنا : اذا كانت هذه السخافة
 صحيحة ، فكيف تمكن كارل ماركس - وليد النظام الرأسمالي - من أن يفكر
 ضد العوامل الاقتصادية الرائجة في عصره ؟ هل صعد القمر لكي يبعث
 في أحوال الأرض ؟

وبعبارة أخرى : لو صح أن الدين وليد عصر مخصوص فكيف لم تكن
 الماركسية وليد النظام الرأسمالي لعصرها ؟ ..
 وإذا لم تسخ هذا الوضع فيما يتعلق بالماركسية فكيف نسيغه بالنسبة
 الى الدين ؟

الحق ان هذه الفكرة ، فكرة معارضة الدين لحقائق العلم ، عبث مشير
 لا يحمل على ظميره أى دليل على أو عقل كما ترى ..^(١)
 فلذا تصدى لهم علماء آخرون من علماء الطبيعة وبينوا أن العلم الحقيقي
 لا يتنافى مع الدين الصحيح .. وأن الالحاد ينتج عن الجهل .. الجهل فقط
 واليك بعضا من أقوالهم :

يقول الفيلسوف الانجليزى فرانسيس بيكون الذى نقلنا عنه قوله سابقا : " ان
 قلبا من الفلسفة يقرب الانسان من الالحاد وان التعمق في الفلسفة يبرده الى
 الدين .. "

(١) تنهايت العلمانية ، الدكتور عماد الدين خليل ص ٣٦ / مؤسسة الرسالة .

(٢) قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن " نديم الجسر ص ١٢٥

ومما يسجل للقرآن كونه سبق أن قرر هذه الحقيقة منذ أربعة عشر
قرناً فقد حصر خشية الله على وجوبها الاكمل في العلماء .. قال تعالى :
* انما يخشى الله من عباده العلماء * (١)

لأن العلماء - بما أتوا - من صفات النظر العميق والتحقيق الدقيق يتقنون
على أسرار الابداح الالهية في الوجود ونواحي الاعجاز فيما لا يظهر لغيرهم
من الملاحظة المادية .

ويؤكد العلامة المؤرخ الطبيعي (فابر) (٢)

"كل عهد له أهواء جنونه . فاني اعتبر الكفر بالله من الأهواء الجنونية
وهو مرض المهد الحالى وأسر غدى ان ينزعوا جلدى من أن ينزعوا منى
الحقبة بالله " .

هذه بعض أقوال المنصفين من العلماء الطبيعيين . وهناك أقطاب آخرون
يروون ان العلم هو سبب تقوية ايمانهم .
يحسن بنا اذن ان ننقل اليك بعض تصريحاتهم في هذا المجال
ليصرف حشرات الالحاد أنبيهم بعيدون عن العلم والدين مما ...

(١) سورة فاطر / ٢٨

(٢) روح الدين الاسلامي . عفيف طيارة ص ١٣

العلم يدعو الى الايمان

ان المذابين صرحوا أن الكفر من ضرورات العلم . وأن أكثر الناس علما هم أكثرهم الحادا . . . فتصدى لهم جمهرة من اقطابهم فقالوا ان العلم يدعو الى الايمان وأن الالحاد ينتج عن الجبل . . .
واليك شواهد على ذلك . . .

قد نشر الدكتور " دينسرت " الالماني بحثا حليا فيه الاراء الفلسفية لأكابر العلماء الذين أناروا العقول في القرون الاربعة الأخيرة وتوخى أن يدقق في تعرف عقائدهم فتبين له من دراسات ٢٩٠ منهم أن :
٢٨ منهم لم يصلوا الى عقيدة ما . . .

٢٤٢ أعلنوا على رؤوس الأشهاد الايمان بالله . . .
٢٠ فقط تبين أنهم غير مباليين بالوجهة الدينية أو ملاحدة (٢) . . .
وإذا اعتبرنا غير المباليين ملاحدة ، وجدنا ان ٩٢ في المئة من كبار العلماء يعتقدون بوجود الله تعالى . . .

فهذه النسبة الكبيرة تدل دلالة واضحة على أن التناقض بين الايمان والعلم الذين يزعم الماديون أنه وصف مميز للعلماء ، ليس له أصل . . .
وكما تشير ايضا الى أن الايمان والعلم يتكاملان ولا يتنافيان . . .
وإذا أردنا مزيدا فلنقرأ الكلمات الآتية :

يقول أ. كرسى موريسون :
" ان وجود الله - تدل عليه تنظيمات لا نهاية لها . . . تكون الحياة بدونها مستحيلة " . . .

وان وجود الانسان على ظهر الأرض ، والمظاهر الفاخرة لذكائه . . . انما هي جزء من برنامج ينفذ به بارئ الكون . . .

(١) الله والعلم الحديث ، عبد الرزاق نوفل ص ٥ ط الثالثة سنة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٣ م

(٢) ربح الدين ، غيف طبارة ص ٨٢

وقال :

" واني لأورد قول أوسبورن (Osborn) في هذا المجال : " بين جميع الأشياء التي لا يمكن ادراكها في الانسان ، تتركز الصعوبة الكبرى فيما له من مخ ، وذكا ، وذاكرة وآمال ، وقوة كشف وبحث . و قدرة على تدليل الحقائق . . (١)

ولنقرأ ايضا للدكتور (ونز) الكيميائي وعضو اكاديمية العلوم وعميد كلية الطب الباريزية فقد كتب يقول :

" اذا احسست في حين من الاحيان ان عقيدتي بالله قد تزعزعت ، وجهت وجهي الى اكاديمية العلوم لتثبيتها . "

وقال (فاي) : " من الخطأ القول بأن العلم يفضي بصاحبه الى نكران وجود الله " .

فلندع الكلام - الان - للجيولوجي الذائع الصيت (أدمون هيربرت) المدرس بجامعة السوربون ، ان يقول :

" العلم لا يمكن أن يؤدي الى الكفر ولا الى المادية ، ولا يفضي الى التشكيك " .

وقال الأستاذ الرياضي المشهور (كوشي) : ليست عقائدي ثمرة أوهامي الوراثة ولكنها نتيجة تحقيقاتي العميقة " (٢) .

وهكذا رأينا ان الالحاد ينتج عن الجهل ، وليس ما يقابل العلم والدين الصحيح . . لأن اكبر دعائم العلم . . كل العلم - هو الايمان بقانون السببية ثم قانون العناية في الخلق . .

ولما كان الالحاد لا يؤمن بمرذنين القانونيين اللذين - بدونهما - لا تستقر الحياة الدنيا - عرف انه ينتج عن الجهل والخرافة . .

(١) تراجع العلم يدعو الى الايمان : ا . كرسى موريسون ص ٤٦ من الطبعة العربية

(٢) روح الدين الاسلامي ، غفيف طباعة ص ٨٣

أو ينتج عن جبريل مركب بتعبير أدق .. وبيان ذلك : ان الملاحظة لما
 رأوا ان الذي يدعو الباحثين الى الايمان بالله ونسبة الافعال الكونية
 اليه هو ما يروونه في الكون من دقة وحكمة واتقان تدل بوضوح على أن له
 غاية محدودة ، وهدفا مقصودا ، مما يدعم الايمان بالله - لما رأوا ذلك -
 بحثوا عن احدى السبل للحيلولة دون الوصول الى هذا النتيجة فلم
يجدوا الا القول المضمب المتحكم بأن الوجود ليس له غاية أصلا ^(١) وأن
القول بذلك يناقض فن البحث العلمي لذا قال قائل منهم :

" ان العلماء يجب أن يتساءلوا عن " الكيفية " لا عن السبب .. ان السؤال
 عن السبب يعنى ان هناك غرضا عاقلا وراء تصميم الاشياء .. وأن عوامل
 فوق الطبيعة توجه الافعال نحو غايات معينة ..
 ولهذا عرفنا ان هؤلاء الملاحدة الذين يرفضون الدين باسم العلم
 يرفضونه بجبريل مركب فلذا يقول (فون بروكه) ذات مرة قائلاً :
 " ان الغائية سيده لا يقدر عالم بيولوجى ان يحيا بدونها ومع ذلك فهو
 يشغل ان يظهر بصحتها امام الناس " ^(٢)

(١) مصير الانسان ، ليكون دى نوي ، خليل الجسر ، المنشورات العربية
 ص ٢٧٧

(٢) في البحث العلمى د ١٠ ب بغروج ، ت زكريا فهمي ، الألف كتاب
 ١٦٦٣ م ص : ١٠٢ - ١٠٨

المادة أم اللسـه ؟

ولنقف قليلا • عند أولئك الذين يقدسون التجربة والحس العلمى ••
ويعلمون بكل وقاحة : " اننا لا نؤمن بأن فكرة • ما لم تثبت بالتجربة •
ولم يبرهن عليها عن طريق الحس • ومادامت المسألة الالهية مسألة غيبية •
وراء حدود الحس والتجربة • فيجب أن نطرحها جانبا • وننصرف الى ما
يمكن التفر به في الميدان التجريبي • من حقائق ومعارف ••• " (١)

ويقول وليم جيمس لا يزال بعض رجال العلم يقولون : " ان الحقيقة

العلمية • هي الهنا الوحيد • فهو ليس له الا امر واحد وقول واحد • وهو

أن ليس لكم أن تؤمنوا بالله " (٢) نقف عندهم لنسألهم • ماذا تريدون

بالتجربة ؟ وماذا تمنون برفض كل عقيدة لا برهان عليها من الحس ؟

فان كان فحوى هذا الكلام • انهم لا يؤمنون بوجود شيء • ما لم يحسوا

بوجوده احساسا مباشرا • ويرفضون كل فكرة ما لم يدركوا واقعها الموضوعى •

بأحد حواسهم • فقد نسفوا بذلك الكيان العلمى كله • وأبطلوا جميع

الحقائق الكبرى • المبرهن عليها بالتجربة التي يقدسونها • فان اثبات

حقيقة علمية بالتجربة ليس معناها الاحساس المباشر بتلك الحقيقة • في

الميدان التجريبي • فلنضرب على ذلك أمثلة بسيطة ••

قانون الجاذبية :

ف (نيوتن — مثلا — حين وضع قانون الجاذبية العامة • على ضوء التجربة

وانما اكتشفها عن طريق ظاهرة اخرى محسوسة لم يجد لها تفسيرا الا بافتراض وجود

(٣)

القوة الجاذبية ••

(١) فلسفتنا • محمد باقر الصدر ص ٣٤٢

(٢) العقل والدين • وليم جيمس • ت محمود حسب الله • مصر ١٣٦٨ هـ ص ٩٨

(٣) فلسفتنا محمد باقر الصدر ص ٣٤٣

فقد رأى أن السيارات لا تسير في خط مستقيم ، بل تدور دورانا ، وهذه الظاهرة لا يمكن ان تتم - في نظر نيوتن - لو لم تكن هناك قوة جاذبية لأن مبدأ القصور الذاتي يقضي بسير الجسم المتحرك ، في اتجاه مستقيم ما لم يفرض عليه أسلوب آخر من قوة خارجية .. فانتهى من ذلك الى قانون الجاذبية ، الذي يقرر ان السيارات تخضع لقوة مركزية هي الجاذبية . والجاذبية ، لم تنزل فرضا من الفروض .. وما يزال الاثير فضاء أو كالفضاء ولا ريب أن هذا مأزق من أشد مأزق التجريبيين .. (١)

* * *

ثم نسألهم ماذا تمنون - أيها التجريبيون - الذين ينادون بالتجربة ويقدمونها ؟

هل تمنون نفس الأسلوب الذي تم به علميا - قوى الكون وأسراره ، وهو درس ظواهر محسوسة ثابتة بالتجربة ، واستنتج شيء آخر منها استنتاجا عقليا ، باعتبار التفسير الوحيد لوجودها .. فهذا هو أسلوب الاستدلال على المسألة الالهية تماما .. بل ان الاستدلال بالمشروعات على الخالق أبين وأظهر من استدلال دوزان الأجسام حول نفسها على وجود الجاذبية ..

وبذلك ان ظاهرا الحياة يدل على الله ،

أعني نشأتها وتنوعها والانسان والأخلاق ..

ظاهرة الاجابة تدل عليه ..

ظاهرة الهداية تدل عليه ..

ظاهرة الابداء تدل عليه ..

ظاهرة الحكمة تدل عليه ..

ظاهرة العناية تدل عليه ..

ظاهرة وحدة الكون تدل عليه ..

ظاهرة الكون بخاتمته تدل عليه ..

ظاهرة الليل والنهار تدل عليه ..

ظاهرة الحياة والموت تدل عليه (١) (بل) .. في كل له آية تدل على

أنه واحد ..

حقيقة المادة ومصدرها :

كان تعريف المادة عند الماديين هو : " كل ما تقع عليه الحواس " ..

وكان هو التعريف الوحيد عندهم حتي تقدم العلم من بعد .. وتوالى

الاكتشافات العلمية .. فاذا هم بالمادة تتجاوز ما يقع عليه الحس الى عالم

الذرة .. ومن ثم أعدوا صياغة التعريف فقالوا :

" ان المادة هي الموجود الموضوع خارج الذهن " (٢)

وبدراسة الذرى ، ثبت أن كل ذرة ، تشابه المجموعة الشمسية في

تركيبها ونظامها فكما كان المجموعات الشمسية ، تتكون من الشمس التى

تدور الكواكب حولها في سباحة طويلة ..

كذلك الذرة تتكون من بروتونات مركزية موجبة الشحنة ، والكثرونيات

سالبة الشحنة ، وتدور حول البروتونات .. مما تعتبر في ذاتها سرعة

(٣)

خيالية ..

* * *

(١) راجع لتفاصيل كل ذلك الكتاب " الله جل جلاله " سعيد

حسوى من ص ٥٥ - ١١٨

(٢) هزيمة الشيوعية في العالم الاسلامي ، أنور الجندى ص ٩١

(٣) الله والعلم الحديث ، عبد الرزاق نوفل ص : ١٩٧

راجع فلسفتنا ، محمد باقر الصدر ص ٣٤٤

فقد افتتح في باريس في أوائل عام ١٩٥٦ م معرض للسرعة .. ثبت أن سرعة مرور الدم في عروق الانسان هي (٣٠ سنتمتر في الثانية) وسرعة أسرع كائن حي * وهو نوع من الذباب اسمه : سيفنوميا ، بلغت (١٣٠٨) كيلو متر في الساعة ..

أما سرعة الالكترونات في ذرة الهيدروجين فقد بلغت (ألفي كيلومتر) في الثانية .. وهذا فيها يعرفه العلم والعلماء ، أقصى سرعة أمكن أو يمكن معرفتها على وجه الأرض إطلاقا ..

* * *

وهم يقفون حائرين - اليوم - بعد أن أفلتت جميع التعريفات من أيديهم فصاروا يعرفونها بالتعريفات الآتية ..

قال (أرستوالد) : " ان المادة صورة من صور الطاقة فحسب "

وقال (ليبون) : " ان المادة صور مختلفة من الطاقة " .

وقال ادنجتون : " ان المادة مركبة من بروتونات والكترونات " أى

شحنات موجبة وسالبة من الكهرباء ..

وقال (هوايتيد) : " ان مفهوم الكتلة في طريقه الى فقدان امتيازه

الواحد الدائم في النهاية فالكتلة الآن اسم لكمية من الطاقة في علاقتها ببعض آثارها الديناميكية " .

وقال ليبون (أيضا) :

" ان عناصر الذرات التي تتحلل تفتى تماما * فهي تفقد كل صفة المادة بما فيها ذلك الثقل الذى هو أكثر صفاتها الأساسية * ذلك أن الميزان يتجزأ عن وزنها ولا شئ يستطيع أن يعيدها الى حالة المادة فقد اختفت في عظمة الأثير والحرارة والكهرباء والضوء ، يمثل آخر مراحل المادة قبل اختفائها في الأثير ..

ولكن ما هو الاثير : لا أحد يعرف ..

يقول (لورد سالسبوري) : : " ان الاثير ليس اسماعلى الفعل بتموج ..
والاثير خرافة ابتدعت لا خفاء جهل المثقف للعلم الحديث فهو غامض غموض
الشيخ أو الروح .

ونختتم هذه النقول بقول الأستاذ (ادنجتون) :

" ليس الاثير نوعا من المادة فهو لا مادي " (١)

وهكذا انفلت من المادة كل شىء ثابت أو كانوا يحسونه مضرب المثل في
الثبوت ونتيجة تقدم العلم بالكهرب والذرة أصبحت المادة كلها كهارب وذرات ..
واذا بالذرات تنطلق فتنتطلق شعاعا كشعاع النور ..

■ ■ ■

سؤال :

كيف عرفوا أن الذرة بما فيها من بروتونات والكثرونات ، طاقة ؟

ويجب على هذا السؤال أنشتين في معادلته ان يقول :

" ان الطاقة = كتلة المادة × مربع سرعة الضوء (وسرعة الضوء تساوى

٨١٦.٠٠٠ ميلا في الثانية ..

كما ان الكتلة = طاقة ÷ مربع سرعة الضوء " (٢)

وبذلك ثبت ان الذرة بما فيها من بروتون والكثرون ليس في الحقيقة

الا طاقة متكاثفة ، يمكن تحليلها وارجاعها الى حالتها الاولى .

وكما ثبت ان المذهب الذري (الديمقريطيسى) الذى يقول ان المادة

لم تخلق ولا تفنى ولا تنقسم ، خرافة من خرافات الدنيا ..

* * *

(١) هذه التحريفات نقلناها عن كتاب هزيمة الشيوعية ، أنور الجندى ص ١

(٢) فلسفتنا : محمد باقر الصدر ص ٣٣٨

ان هذم الطاقة هي الأصل العلمي للعالم في التحليل الحديث ، وهي التي تظهر في اشكال مختلفة • وصور متعددة ، صوتية ، ومغناطيسية وكهربائية وكيمائية ، وميكانيكية ••

اذن فاسمعوا - أيها الملاحدة - أن المادة لها بداية • فما كان له بداية فلا بد أن ينتهي الى نهاية •• اذن ان المادة حادث ، فيجب أن يبحث عن خالقها •• (انه هو الله تعالى) وبهذا تسقط مزاعم جوليان هكسلي حيث يقول :

" ان الطبيعة تحتوى في ذاتها على كل القوى المطلوبة لاجداث جميع صور الوجود فيها والانواع ينشأ بعضها من بعض بالتحول طبقا لقوانين وتبعاً لترتيب في الامكان منذ الان تحديد •• فلا شيء في الطبيعة لا يفسر بالطبيعة ولا شيء • تقدم على الطبيعة ولا شيء • يسمو عليها •• فالطبيعة عند من يعرف قوانينها وبخاصة الانتخاب الطبيعي والتطور هي ذاتها التي خلقت نفسها • (١)

مفهوم المادة والمادية

قبل أن ننتقل الى موضوع (قوانين المادة) يحسن بنا أن نقدم فكرة موجزة عن مفهوم المادة والمادية لأننا نرى كثيراً من الناس يغالطون فيهما •• نقول : المادة شيء ، والمذهب المادي شيء آخر •• ان المادة هي الحياة •• والمذهب المادي •• هو الايمان بهذه المواد وحدها بحركاتها وقوانينها ، دون شيء آخر •• نحن المسلمون لا نرفض المادة " لأننا لا نرفض الحياة التي أعطانا الله •• ولكننا نستعملها بعقيدة أخرى •• نرى المادة وسيلة ، والله غاية •• المادة اذن ليست (حراماً) لأنها نعمة الله بالحياة •

(١) العلم والدين في الفلسفة المعاصرة (اميل بوترو) : ١٠٥ - ١٠٦

ولكن الحرام : هو سوء استخدام هذه النعمة بالاسراف الذي يصنع الترف ..
أو اعتبارها هي الخالقة الصانعة .. كما فعله الملاحدة قديما وحديثا ..
(١)

الاحاد وقوانين المادة

قد سبق أن قلنا أن فضيلة المذاهب المادية ، كانت عند الماديين
أنها تقوم على الوقائع والحقائق ولا تقوم على الفنون واللاهوت ..
ثم شاعت القوانين التي سميت بالقوانين الطبيعية .. وبطل هذا
الانقلاب هو (نيوتن) الذي عرض على الدنيا فكرة تثبيت أن الكون
مرتبط بقوانين ثابتة تتحرك في نطاقها الأجرام السماوية .
ثم جاء بعده آخرون فاعطوا هذه الفكرة مجالا علميا أوسع حتى قيل :
" ان كل ما يحدث في الكون من الأرض الى السماء خاضع لقانون معلوم ..
فقال هكسلي : " اذا كانت الحوادث تصدر عن قوانين طبيعية فلا ينبغي
أن ننسبها الى أسباب فوق الطبيعة " (٢)
فلما تقدمت الايام بهم وانتهى هذا الجوال المليء بالحقد ضد الأديان .
عاد التجريبيون الى القوانين الطبيعية التي تحكم الحرارة والحركة والضوء
وكل ما في علم المادة من كميات وذرات فوجدوا لها قانونا واحدا هو :
(الخطأ والاحتمال) وعرفوا أن للعلم الحديث مجالات لا يمكن أن يتجاوزها
لكونها لا تدخل تحت نطاقه ..

ان هذه الحقيقة ليست من بنات أفكارنا وانما أخذناها من تقارير بعض
أقطابهم العالميين وهم :
(٣)

(١) راجع كتاب الاسلام وقضايانا المعاصرة ، احمد موسى سالم ص ٢٢٢ .. دار

الجيلي بيروت سنة ١٩٧٥م

(٢) راجع الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص

(٣) عقائد المفكرين عباس محمود العقاد ص ٥٨

راجع أيضا موقف العقل والعلم ، تأليف مصطفى صبري ج ٢ ص ٢٢٨

(١) - (ماكس بلانك) بولوني

(٢) - (ورنر هيزنبرج) الماني

(٣) - (أروين شرودنجر) النمساوي

والأولان منهم صاحباً جائزة نوبل في العلم الطبيعية عن سنة ١٩١٨ وعن سنة ١٩٣٢ والثالث مكمل النظريات التي اشتهر بها الأولان . وحجة لا يعلو عليها حجة في مسائل الطبيعة على العموم . والبك بعضاً من آرائهم التي تؤكد ان العلم الحديث قاصر في معرفة كنه الأشياء :

أولاً - الأستاذ بلانك :

" فالأستاذ بلانك هو صاحب نظرية المقدار أو الكوانتم ، خلاصتها : أن الاشعاع قفزات لا تعرف القفزة الثالثة من القفزة الأولى إلا بالتقدير والترجيح ، وأن صحة التقدير لا تتفق إلا لأن أجزاءً تحسب بملايين الملايين ، فلا يظهر الخطأ فيها إلا بمقدار يسير " .

والملاحظة هنا هي أن العلم الحديث يسير عن عجزه في معرفة قفزات الاشعاع وأنه لا بد أن يقع خطأ في حساباته ولو كان ذلك الخطأ بمقدار بسيط .

ثانياً - الأستاذ هيزنبرج :

" وهو صاحب نظرية الخطأ والاحتمال في قوانين الطبيعة ، خلاصة براهينه الكثيرة في هذا الباب ان الموضع والسرعة لكهرب معين لا يمكن تحقيقها في لحظة معينة على وجه اليقين ، وأن موقع الكهرباء بعد ثانية يتراوح اختلافه الى مدى أربعة سنتيمترات . .

ثم يقل مدى هذا الخطأ في الثانية التي تلجها وأن التجريبيين في أية قاعدة من قواعد العلم الطبيعي لا تأتبان بنتيجة واحدة بالغة ما بلغ المجرّب من الدقة وبالفما ما بلغ المسار من الاتقان " (٢)

ان هذا واضح ولا يحتاج الى توضيح آخر من أن العلم الحديث قاصر في معرفة الغيبيات .

" والاساذ (شرودنجر) هو المجرى المحقق الذى أسفرت تجاربه كلها عن نتيجة واحدة تؤيد نظرية (اكسز) (Exner) وهى :
 " أن تقدير ما سيحدث تطبيقا للقوانين المادية ممكن ، ولكنه غير محتوم " .
 هذا هو كالم أساطين العلم الحديث وجهابذته ، فهم يرون بكل تأكيد أن هذا العلم قاصر في معرفة كنه الأشياء وخاصة ما يغب عنا . وبتعبير آخر : يرون أن العلم الحديث مهمته قلصرة على السؤال التالى : (ما هذا) ؟ وليس من شأنه أن يسأل : (لماذا) ؟ كما قلنا سابقا . .

ثم ان هؤلاء الثلاثة لا يتفردون بتقرير ذلك وتأبيده ، فانه تقرير عام بقره معهم علماء الطبيعة جميعا ولا يخالفونهم في مبادئه . وقد سبق لنا في هذا البحث ان ذكرنا قول (جود) (١) بهذا الصدد حيث قال : " لقد كانت وجهة النظر في القرن التاسع عشر تنحو الى الظن بأننا قد أشرنا على بلوغ أقصى ما يمكن من اكتمال الفهم للانسان والكون أما في الوقت الحاضر فقد أخذنا نكشف جهلنا نسبيا بكلبيهما . . "

وأما الدكتور الكسز كاريل الذى سنتحدث عنه في الفصل الذى سنمقده تحت عنوان : " من نتائج الالحاد " فهو يرى أن جهلنا بالنسبة للانسان جهل مطابق . .

ان هؤلاء العلماء حينما يقررون هذه الحقيقة كأنما يقررون قول الله تعالى :
 * ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا *

وبهذا نرى تطابق العلم الصحيح مع القرآن الكريم على أن العقل البشرى والبحث العلمى التجريبي لا يمكن ان يصل - بحال من الاحوال - الى نتيجة

(١) عقائد المفكرين في القرن العشرين ، محمود العقاد ص ٥٩
 ينقله عن كتاب فلسفة العلم الطبيعي تأليف (أونجتون) في الكلام عبر نظرية الكوانتم .

حاسمة من نشأة الخلق وخلق الانسان . وليس معنى ذلك أنهما مقصران في تأدية واجبهما ؟ لا ! ولكنهما يتجاوزان موضوع العلم . . . وموضوع التجربة والمعمل . حينما يبحثان في نشأة الكون والانسان . لأن ذلك لا يدخل تحت التجربة ولا يرى بالعين لأنه أمر غيبي . . . وما دام الأمر غيبيا . . . فان الله الذي خلقنا هو الذي يحدثنا . . . كيف خلقنا . . . أما نحن فاننا لا نعرف كيف خلقنا ولا يعرف ذلك العلم التجريبي ولا العقل المجرد الفلسفي .

ومن هنا فاننا لا يمكن ان نتحدث علميا عن المنصرين اللذين يتكلمون منفيهما الانسان : (المادة والروح) لكي نصل الى معرفة الأسبق منهما . وإذا صمنا على ان نبحث في هذا المجال . . . نكون قد شغلنا أنفسنا بعلم لا ينفعنا عن جهل . بل يضرنا . لأننا نستخدم طاقاتنا في شيء لا طائل تحته . وستكون النتيجة لا محالة وهو الالحاد والاضلال كما أشارت الآية السابقة الى ذلك * وما كنت متخذ المصلين عضدا * .

والعلم يجب ان يتم على مادة صماء . . . يمكن أن تدخل المعمل الأصم ، وقطاعى حقائق صماء . . . أليست هذه هي الحقيقة ؟ ؟
والدليل على ذلك أن المسكرات المتصارعة - قديما وحديثا لا تختلف في مذاهب العلم التجريبي كاختلافهم في مذاهب النظريات لا سيما اذا صاحبها الهوى لا توجد هناك كهرباء امريكية . . . وكهرباء روسية . . . ولا توجد كيمياء ألمانية ولا كيمياء انجليزية أو فرنساوية . . . وكل علم الكيمياء . . . في أى دولة من دول العالم خاضع لما تعطيه التجربة الصماء لأنه من مجالات العقل الانسانى ومجالات العلم التجريبي . . . وبهذا تكون النتيجة واحدة . . . سواء كان المعمل انجليزيا أو امريكيا . . . أو سوفيتيا . . . أو أى معمل من معامل الدنيا . . .

ولكن يحدث الخلاف حينما يتجاوز العلم التجريبي والعقل البشرى محل وظيفتها الذى هو القياس والتجربة . هناك ايمان والحاد . . . ورأسمالية

وشيوعية ، انكار للروح وإيمان بها .. لماذا .. ؟ لأن كل ذلك ليس
 مما يدركه العقل البشرى المجرد والبحث العلمى التجريبي لأنهما لم يكونا
 حاضرين عند خلقه ولم يكونا مساعدين لخالقه ، وصدق الله : * ما أشهدتهم
 خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم *

وهكذا رأينا أن الالحاد ليس له سند من العلم الحديث ولا الفطرة .
 ولكن الملاحدة ، لما أرادوا أن يهربوا من الكيسة اتخذوا جميع
 العلوم المادية سندا للالحاد وساقوا بها السذج البسطاء الى سوق
 الالحاد .

ولما كانت شبهاتهم كثيرة ومتعددة ، نود أن نذكر هنا أهمها
 وأشهرها :

فنقول : لقد قامت قضية معارضى الدين على أسس ثلاثة :

- ١ - اللاشعور في علم النفس .
- ٢ - علم مقارنة الأديان
- ٣ - الكشف الكوبرنيكى لمركز الأرض

وهذه هي أهم الأسس التي اتخذها الملاحدة دليلا لتوطيد أركان
 الالحاد .. فصارت الجماهير تتشرب إحياءاتهم المختلفة التي يصبونها
 في أذهانها ..

ان هذه الأسس أصبحت بمثابة الفرملة التي تمنع المودة وتسمح
 فقط بالمضى المجنون في طريق الشيطان ..
 فلا بد إذن من إصلاح ..

الأساس الأول : اللاشعور ونقصه :

ان من الأسس التي اتخذها الملاحدة المعاصرون سندا علميا لمناقضة الدين فكرة (اللاشعور) .

في مطلع هذا البحث وفي " فصل صورة عن أوروبا الحديثة " بالذات ، قلنا ان الملاحدة اتخذوا (علم النفس) أساسا لمحاربة جميع الأديان بل حاربوا فكرة الدين نفسها . . . قد رأينا هناك انهم قالوا : ان العقل الانساني مركب من شيئين هما :

١ - الشعور . .

٢ - اللاشعور . .

فأما الشعور ، يزعمون انه مركز الافكار التي تخطر على قلوبنا في ظروف عادية . . . وأما اللاشعور ، يدعون انه مخزن الافكار التي مرت بنا ونسيناها ، ولا تظهر الا في احوال غير عادية ، كالجنون والهستيريا . .

فالأديان كلها - كما زعموا - صادرة عن اللاشعور ، فلذلك قالوا : ان الأديان ليست فطرية في الانسان انما هي نتيجة الجنون والهستيريا . . . أي أن الانبياء كانوا مجانين ومصابين بهذا المرض (الهستيريا) (١) . . . والله يشهد ان الملاحدة لكاذبون . . . اتخذوا هذه الخرافة علما فصدوا عن الايمان والتدين . . . فأصبح العوام لا يفهمون عن الوحي الا أنه نوبات صرعية كان الانبياء يسمعونها فرددوها لتصبح تورا أو انجيلا أو قرآنا . .

(١) هستيريا : عصاب . من سماته البارزة القابلية الشديدة للإيحاء والتقلب الانفعالي ، وضعف الشحنة الانفعالية وتفكك فحوى الشعور . . . وعلاج الهستيريا لا يكون بالنسوان أو بالإيحاء بل بالاعتماد على التحليل النفسي للقضاء على العقد النفسية .

نقد هذه الفكرة :

ان النقد الذي نود أن نوجهه الى هذه الفكرة المزعومة يكون في

ناحيتين :

١ - ناحية تتعلق بالفكرة نفسها ..

٢ - ناحية تتعلق بعلم الطب .

فأما الناحية الأولى : ان فرويد (نبي هذه الفكرة) وأتباعه قاسوا كلام المجانين

بكلام الأنبياء .. ان هذا قياس مع الفارق لما يأتي :

١ - ان اللاشعور - كما هو في تعريفهم - فراغ في أصله لا شيء فيه قبل مولد الانسان .. أي انه ليس سوى مخزن للمعلومات والمشاهدات التي شاهدها الانسان في حياته ، ولمرة .

ثم يقولون : انه من المستحيل ان يخبزن اللاشعور حقائق للعلم يعلمها من قبل ..

نقول :

ان الذي يثير الدهشة - ان كان اللاشعور كما عرفوه - ان الدين الذي جاء على لسان الأنبياء - وخاصة الاسلام - يشتمل على حقائق أبدية لم تخطر على بال احد من الناس في أي زمان ..

فلو كان اللاشعور هو مخزن هذه المعلومات ، فمن أين يأتي بها هؤلاء الذين يتكلمون عن أشياء لا طريق لهم الى العلم به ؟

* * *

ب - ان الدين الذي جاء به الأنبياء يتصل بجميع العلوم المعاصرة ..
يتصل بعلم الطبيعة * والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم .. لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون (١)

هل هذا الكلام من اللاشعور ؟ أو هو كلام المجانين ؟

ويتصل بالفلك ، وعلم الحياة ، وعلم الانسان وعلم النفس والتاريخ
والحضارة والسياسة والاجتماع وغيرهما من العلوم .

ولم يكتف بما حواه من العلوم بل يتحدى العالم بأسره أنهم عاجزون أن
يأتوا بمثل كتابه " القرآن " وجاء فيه :

* ان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا
شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا
النار التي اعدت للكافرين * (١)

ويستمر في التحدي ويقول :

* قل لو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون
بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً * (٢)

ويقول * يسألونك عن الروح . قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من
العلم الا قليلاً * (٣)

فيأتي القرن العشرون بتحقيقاته العلمية الضخمة فتبقى قضية الروح
سراً مكتوماً . لا يستطيع العلم الحديث أن يتكلم فيها . . .

هل هذا الكلام من اللاشعور ؟ أو هو كلام من يعلم السر وأخفى ؟

ولم يكتف بذلك بل كان يخبر أتباعه بما هو آت في المستقبل القريب . .
كقوله تعالى : الم . غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم
سيغلبون ، في بضع سنين . لله الأمر من قبل ومن بعد ، فيوشكذ بفسح
المؤمنون بنصر الله .

والمعطيات التاريخية العالمية قد صدقت هذا الواقع . . أغنى تاريخ
الروم في الغرب وتاريخ الفرس في الشرق وتاريخ العالم الاسلامي . . ولم
يستطع احد ان يكذب هذا الخبر القرآني . .

(٢) سورة الاسراء : ٨٨

(١) سورة البقرة : ٢٤

(٣) سورة الاسراء : ٨٥

هل هذا الكلام من اللاشعور ؟ أو هو وحى من عند الله تعالى ؟

بل فعل ما يدهش كل ذى عقل وكل ذى فطرة سليمة ..

يعين هذا النبي صلى الله عليه وسلم انسانا بعينه من أشد اعدائه فيقول له :
انك ستموت كافرا ولن تدخل في الاسلام أبدا ثم اذا مت تدخل في النار
يقول هذا على مسمع من جميع كفار مكة وهم يريدون ان يجدوا أى عيب لتكذيب
دعوته - وكان في استطاعتهم أن يأمرؤا هذا الانسان أن يدخل في الاسلام
نفاقا لتكذيب دين محمد وأخبار محمد صلى الله عليه وسلم ولكمهم ما استطاعوا
ذلك .. لماذا ؟ لأن محمدا كان يتكلم من اللاشعور ؟ لا ! والله !
بل كان يقرأ القرآن الذى يقول :

* تبت يدا أوى لهيب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات
لهيب وامراته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد *
ان هذا الانسان هو أبو لهيب وامراته .. لماذا لم يدخل في الاسلام
نفاقا لأجل ابطال دعوة محمد صلى الله عليه وسلم ؟
هل هذا الكلام أيضا من اللاشعور ؟ أو هو كلام من يعلم خائنة الأعين
وما تخفي الصدور ؟

* * *

والذى يدل على أن اللاشعور فكرة خرافية لا أصل لها من الصحة أننا
وجدنا معلومات في التاريخ الانساني مصدره (الشعور) الذى يقولون انه لا
يفضل ولا ينسى ، لا تخلو من الاغلاط والاكاذيب والادلة الباطلة ..
وجدناهم يقولون : ان المادة لا تنقسم . ثم وجدناهم يقولون : ان المادة
تنقسم الى بروتونات والكروونات ..
وجدناهم في القرن التاسع عشر يقولون ان الشمس واقفة ، ثم وجدناهم يقولون
ان الشمس متحركة ..

وجدناهم يقولون ان الأرض انفصلت عن الشمس بسبب انفجارها الخارجى

ثم وجدناهم يقولون - بدون حياء - انها (الحادثة) كانت بسبب انفجار داخلى ..

وجدنا ديكارت الفيلسوف البارح يفلط ويقول : ان الدم هي النفس

في الانسان هل هذا صحيح ؟

ثم وجدنا (كانت) الفيلسوف الكبير يفلط ويقول : ان وجود اللغ لا يعرف

بالعقل هل هذا صحيح ؟

ومن قبل وجدنا الفيلسوف اليوناني الكبير افلاطون (٤٢٧ - ٣٤٧ ق م

يتخيل فيرى نفسه فى المدينة الفاضلة (التي تسمى في التاريخ بالمدينة

الأفلاطونية) أو (عالم المثل) .

ان المدينة الفاضلة التي تخيلها كصورة مثالية للدولة يتراوح سكانها

بين أربعة الاف وستة الاف نسمة .. ينقسمون الى ثلاث طبقات :

الأولى طبقة (الحكام) وهم الفلاسفة

والثانية طبقة (الجنود) وهم الحماة عن المدينة الفاضلة

والثالثة (أصحاب الاعمال) وهم الزراع والصناع والتجار الذين يقدمون

للحكام اسباب المعيش المادى من مطعم ولبس ومسكن ومال .. بل

(١)

هم العبيد لهاتين الطبقتين .

هل تقسيم الناس الى هذه الطبقات من اللاشعور أو من الشعور ؟ هل

هذا هو الأقرب من كلام المجانين أم قول النبي الذي يقول : * يا أيها الناس

انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند اللماثاكم *

فقدان بينهما لتعلم أيهما اقرب الى اللاشعور ! أيهما فرويد الملحد اليهودى !

* * *

(١) تاريخ الفكر العربى الى ايام ابن خلدون ، عمر فروخ ص ٩٧ بيروت طبعة دار

العلم للملايين لبنان ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م

وأیضا جمهورية افلاطون لنظام الحكيم ومحمد مظهر سعيد القاهرة دار المعارف

١٩٦٣م

ولقد وجدنا أيضا في اليونان هذا الفيلسوف الذائع الصيت الذى يقال
انه معلم البشرية (أرسطو) (١) قد أتى بأغلو طات فادحة في تعيين
صفات الله تعالى بل يقول : (ان العالم قديم) .. فجاء العلم الحديث
ليكذبه ويجعله ..

وأما الدين الذى يقال انه من كلام المجانين * لما جاء أثبت أن العالم
حدث فقال * أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون *
فقارن بينهما لترى أى القولين أقرب الى كلام المجانين ؟
هكذا رأينا - من خلال هذا الاستعراض السريع - أن الكلام النبوى
برئ - ولا شك - من كل هذه العيوب .. رغم اتصاله بجميع العلوم ..
ولقد مرت قرون اثرت قرون * أبطل فيها الآخرون ما ادعاه الأولون * وما
زال صدق كلام النبوة باقيا على الزمان * ولم يستطع احد ان يدل على شئ
باطل جاء به .. وكل من حاول ذلك أخفق .. كما أخفق فرويد وكارل ماركس
ودوركاهم .. وغيرهم من اصحاب المذاهب الهدامة التى عرفت في التاريخ
الانسانى العام ..

اذن ان فكرة اللاشعور خرافة لا أصل لها من العلم الصحيح ..

فلنتقل الى الجزء الثانى وهو الناحية الطبية ..

ثانيا - الناحية الطبية :

قد ادعى بعض الملاحدة أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم بصفة خاصة
كان مريضا بالصرع وأن ما يمتريه في ساعات الوحي إنما هونوبات الصرع ..
التى كان يسمح اثناءها كلاما رده فاصبح قرآنا .. فرد عليهم (الدكتور
يحيى طاهر) اخصائى وأستاذ الأمراض العصبية بكلية طب ومستشفى القصر
العبنى بجامعة القاهرة .. فنحن نلخص ما قاله تلخيصا شديدا فيها يناسب
مع هذه الحالة .. فهو يقول :

(١) أرسطو (٣٦٧ - ٣٢٢) ق م المصدر السابق ص ١٠٧ (عمر فروخ)

يقول:

" لقد أراد بعض الناس أن يطعنوا الدين الاسلامي في شخص الرسول صلى الله عليه وسلم فقلوا : ان النبي محمدا كان مريضا بالصرع ، وان الوحي الذي كان ينزل على الرسول بالقرآن ما هو الا نوبات صرعية كان يسمح أثناءها كلاما رده له ليصبح قرآنا والذي يدرس الصرع من أى ناحية من نواحيه الطبية او العلمية او الفسيولوجية يتبين له جسامه هذا الافتراء (١) اذ ان النوبات الصرعية ليست نوبات نفسية كما يتبادر الى الذهن ، ولكنها ناتجة عن تغيرات فسيولوجية عضوية في المخ ، بدليل انه امكن تسجيل تغيرات كهربائية في المخ أثناء تلك النوبات الصرعية مهما كان مظهرها الخارجى ومن المعروف ان هناك مظاهر خارجية عديدة ومختلفة للنوبات الصرعية ، وذلك تبعا لمراكز المخ التي تبدأ فيها التغيرات الكهربائية وطريقة وسرعة انتشارها .

فاذا بدأت في مراكز الحركة كانت النوبة على شكل تقلصات او تشنجات عضلية واذا بدأت في مراكز الاحساس كانت النوبة على شكل احساسات مختلفة واذا بدأت في مراكز الابصار كانت النوبة على شكل ذكريات او احالم هكذا .. ثم قال :

ويكفينا أن نشرح نوعا واحدا من النوبات الصرعية الذى يشبه ان يكون هو النوح الذى قبل عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مصابا به ، الا وهو النوبات الصرعية النفسية ، ففي هذه النوبات الصرعية النفسية يكون التغير الحقل هو المظهر الاساسى للنوبة ، ولا يفقد المريض شعوره تماما كما في الانواع الأخرى من النوبات ، ويمكنه الى حد ما تذكر التجارب النفسية التى حدثت له أثناء النوبة بعد انتهائها .

وتكون هذه التجارب النفسية التى تمر بالمريض أثناء النوبة اما على شكل انفعالات مثل الخوف ، أو على شكل تفكير في اتجاه معين كأن يردد

(١) راجع كتاب الاسلام والعلم الحديث ، عبد الرزاق نوفل ص ٥٥

المريض في ذهنه " يجب ان اتول لفلان كذا وكذا " او على شكل خيالات
او هلاوس ، وفي هذه تمس بذهن المريض ، ذكريات او احلام مرئية
او سمعية أو الاثنين معا . . . (١) هذا ما يقوله الطب بالنسبة لهذا المرض .
تعال نحاول تطبيقه على الوحي الذي كان ينزل على رسول الله صلى
الله عليه وسلم .

" وبتطبيق ما وصلنا اليه من هذا العرض السريع للصرح على الافتراء الذي
يفتريه خصم الاسلام على الوحي الذي نزل على سيدنا محمد صلى الله
عليه وسلم نجد ان الهلاوس والاحلام التي تمر بذهن المريض بالصرح ما هي
الا أجزاء من ذكريات قديمة نبيتها النوبة ، ولا يمكن للمريض بالصرح ان
يؤلف اثناء النوبة شيئا ، فكيف بالقوانين والاداب والقصص والعلوم وغير
ذلك مما اشتمل عليه القرآن الكريم .

كذلك لا يمكن ان تتحسن لغة المريض في اثناء النوبات الصرعية تتكرر
بعضها او كلها بنفس الشكل بتكرار النوبات كما أن المريض لا يمكنه ان يصفها
وصفا دقيقا .

أما القرآن الكريم فانزلت آياته واضحة محدودة متممة بعضها بعضا
شاملة كل ما يهم الناس في شئون دينهم ودنياهم .

فهل يمكن ان يقال بعد هذا العرض العلمي البحث ان القرآن الكريم ما هو
الا هلاوس رجل مصروع ؟ ؟ ؟ ان هذا الا افتراء فليحكم الناس بأنفسهم
بعد هذا العرض العلمي . . .

وللدكتور عبد العزيز الشريف اخصائي واستاذ الأمراض الباطنية بكلية
طب القصر العيني وعضو كلية الأطباء بأدبيرة مقالته في هذا الأمر بحسن
بنا أن نشبه هنا لأن كثرة الحديث تزيد قوة ومثانة .

فهو يقول : " المرض علة تصيب اى عضو من أعضاء الجسم ، فتسبب خللا فيصبح الانسان لذلك معتلا . والشخص المريض هو الذى تغيرت حالته بسبب المرض فأصبح غير عادى . اذ يقل في قوته وصحته وبالتالى انتاجه وتفكيره . . .

ولم يعرف الطب ، ولم يحدثنا التاريخ العلمى . ان شخصا اصيب بمرض فوهبه المرض علما . . أو عقلا . . أو مقدرة . . اذ ان العقل السليم في الجسم السليم . .

فكيف يقولون عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم انه اصيب بالصراع فتحسن لغته تحسنا بحيث لا يمكن ان نقارن بين حديثه المادى وبين تن القرآن الكريم الذى يقولون انه حديثه وهو في نوبة الصراع ؟ وكيف يشرح المريض هذه التشريعات التى تعتبر الاسس القوية لكل القوانين التى تهدف الى العدالة والرحمة والتقدم .

وهل يستقيم ذلك والصراع حالة تتميز باختلال المفاجىء في وظيفة المخ ؟ وكيف يكون ما عند الرسول نوبات صرع . وهذه النوبات تسبب للمريض الاثاما شديدة في عضلاته تكون مصحوبة بالصداع والغثيان وتبقى مدة بمدة النوبة التى هى تشنج وتصلب في العضلات . . . فاذا غابت عنه حزن ووجل ؟ فقد فتر الوحى عن الرسول فترة فتولاه الخوف والوجل وحزن حتى نزل قول الله سبحانه وتعالى له :
(١)

* والضحى والليل اذا سجدى . ما ودعك ربك وما قلى * (٢)

وعادة على ذلك ان القلب يقرر ان الخيالات التى يراها أو يسمعها المريض اثناء نوبته لا بد ان يكون قد رآها أو سمعها في طفولته أو شبابه أو قبل مرضه ، كما يقول فرويد صاحب الشعور والاشعور .

(١) المرجع السابق ص ٥٩

(٢) سورة الضحى الاية (١)

نسألهم : هل يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد رأى الاقوام قبل عصر
الاسلام وعاش بينهم واستمع الى احاديث الرسل والانبياء مثل الآيات
التالية :

« كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انسى
لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب » (١)
« قالوا يا موسى لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك
فقاتلا انا ههنا قاعدون » (٢)

وهل كان الرسول صلى الله عليه وسلم في بداية الخلق حتى يرى ما كان
بين الله وآدم من حوار مثل قوله تعالى :

« وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما
ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » (٣) وهكذا كذب الطب
اباطيلهم هذه ..
الاساس الثاني - مقارنة الأديان :

لقد اتخذ الملحدون علم مقارنة الأديان سببا من اسباب الالحاد .
وذلك أن جمهور الباحثين في هذه المسألة لا يطلبون من بحثهم الوقوف
على الأسباب العامة التي تتيسر دراستها ويمكن التحقق من وجودها في كل
عصر بل يفهمون من كلمة " نشأة الدين " الصورة التي ظهرت فيها
الأديان اول ما ظهرت في الوجود بمعنى أولية زمانية مطلقة ، تقتصر
بظهور الانسان على هذا الكوكب .

والمنهج الذي يسلكونه للوصول الى هذا المطلب هو التنقيب عن أديان
الأمم القديمة أو أديان الأمم المعاصرة غير المتحضرة ، حتى اذا ما انتهى
بهم السير في تلك العصور المظلمة ، اوتلك الأقطار المنزلة ، السى

(١) آل عمران / ٢٧

(٢) المائدة / ٤٦

(٣) البقرة / ٢٥

أقدم مظهر معروف من مظاهر التفكير الديني . اعتبروه مطابقة لما كان عليه الانسان الأول . . .

فعلى هذا انقسم الباحثون في أوروبا الى شئيتين عظيمتين ، تسيران في خطين متعاكسين : هما (المذهب التطوري . والمذهب الفطري .

أما المذهب التطوري : يرى ان الدين بدأ في صورة الخرافة والوثنية وأن الانسان تطور في دينه حتى وصل اخيرا الى التوحيد او عقيدة " الاله الاحد " وعلى رأس هؤلاء دوركايم (Durkheim) فقد أشرنا الى هذه النقطة في بحث علم الاجتماع السابق (١) .

أما المذهب الفطري : يرى أن فكرة " الاله الأعظم توجد عند جميع الشعوب الذين يعدون من أقدم الاجناس الانسانية " .

وقد انتصر لهذا المذهب علماء الاجناس وعلماء الانسان وعلماء النفس وعلى رأسهم لانج (Lang) غير أنه مهما تفاوتت النتائج في نظر المذهبين : " التطوري والفطري " فانهما متفقان على موضوع البحث هو : اتخاذ العقيدة البدائية الصورة الحقيقية لفهم نشأة الأديان في الكون . هذا خطأ ولكنه يتجلى عندما نقرأ الصفحات التالية :-

(١) راجع الدين ، د . محمد عبدالله دراز ص ١٠٦

راجع ايضا عقائد المفكرين عباس محمود العقاد ص ٢٤

(٢) (Schmidt. Ouv, cite, p. 30) نقلا عن كتاب

الدين السابق ص ١٠٨

خطأ علماء المقارنة للأديان

ان الذين يستدلون بالتاريخ او بالاجتماع كدور كائن مثلاً ، خطأ هـم
الأساسي انهم لا يدرسون الدين من وجه صحيح ، ولهذا يسبدون لهم
الدين شيئاً غريباً .

ومثال ذلك ان ترى شيئاً مريحاً من زاوية منحرفة فبتراءى لك مثلاً . .

ان رأس الخطأ الذي يقومون فيه هو : انهم يتناولون الدين على أنه " مشكلة

موضوعية " (objective problem)

فهم يجمعون في سلة واحدة كل ما أطلق عليه (اسم دين) من رطب وياابس

في أي مرحلة من التاريخ الا شيئاً واحداً أعني موكب الرسالة فيهم

يذكرون كل شيء في بحوثهم الا الرسل (مما يدل على أنهم لم يتجردوا

في بحوثهم (من الهوى) فهم يريدون ان يصلوا الى نتيجة معينة قبل البدء

بالبحث . هذه النتيجة هي : تكذيب فطرة الدين وتكذيب الرسل فسي

دعواتهم . . فلا يجوز لمسلم - اذن - ان يأخذ بنتائج هذا " العلم " علم

مقارنة الأديان وكيف لا ! ان ربنا سبحانه وتعالى : أخبرنا في كتاب لا يأتيه

الباطل من بين يديه ولا من خلفه . . أخبرنا ان اول الرسل ابونا نوح عليه

السلام وآخرهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم طيب القلوب والاأبدان . .

فتعال تعالى :

* شرح لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به

ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما

تدعوهم اليه ، الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب (١)

فكيف نترك هذا الحق المبين ونجرب وراء هذه النتائج المتعارضة التي

لا تستند على مقدمات صحيحة . . فلا يجوز لمسلم أن يؤمن بهذا العلم

لأنه يحارض القرآن صراحة . . .

موقف منحرف

ان موقفهم هذا من الأديان ينحرف من أولى مراحلهم ، فيبدو لهم الدين — من جراء هذا الموقف الفاسد — عملاً اجتماعياً لا كشفاً لحقيقة .

■ ■ ■

فهم يقرون في العلم الحديث ان طريقة البحث عن الحقيقة من الحقائق فلا بد أن تدرس مظاهرها وتاريخها في ضوء مثله الأعلى ..
أما الأمور التي تأتي بها أعمال اجتماعية فليس لها مثل أعلى وبقاؤه رهن بحاجة المجتمع لها . (١)

ولماذا لا يطبقون هذه القاعدة على الأديان ؟ هل الأديان من الأعمال الاجتماعية ؟ ؟

فالدین يختلف عن ذلك كل الاختلاف ، فليس من الممكن البحث عن حقائقه ، كما يبحث عن تطورات فنون العمارة والنسيج والحياكة والسبارات .
لأن الدين علم على حقيقة يقبلها المجتمع او يرفضها او يقبلها فسي شكل ناقص ، ويبقى الدين في جميع هذه الاحوال حقيقة واحدة في ذاتها ،
وانما يختلف في اشكاله المقبولة ، ولهذا لا يمكن أن نفهم حقائق (الدين) بمجرد فهرسة مماثلة لجميع الأشكال الموجودة في المجتمعات باسم الدين .

* ■ *

ونحن نسأل قبل كل شيء عن الأصل الذي بنى عليه هذا القياس هل صحيح أن قوى النفس المختلفة تسير في نموها على قدم المساواة ؟ ؟ وأن حياة الناس الروحية ، تمشي في كل أدوارها جنباً الى جنب مع حياتهم المادية ؟ ؟
الجواب لا !

(١) الدين ■ وحيد الدين خان ص ٥٠ ■

أولسنا نرى هاتين المظاهرتين تسيران أماناً في طريقين متعارضين ؟ ؟
 فإذا صح ما يقوله الملاحدة المهاريون من الكنيسة ، من أن الإنسان
 كان في بدايته في الكهوف ، ويتستر بجلود الحيوانات ، ولا يأكل إلا من
 الأعشاب ، أن صح ذلك ، قلنا أن نقول : أن قلة مشاغل هذا الإنسان
 " البدائي " كما تدعون ؟ هي الدافعة القوية إلى التأملات في الكون
 والاهتمام بمصدر كل شيء ..

وكما اشتغال الإنسان بالماديات والاخلاد إلى الأرض يقل الاهتمام بالتأمل
 في الالهيات . ذلك أن الفرائز المتقابلة تضعف وتتقلص بقدر ما تنمو
 وتقوى أضدادها . مثل كفتي الميزان : لا ترتفع أحدهما إلا إذا انخفضت
 الأخرى .. (١)

اذن فقلة شواغل البدائي بالماديات من بواعث تأملاته لدى الالهيات
 وكثرة شواغل المتحضر في الماديات تضعف الغريزة الدينية في قلبه ... هذا
 ما شهيد به (لاروس) للقرن العشرين . وقد أشرنا إلى هذه الشهادة في
 مبحث (شهادة التاريخ) من هذا البحث ، ولكننا نستشهد^٩ هنا لعلاقتها
 بما نحن بصددده : وهذا نصه :

" أن الغريزة الدينية : مشتركة بين جميع الأجناس البشرية ، حتى
 أشدها همجية ، وأقربها إلى الحياة الحيوانية .. وأن الاهتمام بالمعنى الالهي
 وبما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالمية الخالدة للإنسانية ويقول :
 " أن هذه الغريزة الدينية " لا تخفى بل لا تضعف ولا تذبل إلا في
 فترات الاسراف في الحضارة وعند عدد قليل جداً من الأفراد " (٢)

(١) انظر اول صفحة من كتاب العقاد عن نشأة العقيدة الالهية (الله) .

وراجع الدين ، د . محمد عبد الله دراز ص ١١٠

(٢)

وبهذا نعلم يقينا ان هذا القياس فاسد غير على بل هو سفسطة علمية (Sophisme Scientifique) ذلك ان علماء هذا العصر يبالغون قضايهم في ضوء العلم الحديث ، غير ان هذه المبالغة لا تجدى نفعا ، لأنها قائمة على العلم المحض وحسب ، على حين لا بد من اعتبار اشياء أخرى تغيب عن العلم الحديث ..

ومثال ذلك ان أرباب هذا العلم يشرعون في دراسة علمية لاشياء علمية ناقصة ، فسوف تؤدي هذه الى نتائج غير علمية ناقصة باطالة .
فلنضرب على ذلك مثالا رائعا يذكره الأستاذ وحيد الدين خان في كتابه القيم "الاسلام يتحدى" : هذا نصه :

" لقد عقد في دلهي في يناير ١٩٦٤ مؤتمر دولي للمستشرقين اشترك فيه ألف ومائتان من العلماء من جميع انحاء العالم ، وقدم أحدهم بحثا يدعي فيه مآثر كثيرة لمسلمي الهند ليست من عمل المسلمين وانما هي من عمل الملوك الهندوس . وضرب لذلك مثلا بمنارة قطب في دلهي المنسوبة الى الملك (قطب الدين ايبك) ، حين بناها الملك الهندوسي سامودرا جويت قبل ٦٣ قرنا ، وقد أخطأ المؤرخون المسلمون فنسبوها الى الملك قطب الدين . ويستدل في هذا البحث بأن في المنارة المذكورة بعض أحجار قديمة نحتت قبل عصر الملك قطب الدين ...

" وهذا - كما يبدو - استدلال على ، إذ أن بعض أحجار المنارة فعلا من الصنف الذي ذكره "المالم" ولكن هل كفى مشاهدة بعض أحجار المنارة في أمر بانيتها ، أو أنه لا بد من نواح أخرى كثيرة لنشاهدها في هذا الصدد . ومن هنا فان هذا التفسير لا يصدق على منارة قطب - ككل . هذا تفسير ..

وهناك تفسير آخر هو أن هذه الاحجار القديمة التي توجد بعضها
 في المنارة ، إنما جاءت من أنقاض ابنية قديمة ، كما هو معروف في كثير
 من الأبنية التاريخية الحجرية . ولا مانع من أن نقبل هذا التفسير
 الثاني حين نشاهد منارة قلب الدين في ضوء طابعها المعماري ورسومها
 وتصميمها ، والمسجد الناقص بجوارها ، والمنارة الثانية التي لم تكتمل
 ثم ننتهي إلى أن التفسير الأول ليس الا قايما خاطئا قائما على المغالطات (١)
 ان المثال الذي ذكره الاستاذ وحيد الدين خان ينطبق تمام الانطباق
 على علماء المقارنة بين الأديان ، لأنهم نظروا إلى حقائق ناقصة
 وجزئية ، لا تصل بعضها بالموضوع مطلقا واعتقدوا أن الدراسة
 العلمية الحديثة قد أبدلت الدين ، على حين أننا لو نظرنا إلى الواقع
 جملة وتفصيلا فسوف نصل إلى نتيجة تختلف عن الأولى كل الاختلاف .
 وهذا يتجلى بوضوح عندما نقف وقفة قصيرة عند العقل الجمعي
 الذي اخترعه (دوركايم) ليكون مصدرا للمقيدة الدينية عند جميع
 الشعوب والأمم .

واليك تفاصيل ذلك :

(١) المصدر السابق ص ٥٥

العقل الجمعى ونشأة الدين

يخالف " العلامة " دوركايم (Durkheim) جميع المذاهب

التي تعرضت لنشأة العقيدة الدينية ، كما يخالف جميع الأديان الحقنة ..
وذلك ان الأديان وبعض المباحث الحديثة ، ترى أن التدين فطرى في
الانسان كما نص على ذلك القرآن الكريم بقوله :

﴿ فأقم وجهك للدين فطرت الله التي فطر الناس عليها ۞ ۞ ﴾

ومع ذلك نجد (دوركايم) اليهودى يزعم ان التدين وليد أسباب اجتماعية
بل يذهب الى أبعد من ذلك فيزعم أن عناصر التفكير ، وأسس المعرفة العقلية
نفسها ، ما هي صور ولدتها حياة الجماعة ، وطبعتها على غرار النظم الاجتماعية
.. وسى هذا النظم الاجتماعية " بالعقل الجمعى " الذى يكفى للناس
مشاعرهم و عقائدهم ..

الأسس التي قامت عليها النظرية

لوحاولنا أن نختصر مذهب دوركايم لوجدنا أن محوره ثلاثة أسس :

- (١) - عقل جمعى عشوائى خارج عن شعور الأفراد ..
- (٢) - هذا العقل يصدر أوامره على شكل " ظاهرة اجتماعية " تتقلب
وتتغير بطريقة غير منطقية ..
- (٣) - هذه الظاهرة تقهر الأفراد وتخضعهم لسلطوتها شعروا أولم يشعروا (١)

* * *

ثم بيت القصيد في مذهب دوركايم هو تطبيق هذه الأسس الوهمية على الدين

وما يتصل به من عقائد وأخلاق ، ويتلخص هذا التطبيق في ثلاث قضايا هي :

(١) من مقتطفات من قواعد المنهج على التوالى : ٢٧٩ ، ٣١ ، ٥١ ، ٢٠٣ .

١٠٠ . يعنى قواعد المنهج " علم الاجتماع " أمين دوركايم . ت محمود قاسم

القاهرة ١٩٧٤ م

- ١ - ان الدين ليس الـهيا لأن فكرة الألوهية - في نظره - ليست الا تعبيرا عن البيئة الاجتماعية في مرحلة من مراحل تطورها ويكون الا لـه فيها رمزا للدرجة التي وصل اليها تطوره .. (١)
- ٢ - ان الدين - بناء على ما سبق - ظاهرة اجتماعية يفرضها العقل الجمعي بقدرته القاهرة على الأفراد في بعض المراحل والبيئات دون أن يكون لهم دين مطلقا لكانوا غير متدينين ولا يملكون الا الانصياع لذلك ..
- ٣ - ثم يصل دوركائم الى نتيجة خطيرة وهي ان الدين ليس فطريا ومثله الأخلاق والأسرة .. ان الأسف الشديد أن نجد هذه الفكرة اليهودية في جميع أبحاث علم الاجتماع وعلم مقارنة الأديان بدون أن يعرف الذين جاءوا ----- من بعده ، أن ذلك تخطيط يهودي تلمودي .. (٢)

الطوطمية (Totem)

ان دوركائم يرى أن اصل التدين ناشى من نظام الطوطمية أو اللقب الأسرى .. وهو نظام - كما يزعم - يقوم على نظام القبائل (Tribus) والفصائل (phatries) والمشاير (Clans) .. و بين ذلك بقوله :

" ومعروف ان المشائر (وهي النواة الصغرى في تلك المجتمعات) قوامها وحدة اللقب المشترك بين أفرادها وهولقب يشتق في الغالب من اسم حيوان ..

(١) المصدر السابق ص ٥١

(٢) المصدر السابق ص ٢٠٩ - ٢١٠

(٣) الدين ، عبدالله دراز ص : ٤٥١

"وتعتقد المشيرة أن لها بمعنى هذا الاسم ، صلة قديمة حيوية أو روحية اما على انها تسلسلت عنه ، أو أنه كان حليفا او حارسا لجدها الأعلى أو نحو ذلك .. فلذلك تعاطيه المشيرة ولا تأكل لحمة .. وقد بلغ الأمر ببعض القبائل في افريقيا او استراليا او في أمريكا أن يتخذ بعض أفرادها (وشما) يطعمونه على وجوههم وأجسامهم كأنه بذاقة شخصية ليتحقق انتساب كل منهم الى عشيرته ..

نقض نظرية دوركايم

اننا لا نخالف دوركايم اليهودي في وجود هذه الطوطمية في الأمم البدائية ولقد رأيناها بأعيننا في افريقيا بالذات ، التي ننتسب اليها جغرافيا ولكننا نستغرب من هذا الفيلسوف الذي يدعى أن هذه القبائل البدائية هي أخصب مكان لدراسة نشأة الدين في الانسان .. وأن استراليا أنسب من كل الأماكن ..

بل يرى ان الاسم المشترك بين الحيوان وبين الجد الأعلى وبين أفراد المشيرة سبب في عبادة المجتمع .. وبهذا يكون الاجتماع مبدأ الدين وغايته ، وتكون الجماعة انما تعبد نفسها من حيث لا تشعر ..

* * *

ان هذه النظرية الحقيرة التي تصادم فطرة البشرية لأول وهلة ، تبدو صفحتها لضرب من النقد لا تحصى ولكن نجملها في شيئين اثنين :

- أولا - ملاحظة عامة .
- ثانيا - النظر في أسس النظرية ..
- ١ - أما الملاحظة العامة تتمثل فيما هوآت :

ان النظرية تقوم بالبحث عن العقليات البدائية لتقرير الدين ، والمعلوم أن أية نظرية تقوم على مثل هذا الأساس فهي نظرية مشكوك فيها ..

ولا يد في قبوله من التحفظ للبلبغ .. وبما نملك :

ليس كل السائحين على جانب من علوم النفس والمنطق والدين والأخلاق
بكثير لا ستيطان غور الأمور ، ووضع الأسئلة الدقيقة المحددة
في هذا الشأن ..

ثم ان هذه المعلومات لا تنقل عن آثار مكتوبة ، وإنما تؤخذ من
أفواه قوم محرومين من العلم والفنون المدونة ... فمن الراجح اذا سئل
أحد هؤلاء يسر إلى الاجابة بكلمة : " نعم " أو " لا " من غير
مراجعة لقولهم بل ان الكتاب أنفسهم قد يتناقضون في وصفهم لتلك
القبائل ..

* * *

ولنجاز - الآن - هذه الملاحظات العامة لننظر في أسس النظرية

نفسها ..

٢ - النظر في أسس النظرية :

وقد رأينا ان صاحب هذه النظرية ، يرى ان (نظام الطوطمية) ،
هو أساس العقيدة الالهية وأن أقدم نظام معروف للقبائل هو ما عرف في
استراليا الوسطى .. اذن .. توجد أمامنا مقدمتان ..
واليك كلمة لكل منهما :

أما المقدمة الأولى وهي : أن نظام الطوطمية هو أساس الحقيقة الالهية .. نقول :
انها لا تعدو أن تكون سفسطة علمية وتحديات سافرة لما اجتمعت عليه الأديان
الساوية .

بل لا نرى في هذه الالقاب والرموز عند البدائيين الا شمارا قويا بصرفهم انسابهم
وينسب فيهم شعور الوطنية وباعثة التعاون . فيهم بكل تأكيد لا يعبدون تلك
الرسوم ولا مدلولاتها ، بل لهم معبود روحي يعتمدون عليه في جلائل أعمالهم
ودقائقها .. كما أنهم في تحريمهم لبعض المحرمات انما يستندون إلى روايات متوارثة
عن اسلافهم ينسبون إليها إلى أمر الله .

أهل مكة أذرى بشعابها

ان هذا المثل يكذب مزاعم دوركائم الذى قد تمضى على عقيدة الناس في
افريقيا وغيرها بخير علم بطبيعة تلك البلاد وأهلها :
نحن الأفرقة الذين نعرف هذه القضية حق المعرفة لأننا كنا نحيش
معه •• وما زلنا نحيش معه الى اللحظة ••

وكل افريقي بحرف ما أقول هنا وهو : ان الطوطمية لم توضع لأجل
العبادة وإنما وضعت شمارا للقبائل لا أقل ولا أكثر ••

ودليلنا على ذلك ان قبيلة (ويرا) أو (بامبا) أو (جارا) مثلا ••
تعظم الحيوان الذى انتسبت اليها ، ولا تأكل لحمه تعظيما له •• ولكنهم
لا تعبدونها أبدا •• بدليل أنك تجد بعض أفراد هذه القبيلة مسلمين
وبعضهم مسيحيين وبعضهم وثنيين ••
ولو كان قول دوركائم حقا لكانوا جميعا مشتركين في عبادة ذلك الحيوان
ولا يشذ منهم أحد عن عبادته ، الى عبادة غيره ••
ان هذا المثل البسيط يفقد الصحة من نظرية دوركائم وأضرابه ••

* * *

وقد يقول القائل : لعلمهم كانوا جميعا في الأصل على عبادة هذا الحيوان
ثم انتقل بعضهم الى اعتناق الاسلام او المسيحية أو غيرها ••
فنسارع ذلك القائل بقولنا : ان هذا ليس صحيحا أبدا لأن المحقول والمألوف
إذا تاب أحد من الشرك أو عبادة الوثنية يتوب عن كل ما يتعلق به ••
يتوب عن عبادته •• وعن الانتساب الى ذلك الحيوان وعن عدم أكل لحمه ••
هذا هو المعروف في التاريخ •• وكذلك الطوطمية الموجودة في افريقيا وغيرها ••
فأهل (كوليبالي) مثلا •• فيهم مسلمون ومسيحيون ووثنيون •• ومع
ذلك ينتسب كلهم الى هذا النسب المشترك •• وأوضح مثل هو : ان المسلمين
القرشيين كانوا - ولم يزالوا ينتمون الى قبيلة قریش - مع اختلافهم ^{عن} مشركى قریش

في التصور والسلوك .. ان دوركائم لم يحرف شيئاً عن هذا الا القليل المزيج بالهوى
والاحاد .. تلك هي المقدمة الاولى ..

وأما المقدمة الثانية وهي قوله : ان أقدم نظم القبائل هو ما تمثله قبائل
(استراليا) الوسطى ..

ان هذا زعم باطل من ناحيتين : ناحية تاريخيه ، وناحية دينية ..
فأما الناحية التاريخية : هذا (روبرت شميت) من كبار الباحثين الذين
قاموا بدراسات شخصية دقيقة في (استراليا) .. يقرر هذا الباحثة :
أن القبائل المذكورة هي أحدث القبائل في (استراليا) وأكثرها تقدماً ..
وكما قرر ان أقدم قبائل (استراليا) هم سكان جنوبها الشرقي .. ومع
ذلك ان هؤلاء لا يعرفون نظام الالتاب الحيوانية السالفة الذكر (١) ..

وفي الوقت نفسه توجد عندهم عقيدة (الاله الأعلى) بصفة واضحة ..
بل يحترف رئيس المدرسة الاجتماعية الفرنسية بأن عدداً من قبائل (استراليا)
قد وصلوا الى فكرة (الاله الأعلى) أو (الاله الأحد) (٢) .

* ■ *

هذا ما يقوله هذا الباحثة : من أن دوركائم لم يكن دقيقاً وموضوعياً في
أكاذيبه وأباطيله والحاداته .. (وقل فيه ماشئت) ..
ونحن نعلم يقيناً .. ان دوركائم اليهودي وألف من أمثال دوركائهم
لا يصلون الى أية نتيجة في هذا المجال وذلك لما يأتي ..
— انهم أرادوا أن يصلوا الى نتيجة معينة قبل البحث الحر .. وتلك النتيجة
هي محاربة الكنيسة بالملم الحديث * اذن فخطأ النتيجة تبع لخطأ المقدمات ..

(١) راجع الدين .. د عبدالله دراز ص ١٥٦

(٢) المرجع السابق ص ١٥٦

من هنا أكدنا أن طم مقارنة الأديان لا يجوز لمسلم أن يعتبره علما حقيقيا لا هماله موكب الرسالة من لدن سيدنا نوح الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

وأما الناحية الدينية :- ان هذه النظرية تصرح في أن الالحاد هو الأصل والايان هو الفسرج وأن الوثنية سابقة للإيمان والتوحيد . . أن هذا زعم باطل في باطل . . فقد رأينا - أنفا - أن التاريخ قد كذبهم . . والآن سنرى أن الدين الاسلامي يكذبهم . . وذلك ان الله تعالى قد أخبرنا في كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أن الأصل هو التوحيد والايان . . وأما الالحاد والشرك طارئان على البشرية . . . فلنقرأ خاتمة الآيات التالية :

* كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين . . وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه . . وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم . . فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بآذنه . . والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم * (١)

وقفات عند الآية :

الوقفة الأولى : * كان الناس أمة واحدة * على نهج واحد . . وتصور

واحد أعني الايمان بالله تعالى وتوحيده . .

ثم اختلفت التصورات وتباينت وجهات النظر ، وتعددت المناهج ، وتنوعت

المعتقدات . . وعندئذ بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين . .

ان هذا التقرير الالهي يجعل مزاعم دوركائم باطلا زهوقا . .

وهذا الذي يقرره القرآن في هذه الآية ، هو النظرية الاسلامية الصحيحة

في خط سير الأديان والمقائد . .

كل نبي جاء بهذا الدين الواحد في أصله ، يقوم على القاعدة الأصلية ■

قاعدة التوحيد المطلق ■ ■ يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غير ه ■ ■

ثم يقع الانحراف عقب كل رسالة ، وتتراكم الخرافات والأساطير ، حتى يسجد الناس نهائيا عن ذلك الأصل الكبير . .

وهنا تجيء رسالة جديدة . . تجدد العقيدة الأصلية ، وتنفي ما علق بها من انحرافات ، وتراعى أحوال الأمة وأطوارها في التفاصيل . .

■ * ■

وهذه النظرية أولى بالاتباع من نظرية (دوركاهم) اليهودي وأتباعه

من الباحثين المنحرفين ، في تطور العقائد من غير المسلمين . . والتي كثيرا ما يتأثر بها باحثون مسلمون ، وهم لا يشعرون ■ فيقيمون بحوثهم على أساس التطور في أصل العقيدة ■ وقاعدة التصور ■ كما يقول المستشرقون وأمثالهم من الباحثين الغربيين الملحدون الجاهلين . .

الوقفية الثانية :- ■ كان الناس أمة واحدة ■ ، وقد تكون هذه الإشارة إلى حالة المجموعة البشرية الأولى الصغيرة من أسرة آدم وحواء وذريتهم . . قبل اختلاف التصورات والاعتقادات . .

فالقرآن يقرر أن الناس من أصل واحد وهم أبناء الأسرة الأولى ■

أسرة آدم وحواء . .

وقد شاء الله أن يجعل البشر جميعا نتاج أسرة واحدة صغيرة ، ليقرر مبدأ الأسرة في حياتهم . . وليجعلها هي اللبنة الأولى . . فكانوا كذلك في مستوى واحد ، واتجاه واحد ، وتصور واحد ، في نطاق الأسرة الأولى حتى نمت وتعددت وكثر أفرادها . . وتفرقوا في المكان . . وتطورت معاشهم وبرزت فيهم الاستعدادات المكنونة المختلفة التي فطرهم الله عليها لحكمة يعلمها . . ويعلم ما وراءها من خير للحياة في التنوع في الاستعدادات والطاقات والاتجاهات . (١)

(١) يراجع في هذا الشرح الجيد تفسير في ظلال القرآن سيد قطب ج ٢ المجلد الأول ص ١٥ ولكن بالمعنى والتصرف

الوقفه الثالثة :- * ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه * وهنا تتبين تلك الحقيقة الكبرى .. ان من طبيعة الناس ان يختلفوا ، لأن هذا الاختلاف اصل من اصول خلقهم ، يحقق حكمة عليا من استخلاف هذا الكائن في الأرض .. ان هذه الخلافة تحتاج الى وظائف متنوعة ، واستعدادات شتى من ألوان متعددة ■ كي تتكامل جميعها وتتناسق ■ وتؤدي دورها الكلي في الخلافة والعمارة ، وفق التصميم الكلي المقدّر في علم الله ..

* * *

فلا بد - اذن - من تنوع في المواهب يقابل تنوع تلك الوظائف ولا بد من اختلاف في الاستعدادات يقابل ذلك الاختلاف في الحاجات : * ولا يزالون مختلفين - الا من رحم ربك - ولذلك خلقهم * (١)
هذا الاختلاف في الاستعدادات والوظائف ينشئ بدوره اختلافاً في التصورات والاهتمامات والمناهج والطرائق .. ولكن الله تعالى - بحكمته البالغة - يحب أن تبقى هذه الاختلافات المطلوبة الواقعة داخل اطار واسع عريض يسمعها جميعا حين تصلح وتستقيم " .

هذا الاطار هو اطار التصور الايماني الصحيح ■ الذي يفسخ حتى يضم جوانحه على شتى الاستعدادات ، وشتى المواهب وشتى الطاقات .. فلا يقتلها ولا يكبحها ، ولكن ينظمها وينقيها ويدفعها في طريق الصالح .. ومن ثم لم يكن بد أن يكون هناك ميزان ثابت يقيء اليه المختلفون وحكم عدل يرجع اليه المختصون ، وقول فصل ينتهي عنده الجدل ، ويثوب الجميع منه الى البقين : .. لكل ذلك : * فبما الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ، ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ■

■ * *

الوقف الرابع :-

ولا بد أن نقف عند قوله تعالى ﴿ بالحق ﴾ ..
 فهو القول الفصل .. بأن الحق هو ما جاء به الكتاب . وأن هذا
 الحق قد أنزل ليكون هو الحكم العدل ... والتول الفصل . فيما عداه
 من أقوال الناس وتصوراتهم ومناهجهم وقيمهم وموازينهم ..

لا حق غيره ...

ولا حكم معه ...

ولا قول بعده ...

- وبغير هذا الحق الواحد الذي لا يتعدد ..
- وبغير تحكيمه في كل ما يختلف فيه الناس ..
- وبغير الانتباه الى حكمه بلا محاكمة ولا اعتراض ...
- وبغير هذا كله لا يستقيم أمر هذه الحياة ولا ينتهي من الخلاف
والفرقة ..
- ولا يقوم على الأرض السلام . ولا يدخل الناس في السلم بحال ...

* * *

هذا ما قرره القرآن .. قرر أن الناس كانوا على ملة التوحيد ، ثم
 دبست اليهم الخلافات فاختلوا .. فرجع بعضهم الى الوثنية .. وبعضهم
 الى اللادينية وبعضهم الى الالحاد .. فلما جاء (دوركائم) وأضرابه
 جعلوا هذا التراجع عن التوحيد قاعدة أساسية يقاس عليها
 في معرفة دين الله ..

انها الانتكاس ...

انها الضلالة ...

انها الالحاد الأحمر ...

الوقفه الخامسة :-

ان الابه تشير بوضوح الى ان هذا الكتاب ، قاعدة للحياة البشرية

ثم تمضى الحياة ..

فاما اتفقت مع هذه القاعدة ، وظلت قائمة عليها ، فهذا هو الحق ..
 واما خرجت عنها وقامت على قواعد اخرى .. فهذا هو الالحاد ، والباطل ..
 هذا هو الباطل ولو ارتضاه الناس جميعا ... في فترة من فترات التاريخ ..
 فالناس ليسوا هم الحكم في الحق والباطل .. في الايمان والالحاد ..
 وليس الذى يقرره هؤلاء الملاحدة في معرفة الدين الحق من الباطل ، هو
 الحق ..

وليس الذى يقرره علماء الأديان المقارنة ، هو الدين ..
 ان أقوال الناس : لا تحبل الباطل حقاً ..
 وان أفعال الناس لا تجعل الشيء حقاً اذا كان مخالفاً للكتاب ..
 وهذه الحقيقة ذات أهمية كبرى .. فتأمل ! ثم طبق !

* * *

الوقفه السادسة :-

البغى هو الذى يقود الناس الى المضى في الاختلاف على أصل
 التصور والمنهج . والمضى في التفرق واللجاج والعناد ..
 حقا ان بغى الحسد .. وبغى الطمع .. وبغى الحرص .. وبغى
 الهوى .. هو الذى يفعل ذلك كله ..
 ولو ألقينا نظرة عابرة في تاريخ الأديان نجد هذه الحقيقة كامنة فيه :
 ما يختلف اثنان في كتاب انزله الله الا في نفس أحدهما بغى وهوى أو بغى
 نفسيهما جميعا ..
 فأما حين يكون هناك ايمان فلا بد من التقاء واتفاق ..

يقول تعالى في آية أخرى * ذلك يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم
الآخر *

ان الله لا يهدي الا من كان في نفسه صفاً .. وفي روحه رحمة
وتجرد ، وفي قلبه رغبة في الوصول الى الحق * فهدى الله الذين
آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه *

كانت هذه بعض الملاحظات لاحظناها في هذه الآية الكريمة . فاذا
هي تقرر تقريراً حاسماً أن التوحيد قد سبق الالحاد والوثنية .. وأن
الوثنية طارئة على الانسانية .. وأما أرباب الجهالة الملمية يقولون
-- جهلاً -- ان الوثنية سابقة على التوحيد ..

وصدق الله تعالى * وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً *
وبعداً هذا الاستطراد نعود الى موضوعنا وهو أن الملاحدة لما
أرادوا توطيد أركان الالحاد اتخذوا أشياء سنداً لحادياً ليهدوا الناس
عن الايمان فقد ذكرنا حتى الان اثنين منها : ذكرنا أولاً اللاشعور ثم
ذكرنا هنا علم مقارنة الأديان .. فنود أن نذكر في الصفحات الآتية
الأساس الثالث والأخير الذي هو الكشف الكوبر نيكي ..

ولكن قبل أن نخوض في هذه المعركة يحسن بنا أن نبدى رأينا
في مدى تأثير المجتمع في الفرد .. لئلاً يقول بعض المطرفين : انتم
تسكرون " العقل الجمعي " ونحن نلصقه في حياة الأفراد والجماعات ..
فلنقرأ - اذن - السطور التالية : ..:

مدى تأثير المجتمع في الانسان

لقد رأينا في هذا الجزء الأخير أن العقل الجمعي الذي ادعى دوركائم أنه هو الذي يصنع للناس عقائدهم ومساخرهم ، رأينا أنه أسطورة أضحوكة .. ولكن ليس معنى ذلك أننا ننكر تأثير المجتمع على الفرد ، لا ! ان للبيئة والوراثة من سلطان بليغ على نفوس الأفراد ومالبها من أثر في تكوين آرائهم وعقائدهم ، وقد سجل القرآن ذلك وجعله حقيقة واقعة ..

■ بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا * * * وانا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون * (١)

■ * ■

الا أن القرآن حين يقرر هذا الأمر الواقع ، لا يذكره الا في معرض التقرير والذم ناعيا على العامة رضاهم بما فيه من استمبات فكري .. وهبوط من الكرامة الانسانية الى مستوى القطعات من الماشية التي تسير وراء كل ناعق .. ويقول تعالى :

* ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عوى فهم لا يحفلون * (٢)

القرآن يلومهم على تعطيلهم وظيفته آذانهم والستينهم وعيونهم وهذه منتهى الزاوية بمن / تفكيره .. ويفلق منافذ المعرفة والهداية ويتلقى في أمر نفسه من غير الجهة التي ينبغي أن يتلقى منها .. هذا هو الفرق الجوهرى بين تأثير المجتمع على الفرد في المجتمع المسلم ■ وبين تأثيره في اصحاب العقل الجمعي ..

(١) سورة الزخرف : ٣٣

(٢) سورة البقرة : ١٧١

الفرد في مجتمع العقل الجمعي يتلقى التقاليد والأوامر الشيطانية بدون وعي ولا ادراك .. وأما في المجتمع الاسلامي لا يتلقى شيئاً من المجتمع الا ما وافق شريعة الله الذي يعلم السر وأخفى ..

ولذلك كله نجد القرآن الكريم يهيب بالناس أن يميزوا الخبيث من الطيب .. وأن يلتزموا مثلهم العليا في أهل الفضائل ..

* فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه * (١)

* أولئك الذين هدى الله فبهم أحسن * (٢)

وفي هذا المعنى تقول الحكمة النبوية :

” ولا تكونوا امعة : تقولون ان أحسن الناس أحسننا وان ظلموا ظلمنا ..

ولكن وطنوا أنفسكم : ان احسن الناس أن تحسنوا وان أساءوا فـ لا تظلموا .. ” (٣)

(١) في سورة الزمر : ١٨

(٢) في سورة الأنعام : ١٠

(٣) أخرجه الترمذي في باب البر (٦٢)

الأساس الثالث - الكشف الكوبرنيكي :

ان اكتشاف " كوبرنيكس " مركز الكون كان أحد المعاول التي ضرب بها
الملاحدة جميع الأديان ...
وقالوا : ان الدين خرفة لأنه مبني على الخيالات والأوهام .. ومن
خيالاته : أنه اثبت أن الأرض ثابتة وبسوطه ... ولكن العلم الحديث
جاء فأثبت أن الأرض ليست ثابتة ، بل هي متحركة .. وليست بسوطه
بل هي كروية ..

وعلى هذا الأساس قالوا : ان الدين مبني على غير الحقيقة ..

وقبل أن نبدي رأى الاسلام في هذا الموضوع ، يحسن بنا أن نعطي
للقارئ فكرة موجزة عن هذا الكشف الكوبرنيكي توضيحاً لما قلنا سابقاً
في أول البحث .

* * *

لقد اجمعت المخططات التاريخية أن " كوبرنيكس " نشر كتابه الذي ذكر
فيه هذا الكشف قبل وفاته بسنة ١٥٤٢ وتردد طويلاً قبل نشره كأنه
قدر - بحق - أنه سيفض عليه الملائمة ويعرضه للسخط والنقمة ..
ويؤمئذ بدأ العلماء والمفكرين ومنهم رجال الدين بتساءلون :

" ترى أي شيء في هذا الكشف الكوبرنيكي ؟

هل خالف قواعد الدين وخرج على سنن الايمان ؟ ولأي شيء صدر الكتاب
وأجمعت شعاب الكنيسة من رومانية الى لوثريّة على تحريمه ومنع تعليمه ؟

* * *

فأما الملاحدة صاروا يقولون : " في دنيا العلم هذه نرى أنه لا محل
للديانة المشبهة ، ولا للإله المشبه .. ونرى أن القلب الانساني قد ضيع
نفسه مستسلماً للمقل في كفاحه بين بدى الله .. "

" ان الأرض وعليها الانسان ضائعة في آفاق ليس لها نهاية ، وهذه الآفاق الكونية بما وسعت محكومة كلها بالقوانين الآلية " (١) .

وأما الكنيسة فقد أسست محاكم خاصة لمحاكمة رجال العلم والفكر ...

وكانوا اذا ثبت على أحدهم شيء استتب وأخذت عليه الموثيق بأن لا يعود اليه ... فاذا عاد قبضوا عليه والقوه حيا في النار أو رموا به من عال الى مكان سحيق ، فأهلك على هذه الصورة في مدى القرون الوسطى ، كثير منهم ... كما تحدثنا عن ذلك سابقا ...



هذه صورة صادقة للعالم كما بدا في أعين الناس بعد أن جاء "كوبرنيكس" فأخرج الأرض من مركز الكون وأطلقها مع الشمس في أجواء الفضاء ...

لكنها في أساسها صورة كاذبة لا أصل لها على الإطلاق في المعتقدات الدينية ، فليس في الأديان الكتابية عقيدة توجب على انسان أن يؤمن بجمود الأرض في مكانها ودوران الأفلاك من حولها . وليس في الأديان الكبرى قاطبة حكم من الأحكام يعلق مقاصد الخلق على وضع من أوضاع الفلك ...

لقد كانت صورة الأرض في وسط العالم من عمل "أرسطو" (٢) و"بطليموس" الا أنهما لم يتفقا على وضعها في ذلك الموضع ، ولا على تقدير الحركات الفلكية التي تحيط بموضعها ، وليس شيء من ذلك من فعل الأديان الكتابية الكبرى أبدا ...

وسنرى في الصفحات التالية مصداق ذلك ان شاء الله تعالى .

(١) راجع كتاب ديانة المستقبل تأليف "جون آلف بودين" ... نقلا عن كتاب عقائد المفكرين ، عباس محمود العقاد ص ٣٩ ط : دار الكتاب

المعربي بيروت - لبنان .

(٢) المرجع السابق ص ٣٩

(8)

موقف الاسلام ازاء الكشف الكورنيكي

أما موقف الاسلام فعموما كان ازاء العلم مختلفا عن موقف رجال الدين الكسبي .. اذ ليس هناك أوضح من ذلك الحديث الشهير للنبي صلى الله عليه وسلم . الذى يقول :

" اطلب العلم ولو في الصين " (١) . أو ذلك الحديث الآخر الذى يقول :
" ان طلب العلم فرضا على كل مسلم " (٢)

وهناك أمر رئيسي : القرآن الى جانب أنه يدعو الى المواظبة على الاشتغال بالعلم . فانه يحتوى أيضا على تأملات عديدة خاصة بالظواهر الطبيعية وبتفاصيل توضيحية تتفق تماما مع معطيات الحديث . وليس هناك ما يعادل ذلك في التوراة والانجيل ...

ومن تأمل في هذا القرآن الذى يقول الله فيه * ما فرطنا في الكتاب من شيء * وقوله * وهو تبيان لكل شيء * يجد هناك كثيرا من دواعي الإعجاز لا يتنبه اليها العقل الا بعد ان يبحث ويعين وينشط . هذا الإعجاز يظهر في دقة التعبير في القرآن الكريم وقد يبرر الانسان بنظرة متسارعة ببعض الآيات تدل على دورات الأرض أو على كرويته ، لا يشعر به الا بعد أن يتأمل بالدقة ولنضرب مثلا بدوران الأرض وكرويته .. ولكن قبل ان نمضي في التحدث عن هذا المثل .. فاننا يجب أن نجيب على سؤالين هامين :

السؤال الأول :- هل تجوز محاولة ربط القرآن بالنظريات العلمية نقول : ان

هذا أخطر ما نواجهه .. ذلك أن بعض العلماء في اندفاعهم في التفسير وفى محاولاتهم ربط القرآن بالتقدم العلمى .. يندفعون في محاولة ربط كلام

(١) الحديث أخرجه

(٢) أخرجه ابن ماجه ، مقدمه ١٧

الله بنظريات علمية مكتشفة بثبت بعد ذلك أنها غير صحيحة .. وهم في اندفاعهم هذا يتخذون خطوات متسعة .. ويحاولون اثبات القرآن بالعلم .. ولكنه كتاب عبادة .. ومنهج .. ولكن الله سبحانه وتعالى في علمه علم أنه بعد عدة قرون من نزول هذا الكتاب الكريم .. سيأتي عدد من الناس .. ويقولون انتهى عصر الايمان .. ويدا عصر العلم .. ولذلك وضع فى قرآنه ما يعجز هؤلاء الملاحدة الذين لا يؤمنون الا بالعلم التجريبي .. ويثبت ان عصر العلم الذى يتحدثون عنه قد بينه القرآن في صورة حقائق العلم .. بينه كحقائق كونية منذ أربعة عشر قرنا .. ولم يكشف العقل البشرى معناها الا في السنوات الماضية ..

فمطاء القرآن متجدد دائما كما يفهم هذا التجدد من قوله تعالى :
 * سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق *
 اذا لا يجوز تفسير القرآن بأية نظرية ما لم تكن حقيقة علمية ..

السؤال الثاني :- واذا قال بعض الناس هل يفهم من القرآن الآن ما لم يكن مفهوما لدى الأولين ؟ فيجيب عن هذا بأن في الآية التي ذكرناها ما يدل على هذا وهو حرف " السين " في كلمة * سنريهم * لأن معناها المستقبل .. والمستقبل هنا لا ينتهي .. بل أن عطاءه مستمر لهذا الجيل والجيل الذى بعده .. والجيل الذى بعده .. الى يوم القيامة .. ومن هنا فان الله سبحانه وتعالى قد أعلمنا أن هناك حقائق وآيات سيكشف عنها كل جيل .. ولكن كما قلنا - ونقول دائما - ليس معنى هذا أن نحمل معاني القرآن أكثر مما تحتل .. كما فعل ذلك كثير ممن انبهروا بالكشوف العلمية الحديثة ..

(١) يراجع في هذا الشرح الوافى الى كتاب معجزة القرآن ، محمد متولى الشعراوى ص ٨٦ - ٨٧ ولكن بتصرف طفيف .

وأن نتعامل معه على أساس أنه كتاب جاء ينبئنا بعلم الدنيا .. فالقرآن لم يأت ليحيطنا أسرار علم الهندسة .. أو علم الفلك .. أو علم الفضاء الى آخر هذا .. ولكن القرآن كتاب هدى الى الصراط المستقيم يقول تعالى *

الم - ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين *
ولكن الله - كما قلنا - وضع في كتابه الكريم ما يمكن أن نرد به على الذين يحاربون هذا الدين حتى يوم القيامة ..

ومن هنا فان آيات الكون الكبرى التي أنبأنا الله بها في القرآن الكريم والتي نحرف بعضها .. وبعضها لا نعرفه معرفة اليقين حتى الآن ...
أرادنا الله سبحانه وتعالى أن نفهم بها أولئك الذين يقولون انتهى عصر العلم ..
الايمان وبدأ عصر العلم ...

فليعلم الثقلان من الملاحظة وغيرهم أنه لا يمكن - بحال من الأحوال - أن يتعارض العلم الصحيح مع هذا القرآن المجيد - فأى علم يتناقض مع القرآن الكريم يعلم كاذب وغير صحيح ... (١)
بل أثبت العلم الحديث (٢) أنه لا توجد حقيقة كونية واحدة تتصادم مع ما جاء في القرآن .

واذا وجد هناك - في الظاهر - أن بعض المكتشفات العلمية يتصادم مع القرآن ، فنحن نؤكد مرة ثانية ان هذا التصادم المزعوم يأتي أحياناً عن حقيقة قرآنية أسىء تفسيرها لتبدو في غير معناها الحقيقي .. أو حقيقة علمية كاذبة يحاول الناس استغلالها ضد القرآن ..

اننا لا نثبت كتاب ربنا بالعلم ، وانما العلم هو الذى يحتاج الى أن يثبت ولكن نحاول أن نرد على هؤلاء الملاحدة أن كروية الأرض لا يتعارض مع القرآن الكريم .. ان القرآن الكريم قد أشار الى هذا الدوران في كلمتين فقط فافقرأ

(١) المرجع السابق ص ٨٩ بتصرف طفيف

(٢) دراسة الكتب المقدسة على ضوء العلم الحديث - موريس بوكاي ١٣٩

ما يلي :

(كروية الأرض - الأرض ٠٠٠ مددناها) ٠٠

فيهاتان الكلمتان قد أسىء فهمهما بحيث يستدل بهما بعض الناس ممن يريد النيل من الاسلام على أنهما يتعارضان مع كروية الأرض اذا قبل لهم : " ان الأرض كروية الشكل " يقولون : لا ! انها مبسوطة ومدودة لماذا ؟ لأن الله تعالى أخبرنا في كتابه العزيز بقوله * والأرض مددناها * فلذلك يجب أن نقف عندها قليلا لئلا يكون هذا سلاحا بأيدي الكفرة

الملحدين :

* والأرض مددناها *

ومعنى المد ٠٠ البسط (١) : أى بسطناها ٠٠ هذه حقيقة لا نزاع فيها وليس في استطاعة أحد أن ينكر هذه الحقيقة الملموسة في الكون ونحن نرى الأرض مبسوطة أمامنا ٠٠ فلا تناقض بين القرآن وبين الظاهر الموجود ٠٠ ولكن عندما اكتشفت كروية الأرض ٠٠ ثار علماء الدين واتهموا كل من يقول ان الأرض كروية بالكفر ٠٠ لأنه يخالف في رأيهم القرآن الكريم * ومن أمثال هؤلاء المتزمطين موجودون في العالم الاسلامي الى يومنا هذا . فنقول لهؤلاء وهؤلاء لقد أسأتم تفسير حقيقة علمية قرآنية ٠٠ الله تعالى أعطانا بنفس الكلمتين اللتين احتججتم بهما على بساطة الأرض * دليلا على كروية الأرض بل أعطانا أكثر من دليل على ذلك في القرآن * ولنناقش هذا كله :

اذا قالوا ان الأرض مبسوطة لأننا أينما ننظر الى الأرض نراها مبسوطة اذا كنت في خط الاستواء ٠٠ فالأرض أمامك مبسوطة ٠٠ فاذا انتقلت الى القطب الجنوبي فالأرض أمامك مبسوطة ٠٠ واذا كنت في القطب الشمالي فالأرض أمامنا مبسوطة ٠٠ واذا كنت في أوروبا ٠٠ أو أميركا ٠٠ أو آسيا أو أى قارة

من قارات الأرض الخمس فالأرض أمامك مبسوطة وبالأرض مبسوطة أمام
البشر جميعا في كل موقع موجودين فيه فالأرض اذن مبسوطة — لأنها
لا يمكن أن يحدث هذا في جميع أماكن الأرض الا اذا كانت مبسوطة ..
هذا دليل المعارضين في عدم كروية الأرض استدلالا بقوله تعالى :

* والأرض مددناها *

وأما نحن نستدل أيضا بما استدلوأ به على كروية الأرض :

كون الأرض مبسوطة في جميع جهات الأرض دليل على كرويته بدليل
أنها لو كانت الأرض في أى شكل من الأشكال غير الكروية لوصل الماشى
في الأرض الى حافة فمثلا ان المثلث له ثلاث حفات لو مشى عليه ماش ليصل
الى احدى حافته ان طالت مدة المشى أو قصرت .

وهكذا المربع أو المسدس أو غير ذلك فالشكل الوحيد الذى نراه مبسوطة
أمانا باستمرار ولا يمكن أن نصل الى حافة لها مهما مشينا عليه هو الشكل الكروى
فقط لا ثاني له أبدا .

وهكذا أبلغنا القرآن في كلمتين اثنتين * والأرض مددناها * الى
كروية الأرض تتناسبان مع كل زمان ومكان بدون أن تتصادمان مع مفهوم الذين
نزل القرآن في أيامهم ، ولا مع الذين بلغوا الى سطح القمر في القرن العشرين ..
وصوروا الأرض وهم على سطح القمر .. بألفها من عجب وأعجاز !

اذن فالأرض مبسوطة أمانا في كل مكان ، لأنها كروية الشكل ولو
ذلك لوصلنا الى حافة ما صدق الله * والأرض مددناها * .

وبتضح القول بما مضى ، في أن الكشف الكوبرنيكي لمركز المالم لا يتعارض
مع القرآن العظيم . ومن الروائع أن القرآن المجيد قد أثبت كل ذلك قبل أن يصل
اليه العقل البشرى منذ قرون عدة .

وكما نؤكد أيضا أن هذا الكشف — لو كان — في جو نظيف بعيد عن طغيان
الكنيسة ومكائد اليهود ، لما حصل هذا الاتحاد الفظيع الذى شمل كل شىء ..
وكل كيان .. وبعد هذا تنتقل الى آية أخرى تؤكد الآية السابقة وهي
كالتالي :

قوانين الكون

* لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون * (١)

والحديث هنا عن قوانين الكون .. الشمس لا تدرك القمر .. لا نهما كما قال العلماء بتحركان في خطين متوازيين لا يلتقيان أبداً .^(٢)

ان هذه الحقيقة العلمية انما ظهرت في هذه السنوات الأخيرة .. وذكرها القرآن منذ أربعة عشر قرناً .

والشاهد عنفنا في هذه الآية في قوله تعالى : * ولا الليل سابق النهار * ان هذه الكلمات الأربعة * ولا .. الليل .. سابق .. النهار * يعطينا الله بها أنه خلق الأرض على هيئة كرة . وكيف يفهم هذا من الآية ؟ ؟

وتحقيق ذلك كالآتي : * ولا الليل سابق النهار * في هذه الكلمات الأربعة حقيقتان : لا النهار يسبق الليل .. ولا الليل يسبق النهار .. لا النهار يسبق الليل حقيقة كانت معلومة عند العرب ... ولم يتعرض لها القرآن لأنها حقيقة .. لا الليل يسبق النهار خطأ كان موجود عند العرب فصحه القرآن بقوله * ولا الليل سابق النهار * اذن لا النهار يسبق الليل .. ولا الليل يسبق النهار .. معنى ذلك أن الليل والنهار يوجدان معاً في وقت واحد على الأرض .. لأن النهار لا يسبق الليل .. والليل لا يسبق النهار .. وهذا لا يتأتى الا اذا كانت الأرض كروية .. لكن ليس هذا هو القصد النهائي من الآية .. الله سبحانه وتعالى صحح بهذه الآية معتقدات العرب في أن الليل سابق النهار ، وقرر بهما أيضاً أن الليل والنهار موجودان معاً على الأرض في آن واحد ، ليعلمنا عن حقيقة خلق الأرض .. وتوضح ذلك بضرب أمثلة بسيطة :

(١) سورة يس الآية ٣٨

(٢) راجع كتاب معجزة القرآن : متولى شعراوي ص ٩٠

لو أن الله تعالى قد خلق الأرض مسطحة .. فاما أن تكون الشمس
ساعة الخلق في مواجهة السطح .. وحينئذ يكون النهار قد وجد أولا ..
ثم يأتي بعد ذلك الليل ..

واما ان تكون الشمس غير مواجهة للسطح ساعة الخلق .. ومن هنا يكون
الليل قد أتى أولا .. ثم بعد ذلك يأتي النهار ..

ولكن كون الله - سبحانه وتعالى يقول لنا أن النهار والليل خلقا معا .. لم
يسبق أحدهما الآخر دليل على/الله سبحانه وتعالى قد خلق الأرض كروية ..
لأنه حدد الشكل الوحيد الذي يوجد فيه الليل .. والنهار .. على سطح الأرض
معا ساعة الخلق ..

وهكذا نرى - أيها القارئ الكريم - أن القرآن الكريم قد مس حقيقة
هامة في أربع كلمات ولم يصل إليها العلم البشري كله الا في الاونة الأخيرة
فليعلم الذين افتتنوا بالكشف الكوبرنيكي الى حد الالحاد ظانين أن العلم يناقض
الدين فليعلموا ان القرآن قد سبقهم في هذا المضمار . ولو كان عندهم الصبر
والاجتهاد والنسبة الطيبة لراجعوا القرآن الكريم عند تمت الكهسة ورجالاتها
الطفاة . ولكنهم كانوا في الحادهم يممون ..

دوران الأرض .. والجبال (٢)

ان الكشف الكونيكى لدوران الأرض حول نفسها وحول الشمس، مما يتجج به
الملاحظة ويدعون أن هذا الكشف يخالف تلقائيا تعاليم جميع الأديان قاطبة ..

(١) استفدنا هذه المعلومات القيمة من كتاب معجزة القرآن تأليف متولى شمرأوى
مع تغييرات طفيفة ص ٩١ - ٩٢

(٢) أن هذا الدوران رغم شيوخه لم يزل في أوروبا أناس يشكون في ذلك : ومن
هؤلاء العالم الرياضى الكبير الفرنسى (بوانكاريه) في كتابه (العلم والفروض
العلمية) يرى ان الدوران مقبول ولكنه يحتاج الى اثباته بالأدلة المحسوسة
ان هذا يدل على ان الأمر لم يكن محل اتفاق عند العلماء في أوروبا ..
راجع دائرة القرن العشرين فريد وجدى ج ١ ص ١٨٢

نقول لهم : ان هذا ادعاء بغير دليل . وان كانت الكنيسة في أوروبا قد طفت وأنت بهذه الجريمة النكراء ، هل من الانصاف في التحقيق أن تضرب جميع الأديان بنفس المصا ؟ .. هذا مما يتنافى مع العلم الحديث .. ولو تكلف الملاحدة برجوع الى دراسة الدين الاسلامي المجيد دراسة موضوعية ، لوجدوا فيه بنيتهم .. ولكن الاحاد ظلمات تغشى القلوب ، وتمسى البصائر وتجعل الانسان في حيرة في أمره . كما هو واضح في تصرفات هؤلاء الملاحدة .

والسؤال هنا هو : ما هو موقف القرآن من دوران الأرض حول محورها ودورانها حول الشمس ؟

نقول : ان من تدبر في معاني القرآن بما يتعلق بذلك ، يجد أن القرآن الكريم فيه دلالات متعددة على حركة الأرض بنوعيتها ، ولكنها جاءت عن طريق الإشارة لا صريح العبارة مراعاة - فيما أظن - لمقتضى الحال في خفايتها وعدم احساس الناس بها .

فلو أن القرآن صاح الناس - آنذاك - بحركة الأرض وهم يحسبونهم ساكنة لكذبوه .. وحبل بينهم وبين هدايتهم كما كذبوا الرسول صلى الله عليه وسلم في قضية الاسراء والمعراج

فكان من الحكمة البالغة ومن الاعجاز البلاغي في الأسلوب أن ينبه الناس في كتابه الله الى آياته سبحانه في حركة الأرض حول محورها ، وفي حركتها حول الشمس بمختلف الاشارات الى نتائج كل من الحركتين منها عليهم بها ، وحثا لهم على اكتناه أسبابها ..

حقيقة توجب الإشارة اليها

ان القرآن الكريم له طريقة خاصة في تقرير هذه الحقيقة ، حقيقة دوران الأرض حول نفسها ، وهي تخالف طرق أهل الأرض جميعا . لأنهم حينما بحثوا في هذا الموضوع ، بحثوا فيه بحثا جافا جامدا لا روح فيه لا يصل الى هدف نبيل ، كما دتيم في تقرير أية حقيقة علمية .. وأما القرآن يستخدم مشاهد الكون وحقائق النفس في اثبات العقيدة الصحيحة .. فيجمل

الكون كله اطارا للمنطق الذى يأخذ به القلوب ، و يوقظ به الفطرة ويجلوها
 لتحكم منطقها الواضح السواصل البسيط ، ويستجيبن به المشاعر والوجدان بما
 هو مركز فيها من الحقائق التي تخشعها الغفلة والنسيان ويحجبها الالحاد
 والكفران ويصل بهذا المنطق الى تقرير الحقائق العميقة الثابتة في تصميم
 الكون وأغوار النفس ، والتي لا تقبل المراءى الذى يقود اليه المنطق الذهني
 البارد الذى انتقلت عدواه اليها من المنطق الاغريقي وفشا فيما يسمى علم
التوحيد أو علم الكلام ، أو يصل اليه العلم الحديث التجريبي البحت .

الحركة اليومية للأرض في القرآن

وبعد هذا نقول للقارئ الكريم : اذا أردنا الدلالة على الحركة اليومية
 للأرض في القرآن وجدناها في قوله تعالى :

* يَفْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ بِطَلَبِهِ حَثِيثًا * (١) فالفشى يفتح ان يكون الليل
 أو النهار لأن التعبير بحتلها - كما يقول الزمخشري (٢) واذن فهو يشملهما اذ لو
 كان أحدهما هو وحده الفشى لا الآخر لجاء التعبير القرآني نصا في ذلك
 لا بحتل غيره لأنه كلام الخالق سبحانه الذى لا يجوز أن يأتي
 لفظه أضيق أو أوسع من المعنى الذى قصد ، واذن فكل من الليل والنهار
 يطلب الآخر طالبا حثيثا باذن الله وبقدرة الله ، كى يفشاء ثم يكون
 ذلك على وجه التجدد المستمر كما تفيد صيغة المضارعة في الفعلين
 مع الحالية في الفعل الثانى .

فتأمل معي أيها القارئ - جلال هذه الكلمات القرآنية الخمس كيف صورت
 أدق تصوير تلك الظاهرة الكونية العجيبة ، ظاهرة زحف النهار اثر
 الليل حالا محلته من طرف ، وزحف الليل اثر النهار حالا محله من الطرف

(١) سورة الأعراف : ٥٤

(٢) تفسير الكشاف الزمخشري ج ٢ ص ١٠٩

وقال : " وقرئ يَفْشَى بالتشديد . أى يلحق الليل النهار ، والنهار بالليل
 بحتلها جميعا " .

الآخر ففي كل بقعة من بقاع الأرض أثناء دورتها اليومية حول نفسها •
أو حول محورها أمام الشمس ، نتيجة لذلك الدوران الذي يدل على عظم
جلاله وجماله . (١)

* * *

ثم هذا الدوران نفسه قد دل القرآن عليه بما يكاد يكون نصا صريحا
في قوله تعالى :

* يَكُورُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُورُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ * (٢)

اللفظة الكور واللى (٣) يقال : " كارت العمامة على رأسه وكورها " كما يقول

الزمخشري في تفسيره • إلا أنه جعل يلتصق لذلك معنى مجازيا • لما غاب

عنه ما ظل مجهولا للناس أجمعين لقرون بعده ، من أن الله سبحانه يلف

الليل على النهار بلف محوري حقيقي للأرض التي هي محل الليل • ويلف

النهار على الليل بلى حقيقي لأشعة ضوء الشمس في غلاف الأرض الهوائي

الذي تملوه الظلمة وهي تدور • (٤)

وفي الفعل (يكور) المكر مرتين في الآية محجرة علمية أخرى ، إذ قد

دل بوضوح على كروية الأرض بكروية جوها الذي يشغله • ويتماور الليل

والنهار على التجدد على كل بقعة من بقاع الأرض ، وفي هذا غناء عن

الاستشهاد على كروية الأرض بكلمة (دحاهما) (٥) التي اختلف فيها

الناس اختلافا كبيرا •

(١) الضمير في قوله تعالى : يَفْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ فإنه راجع إلى لفظ الجلالة

في أول الآية الكريمة في سورة الأعراف : ٤ •

(٢) سورة الزمر : ٥

(٣) راجع لسان العرب ج ٥ / ص ١٥٢ ، وراجع أيضا الصحاح في اللغة والعلم
ص ٤١٨

(٤) راجع تفسير الزمخشري ص : ١١٢ ج ٤ طبع الكتاب العربي •

راجع كتاب الإسلام في عصر العلم محمد أحمد الخمراوي • اعداد د • أحمد عبد
الإسلام الكرداني ص ٢٧٣ •

(٥) إشارة إلى قوله تعالى : والأرض بعد ذلك دحاهما • في سورة النازعات : ٣٠

حركة الأرض السنوية حول الشمس

في القرآن

أما حركة الأرض السنوية حول الشمس ففي القرآن دلالات كثيرة ولكن نكتفي
بواحدة منها وهي دلالة تكاد تكون في صراحة عبارة تنص على أن للأرض
حركة غير حركتها اليومية ، وتلك هي دلالة قوله تعالى :

* وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرمر السحاب ، صنع الله الذي
أتقن كل شيء * (١)

والسحاب كما هو معروف لا يتحرك بذاته ولكن ينتقل محمولا على الرياح
فكذلك الجبال يراها الرائي فيظنها جامدة في مكانها وهي تمرمر بسرعة محمولة
أيضا ، وليس لها حامل إلا الأرض ، فالأرض اذن هي المسرعة بها كما
تسرع الرياح بالسحاب وكلا الأمرين من صنع الله الذي أتقن كل شيء .
فلاستنتاج في الواقع قريب غير بعيد لأن قوله تعالى * تحسبها * يدل
أول ما يدل على رحمة الله بالعقل البشري . فالإنسان يظن - كما قلنا -

أن الجبال جامدة . . ولكن الله تعالى يريد أن يخبرنا بأن هذه الجبال التي نراها
أماننا ونحسبها جامدة تتحرك من مكان إلى آخر ، ولكنها تمرمر السحاب
لماذا ؟ لأن السحاب لا يملك ذاتية الحركة . . لا يتحرك بنفسه . . إنما
تحركه الرياح فالسحاب ليدون الرياح يبقى في مكانه . ولكن الرياح
هي التي تدفعه من مكانه إلى آخر . وكذلك الجبال لا تتحرك بنفسها
لأنها هي أوتاد الأرض ورواسيها إذ قال الله أنها تمرمر السحاب ،
يدرك العقل أن حركتها ليست ذاتية بل هي تابعة لحركة أخرى تدفعها . .
تماما كما تدفع الرياح السحاب . .

فهذا من معجزات القرآن الكريم الذي ينبغي أن يدل الناظر إلى أن في
حركة الأرض الحاملة للجبال من آيات الله ومن المنافع لعباده ، ما يشبه الآيات
والمنافع التي أودعها الله في حركة الرياح الحاملة للسحاب والتي نوه

الله بها في آيات كثيرة من كتابه الحكيم . (١)

لماذا لم يذكر المفسرون دوران الأرض؟

نقول : انه ليس عجيبا ان يفوت المفسرين جميعا هذا المعنى على قربة لمن يصرف ما أثبتته العلم الحديث للأرض من حركة حول الشمس ، لأنهم لم يكونوا يصرفون أن للأرض حركة ما ، لا يومية ولا سنوية . ومن هنا صرفوا المعنى عما يقتضيه الفهم المطلق في الآية الكريمة ما يستلزمه قوله تعالى : ﴿ صنح الله الذي أتقن كل شيء ﴾ . من أن الظاهرة التي لفت الله إليها الإنسان في قوله : ﴿ وترى الجبال ﴾ هي ظاهرة كونية فيها من اتقان الصنح ما يدل على جلال حكمته وقدرته سبحانه . . .

ولكن المفسرين - جزاهم الله عنا خيرا - رأوا أن الآية تدل على النقض لسنن الله في الكون يوم القيامة أي بين بدى يوم القيامة ، وهذا ليس بعيدا فحسب ولكنه أيضا لا يتناسب مع ظاهر الآية الكريمة . والذي دعاهم الى هذا أمران :

أولهما : ما ذكرناه من أن دوران الأرض لم يكن مألوفاً عند الناس حتى الفلاسفة اليونانيين .

ثانيهما : رأوا أن الآية ذكرت بعد آية تدل على القيامة وهي قوله تعالى : ﴿ ويوم نفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين ﴾ (٢) . ثم جاءت الآية ﴿ وترى الجبال ﴾ فقالوا " ان مشهد الجبال هكذا يتناسق مع ظل الفزع ، ويتجلى فيه وكأنما الجبال مذعورة مع المذعورين مفزوعة مع المفزوعين هائلة مع الهائمين الحائرين المنطلقين بلا وجهة ولا قرار " (٣) .

(١) يراجع في هذا التفسير الى كتاب معجزة القرآن ، متولى الشعراوي ص ٩٣ ، وكتاب الاسلام في عصر العلم محمد احمد الحمزاوي ص ٢٧٥

(٢) في سورة النمل : ٨٧

(٣) راجع في ظلال القرآن ، سيد قطب ج ٢٠ المجلد السادس ص ٣١٤ وراجع ايضا تفسير زاد المسير في علم التفسير الامام ابي الفرج ج ٦ ص ١٩٦ ، تفسير

هذا ما ذهب اليه جلّ المفسرين من * أن صنع الله * في الآية يدل على نقض السئل الكونية .

موقف الزمخشري من هذه الآية الكريمة

ومن راجع تفسير الزمخشري يجد أنه وحده الذي أدرك بدوقه البيانسي عدم التلازم بين قوله تعالى * صنع الله الذي أتقن كل شيء * وبين ما سيحل بالجيال بين يدي الساعة ، فقدر محدّوفاً يلبق في رأيه بذلك الصنع المتقن إذ قال : " والمعلّى يوم ينفخ في الصور وكان كيت وكيت ، أثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين " ثم قال : * وصنع الله * يريد به الاثابة والمعاينة وجعل هذا الصنع من جملة الأشياء التي اتقنها وأتى بها على الحكمة والصواب الى آخر ما قال مما رفضه غيره مثل أبي حبان في تفسيره ونسبه الى مذهب الزمخشري في الاعتزال .

ونقول : ولو عرف الزمخشري وأبو حبان ما نعرفه اليوم - بمنه تعالى - من دوران الأرض حول الشمس بتلك الكيفية الباهرة وما يحكمها من تلك السنن الالهية الدقيقة القاهرة وما يترتب عليها من المنافع للناس ، اذن لكبروا الله وتسارعوا الى المعنى المتبادر من الآية ومن تشبيهها التمثيلي ومن القرائن الحسية والبلاغية فيها ولفهموا الخطاب في * وترى الجبال * على أنه خطاب للإنسان الآن وفي كل عصر آت ، بدله على آية من آيات الله الكبرى على يهتدى الى الله .

عودة الى أدلة المفسرين

وأما أدلة المفسرين التي تقول ان الآية * وترى الجبال * تدل على يوم القيامة تتعارض مع آيات أخرى في القرآن الكريم والبك بعضها منها :

=== ابن كثير سنة ٧٧٤ ج ٥ ص ٢٦٠ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . تفسير جامع البيان في التفسير ، للشيخ السيد محين الدين محمد بن عبد الرحمن الحسني الحسيني الايجي الشافعي سنة ٨٣١ - ٨٩٤ هـ ج ١ ص ١٨٨ وهو يقول ان هذه الآية تدل على احوال الجبال يوم القيامة يعني يسير أولاً ثم ينفسها الله ثانياً ثم تكون هباءً منثوراً والله أعلم .

(١) تفسير الكشاف للزمخشري ج ٣ ص ٣٨٧

نقول لهم : ان وصف الحساب لا يناسب يوم القيامة ولكن هناك يقينا .

* فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد * (١)

ويقول الله سبحانه وتعالى عن الجبال يوم القيامة :

* ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا * (٢)

فكيف ينسفها الله ثم نحسبها جامدة ويقول الله سبحانه وتعالى :

* يوم تبدل الأرض غير الأرض .. والسموات * (٣)

في يوم القيامة .. فينسف الله الجبال ويبدها .. وكل شيء أمامك يكون يقينا فأنت ترى الجنة .. وترى النار .. وترى الله رؤيا اليقين .. فالحسابان في الدنيا واليقين في الآخرة ..

ثم نقول لهم : لو تأملوا في الآية التي قبل الآية * ويوم ينفخ في الصور .. * لوجدت مثبلة للآية * وترى الجبال ... * وهي تتجدث أيضا عن ظاهرة من حركة الأرض وهي قوله تعالى : * ألم يروا أنا جعلنا الليل ليكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون *

فان من لطيف المناسبة أن تشير آية * ألم يروا أنا جعلنا الليل ليكنوا فيه والنهار مبصرة * الى ظاهرة تنشأ من إحدى حركتي الأرض وأن تشير آية * وترى الجبال * الى الحركة الأخرى تلك الإشارة المجيئة .

ومن حكمته البالغة ان جعل بين الآيتين آية تتعلق بيوم البعث ، لتصرف الأذهان بها عن المعنى الذي لم تكن لتعقله قبل أن يأذن الله بالكشف عن سنة الله في حركة الأرض حول الشمس كسيار من السيارات التي أقسم الله بها تثبيتها الى آياته فيها . ان يقول سبحانه :

* فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس *

(١) في سورة

(٢) في سورة

(٣) في سورة

ولما كان القرآن انما أنزل لهداية للناس ، قد اقتضت الحكمة الالهية
في آياته الكونية أن ينزل بأسلوب لا يصدىم البديهي المسلم به عند الناس
فيكذبوه ولا يثافي الحقيقة الكونية فيكون ذلك داعيا الى تكذيبه ان ايسر
الله سبيل الكشف عنها لا ولي العلم في مستقبل المصور . .

وهذا من أعجب عجائب القرآن التي لا تنقضى ، ومن أدل الدلائل على
أن القرآن - حقاً من عند الله - فان التعبير عن الحقيقة الكونية بأسلوب يطابقها
تماماً أو يدل عليها أولى العلم .

ولعل أوضح مثل لهذه الظاهرة القرآنية المجيبة قوله تعالى :

* والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ■

فانظر الى القضية الأولى ، قضية أن الشمس تجري ، كيف انطبقت على البديهي
المساهد من حركة الشمس في السماء من المشرق الى المغرب في كل مكان يحيط فيه
الانسان ، في نصف الكرة الشمالي وفي نصفها الجنوبي من قطب الى قطب لكن
هذه الحركة انما هي في الظاهر ، وقد فسرتها الفلسفة اليونانية أو العلم
القديم ، بما فسرت أو فسره ، مما خطأه علم الفلك الحديث اذ أثبت أن حركة
الشمس في الظاهر حول الأرض - كما هو معروف - هي حركة نسبية راجعة في
الحقيقة الى حركة الأرض حول محورها ، امام الشمس من المغرب الى المشرق
مرة في اليوم . . ينشأ عنها النهار والليل ■ كما أثبت للأرض حركة سنوية حول
الشمس تنشأ عنها الفصول .

فهل فقدت الآية الكريمة شيئاً من دلالتها . بهذا الذي أثبتته العلم ؟ ان
الذي جدد بما أثبتته العلم هو انتقال الحركة من الشمس الى الأرض فصار للأرض
حركتان تفسران الليل والنهار واختلاف الفصول ■ بدلا من حركة الشمس وحدها .

(١) سورة يس : ٣٨

(٢) راجع كتاب (لله العلم) بشير التركي ص ١٠٢

وهنا نتبين عجيبة من عجائب الاعجاز العلمي في القرآن . فقد جاء علم
الفلك الحديث بعد نحو ثلاثة عشر قرنا من نزول القرآن فأثبتت للشمس حركة
غير هذه الحركة الظاهرة من المشرق الى المغرب . فقد أثبت أن هذه الحركة
ذاتية للشمس ، وقدر سرعتها بركبيها أي من حيث المقدار والاتجاه ، فأما
المقدار فهو (اثني عشر ميلا) في الثانية تقريبا . وأما الاتجاه فهو نحو
النجم المسمى (فيجا) في الانجليزية والنسر الواقع في العربية ، أي أن
علم الفلك الحديث أثبت أن الشمس على عظم كتلتها الهائلة ، تجري في الفضاء
بسرعة اثني عشر ميلا في الثانية في اتجاه النسر الواقع . (١)

■ والشمس تجري لمستقر لها ، ذلك تقدير العزيز العليم *

فأنت ترى معنى - الان - ان في قوله سبحانه * والشمس تجري * معجزة
علمية عظيمة لم تكن تخاطر لأحد على بال ، حتى كشف عنها علم الفلك
الحديث ، لم يكشف عنها الا في القرن التاسع عشر بعد أن تهيأ له من آلات الرصد
وأدوات التحليل الضوئي ومن القدرة على تفسير النتائج التي توصل اليها عن طريقها
ما أدى به الى الكشف عن ذلك السر العظيم ، كتلة من النار قدر كتلة الأرض ٣٣٦
الف مرة تقريبا تجري في ملكوت الله بسرعة تزيد على ضعف ما يسمونه بالقمر
الصناعي في دورته حول الأرض . (٢)

لقد فتن الناس وكلدوا ، بهذه الأقمار أو القميرات الصناعية التي ليس للانسان
فيها الا صنعها واحكام اطلاقها مستعملا في ذلك ما وهبه الله من علم ومقدرة .
أما دوراتها حول الأرض فليس له فيه فضل . اذ هي انما تدور طوعا لسنن
الله في الحركة من ناحية وفي الجاذبية بينها وبين الأرض من ناحية
أخرى ، إن صح التعبير .

(١) راجع كتاب الاسلام في عصر العلم ، محمد احمد الفخراوى ص ٢٨١ والعلم
عند الله .

(٢) راجع كتاب العلم يدعو الى الايمان ص : ٥٥

السؤال المجيب :

فكيف يمكن أن يكون في هذه القميرات دليل على وجود الانسان وما بلغ من رقي في الصناعة والحلم ، ولا يكون في الشمس وجريها في الفضاء على ذلك الوجه العظيم المائل دليل على وجود الله العزيز الحكيم سبحانه الذي خلق الشمس واجراها ، وقدر لها مجراها في الفضاء ؟ ان في ذلك لآية للمتوسمين * .

وأخيرا ان المعجزة العلمية الكبرى المتمثلة في قوله تعالى * والشمس تجري لمستقر لها * ينطوى تحتها في الواقع معجزة اخرى ، ان قد خطأت علم الفلك القديم حين قال في تفسير الشروق والغروب : ان الشمس معلقة أو مركوزة في فلك مادي كروي هو الذي يدور بالشمس حول الأرض ، فجعل حركة الشمس غير ذاتية . . والآية الكريمة تقول أن لها حركة ذاتية سرية . فان الجري لا يمكن الا أن يكون ذاتيا . . . وقد وجد التفسير الفلسفي أو الفلكي القديم طريقة الى كتب التفاسير ليس فقط فيما يتعلق بالشمس ولكن أيضا فيما يتعلق بالقمر . . . وقد اعتبرها فلاسفة اليونان خطأ - من السيارات ، التي فسروا حركتها عبر السماء بما فسروا به حركة الشمس فافترضوها أي السيارات ، مركوزة في افلاك كرية شفافة مجوفة بعضها داخل بعض ، ومركزها جميعا الأرض فهي تدور كلها بحركات مختلفة من المشرق الى المغرب حول الأرض التي جعلوها ساكنة لا حركة لها وتبهم في ذلك فلاسفة المسلمين والمفسرون (١) . . . لا عيب فيهم الا أن أيامهم تقدمت على هذه

الكشوف العلمية المجيبة .

(١) راجع كتاب الاسلام وتذوالمصر الحديث محمد احمد الفمراوى ص ٢٨٢ .

من هدايا القرآن

لقد رأينا فيما سبق ان العلم الحديث قاصر في فهم شئ من أسرار الكون حتى في فهم أسرار المادة نفسها التي يعبدها الملاحدة فتجد أحدهم يضرب الأرض برجله ويقول : " هذه هي الحقيقة " اذا كان الأمر كذلك فهل لنا محشر المسلمين أن نقدم لهم هدايا من القرآن الكريم اذا رجعوا اليها لعلمهم بهتدون ؟ فما هي اذن تلك الهدايا ؟

لنبداً بأول آية - بعد البسطة - في أول سورة من القرآن • لنبدأ بالآية الكريمة فاتحة أم الكتاب * الحمد لله رب العالمين * ولندع شطرها الأول * الحمد لله * للمؤمنين • لنجعل شطرها الثاني * رب العالمين * الهدية الأولى لا رباب الجبال العلمية ولنخيرهم •••

ان كلمة * العالمين * لا شك أنها كلمة فاجأت العرب من ناحيتين على الأقل : ناحية الجمع وناحية تذكير الجمع ، فلذا اختلف المفسرون في مفهوم رب العالمين (١) لأنهم لم يكونوا يعلمون الا عالماً واحداً هو يعيشون فيه • والناس الى اليوم لا يتحدعون الا عن عالم واحد هو الذي تبصرون ونحس ونعيش فيه • فلما جاء القرآن بلفظ الجمع لكلمة العالم • قصرت أفهام الناس في فهمه لأنه شئ • لم تألفه الاً سماع والا فهم والا أفكار •

والتمس المفسرون تلك العوالم المتعددة ، فقبل هي : عوالم الانس والجن والملائكة وقبل هي عوالم الحيوان والنبات والجماد وغير ذلك مما ذكره المفسرون بهذا الصدد • فعلى من يريد المزيد مراجعة التفاسير التي تذكر أسماء هاهنا الهامش (١)

(١) تفسير الطبري ابن جرير : ج ١ ص ٣٣

(٢) التفسير القرطبي : ج ١ ص ١٣٨-١٣٩

(٣) التفسير الكبير : فخر الرازي ج ١ ص ٦

(٤) تفسير الكشف : ج ١ ص ١٠ (٥) تفسير أضواء البيان : ج ١ ربح المعاني لألوسي ج ١ ص ٢٩

(٦) تفسير ابن كثير : ج ١ ص ٣٠ (٧) تفسير المراغي : ج ١ ص ٣٠

(٨) تفسير المنار : ج ١ (٩) التبيان • الطوسي ج ١ ص ٣٢

(١٠) فتح القدير ، محمد الشوكاني ج ١ ص ١٩

(١١) تفسير أبي سعيد الجزء الأول ص

(١٢) تفسير الجواهر ج ١ الدائرة ص ١٢٠

ولكن ليس كل ذلك بموف معنى ذلك اللفظ : لفظ * العالمين * . وأنت اذا قلت

"العالم" لم تفهم الا عالما واحدا - هو هذا الشامل لكل ماترى من أرض وسماء .

ولكن اذا أخذنا بحرفية اللفظ في الفهم دون التفات الى المجاز يكون هذا

العالم واحدا من أفراد * وعالما من عوالم مثله ، فأين هذا المفهوم الجديد فى

الكتب الفلسفية وفي أى كتاب قبل القرآن العظيم ؟

اذن ان هذا المفهوم هدية من هدايا القرآن الى هذا الكيان الانساني .

ثم جاء العلم الحديث بحلم الفلك الحديث * بمراقبه ومراصد * وتحليلاته

الرياضية وغير الرياضية فبين أن المجموعة الشمسية التي نحن فيها ومنها ، ليست

في هذا العالم المجرى شيئا مذكورا ، وبين أن هناك عوالم أخرى متراصة

المطارج تعد لا بالمئات ولا بالآلاف ، ولكن بالملابيين ^(١) .

لكن العلم الحديث لم يمتد الى الآن في العوالم الأخرى الى أرض كأرضنا ..

اذن على ارباب الجمالة العلمية الملاحدة ان يجتهدوا في البحث عن هذه العوالم

الأخرى ، واما أن يأخذوا لفظة * رب العالمين * هدية لهم من القرآن

الكريم . فلا يدعوا علم جميع ما في هذا الكون الواسع الملىء بالأسرار الغامضة ..

هدية ثانية

وهي في قوله تعالى * الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل

الأمير ببنين لتعلموا أن الله على كل شىء قدير وأن الله قد أحاط بكل شىء

علما * (٢)

ان (أل) في * الأرض * هنا هي حتما للجنس لا للمزيد ، بدليل قوله

* مثلهن * والسموات السبع متعددة وليس في ذلك شك ، فلا بد أن تكون

الأرضون السبع متعددة ايضا على نفس النحو والنمط . لتتحقق المثلية المنصوص

عنها في الآية ، لا أنهم سبع طبقات في أرضنا هذه كما فهم الناس ويفهمون

(١) العلم يدعو للايمان ص ٥٩

(٢) سورة الطلاق آية ١٢

فأرضنا واحدة • وليس يفهم العلم ولا الناس من لفظ الأرض إذا أطلق إلا أرضنا هذه جملة بحذاقيرها وطبقاتها كلها ، فتفسير الأرضين السبع بطبقات سبع في هذه الأرض تفسير لا يتفق مع اللغة ، ولا مع العلم ولا مع القرآن ولا مع الحديث الكريم : " اللهم رب السموات السبع وما أظلمهن ورب الأرضين السبع وما أظلمن " لمن يدقق في فهم الحديث •

هذه النتيجة التي تتفق مع حرفية القرآن • وحمله على الحقيقة اللغوية لا على المجاز ، تحل لنا وللاسانية مشكلة السموات السبع حلا حاسما • فقد عجز الناس الى الآن عن الوصول الى فهم للسموات السبع فمثلا :

قال بعضهم انها السيارات السبع ، فظهر من السيارات عشرة ليس من بينها القمر كما يقول اليونان (٢) •

وقال بعضهم انها سبع عوالم في السماء ، فكانوا كأن لم يقولوا شيئا ، انه ليس هناك ما يحدد معنى عوالمهم هذه • والعوالم والاكوان اكثر من سبعة بكثير • وأما العلم الحديث يتحدث عن سبع السموات على النحو التالي :

" انا لدينا اليوم معطيات علمية عديدة تدفعنا الى أن نقسم الفضاء الكوني كما يلي : (١) :

(١) - السماء الأرضية : وهي سماكة الجوالتي يبلغ ارتفاعها أربعين كيلومترا تقريبا •

(٢) - السماء القمرية : فاذا ضربنا هذا العدد الذي يمثل بعد السماء الأرضية في عشرة الاف مرة وجدنا قيمة بعد السماء القمرية أي ما يقرب من أربع مائة ألف كيلومتر •

(٣) - السماء الشمسية : واذا ضربنا هذا العدد الأخير في عشرة الاف مرة أخرى وجدنا ما يقرب من أربع مليارات كيلومتر أي معدل قيمة شعاع سماء النظام الشمسي •

(١)

(٢)

(٣) لله العلم تأليف بشير التركي ص ١١٣ - ١١٤

(٤) - سماء النجوم القريبة : وإذا ضربنا هذا العدد الأخير في عشرة

الاف مرة أخرى وجدنا خمس سنوات ضوئية ^(٦) تقريباً وهو قيمة

بعد مجموعة النجوم القريبة .

(٥) - سماء المجرة : وإذا ضربنا هذا العدد الأخير في عشرة الاف مرة

أخرى وجدنا خمسين الف سنة ضوئية وهو معدل قبة شمـاع

مـجرتنا ..

(٦) - سماء المجرات القريبة : وإذا ضربنا هذا العدد الأخير في عشرة

الاف مرة أخرى وجدنا خمسة الاف مليار من السنوات الضوئية وهو عدد

المجرات القريبة " (٦)

(٧) - سماء الكون : وإذا ضربنا هذا العدد الأخير في عشرة الاف مرة أخرى

وجدنا خمسة الاف مليار من السنوات الضوئية وهذا البعد يفوق عمر

الكون اذ أن عمر الكون لا يفوق خمس عشرة مليار سنة وهذا يعنى

اذا تكون جرم سماوى قبل خمس عشرة مليار سنة وابتعد بسرعة الضوء

وهي أكبر سرعة نعرفها في الكون وهو يبعث البنا نورا كي نتبين

موقعه فلا يكون ذلك الجرم أبعد من خمس عشرة مليار سنة ضوئية

فبتضح اذن أننا بهذا الرقم الذى هو خمسة الاف مليار من السنوات

الضوئية قد خرجنا من الحدود الكونية .

ثم قال : فهذه هي السبع سماوات حسب علم القرن العشرين لا نستطيع اليوم أن نفهم

لماذا نفس هذه النسبة في الأبعاد أى " عشرة الاف " .

هذا حسب تقديرات (بيو) (Biot) و (بوسيفولت) (Boussingault)

و (هومبولد) (Humboldt) (٣)

■ * *

(١) السنة الضوئية هي المسافة التي يقطعها الضوء مدة سنة بسرعة ٣٠٠.٠٠٠ كيلومتر في الثانية أى كيلومتر تقريباً ولكن التحقيقات الحديثة اثبتت ان الالكترونات

(٢) لله العلم تأليف بشير التركي ص ١١٣ - ١١٤

(٣) المرجع السابق ص ١١٤

هذه هي مبلغ علمهم من مفهم السموات السبع . وقد تكون هذه الأرقام حقا ولكن - نحن معشر المسلمين - لا نستطيع أن نقبل هذه الأرقام كأنها حقيقة علمية لمفهم السموات السبع لعدم أسباب .

أولا :-
انهم صرحوا بأن هذه التقديرات تقريبية . ولذا لا نعترف به حتى يصير حقيقة علمية .

ثانيا :-
هم جعلوا السموات السبع محصورة في هذا الفضاء فقط هل عندهم علم يقيني في هذا ؟ الجواب : لا

ثالثا :-
قد ورد في القرآن ان السموات * طباق * اذ أنها تغلف بعضها بعضا كطابق على طبق ومتساويا في كيانها . هذا الذي نفهمه من كلمة الطباق ولكن هؤلاء قالوا ان سماكة الجو فوق الأرض تعتبر سماء وكذلك القمر تعتبر سماء مع العلم ان الأرض والقمر لا يوجد بينهما أى تطابق فالأرض اكبر بكثير من القمر ..

اذا انتفى التطابق بين هذه السموات المزعومة ينتفى أن تكون هي السموات السبع المذكورة في القرآن .

وأين سبع الطرائق التي ذكرها القرآن في هذه السموات الفضائية المزعومة ؟

رابعا :-
فالقرآن قال لنا أن الله خلق سبع سموات وسبع أرضين والعلم الحديث جعل احدى الأرضين سماء . هذا يدل دلالة واضحة على أن السموات السبع المنصوطة بها في القرآن ليست هي التي يزعم بها أرباب الجرمالة العلمية .

خامسا :-
ثم جعلوا القمر من جملة السموات السبع مع أن القرآن صرح في آية أخرى بأن القمر ليس من جملة السموات السبع وانما جعل نورا فيهن . يقول تعالى : ﴿ وجعل القمر فيهن نورا ﴾ (١)

سادسا :- ان العلم الحديث لا يعرف شيئا حتى الآن - عن الستة الباقية

من الارضين بينما القرآن صرح بأن عدد الارضين - مثل عدد السموات السبع ، اذ كان مفهوم السموات السبع غير معروف حتى - الآن - لدى ارباب العلم الحديث وكذلك عدد الارضين السبع • فليهم - اذن - أن يأخذوا هدية القرآن في هذا الباب ويجهدوا في البحث ليكشف لهم مرقب المائتي بوصة الجديد عن بعض هذه السموات السبع والارضين الستة الباقية ••

ما لم يصل اليه العلم الحديث بعد

فتلك هي بعض هدايا القرآن للعالم ، وللعلم الحديث بصفة خاصة ، نود أن نلخصها في الصفحات التالية :

(١) - وجود ستة مراحل للخلق عموما •• أو ستة أيام بالتعبير القرآني وأصحاب

الجهالة العلمية لم يعرفوا - بعد شيئا عن ذلك •

(٢) - تداخل مراحل خلق السماوات مع مراحل خلق الارض ••

وأرباب الجهالة العلمية •• لم يعرفوا - حتى الآن - تفاصيل صحيحة

عن ذلك •• وانما يقولوا فقط : انفصلت الارض عن الشمس بسبب انفجار

داخلي أو تصادم مع بعض الكواكب ، أو مع نجم اكبر منها - كما

مر ذلك بنا سابقا •

(٣) - خلق الكون ابتداء من مادة دخانية •• وكانت تشكل كتلة متماسكة ففتقها

الله سبحانه وتعالى بقدر خاص ••

وأما العلم الحديث أشار الى هذه الكتلة الغازية ، ولكنه جاهل تماما من

الذي فتق هذه الكتلة الغازية وكون منها السموات والارض السبع ••

بل نسب كل هذه المعجزة الى الصدفة العمياء ••

(٤) - تعدد السماوات وتعدد الكواكب التي تشبه الارض يعني تعدد الارضين ••

ان العلم الحديث - لم يعرف - بعد - شيئا عن ذلك •

(٥) - وجود خلق وسيط بين السموات والأرض ...

ان العلم الحديث لا يدري ما ذا يعنى كلمة * وما بينهما * الا ما

كان من تانون الجاذبية الذى لم يزل في حكم المفروضات ..

فعلينهم - اذن - أن يجتهدوا في البحث الى معرفة كل ذلك والا فهم

مقصرون في بحوثهم ..

أجد هذا يقال أن العلم يتعارض مع الدين ؟ ..

اذن ان الذين ألدوا من علماء الطبيعة لم يلدوا بصفة أنهم علماء ، بل

بسبب أنهم جهلاء .. فهم مخطئون ..

خطأ واضح

لقد رأينا ان العلم الحديث لا يتعارض مع الايمان بالله ، فمن الخطأ - اذن -

أن نسنده للحاد الملحدين اليه ..

فالعلم الحديث برىء من هذه التخططات .. وانما ذلك الاحاد الفريد . راجع

الى نسبة الملاحظة وخبط نباتهم ..

فالعلم الحديث اسم للعلم الباحث في الكائنات وطبيعتها التي طبعت عليها

وجبلت .. وليس بضرورى أن يكون علماء الطبيعة ملاحدة .. بل انهم أجدر

بأن يعرفوا بوجود البارئ سبحانه وتعالى ، من علماء العلوم الأخرى ..

وتد رأينا في تقارير العلماء (واين أولت) والدكتور (اندروكونواى ايفى)

و (اينشتين) و (فرانسيس اورجر بيكون) ، ما يكفى للدلالة على أن العلم

لا يدعو الى الاحاد وانما يدعو للايمان على حد تعبير العالم الأمريكى . كرسى

موريسون .

والذى يدل على ذلك : لو كان الاحاد من مقتضى العلم الطبيعي أو مقتضى

علم من العلوم ، لزم أن لا يوجد بين علماء من يؤمن بالله وكان كلهم ملاحدة ..

وليس الا كذلك ..

وقد عرف المسلمون علم الطبيعة - كما بينا - ذلك في أول البحث - ولكنهم

لم بالحرفوا عن الله تعالى ، بل زاد ذلك في ايمانهم قوة وصلابة وقلنا سابقا
أنهم كانوا عندما يقرؤون كتاب (المجسطي) المتعلق بعلم الطبيعة ،
يحتبرون أنفسهم بشرحون به كتاب الله العزيز . وأقرب دليل على ذلك الحكاية
المشهورة التي تقول :

" يحكى أنه بينما كان يجلس ، ذات يوم ، فلکبان عربيان ، في ساحة الجامع ..
وأمامهما كتاب (المجسطي) .. مرت بهما جماعة من علماء الدين فتوقفت مستفهمة
عن النبح ، الذي منه يرتوون .. فأجاب أحدهما :
" اننا نقرأ شرح الآية التالية :

* أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت
والى الأرض كيف سطحت * (١)

■ * ■

هذا ، ان دل على شيء فانما يدل على أن العلم لا يؤدى صاحبه الى
الاحاد .. لا بالقرب .. ولا بالبعيد ..

بل العلم هو أقوى سلاح يتسلح به المؤمن لمحاربة الأعداء .. يقول
الله تعالى : * وجاهدكم به جهادا كبيرا * .

وهذا " البناني " أحد كبار فلکي العرب يقول :

" ان علم النجوم هو علم يتوجب على كل امرئ أن يعلمه .. كما يجب
على المؤمن أن يلم بأمور الدين وقوانينه .. لأن علم الفلك يوصل الى برهان
وحدة الله .. والى معرفة عظمته الهائلة .. وحكمته السامية .. وقوته الكبرى ..
وكمال خلقه .. (٢)

(١) راجع شمس العرب تسطع على الغرب ، تأليف المستشرق رينريد هونكة ص ١٣٠

(٢) المرجع السابق ص ١٣٠

وشهد شاهد من أهلـه

ولقد رأينا في خلال هذا الفصل وغيره أنه لا يوجد هنالك أى تمارض بين القرآن الكريم وبين العلم الحقيقي ...
نقول بكل ثقة واطمئنان .. أنه لا يمكن - بحال من الأحوال - أن يتصادم القرآن مع آية كونية حقيقية ..

لماذا ؟

لأن القائل هو الخالق : ولا يمكن ان يكون هناك انسان أعلم بقوانين الكون من خالقه ..

ولكن الهدف عند بعض المستشرقين ، من الطعن في القرآن الكريم ، ويجب أن نطعن لذلك - هو محاولة الايهام بأن القائل بشر .. وليس الله ..

ونحن هنا في ختام هذا الفصل ، فصل مناقشة الملحدين لا ندافع عن كتابنا وإنما طبعنا القرآن نفسها تدافع عن نفسها .. لأنها مبنية على الحق .. والحق لا يمكن ان يتغير الى باطل أبدا ..

هذا ما أدركه بعض المنصفين من الغربيين كأمثال العالم الباحث (موريس بوكاي) الفرنسى الذى ينقل البنا ان المسيحيين قد بدوا يغيرون موقفهم من الاسلام .. ويعترفون بجديده الاسلام .. وأنه كتاب دين وعلم .. وعلاوة على ذلك بدوا يحترفون بالمظالم التي ارتكبوها ضد الاسلام التي كانت سببا لصد الناس - ومعهم الملاحدة - عن هذا النور العظيم والبرهان الساطع .
فلننقل عنه الجملة الآتية :

شاهد من الفاتيكان

يقول موريس بوكاي :

" لقد صدرت وثيقة من سكرتارية الفاتيكان لشئون غير المسيحيين وعنوانها :
(توجيهات ، لا قامة حوار المسيحيين والمسلمين ..) وترجمتها بالفرنسية :

" أنها وثيقة شديدة الدلالة على الموقف الجديد التي تبنت ازاء الاسلام
ففي الطبعة الثالثة - عام ١٩٧٠ - من هذه الدراسة تطالب هذه التوجيهات

" بمراجعة موقفنا ازاء الاسلام وبنقد أحكامنا المسبقة "

وفيها أيضا " علينا أن نهتم أولا بأن نغير تدريجيا من عقلية اخواننا
المسيحيين فذلك يسهم قبل كل شيء " . .

ويجب التخلي (عن الصورة البالية التي ورثنا الماضي اياها أو شوهرتها
الفريات والاحكام المسبقة . .)

كما يجب الاعتراف بالمظالم التي ارتكبها الغرب المسيحي في حق المسلمين . .
ثم زاد قائلا :

" بهذا الشكل تقوم وثيقة الفاتيكان - التي تحتوى على (مائة وخمسين)

صفحة تقريبا . . ببسط ودحض نظرات المسيحيين الكلاسيكية عن الاسلام . . " (١)

" كما أنها تقدم عرضا لما عليه الاسلام في الواقع من تقدم على حضارى وغير
ذلك . . "

والوثيقة تعالج أخيرا الحكم السابق القائل : " بأن الاسلام دين جامد يبقى
أتباعه في عصر وسيط بائد . . ويجعلهم غير أهلين للتكيف مع منجزات العصر
الحديث التقنية "

وهي أيضا تقارن مواقف مماثلة في بعض البلاد المسيحية ، وتعلق " أننا نجد
في الفكر الاسلامي مبدأ لامكانية تطور المجتمع المدني " (٢)

والكلام عند موريس الى الآن . .

" الواقع أن مصرفة ما أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم ، من وجهة
النظر هذه ، أمر أساسي . . ولكن الحادث هو أن هناك أجزاء من القرآن وخاصة
ما كان لها ارتباط بمعطيات العلم ، قد ترجم بشكل سيء أو علق عليها بحيث

(١) راجع كتاب دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، موريس بيسوكاى ص ١٣٦

(٢) المرجع السابق ص ١٣٩

يكون من حق العالم أن يدفع وهو على حق في الظاهر . بانتقادات لا يستحقها القرآن في الواقع " .

" وهناك نقطة جزئية تجدر الإشارة إليها فوراً . هذه الأخطاء الراجعة إلى الترجمة أو تلك التعليقات المنلوطة . . (١)

وهكذا شهد شاهد من أهله يعلن بكل ثقة لجميع الملاحدة ومهميهم المسيحيين : أن الاسلام دين علم وحضارة ولا يتعارض مع التقدم العلمي بل يحرض عليه ويجازي عليه أيضا . .

ثم اختتم موريس بوكاي كلمته بالتصريح التالي :

" وإذا كنت قد توصلت إلى ادراك زيف الأحكام الصادرة عامة في الغرب عن الاسلام فاني مدين بذلك إلى ظروف استثنائية ففي المملكة العربية السعودية نفسها أعدت عناصر التقييم التي أثبتت لي درجة الخطأ في بلادنا عن الاسلام . . " وسأظل مدبنا بالعرفان وبشكل لا حد له للمغفور له جلالة الملك فيصل الذي حسى ذكراه باحترام عميق . .

سيظل محفورا في ذاكرتي دائما أن كان لي الشرف الاثير أن استمع اليه يتحدث عن الاسلام وأن أذكر في حضرته بعض مشاكل تفسير القرآن في ارتباطها مع العلم الحديث . .

ان كوني قد تلقيت معلومات قيمة من جلالته نفسه ومن حاشيته ليشكل بالنسبة لي امتيازاً خاصاً . . " (٢)

وبهذا القدر ، نكتفي لبيان انحراف الملحدين في قولهم : ان العلم يتعارض مع الايمان بالله . . .

فقد كذبهم العلم الحديث وكذبهم القرآن ثم أخيرا كذبهم الكاتب الفرنسي (موريس بوكاي) ؟

(١) المرجع السابق ص ١٤٣

(٢) المرجع السابق ص ١٤٣

وبعد هذا ننقل الى الباب الاخير من هذا البحث وهو آثار الاتحاد في
أوروبا الحديثة .. انه بيت القصيد بحيث فيه يرى الضرر اللاحق في التصور
والسلوك .. وفيه يعتبر من يعتبر .. فيتحرر عن الاتحاد ومخالفة أوامر الله ..
وفيه نرى عقوبة الفطرة تقع على الأوربيين الملحدين ..
نراهم يتخبطون في تصوراتهم كلها من السياسة والحكم والأخلاق
والمبادئ والقيم والعلم والملاقات الدولية وفي كل شيء ..
وفيه نرى تحقيق قوله تعالى :

* من أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى *
فيقول رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ؟ قال كذلك أتتك آياتي فنسيتها
وكذلك اليوم تنسى * (١)

فما أعظمه من ضنك ! يعيشه الملاحدة في أوروبا الحديثة وفي الأمم
المتحدة كلها ...

الباب الثالث

أثر الاتحاد في الحياة الأوروبية

الفصل الأول : أثر الاتحاد في الفكر الأوروبي

الفصل الثاني : أثر الاتحاد في الحكم والسياسة

الفصل الثالث : الخمر وعجز القوانين الوضعية

الفصل الرابع : مشكلة العتوبات في القوانين الوضعية

الفصل الخامس : ظهور آثار الاتحاد في الدول الكبرى

الفصل السادس : أسباب تدوير الأمم والشعوب

الفصل السابع : عقوبة الفطرة

الفصل الثامن : حضارة لا تلائم الإنسان

الباب الثالث

آثار الاتحاد في الحياة الاوربية

توطئة :

ان حضارة الغرب - كما شاهدناها خلال هذا البحث - حضارة قد أسست
حكمتها النظرية والحملية على قواعد خاطئة .. (١)

وقد جرت فلسفتها وعلومها وأخلاقها واقتصادياتها واجتماعها وسياستها ،
وقانونها .. وبالجملة ، كل ما يتصل بها .. قد جرى كل ذلك من نقطة
انطلاق منحرفة .. وبقيت تخطو وترتقي في وجهة غير صحيحة حتى
انتهت الى مرحلة ترى منها نهاية هذه الحضارة هي الهلاك .. (٢)

■ * *

ونتيجة فساد اعتقاد اوربا فقد انحزلت عن كل معنى اخلاقي
فسادت (الميكانيكية) في السياسة (حيث النابة تبرر الوسيلة) والاثرة تظهر
في الاقتصاد بما سموه (الانسان الاقتصادي) .. (٣)
والاباحية في الاخلاق بسيادة التحليل الجنسي لفرويد اليهودي ..
ان الانسان المعاصر قد سلم قيادة للفرقة الجنسية حين قصر غاياته في
الاشباع المادي فصار أضل من الانعام .
ذلك ان الحيوان ينظم غريزته تلقائيا .. اما الانسان العاقل الاوربي
المعاصر الذي يحيش في فراغ دون امل نرى عقله يسير بغريزته الى الحد
الذي يتلف النفس والجسم معا ...

(١) مستقبل الحضارة بين العلمانية والشيوعية والاسلام يوسف كمال محمد سنة

١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م

(٢) راجع ايضا النحلة تسبيح الله تاليف محمد حسن الحمصي ص ١٩٨ ط الرابعة

١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .. انظر ايضا (حقوق الانسان في الاسلام) مجمع البحوث

الاسلامية ص ٤٣ سنة ١٣٩١هـ - ١٩٧١م وانظر المجتمع ر م ما كيفر وزميله ،

ت على احمد عيسى ، مصر ١٩٦١م ص ١١١ - ١١٢

(٣) نظم الحكم الحديثة في ميشيل ستيفارت ت احمد كامل ، القاهرة ١٩٦٢م

نعم ! لقد غاص الانسان في اعماق المحيطات ، وطار في اجواء
الفضاء وفجر الذرة ولمس القمر ودار حول الارض مرات وكرات ...
ولكن صخب الالة ونذير الحرب والصراع على المادة قد اتلف حياته .. وصارت
روحه مسجونة في جسده .. (١)

الغريب ان هذا العالم الغني بكل هذه التسهيلات المادية ولكنه
لا يستطيع ان يعيش في سلام ..

وهذا الانسان الذكي يحطم نفسه بالصراع ..
وقد اصبح العلم والرفاهية من اكبر اسباب الشقاء والضباع للانسان (٢)

* * *

لقد استخدم الطاقة من النار ...
ثم ارتقى بها الى الكهرب ووصل الى ذروتها بالذرة ..
ثم سكن القصور وتفنن في الماكل والملبس ..
الا انه لا يحس بالسعادة في نفسه ..
ولا بالامن في وطنه ..
ولا بالسلام في عالمه ..
بل صار خائفا يترقب ..

ماذا يترقب ؟

يترقب حربا تدمره تدميرا ..

لماذا كل تلك الويلات ؟

لانه يعتمد عن ربه .. والحد فيه .. وانكر الغيبيات (٣)

(١) النحلة تسبح الله محمد حسن الحصري ص ١٩٨

(٢) هزيمة الشيوعية في عالم الاسلام انوار الجندی ص ١٢٩

(٣) يقول هكسلي^(١) : " اني لا افهم اذا صح وجود حياة اخرى تحياها النفوس كيف
لا نستطيع ان نجد سبيلا الى استكشاف هذه الحياة " فلاشيء ما يتصل بالانسان
يمكن ان يتوارى عن الانسان " راجع الطاقة الروحية لبرجنسون هنرى ت ، سامي
الدوبيني ، بيروت ١٩٦٣ م

وأراد ان يقيم حبلته بجيده فقط ..

فلذلك كان نصيبه المعيشة الضئيلة ..

■ ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضئيلة * الآية ١٢٤ في سورة طه

وسنرى في الصفحات الآتية اننا الان على ابواب حرب القناء التي لا تذر

شيئا أتت عليه الا جعلته كالرمم ..

ولم يعد للذكاء الانساني طريق النبوغ سوى التفنن في ابتكار الات الهلاك ..

في الوقت الذي تظهر فيه جميع الدول — في الأمم المتحدة — اشمئزازها من

الحرب (١) نجدها تتسابق في الاستعداد لها تسابقا يستنفذ اكبر قدر من

مواردها ومجهودها ..

كل هذا وكثير من البشر يعانون من الفقر والمرض ولا يجدون ما يسد رمقهم

او يشفى غلظتهم ■

فهل هذه المدنية تليق بالكرامة الانسانية ؟

الجواب لا ! وانما هي اثر من آثار الالحاد ..

* * *

أين موضع الداء

ومن تلق نظرة فاحصة الى هذه الحضارة عن كتب بل عن كتب ايضا يجد ان

هناك سلسلة من الفساد لا تنتهي قد اصبحت تخرج من شجرة الحضارة نفسها ..

وان هذه الام قد اعلت صبرها على هذا العذاب فقلوبها مضطربة ، وارواحها

غير مطمئنة .. ولكنها لا تدري اين موضع الداء في جسمها ..

تجد الاكثرية من هؤلاء الملاحدة تظن — خطأ — ان منبع تلك المفاصد

والالام هو في الفروع .. فروع هذه الشجرة الالحادية الخبيثة .. فلا يزالون

يضيئون ارقائهم ومسابيحهم في معالجة الفروع .. الفروع فقط .. ولكنهم لا يدركون

ان الفساد كله في اصلها وجذورها .. وان الأصل في نشأة فرع صالح من اصل فاسد

حماقة وجنون

(١) راجع كتاب الأمم المتحدة وموازنين القوى المتحولة في الجمعية العامة كيبا، داغره، ٤٠

وصدق الله تعالى * ألم تركيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون * * ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار * (سورة الابراهيم الايات ٢٥-٢٦) .

فئة أدركت موضع الداء وليس عندها دواء

وهناك بجانب اخر فئة قليلة من اصحاء العقول كامثال (الدكتور الكسيس كاريل) (١) قد ادركوا ان الاصل من شجرة حضارتهم ، هو الفاسد - كما نرى تفاصيل ذلك فيها بعد - ولكنهم لما نشؤوا في ظلال هذه الشجرة المملونة * * وتفقدت اجسامهم بثمارها بكادون لا يفهمون اى شىء يستبدلونه بهذا الاصل الفاسد * *

ولا يعرفون ايضا ان الاصل الصالح هو الذى تتفرع منه اغصان واوراق صالحة * *

وعلى هذا كله تتساوى حال الفئتين :

فكل اولئك يتطالبون شيئا يشفى الامم ولكنهم لا يعلمون ما هو الشىء المطلوب * * وابن بوجد * * ؟؟

هذه هي المأساة التي تعيش فيها الدول الملحدة اليوم * *

* * *

وقد ظهرت هذه المأساة وذلك التدمير في مظاهر شتى * *

(١) الانسان ذلك المجهول اليكسيس كاريل ت شفيق اسعد فريد ، بيروت ص ٣٠٦ - ٣٠٧ فهو يقول : " هناك غلطة اخرى تعزى الى اضطراب الاراء فيما يتعلق بالانسان والفرد * * تلك هي المساواة الديمقراطية * * ان هذا المذهب يتهاوى الان تحت ضربات تجارب الشعوب * * ومن ثم فانه ليس من الضروري التمسك بزيفه " راجع الصفحات المذكورة آنفا .

لعلنا بحسن بنا ان نكشف عن اهم عناصر هذا التدمير في اختصار شديد مراعاة

لحجم هذه الرسالة ومدتها ..

(اولا) - الالحاد والفكر الاوربي

(ثانيا) - فصل السياسة عن الدين وعجز القوانين الوضعية ..

(ثالثا) - ظهور النتائج الالحادية في الدول الكبرى التي اخذت نصيبا وافرا ..

(رابعا) - غربة الفطرة .. فهي حضارة لا تناسب الانسان ..

والبك توضيحا لكل من ذلك .

الفصل الأول

أثر الاتحاد في الفكر الأوربي

مرجوع سريع إلى التاريخ الحديث الأوربي نجد أن الفكر الحديث لحضارة

الغرب للمادة ، افتتحه فيلسوفان شهيران :

(أولهما) - ديكارت . . واضح منهج البحث الاستنباطي . . ومن ورائه اتباعه
الفرنسيون والألمان وغيرهم . .

(ثانيهما) - فرنسيس بيكون واضح منهج التجريبي . . ومن ورائه
المدرسة الانجليزية . .

وقد لاحظ المؤرخون التشابه بين ديكارت وبيكون في ربط الفلسفة
بالحياة العملية . فالغاية من الفلسفة ليس مجرد العلم كما ذهب أرسطو وإنما
تحقيق رفاهية البشر . .

فكان هذا بداية فصل العلم عن الدين .

■ * ■

فالفلسفة العقلية - وان بدأت بتمجيد العقل والاشادة بسلطانه الا

أنها كانت كفلسفة التجريبيين في اتصالها بالحياة العملية . . (١)

يؤكد ذلك الكاتب (كرين برنتن) في كتابه القيم افكار ورجال

بمايلي : " ولكن توضيح الامر ينبغي ان يظهر لنا مدى انصراف العقل الكامل

عن العقيدة المسيحية " وقال : " ان دفعة المذهب العقلي تتجه بعيدا عن

المسيحية . . والعقل يميل الى القول بان المقول هو الطبيعي وانه " ليس هناك

ما هو فوق الطبيعة " . . وليس في نظامه مكان للاله الشخصي ، وليس هناك

مجال في عقله للاستسلام الصوفي للإيمان . .

اذن فالمذهب العقلي يميل ان يحد الله وما ليس بالطبيعي من الكون

. . فلا بد اذن من التوسع في الموضوع .

(١) افكار ورجال تأليف كرين برنتن ت : محمود محمود ص ٤١٩ القاهرة ■ نيويورك

(وجاء ديكارت)

ان ديكارت الفرنسي - وان كان ينتسب الى الايمان بالله - ولكن اول عبارة نادى بها هي " العقل اعدل الاشياء قسمة بين الناس " (١) وكان هذا نداء الى فصل الدين عن العقل .

فلذلك اسس ديكارت الوجود على الفكر على حساب الاديان كلها . . . فقال : " انا مفكر فانا - اذن - موجود " (Je pense Donc Je Suis) من هنا بدأ الالحاد يشق طريقه الى الامام في الفكر الاوربي . (٢) لماذا ؟
لانه جعل العقل الانساني رمزا لحرية الانسان تجاه الكنيسة . . .

(٢) (ثم جاء كانت)

أما كانت فقد ذهب الى ابعد من ذلك لانه رأى ان وجود الله من المسائل الشائكة (او من النقائص) التي لا يستطيع المرء ان يقطع فيها برأى لانه ليس من عالم الظواهر التي ينبغى للفيلسوف ان يحصر نفسه فيه . . .

ومعنى ذلك ان كانت لم يكن مؤمنا بالله حق الايمان لانه يدعى انه لا يستطيع احد ان يجزم بوجوده عن طريق العقل . . .

* * *

(٣) وظهير الفيلسوف (كومت) (Comte) في القرن التاسع عشر سنة ١٧٩٨ م - ١٨٥٧ م فأسس المذهب الوضعي (positivisme) وهي فلسفة لا تعتبر شيئا حقيقيا واقعيا الا ذلك الموضوع الوضعي الذي جاء اثر التجارب الحسية وامكن اختباره بالحس وكان معنى هذا اخراج الافكار الروحية والخيالية من اى نظرة كما الحياة حيث الطبيعة هي المصدر الوحيد وما وراءه وهم وخيال . ان هذا - لا شك - تقدم ملموس في سبيل الالحاد . . .

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة ليوسف كرم ص ٥٦

(٢) العلم والدين في الفلسفة المعاصرة اميل بوتروا ت : احمد فؤاد الاهواني مصر ١٩٧٣ م .

(مقاومة فرنسيس بيكون للسلطة الدينية)

وكان اثر " بيكون " كبيرا اذ اندفعت اوربا وراءه تثق بالعلم ولا تؤمن
الا بالتجربة . (١)

وبدأت هذه النزعة الواقعية في اول امورها عند فرنسيس بيكون سنة ١٦٢٦م
فحارب السلطة الدينية - باسم البحث العلمي - في مختلف صورها . . . واعتبر التجربة
مصدر كل شيء ومعينه الذي لا يفيض . . . وابعد سلطان الثقل عن مجال
البحث العلمي ومعنى ذلك كان يزعم انه يؤمن بالله ولذا يقول :
" ان القليل من الفلسفة يميل بصاحبه الى الالحاد . . . ولكن التعميق
في دراستها ينتهي بالعقل الى الايمان به . . . "

ومع ذلك نجده مرة اخرى يعارض بالعلم الحديث ، منطق ارسطو
الذي كان يسود في اوربا آنذاك فوضع اساس المنهج التجريبي الحديث . . .
ثم نجده ايضا يرفض رفضا باتا ان يسخر العلم لخدمة الدين . . . واعتبر هدف
النظر العقلي فهم الطبيعة لاستغلالها والافادة منها في دنيانا الحاضرة . . . عن
طريق دراستها دراسة قائمة على المشاهدة والاستقراء التجريبي . (٢)
وبذلك انفصل العلم عن الدين . . .

واصبحت اوربا تقاوم السلطة الدينية . . . ونشأت فيها سلسلة من الجمعيات
العلمية للبحث التجريبي كلها تقوم على رفض السلطة الدينية . . . وكان من اظهر
هذه الجمعيات :

مدرسة الطبيعيين الفلورنسيين عام ١٦٥٧م

والجمعية المالكية في لندن عام ١٦٤٥م . . . وكان من رجالها (نيوتن) صاحب
الجاذبية .

وتلتها اكاديمية العلم في فرنسا عام ١٦٦٦م

ثم الاكاديمية دل شمنتوه في ايطاليا (٣) (Academie Del Cemento)

- (١) قصة الفلسفة تاليف (ويل ديورانت) تاجمده الشيباني ص ١١١ المكتبة الاهلية بيروت
- (٢) قصة النزاع بين الدين والفلسفة ص ٢٠٤ توفيق الطويل ط ٢ مصر راجع ايضا سلسلة
تراث الانسانية ، مجموعة من الاساتذة ، الهيئة العامة للكتاب ج ٢ انظر عن بيكون
- (٣) المرجع السابق ص ٢٠ راجع ايضا افكار ورجال (برنتن) ص ٤٢٢ و ص ٤٢٩

وشاخ انشاء مثل هذه الجمعيات في اوروبا كلها . وعلى نظمها نشأت مراد
(٤)
باريس عام ١٦٦٧م وجرينتش عام ١٦٧٧م

وكانت هذه كلها معسكرات معادية للكنيسة وجميع الافكار الدينية وان لم تعلن ذلك . .
وقضوا ثلاثة قرون وهم يحطمون في بطل ما ورد في المسيحية من تعاليم . . وما تردد
بصدر الوحي من " مزاعم " .

وقد تكفل اصحاب هذه المصانع بالدفاع عن المنطق واستخدامه في تفسير
كل ما يعرض لهم من ظواهر ولو كان في صميم العقيدة الدينية . . فكانوا على
هذا التمرد المتطور حتى جاء اليوم الذي ظهر المحدث المعاني للوجود (هيوم)
فزاد الطين بلة . . . فكان شرا مستطيرا على الكتب المقدسة . . وشرا على القائمين
بأمرها . .

(٥)
وبهذا انزلت الكثيرون في اوروبا الى مهادي الالحاد . . فانكر (هيوم)
وجود الله اطلاقا فقال كلمته المشهورة :

" لقد رأينا الساعات تصنع في المصانع ، ولكننا لم نرا الكون وهو يصنع
فكيف نسلم بان له صانعا ؟ " (١)

فصاروا يستدلون بالحادهم بالتطور العلمي الذي جلى للانسان . . ولم
يكن على علم باسباب الشروق والغروب . . فلذا زعم ان هناك قوة فوق الطبيعة
تجعلها تشرق وتغرب . .

وها قد عرفنا - على حد زعمهم - اليوم ان شروق الشمس وغروبها يحدث
بالدوران الارضي حول نفسها . . وبهذا انتهت ضرورة القول بهذه الطاقة تلقائيا
بعدما عرفنا الاسباب المؤدية الى هذين الحركتين الكونيتين :

" فاذا كان قوس قزح مظهر لانكسار اشعة الشمس على المطر . . فماذا
بدعونا الى القول بانها اية الله في السماء . . " (٢)

(١) الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص ٣٥ نقلا عن كتاب :

(٢) المرجع السابق ص ٣٥

وراجع ايضا اثر العلم في المجتمع برتراند رسل ت : تمام حسان مصر ص ٦

من اجل هذا كله ، وغيره قال هكسلي :

" اذا كانت الحوادث تصدر عن قولنين طبيعية فلا ينبغي نسبها الى اسباب فوق الطبيعة " (١) وزاد قائلا :

" فالدين نتيجة لتعامل خاص بين الانسان وبيئته " (٢) ويقول ايضا :
 " ان هذه البيئة قد فات اوانها او كاد ، وقد كانت هي المسئولة
 عن هذا التعامل فاما بعد فنائها وانتهى التعامل معها فلا داعي للدين " .
 وبضيف : " لقد انتهت العقيدة الى اخر نقطة تفيدنا . . وهي
 لا تستطيع ان تقبل الان اية تطورات " .

لقد اخترع الانسان قوة ما وراة الطبيعة لتحمل عبء الدين ، جاء
 بالسحر ثم بالمحليات الروحية ثم العقيدة الالهية حتى اخترع فكرة (الاله الواحد) .
 " لقد وصل الدين بهذه التطورات الى اخر مراحل حياته . . ولا شك ان هذه
 العقيدة كانت في وقت ما جزءا مفيدا من حضارتنا . . بيد ان هذه الاجزاء قد فقدت
 اليوم ضرورتها ومدى افادتها للمجتمع المحاضر المتطور " .
 ثم جاء البيان الشيوعي ليكمل هذا التطور اللاحدي فقال :
 " ان الدستور والاخلاق والدين كلها خدعة البورجوازية وهي تستر وراءها
 من اجل اطماعها " . . .

و يقول فيلسوف الشيوعية انجلز :

" ان كل القيم الاخلاقية هي في تحليلها الاخير من خلق الظروف الاقتصادية " .

(١) الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص ٣٦ ، ينقله عن كتاب :

Religion Without Revelation, N.Y, 1958 P.58

(٢) نقلا عن كتاب الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص ٣٨ و ص ٣٩

هذه كانت قضية الملاحدة ... لقد أصبح الالحاد سائدا في جميع

افكارهم ...

تارة يعبرون عنه بالملمانية ...

ومرة بالحضارة ...

وطورا بالتقدم ...

وحينا بالوجودية ...

واحيانا بالانسانية ...

ومرات بالتطور المطلق ... وغير ذلك من الاسماء البراقة ولكنها في

نفس الوقت (١) هي كلمات اريد بها الباطل ...

وتلك بعض اثار الالحاد في الفكر الاوربي ...

* ■ *

نتيجة فساد اعتقاد اوربا اختلت عندهم الموازين وقد استحكت بها

الاهواء والشهوات واضطربت فيها الحقائق فاشتبه الحق بالباطل والسبب في

ذلك انه عندما يعلن العالم اكشافا بقلب المعتقدات الدينية السائدة رأسا

على عقب فلا غربة - اذن - ان تضطرب الحقائق بالباطل هناك (٢) .

يقول " سول " : " صار لزاما على الذين نبذوا الايمان بالله كلية ان يبحثوا عن

بدل لذلك فوجدوه في الطبيعة " (٣)

وكتب الفكر الغربي تسمى ذلك العصر عصر تأليه الطبيعة أو عبادة

الطبيعة ... وليست هذه المبارات مجازا بل هي مستعملة على الحقيقة

تماما فكل صفات الله التي حرفها الناس عن المسيحية نقلها فلا سعة الطبيعة

الى السهم الجديد ، مع فارق كبير بين الالهيين في نظرههم ...

(١) راجع كتاب افكار ورجال (كرين برتن) ص ٤٢٢ - ٤٢٣

(٢) المرجع السابق ص ٤٢٧

(٣) المذاهب الاقتصادية الكبرى ، جورج سول ، ترجمة راشد البراوي مصر ١٩٦٥م

وسنرى بعض ذلك في فصل الاتحاد واثره في الاخلاق الاوربية (١) ان شاء الله تعالى .

* * *

ومعد هذا ننتقل بالقارئ فوراً الى اثار الاتحاد في السياسة والحكم لنرى هناك كيف تم الفصل النكد بين الدين والحكم .. وكيف اصبحت هذه القوانين الوضعية بعد استقلالها عاجزة عن تلبية متطلبات الحياة .. وكيف صار الناس ضحية لهذه القوانين المصطنعة .. الى هناك ..

وقفة قلبلة مع رواد الفكر الاوربي

وقبل ان ننتقل الى اثار الاتحاد في السياسة والحكم ، نود ان نتوقف هنا قلبلا عند رواد المدنية الاوربية المعاصرة ..

دارون ، وماركس ، وفرويد ، ودوركاهم ...

فمعتبر دارون - كما مر ذلك بنا مراراً - اهمهم حيث ابتكر نظريته في التطور المصوى واصل الانواع تتلاءم مع الاتجاه الالحادي الذي غزا اوربا ... فخير وجه التاريخ الاوربي بقوله : " ان الانسان حيوان متراقبا من الاميبا - (Ameba) " .

ومعد ما اعتبر الناس انفسهم حيوانا ، غابت عن حسهم الكرامة الانسانية وتفردت في هذا الوجود ... فانتشر الانحلال الحلقى والترف ..

(١) نوكد دائما ان المشكل بهذا الاتحاد هو الكنيسة لا أول وهلة لقيامها بحماقات كثيرة منها : انها قاومت رئيس بلدية في المانيا لانه اخترع غاز الاستصباح بحجة ان الله خلق الليل ليلا والنهار نهارا .. وهو بمخترعه يريد تخيير مشيئة الخالق فيجعل الليل نهارا .. راجع محاضرات الموسم الثقافي بالكويت ٢٧٥/١ ، حكمت هاشم ، الكويت ١٩٧٦ م

و (فرويد) قد تحدثنا على طرقة في مذهب اللاشعور ، كما تحدثنا عنه
في تفسيره السلوك الانساني على اساس الفريضة الجنسية ..
ان هذا اليهودي قد جعل الجنس هو المحرك الاول والدافع الاصيل
للانسانية ويشمل هذا التفسير الفرد والجماعة والاخلاق والدين والفن
والفكر ..

فكان هو من اسباب تدهور الاخلاق في اوربا الحديثة ..
وأما (دوركايم) قد رأينا انه يرى ان الدين ليس فطريا في الانسان ويحصل ذلك
من العقل الجهلي الذي اخترعه من نبات افكاره . فصار الناس كلما يتعمقون في
دراسة العقل الجمعي يعتمدون عن الايمان .. وبهذا ساهم في عزل الدين
عن المجتمع ..

وأكمل (ماركس) الحلقة في العلوم الاجتماعية والاقتصادية فرسم حلقة التطور
الاجتماعي على انه لا يحركها سوى الاشباع المادي وان ادوات الانتاج هي التي
تطورت بالانسان .. (١)

فكان هو اول من أسس دولة الحادية صرفة بحبل من اليهود ومن
الملاحدة ..

(١) راجع بالتوسع كتاب مستقبل الحضارة بين العلمانية والشيوعية والاسلام ، يوسف
كمال محمد ص ١٦

وراجع (فرويد ويافلوف) هاري ويلز : شوقي جلال ، مصر
وراجع الموجز في التحليل النفسي سيجموند فرويد ، احمد زكي ، مصر
١٩٦٣ م ص ٦٦

الاحاد والدولتان العظيمتان

في الوقت الراهن ^{يلغ} الاحاد بين الناس الى اختراع مذهب الحادى جديد
 في امريكا سموه " البراجماتزم " .. (6)
 هذا المذهب الذى يقول بأن الفكرة لا تكون فكرة الا اذا كان فيها ما يدل
 على نوع السلوك الناجح والا فهي وهم ..
 فبدلنا من الحكم على المعنى بالرجوع الى اصوله او بالاستدلال من مبادئ
 أولية ثابتة اخضع (وليم جيمس) صاحب المذهب المعنى الفكرة للأشياء ..
 كما يسمون ذلك ايضا بالمذهب العملى ..
 فالماركسية الشيوعية والبراجماتية هما القطبان اللذان يجذبان اليهما
 مستقبل المدنية الاوربية في العصر الحديث ..

* ■ *

وبهذه الرؤية ادركنا مدى تأثير الاحاد في الأمم الاوربية
 وما اشتق منها من امريكا وروسيا ..
 وبعد هذا لا يشك احد في ان اوربا دولة الحادية محضة (٢) ولا
 ينخدع ببعض مظاهر الكنيسة هناك .. كما لا ينخدع ايضا بنشاطات الفاتكان
 السياسية .. وذلك ان المسيحية الحالية تعجز تماما عن ان تكون قوى
 محركة للمجتمع .. (١)
 وسنرى مصداق ذلك في الصفحات الاتية ...

(١) راجع اساليب المنزوع الفكرى للمالم الاسلامي : د. علي محمد جريشة - محمد شريف

الزبيق ص ٨

(٢) يقول (كرسون) : ذهب بعضهم في الانكار الى ايجاد حد انهم يدعوننا حتى
 الى حذف اسم الله نفسه وفي هذا يقول (دولباخ)
 " ان عقيدة الله المأثور نسيج من المتناقضات ، ان فكرة الله هي الضلالة المشتركة
 للنوع الانساني "

راجع المشكلة الاخلاقية ، تأليف (كرسون) ت عبد الحليم حمود ط ٢ القاهرة

الفصل الثاني

اثر الالحاد في الحكم والسياسة

فالذي لا شك فيه ان فصل الدين عن الحكم والسياسة ، كان موجودا بالفعل اى ان نوما من العلمانية الموضوعية كان يسود الحياة الاوربية طيلة القرون الوسطى ..

وذلك ان الشريعة المسيحية لم تطبق في عالم الواقع .. ولما جاء عصر التنوير قام الملاحدة للقضاء على البقية الباقية . فلندع الكلام للشيخ ابي الحسن الندوي ليوضح لنا هذه النقطة بالذات :

* * *

" لم تكن المسيحية في يوم من الايام من التفصيل والوضوح ومعالجة مسائل الانسان بحيث تقوم عليه حضارة ، وتسير في ضوئه دولة ، ولكن كان فيها اشارة من تعاليم المسيح ، وعليها مسحة من دين التوحيد البسيط ، فجاء بولس فطمس نورها وطعمها بخرافات الجاهلية التي انتقل منها ، والوثنية التي نشأ عليها . وقضى قسطنطين على البقية الباقية ، حتى اصبحت النصرانية مزيجا من الخرافات اليونانية والوثنية الرومية والافلاطونية المصرية والرهبانية ..

" اضمحلت في جنبها تعاليم المسيح البسيطة كما تتلاشى القطرة في الهم ، وعادت نسجاً خشيباً من معتقدات وتقاليد لا تغذى الروح ، ولا تمد العقل ولا تشمل الفاطسة ، ولا تحل معضلات الحياة ولا تنير السبيل .. "

وزاد سال (Sal) مترجم القرآن الى الانكليزية عن نصارى القرن السادس عشر يقول : " واسرف المسيحيون في عبادة القديسين والصور المسيحية حتى فاقوا في ذلك الكاثوليك " في هذا الحصر " (٢)

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ابو الحسن الندوي ص ٢٨

(٢)

نقلا عن الكتاب السابق ص ٢٨

وراجع ايضا البداية والنهاية ، مارلى تشايلد وزميله ٦ ، ١٢٧

وليس غريباً ان نجد (مكافيلي) ينادى - اول مرة - بصراحة الى استبعاد الدين وعزله عن الحياة .. وعن المجتمع الانساني كله .. فلا بد من توضيح ذلك !

أول دعوة الى فصل الدين عن الحكم والسياسة

ان (مكافيلي) هو اول من تبني دعوة علمانية ذاتية .. والى عزل الشئون الاجتماعية بكاملها عن فكرة الدين .. فسي هذا الاتجاه الجديد (بالمكافيلية) فهي منهج على للحكم ، تقوم - كما رسمها واضعها في (الأمير) على ثلاثة اسس متلازمة مستمدة من تصور لا ديني صرف هي :

١ - الاعتقاد بان الانسان شرير بطبعه .. وان رغبته في الخير مصطنعة يفترضها لتحقيق غرض نفى بحت ..

وما دامت تلك هي طبيعته المتأصلة فلا حرج عليه ولا لم اذا انساق وراءها .

٢ - الفصل التام بين السياسة وبين الدين والاخلاق .. و فرق (مكافيلي) تمام التفريق بين دراسة السياسة ودراسة الشئون الاخلاقية .. وأكد عدم وجود ربط بينهما ..

٣ - ان الناية تبرر الوسيلة .. وهذه هي القاعدة العملية التي وضعها مكافيلي بدلا عن القواعد الدينية والاخلاقية . ولذلك فان لها عنده تفسيراً خاصاً .. (٣)

(١) انظر الأمير ص ٢٤٤ فاروق سعد مطبوع مع الفكر السياسي قبل الامير ومعه عام ١٩٧٥ م

(٢) الأمير : السابقة ص ٣٥ .. راجع ايضا تاريخ النظرية السياسية الفصل الثاني والجد بر بالذكر انه قد سبق دعوة مكافيلي نظريات كثيرة كلها تنادى الى فصل الدين عن السياسة ومن ذلك النظرية الخيالية : ومن نماذج جمهورية افلاطون راجع كتاب النظرية الخيالية ترجمة حنا خباز و راجع ايضا سلسلة تراث الانسانية (لونيبيلا) ٣٨٤ / ١

ومن ذلك ايضا النظرية الاجتماعية لارسطو راجع تاريخ علم الاجتماع (جاستون بوتول) ص ٩ وكذلك نظرية (الحق الالهي) راجع : مدخل الى علم السياسة ص ٢٦ -

وقال مكيا فيلي ان الدولة غايّة بذاتها ولا داعي للخوض فيما وراء ذلك .. أي ليست الغاية هي المثل العليا كما يقول الفلاسفة ، وليست هي تنفيذ القانون الالهي كما يقول المؤمنون ...

وفي سبيل تحقيق هذه الغاية لا مانع من سلوك أي سبيل يوصل اليها واستخدام أية وسيلة من شأنها تسهيل ذلك مهما وصفت تلك السبل والوسائل باتيها غير اخلاقية ومهما تنافست مع الدين ومنهجيه فسي السلوك .. (١)

تلك صورة موجزة للمكيا فيلية كما ظهرت في عصر النهضة ..
فلا شك ان ذلك أثر من الاثار الالحادية ...

(١) ان هذه الفكرة مأخوذة - بلا شك - من الفكر اليهودي التلمودي . قد مر بنا انهم قالوا في بروتوكولاتهم (ان الغاية تبرر الوسيلة) كما قالوا في تلمودهم مايلي :

" تتميز ارواح اليهود عن باقي الارواح بانها جزء من الله كما ان الابن جزء من والده " فهم شعب الله المختار " أما غيرهم فيقول عنهم التلمود : " الخارج عن دين اليهود حيوان فسمه كلبا او حمارا او خنزيرا .. والنطقة التي هو منها هي نطقة حيوان " راجع (الكنز المصود في قواعد التلمود) د . روهنج وزميله ت : يوسف حنا نصر الله بيروت

مظاهر الالحاد في المذاهب الجديدة

ان هذه الحضارة الحديثة ، الى جانب ما حققت من خطوات تقدمت فيها البشرية تقدما رائعا في مجالات الاكتشاف والبحث العلمي والصناعية الالوية ، ووسائل المييش الرفيد ، وتعميم المنافع و " المساواة " بين مختلف الطبقات ...

رغم كل ذلك قد اقترنت هذه الحضارة بنقائص أساسية ومساوى فاضحة أبرزها : (١)

التنافس الاستعماري والصراع بين الاثوام وظلم الطبقات والافراد بعضهم لبعض .. وغلبة الاثرة .. والاهداف المادية على الناس افرادا وجماعات ... وضعف التوازن الخلقي والضميرى . وتزعزع القيم واضطراب العقائد والقلق الروحى واهمال المواهب والملكات الروحية في الانسان ... وتسخير العلم لغايات مادية غير اخلاقية (٢) وحصر الاصلاح الاجتماعى حين يكون اصلاح ، بالنواحي الاقتصادية وحدها .. وبالجمله دون النهايات والاهداف ...

كل ذلك لسبب اساسى هو ان هذه الحضارة قامت على الالحاد .. الالحاد فقط .. فلذا لم ترتكز على تصور صحيح ، - لحقيقة الكون - وحقيقة الانسان - وحقيقة الحياة فاهملت في الانسان مواهبه الروحية .. كما اهملت صلة الانسان بخالق الكون وجمدت وتنكرت مسئولية الانسان امامه ..

(١) راجع كتاب الفكر الاسلامى الحديث في مواجهة الافكار الغربية ، محمد المبارك

ص ٤٤ - ٤٥ ط الثانية ١٩٧٠ - ١٣٨٩ هـ

وانظر ايضا مقدمة مبادئ الاسلام للمودودى وفصل لا اله الا الله منهج حياة من معالم في الطريق

وانظر ايضا السبيل الى عالم افضل كارل بيكر ، ت : عبد العزيز اسماء بل القاهرة ١٩٤٨ م

ص ٧٢

(٢) الصنم الذى هو ، ستة من كبار الغرب ، ترجمة فؤاد حمودة ، المكتب الاسلامى

١٩٦٠ م ص ٩٠

وكانت نتائج انهيار العقائد والقيم الخلقية والروحية انفسح المجال لظهور مذاهب جديدة في العقيدة والاخلاق والسياسة تحل محلها . وكانت المذاهب المادية والعلمية والاشتراكية والديمقراطية والقومية وغيرها .. (١)

ومن مظاهر هذا الالحاد الفريد الاعتزاز بالقوة المادية في المال وتقدير الناس على اساس الثراء والحياة والمصيبة .. والسخرية من المؤمنين الضعفاء .. وغير ذلك .. (٢) (٣)

* * *

ولا يسعنا ان ننتقل الى الجزء التالي حتى نشير الى هذه الدعاوى الفارغة التي يزين بها الملاحدة حضارتهم هذه . بانها حضارة الحرية والديمقراطية التي تحقق للبشرية المساواة والسلام الدوليين ..

المساواة الفارغة

نود هنا ان نبين للناس ان هذه المساواة التي تتزين بها هذه الدول الملاحدة ، انها دعاوى فارغة واستهزاء بحقول الناس . ان ذلك يظهر لنا من ناحيتين :

(١) اقوال بعض الغربيين

(٢) فتح سوق لبيع العبيد السود .

واليك فكرة موجزة عن كل منهما :

(١) الفكر الاسلامي الحديث في مواجهة الفكر الغربي محمد المبارك ص ٤٤

(٢) الدين والدولة ، الدكتور محمد البهي ص ٦١

(٣) راجع كتاب مدخل الى علم السياسة (هارولد لاسكي) ت : عز الدين محمد البهي مصر ١٣٩٥ هـ

وتاريخ العالم ، جمع جون أ . هامرتن ، ت : ادارة الترجمة مصر ج ٤

في هذين الكتابين نجد (لاسكي) يصيب النظريات السياسية الاوربية

قد يمسها وحدثها وينقد الديمقراطية نقدا لا ذعا الا انه تربى في ظل

هذا الحكم المادي ما استطاع ان يدل على نظرية سياسية عادلة ..

أولا - اوريبيون ينقضون هذه الديمقراطية المنحرفة :

ان المتأمل في هذه الدول الديمقراطية في العصر الحديث ، يجد انها ترفع صوتها بين الجماهير والعوام :

— الحرية ! — المساواة ! — الأخوة !

ولكنها في نفس الوقت أكبر عدو من اعداء الحرية والمساواة والاخوة . . بل انها هي التي حالت — ولم تزل — تحول بين الناس وبين الحرية الحقيقية واذا اردنا مصداق ذلك فلنستمع الى التصريحات التالية : يقول (لاسكي) (١)

" ان الدولة (الديمقراطية) تبذل الكثير في سبيل تحقيق المساواة بين المواطنين فيما تمنحهم من ضمانات . . كما تتجه اوامرها القانونية الى حماية الملكية القائمة للامتيازات اكثر مما تعمل على توسيع نطاقها .

" فانقسام المجتمع الى فقراء واغنياء يجعل اوامر الدولة تعمل لصالح الاغنياء ان نفوذهم برغم (نواب الدولة) وذي السلطة فيها على ان يكون لرغباتهم الاعتبار الاول . .

" وتعتبر الدولة عن رغبات أولئك الذين يسيطرون على النظام الاقتصادي . . فالنظام القانوني بمثابة قناع تختفي وراءه مصلحة اقتصادية مهيمنة لتضمن الاستفادة من النفوذ السياسي .

" فالدولة اثناء ممارستها لسلطتها لا تعمل الى تحقيق العدالة العامة او المنفعة العامة وانما تعمل على تحقيق المصلحة للطبقة المسيطرة في المجتمع بأوسع معاني هذه المصلحة . . (٢)

(١) مدخل الى علم السياسة ص ٨٥ تأليف (هارولد لاسكي) ت : راشد البراري مصر ١٩٦٥ م

(٢) لورا جنت كتاب تاريخ البشرية تجد ان الشيوعية تدعي انها شكل سياسي لمجتمع اشتراكي قائم على الملكية العامة لوسائل الانتاج مخطط ومتحرر من الاستغلال " ولكنها كلها كلمات جوفاء . . تأليف منظمة اليونسكو ت : عثمان نوية وزملاؤه ، مصر ١٩٧١ م

والكلام ما زال مع (لاسكى)

ان الحرية والمساواة اللتين حصلنا عليهما كانتا اولا وقبل كل شئ " حرية ومساواة
لمالك الثروة .. (١)

" والامثلة الواقعية على ذلك واضحة للعيان ولعلها في الحرب التي
خاضها وتخوضها الولايات المتحدة اصرح دليل على خضوع السياسة الديمقراطية
لضغط الطبقة المحتكرة .. (١)

فالحرب العالمية الاولى وكذلك الحرب الثانية ثم حرب (فيتنام) كلها
دخلتها (امريكا) دون ان يكون لها مصلحة مباشرة او يتعرض أمنها القومي
للخطر وبغض النظر عن دوافعها ونتائجها .. كان الشعب الامريكى يرفض تدخل
حكومته في هذه الحرب وكانت المظاهرات الصاخبة احتجاجا على ضياع الأرواح
والأموال فيما لا جدوى منه ..

" لكن الدابقة الرأسمالية التي تملك مصانع السلاح وشركاتها الكبرى التي
تتولى تسويقها .. تكمن مصلحتها في اشغال الحروب واستمرارها ...
والذى حصل - ويحصل - دوما هو : تنفيذ رغبة هذه الفئة القليلة

مقابل تعطيل رغبات الشعب كاملة .

(٢)
ولما حاول الرئيس (كندى) تقديم المصلحة القومية وعقد اتفاقية وفاق
دولى ، تخلصت منه هذه الطبقة .. فازهقت روحه بعملية اغتيال غريبة لاتزال
اسرارها في طي الكتمان الى الان .. "

(١) المصدر السابق : ٥٠ ، ١٩ ، ١٤

وراجع ايضا كتاب لغة تراث الانسانية ج ٣ ص ٣٤٢ حيث يقول فيه (ارنولد
توينبى) : اصبح استخدام اصطلاح الديمقراطية مجرد شعار ———
الدخان لا خفاء الصراع الحقيقى بين مبدأى الحرية والمساواة "
وللكتاب (رسل) بحث مثل ذلك راجع كتاب العقل والمادة ص ٤١ - ٤٢ - ٤٣
تاليف برتراند رسل ت : احمد ابراهيم الشريف القاهرة ١٩٧٥م

وهكذا رأينا الى هذا النص الواضح ان المساواة في ظل السياسة الديمقراطية مجرد خيال او خداع .. بل لقد ساهم الديمقراطية نفسها في انهيار الحضارة وذلك لسماحها لوجود الصراعات الدائمة بين الاحزاب المنقسمة على بعضها
اولا ..

والتحريض على المنافسات الحقة بين المواطنين ثانيا ..
وعدم وجود سياسة متجانسة لمدى طويل اخيرا ..

* ■ *

وملاحظة هذه المساوىء هي التي دفعت بالكاتب الانجليزى

(ا . د . د . لنداس) الى القول :

" ان هناك دائما هوة رهيبة بين النظريات الرفيعة عن الديمقراطية التي تطرأ عنها في كتب النظريات السياسية وبين وقائع السياسة الفعلية " (١)
ان دل هذا على شىء فانما يدل على تأثير الاحاد في جميع التصورات الاوروبية وسلوكها ..

وبعد هذا ننتقل الى الجزء الثانى وهو المأساة الانسانية الكبرى ..

(١) ان مثل هذا الخداع السياسى كما يوجد في الديمقراطية (الليبرالية) يوجد

ايضا في الديمقراطية الشيوعية الشعبية فهذا لينين يقول : " يجب على

المناضل الشيوعى الحق ان يترس بشتى ضرب الخداع والغش والتضليل -

فالكفاح من اجل الشيوعية يبارك كل وسيلة تحقق الشيوعية " نقلا عن

كتاب اشتراكيتهم واسلامنا بشير الصوف : ٣٦ و ٣٧

وقد صرح (مايلز كوبلاند) صاحب لعبة الامم ان هذه السياسة التحليلية

هي منهج السياسة الامريكية . راجع شرح كتاب الدبلوماسية والميكافيلية

محمد صادق ص ٣٤١ .

وراجع ايضا معالم تاريخ الانسانية ص ٤ - تأليف هـ ج . ويلز ت : عبد

العزير توفيق جاويد القاهرة ١٩٦٧ م

بيع العبيد السود

ان اوربا التي تدعى الحرية والمساواة والاخوة قامت بفعل تعجبه الاسماع
وبأباه الطباع وتدمع منه المبيون وتحزن له القلب . . .

وهذا الفعل . . هو الاضطراب العظيم . . او تجارة العبيد السود بأرخص

الأثمان . .

تحكي لنا المعطيات التاريخية الموثقة بها ، ان هذه التجارة كانت

استنزافا لحيوية الشعب الافريقي . .

وكانت تختلف اختلافا تاما عن مجرد اخضاع شعوب مغلوبة على امرها . .

حتى انها كانت - على حد تعبير (باسيل دافيد سون) (١) أسوأ تأثيرا من

الموت الاسود الذي يقال انه قضى على ثلث سكان أوربا . . ذلك لأن تجارة

العبيد امتدت اثارها فشملت النواحي الاجتماعية وحطت من قدر الحياة الانسانية

نفسها بالنسبة للافريقيين وللاوربيين الذين تعاملوا ل بها . . . والبك بيان ذلك :

قصة تجارة العبيد في الاسواق الاوربية

ان من وقف على العمل البربري الذي قام به الاوربيون - الذين يدعون

المساواة والحرية والاخوة ضد الشعب الافريقي - يعلم يقينا ان هذه الخوفاية

كلمات جوفاء لا تستند الى حقيقة واقعية . . .

بذكر التاريخ ان طلب اوربا للعبيد بدأ حوالي سنة ١٤٤٤ م حين وصلت

شحنة من السود من (السنغال) الى (لشبونة) واستمر الطلب عدة مئات من السنين (٩) (٩)

بعد ذلك على حين كان البرتغاليون وغيرهم يتنافسون في ميدان هذه التجارة . .

حتى قيل : ان عدد العبيد الزنج الذين اختطفوا من افريقيا فاق عدد سكان البرازيل

باكليهم .

(١) راجع : افريقيا القديمة تكتشف من جديد : تاليف (باسيل دافيد سون) ترجمة

نبيل بدر وسعد زغول مراجعة محمود شرفي الكيال ص ٥٨

وقد جلب تجار العبيد من افريقيا اعدادا بالملايين مات الكثير منهم نتيجة الحروب او اثناء شحنهم على ظهر السفن . (١)

وقد قدر مؤرخ برتغالي اخيرا ان نحو ٣٨٩٠٠٠٠ عبد قد تم جلبهم من ساحل (انجولا) وحدها ما بين سنة ١٤٨٦م وسنة ١٦٤١م بمعنى ان نحو ٣٨٩٠٠٠٠ عبد في السنة الواحدة كانوا يختطفون من منطقة لم تكن قط كثيفة السكان . .

وقد ورد تقرير للملك فيليب الاول العدد العبيد الذين اخذوا من (انجولا) ونقلوا الى البرازيل ما بين سنوات ١٥٧٥ - ١٥٩١ م بانهم : ٥٢٠٥٣ بمعدل ألفي عبد كل عام . .

وأما (كادو بنجا) قدر العدد الكلي للعبيد الذين نقلوا الى البرازيل واكثرهم من (انجولا) و (موزمبيق) بين عامي ١٥٨٠ و ١٦٨٠ م بحوالي مليون ، بمعدل عشرة الاف كل عام (١)

هذا ما فعلته اوربا الجاهلة ياخوانها في الانسانية . . كانوا يبيعونهم ببيع السلمة بل كان العبيد احقر عندهم من السلمة . . (٢)

وتلك هي المعاملة الاوربية الملحدة بالانسانية . . ثم بعد ذلك تجدهم يدعون انهم الانسانيون الرحماء يراعون حقوق الانسان ويحترمونها وان كنت تمجب فأعجب من التقارير التالية . .

(١) المرجع السابق ص ٥٨

(٢) تطور المجتمع الامريكي ص ١١٢ فما بعده تأليف (كينث لن) ت . نعيم موسى دار البقعة ١٩٦٦م يقول فيه : وهو يعيب الرأسمالية - " ولا عجب من ان يفضل الناس العبودية البيضاء اي (عبودية رأس المال) على عبودية (الزنج) طالما انها تدر ربحا اكثر وتحررهم من جميع المسئوليات والاعمال التي يقوم بها مالكو العبيد (الزنج) .

تقارير ليفربول

بخبرنا التاريخ انه خلال احدى عشرة سنة ٠٠ من سنة ١٧٨٣ الى سنة ١٧٩٣ م قامت من ليفربول نحو حوالي ٩٠٠ رحلة بحرية لتجارة العبيد حملت أكثر من ٣٠٠٠٠٠ ر عبد وكانت تبلغ قبضتهم في هذه الايام ١٥٠٠٠٠٠٠٠٠ مليون جنيه ٠٠

وبلغ ما في هذه الرحلات التسعمائة (١٢٠٠٠٠٠٠٠) مليون جنيه بمعدل مليون جنيه كل عام ٠

ويضيف (بارت) في كتاباته في منتصف القرن التاسع عشر من تجارة العبيد داخل السودان الغربي والتي كان مركزها (كانسو) (بنيجريا) ^(١١) أنها بـ ^(١٥) بلغت الى ذروتها حتى انه ساد الاعتقاد احبانا بصحوبة القضاء عليها ٠٠ (١) هذه من الاعمال الاجرامية التي قامت به اوربا تجاه الشعب الافريقي ٠٠ بعدما اعلنوا مراعاة حقوق الانسان ٠٠ (٢)

هل هذه الافاعيل المنكرة تتناسب مع الاخوة والمساواة والحرية ؟ وهكذا بفعل الالحاد بأهله ٠٠

وصدق الله تعالى ﴿ لقد افلح من زكاهما وقد خاب من دساها ﴾ هذا وصف موجز لفساد التصور الاوربي بسبب الحادهم في الله عز وجل ٠٠ والصياد بالله من الالحاد ٠٠

فلنتقل سريعا الى لون آخر من ألوان التأثير الالحادي في الحياة الاوربية وهو ادهي وأمر ٠٠ فالى هناك ٠٠

(١) المرجع السابق ص ٥٩

(٢) راجع الام المتحدة وموازن القوة المتجولة في الجمعية العامة تاليف كيمبل داغر ص ٩

الفصل الثالث

الخمير وعجز القوانين الوضعية

وقد تواترت الاشارات في القرآن الكريم الى جهل الانسان بأمر نفسه ومستقبله ومصيره ومآلات افعاله ، مع تاثره بالشهوات والهوى وبالضعف بحيث لا يصلح - بجهالته هذه وضعفه وهواه - أن يتولى وضع منبرج لحياته هو وان كان مزودا بالقدرة على استخدام المادة الصماء ومعرفة قوانينها اللازمة له في الخلافة ..

ولكن لما خسر الناس انفسهم بالحادثهم ، ارادوا ان يضمنوا لانفسهم مناهجا لحياتهم ، فكانت النتيجة الخسارة الفادحة للانسانية جمعا كما ذكرنا آنفا .

ومن يتأمل في القوانين الوضعية يجد فيها اثر الاحاد واضحا ، يجد ان هذه القوانين عاجزة كل العجز ان تلبي جميع مطالبات الانسان .. ولن نذهب بك الى اعماق التاريخ وكفينا ان نشبه هنا حادثة واحدة فقط فسي تاريخنا المعاصر .. ان هذه الحادثة لا تدع مجالا للشك من ان الانسان بمجيز كل العجز ان يقوم بنفسه دون رجوع الى شريعة الله الذي يعلم السر وأخفى ..

ان هذه الحادثة وقعت في (اميركا) التي لا يجاريها احد في التقدم الصناعي والتكنولوجي ومع ذلك سترى عجزها وتراجعها عن هذا الميدان .. واليك القصة تلخيصا عن كتاب " نحن والحضارة الغربية " للشيخ المودودي : وفي النهاية نبدي رأينا الشخصي ان شاء الله تعالى ..

" في اوائل شهر ديسمبر سنة ١٩٣٣ م صدر الاعلان الرسمي في اميركا بالغاء قانون تحريم الخمير (prohibition Law) (١)

(١) راجع كتاب نحن والغرب للشيخ المودودي المرحوم ص ٥٣

" فارتد اهالى الدنيا الجديدة الى معاقرة المداومة والكأس بعد اربعة عشر عاما
 .. قضوها في مشقة تحريمها ...

(١٢)

كان تولى السيد (روزفلت) لرئاسة الجمهورية الامريكية الاعلان بانتصار

(الخمر) على الأمر ، فاعقبته اولا اباحة الشراب الممزوج بـ ٣٢ % من الكحول

في ابريل من سنة ١٩٣٣ م بقانون رسمي ثم لم تحض عليه بضعة اشهر حتى ألغى

التعديل الثامن عشر من مسودة الدستور الاميركي وهو الذى اباح به على الناس

بيع الخمر وشراؤها وصنعها وتصديرها واستيرادها ...

" كانت هذه اكبر تجربة جربها الانسان لاصلاح الاخلاق والسلوك

الاجتماعي بقوة القانون وسلطة الحكم لا يوجد لها نظير في التاريخ .. وذلك

انه قبل ان يدخل التعديل الثامن عشر على الدستور الاميركي اقيمت في البلاد

دعاية واسعة النطاق ضد الخمر .. دعايات في ترغيب الاميركيين عن الخمر وتثبيت

مضارها بالقاء الخطب وتاليف الرسائل والكتب وعرض المسرحيات وافلام السينما ..

وانفقت في سبيل هذا التبليغ عشرات السنين ، وبذلت الاموال حتى

قدران نشرات النشر والاذاعة بلغت تكاليفها من لدن بدء الحركة الى سنة

١٩٥٥ م مبلغ خمسة وستين مليون دولار ٦٥٠٠٠٠٠٠٠ دولار ..

وانه بلغ عدد الصفحات التي سوي د بياضها لبيان مساوى الخمر والزجر

عنها تسعة الاف مليون صفحة ..

وذلك قبل بدء التجربة .. واما ما تحملته الأمة الاميركية في الربعة

عشر عاما الماضية من النفقات الباهظة لأجل تنفيذ قانون التحريم فقد

مجموعها باربعة ملايين ونصف مليون جنيه . (١)

" وتدل الاحصاءات التي اذاعها ديوان القضاء الاميركي للفترة

الواقعة بين يناير من سنة ١٩٢٠ م واکتوبر من سنة ١٩٣٣ م

أنه قتل في سبيل تنفيذ هذا القانون مائتا نسمة وسجن نصف مليون وغرم
الجنة ما يربو على مليون ونصف مليون جنيه ، وصادر من الأملاك ما يساوي
اربعمائة مليون جنيه . .

لماذا كابدت اميركا ، كل هذا النقص الهائل في الأنفس والأموال ؟

يجيب الشيخ المودودي بقوله :

" كابدته اميركا لفرض واحد هو : تلقين الأمة الاميركية " المتحضرة "

مفاسد الخمر الجمّة ، وتبينها الى مضارها الروحية والصحية والاخلاقية
والاقتصادية . .

" ولكن كل هذه الجهود المتوالية التي بذلت قبل تنفيذ التحريم .

ومعده بتأييد من قوة الحكومة وسلطانها ، خابت لدى الأمة الاميركية . . .



والسؤال هنا هو : كيف خابت اميركا في هذه المحاولة ؟ هل

تنقصها قوة تفرض بها شخصيتها على الشعب الاميركي ؟ أو ازيلت
المضار عن الخمر ؟ ورجعت الى المنافع ؟

يجيب الشيخ المودودي بقوله :

" لقد عاد القوم من هذا الجهاد الاصطلاحي بصفقة خاسرة "

لم يكن اخفاق الحكومة الاميركية في تحريم الخمر ولا الخاؤها لقانون

التحريم بعد تنفيذه راجعة الى ان مضار الخمر التي أعيد وأبدى في بيانها

فيما قبل - واستخدمت سلطة القانون وقوة الدعاية لاستئصالها . . قد

تحولت الى المنافع ، وأجاء اكتشاف على جديد يصح آراء الناس

في الخمر . .

"بل الحق ان قد برهنت لهم شواهد اقوى وتجارب أوسع وأكثر... مما كان منها في السابق ان الخمر ام الخبائث... وان لها النصيب الاكبر في تشويه اخلاق الأمم الغربية وتخریب صحة ابدانها وافساد معاشها واجتماعها... ولكن الذى كان حرم باصواته استعمالها قبل اربعة عشر عاما... عاد هو نفسه يصر على اباحتها... واطلاق الحرية في استعمالها..."

* * *

* والذى نعلمه انه لم يجحد احد من خلق الله بمضار الخمر حتى ولا اشد حمايتها وهواتها ، ولا تقدم احد ممن يخالف تحريمها ببينان لمحاسنها ومنافعها بquam له وزن في جنب مفسدها الكثيرة... وعندما عرض على المؤتمر الاميركي الاقتراح بادخال التعديل الثامن عشر على الدستور بتأييد قوى من الرأى العام تثبت القوم في الأمر... ووازنوا جيدا بين الحياتين ، حياة بليلة ببال الراح المباح واخرى جافة بجفاف الزهد والامتناع ولم يوافق المؤتمر على هذا التعديل الا مراعاة لكل ذلك المضار التي في الخمر... ثم أيدته عليه ست واربعون ولاية من الولايات المتحدة...

وصادق على قانون التحريم التابع له كل من مجلس النواب (Congress) ومجلس الاعيان (Senate) وتم كل ذلك حسب رضا الأمة الاميركية وارادتها... وما دام امر هذا التحريم حبرا على القراطاس وحديثا في الأفواه بقيت الأمة تؤيده وتحاميه عنه... (١)

" ولكن العجب - وأمر الغريب كله غريب - انه لم يكد يدخل هذا القانون في طور التنفيذ وفي حيز العمل حتى تبدلت الأمة غير الأمة

فمادت - وهي ارتقى أم الارض مدنية واقولها سياسة وأغورها علما وأرجحها
عقلا واميلها الى الحقيقة والواقع - عادت لا تطبق الصبر عن أم الخبائث
هذه ، وما باتت ليلة واحدة بدونها حتى جن جنونها وطار حواسها
وأخذت تأتي من الافعال ما يخيّل الى الناظر انها توشك ان تشدخ رأسها
بغير أو صخرة كفعل العاشق المجنون ...

فلم تكف تغلق الحانات القانونية العلنية في البلاد بجانب ، حتى
انفتحت فيها بجانب اخر الاف مؤلفة من الحانات السرية التي يحتال
فيها اصحابها ضروبا من الحيل لبيع الخمر وشراؤها وشربها وسقيها ... اتقاء
مؤاخذه القانون .

* * *

وبلغ من طغيان شهوة الخمر على الناس ان اصبحت دلالة
رجل منهم لاخر من اقاربه او اصدقائه على مكان حانة خفية او على كلمة
سرّها ، عملا من البر والاحسان عظيمها ...
وقد اصبحت الحكومة لا تستطيع ان تراقب عدد الحانات كما كانت تفعل
ذلك قبل التحريم ... فاختلط الحابل بالنابل ، لا يعرف النوع الجيد من
الردى ، وأقبل الناس على شرب الخمر بشكل لا مثيل له في تاريخ اميركا
ففلت اثمان الخمر غلاء فاحشا ... وعادت مهنة بيع الخمر من ارباح الممن
وأفصحها ... وبينما كان عدد مصانع الخمر الحائزة للامتياز قبل التحريم لا يمدو
اربمائة ، فقد عثروا في مدة سبع سنين بعد التحريم على قريب من ثمانين
ألف ٨٠٠٠٠ مصنع ..

(١) ووجدوا اكثر من تسعين ألف أتون لصنع الخمر ... على اقل تقدير ...

"لقد حدث ان اصبح الامريكيون يشربون مئتي مليون غالون (Gallons) من الخمر في كل سنة .. وكانت الخمر التي تصنع بعد التحريم أردا نوحا وأشد بالصحة ضررا حتى قال الأطباء انه سم وليس خمرا ."

عدد المرضى

قد كان عدد المرضى حسب الاحصاءات لمدينة (نيويورك) في
قبل التحريم فصار
سنة ١٩٨٨ م ٢٥٢ نفسا / (٤٧٤١) نسمة بعد التحريم .

وكان عدد المهالكين من استعمال الخمر آنذاك : ٢٥٢ نفسا
ثم بلغ عدد المرضى فيها لسنة ١٩٢٧ م بعد التحريم أحد عشر الفا
وعدد المهالكين سبع الاف ونصف الألف . ما عدا الذين لم يعثروا
عليهم فلا يعلم عددهم الا الله ..

" كذلك كثرت الجرائم وخاصة جرائم القتلان كثرة فاحشة وشهد
القضاة الامريكيون انه لم تعهد في تاريخ بلادنا هذه الكثرة الكاثرة من الصبيان
المقبوض عليهم في حالة السكر " انتهى (١)

هذه هي من نتائج الالحاد .. وهذه امريكا قد عجزت قوانينها
ان تقرر هذا الحكم ... والان نود ان نعلق على هذه الحقيقة التاريخية
التي هي ..

تأملات في هذا التقرير

ومن يتأمل في هذا التقرير يصل الى النتائج التالية :

(١) زالت عن القلوب حرمة القانون ونشأت نزعة للبغي والتمرد في كل طبقة من طبقات المجتمع الاميركي ..

(٢) لم تتحقق الغاية المقصودة من تحريم الخمر ، بل زاد الطين بلة ، بحيث زاد استعمالها بعد التحريم على ما كان عليه قبله ..

(٣) لقد تجشمت الحكومة خسائر فادحة لا تحصى في تنفيذ قانون التحريم .. ومثلها ايضا اصاب الشعب الاميركي لاشرائه الخمر خفية باثمان غالية فتأثرت بذلك اقتصاديات البلاد ..

(٤) كثرت الامراض واختلت الصحة وازدادت نسبة الوفيات وفسدت الاخلاق وشاعت الرذائل وتفاحشت الجرائم في جميع طبقات المجتمع الاميركي وعلى الاخص في الجبل الناشي ..

وكانت هذه كلها من ثمرات هذا القانون الذي صدر من تلك القلوب الملحدة والافكار المنحرفة التي جمعت نقطة انطلاقها الاحاد والبعث عن هدى الله في التصور والسلوك والحكم ..

هناك سؤال هام يفرض نفسه على الباحث وهو : ما هو السر في عجز القانون الاميركي ؟ هل هذا النقص يرجع الى القانون نفسه او الى الواضعين لهذا القانون ؟

فسوف نرى الاجابة على هذه الاسئلة في الصفحات التالية عندما نتحدث عن تحريم الخمر في الاسلام ..

كيف تم تحريم الخمر في الاسلام

والان هيا بنا نرسل نظرة عابرة في قطر كان يعد أعشق الناس
الى شرب الخمر وأجمل اقطار الارض في أظلم عصور التاريخ الانساني ..
قطر كان الناس فيه مقهالكين على شرب الخمر ومتفاوتين فيها ..
وأشعارهم شاهدة على ذلك : كانوا يعتبرون شرب الخمر لا زما من لزوم
حياتهم ..

ثم ماذا حدث بعد ذلك ؟

حدث هناك ان هذا القطر هاجروا الخمر وهاجروا من يشربها بل
يضر بونه بالنعال - ولم يكتفوا بان ياتيهام امر من رسول الله صلى الله عليه
وسلم فينتهبوا عنه ؟ بل قاموا هم بانفسهم يستفتون النبي صلى الله عليه
وسلم عن حكم الخمر ..

فاذا الايات القرآنية الكريمة تقول :

* يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس ، واثمهما
أكبر من نفعيهما * (١)

فيسمع الناس الآية الكريمة .. وليس فيها امر او نهى وانما هي
خبر عن حقيقة الخمر وانها ذات منافع وذات مضار ولكن ضررها أكبر من نفعها
ولكن بسبب تأثير تعاليم الاسلام فيهم ■ نجد قوما مشبهين بتكونها ويقولون :
لا حاجة لنا في شربها ولا في شيء فيه اثم كبير .. ويشربها قوم لقوله تعالى :
* ومنافع للناس *

ثم أعيد السؤال ثانية عن الخمر ، اذ كان بعض الناس يملكون
وهم سكارى فنزلت الآية التالية :

(١) سورة البقرة : ٢١٩

* يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون * (١)

فحرم السكر في اوقات الصلاة ولكنه تركها قوم بالمرة وقالوا : لا خير في شيء * يحول بيننا وبين الصلاة * وقال قوم .. نشربها ونجلس في بيوتنا فكانوا يتركونها وقت الصلاة ويشربونها في غير اوقات الصلاة وذلك لكيلا يصلوا وهم سكارى أو يضطروا الى ترك الصلاة من أجل السكر ..
فبعد ذلك تطلعت نفوسهم الطاهرة الى بيان شاف للخمر ..

فأنزل الله تعالى :

* يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والالزام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون .. * * انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم متدينون وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين .. * (٢)

فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : " انتهينا يا رب ! " وقال أنس رضى الله عنه : " حرمت ولم يكن للمرب يومئذ عيش اعجب منها ، وما حرم عليهم شيء أشد من الخمر .. قال : فأخرجنا الحجاب الى الطريق ، ولقد غودرت أزقة المدينة بعد ذلك حيناً ، كلما مطرت استبان فيها لون الخمر وفاحت ريحها " .

(١) النساء ٤٣/

(٢) المائدة ٩٠/

يراجع في ذلك كتاب الشيخ القرضاوى سماه

أما منا تجربتان

أيها الملحد : ولو كنت ملحدا ولكن العقل والمنطق يستطيعان ان يفرقا بين المستقيم والمعوج .. وبين الحق والباطل اذا لم يكن هناك هوى النفس ..

أماك تجربتان اثنتان :

— تجربة أجريت في اميركا في العهد القريب

— وأخرى جريت في العرب في صدر الاسلام

والفرق بينهما كما سمعت ايها الملحد | فلك ان توازن بينهما وتقارن

ثم تستخلص من ذلك العبرة .

ففي القطر الاميركي قام اولوا الاصلاح بدعاية واسعة ضد الخمر مدة سنوات طوال . وبذلوا ملايين الدورات لاعلان مضارها ومساوئها وبينوا آفاتها وفساد آثارها في جسم الانسان واخلاقه واقتصاده بأدلة ناهضة من تعاليم الطب والاستنباط المنطقي وأثبتوها اثباتا لا يدع احدا في شك من الأمر .. بل أروا الناس مضار الخمر رأى العين متمثلة في الصور وسمعوا سمعهم لأن يؤمن الناس بمفاسد أم الخبائث .. فاستعدوا لتركها من تلقاء انفسهم .. ثم ان المؤتمرا الاميركي وهو اكبر حزب سياسي للاميركيين حينئذ قطع بتحريم الخمر باكثرية غالبة ، فسن له قانونا ، ثم جاءت الحكومة وهي من اعظم حكومات الأرض واقواها . فاستفرغت جيودها لمنع بيعها وشراؤها وصنعها وتدويرها واستيرادها ، ولكن الأمة وهي في طليعة الأمم " المثقفة المستنيرة " ترفض هجرها فاضطر القانون في مدة اربعة عشر عاما أن يرجع القهقري فيحل بنفسه ما حرمه بالأمس ..

انظر يا ملحد كيف يصنع اللاحد باهله .. فهم دائما في ريبهم

يترددون .

ثم انظريا ملحد الصفحة الثانية البيضاء .. هل رأيت أحدا في الاسلام

قام بنوع من الدعاية ضد الخمر .. هل رأيت أحدا انفق مالا في سبيل تحريره ؟
الجواب لا !

وقال انس بن مالك : كنت ساقى القوم يوم حرمت الخمر فـي
بيت أبي طلحة .. فاذا مناد ينادى فقال القوم : اخرج فانظر ! فاذا
مناد ينادى ، ألا ان الخمر قد حرمت .. قال : فجرت في سلك المدينة
فقال لي ابو طلحة : اخرج فاهرقها ! فمهرقتها ..

وقيل كان رجل يشرب الخمر واوشكت الكأس أن تمس شفثيه ، اذا
بداخل دخل عليه وقرأ آية التحريم ، فانفصلت الكأس من فيه للحال ، ولم
يذق لسانه قطرة مما فيها بعد ذلك ..

وكل من شرب منهم بعد ذلك ضربوه بالنعال وبالجريد والعصى ثم
جلدوه أربعين ، ثم جعلوا حد الشرب ثمانين جلدة .
فكان من نتيجة ذلك ان هجر هؤلاء الابرار شرب الخمر هجرا ..
ثم حينما بلغ الاسلام اقطار الارض من افريقيا وآسيا زهد الأمم
فيها ونفروا عنها .. حتى صرت ترى اليوم - وقد ضعفت آثار تعليمه -
ملايين من المسلمين في هذه الدنيا يجتنبون الخمر بدون زاجر من قانون التحريم
او مانع من نظام التمييز ...

ولكن لو أحصيت اليوم نسبة الشاربين في العالم ولعل تكون هذه الجماعة
الاسلامية ، أزهد الأمم في الخمر ...

ولو شرب من هذه الأمة شارب ، لا يشرب الا وهو يعتقد انه يرتكب اثما
ومعصية ، فيندم عليه في قلبه وربما تاب عنها من تلقاء نفسه ..
وانما أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم على الناس أن يا قوم
لقد حرم الله الخمر ... أعلنها في الأمة كانت أعشق للخمر من الأمة
الأميركية .

فودعتها وداعا لا رجعة لها بعده ما دامت في دائرة الاسلام ..

هل تدبر جيداً - في ما ملحد - أسباب هذا الفرق العظيم بين

التجربتين :

الاسلامي والاميركي ؟ ... ولو تدبر حق التدبر تبين لك أمور

هي كالأصول الكلية الثابتة لا في الخير وحدها بل في جميع مسائل القانون

والاخلاق ..

أولهما :-

_____ انه فرق اساسي بين الاسلام والقوانين الوضعية في

تنظيم السلوك الانساني ، فالقوانين الوضعية تعتمد تماما على الرأي الانساني ..

والمعلوم ان الرأي الانساني مضطرب بطبيعة حال الانسان .. فكيف اذا كانت

تلك القوانين مستمدة من آراء العامة ؟ فيهم مجرمون يريدون البقاء على

اجرامهم كما حصل ذلك في هذه القصة التي نحن بصدد حلها ..

* * *

ولنفرض ايضا ان القوانين مستمدة من رأي الخاصة اصحاب الاختصاص

بوضع القوانين ، فانهم ايضا لا يزالون يتأثرون في كل آن بالمواطن والنزعات

الانسانية والاسباب والعوامل الخارجية واحكام العلم والعقل القابلة للتغير

مما لا يلزم ان يكونوا بجانب الصواب في كل حال ..

وهذا التأثير بلا شك - يؤدى الى التغير في الافكار والآراء وهذا

التغير يتبدل بالضرورة مقاييس الخير والشر والصحيح والخطأ .. والجاء -

والمحظور ... والحرام والحلال ..

واضطراب هذه المقاييس يكره القانون على ان يميل معها حيث مالت وذلك

لا يتحقق للأخلاق والفدنية مقياس ثابت .

وأما الملاحدة الذين ابتعدوا عن الله تعالى يدعون الى الحرية في كل

شيء هذا الذي يعبرون عنه بهذه الكلمات :

التقدمية - التطور - الواقعية - تحرير المرأة ...

يعنى ان نترك الزمام بيد انسان نفسه لكي يتقدم ويتطور ويكون من
الواقعيين ويحرر المرأة .. فلذلك يكرهون الاستسلام لله في الحكم .. (١)
ولا بدري هذا القائل بجمله ان قانونهم كمثّل سائق مريض
يسوق السيارة فتحدث يدها بموجبتها يمينا وشمالا بدون نظام ..
والمعلم ان اضطراب الموجهة يعقب اضطرابا في سير السيارة
فلا تلتزم طريقا مستقيما .. واذا هي سارت مثل هذا السير فلا تلتزم طريقا
مستقيما ، واذا هي سارت مثل هذا السير المختلج يمتد ويسر فلا بد ان
يتأثر به السائق ومن معه في السيارة .. فيكونون تارة على سواء الطريق وتارة
على جانبه يخشى في كل حين ان يسقط بهم المركب في فجوة او يصطدم
بهم بصخرة او يصيبهم من صدمات الطريق ما هو أشد وأتعب ..
هذه هي السمة البارزة في جميع القوانين الوضعية .. فمن هذه
الحثية قلنا ان القوانين عاجزة كل العجز ان تلبى جميع متطلبات الانسان ..
واما الاسلام بخلاف ذلك لأن جميع الاصول الكلية ومعظم
الفروع الجزئية فيه هي من وضع الله الى الرسول صلى الله عليه وسلم . وليس
للراى الانسانى التدخل فيها من سبيل .
فلذا اتفق جميع المسلمين في الأرض على تحريم الخمر
وأعدوا اصواتهم بحق ذلك لم يستطيعوا ان يحلوا هذا الحرام
أبدا

(١) الاسلام في الواقع لايديولوجى المعاصر . د . محمد البهي ص ٢٢ ط ١

من بركات التشريع الاسلامي

وقد يقول القائل : ان الفقهاء قد تدخلوا في بعض الجزئيات في الاسلام نقول له : ان كان لهم بعض التدخل في الجزئيات فيهم — لا يحدو أن يستنبطوا فروعا جديدة من تلك الأصول الكلية . . .
والحكمة في ذلك مراعاة لوضوح الحياة المتبدلة . . . وان من بركات هذا التشريع الرباني أنه يضع بأيدنا مقياسا ثابتا للمدينة والأخلاق لا يتزلزل . . فلا يكون في قوانيننا الخلقية والمدنية اثر للتلوث . . . ولا يمكن عندنا ان يصبح حرام الا من حلال اليوم ثم يعود حراما غدا . . .
انما الحرام في الاسلام حرام الى الابد . .
والحلال حلال الى يوم يلقونه تعالى . .
عليك بالله أيها الملحد : أي الفريقين أولى بالأمن ، الذي يسلم زمام مركبه الى حاذق تام البراعة . . او الذي يسلمه لمضطرب غير مجرب ؟ ؟ الجواب عند الملحد . . .
وأما نحن معشر المسلمين انما اقتفينا في اتنا على قول ثابت في الحياة الدنيا . . فهذا فضل من الله تعالى . . والملاحدة فلا يهتدون سبيلا . .

يقول تعالى :

* يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وفضل الله الطالبين * (١)

هذا هو الفرق الاول حسب ترتيبنا — بين القوانين الوضعية وبين الشريعة الاسلامية . .

وأما الأمر الثاني الخطير ان السلطات الدينية اذا ارادت وضع القواعد الانسانية ومحاولة الاصلاح في التمدن والاخلاق والاجتماع فهي تحتاج في كل مسألة فرعية الى استرضاء عامتها للاطلاع فيها قبل ان تتولاه وتأخذ في العمل له .

ولذلك يتوقف نفاذ كل مادة من مواد قانونيهما على رضا جمهور العامة وكل ما ينفذ في البلاد من قانون تنظيمي ، بخلاف رضاهم فإنه - لا محالة - يلقى آخر الأمر بعد كثير من الفساد واضطراب الأحوال .

وليس هذا خاصا بما جربته اميركا وحدها وانما تشهد به تجارب الدنيا بأجمعها .. وهذا دليل على ان القوانين المدنية عقيمة نكدة لا تغني شيئا في اصلاح الأخلاق والاجتماع . لأن المفسدين الذين تقصد هذه القوانين الى اصلاحهم ، هم الذين يتوقف على رضاهم تقرير تلك القوانين وتنفيذها او الفأؤها هذه هي مشكلة القوانين الوضعية اللاحادية

الحل الاسلامي لهذه العقيدة

وقد حل الاسلام هذه العقيدة بطريق آخر ... ان تأملته علمت انه لا حل لهذه المشكلة سواء ...

وهو انه قبل ان يتعرض لمسائل التمدن والاجتماع والاخلاق وقبل أن يطالب الانسان باطاعة قوانين الشرع .

يدعوه أن يؤمن بالله وبكتابه ورسوله ..

فالإنسان حينئذ مختار أن يؤمن أو لا يؤمن ..

ولكنه متى آمن بالله والكتاب والرسول ،

يحل كل سؤال : لماذا كذا ؟ ولم كذا ؟

وكل ما يقرره كتاب الله ورسوله كان أمرا واجب الانعاز له ..

فلذا بدعونا الاسلام الى الايمان بكلمة (لا اله الا الله محمد رسول

الله) وإذا ثبت هذا الأصل من الايمان بالله جرى عليه جميع

القوانين الشرعية ولم يعد لرضاء أو سخطه دخل في مسألة كلية

أو جزئية ...

ولو تأملت - يا ملحد - ان هذا السبب في ان المشروع الذي

لم يتحقق في اميركا على رغم ما أهلك في سبيله من ملا بين الدولارات

و على رغم ذلك التبليغ والدعاية والنشر النادر النظم في تاريخ

الأمم ومساى الحكومات المتوالية على طول السنين ، تحقق في دنيا

الاسلام باعلان واحد أعلنه الرسول عن ربه ...

الاحاد والجهل والانسان

ومن تأمل في التاريخ الانسانى يجد كلما ابتعد الانسان

وموضع لنفسه ضيقا لحياته يجد الناس تحتها الشقاوة والمتاعب .

وذلك لا لشيء الا أن الانسان قاصر كل القصور ان يهاجم هذه الضيقة

لأنها غيب . ولقد أشار القرآن الكريم الى ذلك في أكثر من

آية .

يقول الله تعالى :

* ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا . (١)

* بسألونك عن الروح : قل : الروح من أمر ربي وما أوتيتم

من العلم الا قليلا * (١)

* وما تدري نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدري نفس بأي ارض

تموت ان الله عليم خبير * (٢)

* آباءكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا * (٣)

* فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا * (٤)

* وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى ان تحبوا شيئا

وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون * (٥)

* لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا * (٦)

* ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم

من ربهم الهدى * (٧)

* ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن

فيهن * (٨)

* ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه

الخير منوعا * (٩)

(٢) لقمان : ٣٤

(٤) النساء : ١٢

(٦) الطلاق : ١

(٨) المؤمنون : ٧١

(١) الاسراء : ٨٥

(٣) النساء : ١٩

(٥) البقرة : ٢١٦

(٧) النجم : ٢٣

(٩) المعارج : ١٩

" وغير هذه الاشارات في القرآن كثير . . . وهي تجيء - غالبا - تعقبا على التشريعات والتوجيهات التي ينزلها الله للناس ، ويخبرهم معها انهم هم لا يستطيعون ان يشرعوا لانفسهم ، وليست لديهم القدرات والاستعدادات الضرورية لوضع منهج لحياتهم هم انفسهم ، لانهم يجهلون انفسهم ويجعلون مآلات تصرفاتهم ورغباتهم ، و يخضعون لاهوائهم وشهواتهم وكلها مؤثرات تجعل من الخطر على وجودهم ، وعلى خط سيرهم في الحياة ان يتولوا هم وضع شريعتهم وتخطيط منهج حياتهم الاصيل . (١)

ف نجد هذه الاشارات في مثل هذه المناسبات :

* ثم جعلناك على شريعة من الامراتبها ، ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون *

* كتب عليكم القتال وهو كرمكم . وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم . والله يعلم وانتم لا تعلمون * (٢)

* يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها ، ولا تعضلوهن لتذهبن ما آتيتهن من - الا ان يأتين بفاحشة مبينة - وعاشروهن بالمعروف . فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا * (٣)

* يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا المدة واتقوا الله ربكم ولا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا ان يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه . . . لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا * (٤)

(١) راجع الاسلام مشكاة الحضارة - يد قطب ص ٢٦

(٢) الجاثية / ١٨

(٣) البقرة / ٥٦

(٣) النساء / ١٩

(٤) الطلاق / ١

✳ يو صيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين .. فان كن نساء
فوق اثنتين فلمين ثلثا ما ترك . وان كانت واحدة فلها النصف ، ولا يورثه
لكل واحد منهما السدس ما ترك — ان كان له ولد — فان لم يكن له ولد وورثه
أبواه فلأمه الثلث .. فان كان له اخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها
اورثين — آباءكم وابناؤكم لا تدرون ايهم أقرب لكم نفعا . فريضة من الله ..
ان الله كان عليهما حكيمًا ✳

هذا ما اشار اليه القرآن الكريم من ان الانسان لا يستطيع ان يضع
لنفسه تشريعا عادلا .. ولقد رأينا انفا فشل اميركا في هذا المجال وفي
مجالات تشريعية اخرى .. الذي يقال في شأن اميركا ، يقال ايضا في جميع
القوانين الوضعية .. فكلها تتسم بالقصور والجهل لانها اتخذت الاله
قاعدة الانطلاق .

الدكتور الكسيس كاريل يتكلم

ان هذه الحقيقة قد ادركها بعض الباحثين الاوربيين كأمثال الدكتور
الكسيس كاريل المؤلف الذكر .. كان هذا الدكتور يقرأ القرآن حين قرران
الانسان جاهل من ان يضع لنفسه منهجا لحياته ولذا ألف كتابا فسماه
" L'Homme L'inconnu " "الانسان ذلك المجهول"
فلندعه يتكلم :

- (١) ترجمة الدكتور الكسيس كاريل .. ولد دكتور كاريل بالقرب من (ليون في فرنسا)
وحصل على اجازة الطب بها .. كما حصل على اجازة العلم من (ديجون) وبعد
ان مارس التدريس في جامعة ليون عدة اعوام رحل الى الولايات المتحدة
واشتغل في معهد (روكفلر) للابحاث العلمية في (نيويورك) وبقي هناك
قراءة ثلاثين عاما حتى اعتزل العمل به سنة ١٩٣٠ .. ثم عمدت اليه وزارة الصحة
الفرنسية بمهمة خاصة تتعلق بالحرب ، وكانت هذه المهمة تكملة لمهمة اضطلع
بها ابان الحرب العالمية الاولى ، عندما كان يعمل جراحا مع القوات الفرنسية
والبريطانية والاميركية ومنح جائزة نوبل عام ١٩١٢ لبحاثه الطبية الفذة .
راجع الاسلام ومشكلة الحضارة سيد قطب ص ٧

" وفي الحق لقد بذل الجنس البشري مجهودا جبارا لكي يعرف نفسه ،
ولكنه بالرغم من اننا نملك كنزا من الملاحظة التي كدسها العلماء والفلاسفة والشعراء
وكبار العلماء الروحانيين في جميع الازمان ، فاننا استطعنا ان نفهم جوانب معينة
فقط من انفسنا .. اننا لا نفهم الانسان ككل .. اننا نعرفه على انه مكون
من موكب من الاشباح تسير وفي وسطها حقيقة مجهولة .
اليس هذا الذي يقوله القرآن بقوله * يسألونك عن الروح قل
الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا ؟
ثم اضاف قائلا :

" وواقع الامر ان جبرلنا مطبق .. فاغلب الاسئلة التي يلقيها على
انفسهم اولئك الذين يدرسون الجنس البشري تظل بلا جواب .. لأن هناك
مناطق غير محدودة في دنيانا الباطنية ، ما زالت غير معروفة .. فنحن لا نعرف
حتى الان الاجابة على اسئلة كثيرة مثل :

" اننا ما زلنا بعيدين جدا عن معرفة ماهية العلاقات الموجودة بين الهيكل
العظمي والمضلات والاعضاء .. ووجوه النشاط العقلي والروحي .. وما زلنا
نجعل الموازن التي تحدث التوازن المصبي ومقاومة التعب والكفاح ضد
الأمراض ..

اننا لا نعرف كيف يمكن ان يزداد الاحساس الأدبي وقوة الحكم ،
والجراحة ولا ما هي الاهمية النسبية للنشاط العقلي والأدبي .. كذلك النشاط
الدني ..

(١)
" أي شكل من اشكال النشاط مسؤول عن تبادل الشعور والخواطر ؟
" كيف نستطيع ان نحول دون تدهور الانسان وانحطاطه في المدنية
المصرية ؟

(١) راجع كتاب الانسان ذلك الجميل د. الكسيس كاريل تحريپ شفيق اسعد
فريد منشورات مكتبة المعارف بيروت ص ١٣-١٨

" وهناك أسئلة أخرى لا أعدد لها ، يمكن ان تلقى في موضوعات تعتبر في غاية الأهمية بالنسبة لنا . . . ولكنها ستظل جميعها بلا جواب . . . فمن الواضح ان جميع ما حققه العلماء من تقدم فيما يتعلق بدراسة الانسان غير كاف وان معرفتنا بانفسنا ما زالت بدائية في الغالب . . . " (١)

ولكن لماذا كان جهلنا مطبقا بحقيقة الانسان ؟ لماذا كان الذين يدرسون الحياة كمن ضلوا في طريقهم في غب متشابك الاشجار ؟ هل كان ذلك لقصور وسائلنا العلمية في فترة من الفترات ؟ ام لظروف وقتية من ظروف حياتنا الانسانية ؟ ومن ثم يكون هناك امل كبير وفرض كثيرة لتكملة تلك الوسائل ، وتغيير هذه الظروف ثم الوصول الى معرفة الحقيقة الانسانية كاملة واضحة محددة ؟

ام هناك اسباب ثابتة في طبيعة الحقيقة الانسانية من جهة وفي طبيعة تفكيرنا من جهة أخرى ؟

يجيب هذا العالم (الكبير) بقوله :

" قد يعزى جهلنا في الوقت ذاته الى طريقة حياة اجدادنا ، والى طبيعتنا المعقدة والى تركيب عقولنا " . (٢)

وهكذا يتضح من هذا التقرير الحاسم من هذا العالم الكبير الذي اتاحت له فرصة الاطلاع على نتائج البحوث الضخمة ، ان هناك فارقا أساسيا بين علوم المادة وعلوم الحياة . . . وان هذا الفارق لا يتعلق ببيئة ولا زمان . . . وانما هو كامن في امرين ثابتين :

١ - تعقد الموضوع

٢ - طبيعة تركيبنا

وبهذا نستطيع ان نقول ان الحضارة الغربية ، تشق طريقها الى الدمار . . . الدليل هو أوروبا نفسها . . .

(١) راجع كتاب الاسلام ومشكلة الحضارة سيد قطب ص ١٤

(٢) المرجع السابق ص ١٦

أوروبا في القرن العشرين قد وصلت الى ذروة من العلم والقوة المادية

وضخامة الانتاج لم تعرف لها البشرية مثيلا منذ مولدها ..

وأوروبا في القرن العشرين قد وصلت الى مستوى من الهبوط الخلقي والريحي

لم تعرف البشرية أسوأ منه في جاهليتها القديمة والحديثة على السواء

وهذا برتراند رسل الفيلسوف الانكليزي الملحد المعاصر لم ينعمه

الحادة أن يقول الحق فيما يرى من تدهور الحضارة المادية فقال :

" ان سيادة الرجل الابيض قد انتهت " (١)

لم يقل ذلك لان الرجل الابيض قد خلا من الانتاج ، ولكنه قال

ذلك لأن الرجل الابيض قد فرغ من الداخل ..

فرغ من العقيدة الصالحة ..

فرغ من الرجح ..

فرغ من الاخلاق بمعناها الانساني الواسع لا بمعناها النفعية الضيق

الذي يمارسه الغرب في وقته الحاضر ..

ولو كان التقدم المادي .. او الانتاج المادي او غير ذلك من الاشياء

الموجودة لوجب ان يرتفع الغرب اليوم الى القمة الانسانية العليا في كل

ميدان من ميادين السلوك البشري .. ولما وجد هذا الوجه الكالح تحت

هذه القوانين الوضعية الجائرة المجازة ..

فقد رأينا كيف عجزت هذه القوانين في تحريم الخمر ..

القوانين التي تجيز للناس التفرقة العنصرية والاستعمار والانحلال الخلقي

والانحطاط الروحي والصراع الكريه والفرع المدمر الذي يعيش فيه العالم

من خيف الحرب والهلاك ..

الخلاصة :

ان من آثار الالحاد في اوربا الحديثة عجز القوانين الوضعية التي اتخذت نقطة انطلاقها من الالحاد والتعطيل .. اولا .. ومن الجبل المطبق لحقيقة الانسان ثانيا ..

من هنا وقع الناس في ظل هذه القوانين المزعومة في تخطيط واضطراب ولا استطاع قانون من قوانينهم ان يضع للناس نظاما شاملا مضبوطا صالحا للحياة الانسانية ..

والذي نراه دائما هو ان اى نظام وضعه الانسان لا نسان - بعيدا عن مضيح الله - لا بد ان يعرض الحياة الانسانية ويعرض الانسان نفسه للعطب والدمار في صورة من صور العطب والدمار .. وسنرى ان شاء الله في مبحث " عقوبة الفطرة " كيف اصبح الانسان في قلق شديد بسبب ما صنعت به يداه من اسلحة مدمرة واستعدادات حربية ..

الفصل الرابع

مشكلة العقوبة في القوانين الوضعية

أولا - في الشريعة :

تقوم نظرية العقوبات في الشريعة الإسلامية ، وفي كل شرع الله على أرضه ، على الاعتقاد ان الانسان مخلوق يتمتع بالخيار الكامل في افعاله . . (١) وهو يفعل كل ما يفعل باختياره وارادته وليس مجبورا كما تدعيه الجبرية . ولا هو خالق لافعاله كما تدعيه المعتزلة (٢) المتطرفة ، ولا هو مريض كما يدعيه الملاحدة . (٣)

وانما يقترب الجرائم بارادته وخالص قصده . . ولذلك اوجب الله تعالى انزال العقوبات عليه لتكون عبرة (نكالا) للآخرين ، فيخافون من مصير المجرم ويجتنبون الاتيان بمثل ما أتى به . .

واليك نصوص تؤيد ذلك :

* انا هديناك السبيل اما شاكرا واما كفورا * (٤)

* فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . . * (٥)

وفي العقوبات قال تعالى :

* والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما نكالا من الله * (٦)

* الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما ثمانين جلدة * (٧)

الى غير ذلك من الايات الكريمة التي تشير الى اثبات المشيئة للانسان وانه مطالب بكل ما يقوم به من عمل . .

-
- (١) راجع شرح الاصول الخمسة ، عبد الجبار محمد ص ٣٣٢
- هذا يخالف ما يقوله الجهمية راجع الملل والنحل شهرستان ج ١ ص ٨٧
- (٢) راجع كتاب المعتزلة . زهدى حسن جار الله ص ٣٠
- (٣) كتاب الشريعة الإسلامية وتحديات العصر ، وحيد الدين خان ص ٢٥
- (٤) سورة الانسان / ٣ (٥) سورة الكهف / ٢٩ (٦) المائدة / ٣٨
- (٧) النور / ٢

هذا هو الكلام المعقول الذي تتجلى فيه الحكمة في خلقه التي هي غاية الوجود الانساني . فتعال الى ارباب الجيالة العلمية لترى تفكيرهم بهذا الصدد ..

ثانيا - المقوبات عند الملاحدة :

ان الملاحدة ومن لف لفهم في نظريتهم الجديدة التي ظهرت في اوربا في نهاية القرن التاسع عشر باسم " علم الجريمة " بدعون بان الجريمة ليست عملا متعمدا بل هو عمل اضطراري (١) وسبب الجريمة - في وجهة نظرهم هذه - يكمن في الاصول الحياتية والامراض العقلية والمسمر المادي (الفقر) والاحوال الاجتماعية .

وعلى هذا الاساس طالبوا باعتبار المجرم مريضا وبمعالجته بدلا من معاقبته فوقفوا جميعا في صفوف الظلمة ضد ارباب الحقوق الشرعيين . هكذا يفعل الالحاد باهله ..

وقد حظيت هذه النظرية السخيفة بقبول عام في الغرب ، فاقسمت الاصلاحيات في كثير من البلدان الاوربية بدل السجون ، والنيت المقوبات الرادعة للجرائم الاخلاقية .. هكذا يدعون .. ولكن تصرفاتهم تكذب هذا القانون ..

فمثلا كانوا يعتبرون المجرم مريضا تجبر معالجته ، ولماذا لا يطبقون ذلك في جميع الاحوال :

(١) ان هذه الفكرة الشنيعة قد سبق ان اشرنا الى ان ميكافيلي هو من اسسوها لانه يقول لا يجب الاعتقاد بأن الانسان شرير بطبعه وان رغبته في الخير مصطنعة بفتعلها لتحقيق غرض نفسي بحت .. وما دامت تلك هي طبيعته المتأصلة فلا حرج عليه ولا لزم اذا انساق وراءها " راجع الأُمير : ص ١٤٤ فاروق سعد . مطبوع مع كتاب الفكر السياسي قبل الأُمير وبعده ، بيروت

ولماذا ابقوا العقوبات الرادعة للجرائم الخاصة بالأمن والدفاع ؟

ولماذا لا يقال لهؤلاء مثل ما قيل للسابقين ؟

ان هذه الحقيقة نفسها تشكك في هذه النظرية التي تعتبر الجرائم عملا اضطراريا .
هذا من ناحية ..

ولكن العلم الحديث أشار الى خطأ هذا القانون وهذه النظرية ..
لأنه قد اثبت ان الناس في المجتمعات المزدهرة والصحية اكثر ميلا
الى اقتراف الجرائم منهم في المجتمعات الفقيرة وغير الصحية ..

لقد رأينا في هذا الباب ان جميع التدابير قد أخفقت في اوربا وامريكا
في الحلولة دون الجرائم ..

بل لقد ارتفع معدل الجرائم في الدول التي سلكت طريق تخفيف
العقوبات ..

وعلى سبيل المثال .. ألفت (سريلانكا) وولاية (دويلاوير)
الامريكية عقوبة الاعدام ، ولكنها اضطرتا لاعادتها بعد ان تفشيت الجرائم
ولذلك اضطر خبراء لا لتشريع لمراجعة نظريتهم السابقة ..
ويقول احدهم " ان اعتقاد الناس ان القتل يستوجب عقوبة
الاعدام للقاتل يتمتع في نفسه بقيمة ردع عظيمة " (١)

المملكة العربية السعودية خير شاهد

أيضاً

ان المملكة العربية السعودية خير شاهد على كذبهم واكبر شاهد على ان

تطبيقاً للشريعة الاسلامية يتمشى مع كل زمان ومكان ..

فهي تعتبر النموذج الحي في الدول الاسلامية التي لا تزال تنفذ العقوبات
الشرعية فالمعلم ان معدل الجرائم هنا اقل بكثير من الدول المتحضرة ..

■ * ■

(١) الشريعة الاسلامية وتحديات العصر ، وحيد الدين خان ص ٢٦

ان هذا التقرير ليس لاجل انتمائنا الى الاسلام وانما الواقع نفسه

في المملكة العربية السعودية هو الذي يتكلم

ومن الشهادات التي سجلها الباحثون لهذه المملكة ما سطره الدكتور

عبد العزيز عامر في حديثه عن نجاح تطبيق المقوبات الشرعية في مكافحة

الجرائم وذلك في كتاب (التميز) فقال :

"... واذا كانت الشريعة الاسلامية في الناحية الجنائية قد

غدت الامم الاسلامية على سمعتها ، وكفتها مؤونة البحث عن تشريعات

اخرى ، واقبمت على اسمها المتينة الحكومة الاسلامية الرشيدة التي بسطت

سلطاتها على اهم بقاع المعمورة اجبالا عدة .. فانها لا تزال مصدرا صالحا

للتشريع ، وان تطبيقها في العصر الحديث قد امدنا بأية بيئة وحجة دامغة

واكد انها شريعة كل عصر وأوان .. فان ما تتناقله الالسن عن الأمن

في المملكة العربية السعودية واستتباب النظام في ظل الحكم بالشريعة الاسلامية

لا صدق شاهد على ما نقول ، فلا يختلف اثنان في أن الا من هنالك مستتب

في كل مكان ولا يجرؤ كائن من كائن سواء كان من اعراب البادية ام من سكان

الحضر على اقتراء اية جريمة ، خصوصا السرقات ، والسرف في ذلك هو الاخذ

باحكام الشريعة والشدة في معاملة المجرمين والثأر للناس وللمجتمع من كل من

يرتكب جرما وتدل الاحصاءات الرسمية في السرقة ان الحد لا يطبق الا مرة واحدة

او مرتين خلال السنة في جميع تلك البلاد الواسعة المترامية الاطراف .

" فاذا عرفنا كيف ان هذه البلاد تتوافر فيها معظم المفريات على ارتكاب

الجريمة خصوصا في موسم الحج الذي يمكن فيه ارتكاب كثير من جرائم الاعتداء على

النفوس والمال بالنسبة للحجيج فما كان يحدث في اليهود الماضية ، واذا عرفنا

مع ذلك انه منذ تطبيق التشريع الاسلامي فيها على يد حكم السعوديين الرشيد ،

والأمن مستتب ، والنفوس والأموال محفوظة .. والحجاج الذين يحدون بمئات

الالوف الذين يفدون على تلك البلاد كل سنة .. ملين دعاء الله لهم

بالحج ، فينتشر فيها الامان والطمأنينة وتبتعد عن محيطهم الجريمة ، حتى انه
 يندر ان تسمح بجريمة تقع على احد الحجاج الان . . . نقول اذا عرف كل
 ذلك عرف السبب وتأكد اليقين بان الشريعة الاسلامية باحكامها السمحة
 وحدودها الصارمة في الظاهر من الأمر . . . الضطوية على الرحمة بالناس في
 باطنه هي السر في نقل تلك البلاد من جاهلية البداوة وظلام الظلم الى
 صعيد المدنية ومجال العدل ، كما حصل في صدر الاسلام . . . (١)

فماذا أقول ؟

أقول ان نجاح تطبيق الشريعة الاسلامية خصوصا في مجال العقوبات في
 تلك البلاد ، وقيامها على مصالح الناس في العصر الحاضر لا كبربرهان على
 سموها وتفوقها وانما ليست من الشرائع الخالية او شرائع القرون البالية . . .
 بل انما شريعة حية ابدية صالحة لكل مكان وزمان ، لانها من وحي الله
 الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور . . .
 ويعلم ما فيه صلاح الناس وما فيه فسادهم ، لانه هو الخالق لهم
 العلم بدقائقهم ودخائل نفوسهم - فكيف مع ذلك يكون تشريع الخالق كتشريع
 البشر . . .

ونعتقد ان هذا القول فيه من الوضوح والأمانة في الاستشهاد ما يسكت
 القائلين بأن المجرم مريض يجب ان يعالج وان الشريعة في هذا المحيط
 قد دخلت في ذمة التاريخ . . . بل انما شريعة تتحدى جميع الأنظمة الوضعية
 وقد رأينا ذلك في السطور الماضية . . . والان نود ان ننقل الى خطوة اخرى
 لنرى فيها بعض تحديثات الشريعة الاسلامية للقوانين الوضعية . . .

(١) علم الاجتماع • الرئاسة العامة لتعليم البنات : ط اولى سنة ١٣٩٢ هـ -

الفصل الخامس

ظهور آثار الاتحاد في الدول الكبرى

ان للكثيرين يظنون ان محبة الشهوات سهلة وميسورة • ولكنها مشقة
وجهد وثقل ، وعقابيلها في حياة المجتمع - بل في حياة كل فرد - عقابيل
مؤذية مدمرة ماحقة ••

والنظر الى الواقع في حياة المجتمعات التي " تحررت " من قيود
الدين والاخلاق والحياء ، في هذه العالقة ، يكفي ان يلقي الرعب في
القلوب •• لو كانت هناك قلوب ••

لقد كانت فوضى العلاقات الجنسية هي (المصول) الاول الذي حطم
الحضارة القديمة ، حطم الحضارة الاغريقية (١) وحطم الحضارة الرومانية ،

(١) اليونان : كان اليونان ارقى الأمم القديمة حضارة ، وكانت المرأة في اول
عمره منحلة لا قيمة لها في المجتمع ثم ارتفعت مكانة المرأة بتأثير العلم
وانتشار انوار الحضارة •• وكان الحجاب شائعا في البيوتات العالية ••
ثم جعلت الشهوات النفسية تتغلب على اهل اليونان حتى تبدلت مقاييس
الاخلاق عندهم الى حد جعل كبار فلاسفتهم وعلماء الاخلاق عندهم لا
يرون في الزنا وارتيكاف الفحشاء غضاظة يلام عليها المرء ويعاب •• ولما
يرون بأسا بأن يعاشر الرجل المرأة علنا من غير عقد ولا نكاح •• فكان
ذلك هو السبب الحقيقي لزوال هذه الحضارة •• ثم جاء بعدهم الرومان فتقدموا
قليلًا في سبيل المدنية والحضارة •• ثم بدأت تتغير نظرتهم الى العلاقات
والروابط القائمة بين الرجل والمرأة من غير عقد مشروع •• حتى ان العلماء فيهم
يعدون الزنا شيئا عاديا •• وكان ذلك من اسباب هلاكهم وزوال حضارتهم
ولما (الفرس) كانت هناك (المزدكية) التي دعت الى شيوعية النساء •
وأما في (بابل) كان الناس ينظرون الى الزنا بعين التقديس والاحلال ••
وأما في (الهند) آنذاك كان هناك (بام مارك) •• هذه صور من الماضي ••
وسيرى القارئ ان صورها لا فرق بينها وبين الصورة الاتحادية الحالية •• وان
اختلفتا في مظاهرهما الا انها لا تختلف في جوهرهما ••

وحطم الحضارة الفارسية ... وهذه الفوضى ذاتها هي التي تحطم الحضارة
الغربية اللاحدة وقد ظهرت آثار التحطيم شبه كاملة في انهيار فرنسا التي
سبقت في هذه الفوضى والتي تعتبر - بحق - أم الحضارة اللاحدة
الحالية ... كما بدأت هذه الآثار تظهر في اميركا والسويد وانجلترا وغيرها
من دول الحضارة الحديثة ... فلا بد اذن من التوضيح ...

واليك بعض الأمثلة تؤيد ما قلناه ...

أولا :- فرنسا أم الحضارة اللاحدة

هناك بحث قيم للاستاذ ابي الاعلى المودودي - رحمه الله - امير
الجماعة الاسلامية بباكستان في كتابه القيم " الحجاب " سوف ننقل عنه كثيرا
من هذه المحطات التاريخية مما يتناسب وهذا الموضوع .
ومن نظر في انهيار فرنسا التام في كل حرب خاضتها منذ سنة ١٨٧٠
الى اليوم لا يستغرب من الكلمات التي سجلها الاستاذ ابو الاعلى المودودي في كتابه
المذكور حيث يقول :

" ان اول ما قد جر على الفرنسيين تمكن الشبهوات منهم * اضمحلال
قواهم الجسدية ، وتدرجها الى الضعف يوما فيوما * فان الهياج الدائم قد
اوهم اعصابهم ، وتعبد الشبهوات يكاد يأتي على قوة صبرهم وجلدهم ،
وطغيان الامراض السرية قد اجحف بصحتهم ، فمن اوائل القرن العشرين لا يزال
حكلم الجيش الفرنسي يخفضون من مستوى القوة والصحة البدنية المطلوب في
المتوقعة للجند الفرنسي على فترة كل بضع سنين * لأن عدد الشبان الوافين
بالمستوى السابق من القوة والصحة لا يزال يقل ويثدر في الأمة على
مسير الالام ... وهذا مقياس أمين يدلنا كدلالة مقياس الحرارة في الصحة
والتدقيق على كيفية اضمحلال القوى الجسدية في الأمة الفرنسية (١)

(١) راجع كتاب الحجاب للسيد ابي الاعلى المودودي امير الجماعة الاسلامية بباكستان

ثم قال : " ومن اهم عوامل هذا الاضمحلال : الامراض السرية الفتاكة .
 يدل على ذلك ان كان عدد الجنود الذين اضطرت الحكومة الى ان تعفيهم من العمل
 وتبعث بهم الى المستشفيات في السنتين الاوليين من سنى الحرب العالمية
 الاولى لكونهم مصابين بمرض الزهري ، خمسة وسبعين الفا ، وابتلى بهذا
 المرض وحده ٢٤٢ جنديا في آن واحد في ثكنة متوسطة . وتصور
 بالله - الكلام لأبي الاعلى المودودي - حال هذه الأمة البائسة في
 الوقت الذي كانت فيه - بجانب - في المضيق الحرج بين الحياة والموت ، كان
 ابناؤها الشباب تعطل الاف منهم عن اعمال الدفاع ، من جراء انغماسهم
 في اللذات . . وما كفى امهم ذلك خسرانا ، بل ضيعوا جانباً من ثروة الأمة
 ووسائلها في علاجهم في تلك الاوضاع الحرجة .

" يقول دكتور فرنسي نحاسي يدعى الدكتور (لبريه) . انه
 يموت في فرنسا ثلاثون الف نسمة بالزهري ، وما يتبعه من الامراض الكثيرة في كل
 سنة . وهذا المرض افكك الامراض بالأمة الفرنسية بمدحى (الدق) .
 وهذه جزيرة مرض واحد من الامراض السرية التي فيها عدا هذا أمراض
 كثيرة اخرى . (١) "

قلة الزواج في فرنسا

ومن تأمل في اخلاق الفرنسيين عن كذب وعن كتب أيضا يراهم
 انهم يتأنفون من الزواج وذلك لسهولة تلبية الميل الجنسي وفوضى العلاقات الجنسية .
 والفرار من تربية الاطفال . ومن ثم قل التناسل فيهم وانحدروا الى البهاوية . .
 فلنستمع الى الاستاذ المودودي مرة ثانية ليؤكّد هذه الحقيقة :
 " سبعة او ثمانية في الالف هو معدل الرجال والنساء الذين يتزوجون
 في فرنسا اليوم . ولك ان تقدر من هذا المعدل المنخفض كثرة النفوس التي لا (٢)

(١) المصدر السابق ص ٩١ - ٩٢

(٢) ص ٩٢

تتزوج من اهلهما . ثم هذا النذر القليل من الذين يحققون الزواج ، قل فيهم من ينوون به التحصن والتزام المعيشة البرة الصالحة بل هم يقصدون به كل غرض سوى هذا الغرض حتى انه كثيرا ما يكون من مقاصد زواجهم ان يحللوا به الولد النفل الذي قد ولدته امه قبل النكاح ، ويتخذوه ولدا شرعيا .

المدوى في مستعمراتها

نقول : ان هذه المادة قد انتشرت في جميع المستعمرات الفرنسية انك تجد الرجل ليس تحتها الا زوجة واحدة ولكنك تجد في بيته اولادا كثيرين مختلفين في اللون واللغة وكلهم ينتسبون اليه . ذلك ان القانون سمح له ان يتزوج زوجة واحدة فقط ويحرم عليه تعدد الزوجات على حين فتح له باب المومسات والمحبات واذا ولدن له اولادا غير شرعيين فله الحق ان يضمهم الى بيته باسم زوجته الشرعية الوحيدة . وهذا القانون شائع في جميع المستعمرات الفرنسية ولا يحتاج الى استدلال او ادنى تأمل

ويوجد ايضا في تلك المستعمرات بيوت الدعارة للنساء مفتحة ابوابها ليل نهار لممارسة الالتقاء الجنسي علنا بدون حياء من الناس . بل اصبح ذلك عادة حتى لا يفكر فيها أحد هناك من الناحية الاخلاقية . وكل ذاك رغم الجهود المبذولة من العلماء هناك وأئمة المساجد وكلهم قاموا بدورهم في تقبيح هذه المادة ولكن الشباب اصبحوا كالذئاب الضارية لا يلتفتون الا الى ما يتلقونه من اساتذتهم الفرنسيين . وهناك امور من المضحكات المبكيات لا يصدقها الا من عاش هناك فترة من الزمن .

هذا بعض آثار الاتحاد في فرنسا ومستعمراتها .

الآن الكلام لكاتب فرنسي بصورتنا كيف كان الشرف من الزواج - آنذاك

في فرنسا اسمه : (بول بيورو) وهو يقول :

" من العادة الجارية في طبقة العاطلين في فرنسا ان المرأة منهم تأخذ

من خدنها ميسثاقا قبل ان يعقد بينهما النكاح ، وان الرجل سيتخذها ولدها

الذي ولدته قبل النكاح ولدا شرعيا له . وجاءت امرأة في محكمة الحقوق

بمدينة سين (Sime) فصرحت : " انسى / قد اذنت بعلى عن

النكاح بأني لا أقصد بالزواج الا استحلال الاولاد الذين ولدتهم نتيجة

اتصالى به قبل النكاح . وأما ان اعاشره واعيش معه كزوجة ، فما كان في نيتي

عند ذاك ، ولاحق في نيتي الآن . ولذلك اعتزلت زوجي في اصل اليوم

الذي تم فيه زواجنا . ولم التق به الى هذا اليوم ^(١) لاني كنت لا أنوي

قطان اعاشره معاشرة زوجية .

ثم أضاف (بول بيورو) قائلا عن عميد كلية شهيرة في باريس :

" ان عامة الشباب يرويدون يعقد النكاح استخدام بغني في بيتهم

أيضا . ذلك انهم يظلون مدة عشرين او اكثر يهيمون في أودية الفجور

احرارا طلقاء ثم يأتي عليهم حين من دهرهم يملون تلك الحياة الشريرة

المتقلقلة فيتزوجون بامرأة بعينها ، حتى يجمعوا بين هدوء البيت وسكينته ،

ولذة المخادنة الحرة خارج البيت " (٢)

وهكذا تدهورت فرنسا وهكذا هزمت في كل حرب خاضتها وهكذا

تتوارى عن مسرح الحضارة ثم عن مسرح الوجود يوما بعد يوم حتى تحقق

سنة الله التي لا تتخلف وان بدت بطيئة الدوران في بعض الأحيان بالقياس الى

تعجل الانسان . وصدق القائل حيث يقول :

انما الأمم الأخلاق ما بقيت وان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

(١) المرجع السابق ص ٩٤

(٢) المرجع السابق ص ٩٤

أما الدول التي لا تزال تبدو قلبية ، أولم تظهر فيها آثار الدمار
واضحة بعد فهذه نماذج مما يجري فيها ، فلنبداً :

السويد : (13)

يقول صحفي ممن زاروا السويد حديثاً (١) .. بعد ان يتحدث عن
" حرية الحب في السويد " وعن الرخاء المادي والضمانات الاجتماعية فهي
مجتمعيها الاشتراكي النموذجي : " اذا كانت اقصى احلامنا ان نحقق للشعب
هذا المستوى الاقتصادي الممتاز وان نزيل الفوارق بين الطبقات بهذا الاتجاه
الاشتراكي الناجح ، وان نؤمّن المواطن ضد كل ما يستطيع اي عقل ان
يتصوره من انواع العقبات في الحياة .. اذا وصلنا الى هذا الحلم البهيميج
الذي نسمي بكل قوانا وامكانياتنا الى تحقيقه في بلادنا الشرقة .. فيل نرضى
نتأجه الاخرى ، هل نقبل الجانب الاُسود من هذا المجتمع المثالي ؟
هل نقبل حرية الحب " واثرها الخطير على كيان الاسرة ؟

دعونا نتحدث بالارقام :

" مع وجود كل هذه المجتمعات على الاستقرار في الحياة ، وتكوين أسر
اسرة فان الخط البياني لعدد سكان السويد يميل الى الانقراض .. مع وجود
الدولة التي تكفل للفتاة اعانة زواج ثم تكفل لطفليها الحياة المجانية حتى يتخرج
في الجامعة فان الاسرة السويدية في الطريق الى عدم انجاب اطفال على الاطلاق !
" يقابل هذا انخفاض مستمر في نسبة المتزوجين ، وارتفاع مستمر في نسبة
عدد المواليد غير الشرعيين . مع ملاحظة ان عشرين في المائة من البالغين
الاولاد والبنات لا يتزوجون أبداً .

" لقد بدأ عهد التصنيع . وبدأ معه المجتمع الاشتراكي في السويد
عام ١٨٧٠ م كانت نسبة الامهات غير المتزوجات في ذلك العام ٧ في المائة

(١) راجع في ظلال القرآن ، سيد قطب الجزء الرابع الطبعة السابعة ص ٣٢٩

نقد عن كتاب الحجاب .

وارتفعت هذه النسبة في عام ١٩٢٠ م الى ١٦ في المئة . والاحصائيات بعد ذلك لم أشر عليها . ولكنها ولا شك مستمرة في الزيادة !

بد . العلاقات الجنسية البشعة في السويد

ثم اضاف قائلا :

" وقد أجرت المعاهد السويدية العلمية عدة استفسارات عن " الحب الحر " في السويد فتبين منها ان الرجل تبدأ علاقاته الجنسية بدون زواج في سن الثامنة عشرة والفتاة في سن الخامسة عشرة . وان ٩٥ في المئة من الشبان في سن ٢١ سنة لهم علاقات جنسية ثم أكد ذلك بقوله :

" واذا اردنا تفصيلا تقنع المطالبين بحرية الحب فاننا نقول : ان ٧ في المئة من هذه العلاقات الجنسية مع خطابات و ٣٥ في المئة مع حبيبات و ٥٨ في المئة مع صديقات عابرات .

" واذا سجلنا النسب عن علاقة المرأة الجنسية بالرجل قبل سن العشرين وجدنا ان ٣ في المئة من هذه العلاقات مع ازواج و ٢٧ في المئة منها مع خطيب و ٦٤ في المئة منها مع صديق عابر .

" وتقول الابحاث العلمية : ان ٨٠ في المئة من نساء السويد مارسن علاقات جنسية كاملة قبل الزواج و ٢ في المئة يقين بلا زواج .

" وأدت حرية الحب بطبيعة الحال الى الزواج المتأخر . والى الخطبة الطويلة الأجل . مع زيادة عدد الاطفال غير الشرعيين كما قلت . (١)

اذا بلغ المجتمع الى مثل هذا المستوى البيهيمي ، فلا بد ان يزيد تفكك الأسرة فيه ويكثر الطلاق ولذا قدروا نسبة الطلاق في السويد انه قد ارتفع عام ١٩٥٤ الى ١١٤ طلاقا بين كل ١٠٠ الف من السكان .

ثم الاقبال على المخدرات والخمور شئ يفوق حد الوصف . ولا فرق في ذلك بين الكبار والصغار . وكما كانت حربة الحب مكفولة في السويد كانت حربة الالحاد مكفولة ايضا . ولذا ان عشرالذين يصلون الى سن البلوغ في السويد يتمرضون لاضطرابات عقلية ويقول اطباء السويد : " ان ٥٠ في المئة من مرضاهم يعانون من اضطرابات عقلية تلازم امراضهم الجسدية " (١)

ولا شك ان التماهى في التمتع بحرية الالحاد سيضاعف هذه الانحرافات النفسية ويزيد من دواعي التفكك الاسرى ، وبقربهم الى هوة اتقراض النسل . . هذا ما فعله الالحاد واتباع الشهوات بهذا المجتمع . وكل ذلك نتيجة الحباد عن منهج الله تعالى . لانه ليس هناك الا منهج واحد هو الجسد والاستقامة والالتزام وكل ما عداه ان هو الا هوى يتبع وشهوة تطاع . والحاد وفسوق وضلال .

ثانيا - الحال في امريكا (١٤)

ومن تتبع المجتمع الامريكى ير ان الحال في امريكا لا تقل عن هذه الحال في المسويد رغم هذه الظواهر البراقة الخارجية ، هناك الدمار الداخلى يسرى في عروق هذا المجتمع وعوامل التدمير تعمل في كيانها لان سنة الله لا تختلف . فكل أمة تتخذ الالحاد والابتعاد عن منهج الله مذهباً لحياتها فلا شك ان تنال نصيبها من الدمار والويلات . وامريكا قد بدأ ينتشر فيها الانحلال الخلقي والانجراف فى الشهوات فى شتى المجالات . . هذا ما لاحظته رئيس الولايات المتحدة ان ستة من كل سبعة من شباب امريكا لم يعودوا يصلحون للخدمة بسبب الانحلال الخلقي الذى يحشون فيه (٢) .

(١) نقلا عن كتاب الحجاب للمودودى ص ١٢٩ - ١٣٠

(٢) فى ظلال القرآن ج ٤ ص ٣٣٢

وقد كتبت إحدى المجلات الأمريكية منذ أكثر من ربع قرن تقول :

" عوامل شيطانية ثلاثة يحيط ثلوثها بدنينا اليوم . وهي جميعها

في تسخير سمير لا أهل الأرض :

أولا :- الأدب الفاحش الخليع الذي لا يفتأ يزداد في وقاحة ورواجه بعد

الحرب العالمية الأولى بسرعة عجيبة .

والثاني :- الأفلام السينمائية التي لا تذكى في الناس عواطف الحب الشهواني (١)

فحسب بل تلقنهم دروسا علمية في بابه .

الثالث :- انحطاط المستوى الخلقي في عامة النساء الذي يظهر في ملا بسمين

بل في عربين وفي أكثارهن من التدخين واختلاطهن بالرجال بلا

قيد ولا التزام .

وهذه المفاصل الثلاثة فبنا إلى الزيادة والانتشار بتوالي الأيام .

ولا بد أن يكون مآلها زوال الحضارة والاجتماع النصرانيين وفناءها

آخر الأمر فإن نحن لم نحد من طفيلاتها فلا جرم أن يأتي تاريخنا مشابها

لتاريخ الرومان . ومن تبعهم من سائر الأمم الذين قد أوردتهم هذا الابتداء

للأهواء والشهوات موارد الهلكة والفناء . مع ما كانوا فيه من خمر ونساء أو مشاغل

ورقص ولهو وغناء " (٢)

(١) راجع تطور المجتمع الأمريكي ، تأليف كينت لن ت : نعيم موسى ، دار البقعة

١٩٦٦ م أنه أميركي ومع ذلك صرح بالتصريح التالي : " أرى موكبا

لا نهاية له من أعمال السلب والاحتفال الحكومية ، وللصوصية

التجارية وشنق الاعناق . . . وقلة الذوى والاختلاس والزنى

الشرعى " .

(٢) المرجع السابق ٣٣٢

والذى حدث ان امريكا لم تحد من طفيلان هذه العوامل الثلاثة .
بل استسلمت لها تماما وهي تضى في الطريق الذى سار فيه الرومان . ودليلنا
على ذلك ما كتبه صحفي آخر عن موجة الانحراف الشباب في امريكا (١) وبريطانيا
وفرنسا وهو يقول :

" انتشرت موجة الاجراء بين المراهقين والمراهقات من شباب امريكا
واعلن حاكم ولاية نيويورك انه سوف يجعل علاج هذا الانحراف على رأس برنامج
الاصلاح الذى يقوم به في الولاية .

" وعهد الحاكم الى انشاء المزارع " والاصلاحيات " التهذيبية
خاصة بين طلبة وطالبات الجامعات ومنها الحشيش والكوكايين لا يدخل في برنامجه ،
وانه يترك امره للسلطات الصحية "

وهكذا عجز المصلحون في رد الشباب في امريكا الى رشدهم وكيف يستطيعون
اصلاح مجتمع قد اختار الالحاد على الهدى والايمان .

وكيف يستطيعون ذلك وقد بلغت ارقام الجرائم فيه كالتالي :
" ان الاحصائيات الامريكية الحديثة تشير الى ان ١٧٥٠٠٠٠ جريمة
خطيرة ترتكب في كل عام . وأن ١٥٠٠٠٠٠ طفل بين ٧ و ١٧ سنة من عمره
تقبض عليهم الشرطة من هؤلاء ٣٥٠٠٠٠٠ يقدمون الى محاكم الاحداث لا يقل
في العام عن اربعة ونصف مليون مدمن وان حالات الانتحار فهي اكبر من ذلك
بكثير . "

-
- (١) راجع كتاب المجتمع الامريكي عاريا ص ٣٠ تأليف فينس باكارد ت : عبد الحميد
سليم مصر ١٩٧٢م يقول هذا الاستاذ نابلي : " اننا نجد تناقضا في مجتمع
بجاول ان يضع اناسا على القمر في حين ان ملايين من سكانه في المدن لا
يجرؤون على السير وحدهم لبلا في الشوارع او في الحدائق المجاورة لبيوتهم " .
(٢) في ظلال القرآن سيد قطب ج ٤ ص ٣٣٣
(٣) مستقبل الحضارة بين العلمانية والشوعية والاسلام يوسف كمال ص ٢٨

ويقول القاضي (لندس) انه يسقط فيها مليون حمل على الاقل في كل

سنة ويقتل الاف الاطفال من فور ولادتهم ..

وفيها تبلغ نسبة الحبالى من تلميذات المدارس الثانوية في احدى المدن

٤٨ بالمائة حسب احصاء عن مدينة (نفسر) عاصمة (كولورادو) .

وفيها تبلغ نسبة البيوت والاسر المحطمة بالطلاق تقفز فترة بعد فترة

كلما ازداد الاختلاط وكثرت الاباحية وهذه النسبة المخيفة تجضي في هذه

النسبة حسب احصائية امريكية صدرت سنة ١٩٥٠م

نسبة الطلاق ٦% عام ١٨٩٠

١٠% = ١٩٠٠

١٠% = ١٩١٠

١٤% = ١٩٣٠

٢٠% = ١٩٤٠

٣٠% = ١٩٤٦

٤٠% = ١٩٤٨

انشاء غرف ولادة في جميع المدارس

وفي امريكا صدرت التعليمات الى جميع مدارس نيويورك بانشاء غرف

ولادة في كل مدرسة على ان يدرب اثنتان من موظفي المدرسة على اعمال التوليد

الى ان يتم استدعاء الطبيب المختص ، وقد صدرت تلك التعليمات من المجلس

الصحي للمدينة بناء على طلب مجلس التعليم الذى يرى تسجيل الطالبات الحوامل

على الاستمرار في الدراسة بدل فصلهن من المدرسة وقال المجلس : ان عدد الطالبات

الحوامل دون زواج في مدارس (نيويورك) وحدها بلغ ٢٤٧٨ حاملا في عام

١٩٦٩م (١)

(١) راجع كتاب خطر التبج والاختلاط عبد الباقي رمضان ص ١٢٣ ط اولى في

مؤسسة الرسالة - بيروت ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م

ففي عام ١٩٦٨م وقعت ٥٤ مليون جريمة كبرى في الولايات المتحدة وجرائم القتل فيها تزيد ٤٨ مرة عن مثيلاتها في بريطانيا والمانيا واليابان مما . .
فالعنف أصبح حقيقة اساسية موجودة في المجتمع الامريكي والامريكيون
بمبشون في ربع الجريمة كل يوم . . ولذا يخشى اغلبية السكان الخرج وحدهم
لبلد وتقتنى ثلث العائلات الامريكية بنادق في بيوتها بينما يحاول اكثر سكان
المدن الرحيل بعيدا الى الريف هربا من كابوس جرائم المدن المخيف . (١)

* * *

وقرر كيندي في تصريحه الخطير سنة ١٩٦٢م . ان مستقبل امريكا في
خطر لان شبابها مائع منحل غارق في الشهوات لا يقدر المسؤولية المطلقة
على عاتقه ، وانه من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير
صالحين ، لان الشهوات التي غرقوا فيها افسدت قواهم الطبية والجسمية
والنفسية . (٢)

ثالثا - وفي روسيا المتحدة ايضا :

(١٥)

وهصرح خروشوف سنة ١٩٦٢م كما صرح كيندي في نفس العام بأن
مستقبل روسيا في خطر وان شباب روسيا لا يؤتمن على مستقبلها لانه مائع
منحل غارق في الشهوات .

ففي روسيا وفي المانيا كذلك شمار تتناقله الالسن وهو عار على
البنت الروسية والالمانية ان تبقى بكرا وأدوات منع الحمل موجودة في كل
طريق . (٣)

(١) المرجع السابق ص ١٤٠

(٢) المرجع السابق ص ١٤٠

(٣) المرجع السابق ص ١٤١

رابعاً - نظرة غابرة على بريطانيا :

ولم يعد غريباً ان نجد الشهوات في جميع المجالات في بريطانيا بعد ما أن تقدم بالفعل بعض اعضاء المحافظين الى مجلس العموم البريطاني في دورته في نوفمبر سنة ١٩٦٥ بمشروع قانون يتضمن باباحة العلاقات الجنسية (١) و اذا وقع هذا كيف نستغرب من الحكاية التالية يذكرها الاستاذ المودودي في كتابه السابق :

" ومنذ شهرين اثنين كان شيخ عجوز في طريقه الى القرية ، عندما أبصر على جانب الطريق - وتحت شجرة - غلاماً يضاجع فتاة ..

" واقترب الشيخ منهما . وركز الغلام بحصاه وزجره . ووبخه ، وقال له : انما يفعله لا يجوز ارتكابه في الطريق العام ، ونهض الفتى وركل الشيخ بكل قوته في بطنه .. ووقع الشيخ وهنا ركله الفتى في رأسه بحذائه .. واستمر يركله بقسوة حتى تمشيم الرأس .

(٢) " وكان الغلام في الخامسة عشرة ، والفتاة في الثالثة عشرة من عمرها "

القصة المجيبة من بريطانيا

نشرت جريدة التايمز اللندنية تقارير طبية وصرخات رسمية وخاصة عديدة بشأن الاجهاض وخطره منها :

وقفت الجمعية الطبية البريطانية مذهولة ازاء ارقام الاجهاض الملحوظة في الربع الاول من سنة ١٩٧١ م اي في ربيع سنة فقط والبالغة : ٢٢ ٨٠٨ حادثة وردت حسب العمر على الشكل التالي :

(١) مستقبل الحضارة بين العلمانية والشيوعية والاسلام . يوسف محمد كمال ص ١٦

(٢) كتاب الحجاب ابو الأعلی المودودي ص ١٣٠

(٣) راجع كتاب خطر التبرج والاختلاط عبد الباقي رمضون ص ١٤٣

عدد الحوادث	السن
-------------	------

٥٣٣	اقل من ١٦
-----	-----------

٤٠٢٣	١٦ - ١٩
------	---------

١٣٨٧٣	٢٠ - ٢٤
-------	---------

٣٧٨٦	٢٥ - ٤٤
------	---------

١١٤	٤٥ وما فوق
-----	------------

٢١٧	بدون تحديد
-----	------------

هذا وقد عكست الجمعية الطبية المذكورة على العدد الاجمالي لحوادث الاجهاض لعام

١٩٧١ م البالغ ٨٠٧٢٣ حادثة قاتلة :

ان الزيادة في عدد الحوادث في الاجهاض في الوقت الحالي تحتم

طينا المطالبة بوضع حد حازم وفعال للاجهاض خاصة وان الارقام في زيادة

مستمرة . . .

في السويد :

انخفاض مستمر في نسبة المتزوجين الى غير المتزوجين وارتفاع مستمر في

عدد المواليد غير الشرعيين مع ملاحظة ان ٢٠ % من البالغين من الاولاد والبنات

لا يتزوجون ابدا وان نسبة الطلاق في السويد هي اكبر نسبة في العالم كله ،

وانه يحدث حادثة طلاق واحدة من بنين ست اوسبع زوجات طبقا للاحصائيات

التي اعدتها وزارة الشؤون الاجتماعية في السويد . (١)

وفي ايطاليا : (١٦)

اثبت الاحصاء ان ٢٥ % من الشعب الايطالي يفضلون قراءة مجلات الجنس

والنكاح اكثر من اهتمامهم بالصحف السياسية اليومية ، واكد الاحصاء ايضا ان مؤسسات

شرب الكب والمجلات الجنسية الحارة تعتبر اضعف المؤسسات في ايطاليا .

(١) المرجع السابق ص ١٤٢ وقد تحدثنا عن السويد سابقا
ولكننا اعدنا هذا المجلد علينا لموضوع الطلاق.

وفي المجر : (١٧)

أعلن البروفسور المجرى : ان عدد حالات الاجهاض التي تحدث في العالم اصبحت تبلغ ٣٠ مليون حالة سنويا اي ما يعادل حالة اجهاض واحدة كل ثانية وأشار الى ان عدد عمليات الاجهاض في بعض الدول يفوق عدد حالات الوضع ومن بين هذه الدول المانيا والنمسا وبلجيكا . (١)

وفي الدانمرك : (١٨)

قامت تظاهرة نسائية ضخمة في شوارع عاصمتها كوبنهاجن سنة ١٩٧٠م تناقلتها بعض وكالات الانباء بالاذاعات ونشرت في كثير من الصحف منها مجلة الاسبوع العربي بنفس العام وفي شهر ايلول ونشرت صورتها في المجلة .. اشترك فيها عدد كبير من الفتيات طالبات الجامعة وكن يرودن المظاهرات التالية وبحملنها على اللافتات المكتوبة والمصورة في المجلة :

- نرفض ان نكون اشياء ..
- نرفض ان نكون سلعا لتجارة الاباحية ..
- سعادتنا لا تكون الا في المطبخ ..
- نريد ان تبقى المرأة في البيت ..
- أعبدوا البنا انوشتنا ..
- اننا نرفض الاباحية .. (٢)

هكذا بفعل الالحاد باهله ... يا ليتهم يقرئون قوله تعالى :
 * وقرن في بيوتكن ولا تسبرجن تبرج الجاهلية الاولى وأقمن الصلاة وآتين
 الزكاة وأطمن الله ورسوله انما يريد الله ليهذب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم
 تطهيرا * (٣)

(١) المصدر السابق

(٢) خطر التبجح والاختلاط عبد الباقي رمضون ص ١٤٤

(٣) سورة الاحزاب الآية ٣٣/

وقوله تعالى : * واذا سألتموهن متاعا فسئلوهن من وراء حجاب ذلكم
أظهير لقلوبكم وقلوبهم .. * (١)

وقوله تعالى : يا أيها النبي قل لا زواجك وبناتك ونساء المؤمنين
بدنهن عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذيــــــــــــــــن
وكان الله غفورا رحيمًا * (٢)

تقول الكاتبة الانكليزية اني رود عن ذلك :

" اذا اشتغلت بتاتنا في البيوت خادام او كالخوادم هبوا وأخف
بلاء من اشتغالهم في المعامل حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب
برونق حياتها الى الأبد ..

أيا ليت بلادنا كبلاد المسلمين حيث فيها الحشمة والحفاف والطهارة
رداء الخادمة والرقيق اللذين يتنعمان بأرغد عيش ويعاملن معاملة أولاد
رب البيت ولا يمس عوضهن بسوء ..

نعم انه عار على بلادنا الانكليزية ان تجعل بناتها مثلا للردائل
بكثرة مخالطتهم للرجال " فما بالناس نسي وراء ما يجعل بناتها تحمل ما
يوافق فطرتها الطبيعية كما قضت بذلك الديانة السماوية وترك اعمال الرجال
للرجال سؤامة لشرفها .. (٣)

حقا .. هذا ما اشار اليه الاستاذ محمد فريد وجدي بقوله :

" وظيفة المرأة الحقيقية هي القيام بالواجبات المنزلية .. " (٤)
ولكنها انكرت هذه الوظيفة " نجم عنه الشقاء المستديم للمرأة وللمجتمع كله " (٥)

(١) سورة الاحزاب / ٥٣ (٢) سورة الاحزاب / ٥٩

(٣) الاسلام روح المدنية د. مصطفى الغلاييني ص ١١١ المكتبة الاهلية ١٣٤٤هـ

(٤) راجع دائرة معارف القرن العشرين فريد وجدي ٦٣٩/٨

(٥) انظر المرأة بين الفقه والقانون : مصطفى السباعي ص ٣٠٠ ط ٤ المكتب الاسلامي

وراجع ايضا مجلة الاعتصام العدد ٣ السنة ١٣٩٨/٤١

كونينهاجن تصدر المطبوعات الجنسية (١٩)

وكتبت مجلة "حضارة الاسلام" في عددها العاشر لعام ١٩٢١ ما يلي :

"تنتشر في كونينهاجن - عاصمة الدانمارك المتاجر التي تختص ببيع المطبوعات الجنسية حتى أصبح هذا هو طابع تلك المدينة وأكثر صادراتها في انحاء العالم . وهي عاصمة (الهيبين) يحجون اليها ، ويتجمعون في انحاء مباديها الواسعة ويسهرون نهارا واباء باليسم الخاصة القليلة واقدامهم الحافية وشعورهم الشعثة الوسخة في شوارعها .. (١)

والهيب والخنفس والبوب - شباب فارغ نفسا وروحيا وفكريا ..

أهملته الحضارة الالهادية الحاضرة فلم تملأ فراغه ، فراح يملوه بنفسه في اماكن العبث والليهو حسب الهوى ... فاصبح يتصرف حسب الأهواء ،

مرة يلبس القصير الضيق

واخرى الطويل الفضفاض

ومرة يطيل شعره حتى يبلغ ظهره

واخرى يحلقه من اصله

ومرة يقلد الحشرات

ومرة يقلد الحيوانات ..

الى غير ذلك من المتناقضات في السلوك والتصرفات والخواطر والأفكار ..

هذا ما يفعله الالهاده بأهله ...

(١) مجلة " حضارة الاسلام " في عددها العاشر لعام ١٩٢١ م ص ٢٢

أوربا عاملة

صار الجنس وعملاته شيئاً يرافق الفرد الاوربي اينما وجد وحيثما كان في حله وترحاله وفي جميع جوانب حياته حتى غداً شيئاً مألوفاً ومعارفاً عليه وبمعبر آخر - متواطئاً عليه - دون تمييز بين خير او شر ودون تفريق بين فضيلة ورذيلة اوبين ضاراً ونافع اوبين صالح او فاسد .

والغرب ان جميع المستعمرات الاوربية - حتى ولو بعد ان نالت استقلالها - يظل شبايحها أوربا في كل هذه الدعارة . وربما يفعلون اشياء في هذه الناحية ما لا يفعله الاوربيون انفسهم .

ففي تلك المستعمرات تجد النساء المرافقات - او السكرتيرات - وهن رفيقات تحت اسم جديد . . فلا يكاد يخلو منهن مصنع او متجر او حانوت او مكتب . . للخدمة والمتعة والتسلية والضيافة . .

وعموماً فان الحياة المادية المحضة هي التي تسود أوربا وجميع مستعمراتها في الشرق والغرب واصبح هدف الناس الوحيد هو تأمين المال والخمرة واللذة دون اهتمام للقيم الانسانية والكرامة والادمية ودون اى امثال للحقائق العلمية والاكتشافات الطبية والنظريات العقلية والآراء المنطقية . .

قد سادت الانانيات ، وتفشت الاوبئة وكثرت الجرائم واصبح الانسان عدواً لاخيه الانسان . .

بل
فالحقيقة ان الذى يتصل بالاوربيين عن كتب عن
كتب أيضاً يستغرب أن تكون في قلوبهم أدنى شئ من
الغيرة الانسانية .

تجددهم برقصون مع زوجات اصدقائهم في حضراتهم او في
 حال غيابهم .. ولا يشعر احد منهم بغيرة * بل يعتبرون ذلك ثمنا
 وحضارة وثقفا ..

اذا رأيتهم برقصون لا تجد بينهم وبين البهائم فرقا بل البهائم
 اهدى منهم بكونها باقية على فطرتها وخلقتها .. واذا أردنا مزيدا
 على ذلك فلنقرأ الكلمات التالية :

" ففي مسرحية - هير - ظهر فيها المثلون "عراة" تماما
 على خشبة المسرح ، ثم ظهرت في نيويورك (تشي غيفارا) وقف
 فيها المثلون ليمارسوا عملية الشذوذ الجنسي - اللواط امام اعين
 المتفرجين ..

وفي نيويورك ايضا مسرحية (أوه كالكوتا) تحتوى على
 عشر شخصيات ، منها خمسة رجال وخمس نساء وقفوا ليقوموا فيها
 بعملية الملاقة الجنسية " كل رجل مع امرأة " علانية وأمام مئات
 المتفرجين دون اى حرج وبوقاحة حيوانية منقطعة النظير ..

وفيهما ايضا تعرض الفتيات والنساء باوضاع مغريرة ومثيرة يراها
 الصادى والفادى كما تعرض الأزياء وكل منها بسمرة فيأخذ الرجل
 منهن من تعجبه ...

انا لله وانا اليه راجعون ..

صدق الله تعالى * ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا *
 هذه من آثار الاحاد والاعراض عن وحى السماء .. ان هذا لا بدع
 مجالا للشك من أن الدول الأوربية تنهار ان استمرت على هذا
 الخط المموج ...

الخلاصة :

- ان في تلك المجتمعات الالحادية تجد :
- الشاب الشارد والخمور والحشيش والافقيون
 - الجيل المنحل المريض جسما وعقلها ونفسيا ..
 - عصابات القتل والخطاف والاعتصاب الجنسي ..
 - عصابات التهريب للمخدرات كالافقيون والحشيش
 - تجار الشهوات والفرائز وبيع الفتيات وتاجير البغايا ..
 - عصابات من الاطباء والمحامين ورجال القانون لتغطية الجرائم وهضم الحقوق
 - لقاء الرشوة المالية والجنسية ..
 - نوادي المرأة يتحرى فيها روادها من كل رداء دون اي حياء
 - افواج الماهرات والمومسات يحترفن الزنى لكسب الكفاف ..
 - الاغاني الفاحشة والموسيقى المثيرة والتمثيليات المبهجة
 - كتب الجنس ومجلات العرى ومساح الرقص والمجون ..
 - افواج (المرييين) المتشبهين بالحيوانات والحشرات ..
 - افواج (البوب) الفارقين في السكر والمخدرات والزنى والفحش ..
- الى غير ذلك من مظاهر الالحاد والفساد مما لا يمكن عددها وحصرها .. (١)
- هذه هي صورة اوربا الحالية شرقية وغربية . وهذه الصورة ، كما قلنا ، تنطبق على اغلب مستعمراتها التي قلدها في التبرج والاختلاط والاباحية والالحاد .

- (١) نكرر دائما ان اسباب هذا الالحاد الفريد راجع بادى ذى بدء الى طغيان الكنيسة قد اتت قومها برهبانية تصادم الفطرة الانسانية .. وكانت هذه الاباحية المطلقة ردود فعل لهذه الرهبانية العاتية .. ومثال ذلك قول احد رجال الكنيسة لتلاميذه مرة : " اذا رأيتم امرأة فلا تحسبوا انكم ترون كائنا بشريا بل ولا كائنا وحشيا .. وانما الذى ترون هو الشيطان بذاته " والذى تسمعون هو صفيير الثعابين "
- راجع اساطير اغريقية من سلسلة التراث الانسانية .

الفصل السادس

أسباب تدمير الأمم والشعوب

إذا قلنا ان أوروبا تشق طريقها الى الدمار ، لا نقول ذلك من بنات افكارنا وانما نجد امامنا نصوصا قاطمة لا تقبل اى تأويل .. فهي تشير الى اسباب تدمير الشعوب والأمم ..

ومن يتأمل في هذه الاسباب يجدها تنطبق على أوروبا الحالية أيضا

انطباق .
إذا رجعنا الى القرآن الكريم نرى من القواعد الكلية التي اثبتتها ، ان الله تعالى ليس يظالم حتى يهلك أمة بلا سبب وهي تعمل صالحا .

* وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون * (١)

وليس المراد بهذا الهلاك والتدمير ان تقلب طبقات البلاد فحسب ، بل من صور الافناء والتدمير ايضا ان يشتت أمر الأمم وتكسر قوتهم الاجتماعية وتضرب عليهم الذلة والعبودية والخزى ..

وبحسب هذه القاعدة القرآنية ، لا يصيب أمة ما اى نوع من انواع الدمار والخراب الا اذا تركت منهج الخير والصالح واخذت تسلك مناهج الشر والفساد والعتو والحصيان وبذلك ظلمت نفسها بنفسها ..

* ■ ■

ان الله تعالى حيث يذكر في كتابه امة اصيبت بعذاب وهلاك يذكر بجانب ذلك جريمتها اثباتا لتلك القاعدة ، حتى يتبين للناس ان وبال اعمالهم السيئة هو الذى يفسد دنياهم وآخرهم ..

يقول تعالى * فكلا أخذنا بذنبه .. وما كان الله ليعظلمهم ولكن كانوا

انفسهم يظلمون *

والأمر الآخر الذي يستخرج من هذه القاعدة هو انه لا يكون باعث الهلاك والدمار هو الفساد الفردي بل هو الشر والفساد الاجتماعي القومي ...
ومعنى ذلك انه اذا كانت المفاصد الاعتقادية والمعلبية ، انما توجد متفرقة في الافراد وكان مستوى الامة الديني والخلقي رفيعا .. من حيث المجموع على حدة .. تظل الامة من حيث المجموع محتفظة بكيانها ولا تحل بمرحلة فتنة عامة تجر عليها الهلاك باكملها ..

ولكنه متى جاءت المفاصد الاعتقادية والسلوكية تجاوز الافراد الى الامة بأسرها وتقدر شعور الامة الديني والاخلاقي الى حد انها اصبحت صالحة لان يزكف فيها الشر والفساد بدل الخير والصالح .. فان العناية الالهية - عندئذ - تنصرف عن هذه الامة ، وتأخذ هذه بالهبوط من طباء المز الى درك الهوان حتى تحين الساعة التي يهيج فيها غضب الله عليها فيدمرها .. وقد تحدثنا جانباً من اسباب هلاك الأمم في مبحث الانتخاب الطبيعي عندما تكلمنا على النشوء والارتقاء والان نرجع الى القرآن الكريم لنرى أدلة اخرى تؤيد الاولى ، نكررها لغيبوبتها عن حس الناس اليهم .. فتلک أمة نوح عليه السلام قد اهلكت حين تأصلت فيهم مفاصد الاعتقاد والسلوك وجعلت تنمو وتنتشر في المجتمع كله ، ولم يبق من أمل في أن شجرتها الخبيثة ستنتج ثمرا صالحا أبدا فاضطر نوح عليه السلام الى أن ينادى ربه :

* رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا .. ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا * (١)

ومن عرف الاوربيين عن كتب بل عن كتب ايضا يعلم ان فساد الاعتقاد والسلوك موجودان عندهم بشكل لا مزيد عليه . ولقد رأينا في الفصل السابق كيف انتشرت فوضى الجنسية والفساد والانحلال الخلقي فيهم ..

قـــســـوم عـــاد

وتلك عاد لا هلكوا حينما بلغ الشر والفساد من نفوسهم بحيث أصبح
المفسدون الظالمون هم الآثرون ..
وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا امر كل جبار
عبيد * (١)

ليس الملاحدة في اوربا واميركا بل في روسيا ايضا هم الذين يملكون زمام
العالم وعندهم (النقض) حق الفتو ؟ فكل قضية ليست لهم فيها اية
مصلحة يستملون حق الفتو ..
وان غدا لناظره لقريب ..

* + *

قـــســـوم لـــوط

فلنتقدم الى قوم لوط الذين اتخذوا فوضى الجنسية شعارا لهم فأخذهم
الله بحذابه عندما ^{النهاية} يملكون تبلد حسيم الخلق ووقاحتهم، اذ عادوا يرتكبون الفواحش
علا ئية في المجالس والأسواق ولم يبق فيهم شعور لكون الفواحش فواحش :
* انكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناد بكم المنكر * (٢)
فمن شدة تبلد حسيم كانوا يستغربون من الذين يتنزهون من اقتراف
هذه المنكرات فقالوا :

* اذرجوا آل لوط من قريتم انهم اناس يطهرون *

هل يوجد هناك فرق بين هذه الصورة وبين اوربا الحديثة ؟

لا | بل يوجد عندهم الان ما هو ادهى وأمر .. لقد نبت جيل في اوربا
واميركا متحلل من كل قيد .. حقيقة .. لا يربطه رابط من خلق أودين أو تقليد
في مسألة الجنس لا شيء على الاطلاق يقول له : أمسك كل شيء حوله انما
يقول : أقدم ..

كل التوجيهات وكل " التنظيمات " وكل التيار تنبئ له الانطلاق الجنسي
وتزنيه له وتدفعه اليه ..

صار أمرا طبيعيا جدا وهينا جدا ، ومعروفا جدا ان تتخذ كل فتاة
صديقا (Boy Friend) وكل فتى " صديقة " (Girl Friend)
يقضيان كل ما يريدان .. وحبوب منع الحمل
تبسر الطريق ...

واستمتعت أوروبا وأمريكا بنتائج " الاختلاط " كاملة .. وبدأ للناس
هناك ان هذا هو الأمر الطبيعي الذي لا يستنكر .. أبدا .. صورة طبق
الأصل .. رأينا قوم لوط لا يستنكرون على ذلك بل يخرجون من بيتهم عن ذلك
من قريتهم ..

وهؤلاء المتأخرون أيضا يجعلون كل من لا يمارس هذه الفعلة القبيحة
رجعيا غير متقدم .. (١)



أهل مدين

وهناك صورة أخرى اذا نظرنا الى اهليها نجدهم كأنهم يعيشون

في القرن العشرين هذه الصورة هي صورة أهل مدين ..

ان هؤلاء الفسقة الخونة قد ذاقوا عذاب الله عندما أصبحت
الأمة كلها خائنة غشاشة سيئة المعاملة . ولم يبق التطفيف في الوزن والكيل
واخذ الزائد على الحق شيئا محببا عندهم ومات الحس الخلقى فيهم السي
حد انهم يلومون من ينهاهم عن ذلك ويخطئونه ..

* يا قوم أوفوا بالعقود والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تمشوا
في الأرض مفسدين * (٢) قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا
ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بحزيز * (٣)

(١) راجع التطور والثبات في حياة البشرية الأستاذ محمد قطب ص ١٥٤ - ١٥٥

(٢) هود آية ٨٥ (٣) هود آية ٩١

هذه صورة من الصور اللاحدية قد بها فأهلك الله اصحابها وسنة الله
لا تتخلف وسوف يلقى هؤلاء الملاحدة المعاصرون ما لقي اسلافهم —
الدمار والويلات .

انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا *

■ ■ *

انتحار الحضارة الغربية

قد تبين لنا السنن الربانية في هلاك الشعوب والأُمم ، ونريد هنا
ان نزيل الاوهام عن قلوب قد يخيّل اليها ان رقي هذه الأُمم الغربية
أبدى سرمدى ، لشدة ما تندفع به العقول من هذا الرقي المجيب الذى
حازته ام الغرب في مبادئ السياسة والتجارة والصناعة والحرف والعلم والفنون .
والشئون الاقتصادية (١) وغير ذلك .

كما يخيّل الى تلك القلوب ان الغرب قد قضى الأمر بدوام غلبتها
واستبلائها على العالم وانها قد اختصت — دون غيرها — بالحكم على
البسيط الارضى والسيطرة على عناصر الكون وان قوتها قد بلغت من الشدة
والرسوخ الى ان لا يمكن استئصالها . . . الى اخر هذه التخيلات الفارقة . .
واذا رجعنا الى التاريخ نجد ان مثل هذا الظن الكاذب قد غلب العقول
في كل زمان بالنسبة الى كل تلك الأُمم التي كانت " الأُمّة الغالبة " في زمانها . .
ففرعون مصر وأمتا عاد وشمود والكلدانيون في العراق وأكاسرة فارس والفَرَزة
اليونانيون الغالبون ، وملوك الروم الحاكمون على اقطار الارض ، والمجاهدون
المسلمون الفاتحون للعالم وجنود التتر المخربون ودولة غانا (٢) ومالي (٣) والسَنغَاي (٤)
والامام ساموراي (٥) وسيطرته في افريقيا الغربية ، كل اولئك قد مثل دور القوة

(١) راجع تكوين العقل الحديث ج١ هـ راندال ت: جورج طعمة دار الثقافة ج١ ص ٤٦٨

(٢) (غنة) كانت دولة في افريقيا الغربية (٣) (مالي) هي جاء ت بعد غانا

(٤) (سنغاي) جاء ت ايضا بعد (مالي)

(٥) (الامام سامورى) كان ايضا في غرب افريقيا قائد شجاعا . .

والسيادة على مسج هذه البسيطة ..

فكل أمة من تلك الأمم لما نهضت غمرت العالم كله بسيادتها .. وقد
سمع دوى شوكتها وجبروتها في ربوع الأرض وحتى خيل للناس ممن كانوا
يحاصرونهم ان قوتها لن تزول ...
ولكن جاء اجلها وقضى بزوالها الحاكم القوي الذي لا زوال لقوته أبدا
عشر عشرة لم ير لآخرها وجود بعدها .. او خضعت لمحكومها .. بالأمس
 واصبحت مملوكة للمالكها في الغابر ..

يقول تعالى ﴿ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا
كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ (١)

وانا لترى - اليوم - كل بقعة من بقاع الأرض آثار الأمم التي سبقتنا
وقد خلفت تلك الأمم من ايات حضارتها وتمدينها وصناعاتها وحذقها وكمال
براعة يدها ما يدل على انها لم تكن باهون من هذه الأمم الراقية الغالبة في
زمانها بل الصواب انها (الامم الماضية) كانت اقوى وأغلب من هذه
الأمم المعاصرة في ذلك العصر :

﴿ كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها ﴾ (٢)

ولكن كيف كانت النتيجة ؟

انها انخدعت بها وجدت نفسها فيه من حالة النعم .. وفتنتها الرفاهية
فتكبروا وتجبروا لما استتب لهم من القوة والغلبة ، فأخذوا يظلمون انفسهم بما
يرتكبون من سيئات الأعمال :

﴿ واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين ﴾ (٣)

وقد أمهلهم الله على رغم تمرهم وابتعادهم عن هدى الله والحادثهم :

﴿ وكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة ﴾ (٤)

ولكن كل مهلة أمهلوها أصبحت لهم بلاء جديدا .. اذ يزعمون انهم قد عجزوا

الله بمكرهم وتدبيرهم .. وهناك انصرفت غيابة الله عنهم ..

﴿ ومكروا ومكرا ومكرا وهم لا يشعرون ﴾ (٥)

(١) آل عمران / ١٣٧ (٢) الروم / ٩ (٣) هود / ١١٦ (٤) /

(٥) الحج / ٤٥

وان المكر والتدبير الالهي لا يواجه المرء من امام بل هو ينبعث من داخل الانسان نفسه فيسرى الى ذهنه وقلبه ليحمل عمله . ويجعله مكشوف البصيرة لا مكشوف البصر : * فانها لا تضي الاضمار ولكن تضي القلوب التي في الصدور * (١)

واذا افتقد المرء نور قلبه الداخلي ، فكل تدبيره لمصلحته يأتي على العكس المقصود فيضر - والعياذ بالله - وكل خطوة يخطوها نحو غاية النجاح تقوده الى مهوى الهلاك : * فانظر كيف كانت عاقبة مكرهم .. انا دمرناهم وقومهم اجمعين * (٢)

اننا نرى كل يوم سنة الله ، سنة الصعود والهبوط في كل شئ ، فهناك حركة دائمة وتغير ودوران مستمر لا تدع شيئاً يستقر على حال فكل بناء يصحبه زلزال وكل ربيع يتلوه خريف وهكذا على العكس .. فأنت ترى حبة مستصغرة تذروها الرياح اليوم من مكان الى آخر وغدا تتأصل هذه الحبة في الأرض فاذا هي شجرة باسقة الفروع .. ثم تصبح خشبة فتسقط على الأرض وهكذا دائماً ..

وهذا كله من عمل الرفع والخفض الجاري في هذه الحياة .. فاذا ما رأينا حالاً من هاتين الحالتين تستمر لمدة طويلة ذهب بنا الظن الى ان هذه الحالة ستبقى الى الأبد .. لا ! وليس الأمر كذلك .. يقول تعالى : * وتلك الايام نداولها بين الناس * (٣)

تلك هي سنة الله فيها خلق وهذه السنة كما هي جارية في سائر الموجودات هي جارية ايضاً في الانسان في حالته الفردية او في حالته الجماعية القومية .. فلا يزال العز والذل .. والحسر واليسر .. والصعود والنزول .. وما الى ذلك من الحالات ينتاب الافراد والأمم المختلفة ..

(١) سورة الحج الآية ٤٦ /

(٢) سورة النحل الآية ٥١ /

(٣) سورة آل عمران الآية ١٤٠ /

هذه السنة الريانية لا تتخلف :

* سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً * (١)
بالأمم القريب كانت دولتا فرنسا وانجلترا في القمة في عالم الصناعة والتجارة
والسياسة والاستعمار .. وكيف كان الوضع ؟ لقد أصبحتا في زاوية النسيان وانسحبتا
من مركز القيادة العالمية لتسلما القيادة لأمريكا وروسيا .. والان بدأت الصين
تخزو العالم بصناعتها الجديدة ولا نعلم ماذا يحدث الله بعد ذلك ..
وبعد هذه الجولة البعيدة — نستطيع ان نقول بكل ثقة وامان ان الأمم
الغربية تشق طريقها الى الهلاك والدمار .. لماذا ؟
لأن وبال الاعمال السيئة الذي ذاقته الأمم السالفة قد أحاق اليوم
بالأمم الغربية ..

وذلك انه قد اندثرت هذه الأمم بكل وجه ممكن للاندثار ..
فأثارت الحرب العالمية ومشكلات الاقتصاد .. وازدادت التحمل .. وانتشار
الامراض الفتاكة وتبدد النظام العائلي .. كل اولئك آيات بينات لوتأملوها
لعلوا ان كل /ثمرة/ ظلمهم وعقوهم على ربهم واتباعهم للشبهوات .. سينجذ
مزيديا من ذلك في باب عقوبة الفطارة الآتي ..
ان كل ذلك يمر امام الملاحظة .. ولكنهم لا يجدون في هذه الايات
ما يعتبرون به فلا يزالون يميلون عن الحق ويشردون عنه * كأنهم حمر فـرت
من قسورة * (٢)

تراهم يحقدون المؤتمرات الدولية لمعالجة الشؤون الدولية ولكن لا تصل
ابصارهم الى الحلة الرئيسية للمرض الذي اصاب جسم العالم فافقده وعيه .. الا
وهو مرض الاتحاد والابتعاد عن الله ..
وبهذا الخطأ البين في العلاج لا يزال داءهم يستفحل كلما
عولج .. * وان عسى ان يكون قد اقترب أجلهم * (٣)

الفصل السابع

عقوبة الفطرية

من الثابت نقلا وعقلا - ان الضمير الانساني لم يكن مستطاعا ان يستقر على قرار في امر هذا الكون وفي امر نفسه ، وفي غاية وجوده ، وفي ضيق حياته ، وفي الارتباطات التي تقوم بين الانسان والكون والتي تقوم بين افرادهم هو وتجمعاته ..

لم يكن مستطاعا ان يستمر الضمير البشري على قرار في شيء من هذا كله قبل ان يستقر على قرار في امر عقيدته وفي امر تصوره لآلهه .. ولما علم الله ان الانسان لا يستطيع ان يصل الى يقين واضح في ذلك الأمر اودع في فطرته هذا السر العظيم :

دلائل الدين القيم

* فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله / ولكن أكثر

الناس لا يعلمون * (١)

ثم اودع في هذا الكون موقظات الفطرة اذا نبتت في جو غير صالح ..

* وفي الارض ايات للموقنين وفي انفسكم آفلا تبصرون * (٢)

ومن تلك الموقظات الكون بصفاته ، وظاهرة الحياة والموت ، وظاهرة الليل والنهار

ظاهرة الشمس والقمر ، ظاهرة الاجابة عند الشدائد ظاهرة الاتقان في بناء

الكون ، ظاهرة الحكمة في كل شيء ، وظاهرة العناية في الخلق ، ظاهرة الوحدة

المتحلة في التكامل في اجزاء هذا الوجود .. ظاهرة السببية .

ان كل واحدة من هذه الظواهر توقظ الفطرة الانسانية - كما سبق ذلك -

اذا تأمل فيها الانسان .. يقول تعالى * قد بينا الايات لقوم يوقنون * (٣)

(١) الرهم / ٣٠

(٢) الذاريات / ٣٠

(٣) البقرة / ١١٨

ولكن الانسان الذى تتحطل فيه اجهزة الاستقبال الفطرى لا يشعر بهذه الظواهر ..
ولا ينظر في خلالها الى خالق مدبر حكيم .. وانما تقول ترد بدا لقول
الجاهليين : * وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر *
مثل هذا الانسان لا بد ان ينال جزاءه من عقوبة الفطرة .. ولقد ر
رأينا أثناء هذا البحث وخاصة في باب اسباب هلاك الأمم الولايات التي صبت
على رؤوس المنكرين الملاحدة في القديم .. ونود في هذه الفقرة ان نشير
الى عقوبات قد منحت به البشرية اليوم نتيجة كفرها والحادها ..

اذا سمعنا هذا فلنقرأ الكلمات التالية :

لقد تكبدت البشرية عقوبة الفطرة في الحرب العالمية الاولى ويقدر

الاحصائيون الخسائر التالية :

عدد القتلى : ٩٩٨٧٢١١ نفسا

عدد الجرحى من ذوي الاصابات الخطيرة : ١٢٥٥٩٥٠٦٢ نفسا

عدد الجرحى من ذوي الاصابات المادية : ١٤٠٠٢٢٠٣٩ نفسا

عدد اسرى الحرب : ٩٨٣٦٠٠٥

عدد ضحايا الحمى الوافدة من اسبانيا من نتائج الحرب : ١٠٠٠٠٠٠٠

المجموع : ٤٦٢٧٩٩٢٢ نفسا (١)

كان هذا بعض عقوبات الفطرة .. فما وقع في الحرب العالمية الثانية

ادهى وأمر ..

أنظر كيف يفعل الاحاد بأهله ..

(١) بدر الدين السباعي ، الحرب والشيوعية ، دار ابن الوليد حص ١٩٥٢ ص ٣

نقلا عن كتاب الأفعى اليهودية في محافل الاسلام ، عبد الله

المقوبات التي تجرى اليوم في عروق الملاحظة

يقول طبيب فرنسي يدعى الدكتور (ليريد) :

" انه يموت في فرنسا ثلاثون الف نسمة بالزهرى وما يتبعها من الأمراض (20) الكثيرة كل سنة .. وهذا المرض هو أفتك الأمراض بالأمم الفرنسية بعد حمى الدق " (10) (1)

وتقول دائرة المعارف البريطانية عن المجتمع الأمريكي انه يعالج في المستشفيات الرسمية هناك مائتا الف مريض بالزهرى ومائة وستون الف مصاب بالسيلان اللبني في كل سنة بالمعدل .. " (2)

" وقد اختص بهذه الأمراض وعددها ستمائة وخمسون مستشفى على انه يفوق هذه المستشفيات الرسمية نتائج الأطباء غير الرسميين الذين راجعهم ٦١ % من مرضى الزهرى و ٨٩ % من مرضى السيلان ..

ويقول كتاب القوانين الجنسية : (Laws of Sex)

" يموت في امريكا ما بين ثلاثين واربعين الف طفل بمرض الزهرى الموروث وحده في كل سنة ، وان الوفيات التي تقع بسبب جميع الأمراض عدا السل يربو عليها جملة عدد الوفيات الواقعة من مرض الزهرى وحده " (3) " وأقل ما يقدره المسؤولون في مرض السيلان انه قد اصيب به ٦٠ %

من النفوس في سن الشباب ، وقد اجمع علماء الماهرون في امراض النساء على أن ٧٥ % من اللاتي تجرى العملية الجراحية على اعضاءهن الجنسية يوجدن متأثرات بمرض السيلان " (4)

انظر كيف يفعل الالحاد باهله ...

(1) المذاهب المعاصرة عبد الرحمن عبيدة ص ٧٧ اعيدت هذه الجملة مرة ثانية لعلاقتها بالموضوع.

(2) دائرة المعارف البريطانية ج ٢٣ ص ٤٥

(3) كتاب القوانين الجنسية ص ٣٠٤

(4) كتاب القوانين الجنسية ص ٣٠٤

امراة تتحسر

قد انتقمت الممثلة الشهيرة (مارلين مونرو) من نفسها بالانتحار
فكتبت قبيل انتحارها نصيحة لبنات جنسها تقول فيها :
" احذرى المجد ... احذرى من كل من يخدعك بالاضواء ..
انى اتعسا امرأة على هذه الارض .. لم استطع ان اكون اما .. انى امرأة أفضل
البيت .. الحياة المائلة الشريفة على كل شى

■ * *

" ان سعادة المرأة الحقيقية في الحياة المائلة الشريفة الطاهرة
بل ان هذه الحياة المائلة لى رمز سعادة المرأة بل الانسانية .. وتقول
في النهاية :

" لقد ظلمنى كل الناس ... وان العمل السينمائى يجعل من المرأة
سلمة رخيصة تافهة مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة " .

* * ■

محاولات الانتحار

وليس غريباً ان تؤكّد الاحصائيات العالمية ان نسبة محاولات
الانتحار عند النساء اكثر منها عند الرجال ..

(11)

والبك تقاريلخر يكتبها احد الاطباء الاجتماعيين في فيينا : يقول :

" وقد لوحظ ان النساء اكثر محاولة من الرجال ..

في عام ١٩٤٨ م كان عدد المحاولات في النساء ٣٨١ وهذا يوافق

٦١ ر ٥٨ % من المجموع ..

وفي عام ١٩٥٦ م كان العدد ٥٩٠ اى بنسبة ٥٦/٧٣ %

وفي عام ١٩٥٩ م كانت النسبة ٥٥,٩٤ %

كما لوحظ ان نسبة المحاولات في الفتيان والفتيات الذين تتراوح اعمارهم

بين ١٤ عاما و ٢٠ عاما ترتفع باستمرار ..

فعند الفتيات كانت النسبة في عام ١٩٤٨ م ٦٥ %

وفي عام ١٩٥٦ م كانت النسبة ٦٥٣ %

■ ■ ■

وأما عند الفتيات فالنصاعد مخيف :

ففي عام ١٩٤٨ م حاولت ٥٠ فتاة الانتحار وهذا بشكل نسبة ٧٦٩ % من

مجموع محاولات الانتحار في ذلك العام ..

وفي عام ١٩٥٦ م حاولت ٨٩ فتاة الانتحار .. وهذا بشكل نسبة ٨٥٥ %

وفي عام ١٩٥٩ م حاولت ١٥٠ فتاة الانتحار .. وهذا يعني ان كل تسعة

ايام توجد ست محاولات انتحار (اربع منها) من جانب الفتيات (واثنان)

من جانب الفتيان . (١)

• وهناك العديد من المصائب التي تصيب المرأة من حيث يبقى الحليم

حبران عند سماعها .. فاليك نوعا من ذلك :

قد نشرت الصفحة الامريكية في عام ١٩٧٧ م من ان فتاة امريكية

في احدى الولايات الوسطى بالقرب من مدينة غير مشهورة وجدت مقتولة وقد

دارحت جثتها في الغابة ..

وحمل البوليس الجثة الى المستشفى ونشر اعلانا يتضمن سن الفتاة وصفاتها

الجسدية لكي يحضر قريبا لتسلم الجثة ..

فماذا كانت النتيجة ؟ ..

تقول الصحف : ان المستشفى تلقت ١٢٠٠ مكالمة من اناس كل منهم

يشك في انها قريته ويستوضح بعض صفات الفتاة اخرى بينما حضر الى المستشفى

شخصا قرابة ٥٠٠ شخص لمعاينة الجثة . (٢)

■ * ■

(١) المرأة بين الفقه والقانون : مصطفى السباعي ص ٢٧٣ - ٢٧٤

(٢) مجلة الدعوة بالرياض صفر ١٣٩٧ هـ

ان هذا على أى شىء يدل ؟

يدل على ان فتيات كثيرة قد فقدن .. وكلهن على تلك تلك الصفات وفي
السن نفسه .. وكما يدل على ان هناك عددا اخر من الفتيات اللاتي لسن على
هذه الصفة .. قد فقدن ايضا لا يعلمهن الا الله .. ؟

والا ظرب ان امريكة التي تريد ان تفتش ما فوق القمر ولا تدرى ما
يجرى في ولاية واحدة من ولاياتها .. فكيف بالولايات كلها ؟ ..

ان هذا لهو البلاء المبين !

فتلك من عقوبات الفطرة التي لا تعصى ولا تخان ..

■ * *

المطالبة بحق حرية اللواط في أمريكا

فقد نشرت الصحف " ان وفدا يبلغ تعداداه (عشرين) شخصا يمثلون
اللوطة والسحاق في الولايات المتحدة الامريكية قاموا بمقابلة السيدة (مارغريت)
مساعدة الرئيس (كارتر) للعلاقات العامة للمطالبة بحق حرية العمل في
المؤسسات العسكرية ولسماح بمزيد من اللواط في مكتب التحقيقات الفيدرالي
ووكالة الاستخبارات ووزارة الخارجية ومنح صفة معفى من الضرائب لمنظماتهم ..
وقال رئيس الوفد : ان هذه هي المرة الاولى في تاريخ الولايات المتحدة
التي رأينا فيها ان الرئيس (كارتر) بمناسبة الاعتراف بحقوق ومتطلبات عشرين
مليهون امريكي من الجنسين يسمح لهم بممارسة عملية اللواط والسحاق والشذوذ
الجنسي بأنواعه " (١)

* * *

(١) المجتمع العدد ٣٥٠ نقلا عن الدستور الاردنية

رجل يحقد على رجل في دول الشمال الاسكندنافية

ان مما يصادم الفطرة السليمة ان تطالب البرلمانات في دول الشمال (الاسكندنافية) باعتبار عقد الرجل على الرجل عقدا قانونيا مشروعا يقام في الكنيسة بل لقد تم عقد فعلى في احدى الكنائس بولاية كاليفورنيا * (١) ان هذا اسوأ من كل ما ذكر ... هكذا يفعل الالحاد بأهله ...

* * *

الزواج رجعى في الشيوعية

أما فيما يتعلق بالزواج ، فالشيوعية تمده وما ينشأ عنه من الأسرة وتربية الاطفال أثرا من آثار البرجوازية الرجعية ، وبقية من تقاليد العصر الاقطاعى لا تليق بالمجتمع المطلق الحديث ... لا نقول هذا الكلام لمجرد المزايدة على الغير ، بل امامنا نصوص من الشيوعية نفسها تؤكد ذلك :

(١) - البيان الشيوعى الذى يقول :

" ان الأسرة البرجوازية سوف تختفى بشكل طبيعى باختفاء رأس المال ... وأما التهرىج البرجوازى عن الأسرة وأهميتها في التربية وعن أهمية العلاقة بين الولد وأبويه ، فهو ما يشير الاشمزاز ... ان تقدم الصناعة الحديثة سوف يقع كل الصلات العائلية بين افراد الطبقة الحاملة * (٢)

(١) مجلة الدعوة المصرية العدد ١٣٩٨/٣٦

ومراجعة كتاب الطفولة الجانحة تجد ما تقشعر منه الجلود من آثار الالحاد وخاصة ص ٥٣ ، جان شازال ت : انطوان عبده بيروت ١٩٧٢م

(٢) الصنم الذى هوى ص ٢٤ ■ ستة من كبار الغرب ت : فؤاد حمودة ■

المكتب الاسلاوى ١٩٦٠م

(ب) تحدث (أثر كستلر) العضو السابق للحزب الشيوعي عن نوايا الشيوعية بالنسبة لقاعدة الأسيرة وقال :

" أما بخصوص الدافع الجنسي فقد كان مقرا ومعتبرا به ، إلا أننا كنا في حيرة بشأنه ..

كان نظام الأسيرة عندما أثرا من آثار النظام البورجوازي ينبغي نبذه لأنه لا ينبغي إلا الفردية والانفاق والاتجاه إلى اعتزال الصراع الطبقي .. بينما الزوج البورجوازي لم يكن في نظرنا إلا شكلا من أشكال البغاء يحظى بوضوء المجامع وموافقة إلا أن السفاح والاتصال الجنسي العابر كان يعتبر ابها شيئا سيئا غير مقبول

من هذا ترى أن الفضيلة البورجوازية شيئا سيئا كما أن السفاح كان سيئا كذلك

* * *

" وأما الموقف الصائب الذي ينبغي أن نتخذه نحو هذا الدافع الجنسي فهو الفضيلة العملية التي تتلخص في أن الإنسان ينبغي له أن يتزوج ويخلص لزوجته وينجب أبناء عمالين ..

فإذا تساءلت : ليست هذه الفضيلة البورجوازية التي استنكرناها من قبل ؟ قيل لك : أن هذا التساؤل أبها الرفيق يدل على أنك لا زلت تفكر بالطريقة الالوية لا بالطريقة الجدلية ..

أن نظام الزواج الذي يعتبر في المجتمع الرأسمالي مظهرا من مظاهر الفساد والتحلل يتحول " من دافعا " إلى عكس ذلك المجتمع المالي السليم فهل فهمت أبها الرفيق أم تحب أن أعبد عليك جوابي بطريقة " محكمة " أكثر من هذا ؟

وهكذا رأينا اثر الاتحاد في الدول الموحدة في الشرق والغرب قد
تساويا في التفكير الاسرى والتفسخ الاجتماعى الا أن الشيوعية تضئف
الى ذلك شيئاً زائدا .. وهو الشعور الدائم بالملح والرقابة البوليسية
والشك من كل انسان .

الخلاصة :-

ان المجتمع الشيوعى الموحد أخس جميع اصناف الملاحدة كليم ...
سواء من الناحية الاخلاقية او من ناحية الطمانينة النفسية والسعادة الاجتماعية ..
انه مجتمع ملعون شقى منحط الى اقصى درجة الانحطاط
الخلقي والفساد الاجتماعى حتى لا يتخيل احد منهم في الخلاص
من هذه الدناءة والسفالة ..
وكل ذلك لكفرهم وعنادهم على خالقهم ... لقد فتحت لهم ابواب
كل شئ ولكنهم فيها مبلسون ...
وصدق الله تعالى :

* فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شئ حتى اذا فرحوا
بما آتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون * (١)

شيطانان قد تسلطا على الملاحدة

انه قد سيطر على الأمم الملاحدة شيطانان قويان يجرانهم
الى ما فيه الهلاك :

اولهما :- شيطان قطع النسل

والآخر :- شيطان القومية

فالشيطان الاول قد سيطر على افرادها ..

والآخر قد سيطر على انفسها وحكوماتها : فكل منهما عقوبة من عقوبات الفطرة ..

ان الشيطان الاول ، شيطان قطع النسل ، قد قلب عقول رجالها ونسائها

فجعلهم يستأصلون انسابهم بأيديهم ... انه يعلمهم تدابير منع الحمل ويحشرون

على تحميد الاسقاط وبلقنهم فوائد عملية التحميم : (Sterzation)

التي يقضون بها على قوتهم التوليدية للأبد ، ويبحث فيهم من القسوة

والغلظة ما يجعلهم يقتلون اولادهم بأيديهم « فهذا هو الشيطان الذي

يدفعهم تدريجيا الى الانتحار ...

انظر كيف يفعل الالحاد بأهله ...

* * *

وأما الشيطان الثاني الذي هو القومية : فقد سلب اكابر ساستهم

وقادة حربهم قوة التفكير السليم والتدبير الصحيح ، فهو يبحث فيهم نزعات

الاثرة " المسابقة والتنافر والتعصب ، والحرص والطمع ، وبذلك يقسمهم ويفرقهم

شعبا متعادلة متحاربة ، ولينيق بعضهم شدة بعض ... وهذا ايضا من صور

النقمة الالهية ..

* أو بلبسكم شعبا وينيق بعضهم بأس بعض * (١)

انظر كيف يفعل الالحاد بأهله ...

الاستعدادات الحربية لتدمير العالم مرة ثالثة

ان شيطان التوسعة قد جمع ذخائر البارود في انحاء العالم ...

وأقام مراكز هنا وهناك ، انتظارا للحرب العالمية الثالثة ...

ان هذه الحرب التي يستعدون لها اذا حلت سيهون في جنبها هلاك

الأمم الماضية ..

وهذا الذي أقوله لا مبالغة فيه ، فان الاستعدادات للحربية التي

لا تزال تبشر الآن في أوروبا وأمريكا واليابان للحرب الآتية ترسل هزة

الدعر والخوف في نفوس أولى الابصار من تلك الأمم نفسها ، وقد

استطيرت ألبابهم روعا لما يتصورون من نتائج الحرب الآتية ..

فدونك تقريراً من المستر سر جل نيومان (Sergel Neuman)

الذي كان عضواً في الهيئة الجندية الأمريكية سابقاً قد كتب مقالاً عن

صورة الحرب الآتية يقول فيه :

" ان الحرب الآتية لن تقتصر على الجنود المتحاربين ، بل هي ستكون

افناء عاماً لا تنجو منه النسوة ولا الأولاد ، وذلك ان عقول العلماء

الكيميائيين (Scientists) قد نزعوا وظيفة الحرب

والقتال من الجنوب الانسانيين وفوضتها الى المركبات الكيميائية والالات الحرب

التي لا روح فيها ولا شعور والتي لا تميز بين محارب وغير

محارب (Non Combatant) (١)

فالان لا يتحارب الفريقان في الميادين أو في القلاع ، بل ستقع

حربها في المدن والقرى ، لأن قوة العدو الأصلية - حسب النظرية

الجديدة - لا تكون في جنودها بل في بلادها المعمورة وأسواقها

التجارية ومصانعها الصناعية .

" فالآن سترى كل هذه الاماكن بالقنابل من فوق ، وسستنفجر
عن المواد المحرقة والغازات السامة وجراثيم الأمراض التي تهلك الافا
مؤلفة من الجموع الانسانية ، ومن تلك القنابل قنبلة عظمية
تدعى (Lewiste Bomb) تكفي وحدها لتهدم اضم
عمارة من عمارات لندن . وهناك غاز سام يعرف باسم (Green,
Groses, Gas) خاصيته كسم الحبة . . وكل من استنشقه لقي من الاذى والحتف
ما يلقاه السلم . . (١)

" وهناك اثنا عشر نوعا آخر من مثل هذه الغازات كلها غير مرئى
فلا يحس المرء اثره بادىء ندى بدء - واذا أحسه فلا يكون هناك امكان لتدبر
المعالج . . .

" ومن تلك الغازات غاز اذا وصل الى علياء الجو امتلا وانتشر . .
فاذا اجتازت منطقتة طائرة على كل من فيها . . وقد قدروا أنه انهم
لو يطلق بعض الغازات السامة بمقدار رطل واحد على مدينة (باريس) لأفنى
كل ما فيها في ساعة واحدة . وهذه العملية لا تحتاج الا الى مائة من
الطائرات . . (٢)

١) وقد اخترعوا قنبلة مدفعية كهربائية محرقة ، لا يزيد وزنها
على كيلوجرام واحد ، ولكن هذه القنبلة الصغيرة تنطوى من القوة على
ما يدهش وذلك انها اذا اصطدمت بشىء تولدت منها حرارة بمقدار
٣٠٠٠٠ (فيرنهايت) فما يكون منه حريق لا يمكن أن يطفئه شىء حتى
الماء (٣) يفيد في اطفائه بل هو كالبترول يزيد تضرر ما ، ولم ينجح
علم الكيمياء بعد في ان يجد ما يطفى به هذا الحريق . . .

(١) المرجع السابق ص ٨٨

(٢) المرجع السابق ص ٢٩

وما بنوون أنهم سيقذفون هذه القنبلة على كبار شوارع المدن والعواصم ،
حتى يضطرم قسبها ذلك الحريق الهائل من جانب الى آخر .. فاذا فزع
الناس بهذا السحير وحاولوا الفرار منه القيت على رؤوسهم قنابل الغازات السامة
لكي يستكمل الردى والهلاك ..

ونظرا الى هذه المخترعات المكيهة قد حدث الماهرون انه تكفى
عدة طائرات لا أن تهدم بها اكبر وآمن عاصمة في الأرض في مدة ساعتين فقط
وأن يسم مئات الآلاف من النفوس الانسانية بحيث يرجعون الى فراشهم بالليل
سالمين ولا ينتبه منهم احد من نومه في الصباح ، وأن يهلك الماشية والسوائم
وتخرب الحقول والرياض .. فتسم ذخائر الماء كلها في قطر بأجمعه .. ولم
تكشف العلم التجريبية (Science) بعد وسيلة ناجحة لمدافعة
مثل هذه الحملات المردية الا ان لا يهجم كل من الفريقين المتحاربين على
الآخر ..

هذا بيان موجز لما يتخذون من الأهب للحرب المستقبلية ، ومن
شاء التوسع في الموضوع فليراجع كتاب " ما يكون من صفات الحرب الاتية "
الذي نشره الاتحاد البرلماني العالمي بجنيف بعد التحقيق التام ..
واذا نظرت فيه علمت كيف ان الحضارة الغربية قد هبت الأسباب لخرابها
وفنائها بأيديها ...

فحياتها الان مرتبنة بالساعة التي تعلق فيها الحرب ، فاذا ما شبت
الحرب بين دولتين كبيرتين من هذا العالم ، فاعلموا انه قد قضى الأمر بخراب
هذه الحضارة الغربية ، لأنه اذا نزلت الدولتان الكبيرتان ساحة الحرب
فلن يكون هناك ما يمنع الحرب ان تكون عالمية ، واذا كانت الحرب عالمية
فلا بد أن يكون البوار والدمار ايضا عالميا شاملا ..

(٢) - ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ليد يقيم بعض الذي علموا المليم يرجعون

(١) المراجع السابقة ص ٨٠

(٢) سورة الروم الاية ٤١/

الوراثة الأرضية من جديد

على كل حال قد اقترب الوقت ، لأن يدبر امر الوراثة الأرضية من جديد وان يسقط هؤلاء الملاحدة الظالمون المترفون عن مقام الخلافة الأرضية وتشرف بها أمة أخرى .. لعلها ان تكون من الأمم المستضعفة فلينظر الناظرون من يقع عليه الانتخاب الالهي في هذه المرة لانقاذ العالم من هذا الفساد المتراكم ...

اننا لانعلم الغيب لتحسين أمة بانها هي التي ستقام في الأرض بعد هؤلاء الملاحدة الذين عكروا جوار العالم بالحادهم .. ولكننا علمنا من كتاب ربنا انه اذا صرح الله أمة لأجل اعمالها السيئة . أقام مقامها أمة .. لا تكون آئمة متمردة كأختها المفضوب عليها ...

* وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم * (١)

ان كانت هذه الحضارة لا تلائمنا فما هي الشروط اللازمة للحضارة

حتى تكون حضارة مثالية تسعد في ظلها البشرية جمعاء ... ؟

ففي الصفحات الاتية محاولات للإجابة على هذا السؤال ..

المفصل الثامن

حضارة ثلاثم الانسان

لقد رأينا في الصفحات الماضية ان هذه الحضارة الالحادية لا تصلح ان تستمر على القيادة المالمية لانها لم تتوفر فيها شروط الخلافة .

ان الملاحدة يعتبرون هذا الكلام ضربا من الجنون لانهم يظنون ان حضارتهم هذه هي ارقى حضارة عرفت بها البشرية جميعا فقد نقلنا عن الملحد الماتى (جوليان هكسلى) قوله :

" تعتبر التطورات العلمية التي حدثت في القرن الماضى انفجارا معرفيا في وجهه الاساطير الانسانية عن الالهة والدين كما تفجرت الافكار القديمة عن المادة ونسفت بمجرد تفجير الذرة " .

وتعتبر الصفحات الاتية ردا على هذا التحدى الالحادى لترى مما :

المجتمع المتحضر الذى يلائم هذا الانسان من المجتمع المتخلف الذى لا يتناسب وكرامة الانسان .

وانما نريد فقط

لا نريد هنا من الملحد ان ياخذوا كلامنا دون تحكيم عقولهم

ان يبيدوا التعصب الالحادى المذموم . .

واذا وافقونا على ذلك ، فالبهم الصفات التي يجب ان تتوفر

في المجتمع المتحضر المثالى الذى يجب ان يكون على قيادة الشعوب والامم . .

(أولا) - ان المجتمع المتحضر هو الذى يتحرر فيه جميع افراد المجتمع من عبودية بشر على بشر .

(ثانيا) - ان يكون هذا التجمع على امر يتعلق بارادتهم المحضة . .

(ثالثا) - ان تكون انسانية الانسان هي محل الاحترام لا المادة . .

(رابعا) - ان يتحلى بالقيم والاخلاق

(خامسا) - ان تكون الاسرة قاعدة التجمع

اعتقد جازما انه لا يوجد عاقل يرفض هذه الشروط لانها كلها تؤكّد كرامة الانسان واحترامه - اذن لنضع المجتمع المادى الحاضر في الميزان . .

أولا - التحرر الكامل من عبودية انسان على انسان :

ان التحرر الكامل من عبودية انسان على انسان لا يتحقق ابدا الا اذا كانت الحاكمة العليا لله تعالى وحده .. ممثلة في سيادة الشريعة الالهية ... تكون هذه هي الصورة الوحيدة التي يتحرر فيها البشر تحررا كاملا وحقيقيا من العبودية للبشر .. وتكون هذه هي = الحضارة الانسانية = لان حضارة الانسان تقتضي قاعدة اساسية من التحرر الحقيقي للانسان .. ومن الكرامة المطلقة لكل فرد في المجتمع .. ولا حرية في الحقيقة ولا كرامة للانسان في مجتمع يحضه ارباب بشرعون ويحضه عبيد يطعمون ... ولا نغنى الشريعة هنا في الاحكام القانونية فحسب - كما هو المفهوم السائد اليوم - ولكن نغنى بالشريعة التصورات والمناهج والقيم والموازين والمبادئ والتقاليد .. كل ذلك تشريع يجب ان يخضع لافراد قديما وحديثا لضغطه .. اتوافق - ايها الملحد - ان يصنع الناس - بعضهم لبعض - هذه السلطات وهذه الضغوط ..

الجواب لا ! لا نكم تختفلون دائما لتحرككم من ضغوط الكنيسة .. ومن ثم نتفق معكم ان التحرر الكامل هو الذي لا يكون فيه ضغط احد على احد ولا يشرع احد لآخر .

اذا وجدنا الناس في المجتمع الرأسمالي الطاغى والمجتمع الاشتراكي المستغل يصنعون هذه الضغوط لشعبهم فيماذا نسي هذين المجتمعين ؟ حسب قاعدة التحرر ؟

فلا شك انهما مجتمعان متخلفان او مجتمعان جاهليان .. اذن ان المجتمع الاسلامي - وحده - هو المجتمع المتحضر ، لانه هو وحده يهيمن عليه اله واحد ، ويخرج الناس فيه من عبودية العباد الى عبودية الله وحده .. وبذلك يتحررون التحرر الحقيقي الكامل الذي يتركز اليه حضارة الانسان .

ثانياً - ان يكون التجمع على أمر يتعلق بارادتهم المحضة واختيارهم الذاتي :

حين يكون التجمع على أمر يتعلق بارادتهم المحضة واختيارهم الذاتي مثل العقيدة والتصور والفكرة ويكون كل ذلك صادراً عن الله واحد • تتمثل فيه السيادة العليا ببشر • وان كان صادراً من ارباب ارضية فلا بد ان تتمثل فيه عبودية البشر للبشر ••

ثم انه اذا كان التجمع على الجنس واللون والقوم والارض • فهو تجمع متخلف رجمي لأنه لا تمثل فيه الخصائص العليا للانسان •••
فالانسان يبقى انساناً بعد الجنس واللون والقوم والارض ولكنه لا يكون انساناً بعد ضياع الروح والعقيدة والفكرة •

اذا القينا نظرة غابرة على المجتمعات الحالية نجدها كلها قائمة على الجنس واللون والقوم والارض وليست قائمة على ارادتهم المحضة من عقيدة وفكرة وروح ••

فالمجتمع الذي يكون التجمع على الجنس واللون والقوم والارض فهو مجتمع متخلف وليس مجتمعاً متحضراً ••

واما المجتمع الذي يتجمع فيه الناس على أمر يتعلق بارادتهم الحرة واختيارهم الذي هو المجتمع المتحضر •••

فالمجتمع الاسلامي وحده هو المجتمع الذي تمثل فيه العقيدة رابطة التجمع الاساسية واقرب مثال لذلك هو المجتمع الاسلامي في المدينة المنورة ^{قال} حيث الرسول صلى الله عليه وسلم " سلمان منا آل البيت " (٢١)

هو المجتمع الذي اعتبرت فيه العقيدة هي الجنسية التي تجمع بين الأسود والابيض والاحمر والاصفر •• والمصري والرومي والفارسي والحبيشي وسائر اجناس الارض في امة واحدة •• ربها الله •• وعبوديتها له وحده والاكرم فيها الاتقى والكل فيها انداد يلتقون على أمر شرعه الله لهم ولم بشرعه أحد من المباد •••

ثالثا - ان تكون انسانية الانسان هي موضع الاحترام :

المجتمع المتحضر هو المجتمع الذى تكون انسانية الانسان هي موضع الاحترام . فاما حين تكون " المادة " - في اية صورة - هي القيمة العليا كما في نظرية التفسير المادى للتاريخ وفي صورة الانتاج المادى . في امريكا واوروبا وسائر المجتمعات التي تعتبر الانتاج المادى قيمة عليا تهبط في سبيلها القيم والخصائص الانسانية فان هذا المجتمع يكون - بلا شك - مجتمعا متخلفا .

ولسنا نريد في هذا التقرير ان نحقر المادة في صورة من صورها لأن الانتاج المادى من مقومات الخلافة في الأرض هـ عن الله . . . ولكننا لا نعتبرها هي القيمة العليا التي تسقط في سبيلها خصائص " الانسان ومقوماته " وتذهب معها حرية الفرد حيث يصبح مجرد آلة في المجتمع . .

وحين تكون القيم الانسانية والاخلاق الانسانية هي التي يقوم عليها المجتمع فهو المجتمع المتحضر . . . لأن القيم والاخلاق بهما يتفرد الانسان عن الحيوان وبهما ايضا فضلت أمة محمد على سائر الأمم السابقة فقال تعالى : * كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بتا المعروف وتنهون عن المنكر وتؤمن بالله * (١)

فأي مجتمع من المجتمعات اذا تخلص عن هذا المبدأ فهو مجتمع جاهلى متخلف بصرف النظر عن تقدمه المادى . وسواء ان هذه المجتمعات فقيرة او غنية فانها ترتقى صعدا بالاخلاق الفاضلة التي هي اخص خصائص الانسان فاذا ابتعدت عن هذه المبادئ مع حضارة المادة - فلن يكون ذلك حضارة انما هو " التخلف " او هو " الجاهلية " (٢) وذلك ان خلاصة رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي مكارم الاخلاق .

وقد ورد في الحديث ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : " بحثت لأتم مكارم الأخلاق " (٣)

(٢) راجع عرضا كتاب معالم في الطريق سيد قطب ص ١١٠

(١) سورة آل عمران ١١٠ /
(٣) الحديث ورد في الموطأ للإمام مالك رضي الله عنه (٨)

وخامساً

رابعاً - ان تكون الأسرة قاعدة التجمع :

فحينما تكون الأسرة هي قاعدة المجتمع • وثم هذه الأسرة
على أساس الزواج المشرع أولاً ثم تكون رعاية الأولاد هي أهم وظائف الأسرة
يكون هذا المجتمع متحضراً ..

لأن الأسرة بمثابة البيئة السليمة يخرج نباته بأذن ربها ..
ففيها ينشأ الأولاد تنشئة صحيحة وتنمى فيها القيم والأخلاق الإنسانية
الحقة •

وأما حين تكون علاقات الجنسين على أساس الهرموى والانفعال لا على
أساس الواجب والتخصص الوظيفي في الأسرة .. حين تصبح وظيفة المرأة
هي الزينة والنوايسة والفتنة ..

وحين تتخلي المرأة عن وظائفها الأساسية في رعاية الجيل الجديد ،
وتؤثر - أو يؤثر لها المجتمع ان تكون مضيعة في فندق أو سفينة أو طائرة
أو سكرتيرة مكتب ...

حين تنفق المرأة طاقتها في الانتاج المادى وصناعة الادوات ولا تنفقها
في صناعة الإنسانية - لماذا ؟ لان الانتاج المادى أعلى وأعز في النفوس من
الانتاج " عندئذ يكون هذا هو " التخلف الحضارى " أو الجاهلية
في المفهوم الاسلامي •

وقد رأينا فيما مضى ان العلاقات الجنسية البهيمية هي المحول الأول الذى
حطم الحضارات المادية قدما وكذباً ..

خامساً : لأن المجتمعات التي تسود فيها الاخلاق الحيوانية لا يمكن بحال من
الاحوال ان تكون مجتمعات متحضرة مهما تبالغ من التقدم الصناعى والاقتصادى
والعلمى ..

ان هذا المقياس لا يخطئ • في قياس مدى التقدم " الانسانى " (١)

(١) المرجع السابق مع تفسيرات طليقة ص ١١١

وأخيرا قد رأينا فيما سبق ان الحضارة المادية الملحدة الحاضرة ليست
مجتمعا متحضرا بالتحقيق .. لان الحضارة الحقيقية الراقية لا توجد الا بعد
ما يقوم " الانسان " بالخلافة عن الله تعالى في ارضه على وجهه
الصحيح : بأن يخلص عبوديته لله تعالى ، ويخلص من العبودية لغيره ..
وأن يحقق منهج الله وحده ويرفض الاعتراف بشرعية منهج غيره .. وان يحكم
شريعته وحدها في حياته كلها وبتكر تحكيم اى شريعة سواها ..
وان يتحلى بالقيم والاخلاق التي قررها الله له ويسقط القيم والاخلاق
المدعاة ثم بأن يتعرف بعد ذلك كله الى النواميس الكونية التي اودعها
الله هذا الكون المادى ويستخدمها في ترقية الحياة ... وعندما يفعل ذلك
فيؤمند يكون هذا الانسلان كامل الحضارة ... ويكون هذا المجتمع قد بلغ
قمة الحضارة ..

فأما الابداح المادى وحده فلا يسي - في الاسلام - حضارة بدليل
ان الابداح المادى قد يوجد وتوجد معه الجاهلية والتخلف وقد وصف القرآن
لبعض الجاهلين القدامى مجتمعاتهم انها قد قطعت شوطا كبيرا في
المجالات المادية ومع ذلك ما زالوا جاهليين .. يقول تعالى :

﴿ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء ، حتى اذا فرحوا
بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد
لله رب العالمين ﴾ (١)

وقال ايضا : ﴿ اتتركون فيما هنا آمنين في جنات وعبود وزروع ونخل
طامها خضيم .. وتنحتون من الحبال بيوتا فارحين ؟ فاتقوا الله واطيعوا
ولا تطيعوا امر المفسدين تالذين يفسدون في الارض ولا يصلحون ﴾ (٢)

وبهذه تلك نعلم ان هذمة الحضارة المادية لا تلائم الانسان ، لان
فيها قد لاقى الانسان كثيرا من الاضطرابات والهموم والمصائب والانحلال الخلقى

(١) الانعام / ٤٣-٤٥

(٢) الشعراء / ١٢٧-١٣٥

والتفكك الاسرى والدعارة والفجور... وقد حطت فيها كرامة الانسان وارتفعت
فيها قيمة الماء الصماء...

واذا لم يرض الملاحدة بهذا البحث العلمي الذي أقام عليهم الحجة
ينسقل معهم الى استماع شهادات من بعض مفكرى أوربا المنصفين :

أولا - شهادة الكسيس كاريل

يقول الكسيس كاريل (١) في كتابه القيم : الانسان ذلك المجهول وهو
عالم اتبحت له فرصة الاطلاع على نتائج البحوث الضخمة هو الذى تحدثنا عنه
سابقا ويبدأ شهادته بالكلام عن مخالفة البشر لما يسميه " القوانين الطبيعية "
ونسميه نحن " قوانين الفطرة " التي فطر الله الناس عليها " والعواقب التي لا بد
أن يلقاها من يخالف هذه القوانين الصلبة التي لا تلين ، ولا تترك مخالفيها
بلا عقوبة ثم يأخذ ما حل بالبشرية فعلا من هذه العقوبة :
" ان الحضارة المصرية تجد نفسها في موقف صعب ، لأنها لا
تلائمنا . لقد انشئت دون أية معرفة بطبيعتنا الحقيقية . اذ انها تولدت
من خيالات الاكتشافات العلمية وشهوات الناس . وأوهامهم ونظرياتهم ورغباتهم .
وعلى الرغم من انها انشئت بمجهوداتنا الا انها غير صالحة بالنسبة لحجمننا
وشكلنا " (٢)

(١) ولد الدكتور كاريل بالقرب من ليون في فرنسا وحصل على اجازة الطب بها ،
كما حصل على اجازة الملم من ديجون . وبعد ان مارس التدريس في جامعة
ليون عدة اعوام رحل الى الولايات المتحدة . واشتغل في معهد (روكفلر)
للابحاث العلمية بنيويورك . ومه قرابة ثلاثين عاما حتى اعتزل العمل بسنه
سنة ١٩٣٦ م ثم عيهدت اليه وزارة الصحة الفرنسية بمهمة خاصة تتصل بالحرب
وكانت هذه المهمة تكلمة لمهمة اضطلع بها ابان الحرب العالمية الاولى ، عندما
كان يعفل جراحا مع القوات الفرنسية والبريطانية والامريكية ... ومنع جائزة
نوبل عام ١٩١٢ م لأبحاثه الطبية الفذة . (راجع كتاب الاسلام ومشكلات الحضارة
سيد قطب ص ٧)

(٢) راجع كتاب : الانسان ذلك المجهول الكسيس كاريل ص ٣٨

" يجب ان يكون الانسان مقياسا لكل شئ " .. ولكن الواقع هو عكس ذلك .

فهو غريب في العالم الذى ابتدعه . انه لا يستطيع ان ينظم دنياه بنفسه لأنه لا يملك معرفة عملية بطبيعته .. ومن ثم فان التقدم الهائل الذى احرزته علوم الجماد على علوم الحياة هو احدى الكوارث التى عانت منها الانسانية .. فالبيئة التى ولدتها عقولنا واختراعاتنا غير صالحة لا بالنسبة لقوامنا ، ولا بالنسبة لمهيتتنا ..

" اننا قسوم تمساء لاننا ننحط اخلاقيا وعقليا .. " (١)

" ان الجماعات والامم التى بلغت فيها الحضارة الصناعية اعظم نمو

وتقدم ، هي على وجه الدقة الجماعات والامم الآخذة في الضعف والتي

ستكون عودتها الى البربرية واليهودية اسرع من عودة غيرها اليها ..

" ان الحضارة لم تفلح حتى الان في خلق بيئة مناسبة للنشاط

العقلي . وترجع القيمة العقلية والروحية المنخفضة لأغلب بني الانسان -

الى حد كبير - للنقائص الموجودة في جوهم السيكلوجى . اذ ان تفوق

المادة ومبادئ " دين الصناعة " حطمت الثقافة والجمال والاخلاق ..

هكذا يقول هذا العالم الكبير " الأوربي الاميركي الذى لا يجادل

العلماء ، علماء الحضارة الحديثة في مكانته " الملمية " ولا في " حداثة "

نظرياته - أودراساته بتعبير ادى - ولا في جدتها . هو يرى ان هذه الحضارة

القائمة على محاربة الاخلاق والمبادئ السامية ، لا تلائم هذا الكائن الانساني

الذى صار غريبا بين مكتشفاته ومخترعاته انه عقوبة الفطرة وبتمبير آخر انه

السنة الربانية التى لا تتخلف .

ثانيا - شهادة (ول ديورانت)

ولنأخذ شهادة (ول ديورانت) الكاتب الاميركي المتفلسف . . وهو رجل لا يمكن ان يقال انه من اعداء هذه الحضارة . فهو شديد الاعجاب بالتقدم الذي تمثله هذه الحضارة في مجموعها .

وهو يبذو معارضا للدين في جملته ، كما انه ظاهر العداء للاسلام بصفة خاصة . . وقد نشرت له مؤسسة فرنكلين ترجمة جزء من كتابه مناهج الفلسفة ونشرت له جامعة الدول العربية ترجمة اجزاء من كتابه قصة الحضارة . ويستطيع قارئ اللغة العربية ان يلاحظ موقفه هذا من الاعجاب بهذه الحضارة في جملتها ، كما يلاحظ موقفه من الدين جملة وعداء الظاهر للاسلام خاصة . ومع هذا كله فهو يؤدى هذه الشهادة عن هذه الحضارة في كتابه " مناهج الفلسفة " (٢)

يقول هذا الكاتب الاميركي :

" وثقافتنا اليوم سطحية ومعرفتنا خطيرة . لاننا أغنياء في الآلات فقراء في الأغراض . وقد ذهب اتزان العقل الذي نشأ ذات يوم من حرارة الايمان الديني ، وانتزع العلم منا الأسس المتعالية لأخلاقنا ، وببذو العالم كله مستخرقا في فردية مضطربة تعكس تجزؤ خلقنا المضطرب " *

* يلاحظ ان الكاتب - مع اقراره بأن حرارة الايمان الديني قد انشأت ذات يوم اتزاناً في العقل لا يدعو ولا يعمل لاستعادة حرارة الايمان الديني . انما هو يلجأ الى الفلسفة لتعيد اتزان العقل المفقود ! والفلسفة في تاريخها الطويل كانت حصيلة ذهنية باردة ، لم تؤثر قط في حياة البشرية . فالحياة البشرية لا تؤثر فيها الا العقيدة الدافعة . ولكن الكاتب الغربي - الاميركي - لا يملك الا هذا الحل الهزيل . . لأنه هارب من الكنيسة !

(١) المرجع السابق ص ١٨٤

(٢) راجع كتاب الاسلام ومشكلات الحضارة ، سيد قطب ص ١٣٣ مع تفسيرات طفيفة .

اننا نواجه مرة اخرى تلك المشكلة التي اقلقت بال سقراط ، نعنى
كيف نهتدى الى اتخلاق طبيعية تحل محل الزواجر العلوية التي بطل أثرها
في سلوك الناس ؟ .. (١)

" وعندنا مئة الف سياسى وليس عندنا " رجل حكيم " واحد . اننا
ندلوف حول الاُرض بسرعة لم يسبق لها مثيل . ولكننا لا نعرف الى اين
نذهب ، ولم نفكر في ذلك . اوهل نجد هناك السعادة الشافية لانفسنا
المضطربة .

اننا نهلك انفسنا بمعرفتنا التي اسكرتنا بخمر القوة . ولن ننجس
منها بغير الحكمة " (٢)

" واخترع موانع الحمل وذيوها هو السبب المباشر في تخير اخلاقنا
فقد كان القانون الاخلاقي قديما يقيد الصلة الجنسية بالزواج ، لان الفكاح
كان يؤدى الى الابوة بحيث لا يمكن الفصل بينهما ولم يكن الوالد مسئولا عن
ولده الا بطريق الزواج ، أما اليوم فقد انحلت الرابطة بين الصلة الجنسية
وبين التناسب وخلقت موقفا لم يكن آباءنا يتوقعونه ، لان جميع العلاقات
بين الرجال والنساء آخذة في التغير نتيجة هذا العامل . ويجب على القانون
الاخلاقي في المستقبل أن يدخل في حسابه التسهيلات الجديدة التي جاءت
بها الاختراعات لتحقيق الرغبات المتأصلة " (٣)

هذه هي شهادة هذا العالم الاميركي ، اداها لا لكونه بحسب
التدين ولكن الامر الواقع فرض نفسه عليه .

(١) راجع مناهج الفلسفة " ول ديورانت " ج ١ ص ٦ - ٧

(٢) المرجع السابق ص ٦ - ٧ ج ١

(٣) المرجع السابق ج ١ ص ١٢٥

ثالثا - شهادة الأستاذ أبي الأعلى المودودي

والآن نسمع شهادة الأستاذ أبي الأعلى المودودي في بعض جوانب هذه الحضارة وما أنشأت من آثار تنطوي على تهديد مدمر للحياة الانسانية ذاتها فضلا على الخصائص الانسانية .

من كتاب " الحجاب " :

" ولما كثر بذلك اختلاط الصنفين ، واحتكاك الذكور بالاناث ، وأخذت تظهر عواقبه الطبيعية في المجتمع ، تقدم هذا التصور للحرية الشخصية . وهذه الفلسفة الجديدة للأخلاق ، فهدأ من قلق الآباء والبنات ، والأخوة والأخوات والبعولة والزوجات ، وجملا نفوسهم المضطربة تطمئن الى ان الذي هو واقع امام أعينهم ، لا بأس به . فلا يوحسوا منه خيفة . ان ليس هبوطا وترديا . بل هو نهضة وارتقاء (Emancipation) وليس فسادا خلقيا بل هو عين اللذة والمتعة التي يجب ان يتقنها المرء في حياته وان هذه البهاوية التي يدفع بهم اليها الرأسمالي ، ليست ببهاوية النار ، بل هي جننة تجري من تحتها الأنهار .

" ولا يزال هذا الداء الوبيل - من غلبة الشهوات البهيمية - ينخر في كيان الأمم الغربية و ينتقص من قوة حياتها بسرعة هائلة . والتاريخ يشهد أنه ما سرى هذا الداء في مفاصل أمة ، الا اوردها موارد التلف والفناء . ذلك بأنه يقتل في الانسان كل ما آتاه الله من القوى العقلية والجسدية لبقائه وتقدمه في هذه الحياة .

" وأنى للناس - لعمر الله - ذلك الهدوء وتلك الدعسة والسكينة التي لا بد لهم منها لمعالجة أعمال الانشاء والتعمير ما دامت تحيط بهم محركات شهوانية من كل جانب ، وتكون عواطفهم عرضة ابدًا لكل فن جديد من الاغراء والتبجح ، ويحيق بهم وسط شديد الاستثارة قوى التخريض ، ويكون

الدم في عروقهم في غلبان مستمر بتأثير ما حولهم من الأُنب الخليج والصور
 الحارية ، والاغني الماجنة ، والافلام الغرامية ، والرقص المثير ، والمناظر
 الجذابة من الجمال الانثوى الحريان ، وفرض الاختلاط بالصنف المخالف
 استغفر الله ... "

ويعد هذه المأساة التي اصابنا الانسانية فما هي كيفية الخلاص
 منها وما هو طريق الخلاص أيضا ...
 في الصفحات الآتية نحاول - بكل اختصار - أن نجيب عن
 هذا السؤال ان شاء الله تعالى .

الخاتمة

كيف الخلاص من الالحاد

ان نصوص القرآن كلها تشير الى ان طريق الخلاص من الالحاد هو الايمان بوجود الله ... يقول تعالى * ومن يؤمن بالله * ومن يؤمن بالله * الاية ولكن ما الايمان الذي نعلمه في هذه الدراسة ؟

نقول في الاجابة عن هذا السؤال ، ان الايمان الذي نعلمه هنا ليس مجرد اعلان المرء بلسانه أنه مؤمن . فما اكثر المنافقين الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم :

* ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون الا انفسهم وما يشعرون *

وليس مجرد قيام الانسان باعمال وشعائر اعتيد ان يقوم بها المؤمن ، فما اكثر الدجالين الذين يتظاهرون بالصالحات واعمال الخير ، وشعائر التعبد ... وقلوبهم خراب من الخير والصالح والاخلاص لله :

* ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم . واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى ، يراءون الناس ، ولا يذكرون الله الا قليلا *

وليس هو مجرد معرفة ذهنية بحقائق الايمان ، فكم من قوم عرفوا حقائق الايمان ولم يؤمنوا * وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا ... *

وحال الكبر والحسد اوحب الدنيا بينهم وبين الايمان بما علموه من بعد ما تبين لهم الحق * وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون *

ولا يدخل في الايمان الذي نعلمه هنا الايمان (بالشيوعية) والايمان (بالوجودية) والايمان (بالقومية) والايمان (بالوطن) والايمان (بالثورة) والايمان بخير ذلك مما ابتدع البشر لانفسهم مما لم يأذن به الله ...

وليقبل الناس ما شاءوا ...

ان الايمان الذي نعنيه .. الذي يخلص من الالحاد هو الايمان الذي

حدده سيد قطب في ظلال القرآن فلنقرأ هذه الكلمات :

" فالأيمان تصديق القلب بالله ورسوله .. التصديق الذي لا يرد

عليه شك ولا ارتياب .. التصديق المماثل الثابت المستيقن الذي لا يتزعزع

ولا يضطرب .. ولا تهيج فيه هواجس ولا يتلجلج فيه القلب والشعور ..

والذي ينبثق منه الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله ، فالقلب متى تذوق حلاوة

هذا الايمان واطمان اليه وثبت عليه .. لا بد من محاولة لتحقيق حقيقته

في خارج القلب في واقع الحياة في دنيا الناس .. يريد ان يوحد بين

ما يستشعره في باطنه من حقيقة الايمان .. وما يحيط به في ظاهره من مجريات

الأُمور وواقع الحياة ، ولا يطبق الصبر على المفارقة وبين الصورة الايمانية

التي في حسه .. والصورة الواقعية من حوله .. لأن هذه المفارقة

تؤذي به وتصدمه في كل لحظة ومن هنا هذا الانطلاق الى الجهاد

في سبيل الله بالمال والنفس فهو انطلاق ذاتي من نفس المؤمن .. يريد

به ان يحقق الصورة الوضيئة التي في قلبه ، ليراهم محتلة في واقع الحياة

والناس " (١)

" والخصومة بين المؤمن وبين الحياة الجاهلة من حوله خصومة ذاتية

ناشئة من عدم ابتداعه كذلك التنازل عن تصور الايماني الكامل الجميل

المستقيم في سبيل واقعه الحملي الناقص الشائن المنحرف ..

فلا بد من حرب بينه وبين الجاهلية من حوله ، حتى تنتهي هذه الجاهلية

الى التصور الايماني والحياة الايمانية "

هذه العناصر والمقومات هي التي تكون " الايمان الحق " وان شئت

قلت " العقيدة الحققة " واذا فقد بعض هذه العناصر فان ما بقي منها لا يستحق

ان يسمى (ايمانا) أو (عقيدة) ..

يمكن ان تسمى (فكرة) أو (نظرية) أو (رأيا) أو أى عنوان من هذه المناوين . . . أما الايمان الحق فهو الذى تشرق شمسهُ على جوانب النفس كلها فتستفيد اليها اشعتها حاملة الضوء والحرارة والحياة . . .
وبعجبني ما كتبه في هذا المقام الأستاذ احمد امين رحمه الله مفرقا بين الرأى والمقيدة قال :

" فرق كبير بين ان ترى الرأى وأن تعتقده . . . اذا رأيت الرأى فقد ادخلته في معلوماتك . . .

واذا اعتقدته جرى في دمك وسرى في مخ عظامك وتغلغل في اعماق قلبك " (١)

حقا . . . ذو الرأى فيلسوف يرى رأيا صوابا قد يكون في الواقع باطلا أما ذو المقيدة فجازم بات ذلك الاقتناع والتصديق .
الرأى جنة هامة . . . لا حياة لها ما لم تنفع فيها المقيدة من روحها . . .

ذو الرأى سهل ان يتحول ويتحور ، هو عند الدليل أو عند المصلحة تظهر في شكل دليل . . .

أما ذو المقيدة مخير مظهر له ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في شمالي ، على أن ادع الذى جئت به ما تركت . . . "

مثل هذا الايمان هو الذى نمنحه ، وهو طريق الخلاص من الالحاد . . .

وبعدا هذا التقرير الحاسم نود ان نشير الى شيئين هاميين :

أولهما : ما هو الاله الذى نؤمن به ؟

ثانيهما : كيف يوصف الله ؟

في الصفحات الاتية محاولات للاجابة عن ذلك .

(١) كتاب فيض الخاطر . احمد امين ج ١ -
نقلا عن كتاب الايمان والحياة د . يوسف القرضاوى ص ٢٢

الله الذي نؤمن به

لقد قامت الأدلة على أن وراء هذا الكون قوة عليا تحكمه وتدبره وتشرف عليه . سماها أحدهم العلة الأولى ، وسماها غيره العقل الأول وسماها -
غيرهم المحرك الأول ، وسماها غيرهم (يهوه) وسماها أيضا غيرهم (بالأب والابن وروح القدس) وسماها القرآن العظيم المبين ، وكتب السماء التي لم تحرف ، بهذا الاسم الجامع لصفات الجمال * الله * ..
أن هذه القوة العليا - وبعبارة أخرى .. هذا الإله العظيم ليس في استطاعة العقل البشري إدراك كنهه - ولا معرفة حقيقته ... كيف وقد ثبت عجز الإنسان عن معرفة كنهه ذاته وعن كنهه النفس وعن حقيقة الحياة وعن حقيقة المادة وكثير من حقائق الكون المادية من كهربية ومغناطيسية كل ذلك ما عرف إلا بأثارها .. فكيف بطمع الملحد في معرفة ذات الله الحلي الكبير ..

* ذلکم الله ربکم لا اله الا هو خالق کل شیء فاعبدوه وهو على کل شیء وکیل لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير * (١)
وكيف يستطيع العقل البشري أن يتصور اليها تكون الأرض وما فيها من جبال وانهار وأبحر ورمال وصخور وكل شيء من يابس ورطب قبضته يوم القيامة .. !

فأي خيال يستطيع أن يتصور هذه العظمة ؟
فلذا أرشد النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى أقرب طريق وأنفعها في هذا الباب فقال :

" تفكروا في آيات الله ولا تفكروا في ذات الله فانكم لن تقدروه قدره " ..

يقول تعالى * وما قد روا الله حق قدره .. والأرض جميعا قبضته يوم
القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ■
نعم ان الملحدين ما قدروا الله حق قدره فلذا بدأوا يسبحون عنه
من ذرات المادة الصماء .. وهم لا يدركون وحدانيته وعظمته وهم لا يستشعرون
جلاله وقوته ..

ولما علم الله أن الانسان عاجز كل العجز أن يتصور مقدار عظمة
الله عز وجل خالق كل شيء . كشف برحمته الواسعة — لهذا الانسان المسكين
الضئيل عن جانب من عظمته وقوته .

ان هذا الجانب يقرب للبشر الحقائق الكلية يتصورها ادراكهم المحدود .
فقال * والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه *
هنا منقطع الخيال ويرجع الملحد الى حجمه الطبيعي . لأنه أدرك ان هذا
الاله لا يمكن ان يتصوره العقل البشرى الضعيف كيف يتصوره والأرض جميعا
قبضته يوم القيامة . فأى عقل يستطيع ان يعرف مدى هذه العظمة
وهذه القوة ؟ .. فما على الانسان الذى من الله تعالى عليه ووصل الى
هذا الفهم العميق الا أن يقول :

* سبحانه وتعالى عما يشركون *

كيف يوصف الله عز وجل

لقد رأينا في السطور السابقة أن طار بقى الخلاص من الألحاد هو الايمان
بالله على نحو ما حدده سيد قطب رحمه الله وهنا نود ان نشير الى نقطة هامة
وهي : اقرار صفات الله كما جاء بها القرآن هو العصمة الوحيدة من الألحاد
هذا ما قرره الشيخ الامام ابن تيمية فلنستمع اليه :

يقول : " فأما الأول وهو (التوحيد في الصفات) فالأصل في هذا
الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله . نفيا وإثباتا فثبت لله
ما أثبتته لنفسه ، وينفى عنه ما نفاه عن نفسه " .

وقال ايضا " قد علم ان طريقة سلف الامة وأثبتها اثبات ما اثبته من الصفات من غير تكيف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل وكذلك يلقون عنه ما نفاه عن نفسه مع اثبات ما اثبته من الصفات من غير الحاد : لا في أسمائه ولا في آياته . فان الله تعالى ذم الذين يلحدون في أسمائه وآياته ، كما قال تعالى : * ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون *

وقال تعالى * ان الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خيرا أم من أتى يوم القيامة ^{أما} اعطوا ما شئتم * الآية (١) اذن نصل الى النتائج التالية :

١ - من زاغ وحاد عن طريقة القرآن في اثبات صفات الباري من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تحريف ولا تأويل ، لا يسلم من الالحاد ولوائت وجوده بدليل هذه التهديدات المذكورة في الآيتين . .
هذا ما أكدته شيخ الاسلام ابن تيمية بقوله :

" وأما من زاغ وحاد عن سبيلهم (الأنبياء) من الكفار والمشركون والذين أوتوا الكتاب . ومن دخل في هؤلاء من الصائبة والمتفلسفة والجهمية والقرامطة والباطنية ونحوهم . . فانهم على ضد ذلك يصفونه بالصفات السلبية على وجه التفصيل ، ولا يثبتون الا وجودا مطلقا لا حقيقة له عند التحصيل ، وانما يرجع الى وجود في الأذهان ، ينتج تحققه في الأعيان " . ثم زاد قائلا :
" فقولهم يستلزم غاية التعديل (الالحاد) وغاية التمثيل ، فانهم يمثلونه بالمتنوعات والمعدومات ، والجمادات ، ويعدلون الأسماء والصفات ، وتعديلا يستلزم نفي الذات " .

بهذا التقرير نفهم أن نفي صفات الله يؤدي ذلك الى نفي الذات وهو الالحاد الصرف . (٢)

(١) الرسالة التدمرية ، شيخ الاسلام ابن تيمية ص ٧ تحقيق الاستاذ زهير الشاويش ، المكتب الاسلامي .
(٢) المصدر السابق ص ١١

٢ - توافق بعض أسماء الله مع بعض أسماء المخلوق لا يؤدي إلى التشبيه :

وبيان ذلك : قد تقرر معنا أنه يجب إثبات الصفات بلا تشبيه . ولكننا تجد
بعض أسماء الله ذكرت في القرآن توافق أسماء بعض المخلوقين فما المخرج من
ذلك ؟

وللإجابة عن هذا السؤال نقول :

ان اتفاق الاسمين (اسم الله واسم المخلوق) لا يؤدي - بحال من
الأحوال - إلى تشبيه المخلوق بالخالق . .
فلا بد من ضرب أمثلة على ذلك :

قد سمي الله نفسه (حيا) فقال : * الله لا اله الا هو الحي القيوم *
وسمى بعض عباده (حيا) فقال : * يخرج الحي من الميت ويخرج الميت
من الحي *

هل الحياة كالحياة ؟ الجواب لا !

وما قبل في صفة الحياة ، يقال ايضا في جميع الصفات . . مثل السمع والبصر
والعلم والرضا والغضب والعمل والنداء والتكليم والاستواء . .

* * *

ولست أدري لماذا أول الناس الصفات أنفوها خوفا من التشبيه ؟ ان
الاشتراك اللفظي لا يؤدي إلى التشبيه . فالأمر بحسب المضاف إليه وذلك ان الله
تعالى وصف نفسه بأنه استوى على عرشه فذكر ذلك في سبع مواضع من كتابه ، انه
استوى على العرش ووصف بعض خلقه بالاستواء على غيره في مثل قوله * لتستوا على
ظهوره * وقوله * فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك * وقوله * واستوت على
الجودي *

هل يعقل في الذهن أن استواء الله مثل استواء هذه المخلوقات ؟ لا !

ليس الاستواء كالأستواء . .

فالأمر - كما قلنا - بحسب المضاف إليه فاستواء الله على عرشه خاص به واستواء

المخلوق خاص به لا يشاركه فيه الخالق . .

ولعل وهمهم جاء من فهمهم للآية * هل تعلمون له سميا * يقول اهل اللغة : هل تعلم له سميا أى نظيرا يستحق مثل اسمه وهذا معنى ما يروى عن ابن عباس * هل تعلم له سميا * مثيلا أو شبيها .. فلا اشكال في ذلك أبدا .. هناك آية أخرى تعتبر الفصل في هذا الباب وهي قوله تعالى :

* ليس كمثله شئ * وهو السميع البصير * (١)

نفى قوله * ليس كمثله شئ * رد للتشبيه والتمثيل .. وقوله * وهو السميع البصير * رد للاحاد والتعطيل ..

تطبيقا لهذه القاعدة المقررة نقول ان الله تعالى وصف نفسه ببسط اليدين فقال : * وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل بداه مبسوطان ينفق كيف يشاء *

ووصف بعض خلقه ببسط اليد في قوله : * ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط * فيجب اذن — أن نثبت لله بسط اليدين وان لم نثبتة نكن من الملحدين المعطلين .. ثم ننفي المماثلة والتشبيه والا نكن من المشبهين .. هل يد الله كيد الانسان ؟ الله تعالى أخبر ان هذه الأرض كلها قبضته يوم القيامة فأين التشبيه — اذن — بين تلك وهذه اليد ؟ وبين ذلك البسط وهذا البسط ؟ ..

وكما لا يجوز ان ننفي عن الله صفة العلم والقوة والرحمة والوجود والحياة والكلام — رغم اتصاف المخلوق بكل ذلك — لا يجوز لنا اذن أن ننفي أو نوول صفة اليد والاستواء عن الله خوفا من التشبيه .. اذا فعلنا ذلك كأننا لم نفهم مراد الله من الآية * ليس كمثله شئ وهو السميع البصير * فصدر الآية نفى التشبيه وفي آخرها اثبات للصفات .

(١) شرح العقيدة الطحاوية اخرج ناصر الدين الاباني محمد : ص ٩٩ سنة ١٣٩١ هـ

النتيجة :

قد يقول قائل : ان الخوض في مسألة الصفات قد فات زمانه .. والان نحن في معركة شرسة مع الملحدين المنكرين لوجود الله تعالى .. فلنا في حاجة الى معركة قد خاضها ابن تيمية والشيخ محمد عبد الوهاب رحمهما الله تعالى .

نقول لهذا القائل قد عرفت شيئا وفاتتك أشياء .. ان ما فاتك ان نفى الصفات أو تأويله يجعل في الانسان نوعا من قابلية الالحاد .

وبيان ذلك : ان الملحدين الكافر عليه — لعائن الله — يؤء من بقوة مطلقة سماها (الطبيعة) . وهذا المؤء من النافي للصفات يؤء من بالله ثم ينفي عنه جميع الصفات مخافة تشبيهه بالمخلوق .. فوصف الله بالسلوب وجعله هو الوجود المطلق بشرط الاطلاق .. (١) فما الفرق اذن بين هذا "المؤء من" وهذا الملحدين؟

ان الفرق بينهما في التسمية فقط : والا كلاهما يؤء من بقوة لا وجود لها في الخارج .. الملحدين آمن بقوة مطلقة ليس لها صفة ..

وهذا المؤء من آمن بقوة (اله) لا تتصف بصفة .. وجميع من يحترم عقله يعلم ان هذه الصورة لا وجود لها في الخارج ابدا .. انما توجد في الذهن فقط !

انذاروا الى نتيجة نفى الصفات أو تأويلها ، فانها تؤدي — بقصد أو بغير قصد — الى انكار وجود الله .

وبعد هذا كيف نقول ان قضية نفى الصفات لا وجود لها في الواقع المصاصر .

والمتفق عليه عند العلماء السلفيين ان من قال : ليس لله علم ولا قوة ولا رحمة ولا كلام ولا يحب ولا يرضى ولا نادى ولا ناجى ، فقد ألحد لأنه مثل ربه بالمحددات والجمادات .. وكذلك من قال ان الله ما استوى وليس له بدان حقيقة

(١) الرسالة التدمرية ■ ابن تيمية ص ١١

فقد الحد ايضا لأنه نفى ما وصف به نفسه .. هو الذي يعلم نفسه ويعلم ما يلبق به من الصفات الكمالية . (١)

وكذلك الحال في الطرف الثاني .. فمن قال لله علم كعلمي أوقوة كقوتي أوجب كحبي أورضا كرضائي أوبدان كبدائي أواستواء كاستوائي فلا شك انه من المشبهين المثلين لله بالحيوانات . (٢)

فالخلاص من الالحاد اذن يتمثل في شيئين :

١ — الايمان بذات الله سبحانه بلا تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل .

٢ — الايمان بالصفات بلا تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل .

هذا ما تحدث عنه الشيخ ابن تيمية وهو يرد على الذين ينفون الصفات

فقال :

" وهوؤلاء جميعا يفرون من شيء فيقصرون في نظيره وفي شرمه . مع ما يلزمهم من التحريف والتعطيل . ولو امتنعوا النظر لسوا بين المتماثلات وفرقوا بين المختلفات ، كما تقتضيه العقول : ولكانوا من الذين أوتوا العلم الذين يرون انما انزل الى الرسول هو الحق من ربه . ويهتدي الى صراط العزيز الحميد . (٣)

اطمئنان وتبسه

ان المؤمن من الذي يؤمن في أعماق قلبه أن ربه له ذات ليست كسائر الذوات .. وله صفات ليست كصفات أخلق بالأمم من لا يعرف شيئاً عن ربه الا انه قوة مطلقة في الذهن ؟ فيقول انه : لا موجود ولا معدوم ؟ ولا حسي ولا ميت ، ولا عالم ولا جاهل ، وليس متصلاً ولا منفصلاً ، وليس في داخل الكون ولا في خارجه ولا يتكلم ولا يرحم انما رحمة ارادة الرحمة وغضبه

ارادة الغضب وليس له جبهة العلو ولا يستوى على عرشه وليس له يد ولا البسط ولا البطش .

لا يستويان ابدا فالمثبت يعيش في أمن وطمأنينة واما النافي يعيش في خيال وتبه ولا يجد في قلبه حلاوة الايمان .^(١)
هذا ما أقره صاحب نهاية الابدان وهو من سلاطين أئمة المعارف العقلية يقول : لقد طفت في تلك المعاهد كلها . . وسيرت طرفي بين تلك المعاهد فلم أر الا واضعا كف حائر . . على ذقن أوقارعا سنّ نادم .

■ ■ ■

وكيف لا يعيش المثبت في طمأنينة نفسه اذا علم أنه ربه في السماء * أم آمنتم من في السماء *

وأنه فوق عرشه بكيفية تليق به . . وأنه يتكلم * وكلم الله موسى تكليما *
وأنه يرحم * ان الله بالناس لرؤوف رحيم *
وأنه سميع بصير * ان الله كان سميعا بصيرا *
وأنه حي * الله لا اله الا هو الحي القيوم *
وأنه يحب * فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه *
وأنه يمقت * ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون *

وأنه وصف نفسه بالمكر والكيد * ويمكرون ويمكر الله *
* انهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا *
وأنه وصف نفسه بالعمل : * أولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت أيدينا
انعاما فيهم لها مالكون *

وأنه ينادى ويناجي * ونادينا من جانب الطور الايمن وقرنا
نجيا *

(١) ايثار الحق على الخالق ابو عبد الله محمد بن المرتضى البهائي ص ٨

وأنه وصف نفسه بالتعليم * الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيلن *

وأنه يغضب ويلمح * وغضب الله عليهم ولعنهم *

ونظائر هذا كثير جدا . فلا شك ان الذى يحمل في رأسه هذه المعاني

كحقيقة ويحبش عليها ، انه يكون في مأمن عن وساوس الشيطان ومن لوثة

الاحاد وفوق كل ذلك انه في مرضاة الله لأنه عرف ربه على حقيقته ، عرفه

كما اخبره في كتابه . . وكما اخبر بذلك رسوله صلى الله عليه وسلم . .

وأما الذى ينحت في رأسه صنما ذهنيا فيجعله ربا ثم يقول للناس هذا

هو الله الذى لا اله الا هو فلا شك / لا يكون في محل بر الله واحسانه لأنه كره

الصفات المنزلة في القرآن . . وانه استبدلها بصفات مصطنعة فلا بد أن يسخط

الله عليه سبحانه . . بقول تعالى :

* ذلك بأنهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم *

نعلم - اذن - أن مسألة اثبات صفات الله ليست مسألة اجتماعية

حتى تتعلق ببيئة أو بطور اجتماعى أو سياسى وانما هي حقيقة . . يأخذها

المجتمع كما هي فيكون ايمانه كاملا . . او يرفضها فيكون ايمانه غير كاملا

* سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب

العالمين *

فسبح نفسه عما يصفه المفترون المشركون . . وسلم على المرسلين لسلامة

ما قالوه من الانك والشرك ، وحمد نفسه ، اذ هو سبحانه المستحق للحمد

بما له من الاسماء والصفات ، وبدبح المخلوقات .

حواشي الباب الثاني

(١) الذرة : في الفيزيكا والكيميا .. اصغر جزء من المادة اعتبرها جون دالتون الوحدة التي تنقسم اليها المادة .. وثبت غير هذا الان .. فالذرة تتكون من نواة بها جسيمات تحمل شحنات كهربية موجبة تسمى (البروتونات) وجسيمات لا تحمل شحنات كهربية وتساويها في الوزن تقريبا تسمى (نيوترونات) .

ويحيط بالنواة جسيمات اصغر من البروتونات تسمى (الالكترونات) تحمل شحنات كهربية سالبة .. وعددها يساوي عدد البروتونات لتعادل الذرة كهريا ..

و تختلف ذرات العناصر المختلفة في الوزن .. فمثلا ذرة الايدروجين تتكون نواتها من بروتون يدور حولها الكترون .

وذرة الاكسجين بنواتها (٨) بروتونات يدور حولها (٨) الكترونات ولم يزل العلماء يقدمون الذرات حتى انتهت بحوث الذرة في امريكا بالقبلة الذرية والخدمات السلمية للطاقة الذرية . الموسوعة ص ٨٤٤ - ٨٤٥

(٢) المجرة ، المجموعة الكبرى للنجوم والسدم بين الارض والمجرات الخارجية تحتوى على ثلاثين الف مليون نجم ، فضلا عن المجموعة الشمسية ... وتقع المجموعة الشمسية على بعد ... ٣٠ سنة ضوئية من مركز المجرة التي تشبه القرص او العدسة ..

والمجرة تدور حول محور عمودي على مستوى الطريق اللبني (وهو طريق أبيض في السماء) في مائتي مليون سنة ضوئية .. الموسوعة ص ١٦٤٨ .

(٣) بوفون ، جورج لوى لكرك ، الكونت دى : ١٧٠٧ - ١٧٨٨ عالم طبيعى ومؤلف فرنسى ، كان أميناً لحديقة الملك (حديقة النباتات الان) بباريس .. من ١٧٣٩ الى آخر ايامه ، كرس حياته لكتابة موسوعته الضخمة : " التاريخ الطبيعى " ٤٤ جزءا .

(٤) جورج جاموف ١٩١٤ - فيزيكى ورياضى امريكى من اصل روسى أجرى بحوثه الأولى عن الطبيفة النووية بجامعة ليننجراد وكوبنهاجن عين استاذاً بجامعة ليننجراد ١٩٣١ ثم ذهب للولايات المتحدة فعمل ١٩٣٤م بجامعة جورج واشنطن .. له كتاب (ميلاد الشمس وموتها) ١٩٤٠م و (تاريخ حياة الارض) ١٩٤١م و (واحد ، اثنان ، ثلاثة ، لا نهاية) ١٩٤٧م (ونشوء الكون) والاخيران مترجمان الى العربية .. الموسوعة ص ٦٠٧

(٥) الاثير فى الكيمياء : مصطلح يطلق على اثير الايثيل ، وهو مركب من الاصل " ايثيل " (واكسجين . مائع لا لون له طيار قابل للاشتعال . يستخدم مذيباً عضوياً . ومخدراً .

اما فى الفيزيكا وعلم الفلك ، فالاثير وسط فرضى ينقل الضوء والحرارة ويملاء جميع الفراغات . غفى ، عديم الرائحة لا يتدخل فى حركة الاجسام خلال الفضاء وينكر الكثيرون وجوده الطادى : يسمى ايضا فى الفرنسية (Ether) . راجع الموسوعة ٥٢

(٦) دوركايم إميل ١٨٥٨ - ١٩١٧م رائد علماء الاجتماع الفرنسيين بعد (كونت) كان استاذاً بالسوربون ، تأثر اتجاهه فى علم الاجتماع بفلسفة كونت الوضعية ، وكان له تابعا ناقدا . عزا الى العقل المشترك للمجتمع اصل الدين والاخلاق .. الموسوعة ص ٨١٦

(٧) الطوطم : حيوان يرتبط باسم العشيرة عند الشعوب البدائية وبخاصة
اهالى استراليا الاصليين . ويعتبر لحمه محرما على افرادها الذين يعتقدون
انهم انحدروا منه .. ويحملون لذلك اسمه (مثل عشيرة القنفر) و(عشيرة
بامبا) في افريقيا الغربية وغير ذلك ..
ثم قال : ولا توجد نظرية واحدة مقبولة تماما عن اصل ذلك النظام .
الموسوعة ص ١١٦٦ م

(٨) كوبرنيكوس (Copernic) ١٤٧٣-١٥٤٣ فلكى بولونى ..
برهن عن دوران الكرة الارضية على ذاتها وحول الشمس فغير النظرية القديمة
بأن الأرض ثابتة وان الشمس تدور حولها .. وهو ، بذلك ، يعتبر مؤسس
على الفلك الحديث . ولكن الفضل الاول يرجع الى البيرونى ، العلامة
الحربي الذى قال ذلك قبل خمسمائة عام . راجع شمس العرب تسطع
على الغرب ص ١٩٤ .

حواشي الباب الثالث

(١) هكسلى ، توماس هنرى : ١٨٢٥-١٨٩٥ بيولوجى ومرب انجليزى
تخرج فى مستشفى شيرنسج كروس ١٨٤٥ . وفى اثناء عمله جراحا ساعدا
على ظهر السفينة البريطانية (راتسنيك) فى رحلة بحرية الى المحيط
الهادى (١٨٤٦-١٨٥٠) جمع اشكالا من كائنات البحر .. وصنفها
على اساس لم يكن معروفا من قبل ونشره ١٨٤٩ تقارير عن عمله فى النبات
الفلسفى للجمعية الملكية . وقد غدا هكسلى داعية للداروينية .. وان كان
قد اعتنقها مع شىء من التحفظ .. له عدة كتب فى فروع علم الحيوان
المختلفة عدا ابحاثه المبكرة التى جمعت فى اربعة مجلدات ومقالاته
ومحاضراته العامة التى جمعت ايضا فى تسعة مجلدات . راجع الموسوعة
ص ١٨٩٩ .

(٢) كانت ، عمانوئيل : ١٧٢٤-١٨٠٤ ، فيلسوف المانى يعد من
اعظم الفلاسفة جميعا .. ولد فى كونجزبرج . حيث تعلم وعلم بجامعة
المنطق والميتافيزيقية . فنسب مذهب الشك الذى انتهت اليه الفلسفة
عند هيوم لانها لم تحلل المعرفة الانسانية تحليلا وافيا .. وقد شبه مذهب
بثورة كوبرنيكس فى علم الفلك فبعد ان كانت الارض مركزا والاجرام تدور
حولها اصبحت الارض تدور حول الشمس الثابتة .

وكذلك فى نظرية المعرفة . فبعد ان كان صوب فكرة ما . متوقفا على
كونها مطابقة لخارج ثابت . اصبح الواقع الخارجى مقصور على ظواهره المدركة
بالحس ، وأما وراء الطبيعة ما يسميه (كانت) بالشىء فى ذاته . فلا سبيل
الى معرفته بالعقل المحض .. واذا حاول الانسان المحااجة بعقله النظرى فى
حقائق الاشياء فى ذاتها وقع فى تناقض . فالبحث فى الله - عنده - ينتهى الى أنه
موجود وغير موجود .. راجع الموسوعة ص ١٤٣٥ .

(٣) كومت ، أو كونت أوجست ١٧٩٨ - ١٨٥٧ ، فيلسوف فرنسي مؤسس الفلسفة الوضعية التي ترفض الميتافيزيقا وتعتمد على نتائج العلوم الطبيعية الحديثة .. هدفه الأسمى هو إصلاح المجتمع ليعيش الناس في توافق وانسجام ، ومذهبه مبسوط في كتابه " محاضرات في الفلسفة الوضعية " وفيه بين المراحل الثلاثة التي اجتازها الفكر في تطوره :
اللاهوتية التي تعلل الأشياء بقوى خارقة .. والميتافيزيقية التي تعلل الأشياء بمبادئ مجردة .. والوضعية التي تعلل الأشياء بالمشاهدة والتجارب تأييدا للفروض .

و تتفاوت العلوم بساطة وتركيبا فابسطها الرياضة ، فالفلك ، فالفيزيائية فالكيمياء فعلم الاجتماع .. وكل منها يعتمد على سابقه والاجتماع يعتمد عليها جميعا ، وكلها في خدمته .. راجع الموسوعة ص ١٥١٧ .

(٤) جرينتش ، ناحية بلندن بانجلترا على نهر التايمز تقع فيها الكلية الملكية البحرية ومستشفى جرينتش والمتحف البحري الوطني لا يزال خط الطول الجغرافي يحسب فيها تبعا لخط الزوال .. راجع الموسوعة ص ٦٢٨

(٥) هيوم دافيد ١٧١١ - ١٧٧٢ فيلسوف ومؤرخ اسكتلندي مذهب نتيجة منطقية لفلسفة لوك وباركلي . قال ان كل شيء بما في ذلك الانسان سلسلة حالات متتابعة ، وليس لشيء دائمة قائمة دائمة .. فمفردتنا سلسلة انطباعات حسية .. والفكرة التي يستحيل ردها الى الانطباعات الحسية التي كونتها تكون وهما ..

ومن هنا عرف مذهب هيوم بالشك .. مؤلفه الرئيسي رسالة في الطبيعة البشرية .. راجع الموسوعة ص ١٩٣٣

(٦) براجماتية : مذهب فلسفي ، يقيس صدق القضية بنتائجها العملية .
فليس هناك معرفة اولية في العقل تستبطن منها نتائج صحيحة بغض النظر
عن جانبها التطبيقي ... بل الامر كله موهون بنتائج التجربة الفعلية
العملية التي تحل للانسان مشكلاته .

ولما كان تقدم العلم يغير من صدق القضايا ، فالصالح في ظروف سابقة
يصبح غير صالح في الظروف الراهنة ، كان " الحق " أمرا نسبيا يقاس الى
زمن معين ومكان معين ، ومرحلة من التقدم العلمي معينة ..

واعلام البراجماتية هم : (جيمس) و (بيرس) و (ديوي) . الموسوعة

ص ٣٣٥

(٧) كنيدى . جون فترجيرالد : ١٩١٧ - ١٩٦٢ الرئيس الخامس
والثلاثون للولايات المتحدة الاميركية ، ولد ببروكلفين بالقرب من بوسطن ٢٩ مايو
وتعلم في جامعة هارفرد ، خدم في البحرية الاميركية ١٩٤١ - ١٩٤٥ م
اشتغل بالصحافة مراسلا للاخبار ، واشترك في الاعمال السياسية وبرز في
الحزب الديمقراطي .. انتخب عضوا بمجلس النواب ١٩٤٧ - ١٩٥٢ ثم
بمجلس الشيوخ ..

انتخب رئيسا للجمهورية في ٨ نوفمبر ١٩٦٠ م

دافع عن الزنوج الامريكيين للحفاظ على حقوقهم المدنية . توصل مع
الملكة المتحدة والاتحاد السوفيتي الى ابرام اتفاقية تحريم التجارب النووية
في نطاق محدود ١٩٦٢ وذلك لتحقيق السلام العالمي .. اغتالته
(لى اوزوالد) بطلق نارى في اثناء زيارته لدالاس بتكساس فسقط ميتا فخلفه
ليندن جونسون في منصب الرئاسة ..

راجع الموسوعة ص ١٤٨٦ .

(٨) جمهورية السنغال ١٦١ر١٦٧ كم ٢ . ٣١٤٠ر٠٠٠٠ نسمة بخبري افريقيا عاصمتها دكار . اهم قبائلها الولوف المسلمون ٧٠٠ ألف والباصارا والماندنجو .

من منتجاتها : الذرة والفول السوداني والصمغ العربي .. يجري فيها نهر السنغال ... كانت جزءا من افريقيا الغربية الفرنسية ثم عضوا بمجموعة الدول الافريقية المرتبطة بفرنسا ٢٥ نوفمبر ١٩٥٨ م . كونت اتحادا مع مالي ولكنه لم يستمر . استقلت في ٢٠ اغسطس ١٩٦٠ م وهي عضو بهيئة الأمم ٢٩ سبتمبر ١٩٦٠ م . بها جامعة افتتحت في ٢٤ فبراير ١٩٥٧ م وتضم كليات الحقوق والاداب والعلوم والطب . الموسوعة ص ١٠٢٣ م

(٩) لشبونة ، مدينة ٣٤ر٧٩٠ نسمة ميناء ممتاز بهدوءه واتساعه في غرب البرتغال وعاصمتها . هي من اكبر موانئ اوروبا .

(١٥) السودان الغربي اقليم في افريقيا الغربية يمتد بين الصحراء الكبرى والمناطق الاستوائية ويشمل النيجرونيجريا والسنغال وفولتا العليا ومالي وداهومى والكونفسو وغانا وتوغو وساحل العاج وسيراليون وليبيريا وغينيا وغير ذلك

(١١) وكانت هذه التجارة البشعة (تجارة السود) تشمل جميع بلدان افريقيا الغربية وفي مقدمتها نيجريا وما حولها من ساحل العاج وغيرها فلنتكلم عن نيجيريا ثم عن ساحل العاج ..
(نيجريا) جمهورية اتحادية ١٦٨ر٩٥٢ كم ٢ ٣٧ر٠٠٠ر٠٠٠٠ نسمة ولكن الاحصائيات الاخيرة تقول انها قرابة ٨٠ر٠٠٠ر٠٠٠٠ نسمة او يزيد .. وهي في نطاق الكومنولث بغرب افريقيا على خليج غينيا عاصمتها لاجوس . تسب الى نهر نيجر .

وتتكون نيجيريا من اتحادا فيدراليا يضم اربعة اقاليم هي : نيجيريا الشمالية وعاصمتها (كادونا) ومعظم سكانها مسلمون من قبائل الهوسا والفولاني ..

ونيجيريا الغربية وعاصمتها (ابادن) وسكانها كان حوالى خمسة ملايين معظمهم من قبائل اليوربا .

ونيجيريا الشرقية وعاصمتها انوجو وسكانها خمسة ملايين ومعظمهم من قبائل (الايو) والكمرون الشمالى .. وكانت تحت الوصايا البريطانية ثم انضم الى الاتحاد في يونيه ١٩٦١ م . اهم الموانئ : لاجوس .. يزرع الكاكاو والمطاط والنخيل ويستخرج منها البترول ..

تأثر اهل الشمال بحركة الاصلاح الديني التي تزعمها الحاج عثمان دان فوديو وسلا لته في اخريات القرن ١٨ واول ١٩ وما زال أثرها قويا في المنطقة الشمالية ..

كان البرتغاليون أول الشعوب الاوربية الذين وصلوا الى ساحل نيجيريا ١٤٧٢ م وتبعهم البريطانيون ١٥٥٢ م وسرعان ما اصبحت المنطقة الساحلية سوقا لترحيل الارقاء الى اوروبا والامريكيتين .. الموسوعة ص ١٨٦٥ (ساحل الحاج) جمهورية ٣٢٢٤٦٣ كم ٢ ، ٢٣٠٠٠٠٠ نسمة بفرى افريقيا على ساحل المحيط الاطلنطى .. بين ليبيريا وغانة عاصمتها وأهم مدنها (أبدجان) ١٧٧٥٠٠ نسمة تتكون من سهل ساحلى منبسط وهضبة داخلية تغطيها الغابات والسفانا الطويلة ..

وهي تعتبر من اغنى بلاد افريقيا الغربية بمنتجاتها الكثيرة منها :

القطن والكاكاو وزيت النخيل والخشب والبن وغير ذلك ..

وقد استقر بها التجار البرتغاليون الذين جعلوا السود سلعة حقيرة

في القرن ١٦ ..

حصلت فرنسا على حقوق في الساحل ١٨١٢ م ولكنها لم تحتل

المنطقة احتلالا مستعرا الا في ١٨٨٢ .. اصبحت محمية فرنسية ١٨٩١ م ..
وفي يناير ١٩٣٣ م اضيف جزء من فولتا العليا لساحل العاج .. ولكن حينما
أعيد تخطيط فولتا العليا اول يناير (١٩٤٨) ضم اليها مقاطعات بوبو
ديولا سوجاوا .

ادمج ساحل العاج في افريقيا الغربية الفرنسية ١٩٠٤ م فهي عضو
في مجموعة الدول الافريقية المرتبطة بفرنسا منذ ٤ ديسمبر ١٩٥٨ م استقل
في ٧ اغسطس ١٩٦٠ م عضوا بالأمم المتحدة .

ونسبة المسلمين حسب الاحصائيات الاخيرة : ٦٥ في المائة واما المسيحيون
١٥ في المائة والباقي ٢٥ في المائة لا ينتسبون الى دين سماوي . وفي
الشمال يوجد بعض المسلمين مثل مدينة (بندوكو) و (ديكلا) و (كون)
و (ستاما) و (بوتا) و (وجيني) وبلاد كوياغا من (مانكونو) و
(سيفيلا) و (توبا) و (تورغو) و (بونجلي) و (بخاريبو) و (ويندغا)
وغير ذلك .. ثم هم منتشرون في جميع بقية البلاد ..

(١٢) روزفلت ، فرانكلين ديلا نو : ١٨٨٢-١٩٤٥ الرئيس الامريكي ٣١
للولايات المتحدة الامريكية ، وكيل وزارة البحرية ١٩١٣-١٩٢٠ م رشح ١٩٢٠
نائبا لرئيس الحزب الديمقراطي ، اصاب ١٩٢١ بمرض شلل الاطفال ، ولكنه
استعاد استخدام قدميه ، وأقام في (وارم سبرنجز) بجورجيا ، مؤسسة
لمعالجة ضحايا هذا المرض ..

حاكم نيويورك ١٩٢٩ - ١٩٣٣ م بدأ عهد رئاسته ١٩٣٣ م والآن زمة
على اشد ها ، وأعلن مولد الخطة الجديدة ، فاخذت الادارات الحكومية
تعمل على انعاش الاقتصاد ، بانفاق الاموال العامة ، و تنمية الموارد الطبيعية
و تهيئة العمل للعاطلين .. أعيدت الانتخابات ١٩٣٦ . فواجهت روزفلت مقاومة
شديدة وأعلنت المحكمة العليا ببطالان بعض اجراءات الخطة الجديدة فشل في
اعادة تنظيم المحكمة العليا ١٩٣٧ م . مات فجأة ودفن (بهايدي بارك) .. زوجته آنا ،
الينور روزفلت ..

(١٣) السويد ، مملكة مساحتها ٤٥٠.٩١٠ كم ٢ وسكانها ١٢٩٠٥٩٧٤ نسمة عاصمتها ستوكهولم سطحها جبلى يرتفع الى ٢١٢٣ م تقع فـى شرق أوروبا ..

(١٤ /) امريكا الجنوبية : قارة مساحتها ١٧.٨١٠.٠٠٠ كم ٢ وتعدادها ١١.٠٠٠.٠٠٠ نسمة . تنقسم سياسيا الى عشر جمهوريات .
(اميركا الشمالية) : يعرف بهذا الاسم القسم الشرقى من نصف الكرة الغربى مساحته ٢٣.٣١٠.٠٠٠ كم ٢ تعداده ٢٠٠ مليون نسمة يحده شمالا المحيط المتجمد الشمالى ، وشرقا المحيط الاطلنطى وخليج المكسيك ، وجنوبا امريكا الوسطى وغربا المحيط الهادى . الاقسام السياسية بالقارة خمسة ..
وقد ضمت للولايات المتحدة ١٩٥٩ م
(امريكا اللاتينية) .. مصطلح يطلق على جميع اقطار امريكا الشمالية ، اى جميع الاقطار الناطقة بالاسبانية او البرتغالية او الفرنسية .. وهذه الاقطار تؤلف اليوم عشرين جمهورية ..

تعتبر - اليوم - الولايات المتحدة فى طليعة البلاد الزراعية والصناعية ويمتبر اكتشاف كولومبوس للقارة الامريكية ١٤٩٢ حدثا خطيرا ونقطة تحول فى تاريخ العالم . فعلى اثره فتحت تلك القارة للاستيطان الاوروبى ونالت استقلالها فى يوليو ١٧٧٦ م . راجع الموسوعة ص ١٩٥٩ م

(١٥) خروشوف ، نيكيتا سرجيفتش : ١٨٦٤ - زعيم روسى شيوعى ، كان صانع اقبال انضم للحزب الشيوعى ١٩١٩ . اصبح السكرتير الاول للمجلس الاقليمى للحزب بموسكو ١٩٣٥-١٩٣٨ و ١٩٤٦-١٩٥٣ عين سكرتيرا أول للجنة المركزية للحزب الشيوعى بعد وفاة ستالين . اصبح له تأثير كبير فى الشؤون السوفييتية وفى سياستها الخارجية .. شارك فى مؤتمرات جنيف ١٩٥٥ م . انتقد ١٩٥٦ م سياسة ستالين الدكتاتورية .. راجع الموسوعة العربية الميسرة .

(١٦) جمهورية مساحتها ٣٠٢٢١١ كم٢ وعدد سكانها ١٠٠٠٠٠٠ ٦٤٤٠٥٠٠ نسمة تقع في جنوب اوربا وعاصمتها روما . . و تحتوى على مدينة الفاتيكان .

(١٧) المجر أو (مجيار) شعب هنغاريا ، وينتمى الى الفصيلة اللغوية الفينيقية - وكانوا قبائل رحل ، هاجروا ح ٤٦٠ من الأورال الى شرقي القوقاز . . حين اتصلوا بالشعوب التركية ، ومنهم تعلموا الزراعة واقتبسوا نظمهم السياسية والحربية . .

(١٨) الدنمارك مساحتها ٤٢٩٣١ كم٢ وسكانها ١٠٠٠٠٠ ١٠٠٠٠ نسمة مطلقة في شمال غرب اوربا واقصى جنوب البلاد الاسكندنافية . .

(١٩) كوبنهاجن ، عاصمة الدانمارك وهي ٣٦١ ٣٠٣ ٧٥٣ نسمة وتعتبر كوبنهاجن من اجمل مدن اوربا . .

قد تعرضت هذه المدينة لهجمات متكررة . . ففي ١٨٠٧ قذف البريطانيون المدينة بالقنابل وكادوا يدمرونها كلها بعد ان رفضت الدانمارك المحايدة تسليم اسطولها .

اخذتها الالمان ١٩٤٠-١٩٤٥ وقذفها بالقنابل . وبها جامعة هي من الجامعات الاوربية القديمة ، أسست ١٤٧٩ م وتتألف من خمس كليات : اللاهوت والحقوق والطب والفلسفة والرياضيات والعلوم الطبيعية . . راجع الموسوعة العربية الميسرة ص ١٤٩٦ م

(20) زهرى : من الامراض التناسلية . سببه احدى اللويحات الرخوة ، و تنتقل عداوته غالبا بالاتصال الجنسي ، وقد تنتقل من الأم المصابة الى الجنين فسي اثناء الحمل و احيانا باللمس المباشر .

ويمكن الوقاية منه بنشر الثقافة الصحية والاجتماعية لمنع او تنظيم الاتصال الجنسي العابر (البغاء) ..

هذا هو رأى العلم الحديث . وأما الاسلام الذى نزل على محمد صلى الله عليه وسلم منذ اربعة عشر قرنا يقول : * ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا * ثم اوجب على كل من يفعل ويفعل ذلك بعد الاحصان أن يرحم حتى يموت . ولدن لم يكن محصنا يجلد مائة جلدة ثم قال الله تعالى * قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم * الآية * وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن * ثم أمر النساء المؤمنات بالحجاب فقال * يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى ان يعرفن فيؤذنين * وغير ذلك .

هذا هو العلاج الصحيح وأما نشر الثقافة الصحية والاجتماعية ليس بعلاج والدليل على ذلك ان الدول الكبرى المثقفة هي اسرع الدول الى اقتراف هذه الجريمة النكراء ..

(21) سلمان الفارسي (ت ٦٥٥) ، مجوسى ، تنصر ، وجد في البحث عن العقيدة الحققة رحل الى الشام ثم الى يثرب (المدينة المنورة) حيث التقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة . . واعتنق الاسلام وأضحى من مشهورى الصحابة ، أشار بحفر خندق في الاماكن الضعيفة للمدينة فحماها من هجوم الأحزاب في غزوة الخندق . اشتهر بالزهد والتقشف واتباع السنة النبوية المطهرة وقال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم (سلمان منا آل البيت) اشارة الى الأخوة الاسلامية الفذة . .

(22) حمى : ارتفاع في درجة الحرارة عن حدّها الطبيعي وهي صباها

٣٦ درجة او ٣٦٫٥ درجة مئوية .

تقاس درجة الحرارة عادة بوضع مقياس الحرارة في الفم ويوضع في الشرج

في حالة الوضع وصفار الاطفال وبعض المرضى الا ان درجة الحرارة بواسطة

الشرج تكون اعلى منها بواسطة الفم بمقدار خمس الدرجة المئوية .

(23) فيينا ، مدينة ١٢١٤ كم ٢ وسكانها ١٧٦٠٧٨٤ نسمة

وهي عاصمة النمسا .

المراجع العربية والاجنبية

المراجع العربية

(حرف الهمة)

- ١ - الله العلم ، بشير التركي ط سنة ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م
- ٢ - الله يتجلى في عصر العلم تأليف نخبة من العلماء الامريكيين بحفاسية السنة الدولية لطبيعيات الارض ت : الدر اش سرحان القاهرة ١٩٦٨ م
- ٣ - الله والعلم الحديث تأليف عبد الرزاق نوفل ط الثالثة سنة ١٣٩٣ هـ
- ٤ - الله جل جلاله ، سعيد حوى ، ١٣٩٥ هـ ط ٢ منقحة
- ٥ - الله تأليف عباس محمود العقاد
- ٦ - الله نظرات في الكون والحياة ، عبد الجواد رجب سنة ١٣٩٤ هـ
- ٧ - أبوداود (السنن)
- ٨ - أباطيل يجب ان تمحى من التاريخ د . ابراهيم على شعوط سنة ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ م شارع يعقوب بالمالية .
- ٩ - اتجاهات هدامة في الفكر المعاصر د . محمد محمد حسين
- ١٠ - اتمام الوفاء في سير الخلفاء ، محمد الخضر مكتبة دار الدعوة بحلب الطبعة الاولى المحققة ١٣٩٨ هـ
- ١١ - اثر العلم في المجتمع ، بيرتراند رسل ت : تمام حسان مصر
- ١٢ - اثر العرب في الحضارة الاوربية ، عباس محمود العقاد دار المعارف بمصر ١٩٦٠ م
- ١٣ - اثر العرب والاسلام في النهضة الادبية تأليف د . عبد الحليم منتصر
- ١٤ - احجار على رقعة الشطرنج ، وليام ذى كار بيروت ت : جزايرلى ط . الاولى سنة ١٩٧٠ م
- ١٥ - الاخلاق ، موسوعة احمد امين الادبية

- ١٦ - الادوية المفردة ، عبدالله بن احمد البيطار الصتوفي ١٤٦ هـ
- ١٧ - الأديان في القرآن ، تاليف محمود بن الشريف
- ١٨ - أساس البلاغة الزمخشري
- ١٩ - اساليب الغزو الفكري تاليف الاستاذين د . علي جريش و محمد شريف الزبيق . ط الثانية سنة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م
- ٢٠ - الاسفار المقدسة ، دكتور وافي .
- ٢١ - اساطير الاغريق سلسلة تراث الانسانية مجموعة من الاساتذة
الهيئة العامة مصر . .
- ٢٢ - الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير محمد بن محمد ،
أبوشهبة سنة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م
- ٢٣ - أسس المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية ، تاليف سبيركين
ياخوت ت ، محمد الجندى ، دار التقدم موسكو
- ٢٤ - الاسلام في عصر العلم ، محمد فريد وجدى ط ٣ سنة ١٣٨٦ هـ
١٩٦٧ م بيروت
- ٢٥ - الاسلام وقضايانا المعاصرة ، احمد موسى سالم دار الجيل بيروت
سنة ١٩٧٥ م
- ٢٦ - الاسلام في عصر العلم ، محمد احمد الغمراوي ، اعداد د .
احمد عبد السلام الكردى ١٩٦٠ م
- ٢٧ - الاسلام ومشكلة الحضارة ، سيد قطب مصر سنة ١٩٦٧ م
- ٢٨ - الاسلام على مفترق الطرق محمد أسد ، ت : نجدة هاجر
وزميله مصر ١٩٦٠ م
- ٢٩ - الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ط ٧ سنة ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م
- ٣٠ - الاسلام في وجه الزحف الاحمر ، محمد الخزالي رجب سنة ١٣٨٦ هـ
اكتوبر سنة ١٩٦٦ القاهرة

- ٣١ - الاسلام والنصرانية ، محمد عبدة .
- ٣٢ - الاسلام ومذهب داروين ، محمد باشميل ، جمادى الاولى ١٣٨٤ هـ
- ١٩٦٤ م
- ٣٣ - الاسلام والخلافة ، على الحسينى الخربوطلى ، بيروت ١٩٦٩ م
- ٣٤ - الاسلام والشيوعية ، وزارة الاوقاف الادارة العامة للدعوة
- مصر ١٩٧٦ م
- ٣٥ - الاسلام أو الشيوعية ، تاليف محمد عرفة ص ٣٦
- ٣٦ - الاسلام في الواقع الايدولوجى المعاصر د . محمد البهى سنة
- ١٩٧٠ م
- ٣٧ - الاسلام روح المدنية ، مصطفى الغلايينى المكتبة الاهلية
- سنة ١٣٤٩ هـ
- ٣٨ - الاسلام والعلم الحديث ، عبدالرزاق نوفل ط الثانية
- ٣٩ - اشتراكيتهن واسلا منا يشير العوفة بيروت ١٩٦٦ م
- ٤٠ - اصول الفلسفة الماركسية ، جورج بوليتزر ، ميسى ، موريس
- كافين
- ٤١ - أضواء البين ، محمد الأمين الشنقيطى مصر سنة ١٣٨٦ هـ
- ٤٢ - اظهار الحق رحمة الله الهندى ، تحقيق عمر الدسوقي ■
- الدار البيضاء ١٣٨٤ هـ
- ٤٣ - أزمة العصر ، محمد محمد حسين سنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م
- ٤٤ - افكار ورجال ، جرين برنتن ، ت ■ محمود محمود مصر ١٩٦٥ م
- ٤٥ - الأفعى اليهودية في معاقل الاسلام عبدالله التل ، عمان ٥ رجب
- ١٣٩١ هـ - ١٩٧١/٨/٢٦ م
- ٤٦ - افريقيا القديمة ، تكشف من جديد ، تأليف (ياسيل دافين
- سون) ت : نبيل بدروس محمد زغلول مراجعة محمود شرفى الكيال .

- ٤٧ - أفيون الشعوب ، المذاهب الهدامة ، عباس محمود العقاد ط ٦
- سنة ١٩٧٧ م دار الاعتصام القاهرة فصل قدوة غير صالحة ص ٢٤
- ٤٨ - اقتصادنا ، محمد باقر الصدر ط الاولى سنة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٧ م
- ٤٩ - الامثال في القرآن ، محمود بن الشريف طبعة دار المعارف
- ٥٠ - الأمم المتحدة وموازن القوى المتحولة في الجمعية العامة ،
كميل داغر .
- ٥١ - الانسان بين المادية والاسلام ، محمد قطب مصر ١٩٥٧ م
- ٥٢ - الانسان في القرآن ، عباس محمود العقاد طبعة دار الهلال
- ٥٣ - الانسان ذلك المجهول ، اليكسس كارل ، ت : شفيق اسعد
فريد بيروت
- ٥٤ - الأناجيل
- ٥٥ - الانسان بين العلم والدين ، شوقي ابو خليل ط ٢ ١٣٩٧ هـ
١٩٧٧ م
- ٥٦ - أوربا العصور الوسطى ، دكتور سميد عبد الفتاح عاشور
سنة ١٩٧٦ م

(حرف الباء)

- ٥٧ - البداية والنهاية لابن كثير مطبعة السعادة مصر
- ٥٨ - البداية والنهاية ، ماركي تاشيلد و زميله ، ت : عادل حامد
بيروت
- ٥٩ - البستانى ، بطرس ، محيط المحيط
- ٦٠ - بروتوكوت حكماء الصهيون ت : محمد خليفة التونسي الطبعة
الخامسة - مصر .

(حرف التاء)

- ٦١ - التاريخ الاوربي الحديث ، تأليف د . عبدالحميد البطريق وزميله
سنة ١٩٧١ م
- ٦٢ - تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي
- ٦٣ - تاريخ الدعوة الاسلامية آدم ايلورى النجيري
- ٦٤ - تاريخ اوربا العصور الوسطى أهـ ت : فشر مصطفى زيادة مصر
سنة ١٩٦٦ م
- ٦٥ - تاريخ اخلاق اوربا تأليف ليكس ، نقلا عن كتاب ماذا فسر
العالم بانحطاط المسلمين ، ابراهيم الحسن الندوى
- ٦٦ - تاريخ العالم ، جمع جون ا . هـ مرتن ، ت : ادارة الترجمة مصر .
- ٦٧ - تاريخ الفلسفة الحديثة ، يوسف كرم
- ٦٨ - التاريخ الاسلامي وأثره في الفكر التاريخي الاوربي في عصر
النهضة د . جمال الدين الشيال دار الثقافة بيروت ١٩٦٩ م
- ص ٨٠
- ٦٩ - تاريخ الفكر العربي الى ايام ابن خلدون ، عملاز فروخ بيروت
طبعة دار العلم للملايين لبنان ١٣٩٢ م
- ٧٠ - تدهور الحضارة الغربية ، تأليف اسوالد سبنفلر
- ٧١ - التعصب والتسامح بين المسيحية والاسلام ، محمد الفزالي .
- ٧٢ - التصريف لمن عجز عن التأليف خلف بن عباس الزهراوى
- ٧٣ - التطور والثبات في حياة البشرية ، محمد قطب سنة ١٣٩٤ هـ
١٩٧٤ م
- ٧٤ - تطور المجتمع الاميركى ، تأليف كينت لن ، ت : نعيم موسى
دار اليقظة سنة ١٩٦٦ م
- ٧٥ - تفسير المحيط ، تأليف محمد بن يوسف

- ٧٦ - تفسير النسفي
- ٧٧ - تفسير الجواهر للشيخ الطنطاوى
- ٧٨ - التفسير الكبير ، فخر الرازى
- ٧٩ - تفسير ابن سعود
- ٨٠ - تفسير الطوسى
- ٨١ - تفسير ابن كثير سنة ٧٧٤هـ
- ٨٢ - التفسير الاسلامى للتاريخ د . عماد الدين خليل (الصراع)
ص ٢٥١ سنة ١٩٧٥م
- ٨٣ - التفكير الفلسفى فى الاسلام ، عبد الحليم محمود شيخ الازهر
سابقا الطبعة الاولى سنة ١٩٧٤م
- ٨٤ - تكوين العقل الحديث و . هـ راندال ت : جورج طعمة دار
الثقافة
- ٨٥ - التلمود تاريخه وتعاليمه ، ظفر الدين خان ط ٢ دار النفائس
سنة ١٩٧٢م
- ٨٦ - تهافت العلمانية ، الدكتور عماد الدين خليل سنة ١٣٩٥هـ
- ٨٧ - التوراة ، مصطفى محمود الطبعة الاولى سنة ١٩٧٢م
- (حرف الجيم)
- ٨٨ - جامع البيان للشيخ السيد معين الدين محمد بن عبد الرحمن
الحسينى الشافعى سنة ٨٣٢ - ٨٩٤
- ٨٩ - جوهر القاموس ، مطبعة منشورات الكتب
- ٩٠ - الجفوة المفتعلة بين الدين والعلم ، محمد على يوسف
- ٩١ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية
- ٩٢ - جمهورية افلاطون ت : خباز بيروت
- ٩٣ - جاهلية القرن العشرين ، محمد قطب دار الشروق سنة ١٣٩٥هـ

(حرف الهاء)

- ٩٤ - حاضر العالم الاسلامي ، لوثرروب ستوادارد ، حواسن شكيب
ارسلان تنججاج نوييهض سنة ١٩٧٤ م
- ٩٥ - الحجاب لا بي الاعلى المودوى دار الفكر للطباعة والنشر
- ٩٦ - حرية الفكر ، سلاى موسى ، بيروت سنة ١٩٦١ م
- ٩٧ - حقوق الانسان في الاسلام ، مجمع البحوث الاسلامية ورعايته
- للقيم والمعانى الانسانية ، المؤتمرات السادس المحرم ١٣٩١ هـ
- مارس ١٩٧١ م فصل الاعلان العالمى لحقوق الانسان ص ١٢٧

(حرف الخاء)

- ٩٨ - خصائص التصور الاسلامي ومقوماته ، سيد قطب ص ٣٢ سنة ١٩٦٥ م
- ٩٩ - خطر التبج والاختلاط ، عبد الباقي رمضون ، مؤسسة الرسالة
الطبعة الاولى سنة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م
- ١٠٠ - خلق الانسان بين الطب والقرآن د . محمد على البار الطبعة
الاولى سنة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

(حرف الدال)

- ١٠١ - الدين و تاليف محمد عبدالله دراز ، دار القلم سنة ١٩٧٠ م
- ١٠٢ - دائرة معارف القرن العشرين محمد فريد وجدى
- ١٠٣ - دائرة معارف البستاني ، المستشرقون ت : محمد ثابت الفندى ،
وزملاؤه مصر ١٣٥٢ هـ
- ١٠٤ - الدين ، وحيد الدين خان طبع ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م
- ١٠٥ - ديانة المستقبل ، تاليف جون الوف بودين ، نقلا عن كتاب
عقائد المفكرين ، عباس محمود العقاد ، دار الكتب العربي بيروت

- ١٠٦ - دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، موريس بوكاي .

دار المعارف الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٧ م

- ١٠٧ - دراسات في النفس البشرية محمد قطب دار القلم

- ١٠٨ - الدين والدولة ، الدكتور البهي

(حرف الذال)

- ١٠٩ - الذات والغرائز ، سيجموند فرويد ، محمد عثمان نجاشي

القاهرة ١٩٦١ م

(حرف الراء)

- ١١٠ - رائد الثقافة العامة ، كورنيلوس هيرشبوغ ت : محمد يوسف

نجم وزملاؤه ، بيروت ١٩٦٣ م

- ١١١ - الرد على الماديين ، محمد عبد المنعم الخفاجي

- ١١٢ - رسالة بولس لأهل رومية ، الاصحاح العاشر الاية ٥

- ١١٣ - روح الدين الاسلامي عفيف عبد الفتاح طيارة سنة ١٣٨٤ هـ

- ١١٤ - روح المعاني ، للأوسى (التفسير)

(حرف الزاي)

- ١١٥ - زاد المسير في علم التفسير ، الامام ابن الفرج

- ١١٦ - زعماء الاصلاح ، احمد امين ، القاهرة ١٩٦٥ م

(حرف السين)

- ١١٧ - سقوط العثمانية ، انور الجندي ط (سنة ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م

- ١١٨ - السبيل الى عالم افضل ، كارل بيكر ت : عبد العزيز اسماعيل

القاهرة ١٩٤٦ م

- ١١٩ - سفر التكوين والخروج والتثنية من التوراة .

- ١٢٠ - سلسلة تراث الانسانية ، مجموعة من الاساتذة ، الهيئة العامة

للكتاب مصر .

(حرف الشين)

- ١٢١ - شمس العرب تسطع على المغرب ، تاليف المستشرق الالمانية
رينفريد هونكة ت : فاروق بيضون وزميله بيروت ١٩٦٩ م
- ١٢٢ - الشيوعية « نظريا وعليا » لاريو هنت
- ١٢٣ - الشيوعية والانسانية « عباس محمود العقاد بيروت ط ٢
- ١٢٤ - شرح الطحاوية القاضي ابن ابي العز الحنفي ، تحقيق
محمود شاكر مصر
- ١٢٥ - الشعر الجاهلي طه حسين

(حرف الصاد)

- ١٢٦ - صبح الاعشى - قلقشندی
- ١٢٧ - صحيح مسلم مع شرح النووي مصر
- ١٢٨ - صحيح البخارى مع شرح فتح البارى
- ١٢٩ - صراع مع الملاحدة حتى العظم ، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني
- ١٣٠ - الصنم الذى هوى ، ستة من كبار الغرب ت : فواد حمودة
- ١٣١ - الصحاح في اللغة والعلوم

(حرف الضاد)

- ١٣٢ - ضد دوهرنغ - دياليكتيك الطبيعية « كارس ماركس وفردريك
انجلس موسكو الطبعة الالمانية ١٩٣٥ م

(حرف الطاء)

- ١٣٣ - الطريق الطويل للانسان « روبرت ل. كبرمان ت : ثابت جرجس
بيروت ١٩٣٠ م
- ١٣٤ - الطريق الى الاسلام ، محمد اسد ت « عفيف بيروت ١٩٦٤ م

- ١٣٥ - الطفولة الجانحة جان شازال ت : انطوان عبده بيروت ١٩٧٢ م
١٣٦ - الطبرى ابن جرير (التفسير)

(حرف العين)

- ١٣٧ - معالم تاريخ الانسانية هـ . و . ويلز ت : عبد العزيز توفيق
هاود مصر ١٩٦٧ م
١٣٨ - عباقرة العلم ، تاليف يوسف كرم نقلا عن كتاب الاسلام ونظرية
دارون احمد باشميل
١٣٩ - عقائد المفكرين في القرن العشرين عباس محمود العقاد دار
الكتاب العربي بيروت
١٤٠ - العقل والدين ، وليم جيمس ت : محمود حسب الله مصر ١٣٦٨ هـ
١٤١ - العقل والمادة ، تاليف برتراند رسل ت : احمد ابراهيم
الشريف القاهرة ١٩٧٥ م
١٤٢ - العلمانية واثرها في الحياة الاسلامية (رسالة الماجستير)
للزميل صفر - جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة
١٤٣ - العلم يدعوللايمان أ . كرسبى موريسون ت : صالح محمود
الفلكى ط ٥ يونيه سنة ١٩٦٥ م
١٤٤ - العلم اسراره وخفاياه مقدمة ج ٣ ، هارولد شابلى وزميلاه
ت : الغندى وزميله مصر ١٩٧١ م
١٤٥ - العلم والدين في الفلسفة المعاصرة احمد موسى سالم دار الجيل
بيروت سنة ١٩٧٥ م
١٤٦ - على مفترق الطرق ، محمد اسد ت : د . عمرفوخ ، دار العلم
للملايين
١٤٧ - عندما يحكم الطفافة ، فصل صناعة الزعيم تاليف د . جريشة
١٤٨ - العهد الجديد (الاناجيل والرسائل) مصر ١٩٧٦ م
١٤٩ - العهد القديم (التوراة) بيروت ١٩٥١ م

(حرف الخين)

١٥٠ - الفارة على العالم الاسلامي را.ل. شائلية ت : محب الدين الخطيب ط ٢ مصر

١٥١ - الغزو الصليبي والعالم الاسلامي ، تاليف الدكتور عبد الحليم محمود

١٥٢ - الغزو الفكري ، جلال كشك ط ٣ الكويت

(حرف الفاء)

١٥٣ - في ظلال القرآن (التفسير) سيد قطب

١٥٤ - فتح القدير (التفسير) محمد الشوكاني

١٥٥ - فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، عبد الرحمن حسن ، تحقيق النقي القاهرة ١٣٧٧هـ

١٥٦ - فتح الباري شرح صحيح البخاري ، الحافظ ابن حجر مصر المطبعة السلفية ١٣٦٠هـ

١٥٧ - الفتاوى للشيخ شلتوت محمود طبعة الادارة العامة للثقافة

الاسلامية بالازهر جمادى الاخرة ١٣٧٩هـ ديسمبر ١٩٥٩م

١٥٨ - فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم ، زكريا هاشم زكريا هاشم مصر .

١٥٩ - فرويد وبافلوف هاري ويلز ت : شوقي جلال مصر

١٦٠ - الفضاء الكوني نقلا عن كتاب الانسان بين العلم والدين تاليف شوقي ابو خليل

١٦١ - فقه الدعوة ، جمعة احمد حسن من ظلال القرآن لسيد قطب

١٦٢ - الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي د . محمد البيهى ط ٦ ١٩٧٣م

- ١٦٣ - الفكر الاسلامي والمجتمع المعاصر د . محمد البهي
- ١٦٤ - فلسفتا محمد باقر الصدر الطبعة التاسعة سنة ١٣٩٩ هـ
- ١٩٨٩ م
- ١٦٥ - فلسفة العلم الطبيعي تأليف (أونجتون) نقلا عن كتاب عقائد المفكرين . عباس محمود العقاد ص ٥٩
- ١٦٦ - فن البحث العلمي ك . ا . ب بفروج ت : زكريا فهمي الالف كتاب ١٩٦٣ م
- (حرف القاف)
- ١٦٧ - القرطبي (التفسير) الجامع لاحكام القرآن عبد الله محمد احمد الانصاري .
- ١٦٨ - قادة الغرب يقولون دمروا الاسلام . . جلال العالم ط ٢ بيروت
- ١٦٩ - القانون لابن سينا طبعة روما سنة ١٥٩٣ م
- ١٧٠ - قذائف الحق . محمد الفزالي منشورات المكتبة المصرية بيروت
- ١٧١ - قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ، نديم الجسر مفتي طرابلس الشرقي من منشورات المكتبة الاسلامية ط ٣ ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م
- ١٧٢ - قصة الحضارة ، ول ديورانت ت : محمد بدران القاهرة ١٩٥٧ م
- ١٧٣ - قصص الانبياء للشيخ عبد الوهاب النجار
- ١٧٤ - قواعد المنهج في علم الاجتماع تأليف اميل دوركايم ت : الدكتور محمود قاسم ومراجعة الدكتور محمد بدوى مقدمة الطبعة الثالثة القاهرة ١٩٧٤ م
- ١٧٥ - القومية العربية في ضوء الاسلام ، رسالة ماجستير للزميل صالح العبودي - جامعة الطوك عبد العزيز بمكة المكرمة .
- ١٧٦ - القومية العربية في القرن العشرين ، تأليف دكتور توفيق برو دمشق .

(حرف الكاف)

- ١٧٧ - كارل ماركس ، مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي ، المادية
الديالكتيكية والمادية التاريخية
- ١٧٨ - كتاب ميلاد الشمس وموتها الذي صدر عام ١٩٤٠ م
تأليف جورج جاموت : نقلا عن كتاب الانسان بين العلم والدين
شوقي ابو خليل ص ٣٢
- ١٧٩ - كتاب حياة الارض الذي صدر عام ١٩٤١ م للمؤلف نفسه نقلا
عن كتاب الانسان .. المذكور
- ١٨٠ - كفاحي ، يونس الحاج
- ١٨١ - الكشف (التفسير) ، زمخشري
- ١٨٢ - الكزالمصود في قواعد التمود د . روهكنج وزميله ت . يوسف
حنا نصر الله بيروت
- ١٨٣ - كيف نحارب الالحاد تأليف محمد باشميل ط ١ سنة ١٣٩٧ هـ
١٩٦٧ م

(حرف اللام)

- ١٨٤ - لمحة عن تطور المجتمع منذ بدء التاريخ ، المكتبة الانكليزية
بدمشق تأليف ل . سينفال

(حرف الميم)

- ١٨٥ - ما يقال عن الاسلام ، العقاد
- ١٨٦ - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ابو الحسن الندوي
- ١٨٧ - مبادئ الاسلام للمودودي
- ١٨٨ - مجلة الدعوة المصرية العدد ٣٦ / ١٣٩٨ هـ
- ١٨٩ - مجلة روز اليوسف عدد ١٧ / ٢ / ١٩٧٥ م ص ٦ ، ٧ ، ٨
- ١٩٠ - المجتمع روم مالفير وزميله ت : علي احمد عيسى مصر ١٩٦١

- ١٩١ - محاضرات في النصرانية ابوزهرة ط ■ الكويت ١٩٧٦
- ١٩٢ - مختصر دراسة التاريخ ، ارنولد توينبي ت ■ فواد نبيل
القاهرة ١٩٦١ م
- ١٩٣ - مذهب النشوء والارتقاء ■ منيرة على الغاياتي تقديم محمد
البهي مصر ١٩٦٥ م
- ١٩٤ - مدخل الى علم السياسة هارولد لاسكي ت : عز الدين محمد
البهي مصر ١٣٥٥ هـ
- ١٩٥ - المذاهب المعاصرة ■ عبد الرحمن عبيرة ص ٧٧
- ١٩٦ - المرأة في عصر ديمقراطية و اسماعيل مظهر ■ مصر ١٩٤٩ م
- ١٩٧ - المرأة بين الفقه والقانون ، مصطفى السباعي المكتبة الاسلامية
- ١٩٨ - مستقبل الحضارة بين العلمانية والشيوعية والاسلام تاليف يوسف
كمال محمد ١٩٧٤ م
- ١٩٩ - المستقبل لهذا الدين سيد قطب
- ٢٠٠ - المسلمون تحت الحكم الشيوعي ، محمد سامي عاشور
- ٢٠١ - المسلمون تحت السيطرة الشيوعية محمد شاكر
- ٢٠٢ - المشكلة الاخلاقية والفلسفة ، كرسون ت : عبد الحليم
محمود ط ٢ القاهرة
- ٢٠٣ - مصير الانسان ، ليكونت دي نوي ت : خليل الجسر المنشورات
العربية .
- ٢٠٤ - مصطفى كمال الذئب الاغبر ، ارمسترونج دار الهلال ١٩٥٢ م
- ٢٠٥ - المعلقات السبع (ديوان التابغة الذبياني) احمد بن الحسين
الزوني المتوفي عام ٤٦٨ هـ راجعه الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي
- ٢٠٦ - معجزة القرآن ■ محمد متولى الشعراوى (كتاب اليوم) ١٣٥٩ هـ

- ٢٠٧ - معالم في الطريق ، سيد قطب مصر
- ٢٠٨ - مع الله ، نظرات في الكون عبد الجواب رجب
- ٢٠٩ - المفسدون في الارض س. ناجي دمشق ١٩٧٣ م
- ٢١٠ - مقارنة الاديان ، احمد شلبي
- ٢١١ - مقرر علم التوحيد وزارة المعارف في المطلة العربية السعودية للصف

الثالث الثانوى

- ٢١٢ - المقدمة عن ستالين ، المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية
- ٢١٣ - مقدمة ابن خلدون
- ٢١٤ - مقاييس اللغة ، ابن فارس
- ٢١٥ - مكائد يهودية عبر التاريخ ، عبد الرحمن حبنكة الميداني سنة

١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م

- ٢١٦ - منازع الفكر الحديث ، جود ، تب عباس فضلى حماس سنة

١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م العراق

- ٢١٧ - منهج البحث العلمى عند العرب في العلوم الطبيعية او الكونية
جلال محمد عبد الحميد موسى

- ٢١٨ - المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية ، انوار الجندى دار

الاعتصام سنة ١٩٧٧ م تحت عنوان الفلسفة المادية ص ١٧٣

- ٢١٩ - المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام ، محمد محمود الصواف ١٣٩٢ هـ

- ٢٢٠ - مناهج الفلسفة ، لى ديورانت ط ١ ص ٦-٧ عن كتاب

الموسوعة العربية الميسرة ، صورة طبق الاصل من طبعة ١٩٦٥ م

- ٢٢١ - الموجز في التحليل النفسى لفرويد سيجموند ت : احمد زكى

مصر ١٩٦٣ م

- ٢٢٢ - موقف العقل والعلم من رب العالمين وعبادة المرسلين تأليف مصطفى

صبرى شيخ الاسلام للدولة العثمانية سابقا سنة ١٣٦٩ هـ ١٩٥٠ م

المكتبة الاسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ

٢٢٣ - الضار . . (التفسير) تأليف رشيد رضا

٢٢٤ - الموطأ (السنن) الامام مالك بن انس

(حرف النون)

٢٢٥ - نحن والحضارة الغربية ، ابو الاعلى المودودي

٢٢٦ - نحو التربية الاسلامية الحرة ابو الحسن الندوي مصر ١٣٩١ هـ

٢٢٧ - نظام المستشفيات البيمارستانات ، عبدالله بن احمد البيطار

المتوفي ٦٤٦ هـ

٢٢٨ - نظم الحكم الحديثة ، ميشيل ستوارت ت : احمد كامل القاوه

١٩٦٢ م

٢٢٩ - نظرية دارون بين مؤيديها ومعارضيه ، قيس القرطاس

بيروت ١٣٩١ هـ

٢٣٠ - نظام الحكم والسياسة في الولايات المتحدة ، هارولد رينك القاوه

٢٣١ - نقد الفكر الديني ، تأليف جلال الدين العظيم

(حرف الهاء)

٢٣٢ - هل نحن مسلمون ، محمد قطب دار الشروق سنة ١٣٩٨ هـ

١٩٧٨ م

٢٣٣ - هزيمة الشيوعية في العالم الاسلامي ، انوار الجندی

(حرف الواو)

٢٣٤ - ابو الجود الحق ، د. حسن هويدى ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م بيروت

(حرف الياء)

٢٣٥ - اليهود في القرآن ، عفيف طبارة .

المراجع الأجنبية

أولا - الفرنسية :

- 1 . VOLTAIRE ESSAI SUR LES MOEURS P.14
- 2 . POUSSEAU, DISCOURS SUR L'ORIGINE ET LE FONDAMENT
DE L'INGALITE , PARIS LES HOMMES
- 3 . CHACHOIN , EVOLUTION DES IDEES RELIGIEUSES P.158
- 4 . MAX NORDAU , REPONSE AU MRCREURE DE FRANCE PARIS 1908
- 5 . SALOMON REINACH, ORPHEUS, P.356
L'ARESUSSE DU XXEME SIECLE ARTICLE RELIGION
- 6 . ENRI BERGSON , LES DEUX SOURCES DE LA MORALE, ET DE LA
RELIGION P.105
- 7 . B.DT, HISTORIE MAHOMET ET LE CORAN P.XXXIV
- 8 . DURKHEIM , OUV , CITE P. 343

ثانيا - الانكليزية :

- 9 . UNIVERSAL HISTORY OF THE WORLD .
- 10 . ENCYCLOPADE DIA OF SCIENCE 1957 VOL 13. P. 233
- 11 . MAN IN THE MODERN WORLD p.130
- 12 . LININ , DELECTED WORKS MOSCOW .1947 VOL 11 P. 667
- 13 . RELIGION , IN THE MIDDEL EAST A.J. ABBER . VOL. 2
P. 606 - 607
- 14 . ENCY. BRITANNICA VOL IX P. 19
- 15.. CHALES OWEN , HISTORY OF ENGLAND BEFORE THE NORMAN
CONQUEST , 1910
- 16 . HISBSTANTIMES SUNDAY MAGAZINE , SEPT.24, 1961
- 17 . CONFLICT OF REGILGIOM AMD SCIENCE.

الباب الثاني

مناقشة الملحدين

١	الفصل الاول : قضايا الملاحدة
٢	اصل الكون
٣	اصل الكون والفروض التي قدمها الملاحدة
٦	الفرض الاول
٧	الفرض الثاني
٨	الفرض الثالث
١٠	عودة الى نظرية التصادم
١٣	موقف القرآن من اصل الكون
١٦	القرآن معجزة قد بما وحد بنا
١٨	الفصل الثاني : تشاة الحياة وتنوعها
١٩	روسيا الملحدة تبحث عن نشاة الحياة
٢٣	الفصل الثالث : الطبيعة والصدفة
٣٣	العلم والدين بقاتلان فكرة المصادفة العمياء
٣٥	العلم يبطل فكرة المصادفة
٣٥	شهادة علم الهندسة
٣٧	شهادة علم الطبيعة
٣٩	شهادة علم الفلك في ابطال فكرة المصادفة
٤٢	هذا غريب من غرائب الفكر الالحادي
٤٧	الدين يبطل عقيدة الصدفة العمياء
٥١	الافاق والانفس
٥٦	قانون الصدفة
٦٢	حجة شيطانية
٦٤	الدكتور العظم والحجة الشيطانية
٧٠	الفطرة السليمة تغر معرفة الله بدون احاطة

٧٤	الفصل الرابع : الدين يتعارض مع العلم الحديث
٧٨	العلم يدعو الى الايمان
٨١	المادة أم الله
٨٦	مفهوم المادة والمادة
٨٧	الالحاد وقوانين المادة
٩٢	الاساس الاول للاشعور ونقضه
١٠١	الاساس الثاني مقارنة الاديان
١٠٢	المذهب التطوري
١٠٢	المذهب الفطري
١٠٣	خطأ علماء المقارنة
١٠٤	موقف منحرف
١٠٨	العقل الجمعي ونشأة الدين
١١٠	نقض نظرية دوركايم
١١٢	اهل مكة أدري بشعابها
١١٤	اما الناحية الدينية
١١٤	وقفات عند الالة
١٢٠	مدى تاثير المجتمع في الانسان
١٢٢	الاساس الثالث - الكشف الكوبرنيكي
١٢٤	موقف الاسلام ازاء الكشف الكوبرنيكي
١٢٤	السؤال الاول
١٢٥	السؤال الثاني
١٢٩	قوانين الكون
١٣٠	دوران الارض والجبال
١٣١	حقيقة تجب الاشارة اليها
١٣٢	الحركة اليومية للأرض
١٣٤	حركة الأرض السنوية حول الشمس
١٣٦	موقف الزمخشري من هذه الالة
١٣٦	عودة الى ادلة المفسرين
١٤٠	السؤال الحبيب
١٤١	من هدايا القرآن

- ١٤٣ وأما العلم الحديث فيتحدث عن سبغ السموات على النحو التالي
١٤٦ ما لم يصل اليه العلم الحديث
١٤٧ خطأ واضح
١٤٩ وشهد شاهد من اهله
١٤٩ شاهد من الفاتيكان

الباب الثالث

توطئة

- ١٥٣ آثار الالحاد في الحياة الالهية
١٥٥ ابن موضح الداء
١٥٦ فئة ادركت موضح الداء وليس عندها الدواء
١٥٨ الفصل الأول : أثر الالحاد في الفكر الالهى
١٥٩ وجاء ديكارت
١٦٠ مقاومة فرنسيس بيكون للفلسفة الدينية
١٦٤ وقفة قلبلة مع رواد الفكر الالهى
١٦٦ الالحاد والدولتان العظيمتان
١٦٧ الفصل الثاني : اثر الالحاد في الحكم والسياسة
١٦٨ اول دعوة الى فصل الدين عن الحكم والسياسة
١٧٠ مظاهر الالحاد من المظاهر الجديدة
١٧١ المساواة الفارقة
١٦٢ أوربيون ينقضون هذه الديمقراطية المنحرفة
١٧٥ بيع العبيد السود
١٧٥ قصة تجارة العبيد في الاسواق الالهية
١٧٧ تقارير ليفربول
١٧٨ الفصل الثالث : الخمر وعجز القوانين الوضعية
١٨٢ عدد المرضى
١٨٤ تأملات في هذا التقرير
١٨٥ كيف تم تحريرهم الخمر في الاسلام
١٨٧ امامنا تجربتان
١٩١ من بركات التشريع الاسلامي

١٩٢	الحل الاسلامي لهذه العقدة
١٩٣	الاحاد والجميل الانساني
١٩٦	الدكتور الكسيس كاريل يشكك
٢٠١	<u>الفصل الرابع: مشكلة العقوبات في القوانين الوضعية</u>
٢٠١	أولا في الشريعة
٢٠٢	ثانيا عند الملاحدة
٢٠٣	المملكة العربية مخبر شاهد
٢٠٥	فماذا أقول
٢٠٦	<u>الفصل الخامس: ظهور اثار الاحاد في الدول الكبرى</u>
٢٠٧	فرنسا ام الحضارة الاباحية
٢٠٨	قلة الزواج في فرنسا
٢٠٩	المدوى في مستعمراتها
٢١١	السويد
٢١٢	العلاقات الجنسية البشعة في السويد
٢١٣	الحال في امريكا
٢١٦	انشاء غرف ولادة في جميع المدارس
٢١٧	وفي روسيا المتحدة ايضا
٢١٨	نظرة عابرة في بريطانيا
٢١٨	القصة المجيبة من بريطانيا
٢٢٠	وفي المجر
٢٢٠	وفي الدانمارك
٢٢٢	كوبنهاجن تصدر المطبوعات الجنسية
٢٢٣	أوربا عامة
٢٢٥	الخلاصة
٢٢٦	<u>الفصل السادس: اسباب تدمير الأمم والشعوب</u>
٢٢٨	قوم عاد
٢٢٨	قوم لوط
٢٢٩	أهل مدين
	انتعار الحضارة الغربية

٢٣٤	الفصل السابع : عقوبة الفطرة
٢٣٦	الحقوقات تجريى اليوم في عروق الملاحدة
٢٣٧	امراة تنتحصر
٢٣٧	محاولات الانتحار
٢٣٩	المطالبة بحرية اللواط في امريكا
٢٤٠	رجل يعقد على رجل في دول الشمال الاسكدنافية
٢٤٠	الزواج رجعى في الشبوعية
٢٤٣	شيطانان قد غلبا على الملاحدة
٢٤٤	الاستعدادات الحربية لتدمير العالم
٢٤٧	الوراثة الارضية من جديد
٢٤٨	الفصل الثامن : حضارة لا تلائم الانسان
٢٤٩	اولا التحرر الكامل من عبودية انسان على انسان
٢٥٠	ثانيا ان يكون التجمع على امر يتعلق بارادتهم
٢٥١	ثالثا ان تكون انسانية الانسان هي موضع احترام
٢٥٢	رابعا وخامسا ان تكون الاسرة قاعدة التجمع
٢٥٤	اولا شهادة الكسيس كاريل
٢٥٦	ثانيا ول ديورانت
٢٥٨	ثالثا شهادة الاستاذ ابي العلا المودودى
٢٦٠	كيف الخلاص من الالحاد
٢٦٣	الله الذى نؤمن به
٢٦٤	صفات الله عز وجل
٢٧٢	حواشى الباب الثانى
٢٧٥	حواشى الباب الثالث
٢٨٥	المراجع المرببة والاُجنبية
٣٠٢	الفهارس